للعبد الفقير عفوى مير محمد بن حسن الدين فخري الوزير
عفر لهما ١١٤٢ بمكة المكرمة

كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لسيدنا ومولانا

القطب الرباني والمحقق الصمداني العارف بالله تعالى الشيخ الإمام

والحبر الهمام أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني أعاد الله

علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه آمين

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاج بشير آغا دار السعادة الشريفة
لسنة ثمان وخمسين ومائة
وألف

هذه النسخة اللطيفة من وقف حضرة مولانا صاحب الخيرات الحسان سالك سبيل الجود والإحسان
منور مصابيح المقامات بأنوار العناية مصحح معاقد المرام بمفتاح الكفاية جامع محاسن
العلم والعمل حائز مجامع البر الأكمل ألا وهو آغا دار السعادة الحاج بشير
وفقه للخير المزيد والكثير من هو على كل شيء قدير عفى الله تعالى
محمد أمين المعين بأوقاف الحرمين المحترمين
عفى عنه

٣٨٤

Süleymaniye ... Kütüphanesi
Kısmı: Hacı Beşir Ağa
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 384

الحمد لله رب العالمين واصلي واسلم علي سيدنا محمد وعلي ساير الانبيا والمرسلين
وعلي آلهم وصحبهم اجمعين وبعد فيقول العبد الفقير الي عفو الله ومغفرته
عبد الوهاب بن احمد بن علي الشعراني عفى الله عنه هذا كتاب الفته في علم العقايد
سميته باليواقيت والجواهر في بيان عقايد الاكابر حاولت فيه المطابقة
بين عقايد اهل الكشف وعقايد اهل الفكر حسب طاقتي وذلك لان المدار
في العقايد علي هاتين الطايفتين اذ الخلق كلهم قسمان اما اهل نظر
واستدلال واما اهل كشف وعيان وقد الف كل من الطايفتين كتبا
لاهل دايرته فربما ظن من لا غوص له في الشريعة ان كلام احدي الدايرتين
مخالف للاخرى فقصدت في هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما لتتايد
كلام اهل كل دايرة بالاخرى وهذا امر لم ار احدا سبقني اليه فرحم الله
تعالى من عذرني في العجز عن الوفا بما حاولته والتزمته فان منازع الكلام
دقيقة جدا وقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه لابي اسحاق المزني
عليك بالفقه واياك وعلم الكلام فلان يقال لك اخطات خير من ان
يقال لك كفرت انتهى وانا اسال بالله العظيم كل من نظر في هذا الكتاب
من العلما ان يصلح كلما يراه فيه من الخطا والتحريف او يضرب عليه ان لم يفتح
له بجواب نصيحة للمسلمين واعلم اني لا آذن لاحد يكتب له من هذا الكتاب
نسخة الا بعد ان يطلع عليها علما الاسلام السالمون من الحسد ويجيزوه
ويضعوا عليه خطوطهم فان عمري الآن قد ضاق عن كمال تحريره واوصي
كل من عجز عن الوصول الي تعقل كلام اهل الكشف ان يقف مع ظاهر كلام

المتكلمين

المتكلمين ولا يتعداه قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل وذلك لان عقايد اهل
الكشف مبنية علي امور يشهدونها وعقايد غيرها مبنية علي امور يؤمنون
بها هذا امر الضمن في كل ما لم يرد فيه نص قاطع والنفس تجد القوة في اعتقاد
ما عليه الجمهور دون ما عليه اهل الكشف لقلة سالكي طريقهم ثم اعلم
يا اخي اني طالعت من كلام اهل الكشف ما لا يحصى من الرسايل وما رايت
في عباراتهم اوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقق مربي العارفين الشيخ محي
الدين بن العربي رحمه الله فلذلك شيدت هذا الكتاب بكلامه من
الفتوحات وغيرها دون كلام غيره من الصوفية لكني رايت في الفتوحات
مواضع لم افهمها فذكرتها لينظر فيها علما الاسلام ويحققوا الحق ويبطلوا
ان وجدوه فلا تظن يا اخي اني ذكرتها لكوني اعتقدت صحتها او
ارضاها في عقيدتي كما يقع فيه المتهورون في اعراض الناس فيقولون
لولا انه ارتضى ذلك الكلام واعتقد صحته كلام من خالفهم من بعض
اهل الكشف الغير معصوم فان في الحديث يد الله مع الجماعة ولذلك
اقول غالبا عقب كلام اهل الكشف انتهى فليتامل ويحرر ونحو ذلك
اظهارا للتوقف في فهمه علي مصطلح اهل الكلام وكان شيخنا شيخ
الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله يقول لا يخلو كلام عالم من ثلاثة احوال
لانه اما ان يوافق صريح الكتاب والسنة فهذا يجب اعتقاده جزما واما ان يخالف
صريح الكتاب والسنة فهذا يحرم اعتقاده جزما واما ان لا يظهر لنا موافقته
ولا مخالفته فاحسن احواله الوقف انتهى وقد اخبرني العارف بالله
تعالى الشيخ ابو طاهر المدني الشاذلي رضي الله عنه ان جميع ما في كتب
الشيخ محي الدين مما يخالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه قال لانه رجل
كامل باجماع المحققين والكامل لا يصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب
والسنة لان الشارع امنه علي شريعته فلهذا تتبعت المسايل التي
اشاعها الحسدة عنه واجبت عنه من كتبه المروية لنا عنه بالسند
الصحيح ولم احث عنه بالفهم والصدر كما يفعل غيري من العلما فمن شك

الكتاب

في

في قول اضفته اليه وعجز عن فهمه وتاويله فلينظر في محله من الاصل الذي
اضفته اليه فربما يكون ذلك تحريفا مني واعلم يا اخي ان المراد باهل
السنة والجماعه في عرف الناس اليوم وهم الشيخ ابي الحسن الاشعري ومن
سبقه بالزمان كالشيخ ابو منصور الماتريدي وغيره رضي الله عنهم وقد كان
الماتريدي اماما عظيما في السنه كالشيخ ابي الحسن الاشعري ولكن لما غلب
اصحاب الشيخ ابي الحسن الاشعري علي اصحاب الماتريدي كان الماتريدي اقل
شهرة فان اتباع الماتريدي ما وراء نهر سيحون فقط واما اتباع الشيخ
ابي الحسن فهم منتشرون في اكثر بلاد الاسلام كخراسان والعراق والشام
ومصر وغيرها من البلاد فلذلك صار الناس يقولون فلان عقيدته
صحيحة اشعرية وليس مرادهم مرادكم نفي صحه عقيده غير الاشعري
مطلقا كما اشار الي ذلك في شرح المقاصد بقوله وليس بين المحققين
من كل من الاشعرية والماتريديه اختلاف محقق يجب بنسبة كل واحد
صاحبه الى البدعه والضلال وانما ذلك اختلاف في بعض المسايل كمسئلة
الايمان بالله تعالى نحو قول الانسان انا مومن ان شا الله تعالى ونحوه
ذلك انتهى وكان سفيان الثوري يقول اهل السنه والجماعه هم من
كان علي الحق ولو واحدا وكذلك كان يقول اذا سيل عن السواد الاعظم
من هم وكذلك كان يقول الامام البيهقي ثم اعلم يا اخي ان من علامة من كان
تابعا لاهل السنة والجماعة ان يكون قلبه ممليا انسا باتباعهم والضد
من اتباعهم فيمتلي قلبه غما وضيقا فالحمد لله رب العالمين وقد حبب
لي ان اقدم بين يدي هذا الكتاب تعينه علي من يريد مطالعة هذا
الكتاب امعان النظر فيه قبل المطالعه له مشتملة علي بيان عقيدة الشيخ
محي الدين الصغري التي صدر بها الفتوحات المكية ليرجع اليها من تاه
في شي من عقايد الكتاب فان هذا الكتاب كله كالشرح لهذه العقيدة
وتشتمل ايضا علي اربعة فصول الفصل الاول في ذكر نبذة من
من احوال الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه وبيان ان ما وجد

في كتبه مخالفا لظاهر كلام العلما مدسوس عليه او موول وفي بيان من مدحه
واثني عليه من العلما واعترف له بالفضل وذلك لان غالب هذا الكتاب
يرجع الي عبارته رضي الله عنه الفصل الثاني في تاويل بعض كلمات
نسبت الي الشيخ ثبوتها عنه جهل اكثر الناس معانيها وفي ذكر شي مما ابتلي به اهل
الله سلفا وخلفا في كل عصر من الانكار عليهم امتحانا لهم وتمحيصا لذنوبهم او
تنفيرا لهم عن الركون الي الناس وذلك لان الله تعالي لا يصطفي عبدا قط
وهو يركن الي سواه الا باذنه الفصل الثالث في بيان اقامة العذر لاهل
الطريق في تعبيرهم بالعبارات المغلقه علي من ليس منهم وحاصله ان ذلك كله انما
خوفا ان ترمي اوليا الله بالزور والبهتان فجعلوا لهم رموزا يتعارفونها فيما
بينهم لا يفهمها الدخيل بينهم الا بتوفيق منهم غيرة علي اسرار الله تعالي ان
تفشا بين المحجوبين كما اشار اليه القشيري في رسالته الفصل الرابع
في بيان جملة من القواعد والضوابط التي تحتاج اليها كل من يريد تحقيق علم
الكلام اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق بيان عقيدة الشيخ محي الدين
بن عربي المختصرة المبرية له من سوء الاعتقاد اعلم رحمك الله يا اخي انه
ينبغي لكل مومن ان يصرح بعقيدته وينادي بها علي رووس الاشهاد فان كانت
صحيحة شهد واله بها عند الله تعالي وان كانت غير ذلك بينوا له فسادها
ليتوب منها وقد اشهد هود عليه السلام عليه قومه مع كونهم مشركين
بالله تعالي علي نفسه بالبراة من الشرك بالله والاقرار له بالوحدانية لما علم عليه
السلام ان العالم كله سيوقفه الله تعالي بين يديه ويسالهم في ذلك الموقف
العظيم الاهول حتي يودي كل شاهد شهادته وكل امين امانته والموذن
يشهد له كل من سمعه حتي الكفار ولهذا يدبر الشيطان اذا سمع الاذان وله
ضراط حتي لا يسمع اذان الموذن فيلزمه ان يشهد له فيكون من جملة من يسعي
في سعادته وهو لعنه الله عدو محض ليس له الينا خير البته واذا كان
العدو لا بد ان يشهد لك بما اشهدته به علي نفسك لان ذلك المشهد
الحق يعطي ذلك بحقيقته فاحرى ان يشهد لك وليك وحبيبك ومن هو علي

علي ذلك واحري ان تشهده انت في دار الدنيا علي نفسك بالوحدانية والايمان
فيا اخواني ويا احبابي رضي الله عنا وعنكم اشهدكم اني اشهد الله تعالي واشهد
وانبياه ومن حضر من الروحانيين او سمع اني اقول قولا جازما بقلبي ان الله تعالي
اله واحد لا ثاني له منزه عن الصاحبه والولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له
صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار الي موجد يوجده بل كل
موجود مفتقر اليه في وجوده فالعالم كله موجود به وهو تعالي موجود بنفسه
لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقايه بل وجوده مطلق مستمر قايم بنفسه
ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقا ولا بجسم فتكون له
الجهة والتلقا مقدس عن الجهات والاقطار مري بالقلوب والابصار استوي
علي عرشه كما قاله وعلي المعني الذي اراده كما ان العرش وما حواه به استوي
وله الاخره والاولي ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول لا يحده زمان
ولا يقله مكان بل كان ولا مكان وهو الان علي ما عليه كان خلق المتمكن
والمكان وانشا الزمان وقال انا الواحد الحي الذي لا يوده حفظ المخلوقات
ولا ترجع اليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالي ان تحله الحوادث
او تحلها او تكون قبله او يكون قبلها بل يقال كان ولا شي معه اذ القبل والبعد
من صنع الزمان الذي ابدعه فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام
ليس كمثله شي وهو السميع البصير خلق العرش وجعله حد الاستوا وانشا الكرسي
واوسعه الارض والسما اخترع اللوح والقلم الاعلي واجراه كاتبا بعلمه في خلقه
الي يوم الفصل والقضا ابدع العالم كله من غير مثال سبق وخلق الخلق
واخلق الذي خلق انزل الارواح في الاشباح امنا وجعل هذه الاشباح المنزلة
اليها الارواح في الارض خلفا وسخر لها ما في السموات وما في الارض جميعا منه
فلا تتحرك ذرة الا اليه وعنه خلق الكل من غير حاجة اليه ولا موجب اوجب ذلك
عليه لكن علمه سبق فلا بد ان يخلق ما خلق فهو الاول والاخر والظاهر والباطن
وهو بكل شي عليم احاط بكل شي علما واحصي كل شي عددا يعلم السر واخفي يعلم
خاينة الاعين وما تخفي الصدور كيف لا يعلم شيا خلقه الا يعلم من خلق وهو

اللطيف

اللطيف الخبير علم الاشيا قبل وجودها ثم اوجدها علي حد ما علمها فلم يزل
عالما بالاشيا لم يتجدد له علم عند تجدد الاشيا بعلمه اتقن الاشيا واحكمها
وبه حكم عليها من شا وحكمها علم الكليات علي الاطلاق كما علم الجزييات
باجماع اهل النظر الصحيح واتفاق فهو عالم الغيب والشهادة فتعالي عما يشركون
فعال لما يريد فهو المريد للكاينات في عالم الارض والسموات لم تتعلق
قدرته بايجاد شي حتي اراده كما انه لم يرده سبحانه حتي علمه اذ يستحيل
في العقل ان يريد ما لم يعلم او يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل
ما لا يريده كما يستحيل ان توجد هذه الحقايق من غير حي كما يستحيل ان
تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها فما في الوجود طاعة ولا
عصيان ولا ربح ولا خسران ولا عبد ولا حر ولا برد ولا حر ولا حياة ولا
ولا حصول ولا فوت ولا نهار ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل ولا بر ولا
بحر ولا شفع ولا وتر ولا جوهر ولا عرض ولا صحه ولا مرض ولا فرح ولا
ترح ولا روح ولا شبح ولا ظلام ولا ضيا ولا ارض ولا سما ولا تركيب ولا
تحليل ولا كثير ولا قليل ولا غداه ولا اصيل ولا بياض ولا سواد ولا باس
ولا رطب ولا قشر ولا لب ولا شي من المتضادات والمختلفات والمتماثلات
الا وهو مراد للحق تعالي وكيف لا يكون مرادا له وهو اوجده فكيف يوجد
المختار ما لا يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه يوتي الملك من يشا وينزع
الملك ممن يشا ويعز من يشا ويذل من يشا ويهدي من يشا ويضل من يشا
ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن لو اجتمع الخلايق كلهم علي ان يريدوا اشيا لم
يرد الله تعالي لهم ان يريدوه ما ارادوه او ان يفعلوا شيا لم يرد الله
ايجاده وارادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا اقدرهم عليه فالكفر
والايمان والطاعة والعصيان من مشيته وحكمه وارادته ولم يزل
سبحانه وتعالي موصوفا بهذه الصفات ازلا والعالم معدوم ثم اوجد
العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل
جل وعلا عن ذلك بل اوجده من العلم السابق وتعيين الارادة الازليه

وقال الذين كفروا لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من دونه من شي كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين

القاضيه علي العالم بما اوجدته عليه من زمان ومكان واكوان والوان فلا مريد في الوجود
علي الحقيقه سواه اذ هو القايل سبحانه وما تشاؤن الا ان يشا الله وانه تعالي كما علم
فاحكم واراد فخص وقدر فاوجد كذلك سمع وراي ما تحرك او سكن او نطق في الوري
من العالم الاسفل والاعلي ولا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره
القرب فهو البعيد يسمع كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفية عن اللمس
يري السواد في الظلما والما في الما لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو
السميع البصير تكلم سبحانه وتعالي لا عن صمت متقدم ولا سكوت متوهم بكلام
قديم ازلي كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم به موسي عليه السلام سماه
التنزيل والزبور والتوراه والانجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكليف فكلامه
سبحانه وتعالي من غير لهاة ولا لسان كما ان سمعه من غير اصمخة ولا اذان كما ان
بصره من غير حدقه ولا اجفان كما ان ارادته من غير قلب ولا جنان كما ان علمه
من غير اضطرار ولا نظر في برهان كما ان حياته من غير بخار تجويف قلب حدث
عن امتزاج الاركان كما ان ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان فسبحانه سبحانه
من بعيد دان عظيم السلطان عميم الاحسان جسيم الامتنان كل ما سواه فهو
عن جوده فايض وفضله وعدله الباسط له والقابض اكمل صنع العالم وابدعه
حين اوجده واخترعه لا شريك له في ملكه غيره فينسب الي الجور والحيف ولا
ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف كل ما سواه فهو تحت
قهره ومتصرف عن ارادته وامره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوي والفجور
وهو المتجاوز عن سيات من شا هنا وفي يوم النشور لا يحكم عدله في فضله ولا فضله
في عدله اخرج العالم قبضتين واوجد لهم منزلتين فقال هؤلا للجنه ولا ابالي
وهؤلا للنار ولا ابالي ولم يعترض عليه معترض هناك اذ لا موجود كان ثم
سواه فالكل تحت تصريف اسمايه فقبضة تحت اسما بلايه وقبضة تحت اسما الايه
ولو اراد سبحانه ان يكون العالم كله سعيدا لكان او شقيا لما كان في ذلك من
شان لاكنه سبحانه لم يرد فكان كما اراد فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد
فلا سبيل الي تبديل ما حكم عليه وقد قال تعالي هي خمس وهن خمسون ما يبدل

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون فهو من تعاليم [illegible] وانه قال وما اتاهم من ذكر من ربهم محدث وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث

وقال الله من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وما ربك بظلام للعبيد

القول

القول لدي وما انا بظلام للعبيد لتصرفي في ملكي وانفاذ مشيئتي وملكي وذلك
لحقيقة عميت عنها البصاير ولم تعثر عليها الافكار ولا الضماير الا بوهب الهي
وجود رحماني لمن اعتني الله به من عباده وسبق له ذلك في حضرة اشهاده
فعلم حين اعلم ان الالوهة اعطت هذا التقسيم وانها من رقايق القديم
فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود بذاته الا اياه والله خلقكم وما
تعملون لا يسئل عما يفعل وهم يسالون فلله الحجة البالغة فلو شا لهداكم
اجمعين وكما اشهدت الله وملايكته وجميع خلقه واياكم علي نفسي بتوحيد
الله فكذالك اشهد الله تعالي وملايكته وجميع خلقه وانا لكم علي نفسي
بالايمان بمن اصطفاه الله واختاره واجتباه من جوده ذلك سيدنا ومولانا
محمدا صلي الله عليه وسلم الذي ارسله الي جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا
وداعيا الي الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ صلي الله عليه وسلم ما انزل من ربه
اليه وادي امانته ونصح امته ووقف في حجة الوداع علي كل من حضره من
من الاتباع فخطب وذكر وخوف وحذر وامطر وارعد وما خص بذلك
التذكير احد دون احد عن اذن الواحد الصمد ثم قال الا هل بلغت
قالوا بلغت يا رسول الله فقال صلي الله عليه وسلم اللهم اشهد واني مومن
بما جا به صلي الله عليه وسلم مما علمت ومما لم اعلم فمما جا به وقرر ان الموت
عن اجل مسمي عند الله اذا جا لا يوخر فانا مومن بهذا ايمانا لا ريب فيه
ولا شك كما امنت وقررت ان سوال فاتني القبر حق وعذاب القبر
حق وبعث الاجساد من القبور حق والحوض حق والميزان حق وتطاير
الصحف حق والصراط حق والجنة حق وفريقا في الجنة وفريقا في السعير
حق وكرب ذلك اليوم علي طايفه حق وطايفه لا يحزنهم الفزع الاكبر حق
وشفاعة الملايكة والنبيين والمومنين وشفاعة ارحم الراحمين حق وجماعة
من الاكابر من المومنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة
حق والتابيد للمومنين في النعيم المقيم حق والتابيد للكافرين والمنافقين
في العذاب الاليم حق وكلما جات به الكتب والرسل من عند الله علم او جهل

لم يرد سبحانه وتعالي اراد خلق الذي يعملون وقد قال وهو اصدق القايلين [illegible] فهم لها عاملون وهو لا يسال عما يفعل وهم يسالون يعني عما يعملون [illegible] يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها

وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

جهل حتى فهذه شهادتي على نفسي امانة عن كل من وصلت اليه يؤديها اذا سئل عنها
حيث ماكان نفعنا الله واياكم بهذا الايمان وثبتنا عليه عند الانتقال الى الدار الحيوان
وادخلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيل اهلها قطران وجعلنا
من العصابة التي اخذت الكتاب بالايمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له
الميزان وثبتت من على الصراط القدمان انه المحسن المنعم المحسان انتهت
العقيدة ولنشرع في الاربعة فصول وبالله التوفيق الفصل الاول في بيان نبذة من
احوال الشيخ محي الدين رضي الله عنه كان رضي الله عنه اولا من الموقعين عند بعض ملوك
المغرب ثم انه طرقه طارق من الله عز وجل فخرج في البراري على وجهه الى ان نزل في قبر
فمكث فيه مدة ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه ولم يزل سايحا في الارض
يقيم في كل بلد حسب الاذن ثم يرحل منها ويخلف ما الفه من الكتب فيها وكان اخر
اقامته بالشام وبها مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة رضي الله عنه وكان رضي الله
عنه متقيدا بالكتاب والسنة ويقول كل من رمى ميزان الشريعة من يده هلك وسيأتي
قوله وكلما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك هذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة وجميع
ما يفهمه الناس من كلامه انما هو لعلو مراقيه وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة
وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه كما اخبرني بذلك الشيخ الصالح ابو الطاهر المغربي
نزيل المدينة المشرفة ثم اخرج له نسخة الفتوحات التي قابلها على نسخة الشيخ التي
بخطه في مدينة قونيه فلم ار فيها شيئا مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت
الفتوحات وقد دس الزنادقة تحت وسادة الامام احمد بن حنبل في مرض موته
عقايد زايغة ولولا ما كان اصحابه يعلمون منه من صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوا
تحت وسادته وكذلك دسوا على شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادي صاحب
القاموس كتابا في الرد على الامام ابي حنيفة وتكفيره ودفعوه الى ابي بكر ابن الخياط
اليمني النحوي فارسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك فكتب اليه الشيخ مجد الدين
ان كان بلغك هذا الكتاب فاحرقه فانه افترا علي من الاعدا وانا من اعظم المعتقدين
في الامام ابي حنيفة وذكرت مناقبه في مجلد وكذلك دسوا على الغزالي عدة مسايل
في كتاب الاحيا وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فامر باحراقها وكذلك

دسوا

دسوا علي انا في كتابي المسمى بالحوض المورود جملة من العقايد الزايغة واشاعوا تلك العقايد
في مصر ومكة نحو ثلاث سنين وانا بري منها كما بينت ذلك في خطبة الكتاب لما غيرتها
وكان العلما كتبوا عليه واجازوه فما سكنت الفتنة حتى ارسلت لهم النسخة التي عليها
خطوطهم وكان ممن انتدب لنصرتي الشيخ الامام ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله
عنه ثم ان بعض الحسدة اشاع في مصر ومكة ان علما مصر رجعوا عن كتابتهم على
مؤلفات فلان كلها فشك بعض الناس في ذلك فارسلت النسخة للعلما ثالث مرة
فكتبوا تحت خطوطهم كذب من نسب الينا اننا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب
وغيره من مؤلفات فلان وعبارة سيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي فسح
الله في مدته بعد الحمد لله وبعد فما نسب الي الرجوع عما كتبت به خطي على هذا الكتاب
وغيره من مؤلفات فلان باطل باطل باطل والله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه
ولا اعتقدت في مؤلفات فلان شيا من الباطل وانا معتقد صحة مقاله باق على ذلك
وادين الله تعالى بالاعتقاد في صحة كلامه وولايته فلا ينبغي لاحد ان يصدق في شي
مما ينسب الي على السنة الذين لا يخشون الله تعالى هذا لفظه في اخر نسخة كتاب
العهود وعقب اجازته التي كتبها اولا وكتب نحو ذلك ايضا الشيخ الامام المحقق الشيخ شهاب
الدين الرملي الشافعي رحمه الله اذا علمت ذلك فيحتمل ان الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه
كما دسوا في كتبي انا فانه امر قد شاهدته من اهل عصري في حقي فالله يغفر لنا ولهم
امين واما من اثنى على الشيخ رحمه الله من العلما ومدح مؤلفاته فقد كان الشيخ مجد
الدين الفيروزابادي صاحب كتاب القاموس في اللغة يقول لم يبلغنا عن احد من
القوم انه بلغ في علم الشريعة والحقيقة مبلغ الشيخ محي الدين ابدا وكان يعتقده غاية
الاعتقاد في الشيخ على مؤلفاته كتابة بحل الذهب في حياته وبعد مماته الى ان اراد
الله بما اراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين بن الخياط فكتب مسايل
في درج وارسلها الى العلما ببلاد الاسلام وقال هذه عقايد محي الدين بن العربي
وذكر فيها عقايد زايغة ومسايل خارقة لاجماع المسلمين فكتب العلما على ذلك
بحسب السوال وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت والشيخ عن ذلك بمعزل
قال الفيروزابادي فلا ادري اوجد ابن الخياط تلك المسايل في كتاب

مدسوس على الشيخ او فهمها هو من كلام الشيخ على خلاف مراده قال والذي اقوله وا ه
وادين الله تعالى به ان الشيخ محي الدين كان شيخ الطريقه حالا وعلما وامام التحقيق
حقيقه ورسما ومحي علوم العارفين فعلا واسما اذا تغلغل فكر المرء في طرق من
مجده غرقت فيه خواطره لانه بحر لا تكدره الدلاء وسحاب لا تتقاص عنه
الانوا كانت دعواته تخرق السبع الطباق وتغترف بركاته فتملا الافاق واني
اصفه وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني انني ما انصفته
وما علي اذا ما قلت معتقدي ❁ دع الجهول يظن العدل عدوانا ❁
والله والله والله العظيم ومن ❁ اقامه حجة للدين برهانا
ان الذي قلت بعضا من مناقبه ❁ ما زدت الا لعلي زدت نقصانا
قال واما كتبه رضي الله عنه فهي البحار الزواخر التي ما وضع الواضعون
مثلها ومن خصائصها انه ما واظب احد على مطالعتها الا وتصدر لحل
مشكلات الدين ومعضلات مسائله وهذا الشان لا يوجد في غير كتبه ابدا
قال واما قول بعض المنكرين ان كتب الشيخ لا يحل قراءتها ولا اقراؤها فكفر
قال وقد سألني من سوال الاصوزه ته ما تقولون في الكتب المنسوبة للشيخ
محي الدين بن العربي كالفتوحات والفصوص هل يحل قراءتها واقراؤها وهل هي
من الكتب المسموعة المقروة ام لا فاجبتهم نعم هي من الكتب المسموعة المروية
المقروه وقد قراها عليه الحافظ البرزالي وغيره ورايت اجازته بخط الشيخ محي
الدين على حواشي الفتوحات المكية بمدينة قونيه وكتابة طبقه بعد طبقه
من العلما والمحدثين قمطالعة كتب الشيخ قربة الى الله تعالى ومن قال غير
ذلك فهو جاهل زايغ عن طريق الحق فلقد كان الشيخ والله في زمنه صاحب
الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به خلاف
ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالى فحرموا فوايده ووقعوا في عرضه بما تانفا
ذوزرا وحاشا جنابه الكريم ان يخالف كلام نبيه الذي اسس على شرعه ومن
انكر عليه وقع في خطر الامور ❁ ❁ ❁ ❁
❁ علي نحت القوافي من معادنها وما علي اذا لم تفهم البقر ❁

انتهى

انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه وقد كان الشيخ سراج الدين المحدث وشيخ الاسلام
بالشام يقول اياكم والانكار على شي من كلام الشيخ محي الدين فان لحوم الاوليا مسمومه
وهلاك اديان مبغضيهم معلومة وبعضهم تنصر ومات على ذلك ومن اطلق لسانه
فيهم بالثلب ابتلاه الله تعالى بموت القلب وكان ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه
يقول من تعرض لولي لله عز وجل ضرب في قلبه بسهام سموم ولم يمت حتى تفسد عقيدته
ويخاف عليه من سوء الخاتمه وكان ابو تراب النخشبي يقول اذا الف القلب الاعراض
عن الله صحبته الوقيعة في اوليا قال الشيخ مجد الدين الفيروزاباري وقد
رايت اجازة بخط الشيخ كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب ورايت في اخرها
واجزت له ايضا ان يروي عني جميع مولفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا واربعمائة
مولف منها تفسيره الكبير في خمسة وتسعين مجلدا وصل فيه الى قوله تعالى وعلمناه
من لدنا علما فاصطفاه الله تعالى لحضرته ومنها تفسيره الصغير في ثمانية اسفار
على طريقة المحققين من المفسرين ومنها كتب الرياض الفردوسية في بيان الاحاديث
القدسية فهل يحل لمسلم ان يقول لا يجوز مطالعة كتب الشيخ محي الدين مطلقا
ما ذلك الا كفر وتعصب وعناد انتهى وممن اثنى عليه ايضا الشيخ كمال الدين
الزملكاني رحمه وكان من اجل علما الشام وكذلك الشيخ قطب الدين الحموي
وقيل له لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدت الشيخ محي الدين فقال
وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرا زاخرا لا ساحل له وانشدني الشيخ بلفظه
من جملة ابيات ❁ وتركنا البحار الزاخرات ورانا ❁ فمن اين يدري الناس اين توجهنا
وممن اثنى عليه ايضا الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخ علما العصر وقال
من اراد ان ينظر الى كلام اهل العلوم اللدنيه فلينظر في كتب الشيخ محي الدين
بن عربي رحمه الله وسئل الحافظ ابو عبد الله الذهبي عن قول الشيخ محي الدين
في كتابه الفصوص انه ما صنفه الا باذن من الحضرة المحمدية فقال الحافظ
ما اظن ان مثل الشيخ محي الدين يكذب اصلا مع ان الحافظ كان من اشد المنكرين
على الشيخ وعلى طايفة الصوفيه هو وابن تيميه وممن اثنى عليه الشيخ قطب
الدين الشيرازي وكان يقول ان الشيخ محي الدين كان كاملا مكملا في العلوم

الشريعة والحقيقة ولا يقدح فيه من لم يفهم كلامه ولم يؤمن به كما لا يقدح في كمال
الانبيا نسبتهم الى الجنون والسحر على لسان من لم يؤمن بهم وكان مويد الجندي
يقول ما سمعنا باحد من اهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محي الدين وكذلك
وكان يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ كمال الدين الكاشي وقال
فيه انه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات مع ان هولا الاشياخ كانوا
من اشد الناس انكارا على من يخالف كلام ظاهر الشريعة وممن اثنى عليه ايضا الشيخ
فخر الدين الرازي وقال كان الشيخ محي الدين وليا عظيما وسيل عن الامام محي الدين
بن العربي قال تلك امة قد خلت ولكن الذي عندنا انه يحرم على كل عاقل ان
يسيء الظن باحد من اوليا الله عز وجل ويجب عليه ان يوول اقوالهم وافعالهم
ما دام لم يلحق بدرجتهم ولا يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق قال في شرح المهذب
ثم اذا اول فليوول كلامهم الى سبعين وجها فان لم يقبل لكلامهم تاويلا منها فليرجع
على نفسه باللوم ويقول يحتمل كلام اخيك سبعين وجها ولا يقبل منه تاويلا واحدا
ما ذلك الا تعنت وتعصب انتهى وممن اثنى عليه الامام بن اسعد اليافعي وصرح
بولايته العظمى كما نقل ذلك شيخ الاسلام زكريا في شرحه للروض وكان
اليافعي يحذر رواية كتب الشيخ محي الدين ويقول ان حكم انكارها ولا الجملة على
اهل الطريق حكيرا بموسى تحت على جبل تريد ازالته من مكانه بنفخها قال ومن
عادا اوليا الله فكانما عادا انبيا الله وان كان لم يبلغ حد التكفير الموجب للخلود
في النار انتهى وممن اثنى عليه من مشايخنا الشيخ محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال
السيوطي وترجمه بانه مربي العارفين كما كان الجنيد مربي المريدين قال ان
الشيخ محي الدين روح التنزلات والامداد والالف الوجود وعين الشهود
وها المشهود الناهج مناهج النبي العربي قدس الله سره واعلى في الوجود ذكره انتهى
قلت وقد صنف الشيخ سراج الدين المخزومي كتابا في الرد عن الشيخ محي الدين بن
العربي وقال كيف يسوغ لاحد من امثالنا الانكار على من يفهمه من كلام الفتوحات
او غيرها وقد وقف على ما فيها نحو من الف عالم وتلقوها بالقبول قال وقد شرح
كتابه الفصوص جماعة من الاعلام الشافعية وغيرهم منهم الشيخ بدر الدين بن

جماعة وشاعت كتبه في جميع الامصار وقريت متنا وشرحا في غالب البلاد ورويناها
بالقراءة الظاهرة في الجامع الاموي وغيره بالاسناد وتغالي الناس فيها
وحدثنا في سرائها ونسخها وتبركوا بها وبمولفها لما كان عليه من الزهد والعلم
ومحاسن الاخلاق وكان ايمة عصره من علما الشام ومكة كلهم يعتقدونه
وياخذون عنه ويجدون نفوسهم في بحر علمه كلا شي وهل ينكر على الشيخ الا
جاهل او معاند قال الفيروزابادي رحمه الله بعد ان ذكر مناقب الشيخ محي الدين
رحمه الله ثم ان الشيخ محي الدين كان مسكنه الشام وقد اخرج هذه العلوم بالشام
ولم ينكر عليه احد من علمائها ما قال وقد كان قاضي القضاة الشيخ شمس الدين
الخوبجي الشافعي يخدم الشيخ خدمة العبيد واما قاضي القضاة المالكي
فهبت عليه نظرة من الشيخ فزوجه ابنته وترك القضا وتبع طريقة الشيخ
واطال الفيروزابادي في ذكر مناقب الشيخ ثم قال وبالجملة فما انكر على الشيخ
الا بعض الفقها الذين لا حظ لهم في مشرب المحققين واما جمهور العلماء
والصوفية فقد اقروا بانه امام اهل التحقيق والتوحيد وانه في العلوم
الظاهرة فريد وحيد وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول ما وقع الانكار
على الشيخ من بعضهم الا رفقا بضعفا الفقها الذين ليس لهم نصيب تام
من احوال الفقرا خوفا ان يفهموا من كلام الشيخ امرا لا يوافق الشرع فيضلوا ولو
انهم صحبوا الفقرا لعرفوا مصطلحهم وامنوا من مخالفة الشرع قال الشيخ المخزومي
وقد كان الشيخ محي الدين بالشام وجميع علمائها تردد اليه ويعترفون له بجلالة
المقدار وانه استاذ المحققين من غير انكار وقد اقام بين اظهرهم نحو من ثلاثين
سنة يكتبون مولفات الشيخ ويتداولونها بينهم وقال الفيروزابادي
قد كان الشيخ محي الدين كثرا لا ساحل له ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى
كان البلد اذ ذاك مجمع العلما والمحدثين وكان الشيخ هو المشار اليه بينهم في كل
علم تكلموا فيه وكانوا كلهم يتسارعون الى مجلسه ويتبركون بالحضور بين يديه
ويقرون عليه تصانيفه قال وتصنيفاته بحر ابن مكة الى الان اصدق شاهد
على ما قلناه وكان اكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث واسماعه وصنف فيهما

الفتوحات المكية كتبها عن ظهر قلب جوابا لمسايل ساله عنها تلميذه بدر الحبشي ولما
فرغ منها وضعها في سطح الكعبة فاقامت فيه سنة ثم انزلها فوجدوها كما وضعها
لم يبتل منها ورقه ولا لعبت الرياح بها مع كثرة امطار مكة ورياحها وما اذن للناس
في كتابتها وقراتها الا بعد ذلك قال واما ما اشاعه بعض المنكرين عن الشيخ عز
الدين وعن شيخنا الشيخ سراج الدين البلقيني رحمه الله انهما امرا باحراق كتب الشيخ
محي الدين فكذب وزور ولو انها احرقت لم يبق منها الان بمصر والشام نسخة ولا
كان احد نسخها بعد كلام هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك ولو ان ذلك وقع
لم يخف لانه من الامور العظام التي يسير بها الركبان في الافاق ويتعرض لذكرها
اصحاب التواريخ وقال الشيخ سراج الدين المخزومي رحمه الله كان شيخنا شيخ
الاسلام سراج الدين البلقيني وكذلك الشيخ تقي الدين السبكي ينكران على الشيخ
في بداية امرهما ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتاويل مراده وندما على
تفريطهما في البدايه وسلما له الحال فيما اشكل عليهما عند النهاية فمن جملة
ما ترجمه به الامام السبكي كان الشيخ محي الدين اية من ايات الله وان الفضل في زمانه
رمى بمقاليده اليه وقال لا اعرف اباه ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني فيه
حين سيل عنه اياكم والانكار على شي من كلام الشيخ محي الدين فانه رضي الله عنه لما
خاض في بحار المعرفه وتحقيق الحقايق عبر في اواخر عمره في الفصوص والفتوحات
والتنزلات الموصليه وغيرها بما لا يخفى على من في درجته من اهل الاشارات
ثم انه جا من بعده قوم عمي عن طريقته فغلطوه في ذلك بل كفروه بتلك العبارات
ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه ولا سالوا من يسلك بهم الى ايضاحه
وذلك ان كلام الشيخ رضي الله عنه تحته رموز وروابط واشارات وضوابط
وحذف مضافات هي في علمه وعلم امثاله معلومة وعند غيرهم من الجهال
مجهولة ولو انهم نظروا الى كلماته بدلايلها وتطبيقها مبانيها وعرفوا نتايجها ومقدماتها
لنالوا الثمرات المرادة ولم يباين اعتقادهم اعتقاده قال ولقد كذب والله وافترى
من نسبه الى القول بالحلول والاتحاد ولم ازل اتتبع كلامه في العقايد وغيرها
واكثر من النظر في اسرار كلامه وروابطه حتى تحققت معرفة ما هو عليه

من الحق ووافقت الجم الغفير المعتقدين له من الخلق وحمدت الله عز وجل اذ لم
اكتب في ديوان الغافلين عن مقامات الجاحدين لكراماته واحواله انتهى كلام
الشيخ سراج الدين البلقيني قال تلميذه شيخ الاسلام المخزومي رحمه الله ولما
وردت القاهرة عام توفي شيخنا سراج الدين البلقيني رحمه الله وذلك في عام اربع
وثمانمايه ذكرت له ما سمعت من بعض اهل الشام في حق الشيخ محي الدين من
انه يقول بالحلول والاتحاد فقال الشيخ معاذ الله وحاشاه من ذلك انما هو من
اعظم الايمة ومن سبح في بحار علوم الكتاب والسنة وله اليد العظيمة عند الله
وقدم الصدق عنده قال المخزومي فقوي بذلك يقيني وكثر اعتقادي في
الشيخ من تلك الساعة وعلمت انه من روس اهل السنة والجماعة قال المخزومي
وقد بلغنا ان الشيخ تقي الدين تكلم في شرحه للمنهاج في حق الشيخ محي الدين
بكلمة ثم استغفر بعد ذلك وضرب عليها فمن وجدها في بعض النسخ فليضرب
عليها كما هو في نسخة المولف قال وان ابن السبكي رحمه الله قد صنف كتابا
على المجسمة والرافضة وكتب الاجوبة العلمية في الرد على ابن تيميه ولم يصنف
قط شيا في الرد على الشيخ محي الدين مع شهرة كلامه بالشام وقراءة كتبه في الجامع
الاموي وغيره بل كان يقول ليس لي الرد على الصوفيه مذهبي لعلو مراقيهم وكذلك
كان يقول الشيخ تاج الدين بن الفركاح واطال المخزومي في الثنا على الشيخ محي
الدين ثم قال فمن نقل عن الشيخ تقي الدين السبكي او عن الشيخ سراج الدين
البلقيني انهما بقيا على انكارهما على الشيخ محي الدين الى ان ماتا فهو مخطي انتهى
قال ولما بلغ شيخنا سراج الدين البلقيني ان الشيخ بدر الدين بن السبكي
شيخ الاسلام بالشام رد على الشيخ موضعا من كتاب الفصوص ارسل له كتابا
من جملته يا قاضي القضاة الحذر ثم الحذر من الانكار على اوليا الله وان كنت
ولا بد رادا فرد كلام من رد على الشيخ والا فدع وسيل العماد بن كثير رحمه
الله عن من يخطي الشيخ محي الدين فقال اخشى ان يكون من يخطيه هو المخطي
وقد انكر قوم فوقعوا في المهالك وكذلك سيل الشيخ بدر الدين بن جماعة
عن الشيخ محي الدين فقال ما لكم وللرجل قد اجمع الناس على جلالته انتهى

قال شيخ الاسلام المخزومي واما ما نقله بعضهم عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه
بن عربي زنديق فكذب وزور فقد روينا عن شيخ الاسلام صلاح الدين العلائي
صاحب عن جماعة من مشايخه عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال كنا
في درس الشيخ عز الدين في باب الرد فذكر القارئ لفظة الزنديق قال بعضهم
هذه اللفظة عربية ام عجمية فقال بعض الفضلاء هي فارسية معربة اصلها
زن دين وهو الذي يضمر الكفر ويظهر الاسلام فقال شخص من الطلبة مثل من
فقال شخص جانب الشيخ عز الدين مثل محي الدين بن عربي ولم ينطق الشيخ عز
الدين بشيء قال الخادم فلما قدمت له عشاه وكان صايما سالته عن القطب
من هو فقال لا ادري القطب في زماننا هذا الا الشيخ محي الدين بن عربي وهو
متبسم فاطرقت مليا متحيرا فقال لي ما لك فذلك بمجلس الفقها ما وسعني فيه
غير السكوت قال المخزومي فهذا هو الذي رويناه عن الشيخ عز الدين
بالسند الصحيح انتهى ذكر ذلك كله شيخ الاسلام المخزومي في كتابه
المسمى بكشف الغطا عن اسرار كلام الشيخ محي الدين قلت وقد صنف
شيخنا الجلال السيوطي رحمه الله كتابا في الرد على الشيخ محي الدين سماه
تنبيه الغبي في تبرية بن عربي وكتابا اخر سماه قمع المعارض في نصرة بن
الفارض لما وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعي بمصر فراجعهما
والله تعالى اعلم

الفصل الثاني

في تاويل بعض كلمات اضيفت الى الشيخ محي الدين وذكر جماعة ابتلوا بالانكار عليهم
ليكون للشيخ اسوة بهم اعلم رحمك الله انه لا يجوز الانكار على القوم الا
بعد معرفة مصطلحهم في الفاظهم ثم اذا راينا بعد ذلك كلامهم يخالف
الشريعة رمينا به وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب
كتاب القاموس في اللغة لا يجوز لاحد ان ينكر على القوم بمبادي الراي
لعلو مراقيهم في الفهم والكشف قال ولم يبلغنا عن احد منهم انه امر بشي
يهدم الدين ولا نهى احدا عن الوضوء ولا عن الصلاة ولا غيرهما من
فروض الاسلام ومسنحها انما يتكلمون بكلام يدق عن الافهام وكان

يقول قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم الى المقامات المجهولة والعلوم
المجهولة التي لم يصرح بها كتاب ولا سنة ولكن اكابر العلما العاملين قد يردون
ذلك الى الكتاب والسنة بطريق دقيق بحسب استنباطهم وحسن ظنهم
بالصالحين ولكن ما كل احد يتربص اذا سمع كلاما لا يفهمه بل يبادر بالانكار
على صاحبه وخلق الانسان عجولا قال وناهيك بابي العباس بن سريج في
الفهم والعلم تنكرمزه وحضر مجلس ابي القاسم الجنيد ليسمع منه شيئا مما
يشاع عن الصوفية فلما انصرف قال والله ما وجدت ما لمما فهمت من كلامه
شيئا الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل انتهى وكان شيخ
الاسلام مجد الدين الفيروزابادي يقول كما اعطى الله تعالى كرامات
لاوليائه التي هي فرع المعجزات فلا بد ان يعطيهم من العبارات ما يعجز عن
فهمه فحول العلما وكان شيخ الاسلام المخزومي رضي الله عنه يقول لا يجوز
لاحد من العلما الانكار على الصوفية الا ان سلك طريقهم وراى افعالهم
وافقوا لهم مخالفة للكتاب والسنة واما الاشاعة عنهم فلا يجوز الانكار
عليهم ولا سبهم واطال في ذلك ثم قال وبالجملة فاقل ما يحق على المنكر
حتى يسوغ له الانكار ان يعرف سبعين امرا ثم بعد ذلك يسمع يسوغ
له الانكار منها غوصه في معرفة معجزات الرسل على اختلاف
طبقاتهم ويؤمن بها ويعتقد ان الاوليا يرثون الانبيا في جميع معجزاتهم
الا ما استثني ومنها اطلاعه على كتب تفسير القران سلفا وخلفا
ليعرف اسرار الكتاب والسنة ومنازع الايمة المجتهدين ويعرف
التفسير والتاويل وشرايطه ويتبحر في معرفة لغات العرب في
مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية ومنها كثرة الاطلاع على
مقالات السلف والخلف في معنى ايات الصفات واخبارها ومن
اخذ بالظاهر ومن اول ومن دليله ارجح من الاخر ومنها يتبحر
في علم الاصوليين ومعرفة منازع ايمة الكلام ومنها وهو اهمها
معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلي الذاتي والصوري وما

هو بين الاحديه والواحديه ومعرفه سر الظهور والبطون والازل والابد
وعلم الغيب والكون والشهادة والشون وعلم الماهيه والهويه والسكر والمحبه ومن
هو الصادق في السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب حتى يواخذ وغير ذلك فمن لم
يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم وينكر عليهم بما ليس هو من مرادهم انتهى وقد شرح
الحافظ بن حجر بعض ابيات من تائيه بن الفارض وقدمها الى سيدي الشيخ مدين
ليكتب له عليها اجازة قلت له على ظاهرها ما احسن ما قال بعضهم

سارت مشرقه وسرت مغربا ه شتان بين مشرق ومغرب

ثم ارسلها الى الحافظ رحمه الله فتنبه لامر كان عنه غافلا ثم اذعن لاهل الطريق
وصحب سيدي مدين حتى مات وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول
مما يدلك على ان اهل الطريق قعدوا على قواعد الشريعه دون غيرهم ما يقع
على يديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شي من ذلك على يد احد ولو بلغ في العلم
ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى وكان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي رحمه
الله يقول لا ينبغي لاهل الفكر والنظر الاعتراض على اهل العطايا والمنح فان علوم
هولا فوق علوم النظر وقد كان الشيخ محي الدين من اكابر اهل العطايا الذين
كشف الحق لهم عن جمال وجهه الباقي فلا لات لهم سبحاته الانوار الساطعه
الى يوم التلاق ومن تعرض لتخطيه مثله او تكفيره فانما هو لجهله وحرمانه
ولعدم فهمه وضعف ايمانه وعدم مبالاته بهفوات لسانه انتهى وقد نقل
الامام الغزالي في الباب الثامن من كتاب العلم من الاحيا عن بعض العارفين
انه كان يقول من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمه وادنى
نصيب منه التصديق به والتسليم لاهله كما ان من لم يتغلغل في علم الشريعة
يخاف عليه الزيغ انتهى اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق مما انكره المتعصبون
على الشيخ بحسب الاشاعة قولهم ان الشيخ محي الدين يقول بفساد قول لا اله
الا الله وذلك كفر والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان المراد ان الحق تعالى
ثابت الوهيته قبل اثبات المثبت ومن كان ثابتا لا يحتاج الى اثباته اذ ما ثم
من ينتسب له الوهيته من الخلق حتى ينفي وانما نعبد الله المومن بذلك على

سبيل التلاوة لما جاء الله على ذلك وحاشا الشيخ ان يصرح بنفي قول لا اله الا الله
هذا لا يقوله عاقل لانها من القران العظيم ومن ذلك دعوى المنكر ان الشيخ يقول
في كتبه مرارا لا موجود الا الله والجواب ان معنى ذلك بتقدير صحته عنه انه لا موجود
قايما بنفسه الا هو تعالى وما سواه قايم بغيره كما اشار اليه حديث الا كل شي ما خلا
الله باطل ومن كان حقيقته كذلك فهو الى العدم اقرب اذ هو موجود مسبوق
بعدم وفي حال وجوده متردد بين وجود وعدم لا يخلص لاحد الطرفين
فان صح ان الشيخ قال لا موجود الا الله فانما ذلك عند ما تلاشت عنده
الكاينات حين شهوده الحق تعالى بقلبه كما قال ابو القاسم الجنيد من شهد
الحق لم ير الخلق فافهم ومن ذلك دعوى المنكر ان الشيخ رحمه الله جعل الحق تعالى والخلق
واحدا في قوله في بعض نظمه فيحمدني واحمده ويعبدني واعبده بتقدير صحة
ذلك والجواب ان معنى يحمدني انه يشكرني اذا اطعته كما في قوله فاذكروني اذكركم
واما قوله فيعبدني واعبده اي يطيعني باجابة دعاي كما قال تعالى لا تعبدوا
الشيطان اي لا تطيعوه والا فليس احد يعبد الشيطان كما يعبد وقد صرح فيما
ذكر في الباب السابع والخمسين وخمسمايه من الفتوحات المكيه بعد كلام
طويل ما نصه وهذا يدلك صريحا على ما هو عين الحق تعالى اذ لو كان عين الحق
تعالى ما صح كون الحق بديعا انتهى والله اعلم ومن ذلك دعوى المنكر بان الشيخ يقول
بقبول ايمان فرعون وذلك كذب وافترا على الشيخ فقد صرح الشيخ في الباب الثاني
والستين من الفتوحات بان فرعون من اهل النار الذين لا يخرجون منها ابد
الابدين والفتوحات من اواخر مولفاته فانه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين
قال شيخ الاسلام الخالدي رحمه الله والشيخ محي الدين بتقدير صحة ورود ذلك
عنه لم ينفرد به بل ذهب جمع كثير من السلف الى قبول ايمانه لما حكى الله عنه انه
قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين وكان ذلك
القول اخر عهده بالدنيا وقال ابو بكر الباقلاني قبول ايمانه هو الاقوى من
حيث الاستدلال ولم يرد لنا نص انه مات على غير ذلك انتهى ودليل جمهور السلف
والخلف على انه امن عند الياس وايمان اهل الياس لا يقبل والله اعلم ومن ذلك

دعوى المنكران الشيخ يقول بجواز اخذ المكث للجنب في المسجد فان صح ذلك عن الشيخ فهو
موافق فيه لمولانا عبد الله بن عباس والامام احمد بن حنبل وهو مذهب الامام المزني
وجماعة من التابعين والفقها فقول المنكران الشيخ محي الدين خالف في ذلك الشريعة
فاقوال الايمة مردوده   دعوى المنكران الشيخ يقول ان الولي افضل من
الرسول   ان الشيخ لم يقل ذلك وانما اختلف الناس في ثبوت النبي وولايته
ايهما افضل والذي اقول به ان ولايته افضل لشرف المتعلق وهو دوامها في الدنيا والاخرة
بخلاف الرسالة فانها تتعلق بالخلق وتنقضي بانقضا بانقضا التكليف انتهى
ووافقه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فالكلام في رسالة النبي مع ولايته
لا في رسالته او نبوته مع ولاية غيره فافهم وبقي مسايل الشرع تنسب للشيخ وسياتي
بيان انها افترا وكذب على الشيخ منثورة في مباحثها ان شا الله تعالى في المثل السايد
ويجيى المداري في طرنق المخالف والله اعلم   تعالى وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة اتصبرون   نقل الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه التحدث بالنعمه ما
صورته ومما انعم الله به علي ان اقام لي عدوا يوذيني ويمزق في عرضي ليكون لي اسوة
بالانبيا والاوليا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلا الانبيا ثم العلما
ثم الصالحون رواه الحاكم في مستدركه   الله تعالى الى عيسى عليه السلام لا
يفقد نبي حرمته الا في بلده وروى البيهقي ان كعب الاحبار قال لابي موسى الخولاني
كيف تجد قومك لك قال مكرمين مطيعين قال ما صدقتني التوراه اذا وايم الله ما كان
رجل حكيم في قوم قط الا بغوا عليه وحسدوه واخرج ابن عساكر مرفوعا ازهد الناس
في الانبيا واشدهم عليهم الاقربون وذلك فيما انزل الله عز وجل وانذر عشيرتك
الاقربين   ابو الدرداء يقول ازهد الناس في العالم اهله وجيرانه ان كان
في حسبه شي عيروه وان كان عمل في ذنبا عيروه انتهى قال الجلال السيوطي رحمه الله
واعلم انه ما كان كبير في عصر قط الا كان له عدو من السفله اذ الاشراف لم تزل تبتلي
بالاطراف فكان لادم عليه السلام ابليس وكان لنوح حام وغيره وكان لداود
جالوت واضرابه وكان لسليمان صخر وكان لعيسى في حياته الاولى بخت نصر وفي الثانية
الدجال وكان لابراهيم النمرود وكان لموسى فرعون وهكذا الى محمد صلى الله عليه وسلم

اوكان له ابو جهل وكان لابن عمر عدو يعبث به كلما مر عليه ونسبوا عبد الله بن الزبير
الى الريا والنفاق في صلاته فصبوا على راسه ماء حميما فزلع وجهه وراسه وهو لا يشعر
فلما سلم من صلاته قال ما شاني فذكروا له قصته فقال حسبنا الله ونعم الوكيل ومكث
زمانا يتالم من راسه ووجهه وكان لابن عباس نافع بن الازرق وكان يوذيه اشد
الاذى ويقول انه يفسر القران بغير علم وكان لسعد بن ابي وقاص جملة من جهال
الكوفة يوذونه مع انه مشهود له بالكوفة وشكوه الى عمر بن الخطاب وقالوا انه
لا يحسن ان يصلي   الايمة المجتهدون فلا يخفى ما قاساه الامام ابو حنيفة
مع الخلفا وما قاساه الامام مالك واستخفاوه خمسا وعشرين سنه لا يخرج لجمعة
ولا جماعة وكذلك لا يخفى ما قاساه الامام الشافعي من اهل العراق ومن اهل
مصر وكذلك لا يخفى ما قاساه الامام احمد من الضرب والحبس وما قاساه
البخاري حين اخرجوه من بخارى الى خرتنك وقد نقل الثقات منهم الشيخ ابو عبد الرحمن
السلمي واحمد بن خلكان والشيخ عبد الغفار القوصي وغيرهم انهم نفوا ابا يزيد
البسطامي سبع مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمايها ووشوا بذي النون
المصري من مصر الى بغداد مقيدا مغلولا وسافر معه اهل مصر يشهدون عليه
بالزندقة ورموا سمنون المحب احد رجال رسالة القشيري بالعظايم وارشوا له
امراة من البغايا فادعت عليه انه ياتيها هو واصحابه واختفى بسبب ذلك سنه
واخرجوا سهل بن عبد الله التستري من بلده الى البصرة ونسبوه الى قبايح
وكفروه مع امامته وجلالته ولم يزل بالبصرة الى ان مات بها ورموا ابا سعيد
الخراز بالعظايم وافتى العلما بكفره بالفاظ وجدوها في كتبه وشهدوا على
الجنيد بالكفر مرار حين يتكلم في علم التوحيد على روس الاشهاد فصار يقرره في
قعر بيته الى ان مات وكان من اشد المنكرين عليه وعلى رويم وعلى سمنون
وعلى بن عطا ومشايخ العراق بن دانيال كان يحط عليهم اشد الحط واذا سمع احدا
يذكرهم تغيظ وتغير لونه واخرجوا محمد بن الفضل البلخي من بلخ لكون مذهبه
كان مذهب اهل الحديث من اجرا ايات الصفات واخبارها على ظاهرها بلا تاويل
والايمان بها على علم الله فيها ولما ارادوا اخراجه قال لا اخرج الا ان جعلتم في عنقي

حبلا ومرّ به في اسواق البلد وقلتم هذا مبتدع نريد ان نخرجه من بلدنا ففعلوا ذلك وا
فالتفت اليهم وقال يا اهل بلخ نزع الله من قلوبكم معرفته قال الاشياخ فلم يخرج بعد
دعوته عليهم تلك من بلخ صوفي ابدا مع انها كانت اكثر بلاد الله صوفية واخرجوا
الامام يوسف بن الحسين الرازي وقام عليهم زهاد الري وصوفيتها واخرجوا ابا
عثمان المغربي من مكة مع كثرة مجاهداته وتمام علمه وحاله وضربوه ضربا مبرحا
وطافوا به جملا فاقام ببغداد الى ان مات بها وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع
تمام علمه وكثرة مجاهداته وادخلوا اصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة
          الامام ابا بكر النابلسي مع فضله وكثرة علمه واستقامته في طريقته من
المغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر فامر بسلخه منكوسا
فصار يقرا القران وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا
يفتتنوا به   سلخوا النسيمي بحلب وعملوا له حيلة حين كان يقطعهم بالحجج وذلك
انهم كتبوا سورة الاخلاص وارشوا من يخيط النعال وقالوا هذه ورقة محبة وقبول
فضعها لنا في اطباق النعال ثم اخذوا ذلك النعل واهدوه للشيخ من طريق بعيد
فلبسه وهو لا يشعر ثم اطلعوا نايب حلب وقالوا له بلغنا من طريق صحيحة ان
النسيمي يكتب قل هو الله احد ويجعلها في طباق نعله وان لم تصدقنا فارسل وراه
وانظر ذلك ففعل فاستخرجوا الورقة فسلم الشيخ لله تعالى ولم يجب عن نفسه
وعلم انه لابد ان يقتل على تلك الصورة   بعض تلامذته انه صار ينشد موشحات
في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسماية وكان ينظر الى الذي يسلخه ويبتسم
          الشيخ ابا مدين بالزندقة واخرجوه من بجاية الى تلمسان فمات بها
واخرجوا الشيخ ابا الحسن الشاذلي من المغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة وسلمه
الله تعالى من كيدهم ورموا الشيخ عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له
مجلسا في كلمة قالها في عقيدته وحرفوا السلطان عليه ثم حصل له اللطف ذكره
ابن ابي في رسالته   الشيخ تاج الدين بن السبكي بالكفر وشهدوا عليه انه
يقول باباحة الخمر واللواط وانه يلبس في الليل الغيار والزنار واتوا به مغلولا
مقيدا من الشام الى مصر وخرج الشيخ جمال الدين الاسنوي فتلقاه في الطريق

وحكم بحقن دمه وانكروا على سيدي ابراهيم الجعبري وسيدي حسين الجاكي
ومنعوهما ان يجلسا على كرسي الوعظ وغير ذلك مما ذكرناه في مقدمة كتاب
الطبقات وانما ذكرنا لك يا اخي محن هذه الايمة المتقدمين والمتاخرين تانيسا
لك لتقبل على مطالعة كتب الصوفية لاسيما الشيخ محي الدين لان هاولا الايمة
شانهم عندنا كالمسك الاذفر فكما لا يقدح في كمالهم ما قيل فيهم كذلك لا يقدح
ما قيل في كمال الشيخ محي الدين والله تعالى اعلم الفصل الثالث في بيان اقامة العذر
لاهل الطريق في تكلمهم بالعبارات المغلقة على غيرهم رضي الله عنهم اعلم رحمك الله
ان اصل دليل القوم في رمزهم الامور ما روي في بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق اتدري يوم يوم فقال ابو بكر نعم يا رسول
الله لقد سالتني عن يوم المقادير وروي ايضا انه قال له يوما يا ابا بكر اتدري
ما اريد ان اقول لك فقال نعم هو ذاك هو ذاك حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء
الله في بعض كتبه وذكر الشيخ محي الدين في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات
ما نصه اعلم ان اهل الله لم يضعوا الاشارات التي اصطلحوا فيما بينهم لانفسهم
فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها منعا للدخيل بينهم حتى لا يعرف
ما هم فيه شفقة عليه ان يسمع شيا لم يصل اليه فينكر على اهل الله تبعا فيحرم
فلا يناله بعد ذلك ابدا قال ومن اعجب الاشيا في هذه الطريق بل لا يوجد الا
فيها انه ما من طايفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة واهل الهندسة والحساب
والمتكلمين والفلاسفة الا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم الا بتوقيف
منهم لابد من ذلك الا اهل هذه الطريقة خاصة فان المريد الصادق اذا دخل
طريقهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه وجلس معهم وسمع منهم ما يتكلمون به من
الاشارات فهم جميع ما تكلموا به حتى كانه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم
في الخوض في ذلك العلم ولا يستغرب هو ذلك من نفسه بل يجد علم ذلك
ضروريا لا يقدر على دفعه فكانه ما زال يعلمه ولا يدري كيف حصل له ذلك
هذا شان المريد الصادق واما الكاذب فلا يعرف ذلك الا بتوقيف ولا يسمح
له به قبل اخلاصه في الارادة وطلبه له احد من القوم ولم يزل علما الظاهر في كل

عصر يتوقفون في فهم كلام القوم وناهيك بالامام احمد بن سريج حضر يوما مجلس
الجنيد فقيل له ما فهمت من كلامه فقال لا ادري ما يقول ولكن اجد لكلامه
صولة في القلب ظاهرة تدل على عمل في الباطن واخلاص في الضمير وليس كلامه
كلام مبطل انتهى ثم ان القوم لا يتكلمون بالاشارة الا عند حضور من ليس منهم
او في تاليفهم لا غير قال ولا يخفى ان اصل الانكار من الاعداء المنكرين المبطلين انما
ينشا من الحسد ولو ان اوليك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق اهل الله لم
يظهر منهم انكار ولا حسد وازدادوا علما الى علمهم ولكن هكذا كان الامر فلا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واطال في ذلك ثم قال واشد الناس عداوة
لاصحاب علوم الوهب الالهي في كل زمان اهل الجدال بلا ادب فهم لهم من اشد
المنكرين ولما علم العارفون ذلك عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام
من اجل اهل الافك والالحاد الى الاشارات فكل اية او حديث عندهم وجهان وجه
يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم سنريهم قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ليانس المنكرون عليهم ولا يقولون
ان ذلك تفسير لتلك الاية او الحديث وقاية لشرهم ورميهم لهم بالكفر جهلا من
الرامين بمعرفة مواقع خطاب الحق تعالى واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم فان
الله تعالى قادر ان ينص ما تاوله اهل الله وغيرهم في كتابه كايات المتشابهات
والحروف واوايل السور ومع ذلك فما فعل بل ادرج في تلك الكلمات الالهية والحروف
علوما اختصاصية لا يعلمها الا عباده الخلص ولو ان المنكرين كانوا ينصفون
لاعتبروا في نفوسهم اذا نظروا في الاية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم
فيروا الظهر يتفاضلون في ذلك ويعلوا بعضهم على بعض في الكلام والفهم في معنى
تلك الاية ويقر القاصر منهم بفضل غير القاصر عليه وكلهم في مجرى واحد ومع
هذا التفاضل المشهود فيما بينهم ينكرون على الله تعالى اذا جاءوا بشي يغمض
عن ادراكهم قال وكل ذلك لكونهم لا يعتقدون في اهل الله تعالى انهم يعلمون الشريعة
وانما ينسبونهم الى الجهل والعامية لا سيما ان لم يقروا على احد من علما الظاهر وكثير
ما يقولون من اين اتى هذا ولا العلم لاعتقادهم ان احدا لا ينال علما الا على يد معلم

وصدقوا

وصدقوا في ذلك فان القوم لما عملوا بما علموا اعطاهم الله علما من لدنه باعلام ربنا
اياه في قلوبهم مطابقا لما جاءت به الشريعة لا تخرج عنها ذرة قال تعالى خلق
الانسان علمه البيان وقال علم الانسان ما لم يعلم وقال في عبده خضر وعلمناه من لدنا
علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بواسطة معلم واخطاوا في
اعتقادهم ان الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول قال تعالى يوتي الحكمة من
يشا والحكمة هي العلم وجاءت من وهي نكرة ولكن هولاء المنكرون لما تركوا الزهد في
الدنيا واثروها على الاخرة وعلى ما يقرب الى الله وتعودوا اخذ العلم من الكتب
ومن افواه الرجال حجبهم ذلك عن ان يعلموا ان لله عبادا تولى تعليمهم في سرائرهم
اذ هو المعلم الحقيقي للوجود كله وعلمه هو العلم الصحيح الذي لا يشك مومن ولا
غير مومن في كماله فان الذين قالوا اولا ان علم الحق تعالى لا يتعلق بالجزئيات لم
يريدوا نفي علمه تعالى بها وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى يعلم جميع الاشيا كلياتها
وجزئياتها علما واحدا فلا يحتاج في علمه بالجزئيات الى تفصيلها كما هو شان علم
خلقه تعالى عن ذلك فقصدوا التنزيه عن توقف علمه على التفصيل فاخطوا
في التعبير فعلم ان من كان علمه معلمه الله تعالى فهو احق بالاتباع ممن كان
معلمه فكره ولكن اين الانصاف واطال في ذلك ثم قال فصان اهل الله نفوسهم
بتسميتهم الحقايق اشارات لكون المنكرين لا يردون الاشارات قال واين
تكذيب هولاء المنكرين لاهل الله في فتح عوالم العلم من قول الامام علي بن ابي طالب
رضي الله عنه لو تكلمت لكم في تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منها سبعين وقرا
فهل ذلك الا من العلم اللدني الذي اتاه الله تعالى من طريق الالهام اذ
الفكر لا يصل الى ذلك وقد كان الشيخ ابو يزيد البسطامي يقول لعلما زمانه
اخذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علومنا عن الحي الذي لا يموت وكان الشيخ
ابو مدين اذا سمع احدا من اصحابه يقول في حكاية اخبرني بها فلان عن فلان
يقول لا تطعمونا القديد يريد بذلك رفع همة اصحابه يعني لا تحدثوا الا بفتوح حكم
الجديد الذي فتح الله به تعالى على قلوبكم في كلام الله او كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان الواهب للعلم الالهي حي لا يموت وليس له محل في كل عصر الا قلوب

الرجال انتهى وسياتي بسط ذلك ايضا في اخر المبحث السابع والاربعين وقال شيخ
الاسلام سراج الدين المخزومي رضي الله عنه في رمز الاشياخ علومهم ثلاثة امور
محققة احدها حجب من يريد التسليق علي طريق القوم بغير ادب ولا دخول
من بابهم عن افشا اسرار الربوبية من غير ذوق فيقع في تشابه او يكفر اهل الله
بفهمه السقيم الثاني ان في ذلك اشارة لطالب هذا الفن ان يكون متبحرا في
العلوم مدا وما علي ادب طريق القوم حتي ينكشف له الحجب ويطلع علي العلم
والمعلوم مشاهدة وذوقا الثالث ان علم القوم من سالف الزمان لا يخوض
فيه الا كل جواد في العلوم صنديد في علوم المتكلمين حتي كان الفخر الرازي يقول
ما اذن لي في تدريس علم الكلام حتي حفظت منه اثني عشر الف ورقة هذا مع ان
علم الكلام اهون من علم التوحيد الذي تخوض فيه القوم وقد قال الامام الشافعي
للربيع الجيزي اياك وعلم الكلام وعليك بالاشتغال بعلم الفقه والحديث
فلان يقال لك اخطات خير من ان يقال لك كفرت انتهى وسيل الاستاذ
علي بن وفا رضي الله عنه عن العارفين علي لسان بعض المعترضين لم دون
هاولا العارفين معارفهم واسرارهم التي تضر بالقاصرين من الفقهاء
وغيرهم اما كان عندهم من الحكمة وحسن النظر والرحمة بالخلق ما يمنعهم
عن تدوينها فان كان عندهم ذلك فمخالفتهم له نقص وان لم يكن عندهم
حكمة ولا حسن نظر فكفاهم بذلك نقصا فاجاب بقوله يقال لهذا السايل
البس الذي اظهر شمس الظهيرة ونشر فاضح شعاعها مع اضراره بابصار
الخفافيش ونحوها من اصحاب الامزجة الضعيفة عليم حكيم فلا يسعه الا
ان يقول نعم هو تعالي عليم حكيم فان قال صحيح ذلك ولكن عارض ذلك مصالح
اخر ترتبوا علي هذه المفاسد قلنا وكذلك الجواب عن مسالتك فكما ان الحق
تعالي لم يترك اظهار انوار شمس الظهيرة مراعاة لابصار من ضعف
بصره فكذلك العارفون فانهم لا ينبغي لهم ان يراعوا افهام المحجوبين
عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين عليها واطال في ذلك ثم قال
وحسبك جوابا ان من دون المعارف والاسرار لم يدونها للجمهور بل لو راي

من

من يطالع فيها ممن ليس هو من اهلها لنهاه عنها بعض العارفين
يقول نحن قوم تحرم النظر في كتبنا علي من لم يكن من اهل طريقنا وكذلك
لا يجوز لاحد ان ينقل كلامنا الا لمن يومن به فمن نقله الي من لا يومن به
دخل هو والمنقول اليه جهنم الانكار صاح بذلك اهل الله تعالي علي
روس الاشهاد وقالوا من باح بالسر استحق القتل ومع ذلك فلم يسمع اهل
الغفلة والحجاب بل تعدوا حدود القوم واظهروا كلامهم لغير اهله فكانوا
كمن نقل المصحف الي ارض العدو والذي لا يومن به مع ان الله تعالي نهاه
عن ذلك فمكنوا اعدا الله من قراته بقلوب زايغة والسنة معوجة فطايفة
تستهزئ به وطايفة تتبع ما تشابه منه ابتغا الفتنة وابتغا تاويله
فزاد وابتمكينهم منه في الضلال والطغيان والانكار علي اهل الاسلام
واطال في ذلك وهل دون المجتهدون رضي الله عنهم من
الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنة
ليستعان به علي هوي النفس وحب الرياسة وكسب الدنيا به
والمزاحمة به علي التقرب من الملوك والامرا لا والله ما كان ذلك
قصدهم ولكن امر الله قدرا مقدورا فكما ان المجتهدين لم يمنعوا
من تدوين العلم الذي يكتسب بعض الناس به الدنيا بل جعل لهم
الشارع اجر نيتهم الصالحة وان لم يعمل بذلك الناس
العارفون لهم اجر نيتهم وقصدهم الصالح من نفع المريدين
بما وضعوه من الحقايق الكاشفة لمشكلات علم التوحيد وامراض
القلوب ومن فوايد تدوينهم تلقيح قلوب الناظرين في رسايلهم
من بعدهم فيظفروا من تلك المعاني بما يكملهم ويبعث سحايب
الرحمة علي قلوبهم وعلي السنتهم فتشرق ارض قلوبهم بنور رشدهم
ويحيي باثر هداهم فنابت عنهم رسايلهم بعد موتهم في نصح المريدين
وكان تدوين معارفهم واسرارهم من احق الحقوق عليهم لكون
غيرهم لا يقوم مقامهم في تدوين دوا امراض القلوب واداب حضرات

الحق تعالى في جميع الامور المشروعة فان لكل ادب حضورا وادب تخصه
فان قيل لو كان علم هاولا الصوفية مطلوبا لدون فيه الايمة المجتهدون
كتبا ولا نرى لهم في ذلك كتابا واحدا والجواب انهم لم يضعوا في امراض
القلوب كتبا لانها لم تكن ظاهرة على اهل زمانهم ولو انها كانت ظهرت
في زمانهم لتاكد عليهم بيان طريق علاجها برسايل مستقله كما فعل
من بعدهم من ايمة طريق الله تعالى لانها من الكباير بخلاف الزمن
الذي بعدهم ظهر فيه الريا والحسد والكبر والعجب والغل
والحقد فلذلك دون الناس فيها الرسايل المستقله وايضا فانما
لم يدون المجتهدون في طريق القوم كتبا لانهم كانوا مشغولين
بما هو اهم من ذلك وهو جمع ادلة الشريعة وبيان ناسخها ومنسوخها
ومفصلها ومجملها وتمهيد قواعدها ليرجع الناس الى ذلك اذا
حصل لهم زيغ فلولا القواعد التي مهدها المجتهدون ما عرف
احد موازين الاعمال الظاهرة والباطنة فكان اشتغال الايمة
المجتهدين بذلك اهم من اشتغالهم بتاليف بعض رسايل خاصة
ببعض اقوام قلايل بالنسبة لبقية الامم فافهم ان لايمة الشريعة
المنة على ساير الناس من الصوفية وغيرهم فجزا الله الجميع خيرا فيما صنعوه
فانه كما كان في الكلام في علم الظاهر بقا روح الاجتهاد الظني الموجب
للعمل في ظاهر المرشدين فكذلك من باب اولى كان كلام العارفين فيه
بقا روح اليقين في واشراقها في ظاهر الهادين بالحق فان قيل فلم لم يقتصر
هاولا الصوفية على المشي على ظاهر الكتاب والسنه فقط اليس ذلك كان يكفيهم
كما كفى غيرهم فالجواب هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الايمة المجتهدين
ومقلديهم فانهم لم يقفوا على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه بل
استنبطوا من النصوص ما لا يحصى من الاحكام والوقايع كما هو مشاهد
فان رددت يا اخي استنباط العارفين لزمك كذلك ان ترد استنباط
المجتهدين ولا قايل بذلك فكما لا يجوز لك الاعتراض على كلام

الايمة المجتهدين لكونهم لم يخرجوا عن شعاع نور الشريعة فلذلك لا يجوز لك
الاعتراض على العارفين المتقين اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاداب
الظاهرة والباطنة فكما اوجب المجتهدون وحرموا وكرهوا واستحبوا
امورا لم تصرح بها الشريعة في دولة الظاهر فكذلك العارفون اوجبوا
امورا واستحبوا امورا في دولة الاعمال الباطنة فالاجتهاد واقع في الدولتين
ولا غنى لكل منهما عن الاخرى فحقيقة بلا شريعة باطله وشريعة بلا
حقيقة باطله يعني ناقصه فان قيل فلم رمز القوم كلامهم في طريقهم بالاصطلاح
الذي لا يعرفه غيرهم الا بتوقيف منهم كما مر ولو لم يظهروا معارفهم للناس
ان كانت حقا كما يزعمون ويتكلمون بها على روس الاشهاد كما يفعل علما الشريعة
في دروسهم فان في اخفا العارفين معارفهم عن كل الناس رايحة ريبة وفتحا
لباب رمي الناس لهم بسوء العقيدة وخبث الطوية فالجواب انما رمزوا
ذلك رفقا بالخلق ورحمة بهم وشفقة عليهم كما مر في كلام الشيخ محيي الدين
اوايل الفصل وقد كان الحسن البصري وكذلك الجنيد والشبلي وغيرهم لا
يقرون علم التوحيد الا في قعور بيوتهم بعد غلق ابوابهم وجعل مفاتيحها
تحت وركهم ويقولون اتحبون ان يرمى الصحابة والتابعون الذين اخذنا
هذا العلم عنهم بالزندقة بهتانا وظلما انتهى وما ذلك الا لدقة مداركهم
حين صفت قلوبهم وخلصت من شوايب الكدورات الحاصلة بارتكاب
الشهوات والاثام ولا يجوز لاحد ان يعتقد في هذه السادة انهم ما يخفون
كلامهم الا لكونهم فيه على ضلال حاشاهم من ذلك فهذا سبب من جاحدهم
للعبارات التي دونت وكان من حقها ان لا تذكر الا مشافهة ولا توضع
في الطروس لكن لما كان العلم يموت بموت اهله ان لم يدونوا علمهم
ورمزوه مصلحة للناس وغيرة على اسرار الله ان تذاع بين المحجوبين وانشد
في ذلك ٭ الا ان الرموز دليل صدق ٭ على المعنى المخفى في الفؤاد ٭
٭ وكل العارفين لهم رموز ٭ والغاز تدق على الاعادي ٭
٭ ولولا اللغز كان القول كفرا ٭ وادى العالمين الى الفساد ٭

اي كفرهم من لا يعرف اصطلاحهم   الامام ابو القاسم القشيري يقول نعم
ما فعل القوم من الرموز فانهم انما فعلوا ذلك غيرة على طريق اهل الله عز وجل
ان تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيضلوا في انفسهم ويضلوا
غيرهم ولذلك نهوا المريد ان يطالع في رسائل القوم لنفسه من غير قراة على
شيخ انتهى   سيدي علي بن وفا رضي الله عنه اذا سيل لم رمز القوم كلامهم
يقول افهموا هذا المثال تعلموا سبب رمزهم وذلك ان الدنيا غابة ونفوس
المحجوبين عن حقايق الحق المبين من اهلها كالسباع والوحوش والكواسر
والعارف بينهم كانسان داخل ليلا الى تلك الغابة وهو حسن القراة والصوت
فاذا احس بما فيها من السباع الكواسر اختفى في بطن شجرة ولم يجهر بالقران
يتغنى به حذرا منهم اليس يدل اختفاه عنهم وعدم رفع صوته بالقران
على انه عليم حكيم او يضد ذلك لا والله بل هو عليم حكيم اذ لو تراى لهم او
اسمعهم صوته وقراته لم يهتدوا به ولم يفهموا عنه وسارعوا الى تمزيق جسده
واكل لحمه وكان هو الملقي بنفسه الى التهلكه وذلك حرام فافهموا هذا المثال
وقولوا لمن يعترض على العارفين في رمزهم لكلامهم قد انزل الله تعالى
على محمد صلى الله عليه وسلم فواتح سور كثيره من القران مرموزة وقال
تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بقراتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك
سبيلا فامره ان لا يجهر بالقران بحيث يسمعه الجهلة المنكرون
فيسبون من انزله ومن لا يجوز سبهم ولا يخفيه عن من لم يومن به فكما لم
يدل اخفا النبي صلى الله عليه وسلم قراته عن الجاهلين المنكرين على بطلان
قراته ولا قدح في صحتها كذلك لا يدل اخفا العارفين كلامهم عن الجاحدين
بغير علم على بطلانه ومخالفته للشريعة فافهم لا لكن ان هيا الله تعالى
للعارف اسباب ظهور شانه وقدر على قهر المنكرين عليه باطال او باد حاض
اقوالهم بالحجج الواضحة حتى صار يقرون له بالفضل طوعا وكرها فله حينيذ
اظهار معارفه على روس الاشهاد كما اظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قراته بالقران على روس الكفار حين تهيات له اسباب الظهور وتمكن

في امره وصار له انصار يحفظونه من الاذى فعلم ان للعارفين في ذلك الا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختفى الامام احمد بن حنبل ايام الفتنة
ثلاثة ايام ثم خرج فقيل له انهم الى الان يطلبونك فقال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يختف في الغار اكثر من ثلاثة ايام فقد بان لك ان ليس
للانسان مقابلة السباع والوحوش الكواسر والظهور لهم الا ان علم
قدرته على دفعهم اذ يتهيا له اسباب القهر لهم بالقوة والمكنة والا نصار
فان قيل فلم لم يترك هذا العارف اظهار معارفه واسراره بالكلية ويدخل
فيما فيه الجمهور حتى يتمكن ويقوى فيكون ذلك اسلم له فالجواب ان
العارفين ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخالفون هديه بحيث
ما سلك سلكوا كما مر عن الامام احمد بن حنبل انفا فكما اخفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما معه من الحق المبين وكتمه عن الجهلة المنكرين حتى اتاه
الامر من الله باظهار ما معه من الحق فلذلك ورثته قال سيدي علي بن
وفا يقال لهذا المعترض ايضا على القوم في رمزهم معارفهم ارايت لو
انكر المجانين على رجل عاقل مخالفته لامرهم وجنونهم ايلبغي له ان يوافقهم
على جنونهم فيخرج مثلهم ويترك عقله حتى بالقوه وهو يمكنه الفرار بعقله
وارايت الانسان الكاين بين الذياب الضواري اذا لم يرضوه ان يقيم
بينهم الا ان مشى على يديه ورجليه مكبا على وجهه او حتى يعوي كعويهم
ايبنغي له ان يفعل ذلك ليقيم بينهم وبالقوه مع انه يمكنه الفرار منهم
والاقامة على طريقته الانسانية لا والله لا ينبغي للقادر على الخير
ان ينسلخ منه ليرضى اهل الشر فالله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا
مومنين فنعوذ بالله على ان نرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله وكان
بعض العارفين يقول السنة جميع المحبين اعجمية على غيرهم وهي لاصحابهم
عربية هذا كله في حق المتمكنين من الاوليا اما من غلب عليه حاله
فمن اداب اهل الطريق التسليم له لانه يتكلم بلسان العشق لا بلسان
العلم الصحيح   بلغنا ان عصفورا راود عصفوره في قبة سليمان

بن داود فابت عليه فقال لها قد بلغ بي حبك ما لو قلت لي اقلب هذه
هذه القبة علي سليمان وجنده لقلبتها فحملت الريح كلامه الي سليمان
فارسل خلفه وقال ما حملك ان تقول ما لم تقدر عليه فقال مهلا
يا نبي الله اني عاشق والعشاق انما يتكلمون بلسان المحبة والعشق
لا بلسان العلم والتحقيق فاعجب ذلك سليمان انتهي وفي ذلك عذر
عظيم للعشاق في طريق الله عز وجل كسيدي عمر بن الفارض واضرابه
وفي قصة موسي مع الخضر عليهما السلام باب عذر عظيم لعلما الشريعة
وعلما الحقيقة وان كان الذي وقع من موسي انما هو عن نسيان لشرط
الخضر عليه فان هذه القصة عذر عظيم لمن انكر ولمن انكر عليه
لكن من شان اهل الطريق ان لا يقيموا الحجة علي من انكر عليهم لعلمهم
بحجابه عن طريقهم وانما يقولون له كما قال الخضر هذا فراق بيني
وبينك ولو ان اهل الله اقاموا الحجة علي المنكرين عليهم لقدروا علي ذلك
لما هم عليه من النور المبين فلا تظن يا اخي انهم عاجزون عن اقامة
الحجة ونسبتهم الي المداهنة وايضاح قصة موسي مع الخضر كما قاله سيدي
علي بن وفا في كتابه الوصايا ان في القصة تعليم موسي عليه السلام ان
يسلم للاوليا باطنا فيما يذكرونه من العلوم اللدنية ثم بعد ذلك
التسليم ان اقتضي الشرع منك انكار شي من كلامهم او من احوالهم فلك
انكاره ظاهرا لكن علي وجه الاستعلام والاستفهام لا غير خوفا ان
يتشبه بهم في ذلك من ليس هو في مقامهم والا فما لموسي عليه السلام كشف له
عن الخضر بتلك المعاني التي ابداها الخضر فان مثلها لا يسقط به المطالبة
في ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير اذنهم وقال خرقتها كي
لا يغصبها ظالم لم يسقط عنه المطالبة بذلك ظاهرا ومن قتل صبيا
وقال خشيت ان يرهق ابويه طغيانا وكفرا لم يسقط عنه المطالبة
به في ظاهر الشرع ايضا قال وقول الولي وما فعلته عن امري ليس
مسوغا لمثل هذه الاعمال في الحكم الظاهر ولو تحققت ولايته لكونه

لكونه غير رسول فعلم ان الانكار ما وقع من موسي ولا الا حفظا لنظام الشرع
الظاهر خوفا ان يتبع الخضر علي ذلك لا غير ثم انه كف عن الانكار اخرا حفظا
لرعاية امر الله عز وجل في خواص اوليائه وذكرى لمن كان له قلب او القي
السمع وهو شهيد وعلم موسي عند ذلك ان لله تعالي عبادا اقامهم ببيان
العلوم الموهوبة وانه ليس لاحدهما ان يعترض علي الاخر ولا ان ينازعه فيما اقيم
فيه وان كان المعترض اعلي درجة فافهم ولا يخفي ان جملة العلوم ثلاثة
علم العقل وعلم الاحوال وعلم الاسرار فعلم العقل هو كل علم ضروري
بديهي او حاصل عقب نظر في دليل بشرط العثور علي وجه ذلك الدليل وعلامة
هذا العلم انك كما بسطت عبارته حسن وفهم معناه وعذب عند السامع الفهيم
واما علم الاحوال فلا سبيل اليه بالذوق ولا يقدر عاقل علي وجدانه
ومعرفته بدليل البتة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع
ونحو ذلك وهذا العلم متوسط بين علم الاسرار وعلم العقل واكثر من يؤمن
به اهل التجارب وهو الي علم الاسرار اقرب منه الي علم العقل النظري فلا
يلتذ به اذا جاء من غير معصوم الا اصحاب الاذواق السليمة وعلامة العلم
المكتسب ان يدخل في ميزان العقول وعلامة العلم الوهبي ان لا تقبله ميزان
العقول من حيث افكارها بل تمجه واما علم الاسرار فهو العلم الذي فوق
طور العقل ولذلك يتسارع الي صاحبه الانكار لانه حاصل من طريق الالهام
الذي يختص به النبي والولي وعلامته انه اذا اخذته العبارة سمج وبعد
عن الافكار دركه وربما رمت به العقول الضعيفة والمتعصبة التي لم تتوف
النظر والبحث حقه ومن هنا كان من يريد تفهيم العلم لغيره لا يقدر ان يوصل
ذلك العلم الي الافهام الضعيفة الا بضرب الامثلة والمخاطبات الشعرية
واكثر علوم الكمل من هذا القبيل وكان الشيخ محي الدين بن العربي يقول من
شان العارفين انهم ان كانوا في سلطان الحال اجابوك بالنصوص وان كانوا
في المقام اجابوك بظواهر الادلة فهم بحسب اوقاتهم فقد بان لك ان علوم
الاسرار لا تنال بالفكر وانما تنال بالمشاهدة او الالهام الصحيح وما

شاكل هذه الطرق ومن هنا تعلم الفايده في قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن
من امتى محدثون فعمر ذكر الشيخ محي الدين في رسالته التي كتبها الى الشيخ
فخر الدين الرازي وهي نحو ثلاثة كراريس ثم لو قدر ان الانكار لم يقع في
الوجود على اهل الله وكان الناس كلهم اصحاب عقول سليمة ثم يفد قول
ابي هريره حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاين فاما احدهما
فبثثته واما الاخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم يعني مجرى الطعام
وكان لم يفد قول ابن عباس لو اني ذكرت لكم ما اعلم من تفسير قوله تعالى
يتنزل الامر بينهن لرجمتمون او لقلتم انه كافر ونقل الامام الغزالي
في الاحيا وغيره عن الامام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما
انه كان يقول * يارب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا *
* ولاستحل رجال المسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسنا *
قال الغزالي والمراد بهذا العلم الذي يستحلون به دمه هو العلم اللدني
الذي هو علم الاسرار لا من يتولى من الخلفا ومن يعزل كما قاله بعضهم
لان ذلك لا يستحل علما الشريعة دم صاحبه ولا يقولون له انت ممن
يعبد الوثن انتهى فتامل في هذا الفصل فانه نافع لك والله يتولى
هداك الفصل الرابع في بيان جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج اليها
من يريد التبحر في علم علم الكلام اعلم رحمك الله ان علما الاسلام ما صنفوا كتب
ليثبتوا في انفسهم العلم بالله تعالى وانما وضعوا ذلك اردا عا للخصوم الذين جحدوا
الاله او الصفات او الرساله او رساله محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص والاعادة
في هذه الاجسام بعد الموت ونحو ذلك مما لا يصدر الا من كافر فطلب علما الاسلام
اقامة الادلة على هولا ليرجعوا الى اعتقاد وجوب الايمان بذلك لا غير وانما لم يبادروا
الى قتالهم بالسيف رحمة بهم ورجا رجوعهم الى طريق الحق فكان البرهان عندهم كالمعجزة
التي ينساقون بها الى دين الاسلام ومعلوم ان الراجع بالبرهان اصح ايمانا من الراجع
بالسيف اذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك فلذلك
وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام في ذلك ويكفي في المصر الواحد واحد

من هولا واطال الشيخ محي الدين في صدر الفتوحات من الكلام في ذلك ثم
قال ولا يخفى ان الشخص اذا كان مومنا بالقران قاطعا بانه كلام الله تعالى
فالواجب عليه ان ياخذ عقيدته منه من غير تاويل ولا عدول الى ادله العقول
مجردة عن الشرع فان القران دليل قطعي سمعي عقلي فقد اثبت سبحانه وتعالى
انه منزه عن يشبهه شي من المخلوقات او يشبه هو شيا منها بقوله تعالى ليس
كمثله شي وهو السميع البصير وبقوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون
ونحوهما من الايات واثبت رويته تعالى للمومنين في الاخرة بقوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وبمفهوم قوله تعالى في الكفار كلا انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون فدل على ان المومنين يرونه لا يحجبون عنه واثبت
نفي الاحاطة بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى والله بكل شي محيط
واثبت كونه تعالى قادرا بقوله تعالى وهو على كل شي قدير واثبت كونه
تعالى عالما بقوله تعالى احاط بكل شي علما واثبت كونه تعالى مريدا بالخير
والشر بقوله تعالى فعال لما يريد وبقوله يضل من يشا ويهدي من يشا
واثبت كونه سميعا لخلقه بقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها واثبت كونه تعالى بصيرا باعمال عباده بقوله تعالى والله
بما تعملون بصير وبقوله تعالى الم تعلم بان الله يرى واثبت كونه متكلما بقوله
تعالى وكلم الله موسى تكليما واثبت كونه تعالى حيا بقوله تعالى الله لا اله
الا هو الحي القيوم واثبت رسالة الرسل بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى واثبت رساله محمد صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى محمد رسول الله واثبت انه صلى الله عليه وسلم اخر الانبيا بعثا
بقوله تعالى وخاتم النبيين واثبت انه كلما سواه خلقه بقوله تعالى خالق كل
شي واثبت الجن بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واثبت
الجن يدخلون الجنه بقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واثبت
حشر الاجساد بقوله وبعثر ما في القبور الى امثال ذلك مما هو مذكور من الادلة
الصحيحة في كتب العقايد كوجوب الايمان بالقضا والقدر والميزان والحوض

والصراط والحساب ونطاير الصحف وخلق الجنة والنار قال الله تبارك وتعالى
ما فرطنا في الكتاب من شيء واثبت المعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى في كتابه العزيز قل فاتوا بسورة من مثله فان القران كل معجزته صلى الله عليه
وسلم قال الشيخ محي الدين نعلم انه لا ينبغي لمومن ان يبني حدود ربه التي
كلفه بها في هذه الدار يستغرق غالب عمره في الاشتغال برد خصوم لم يوجد لهم
عين في بلاده ويدفع شبه يمكن ان لا تكون ثم بتقدير وجودها فسيف الشريعة
اقطع واردع وفي الحديث الصحيح امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله وحتى يومنوا بي وبما جيت به ولم يدع نبينا صلى الله عليه وسلم الى مخاصمتهم اذا
حضروا انما هو لجهادا بالسيف لمن عاند وابى الحق قال وهذا هو جل اشتغال
الناس اليوم فقطعوا عمرهم في الاشتغال برد خصوم متوهمة او خصوم موجودة
لكن بلازم المذهب وذلك ليس بمذهب على الراجح ويتخيل لصاحب الكلام في
مثل ذلك انه يتكلم مع غيره والحال انه انما يتكلم مع نفسه فعلم ان السلف ما وضعوا
كتب الكلام الا ردعا للخصوم الذين كانوا في عصرهم كما مر فالله تعالى ينفعهم بقصدهم
قال فالعاقل من اشتغل اليوم بالعلوم الشرعية فان فيها غنية عن علم
الكلام لقيام الدين بها ولو ان الانسان مات وهو لم يعرف الكلام على الجوهر والعرض
لم يساله الله تعالى عن ذلك يوم القيامة ثم ان احتاج الانسان الى رد خصم حدث
في بلاده ينكر الشرايع مثلا وجب علينا تجريد النظر في رد مذهبه لكن بالامور
العقلية دون الاستدلال عليه بالشرع كالبرهمي مثلا فانه لا يقبل دليل
الشرع على ابطال ما انتحله من المذهب الغريب الذي يقدح في الشريعة فان
الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه ولا يثبته فلذلك قلنا ليس له دواء الا رده
بالنظر العقلي فنداويه بنحو قولنا مثلا انظر بعقلك في هذه المسالة وحقق
النظر انتهى وقد بان لك مما ذكرناه ان من اراد حفظ عقيدته من الشبه
والضلالات فليأخذها من القران العظيم كما مر فانه متواتر قطعي معصوم
بخلاف من اخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر من غير ان يعضده شرع
او كشف وانظر يا اخي الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما قال له اليهود

النبي

لنظر

انسب لنا ربك كيف تلى عليهم سورة قل هو الله احد ولم يقم لهم من ادلة الا
دليلا واحدا فقوله تعالى الله احد اثبت الوجود للاحد ونفى الاحد لعدد
واثبت الوحدانية لله تعالى وحده لا شريك له الله الصمد نفي الجسمية
لم يلد ولم يولد نفي الوالد والمولد ولم يكن له كفوا احد نفي الصاحبة
والشريك فيطلب صاحب الدليل العقلي البرهان على صحة هذه المعاني
بالعقل بعد ثبوتها بالدليل القطعي ان ذلك من الجهل العظيم ويا ليت شعري
من يطلب معرفة الله تعالى من حيث الدليل ويتفكر من ينظر فيه كيف كانت
حالته هو قبل النظر وفي حالة النظر هل هو مومن ام لا وهل كان ثبت عنده
ان الله تعالى موجود وان محمدا عبده ورسوله ام لا وهل كان يصلي و
يصوم ام لا فان كان معتقدا لهذا كله فهذه هي حالة العوام فليتركهم على
ما هم عليه ولا يكفر احدا منهم وان كان لا يعتقد هذه الامور الا بعد
النظر في علم الكلام والاشتغال به فنعوذ بالله تعالى من هذا المذهب
حيث اداه سوء النظر الى الخروج من الايمان وكان الشيخ محي الدين رضي الله
عنه يقول ليس من شان اهل الله تعالى ان يتصدوا للرد على احد
من اهل الفرق الاسلامية الا ان خالفوا النصوص وخرقوا الاجماع فمن
تصدى للرد على احد منهم فلا مانع من ان ينكر عليهم امرا هو حق في نفس الامر
فان اهل الاسلام ما داموا في دايرة الاسلام لا يعتقدون الا حقا او ما فيه
شبهة حق بخلاف من خرج عن الاسلام انتهى وقال في الباب الثلاثين
من الفتوحات من شان اهل الله تعالى انهم لا يجرحون عقايد احد من المسلمين
وانما شانهم البحث عن منازع الاعتقادات ليعرفوا من اين انتحلها اهلها وما
الذي يخيلها حتى اعتقدت ما اعتقدت وهل يوثر ذلك في سعادتهم ام لا
هذا حظهم من البحث في علم الكلام فعلم ان عقايد العوام باجماع كل متشرع
صحيحة سليمة من الشبه التي تطرق المتكلمين وهم على قواعد دين الاسلام
وان لم يطالعوا كتب الكلام لان الله سبحانه وتعالى قد ابقاهم على صحة
العقيدة بالفطرة الاسلامية التي فطر الله الموحدين عليها اما تلقين

الوالد المتشرع واما بالالهام وهم من معرفة الله تعالى وتنزيهه علي حكم المحق
والتنزيه الوارد في ظاهر الكلام لكتاب والسنة واقوال الائمة وهم علي صواب
في عقايدهم ما لم يتطرق احدهم الي التاويل فان التاويل قد لا يكون مرادا
للشارع فان تطرق احدهم الي التاويل للايات والاخبار فقد خرج عن حكم
العامة في ذلك والتحق باهل النظر والتاويل وهو علي حسب تاويله وعليه
يلقي سبحانه وتعالى فاما مصيب واما مخطئ بالنظر الى ما ينافي ظواهر
ادلة الشريعة المطهرة فتامل في ذلك فانه نفيس وكان شيخ مشايخنا الشيخ
كمال الدين ابن الهمام رحمه الله يقول بتصوير التقليد في مسايل الايمان عسر
جدا فقل ان يري واحد اصلا في الايمان بالله تعالى من غير دليل حتى احاد
العوام فان كلامهم في الاسواق محشوا بالاستدلال بالحوادث علي وجود
الحق تعالى وصفاته وصورة التقليد هو ان يسمع الناس يقولون ان للخلق
ربا خلقهم وخلق كل شي يستحق العبادة عليهم وحده لا شريك له فيجزم السامع
بذلك لجزمه بصحة ادراك هاولا تحسينا لظنه بهم وتكبيرا لشانهم عن الخطا
فاذا حصل له عند ذلك جزم لا يجوز معه كون الواقع النقيض فقد قام بالواجب
من الايمان ومقصود الاستدلال هو حصول ذلك الجزم فاذا قد حصل
ما هو المقصود منه ثم قيامه بالواجب قال شيخ مشايخنا الشيخ كمال
الدين ابن ابي شريف ومقتضى هذا التعليل ان لا يكون عاصيا بعدم الا[ستدلال]
لان وجوبه انما كان لتحصيل ذلك فاذا حصل سقط هو غير ان التقليد
عرضه لوقوع التردد بعروض الشبهة بخلاف استدلال فان فيه حفظه
عن ذلك انتهى ونقل الشيخ ابو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول
عن احمد ابن زاهر السرخسي اجل اصحاب الشيخ ابي الحسن الاشعري رحمه
الله قال لما حضرت الشيخ ابي الحسن الاشعري الوفاة في داري ببغداد قال
لي اجمع اصحابي فجمعتهم فقال لنا اشهدوا علي اني لا اقول بتكفير احد من
عوام اهل القبلة لاني رايتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام
يشملهم ويعمهم انتهى قال الشيخ ابو طاهر فانظر كيف سماهم مسلمين

وكان

وكان ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى يقول من نقل عن الشيخ ابي الحسن الاشعري
انه كان يقول لا يصح ايمان المقلد فقد كذب لان مثل هذا الامام العظيم
يبعد منه ان يخرج غالب عقايد المسلمين بما يكفرون به لا يصح لهم معه
ايمان انتهى وقال الشيخ تاج الدين ابن السبكي التحقيق الدافع له
للتشنيع على الاشعري في هذه المسالة ان المقلد ان كان اخذ لقول
الغير بغير حجة مع احتمال شك او وهم فلا يكفي ايمان هذا المقلد لعدم
الجزم به اذ لا ايمان مع ادنى تردد وان كان المقلد اخذ القول الغير
بغير حجة لكن جزما فيكفي ايمان المقلد عند الاشعري وغيره وقال
الجلال المحلي وهذا هو المعتمد انتهى وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني
وغيره التحقيق في مسئلة ذم الخوض في علم الكلام ان النظر في ذلك علي
طرفي المتكلمين من تحرير الادلة وتدقيقها ودفع الشكوك والشبهة عنها
فرض كفاية في حق المتاهلين له فيكفي قيام بعضهم به واما غير
المتاهلين من يخشى عليهم من الخوض فيه الوقوع في الشبه المضلة فليس له
الخوض فيه قال الجلال المحلي وهذا محمل نهي الامام الشافعي وغيره من
السلف عن الاشتغال بعلم الكلام انتهى وكان الشيخ محيي الدين ابن العربي
يقول محل النهي عن الخوض في علم الكلام انما هو في حق من تكلم فيه بالنظر والفكر
اذ الفكر كثير الخطا في الالهيات اما من تكلم في التوحيد ولوازمه من طريق
الكشف فلا يدخل في نهي السلف لان صاحب الكشف من شانه ان يتكلم علي
الامور من حيث ما هي عليه في نفسها فلا يخطي انتهى قلت ومن هنا خصصت
تشييد هذه العقايد بكلام اهل الكشف دون اهل النظر الفكري لا سيما
ما كان من كلام الشيخ محيي الدين ابن عربي رضي الله عنه فقد قال في الباب
السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات المكية جميع ما اتكلم به في مجالسي
وتاليفي انما هو من حضرة القران العظيم فاني اعطيت مفاتيح العلم فيه فلا
استمد قط في علم من العلوم الا منه كل ذلك حتى لا اخرج عن مجالسة الحق
تعالى في مناجاته بكلامه او بما تضمنه كلامه وقال في الكلام على الاذان

من الفتوحات اعلم ان لم اقرر بحمد الله في كتابي هذا ولا غيره قط امرا غير مشروع
وما خرجت عن الكتاب والسنة في شي من تصانيفي وقال في الباب السادس
والستين وثلاثماية جميع ما اكتبه في مصنفاتي ليس هو عن فكر ولا روية وانما
عن نفث في روعي من ملك الالهام وقال في الباب السابع والستين وثلاثماية
منها ليس عندي بحمد الله تقليد لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلومنا
كلها محفوظة من الخطا وقال في الباب العاشر من الفتوحات نحن بحمد الله
لا نعتمد في جميع ما نقوله الا على ما يلقنه الله تعالى في قلوبنا لا على ما تحتمله الالفاظ
وقال في الباب الثالث والسبعين وثلاثماية جميع ما كتبته واكتبه انما
هو عن املا الهي والقا رباني او نفث روحاني في روع كياني كل ذلك بحكم
الارث لا بحكم الاستقلال فان النفث في الروع منحط عن رتبة وحي الكلام
ووحي الاشارة والعبارة ففرق يا اخي بين وحي الكلام ووحي الالهام تكن
من العلما الاعلام وقال في الباب السابع والاربعين من الفتوحات اعلم
ان علومنا وعلوم اصحابنا ليست من طريق الفكر وانما هي من الفيض الالهي
وقال في الباب السادس والاربعين ومايتين منها جميع علومنا من علوم
الذوق فان علوم الذوق لا تكون الا عن تجلي الهي والعلم يحصل لنا بنقل
المخبر الصادق وبالنظر الصحيح وقال في الباب التاسع والثمانين منها
والباب الثامن والاربعين وثلاثماية منها اعلم ان ترتيب الفتوحات
لم يكن عن اختيار مني ولا عن نظر فكري وانما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك
الالهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تتعلق له بما قبله ولا
بما بعده كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين ايات
طلاق ونكاح وعدة ووفاة تتقدمها وتتاخر عنها انتهى واطال في ذلك
وقال في الباب الثاني من الفتوحات اعلم ان العارفين لا يتقيدون
في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط وذلك لان قلوبهم عاكفة على باب
ابواب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما يبرز لهم كلام بادروا
لالقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقونه الشي الى ما ليس من جنسه

امتثا

امتثالا لامر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك انتهى فهذه النقول تدلك
على ان كلام الكمل لا يقبل الخطا من حيث هو والله اعلم وقال الشيخ محي الدين
في الباب الحادي والسبعين اعلم ان العلوم الضروريه مقدمه على العلوم
النظريه اذ العلم النظري لا يحصل الا ان يكون الدليل ضروريا او متولدا
من ضروري على قرب او بعد وان لم يكن كذلك فليس بدليل قطعي ولا
برهان وقال في الباب الثامن والستين من الفتوحات اعلم ان
العقايد الصحيحه هي كلما كان عن كشف وشهود واما من ربط عقيدته
بامر مربوط مقيد بوجه دون اخر فلا يبعد ان ينكر الحق اذا جاء من
غير ذلك الوجه الذي يتقيد به فاذًا الكامل من بحث عن منازع الاعتقاد
ونظر في كل قول من اين انتحله قايله واطال في ذلك واعلم ان الانسان
اذا اخذ عقيدته من ابويه او من مربيه تقليدا ثم انه بعد ذلك عقل
الامور ورجع الى نفسه واستقل بالنظر فللعلما في ذلك خلاف فمنهم
من قال يبقى على عقده ذلك ومنهم من قال ينظر في الدليل حتى يعرف
الحق ولكل منهما وجه انتهى وقال في الباب السادس والسبعين واربعماية
ثم علوم بالله تعالى تعلم ولا يجوز اعتقادها ولا النطق بها ولا تجري على
لسان عبد مخصوص الا عند غلبة حال فيحميه حاله ويعذر كالسكران
واذا اصحى ذهبت الحماية وقال في الباب الحادي والاربعين وثلاثماية
لا يجوز النظر في كتب الملل الباطلة والنحل الزايغة لاحد من القاصرين
واما مثل صاحب الكشف فله النظر فيها ليعرف من اي وجه قالوها
وهو امن من موافقتهم في ذلك الاعتقاد الباطل لما هو عليه من الكشف
الصحيح انتهى وقال في الباب الخامس والسبعين ومايتين من
الفتوحات تتاكد للعامة فيقع عليه النكير ومن هنا قال ابو القاسم
الجنيد سيد اهل هذه الطايفة لا يبلغ احد درجة الحقيقة حتى يشهد
فيه الف صديق بانه زنديق وذلك لانه اذا نطق بعلوم الاسرار
لا يسمع الصديقين الا ان ينكروا عليه غيرة على ظاهر الشريعة المطهرة

قال الشيخ محي الدين ولقد وقع لنا وللعارفين امور ونحن بواسطة اظهار
المعارف والاسرار وشهد به وافينا بالزندقة واذونا اشد الاذى وصرنا كرسول
كذبه قومه وما امن معه الا قليل واعدى عدو لنا المقلدون لافكارهم
واما الفلاسفه فيقولون عنا هولا قوم اهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم
فضعف فضعفت عقولهم ويا ليتهم اذ لم يصدقونا جعلونا كاهل الكتاب
لا يكذبونا فيما لا يخالف شرعنا مع انا لا يضرنا بحمد الله انكارهم علينا لجهلهم
انتهي وقال في الباب الثامن والثلاثين واربعمائة انما كان الناس ينكرون
علي اهل الله تعالى علومهم لانها جاءت لاصحابها من طرق غريبة غير مألوفة
وهي طرق الكشف واكثر علوم الناس انما جاءتهم من طريق الفكر فلذلك
كانوا ينكرون كلما جاءهم من غير هذا الطريق وما كل احد يقدر على جلا مراة
قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير يفهم كلام القوم ويدخل دائرتهم ولكن
لله تعالى في ذلك حكم واسرار وقال في الباب الثامن والثلاثين واربعمائة
متى اراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام رسله واوليائه
فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها عليه ويفرح لزوالها
من يده واما مع ميله الي الدنيا فلا سبيل له الى فهم الغوامض ابدا انتهي
وقال في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة من الفتوحات من اراد
الدخول الي فهم غوامض الشريعة وحل مشكلات علوم التوحيد فليترك
كلما يحكم به عقله وراه ويقدم بين يديه شرع ربه ويقول لعقله ان هو
نازعه انما انت عبد مثلي فكيف اترك ما نسبه الحق تعالى الي نفسه من
ايات الصفات مثلا لعجزك انت عن تعقله مع انك قاصر عن معرفه نفسك
فكيف بمعرفه ربك ولو انك الزمت نفسك الانصاف للزمك حكم الايمان
والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في غير ما اخبر به ربك عز وجل
واطال في ذلك وقال في الباب السادس والاربعين ومائتين من
الفتوحات اياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل
بادر الى العمل بكل ما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما

يحول بينك وبين امضا ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فانه مكر الاهي بصورة
علم الهي من حيث لا تشعر واطال في ذلك ثم قال واعلم ان تقديم الكشف
على النص ليس بشي عندنا لكثرة اللبس علي اهله والا فالكشف الصحيح لا ياتي
قط الا موافقا لظاهر الشريعة فمن قدم كشفه علي النص فقد
خرج عن الانتظام في سلك اهل الله ولحق بالاخسرين اعمالا انتهى وقال
في الباب الخامس والثمانين ومائه من الفتوحات اعلم ان ميزان الشرع هو
الموضوعة في الارض هي ما بايدي العلما من الشريعة فمهما خرج ولي عن
ميزان الشرع المذكور مع وجود عقل التكليف وجب الانكار عليه فان
غلب عليه حاله سلمنا له حاله ولا ننكر عليه لعدم من يتبعه علي ذلك
من اهل العقول فان ظهر بامر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند
الحاكم اقيم عليه الحد ولا بد ولا يعصمه من اقامة الحد عليه قوله انا
كاهل بدر اذ المواخذه لم تسقط عن اهل بدر في الدنيا وانما سقطت
عنهم في الدار الاخرة علي ان العبد ولو قيل له افعل ما شئت فقد
غفرت فهو عاص في الشرع اذ المغفرة لا تكون الا عن ذنب ولذلك
قال فقد غفرت لك ولم يقل اسقطت عنك الحدود فالحاكم الذي يفهم
على هذا الحد والتعزير ماجور قال ومن علامة صاحب الحال
ان يحمي نفسه من متولي الحدود فتنيبس يده مثلا فلا يستطيع ان يحركها
نحوه انتهي وقال في الباب الثالث والستين ومائتين اعلم ان عين
الشريعة هي عين الحقيقة اذ الشريعة لها دائرتان عليا وسفلى فالعليا
لاهل الكشف والسفلى لاهل الفكر فلما فتش اهل الفكر علي ما قاله
اهل الكشف فلم يجدوه في دايرة فكرهم قالوا هذا خارج عن الشريعة فاهل
الفكر ينكرون على اهل الكشف واهل الكشف لا ينكرون على اهل الفكر
فمن كان ذا كشف وفكر فهو حكيم الزمان فكما ان علوم الفكر احد طرفي
الشريعة فكذلك علوم الكشف فهما متلازمان ولكن لما كان الجامع
بين الطريقين عزيزا فرق اهل الظاهر بينهما والا فلو سوى كف عن

للخضر اخر الامر فلولا ان موسي فهم ان الخضر على حق لانكر عليه اخرا كما انكر عليه
اولا انتهي وقال في الباب الاحد والعشرين وخمسمايه من الفتوحات
اعلم ان قطاع الطريق في سفر المعقولات هي الشبه التي تطرق الناظر
بعقله وقطاع الطريق السفر في المشروعات هي التاويلات ولا يخلوا
المسافر من ان يكون في احد هذين الطريقين فان وصل المسافر الى محل
ليس فيه تاويل ولا شبهه فقد انتهى سيره وقال في الباب الثاني
والسبعين اعلم ان موازين الاوليا المكملين لا تخطي الشريعة ابدا انهم
محفوظون من مخالفة الشريعة وان كانت العامة تنسبهم الى المخالفة
فما هي مخالفه في نفس الامر وانما هي مخالفة بالنظر الى موازين غيرهم ممن
هو دونهم في الدرجه ثم ان ذلك لا يقدح في علم اهل الله تعالى واطال
في ذلك ثم قال والموازين ثلاثه ميزان الاجماع وميزان الكشف وميزان
الاجتهاد المطلق وما عدا هذه الثلاثه فهوار لا يعود اهل الله تعالى عليها
وقال في الباب السادس والستين وماتين اياك ان تجد مسالة
استدل لها صاحبها باية من القران فتقول هذه الاية لا يصح بها الاستدلال
لهذه المساله ببادي الراي بل تربص في ذلك فان مرتبة كلام الله تعالى
انه يقبل جميع ما فسر به المفسرون من ايمة الهدى لوسعه ولا يوجد ذلك
في غيره واطال في ذلك ثم قال لكن لا يخفي ان من شرط شرط من يفسر القران
ان لا يخرج عما يحتمله اللفظ والا فقد ورد ان من فسر القران برايه فقد
كفر انتهى وقال في مقدمة الفتوحات اياك ان تبادر الى انكار مسالة
قالها فيلسوف او معتزلي مثلا وتقول هذا قاله مذهب الفلاسفة او
المعتزله فان هذا قول من لا تحصيل له اذ ليس كلما قاله الفيلسوف مثلا
يكون باطلا فعسى ان تكون تلك المساله مما عنده من الحق ولا سيما ان
كان الشارع صلى الله عليه وسلم صرح بها او احد مما من علما الامة من الصحابة
والتابعين والايمة المجتهدين وقد وضع الحكما من الفلاسفة كتبا كثيرة هي
مشحونه بالحكم والتبري من الشهوات ومكايد النفوس وما انطوت

عليه من خفايا الضماير وكل ذلك علم صحيح موافق للشرايع فلا تبادر يا اخي الى
الرد في مثل ذلك وتمهل وانت تقول ذلك الفيلسوف حتى تجد النظر فقد
يكون ذلك حقا موافقا للشريعه لكون الشارع قال تلك المسالة او احد
من علما شريعته واما قولك ان ذلك العالم سمع تلك المساله من فيلسوف
او طالعها في كتب الفلاسفه مع ذهولك عن كونها من الحق الذي وافق
الشريعة فيه فهو جهل وكذب اما الكذب فقولك ان ذلك العالم سمع
تلك المساله من الفلاسفه او طالعها في كتبهم وانت لم تشاهد ذلك
منه ولا قامت عندك بذلك بينة عادلة واما الجهل فكونك لم تفرق
في تلك المساله بين الحق والباطل فقد خرجت باعتراضك هذا عن العلم
والصدق وانخرطت في سلك اهل الجهل والكذب ونقص العقل وفساد
النظر والانحراف عن طريق اهل الحق بالجملة لجاهليته فخذ ما اتى ما
به الفيلسوف والمعتزلي مثلا ثم تربص واهتد علي نفسك قليلا قليلا
حتى يتضح لك معناه احسن من ان تقول يوم القيامة ياويلنا قد كنا في غفلة
من هذا بل كنا ظالمين وقال في الباب السادس والعشرين وماتين
من الفتوحات اعلم ان الفلاسفة ما ذمت لمجرد هذا الاسم وانما هو لما
اخطوا فيه من العلم المتعلق بالالهيات فان معنى الفيلسوف
هو محب الحكمة وسوفا باللسان اليوناني هو الحكمة وكل عاقل بلا شك
يحب الحكمة غير ان اهل الافكار خطاوهم في الالهيات اكثر من اصابتهم
سوا كان معتزليا او فيلسوفيا او من كان من اصناف اهل النظر انتهي
وقال الشيخ محي الدين في كتاب لواقح الانوار لقد دخلت الخلوة
وعملت علي الاطلاع على الحقيقة الادريسية فرايت الخطا انما دخل
على الفلاسفه من التاويل وذلك لانهم اخذوا العلم عن ادريس عليه السلام
فلما رفع الي السما اختلفوا في فهم شريعته كما اختلف علما شريعتنا فاحل
هذا ما حرم هذا او بالعكس انتهي وقال في مقدمة الفتوحات
تدار صحة العقايد على حصول الجزم بها حتى من اخذ ايمانه تقليدا اجزا

للشارع كان اعظم واوثق ممن ياخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما ينطرق اليها
اذا كان حاذقا فطنا من الجرم والدخل في ادلته وايراد الشبهه عليها فلا
يثبت له قدم ولا ساق يعتمد عليها فيخاف عليه الضلال واطال في
ذلك ثم قال وتامل كلام العقلا تجدهم اذا نظروا واستوفوا في
نظرهم الاستدلال وعثروا على وجه الدليل اعطاهم ذلك الامر العلم
بالمدلول ثم تراهم في زمان اخر يقوم لهم خصم من طايفة اخرى كمعتزلي
او اشعري بامر اخر ينافض دليلهم الذي كانوا يقطعون به ويقدح
فيه فيرون ان ذلك الاول كان خطا وانهم ما استوفوا اركان دليلهم
وانهم اخلوا بالميزان في ذلك واين هذا ممن هو في علمه على بصيرة بتقليده
الجازم للشارع فانه كضروريات العقول لا تردد اذ البصيرة للعلما
بالله كضروريات كالضروريات للعقول بخلاف كلما نتج من العقل فانه
مدخول يقبل الشبهة والتردد ومن هنا كان دليل الاشعري يورث
شبهة عند المعتزلي ودليل المعتزلي يورث شبهة عند الاشعري وما
من طامذهب من مذاهب المجتهدين والمتكلمين الا ويدخله الاشكال
ثم انهم يتصفون كلهم بالاشاعرة او بمذهب معين فترى ابا المعالي يذهب
الى خلاف ما يذهب اليه القاضي وترى القاضي يذهب الى خلاف ما
ما ذهب اليه الاستاذ والاستاذ يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الشيخ
ابو الحسن الاشعري والكل يدعون انهم اشعرية كما يقع لاهل المذهب
الواحد من مذاهب المجتهدين واطال في ذلك ثم قال واعلم ان اهل
الظن لا يعذرون في مواطن وجوب العلم وان التقليد لمعصوم فيما اخبر
به ملحق بالعلم واقوى من علوم النظر كما يدل عليه قبول شهادتنا على
الامم السالفة ان انبياءها بلغوها دعوة الحق تعالى ونحن ما كنا في
زمان تبليغهم انما صدقنا الله عز وجل في اخبرنا به في كتابه عن نوح وعاد
وثمود وفرعون وغيرهم ولا يقبل ذلك يوم القيامة الا ممن كان في الدنيا
على يقين من امره وقال الشيخ في الباب الثامن ومايتين اعلم انه لا يصح

من انسان عبادة الا ان كان يعرف ربه على القطع واما من اقام في نفسه
معبودا يعبده على الظن لا على القطع فلا بد ان يخونه ذلك الظن ولا يغني
عنه من الله شيا وقال في ضمير الفتوحات من شرط وجوب الاعتقاد
في امر من الامور وجود نص متواتر او كشف محقق ومن كان عنده الخبر الواحد
الصحيح بلغني فليحكم ولكن فيما يكون متعلقا باحكام الدنيا فان يعلق
حكمه في الاخرة فلا ينبغي ان يجعله في عقيدته على التعيين وليقل ان
كان هذا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس الامر كما وصل
الي فانا مومن به وبكل ما صح عن الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
مما علمت ومما لم اعلم فلا يصح ان يكون في العقايد الا ما صح من طريق القطع
اما بالتواتر واما بالدليل العقلي ما لم يعارضه نص متواتر لا يمكن الجمع
بينهما وهناك يعتقد النص ويترك دليل العقل ويجب على المومن ان
يدوم عليه لكن من حيث ما هو اعتقاد فقد يكون الامر الوارد على غير
الصورة التي يعطيها مقام الايمان وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلي
يقول علوم النظر اوهام اذا قرنت بعلوم الالهام وكان الشيخ محي الدين
يقول اياك ان تقنع في باب معرفة الله تعالى بدون الكشف كما عليه
طايفة النظار والمتكلمين فان المتكلمين يظنون عند نفوسهم انهم
ظفروا بمطلوبهم بما نصبوه من العلامات وشاهدوه من الحقايق فتراهم
يسكنون الى ما حصل عندهم من الاعتقاد المربوط ويكفرون من خالفهم
وذلك قصور في المعرفة ولو اتسع نظرهم لاقروا جميع عقايد الموحدين
كما ذكره في الباب الثالث والسبعين ومايتين والله تعالى اعلم انتهت
المقدمة بفضل الله ولنشرع في ذكر مباحث الكلام مبسوطة بذكر سوابق
عقايد الشيخ محي الدين ابن عربي ولواحقها عكس ما يفعله المنكرون
على الشيخ فيذكرون الكلمة الحربية عن الشيخ منفردة فلا يكاد الشخص
يقبلها فان لكل شي دهليزا يدخل اليه منه وصدرت مباحث الكتاب
بنقول المتكلمين بتمهيد الفهم كلام اهل الكشف ثم اعقبتها بنقولهم فلا

ازال اسال واجيب بالنقول فى ذلك المبحث حتى يتضح للطالب الاشكال
التى فى ذلك المبحث ان شا الله تعالى اذ علمت ذلك فاقول وبالله
التوفيق

المبحث الاول

فى بيان ان الله تعالى واحد احد منفرد فى ملكه لاشريك له اعلم ايدك
الله ان كل من له عقل يعرف ان الله تعالى واحد لاشريك له اذ لو جاز
كون الاله اثنين لجاز ان يريد احدهما شيا ويريد الاخر ضده كحركة
زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع
الضدين المذكورين واجتماعهما كما سياتي بسطه فى اخر مباحث هذا
الكتاب ان شا الله تعالى فيتعين وقوع احدهما فيكون مريده هو الاله
الحق دون الاخر لعجزه فلا يكون الاله الا واحد باجماع العقلا قال
جمهور المتكلمين والواحد هو الذى لاينقسم ولا يشبه بفتح الموحدة
المشدده اى لايكون بينه وبين غيره شبهة بوجه من الوجوه فلا
يكون لوجوده ابتدا ولا انتها اذ لو كان له ابتدا او انتها لكان حادثا
والحادث يحتاج الى محدث وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وسمعت
سيدى على الخواص رحمه الله يقول الاحاد اربعة اقسام الاول
احد لايتحيز ولاينقسم ولايفتقر الى محل وهو البارى جل وعلا الثانى
احد يتحيز وينقسم ويفتقر الى محل وهو الجسم الثالث احد يتحيز
ولاينقسم ويفتقر الى محل وهو الجوهر الرابع احد لايتحيز ولاينقسم
ويفتقر الى محل وهو العرض انتهى وهذا هو مجموع الوجود القديم
والحادث فتامله فانه نفيس فهذه عبارة المتكلمين واما عبارة الشيخ
محى الدين رحمه الله فقال فى باب الاسرار من الفتوحات اعلم ان الله
تعالى واحد باجماع ومقام الواحد يتعالى ان يحل فيه شى او يحل هو
فى شى اذ الحقايق لاتتغير عن ذواتها فانها لو تغيرت لتغير الواحد
فى نفسه وتغير الحق تعالى فى نفسه وتغير الحقايق محال انتهى
وسياتى بسط ذلك فى مبحث الحلول والاتحاد ان شا الله تعالى فان

قيل فما وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثه مع كون رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لابى بكر الصديق وهما فى الغار حين خاف من المشركين
ما ظنك باثنين الله ثالثهما فالجواب كما قاله الشيخ محى الدين فى باب
الاسرار ان وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثه كونه جعل الحق تعالى
واحدا من الثلاثه على الابهام والتساوى فى مرتبة واحده ولو انه
قال ان الله تعالى ثالث اثنين لم يكفر كما فى الحديث والمراد بقوله صلى
الله عليه وسلم فى الحديث الله ثالثهما اى حافظهما فى الغار من الكفار
والله اعلم وقال الشيخ ايضا فى الباب الحادى والثلاثين ومايه من
الفتوحات انما لم يكفر من قال ان الله تعالى ثالث اثنين او رابع
ثلاثه لانه لم يجعله من جنس الممكنات بخلاف من قال ان الله تعالى
ثالث ثلاثه او رابع اربعه او خامس خمسه ونحو ذلك فانه يكفر قال
فالله تعالى واحد ابدا لكل كثره وجماعه ولا يدخل معهما فى الجنس
لانه اذا جعلناه رابع ثلاثه فهو واحد منفرد او خامس اربعه فهو
واحد منفرد وهكذا بالغا ما بلغ قال وليس عندنا فى العلم الالهى
اغمض من هذه المسالة لان الكثره حاكمة فى عين وجود الواحد بحكم
المعيه ولا وجود لها فيه اذ لاحلول ولا اتحاد انتهى وقال
فى الباب التاسع والسبعين وثلاثمايه من الفتوحات ايضا فى قوله
تعالى ما يكون من نجوى ثلاثه الا هو رابعهم ولا خمسه الا هو سادسهم
الايه اعلم ان الله تعالى مع الخلق اينما كانوا سوا كان عددهم شفعا
او وترا لكن لايكون الله تعالى واحدا من شفعيتهم ولا واحدا من
وتريتهم اذ صفته التى ظهرت للمشاهد لايمكن ان تقف فى المرتبة
العددية التى وقف فيها الخلق ابدا فمتى انتقلوا الى المرتبة التى
كان فيها صفة الحق تعالى انتقل صفة الحق تعالى الى المرتبة التى
تليها قبل انتقالهم قال وهذا تنزيه عظيم لايصح فيه للخلق مشاركة
مع الحق تعالى ابدا فان قيل فما اجرا الخلق على القول بتعدد الالهة

مع ان تعددها لا وجه له عقلا فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع
والاربعين وثلاثمائة ان الذي اجراهم وادخل عليهم الكفر والشرك
هو وجود التنكير الذي جا في لفظ اله من قوله تعالى ومن اله الا اله
واحد فهذا هو الذي اجرا المشركين على اتخاذ الالهة من دون الله
قال وانظر الى الاسم العظيم الله لما لم يدخله تنكير كيف لم يصح للكفار ان
يسموا ما اتخذوه باسمه تعالى لان الله تعالى واحد معروف غير مجهول
عندهم كما اقر بذلك عبدة الاوثان في قولهم عن الهتهم التي اتخذوها
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلم يقولوا يقربونا الى اله كبير هو
اكبر منها فكان قبول لفظ اله التنكير هو السبب في ضلال من اتخذ الهة
من دون الله مع الله ومن هنا انكروا انه اله واحد ولو انهم كانوا
انكروا الله تعالى ما كانوا مشركين وان كانوا كافرين بمن يشركون
اذا انكروا الله تعالى ولذلك قالوا اجعل الالهة الها واحدا وما
قالوا اجعل الالهة الله فان الله تعالى ليس عند المشركين بالجعل
قال الشيخ محي الدين وقد عصم الله تعالى الاسم الله ان يطلق على
احد وما عصم اطلاق لفظ اله قال تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه ولله تعالى في ذلك سر يعلمه العلما بالله تعالى لا يسطر في كتب
لان الكتاب يقع في يد اهله وغير اهله فان قيل فما الطف الاوثان
وما اكثفها فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين في الباب الخامس والسبعين
وماتين ان الطف الاوثان الهوى واكثفها الحجار ولهذا قال
المشركون لما دعوا الى توحيد الاله في الوهيته اجعل الالهة الها
واحدا فرد الله تعالى عليهم بقوله ان هذا لشي عجاب فهو من قول الحق
تعالى عندنا لا من قول الكفار خلاف ما وقع لبعض المفسرين فان
التعجب الواقع من جهة الحق تعالى انما وقع من فعل الكفار حين قالوا
اجعل الالهة الها واحدا لما دعوا الى توحيد الاله في الوهيته وانه
اله واحد وهم يعتقدون كثرتها اي فاخر منفا له الكفار هو قولهم

الها واحدا واما قوله ان هذا الشي عجاب فليس من قولهم قلت
ويويد ما نسبه الشيخ لبعض المفسرين ان التعجب لا يتعجب الا مما ورد
عليه من الامور الغريبة التي لا تحمل له فيها والله تعالى منزه عن ذلك
قال الشيخ رحمه الله يعلم عقلا ان الاله لا يكون بجعله جاعل فانه الاله
لنفسه ولذلك وبخ الخليل عليه السلام قومه لما نحتوا الهتهم بقوله
اتعبدون ما تنحتون لما علم في ضرورة العقل ان الاله لا يتاثر وقد
كان هذا الاله الذي اتخذوه خشبة يلعب بها الصبيان او حجرا يستجمر
به ثم اخذه هذا المشرك وجعله الها يذل له ويأله اليه في الشدايد
ويفتقر اليه ويدعوه خوفا وطمعا فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود
العقل عندهم فتعجب الحق من ذلك ورسوله ليعلم المحجوبين ان الامور
كلها بيد الله عز وجل وان العقول لا تعقل بنفسها وانما تعقل بما يلقي
اليها ربها وخالقها ولهذا تتفاوت درجاتها فمن عقل مجعولة عليه
قفل ومن عقل محبوس في كن ومن عقل طلع على مراته صدا فعلم ان العقول
لو كانت تعقل بنفسها لما انكرت توحيد موجدها فلهذا جعلنا التعجب
ليس من قول الكفار انتهى فان قلت فهل عدم كون الحق تعالى لم
يولد من خصايصه ام يشاركه في ذلك خلقه فالجواب كما قاله الشيخ
محي الدين في الباب الخامس والاربعين وثلاثمايه ان عدم الولادة ليس
خاصا بالحق تعالى فان ادم عليه السلام ايضا لم يولد ولكن لما كانت
الولادة معلومة عند السايلين خوطبوا بما هو معلوم عندهم ونزه الحق
تعالى نفسه عن مجانسة خلقه انتهى قلت فقوله تعالى ان هذا لشي
عجاب يحتمل ان يكون التعجب من جهة الحق جل وعلا تنزلا للعقول
ويحتمل ان يكون من جهة الكفار اما من جهة الحق فهو لكونهم قالوا بتعدد
الالهة واما من جهة الكفار فمن كون الاله واحد فكلام الشيخ على احد
الاحتمالين فان قلت فهل وصف الشرك بانه ظلم عظيم راجع الى ظلم
العبد نفسه او الى ظلم غيره من الخلق او الى ظلم صفات الالوهية

فالجواب ما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات
ان الشرك انما هو من مظالم العباد قال تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون فيأتي يوم القيامة من اشركوه مع الله تعالى في الالوهية
من كوكب وحيوان ونحو ذلك فيقول يا رب خذ لي مظلمتي من الذي جعلني
الاها ووصفني بما لا ينبغي لي فيأخذ الله تعالى له مظلمته من المشرك
ويخلده في النار مع شريكه ان كان حجرا او حيوانا غير انسان اما الانسان
فلا يخلد في النار مع عبدته الا ان رضي بما نسبه اليه من الالوهية اما نحو
عيسى والعزير عليهما السلام او علي ابن ابي طالب فلا يدخلون النار مع عبدتهم
لان هولا ممن سبقت لهم من الله تعالى الحسنى انتهى فان قيل فهل بقوله تعا
ومن يدع مع الله الاها اخر لا برهان له به مفهوم فالجواب ما قاله في
الفتوحات في الباب الثامن والسبعين انه لا مفهوم له لان الاجتهاد في
الاصول ممنوع عند المحققين فيأثم من اخطا فيه فان قيل فما وجه تنكير
قوله تعالى الاها في هذه الاية فالجواب انه انما نكر لانه لم يكن ثم موجود اذ
لو كان موجود التعين ولو تعين لم يصح تنكيره فدل على ان من يدع مع الله
الها اخر قد نفخ في غير ضرم واستسمن ذا ورم وليس له متعلق يتعين ولا
حق يتضح ويتبين فكان مدلول ادعائه العدم المحض ولم يبق الامن له
الوجود المحض اذ كل شي يتخيل فيه انه شي فهو هالك في عين شيئيته عن
نسبة الالوهية اليه عن شيئيته في نفسه فان وجه الحق تعالى فيه باق
اذ هو معلوم عليه تعالى فالله تعالى هو المعلوم المجهول انتهى فان قلت
لفظة التوحيد توهم ان العبد هو الذي وحد ربه وفي ذلك رائحة
الافتقار وتعالى الله عن ذلك فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب
الثالث والسبعين ان الحق تعالى غني عن توحيد عباده له فانه الواحد
لنفسه ووحدانيته ما هي بتوحيد موحد وذلك لئلا يكون للحق تعالى
الذي هو المقدس اثر لهذا الحمل فتفطنوا ايها الاخوان لهذه النكتة
فانها دقيقة قال الشيخ ولغناه تعالى عن توحيد عباده قال شهد الله انه

لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فاخبر تعالى انه الموحد نفسه بنفسه
وعباده انما هم شهدا على شهادته لنفسه على سبيل التصديق والاعتراف
والاذعان فان قيل عطف الملائكة واولوا العلم على شهادته لنفسه بالواو
توهم الاشتراك ولا اشتراك هنا لان شهادة الحق لنفسه لا افتتاح لها
والملائكة واولوا العلم محدثون بلا شك فالجواب انه لا اشتراك الا في
الشهادة قطعا واما الوقت فلا يصح فيه اشتراك لكون شهادة الحق تعالى
كانت قبل خلق الزمان ووقت شهادة عباده له انما هي حين اظهرهم فافهم
فان قيل فلم خص في الاية اولوا العلم بالشهادة دون اولي الايمان فالجواب
انه تعالى انما خص اولوا العلم بالشهادة لان شهادتهم ليست عن علم من طريق
الايمان وانما هي عن تجلي الالهي لقلوبهم افادهم العلم الضروري بتلك الشهادة
لان شهادته تعالى لنفسه بالتوحيد ما هي عن اخبار عن غيره حتى يكون
ايمانا فان متعلق الايمان انما هو الخبر عن وقوع امر فيسمعه السامع فيؤمن
به واخبار الله تعالى عن نفسه ليس كذلك وقد استفدنا من اضافتهم الى
العلم دون الايمان الاعلام من الله تعالى لنا بان المراد باولي العلم اهل
التوحيد الذين حصل لهم التوحيد بالطريق المتقدم وقد يلحق بهم من
حصل له التوحيد من طريق العلم النظري وليس المراد بهم من حصل له
ذلك من طريق الخبر كانه تعالى يقول وشهد الملائكة بتوحيدي بالعلم
الضروري الذي استفاده من التجلي لقلوبهم وقام لهم مقام النظر
الصحيح في الادلة فشهدت لي بعني الملائكة بالتوحيد كما شهدت
لنفسي وشهد بذلك اولوا العلم بالنظر العقلي الذي جعلته لهم انتهى
قلت ويؤيد ما قرره الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم لم يقل يؤمن ولا يقول
بل قال يعلم وافرد العلم وذلك لان الايمان متوقف وجوده على وجود
الخبر كما مر وذلك متوقف على مجي الرسل والرسول لا يثبت حتى يعلم
الناظر العاقل ان ثم الها وانه اله واحد ثم يقول ذلك لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم له قل لا اله الا الله لقول الله له قل ذلك له وحينئذ

يسمى مومنا فان الرسول وجب عليه ان يقولها ولوكان عالما هو بها في نفسه من
غير واسطة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله اى امنوا
بمحمد ولو كنتم مومنين من جهة شريعة موسى وعيسى اذ الحكم انما هو لشريعة
محمد الان وكذلك الحكم في اهل الفترات يومرون كذلك بالايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم اذا ادركوا زمن رسالته ولو كانوا موحدين قبل ذلك
بالنور الذي قذفه الله في قلوبهم كقس بن ساعدة وسيف بن ذي يزن
واضرابهما فعمم صلى الله عليه وسلم بقوله من مات وهو يعلم جميع انواع التوحيد
من طريق الخبر والعلم الضروري وانما جعل صلى الله عليه وسلم صاحب هذا
التوحيد العلمي سعيدا و يدخل الجنة وان لم يتصف بالايمان لان النار
بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها ابدا باي طريق كان توحيده فان قيل
فلم لم يقل صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث السابق ويعلم ان محمد رسول الله
مع انه لا بد من ذلك في طريق سعادة المومن فالجواب كما قاله القصري في
شعب الايمان انه انما لم يات بها في الحديث لتضمن الشهادة بالتوحيد الشهادة
بالرسالة في حق من قالها امتثالا للشارع صلى الله عليه وسلم فان القايل
لا اله الا الله لا يكون مومنا الا اذا قالها لقول رسول الله له قل فاذا
قالها لقوله له قل فهو عين اثبات رسالته فلما تضمنت هذه الكلمة
الخاصة الشهادة بالرسالة لم يقل في الحديث ويعلم ان محمدا رسول الله
على انها قد جات في رواية اخري انتهى ويحتمل ان يكون تعالى امر نبيه
صلى الله عليه وسلم بالكف عن من قال لا اله الا الله الا الله فقط ورغبه انه من
مات عليها دخل الجنة وقال ان الله تعالى امره بان يكلفهم بالايمان بالرسول
اخر الامر لما خف عنهم الحسد الذي كان عندهم اوايل البعثة واذعنوا له
كما هو سنة الله تعالى في تكليفه لعباده بالاحكام شيا فشيا ويحتمل انه صلى الله
عليه انما سكت عن لفظة وان محمد رسول الله ليدخل اهل الفترات ومن لم
يبلغهم الرسالة والله اعلم فان قيل فاي التوحيد اعلى توحيد من ينظر في
الادلة او توحيد من لا ينظر من الحيوانات والجمادات فالجواب

كما قال سيدي علي الخواص ان توحيد من لا ينظر في الادلة اعلى اذا كان توحيده
كشفيا اذا كان تقليدا فتوحيد من ينظر في الادلة اعلى منه والله اعلم
بل سمعته يقول من توقف في توحيده لله عز وجل على دليل فهو جاهل لان
كل مخلوق يعلم ان الله واحد بالنظر وغاية الانسان اذا نظر في الادلة
ان ينتهي امره الى الحيرة في الله تعالى من حيث كنهه وذلك هو حال البهايم
لانهم مفطورون على الحيرة والانسان لما خلقه تعالى على صورة الكمال
يريد الخروج عن الحيرة وما علم ان ذلك لا يصح له فان قيل فهل يصح لعبد
ان يترقى في تنزيه الحق تعالى عما وجده في نفسه من صفات الحدث ام لا
يصح له الترقي عن ذلك فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب الحادي
والثلاثمائة ان لا يصح لعبد ان يرقى في تنزيه الحق عما يعلمه من نفسه ابدا
فكل عبد ينزه ربه عن كل ما هو عليه اذ كل ما هو عليه العبد محدث والحق
لا ينزه الا عن قيام الحوادث ولهذا كان التنزيه يختلف باختلاف
المنزهين فالعرض يقول سبحان من لا يفتقر في وجوده الى محل يكون
به ظهوره والجوهر يقول سبحان من لا يفتقر في وجوده الى موجد اداة
تمسكه والجسم يقول سبحان من لا يفتقر في وجوده الى موجد يوجده
قال وفي هذا حصر التنزيه من حيث الامهات فانه ما ثم الا جسم او جوهر
او عرض والكامل يسبح الله تعالى بجميع تسبيح العالم كله لانطواء العالم
فيه انتهى فان قيل فهل عبادة الخلق للحق من طريق احديته او من
طريق واحديته فان قلتم انها من طريق الاحدية فكيف صح ذلك
مع امتناع التجلي فيها فان الاحد لا يقبل وجود غيره معه بخلاف الواحدية
فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب الثاني والسبعين وما تين انه
لا يصح لعبد ان يعبد الله تعالى من حيث احديته ذوقا لان الاحدية
تنافي وجود العابد فكانه تعالى يقول لا تعبدون الا من حيث
ربوبيتي فان الربوبية هي التي تعرفونها لكونها اوجدتكم فما صح لاحد
تعلق الا بها ولا يدل الا لما فمن يعبد لحضرة الاحدية فقد تعبد

نفسه لغير معروف وطمع في غير مطمع لان الاحدية من خصايص الذات التي
تمحق الاغيار فعلم ان ما سوي الله لا احدية له مطلقا وان المراد بقوله تعالي
ولا يشرك بعبادة ربه احدا المجاز لا الحقيقة لانه خلاف ما يفهمه اهل الله
في تقرير المعاني وان كانت لفظة الاحدية جات ثابتة الاطلاق على
ماسواه تعالي كما في هذه الاية ويويد ما قررناه قوله تعالي لمحمد صلي الله عليه
وسلم قل هو الله احد اي لا يشاركه احد في صفة الاحدية قال الشيخ محي الدين
واما الواحدية فقد نظرنا في القران فلم نجده اطلقه على غيره كما اطلق الاحدية
واما انا منه على يقين فان كان لم يطلقه فهو اخص من الاحدية ويكون اسما
للذات على الاصفة كالاحدية اذ الصفة محل الاشتراك ولهذا اطلقت
على ماسوي الله كما مر انتهي فان قيل قد اجمعوا على ان كل صادق ناج
ومعلوم ان المشرك صادق في انه مشرك فلم لا ينفعه صدقه فالجواب
ما قاله الشيخ في الباب الخامس والخمسين وخمسماية من الفتوحات ان الصدق
لا ينجي صاحبه الا ان وافق الحق فان النميمة والغيبة قد يكونا صدقا
ومع ذلك فهما محرمتان ولذلك قال تعالي ليسال الصادقين عن
صدقهم يعني هل امرهم الحق بذلك الصدق ام نهاهم عنه فكل حق
صدق وليس كل صدق حقا فعلم ان المشرك صادق في انه مشرك وما
صادق في ان الشركة في الالوهية صحيحة وقد بحث هو بالادلة الشرعية
والعقلية فلم تجد لما ادعاه عينا في الصدق انتهي فان قيل فهل يصح ان
يتبرا الحق تعالي من الشريك من حيث انه عدم لا وجود له في نفس الامر
فالجواب ما قاله الشيخ محي الدين في الباب الاحد وثلاثماية انه لا يصح ان
يتبرا الحق تعالي من الشريك لانه عدم وانما يتبرا من المشرك من حيث انه
اتخذ الهة من دون الله بغير سلطان اتاه ثم المراد بتبريه تعالي من المشرك
ذمه وبغضه والا فلو تبرا منه حقيقة لمن كان تحفظ عليه وجوده
فحكم البراة منه حكم صفة تنزه الحق تعالي عنها لان متعلق البراه عدم
انتهي وقال في الباب الخامس والاربعين وثلثماية لا تصح الشركة لله

ابدا الا ان شرط صحتها عدم تميز الانصبا والامور كلها معينة عند الله تعالي
في هذا الشي المسمي مشتركا وقال في الباب الثاني والسبعين لا تصح الشركة
في الوجود لانه كله فعل واحد فما للشركة مصدر تصدر عنه فتحقق
يا اخي هذا التنبيه في الشركة فانه بعيد ان تسمعه من غيري وان كان
يعرفه فانه يغلب عليه الجنس الذي فطر عليه فيتفرع من حيث كون
الحق تعالي اثبت الشركة وصفا في المخلوق وانه يشرك بربه وما شعر
هذا بقوله انا اغني الشركا عن الشرك فلم يقل ان الشركة صحيحة ولا ان
الشريك موجود فالعبد هو الذي اشرك وما في نفس الامر شركة لان
الامر من واحد هذا هو الحق الذي ان قلته لا يغلب وما سوي ذلك
فهو مثال يضرب مثل غرض المحال وجوده موجودا انتهي واطال في
ذلك فان قيل فهل كل كافر مشرك كما ان كل مشرك كافر فالجواب
ما قاله في الباب الخامس والسبعين وماتين ان كل مشرك كافر وليس كل
كافر مشركا فاما كفر المشرك فلعدوله عن احدية الاله واما شركه فلانه
نسب الالوهية الى غير الله مع الله وجعل لها نسبتين فاشرك واما
وجه كونه لا يلزم ان يكون كل كافر مشرك فهو ان الكافر هو الذي
يقول ان الله واحد غير انه اخطا في تعيين الاله كما قال تعالي لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ما قال لقد اشرك الذين قالوا ان
الله هو المسيح ابن مريم فكفره من حيث انه جعل ناسوت عيسي الاها كما
انه يكفر ايضا بكفره بالرسول او ببعض كتابه وكفر هذا على وجهين
الاول ان يكون كفره بما جا من عند الله مثل كفر المشرك في توحيد الله الثاني
ان يكون عالما برسول الله وبما جا من عند الله انه من عند الله ثم ستر ذلك
عن الحاشية والمقلدة من اتباعه كما وقع لقيصر ملك الروم واطال
في ذلك فان قيل من اين جا للناس اعتقاد الشريك مع الله تعالي مع
انهم كلهم اجابوا بالاقرار بالربوبية له وحده يوم الست بربكم فالجواب
ما قاله الشيخ محي الدين في الباب الخامس والثلاثماية انهم ما دعوا الشريك

مع الله تعالى حتى حجبوا عن ذلك المشهد فلما حجبوا حكمت عليهم الاوهام بوجود
الشريك مع انه عدم في نفس الامر فانه لو صح شريك للحق ما صح من العباد الاقرار
بالربوبية لله تعالى عند اخذ الميثاق ولو صح وجود شريك له فيهم ما صح اقرارهم
بالملك له وحده هناك فان ذلك الموطن كان موطن حق من اجل الشهادة وتنفس
اطلاقهم الملك له بانه تعالى ربهم هو عين نفي الشريك قال الشيخ وانما قلنا
ذلك من طريق الاستنباط لانه لم يجر هنا للتوحيد لفظ اصلا وانما المعنى
يعطيه فعلم ان الشريك منفي من الاصل والسلام فان قلت فاذا الشريك
جاهل بالله تعالى على الاطلاق فالجواب كما قاله في الباب الخامس والثمانين
ومائتين نعم اذ الشركة لا تصح بوجه من الوجوه ولا يكون الاتحاد بالشركة
قط قال الشيخ ولهذا لم يلحق المعتزلة بالمشركين لانهم انما وجدوا افعال
الايجاد للعباد فما جعلوهم شركاء لله تعالى وانما اليهم الفعل عقلا وصدقهم
الشرع على ذلك كما ان الاشعرية وجدوا افعال الممكنات كلها لله تعالى
من غير تقسيم عقلا وساعدهم الشرع على ذلك ايضا لكن ببعض محتملات
وجوه ذلك الخطاب ولم تجعلهم من المشركين بل قالوا ان الله خالق
كل شيء قال ولكن لا يخفى ان ما ذهبت اليه الاشاعرة اقوى عند اهل الكشف
مع ان كلا من الطائفتين اصحاب توحيد شرعي انتهى وقال في الباب
الثالث والسبعين واربعمائة في قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
اي لان الشريك عدم لا وجود له كما يتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما
فلا يغفره الله اذ الغفر والستر لا يكون الا لمن له وجود والشريك عدم
فما ثم من يستر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به اي
لانه لا وجود للشريك ولو كان له وجود لكان للمغفرة عين تتعلق بها واطال
في ذلك وقال في الباب الخامس والاربعين وثلاثمائة اعلم ان الشرع قد يتبع
العرف في بعض المواضع كما في قوله تعالى ولم يكن له شريك في الملك فنفى
الشريك مع انه لا وجود له في الشرع ولكن لما ثبت اسم الشريك في العرف
العام تبعه الشرع في ذلك ليفهم عنه الحكم فانه صلى الله عليه وسلم جاء بلسان

قومه وهو ما تواطئوا انتهى فان قيل فهل في لطن المخلدين في النار ممن اشرك
كالانس فالجواب ما قاله الشيخ محي الدين في الباب التاسع والستين وثلاثمائة
انه ليس في لطن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار
لا بالمشركين وان كانوهم الذين يوسوسون بالشرك للناس ولذلك
قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء
منك اني اخاف الله رب العالمين فليتامل فان قيل فاذا كان مذهب
الاشعرية لا بد فيه من اضافة الفعل للعبد فكيف يصح التوحيد
الخالص لله تعالى فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين
ومائة وهو انه انما يجب على الانسان ان ينزه ربه عن الشريك لا عن
الشركة في الفعل والملك لاجل صحة التكليف فان للعبد في الفعل
والملك شركة لكن من خلف حجاب الاسباب كالنجار تضاف اليه الصنعة
وهو لم يعمل التابوت بيده فقط وانما فعله بآلات متعددة من حديد
وخشب وغيره من اسباب النجارة ولم يضف عمل التابوت الى شيء منها
انتهى فان قيل فما الفرق بين من يقول بالاسباب وبين من قال عن
الاوثان ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهلا كان يكفر من
وقف مع الاسباب كما يكفر من عبد الاوثان فالجواب ما قاله الشيخ
في الباب الثاني والسبعين في الكلام على الحج اعلم ان عباد الاوثان قد
اجتمعوا معنا في كوننا ما عبدنا الذات لكونها ذاتا بل لكونها الها وانما
خالفونا في الاسم فانا وضعنا الاسم على حقيقة مسماه ونسبنا ما ينبغي
لمن ينبغي فهو الله حقا لا اله الا هو واولئك وضعوا الاسم على غير مسماه
فاخطأوا فاسعدنا نحن على سعدا واولئك سموا جهلا اشقياء فنحن عباد المسمى
والاسم مدرج فيه وهم عباد الاسم لا المسمى كما قال ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها فالمؤمن يسجد لله طوعا والمشرك يسجد لله كرها لانه
عبد الوثن فتبرا الوثن منه فوقعت عبادته لله تعالى كرها على رغم
انفه وقال في الباب السبعين من الفتوحات انما لم يقبل توحيد

المشركين شرعا في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي لان الدليل يضاد
المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير له فلا توحيد انتهى فان قيل
فهل لنا علة اخري في برهان التمانع غير الفساد في قوله تعالي لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين
ان من علة منع وجود الهين كون الحق تعالي لا مثل له فلو صح ان يكون في
الوجود الاهان لصح ان يكون له تعالي مثل وذلك محال لان الله تعالي
نفي ان يكون له مثل بخلاف الاسما فانه يصح اجتماعها في عين واحدة لعدم
التشبيه بالكون قال وانظر الي التفاحة مثلا كيف خلقها الله تعالي تحمل
لونا وطعما ورايحة في جوهر واحد ويستحيل وجود لونين او طعمين او رايحتين
في ذلك الحيز قال ومن هنا يفهم معنى كون الحق تعالي تسمي بالظاهر والباطن
دون الظاهرين او الباطنين انتهي وقال في الباب الاحد والثمانين
ومايه انما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياسا علي عدم وجود العالم
بين الهين وعلي عدم وجود المكلف بين رسولين وعلي عدم وجود امراة
بين زجلين وقد قيل للشيخ محي الدين رحمه الله ان الاله الذي جا بوصفه
ونعته الشارع لا يدرك كنهه لمباينته لخلقه فهل هو غير الاله الذي
ادركه العقل واحاط به علما ام هو عينه ولكن قصر العقل عن الاحاطة
به فاجاب الشيخ في الباب السابع والستين من الفتوحات بما نصه ان
الاله الذي ادركه العقل ليس هو عين الاله المنزه المقدس لان الاله
الذي جا بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران محدث به وقد قرن
بهذا الاله محمدا رسول الله في شهادة ان لا اله الا الله وان محمد رسول
الله فعلم ان التوحيد من حيث ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذي ادركه
النظر العقلي اذ الاله الذي دعي الشرع الي عبادته لا يعقل كنهه لمخالفته
لساير الحقايق واطال في ذلك فليتامل ثم قال ومن عرف ما قررناه علم
ان الاله الذي ادركه العقل لا يحتاج الي تاول شي من صفاته التي
ادركناها بعقولنا وينزل الحق تعالى فيها لعقولنا فيصح وصفه بالاستوا

والنزول والمعية والتردد وغير ذلك من غير تاويل انتهي قلت فما احتاج
الي تاويل الا من ظن ان الاله الذي كلفنا الله بمعرفته ليس هو صاحب
الصفات المقدسه التي لا تعقل وذلك ان الحق تعالي له مرتبتان مرتبة
هو عليها في علي ذاته ومرتبة يترك فيها لعقول عباده فما عرف الخلق منه الا
رتبة التنزل لا غير لان الله لم يكلف الخلق ان يعرفوه تعالي كما يعرف نفسه
ابدا ولو كلفهم بذلك لادي الي الاحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك
محال لتساوي علم العبد وعلم الرب حينئذ انتهي وقد قال الشيخ ايضا
في الباب الثاني والسبعين ان التنزيه سمع في الشرع ولم يوجد في العقل
انتهي وقد انشد سيدي محمد وفا رضي الله عنه في هذا المعنى

- عقالك عقلك بالاوهام معقول ○ قد قلب القلب منك القال والقيل
- تحت بالفكر معبود وقلت به ○ وصنت عقد ابكف الحق محلول
- قد عشت قبلك دهرا في مكابدة ○ ولي فواد بهذا الدا معلول

انتهي فعلم انه ما ترقي عن الامثال الا الانبيا وكمل ورثتهم من الاوليا
والعلما فهولا هم الذين خرجوا عن الاوهام في الله عز وجل ولذلك لم ينقل
عنهم تاويل صفات الله لانفسهم وانما اولوها لاتباعهم لقصور عقولهم
فكان من جملة رحمة الله تعالي معاملته عباده التنزل لعقولهم بضرب من
التشبيه الخيالي ومخاطبتنا منه لنتعقل عنه امره ونهيه فاذا تعقلنا
ما خاطبنا به ذهبت المثل المتخيلات كانها جفا وبقي معنا العلم وهذا
نظير ما نزل الينا من كلامه القديم المنزه عن الحروف والاصوات فانا
لا نتعقله الا ان كان بصوت وحروف ولو انه كشف عنا الغطا لوجدناه
بغير صوت ولا حرف كما ان الحق تعالي اذا تجلي يوم القيامة يراه
بعض الناس في صورة ولو انه حقق النظر لم يجد للحق صوره ونظير
ذلك السراب يحسبه الظمان ما ثم جاه لم يجده شيا وقد ذكر الشيخ محي
الدين في الباب الثاني والسبعين ان للحق تعالي ان يناقش الموحدين
ويقول لهم فيما ذا وحدتموني وبماذا وحدتموني وما الذي اقتضى لكم

توحيدي فان كنتم توحدوني في المظاهر فانتم القايلون بالحلول والقايلون
بالحلول ليسوا موحدين لانهم اثبتوا امرين حالا ومحلا وان كنتم وحدتموني
في الذات دون الصفات والافعال فاوحدتموني لان العقول لاتبلغ
اليهما والخبر لم يخبركم بها من عندي وان كنتم وحدتموني في الالوهية بما تحمله
من الصفات الفعلية والذاتيه مع اختلاف النسب فيما وحدتموني هل
بعقولكم او فكيف ما كان ما وحدتموني لان وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد
لا بعقولكم ولا بي فان توحيدكم اياي بي هو توحيدي وتوحيدكم بعقولكم
هبا منثورا كيف تحكمون على يحكم من خلقته ونصبته وان كان الذي اقتضى
توحيدي هو وجودكم فانتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عن
فاين التوحيد وان قلتم ان الذي اقتضى توحيدكم هو امري فامري ما هو
غيري فعلي يدي من وصل اليكم وان قلتم انه هو ما رايتموه مني فمن الذي
راه منكم وان لم تروه مني فاين التوحيد وانتم تشهدون الكثرة انتهى وقال
في الباب الثامن والخمسين وخمسمايه في الكلام على اسمه تعالى الجامع اعلم
ان التوحيد المطلوب منا معقول غير موجود والطبع موجود ومعقول
ولو انه تعالى اراد منا التوحيد الخالص الذي ليس معه فيه سواه لما
اوجد العالم لكن لما سبق علمه انه اذا اوجد العالم كان بعض الناس
يشرك وقع ذلك على حكم ما سبق به العلم وما ثم شي خارج عن حكمه وارادته
واطال في ذلك ثم قال وهذا هو وجه استناد وجود الشرك في العالم
وقد كان تعالى ولا شي معه يتصف بالوجود لا الشريك ولا المشرك فنشا
المشرك من وجود العالم معه تعالى فان العالم عينه على نفسه الا وهو
موجود مع الحق تعالى فلذلك كان ليس له في التوحيد الخالص ذوق
فلما قيل له وحد خالقك لم يفهم هذا الخطاب فكرر عليه القول فقال
لا ادري ولا اعقل التوحيد الا بين اثنين موحد بكسر الحا وموحد
بفتحها واطال في ذلك ثم قال في باب الوصايا من الفتوحات اعلم انه
لا يعرف التوحيد الذي يستحقه الحق الا الحق واما نحن فاذا وحدناه

فانما نوحده بتوحيد الرضي ولسانه فان توحيد الاستحقاق محال ان يصحبه
هم او حزن او اختيار او حب رياسه او بغض احد من الخلق لان الوجود كله
في قبضته فهو تصريفه فافهم وقال في الباب الثاني والسبعين ومايه
بعد كلام طويل فاذا التوحيد الشرعي هو التحمل في حصول العلم في نفس
الانسان بان الله تعالى الذي اوجده واحد لا شريك له في الوهيته واما
الوحده فهي صفة الحق والاسم صفة الاحد والواحد واما الوحدانيه
فهي قيام الوحدة بالواحد من حيث انها لا تعقل الا بقيامها بالواحد وان
كانت نسبة في التنزيه فهذا هو معنى التوحيد فاذا حصل في نفس العالم
ان الله تعالى واحد فهو موحد واطال في ذلك خاتمة قال الشيخ في باب
الوصايا من الفتوحات اياكم ومعاداة اهل لا اله الا الله فان لهم من
الله الولاية العامة فهم اوليا الله ولو اخطاوا وجاوا بقراب الارض خطايا
لا يشركون بالله شيا فان الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته
حرمت محاربته وانما جاز لنا هجر احد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من
غير ان نوذيه او نزدريه واطال في ذلك ثم قال واذا عمل احدكم عملا
توعد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فان التوحيد ياخذ بيد صاحبه
يوم القيامة لا بد من ذلك والله تعالى اعلم فتامل في هذا المبحث وامعن
النظر فانك لا تجده في كتاب والله تعالى اعلم

المبحث الثاني

في حدوث العالم اعلم ان مسالة حدوث العالم من معضلات المسايل
لقوة شبهة الخلاف فيها بين اهل السنه والفلاسفه وقد انعقد الاجماع
من ساير الملل على حدوثه كما سياتي ايضاحه ان شا الله تعالى ولنبدا
بنقول محققي الكلام في هذه المسالة ثم بنقول محققي الصوفيه فاقول
وبالله التوفيق قال الجلال المحلي محقق اهل الاصول انما كان العالم
محدثا لانه يعرض له التغير والاستحالة وكل متغير محدث ولا بد للمحدث
بفتح الدال من محدث بكسرها ولا بد ان يكون واحدا ضرورة قال

شيخ الاسلام الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف ومعنى قول الجلال المحلي في علة الحدث انه يعرض له التغير اي على وجه الذي يشاهد فانا نشهد تغير الحركة بطريان السكون وتغير الظلمة بطريان النور وبالعكس وليس مراده ان مستنده كل تغير المشاهدة فان كثيرا من اجزا العالم لا نشاهده كما في باطن الارضين وما في السموات فالحكم بالتغير فيه مستند الى دليل العقل وتمام التقرير لعلة الحدوث ان يقال العالم اعيان واعراض فالاعراض يدرك تغير بعضها بالمشاهدة في الانفس كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما وفي الافاق كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة وساير ما يشاهد من احوال الافلاك والعناصر والحيوان والنبات والمعادن وبعضها بالدليل وهو طريان العدم فان العدم ينافي القدم واما الاعيان فانها لا تخلو عن الحوادث وكلما لا يخلو عن الحوادث فقدمه محال انتهى واما كلام اهل الطريق فمن اكثرهم في هذه المسالة اطنابا الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه وها انا اجلي عليك عرايس كلامه رضي الله عنه فقال في اول خطبة الفتوحات الحمد لله الذي خلق الوجود من عدم وعدمه انتهى لان عدم العدم موجود لانه موجود في العلم الالهي ومعلوم العلم قديم من هذه الحيثية واما من حيث ظهوره للخلق فهو حادث باجماع من قال انه قديم مطلقا اخطا او حادث مطلقا اخطا وسيابسط ذلك في المبحث الثاني عشر نقلا ونثرا عن الشيخ رحمه الله فان قيل فما شبهة من قال بقدم العالم من الفلاسفة فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين وماتين ان شبهته وجود الارتباط المعنوي بين الرب والمربوب والخالق والمخلوق فان الرب يطلب المربوب والخالق يطلب المخلوق وبالعكس ولا يعقل كل واحد الا بوجود الاخر فان قيل فهل وجود العالم للدلالة على الحق تعالى فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الاربعين وماية انه لم يوجد للدلالة عليه لما صح للحق تعالى الغنى عنه ولكان للدليل سلطنة وفخر على المدلول فكان الدليل لا ينتقل عن مرتبة الزهو لكونه افاد الدال

امرا لم يتمكن للمدلول ان يوصل اليه الا به فكان يبطل غناه عن العالمين انتهى وقال ايضا في الباب الحادي والسبعين وثلاثماية انما سمي العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى فليتامل مع ما قبله فان قيل فهل تصح المنافرة عند من يقول بقدم العالم بينه وبين الحق من ساير الوجوه فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين انه لا يصح المنافرة بين الحق والعالم من ساير الوجوه فان العالم مرتبط بالحق تعالى من حيث استمداده في وجوده منه فهذا هو الباب الذي دخل منه من قال بقدم العالم على انه لا يلزم من وجود هذا الارتباط الاتحاد في نوع ولا شخص ولا جنس فان الله تعالى هو الخالق وله رتبة الفاعلية في الوجود واطال في ذلك ثم قال فعلم ان المنافرة بين الحق والخلق لا تشمل الوجود العلمي الازلي لارتباط الوجود بالحق تعالى ارتباط عبوديته بسيادة حتى في حال عدم العالم فان الاعيان الثابتة في العلم الازلي لم تزل تنظر الى الحق تعالى بالافتقار ليخلع عليها اسم الوجود ولم يزل تعالى ينظر اليها لا استنادها بعين الرحمة فلم يزل سبحانه وتعالى ربا لنا في حال عدمنا وفي حال وجودنا على حد سوا فالامكان لنا كالوجوب له واطال في ذلك ثم قال ومن لم يعتقد هذا الارتباط الذي ذكرناه زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف اي لان الوجود اذا خلا من هذا الارتباط فكان قايما بنفسه وذلك محال اما الارتباط الجثماني فلا يصح بين العبد والرب لانه تعالى ليس كمثله شي فلا يصح به ارتباط من هذا الوجه ابدا الا ان الذات له الغنى عن العالمين بخلاف الارتباط المعنوي كما مر فانه من جهة مرتبة الالوهة وهو واقع بلا شك لتوجه الالوهة على ايجاد جميع العالم باحكامها ونسبها واضافاتها وهي التي استدعت الاثار فان قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدور وخالقا بلا مخلوق وراحما بلا مرحوم صلاحيته ووجودا وقوة وفعلا محال ولو زال سر هذا الارتباط لبطلت احكام الالوهة لعدم وجود من تتاثر فالعالم يطلب الالوهة وهي تطلبه والذات المقدس غني عن

عن هذا كله كله قال الشيخ ومن هذا المبحث ظهر القايلون بعدم العالم لظنهم
ارتباط الذات بالعالم كارتباط الالوهة التي هي مرتبة للذات لا عين الذات
وظهر ايضا من هذا المبحث القايلون بحدوث العالم مع الاجماع من الطايفتين
بان العالم ممكن وان كل جزء منه حادث وانه ليس له مرتبة واجب الوجود
لنفسه وانما هو واجب الوجود بغيره فالخالق مثلا يطلب مخلوقا ولا بد
انتهى وقال في الباب في قول الامام الغزالي رحمه الله ليس في الامكان
ابدع مما كان هذا الكلام في غاية التحقيق لانه ما ثم لنا الا رتبتان قدم
وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو
خلق تعالى ما خلق فلا تخرج عن رتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق
تعالى يخلق قديما مثله لانه سوال مهمل لاستحالته قلت ويحتمل ان
يكون مراده انه ليس في الامكان شي يقبل الزيادة والنقص على خلاف
ما سبق في العلم ابدا وقال ايضا في باب الاسرار الحق تعالى مع العالم مرتبط
ارتباط عبودية بسيادة فان مالكا بلا مملوك وقاهرا بلا مقهور لا يصح انتهى
وقال في لواقح الانوار ايضا اعلم ان كل امر يطلب الكون فهو من كونه
سبحانه وتعالى الاها وكل امر لا يطلب الكون فهو من كونه تعالى
ذاتا فمهما اتاك من كلام اهل التوحيد فزنه بهذا الميزان تحقق لك
الامر فيه ان شا الله تعالى انتهى وقال فيه ايضا ان قيل ما قلتموه من
كون الالوهة طالبة للذات هو مضاه للعلة والمعلول فالجواب ان
ذلك ليس بمضاه للعلة والمعلول لان العلة والمعلول امران وجوديان
عندهم واما الالوهة فهي عندنا نسبة عدمية لا وجود بها فاياك والغلط
انتهى وقال في باب الاسرار من الفتوحات لو كانت العلة مساوية
للمعلول في الوجود لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتاخر عنه شي من
محدثاته والعلة معقولة وما ثم علة الا وهي معلولة ولو كان للحق تعالى
علة لارتبط والمرتبط لا يصح له تنزيه انتهى وقال فيه ايضا ما قال
بالعلل الا القايلون بان العالم لم يزل وان للعالم بالقدم وما له

في الوجود الوجوبي قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم
والعدم واقع ومشهود وقال في الباب التاسع والستين العالم كله
موجود عن عدم ووجوده مستفاد من موجد اوجده وهو الله تعالى
فمحال ان يكون العالم ازلي الوجود لان حقيقة الموجد ان يوجد ما لم
يكن موصوفا عند نفسه بالوجود وهو المعدوم لا انه يوجد ما كان
موجودا ازلا فان ذلك محال فاذا العالم كله قايم بغيره لا بنفسه والله
وقال في موضع اخر من هذا الباب اعلم ان مدلول لفظة الازل
عبارة عن نفي الاولية لله تعالى اي لا اول لوجوده بل هو سبحانه عين
الاول لا باولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها كالاولية
المخلوقة واطال في ذلك ثم قال فالحق تعالى يقال في حقه انه
مقدر الاشيا ازلا ولا يقال في حقه موجدها ازلا فانه محال من
وجهين الاول هو ان كونه موجدا انما هو بان يوجد ولا يوجد
تعالى ما هو موجود وانما يوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه بالوجود
وهو المعدوم ومحال بان يتصف المعدوم بانه موجود ازلا اذ هو
انما صدر عن موجد اوجده فمن المحال ان يكون العالم ازلي الوجود
الوجه الثاني من المحال وهو انه لا يقال في العالم انه موجود ازلا
وذلك لان معقول لفظة الازل نفي الاولية والحق تعالى هو
الموصوف بذلك فيستحيل وجود العالم بالازل لانه يرجع الى قولك
العالم المستفيد من الله الوجود غير مستفيد من الله الوجود لان
الاولية قد انتفت عنه تعالى بكون العالم معه ازلا انتهى وقال
في كتابه المسمى بالقصد الحق لا يقال العالم صادر عن الحق تعالى الا
بحكم المجاز لا الحقيقة وذلك لان الشرع لم يرد بهذا اللفظ وجل الله
تعالى ان يكون مصدر الاشيا لعدم المناسبة بين الممكن والواجب
وبين من يقبل الاولية وبين من لا يقبلها وبين من يفتقر وبين من لا
يقبل الافتقار وانما يقال انه تعالى اوجد الاشيا موافقة لسبق

علمه بهما بعد ان لم يكن لها في وجود في اعيانهما ثم انها ارتبطت بالموجد لها
ارتباط فقير ممكن بغني واجب فلا يعقل لها وجود الا به سبحانه وتعالى
لان تقدمه عليهما تقدم وجودي ولو كان العدم امرا ايشار اليه لكان
الممكن صادرا عن الله تعالى فيكون صادرا من وجود الى وجود ويكون له
عين قائمة في الازل وذلك محال انتهي وقال في الباب الثامن والتسعين
ومايه مما استند اليه القايلون بقدم العالم قوله تعالى انما قولنا لشي
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقالوا انه تعالى ما اضاف التكوين
اليه تعالى وانما اضافه الى الذي نكون فالحق امره بالتكوين فامتثل
ولو انه تعالى اضاف التكوين الى نفسه او الى القدرة لانتفت
الشبهة ثم انهم اضطروا الى ان قالوا ان الحق تعالى تجل يقبل القول
والكلام بترتيب الحروف قال والحق الذي نقول به ان العالم كله
حادث وان تعلق به العلم القديم انتهي فهذه نصوص الشيخ محي الدين
رضي الله عنه في قوله بحدوث العالم فكذب من افترى عليه انه يقول
بقدم العالم وقد كرر الشيخ الكلام على حدوث العالم في الفتوحات
في نحو ثلاثماية موضع وكيف يظن بالشيخ مع هذا العلم العظيم ان يقع
في مثل هذا الجهل الذي يودي الى انكار الصانع جل وعلا بل افتى
المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم او ببقايه او شك في ذلك
هذا مع ان مبني كتب الشيخ ومصنفاته كلها في الشريعة والحقيقة
علي معرفة الله تعالى وتوحيده على ثبات اسمايه وصفاته وانبيايه
ورسله وذكر الذاكرين والعالم الدنيوي والاخروي والنشاتين
والبرزخين ومعلوم ان من يقول بقدم العالم من الفلاسفة لا يثبت
شيا من ذلك بل ولا يومن بالبعث والنشور ولا غير ذلك مما هو منقول
عن الفلاسفة فقد تحقق كل عاقل ان الشيخ بري من هذا كله وقد قال
في الباب الخامس والستين من الفتوحات اعلم ان سبب منكري النبوة
من الحكما قولهم ان الانسان اذا صفى جوهر نفسه من كدورات الشهوات

واتي بمكارم الاخلاق العرفيه انتقش في نفسه ما في العالم العلوي
من الصور بالقوه فنطق بالغيوب واستغنى عن الوسايط قال الشيخ
والامر عندنا وعند اهل الله ليس كذلك وانما جاز وقوع ما ذكروه في
بعض الاشخاص وذلك لم يبلغنا قط من احد من نبي ولا حكيم انه احاط
علما بما تحوي عليه حاله في كل نفس الى حين وفاته ابدا بل يعلم بعضا
ويجهل بعضا بل لو سيل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم
ما عرف ذلك الا ان يشا الله فانظر يا اخي كيف غلط الشيخ رضي الله عنه
من ينكر النبوة وكيف يظن بالشيخ انه يرد على احد شيا ويتدين هو
به والله ان هذا البهتان عظيم فان قيل ان الحكما تسمى الذات علة
الوجود والاشعرية تسمي تعلق العلم بكون العالم ازلا علة فما الفرق
بين العبارتين فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الثامن والاربعين
من الفتوحات انه لا فرق بين العبارتين عند المحقق فان الذي
هرب منه الاشعرية وشنعوا على الحكما لاجله وهو قولهم بالعلة يلزمهم
في سبق العلم بكون المعلوم فان سبق العلم يطلب كون المعلوم بذاته
ولابد ولا يعقل بينهما بون مقدر ولا يلزم كما لا يلزم مساوات
المعلوم علته في جميع المراتب اذ العلة متقدمة على معلولها بالمرتبة
بلا شك سوا كان ذلك سبق العلم او ذات الحق ولا يعقل بين الواجب
الوجود لنفسه وبين الممكن بون زماني لان كلامنا في وجود اول
ممكن والزمان من جملة الممكنات فان كان امرا وجوديا وكان
لنسبة فالنسبة حدثت بوجود الموجود المعلول حدوثا عقليا
لا حدوثا وجوديا واذا لم يعقل بين علم الحق وبين معلومه بون
زماني فلم يبق الا الرتبة ولا يصح ابدا ان يكون الخلق في رتبة الحق
تعالى كما لا يصح ان يكون المعلوم في رتبة العلة من حيث ما هو
معلول عنها واطال في ذلك ثم قال على ان من ادل دليل
على توحيد الحق تعالى علة للعالم عند الحكما فانه توحيد ذاتي

ينبغي محه الشرك بلا شك لكن اطلاق لفظ العلة في جانب الحق تعالى
لم يرد عندنا بها شرع فلا نطلقها عليه سبحانه وتعالى انتهى وقال
في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة اعلم انما سمي العالم عالما من العلامة
لانه الدليل على المرجح انتهى وقد مر ذلك اوايل المبحث وسياتي اخر
المبحث الحادي عشر ما له تعلق بهذا المبحث فراجعه والله اعلم خاتمه
فان قيل فهل اطلع احد من الخواص على معرفه تاريخ مدة العالم على
التحديد من طريق العقل او الكشف او الادلة فالجواب كما قال الشيخ
في الباب التسعين وثلاثمائة انه لم يبلغنا ان احدا عرف مدة خلق العالم
على التحديد وذلك ان اكثر الكواكب قطعا في الفلك الاطلس الذي
لا كوكب فيه فلك الكواكب الثابته والاعمار لا تدرك حركاتها لظهور
ثبوتها للابصار مع انها سابحة سبحا بطيا والعمر يعجز عن ادراك حركتها
لقصره فان كل كوكب منها يقطع الدرجه من الفلك الاقصى في مائة
سنه الى ان ينتهي اليها فما اجتمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب
الثابته فتحسب ثلاثمائة وستين درجه مائة سنه قال وقد ذكرنا
في التاريخ المتقدم ان اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وفي نسخة
الحمل وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة
تاريخ الاهرام فلا بد ربانيها ولم يدر امرها على ان بانيها من الناس بالقطع
قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في شرح كلام الشيخ ومعلوم ان النسر
الطاير لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد ثلاثين الف سنه قال وهو
اليوم عندنا في الدلو فقد قطع عشره ابراج ولا بانى ذلك الا بعد
ثلاثمائة الف سنه انتهى فلينظر بين كلام الشيخين ويحرر قال الشيخ
محي الدين رحمه الله ولقد رايت وانا بين النايم واليقظان اني طايف
بالكعبة مع قوم لا يعرفهم فانشدوني بيتين حفظت احدهما ونسيت
الاخر لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طرا اجمعينا وتكلمت
مع واحد منهم فقال لي اما تعرفني فقلت له لا فقال انا من اجدادك

قلت

قلت له كم لك مذ مت فقال بضع واربعون الف سنه فقلت له ليس لابينا
ادم عليه السلام هذا القدر من السنين فقال لي عن اي ادم تقول عن هذا
الاقرب اليك ام عن غيره فتذكرت حديثا رواه ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق مائة الف ادم فقلت في نفسي
قد يكون الجد الذي نسبني ذلك الشخص اليه من اوليك قال والتاريخ
في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك عندنا انتهى وقال ايضا في الباب
السابع والستين وثلاثمائة اجتمعت بادريس عليه السلام في واقعة من
الوقايع فقلت له اني رايت في واقعه شخصا في الطواف فاخبرني انه
من اجدادي فسالته عن زمان موته فقال لي اربعون الف سنه فسالته
عن ادم لما تقرر عندنا في التاريخ من مدته فقال عن اي ادم تسال عن
ادم الاقرب فقال ادريس عليه السلام صدق هذا الشخص اني نبي
الله ولا اعلم للعالم مدة يقف عندها والاجال في المخلوق بانتهاء المدة
لا بانتهاء الخلق فان الخلق مع الانفاس تتجدد فلم يزل الحق تعالى خالقا
ولا يزال دنيا واخره فقلت له يا نبي الله عرفني بشرط من اشراط
الساعة فقال وجود ابيكم القريب من علاماتها فقلت له فهل كان
قبل الدنيا دار غيرها فقال دار الوجود واحدة والدنيا ما كانت
دنيا الا بكم انتهى وقال في الباب السابع من الفتوحات اعلم ان عمر
الدنيا لا يحصى بالوف الالوف وقال في الباب السابع ايضا قد اكمل
الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات عند انتهاء
احدى وسبعين الف سنه من خلق العالم الطبيعي ثم لما انتهى خلق
العالم الطبيعي وانقضى من مدته اربع وخمسون الف سنه خلق الله هذه
الدنيا فلما انقضى من مدته ثلاث وستون الف سنه خلق الله الاخرة
التي هي الجنة والنار فكان بين خلق الدنيا وخلق الاخرة تسعة الاف سنه
ولهذا سميت اخرة لتاخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة كما سميت الدنيا
اولى لانها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للاخرة امدا تنتهي اليه بقاؤها

فلها البقا الدايم قال وخلق الله تعالى ادم بعد ان مضي من عمر الدنيا سبعة عشر
الاف سنه ومن عمر الاخرة التي لا نهاية لها في الد وام ثمانية الاف سنه
فخمر الله طينة ادم اذ ذاك قال وخلق الله الطير والدواب البريه والبحرية
والحشرات من عفونات الارض ليصفوا الهوي من تلك العفونات التي لو
خالطة الهوي الذي اودع الله فيه حياة هذا الانسان وعافيته لكان
سقيما مريضا معلولا مدة عمره فقضي الله تعالى له الجو لطفا منه تعالى لتكون
هذه العفونات حيوانات فلذلك قلت الاسقام والعلل انتهى والله اعلم

المبحث الثالث

في وجوب معرفة الله تعالى على كل عبد بقدر وسعه قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس الا ليعرفون فكما تعلقت
الروية به تعالى فكان مرئيا كذلك تعلقت به المعرفة فكان معروفا
لكن ربما يكون معرفة بعض الناس بالله تعالى جهلا بالنسبة لمن هو اعلى منه
درجة فلا يصح العلم بالله من كل وجه ولا الجهل به من كل وجه ولا تخرج الانسان
عن الجهل بالحق الا ان عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص
وذلك محال وقد سمعت سيدي علي الخواص يقول من ادعي مقام المعرفة
وهو يخرج عقايد احد من اهل الفرق الاسلامية من كل وجه فهو كاذب
فان من شرط العارف بالله تعالى دخول الحضرة الالهية واذا دخلها راي
عقايد جميع المسلمين شارعة اليها ومتصلة بها كاتصال الاصابع بالكف
فاقر عقايد جميع المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ولو من بعض الوجوه
وانما منع الاشياخ المريد من الاجتماع بغيرهم من الاشياخ ليختصر له
الطريق فان حكم طريق كل شيخ كالاصبعة المتصلة بالكف فاذا سلك
الانسان مقدار عقده ثم انتقل الي شيخ اخر فسلك علي يديه مقدار عقده
ثم انتقل الى اخر فسلك على يديه مقدار عقده فقد اوقف نفسه عن
السير ولو انه جعل سلوك تلك العقد كلها علي يد شيخ واحد لكان دخل
حضرة الكشف فان كل اصبع ثلاث عقد فتقدم هذ وهو في اول عقدة

ص

من ساير الطرق فهذا سبب منع الاشياخ مريديهم ان يشركوا معهم في السلوك
غيرهم انتهى ثم اعلم ان المعرفة عند ايمة الاصول هي العلم بالله تعالى
وصفاته الذاتية والمعنوية فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل
وعلا اذ الذات مجهولة من حيث الاحاطة بها فان قيل فما الحق المطلق
والصدق المحض هو معرفته تعالى والاقرار بوحدانيته فان قيل فما
الدليل فالجواب ان الحق المطلق هو الله والصدق المحض هو معرفته
تعالى والاقرار بوحدانيته فان قيل فما الدليل على كون معرفة الله تعالى
واجبة فالجواب ان دليل ذلك كون المعرفة من الامور التي يسهل الوصول
اليها فان الانسان اذا دهاه امر وضاقت به المسالك فلا بد ان يستند
الى اله يتاله اليه ويتضرع نحوه ويلجا اليه في كشف بلواه ويسموا قلبه
صعودا الى السما ويشخص ناظره اليها من حيث كونها قبلة دعا الخلايق
اجمعين فيستغيث بخالقه وباريه طبعا وجبلة لا تكلفا وحيلة ومثل
ذلك قد يوجد في الوحوش والبهايم ايضا فانها ظاهرة الخوف والرجا
رافعة روسها الى السما عند فقدان الكلا والما واحساسها بالهلاك
والفنا وكذلك شاهدنا الاطفال عند اللاوا يرفعون مسبحتهم
نحو السما هذا كله مركوز في جبلة الحيوانات فضلا عن الانسان العاقل
وهي الفطرة المذكورة في القران والحديث ولكن اكثر الناس قد ذهلوا
عن ذلك في حالة السرا وانما يردون اليه في الضرا قال تعالى واذا مسكم
الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وحكي ان رجلا انكر الصانع عند
جعفر الصادق فقال له يا ابا الاسند لال فلم يصغ اليه فقال هل ركبت
السفينة قال نعم انكسرت مرة فتعلقت على لوح الي الساحل وانفلت
مني اللوح حتى طلعت الي الساحل فقال له جعفر لما ذهب عنك اللوح
كنت ترجوا السلامة ممن حين ذهب اعتمادك على الاسباب فسكت الرجل
فقال له جعفر الذي رجوت السلامة منه هو الله الذي خلقك فاسلم
الرجل فان قيل فهل قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجايز فيه نهي

عن الاستدلال العقلي ام لا فالجواب ليس في ذلك نهي عن الاستدلال العقلي
وانما هو تنبيه على استصحاب تلك الحالة التي عقل عنها اصحاب السلامه من
الاحداث والشبان وقال الشيخ ابوطاهر القزويني انه راي في كتاب
ديانات العرب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمران ابن حصين كم لك من
اله فقال عشره قال فمن لغمك وكربك والامر العظيم اذا نزل بك ودهاك
فقال الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما لك يا حصين من اله الا الله فاسلم
ومن هذا القبيل قوله تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله
تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين وايضا
فان عامة الناس في جميع اقطار الارض دعت انفسهم الى الاعتراف بان لهم
خالقا من غير معلم ولا اثبات حجة عندهم ولا اصطلاح وقع بين كافتهم
من الاتراك والاكراد واهل البوادي واقاصي الهند والصين واهل
الجزاير الذين لم يبلغهم داعي الاسلام وكذا اولو الشرك فانهم استيقنوا
بشهادة انفسهم على الاعم الاغلب بالخالق لكثرة ما وجدوا من استجابة
دعايهم بدعوتهم ودرك المساعي ومفاجات الفرج في حوادث عظام دهمتهم
بعد القنوط عن السلامة وربما جربوه من الرويا الصادقه والفال والزجر
وبتخلصهم من ايدي الاعدا في مواضع لا ناصر لهم من الخلق فيها وبحدوث
نوادر وعجايب شاهدوها في الافاق وفي انفسهم فكانت نفوسهم شهدت
بالاله الحق جل جلاله وذلك قوله تعالى قالت لهم رسلهم افي الله شك
وراي اعرابي مرة ثعلبا بال على صنم كان يعبده فقال

ارب يبول الثعلبان براسه ❊ لقد ذل من بالت عليه الثعالب ❊
بريت من الاصنام والشرك كله ❊ وايقنت ان الله لا شك غالب ❊

وهذا كله قريب من الضروريات وكذلك قال بعضهم المعرفة ضرورة والناس
كلهم يشيرون الى الصانع جل وعلا وان اختلفت طرايقهم وعللهم ولا يجهلون
سوى كنه الذات ولذلك لم يات الانبيا والرسل ليعلمونا بوجود الصانع
وانما اتونا ليدعونا الى التوحيد قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله والخلق

انما اشركوا بعد الاعتراف بالموجود لما اعتقدوه من الشرك بالله تعالى
او لنفي واجب من صفاته او لاثبات مستحيل منها او لانكارهم النبوات ولما
فتح السلطان محمود بن سبكتكين رحمه الله بلاد سومنات الهند اتي اليه
براهب قد قطع في السن وكان يهمهم ويزمزم بكلمات فسال السلطان
الترجمان عما يقوله فذكر انه يقول الله فقال للترجمان قل له وانتم تعرفون الله
تعالى فتكلم بالهندية شيا فقال الترجمان يقول الخطوط المستقيمة من
المحيط الى المركز متساويه وهذا مثاله على الهامش فعلم ان الانبيا لو
جاونا ليعلمونا بوجود الصانع ما قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وانما كان
يقول فاعلم ان ذلك الاها وكذلك القول في قوله وليعلموا انما هو اله واحد
فان قيل فلاي شي سلك اهل الاصول طريق الاستدلال على هذا
فالجواب انما سلكوا ذلك قطعا للاطماع التي تشرب الى ذلك كالاستدلال
بامكان الممكنات على مرجح ونحو ذلك والا فهم يعلمون انما شهدت به الفطرة
اقرب الى الخلق واسرع تعقلا لان الممكن الخارج والحادث الدال على محدث
موقوفان الى النظر الصحيح وتلك داعية ضرورية من الناظر قال تعالى
امن يجيب المضطر اذا دعاه امن يبدا الخلق امن جعل الارض قرارا الى
غيرها من الايات التي كلها استفهامات تقرير كانه تعالى يقرر على
عباده شيا فطرهم على ذلك الشي ومثله قوله تعالى الست بربكم وقوله
تعالى افي الله شك ولهذا ورد مرفوعا ان الله خلق العباد على معرفته
فاختالهم الشيطان عنها فما بعثت الرسل الا للتذكير بتوحيد الفطرة
وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظريه والدلايل
العقليه وبها توجهت التكاليف على العقلا وكان امام الحرمين يقول
اذا سيل عن معرفة الذات هذا امر تاهت فيه العقول وانما يعلم بالدليل
وجوده تعالى وما يجوز عليه وما يجب له وما تستحيل عليه بلا تخييل
ولا تمييز وليس الا وجهه العزيز فان الركون الى معتقد محصل تمثيل
والعدول عن الاستدلال بالصنع تعطيل وليس الى درك حقيقة

الحق تعالى سبيل انتهى قال الامام ابو طاهر القزويني رحمه الله فقول
الامام بلا تحييث اشارة الى نفي المكان فلا يقال انه تعالى تحت العرش ولا
تحت الكرسي وقوله ولا تمييز اي لان التمييز انما يكون بين الجنسين احدهما
يمتاز عن الاخر بوصف وذات الله تعالى لا جنس لها فلا يمتاز بشيء عن جنسها
وانما تميز الاشيا عنه تعالى بالحدوث ومعنى قوله معتقد محصل اي محاط به
ينتهي الفكر اليه بالاحاطة وفي الحديث مرفوعا كلكم في ذات الله حمقى والله
اعلم وذكر الانصاري في نكت الادلة ان القاضي ابى بكر الباقلاني اثبت
الله تعالى اخص وصف لا سبيل لاحد من الخلق الى ادراكه ثم قال وقد
اشار ابو اسحاق الاسفرايني الى هذا المعنى وقال امام الحرمين
للعقل مزية فلا يبعد ان يكرم الله بعض العقلا بمزية يدرك بها حقايق
الذات اذ قال وقل رب زدني علما انتهى ولعله يعني بالمزية كمال قوة
وثايق في النظر قال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله تعالى واخشاكم منه
وسياتي في المباحث الاتية ما يعلم به يقينا عجز الخلق كلهم عن ادراك الذات
وما كلف الله العبد الا تلاوة التوحيد على لسانه بقوله لا اله الا الله وبه
عرف الامام مالك وغيره التوحيد فاعلم ذلك فهذه مقالات المتكلمين واما
مقالات الصوفيه فهي واسعة جدا ولكن نذكر منها بعض نكت لان المعرفة
المطلوبة عند القوم لا تكون الا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى
فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محي الدين في الباب السابع والسبعين ومايتين
ما نصه اعلم انه لا يصح وصف احد بالعلم والمعرفة الا ان كان يعرف
الاشيا بذاته من غير امر اخر زايد على ذاته وليس ذلك الا الله وحده وكل
ما سواه فعلمه بالاشيا انما هو تقليد لامر زايد على ذاته واذا ثبت ذلك
فليقلد العبد ربه سبحانه وتعالى في العلم به وايضاح ما قلناه من ان
العبد لا يعلم شيا الا بامر زايد على ذاته ان الانسان لا يعلم شيا الا بقوة
من قواه التي اعطاها الله له وهي الحواس والعقل فالانسان لا بد ان يقلد
حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق على الامر على ما هو عليه في

نفسه او يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة او نظر والعقل يقلد الفكر
ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالامور بالاتفاق فما ثم الا تقليد واذا كان
الامر على ما قلناه فيجب على العاقل اذا طلب معرفة الله ان يقلده فيما اخبر به عن
نفسه على السنة رسله ولا يقلد ما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون
الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد وهناك يعرف الامور كلها بالله
ويعرف بالله فلا يدخل عليه بعد ذلك جهل ولا شك ولا شبهة ولا ريب
فقد نبهتك يا اخي على امر ما طرق سمعك ابدا فان العقلا من اهل النظر
يتخيلون انهم صاروا علما بالله تعالى بما اعطاهم النظر والحس والعقل وهم في
مقام التقليد لقواهم وما من قوة الا ولها غلط قد علموه ومع هذا غالطوا انفسهم
وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والفكر والعقل وبين ما لا يغلط فيه وما
يدريهم لعل الذي جعلوه غلطا يكون صحيحا فلا يزيل هذا الدا العضال
الا اخذ العلم بكل معلوم عن الله عز وجل لا عن غيره وهو تعالى عالم بذاته
لا بامر زايد ولا بد ان يكون عالما بما يعلمه الله سبحانه وتعالى لانك قلدت
من يعلم ولا يجهل وليس بمقلد في علمه سبحانه وتعالى وكل من قلد معصوم
دون الله تعالى فهو مقلد لمن يدخله الغلط وتكون اصابته بالاتفاق
فاشتغل يا اخي بما امرك الله به وبالغ في فعل الطاعات حتى يكون الحق تعالى
لجميع قواك فتكون على بصيرة من امرك ولا تطلب معرفته الخاصة بدون
ذلك فانك لن تصل الى معرفته ولو كنت على عبادة الثقلين وقد نصحتك
فان الحق تعالى قد اخبر بنفسه بامور تردها الادلة العقلية والافكار
الصحيحة مع اقامة ادلتها على تصديق المخبر ولزم الايمان بها فالكامل
قد قلد ربه ولم يقلد عقله في تاويل الصفات فان العقل قد اجمع مع
صاحبه على التقليد بصحة هذا القول انه من عند الله فما للعبد منازع
منه يقدح فيما عنده واصرف يا اخي علم حقيقة الصفات الى الله تعالى
واعمل بالقربات الشرعية حتى يعطيك الله تعالى من علمه وحينئذ تكون
عارفا به فهذه هي المعرفة المطلوبة والعلم الصحيح الذي لا ياتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه انتهى فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه فالجواب كما قاله الشيخ محي
الدين في الباب السابع والسبعين وماية ان المعنى من عرف نفسه بما وصفه
الحق به مما وصف به نفسه من كونه له ذات وصفات وما اعطاه من علمه ومن
استخلافه في الارض يولي ويعزل ويعفوا وينتقم ونحو ذلك ويحتمل ان يكون
معناه انه يعرف نفسه بالافتقار في وجوه ويحتمل ان يكون المراد المعنيين
لا بد من ذلك فان قلت فلم زاد تعالى في قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم ذكر الافاق ولم يكتف بانفسهم عن ذكر الافاق فالجواب انما زاد قوله
في الافاق تحذيرا للعبد ان يتخيل انه قد بقي في الافاق بقية علم مما لله
لا تعطيه النفس حاله تعالى على الافاق فاذا نظر في الافاق فلم يجد شيا
خارجا عما تعطيه النفس زال ذلك التخيل اذ النفس جامعة لحقايق العالم
كله فانظر يا اخي كثرة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على امته كيف اختصر
لهم الطريق الى معرفة الله بقوله في الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه
عرف ربه ولم يذكر لهم الافاق صلى الله عليه وسلم فان قلت فما طريق السلامة
من كثرة الجهل بالله لمن ليس على بصيرة من امره فالجواب طريق السلامة عدم
التاويل وتسليم علم ذلك الى الله تعالى فان قيل فهل يصح لعبد ان يعرف الله
تعالى من كل طريق للخلق اليها سبيل فالجواب نعم يصح له ذلك كما عليه الاكابر
من اهل الله تعالى فيعرفون الله بكل طريق من طرق الاعتقادات الاسلامية
اذ ما من شي الا والحق تعالى هو ممده بسر القايم بوجوده وصاحب هذا
المشهد هو الذي يخاطب الحق تعالى من سره القايم بهيا كل الخلق وقد نقل
عن السيد سهل ابن عبد الله انه كان يقول لي منذ ثلاثين سنه اكلم الله والناس
يظنون اني اكلمهم فان قلت فهل يرتفع الخطا المطلق عند هذا الكامل
فالجواب نعم لان علمه من علم الله فلا يخطي لا في الاصول ولا في الفروع بخلاف
ما علمه من طريق فكره ونظره فقد يخطي فيه ذكر الشيخ محي الدين رحمه الله فان
قلت فهل التجلي الالهي للقلوب دايم بوجود المعارف ام يكون في قلب

دون

دون قلب وفي وقت دون وقت فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين في الباب الثا
والسبعين وماية التجلي الالهي لجميع القلوب الاسلامية دايم لا حجاب عليه ولكن
لا يعرف انه هو فان الله تعالى لما خلق العالم اسمعه كلامه في حال عدمه وهو
قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق تعالى مشهودا للعالم لانه كان
على عين جميع الممكنات حجاب العدم فلذلك لم تدرك الوجود وهي معدومة
كما تبصر الظلمة من النور ولا بقا للنور مع وجود الظلمه اصلا وكذلك العدم
والوجود فلما امر الحق الممكنات بالتكوين لامكانها واستعدادها قبولها
سارعت لتري ما ثم لان في قوتها الرويه كما في قوتها السمع من حيث الثبوت
لا من حيث الوجود فلما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم ثم فتح عينيه
فراي الوجود الخير المحض فلا يعلم ما هو ولا علم انه الذي امده بالتكوين فافا
التجلي علما بما راه لا علما بانه هو الذي اعطاه الوجود فلما انصبغ في النور التفت
على اليسار فراى العدم فتحققه فاذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث من
الشخص اذ قابله النور فقال ما هذا فقال له النور من الجانب الايمن هذا
هو انت فلو كنت انت النور لما ظهر للظل عين فانا النور وانا مذهبه
ونورك الذي انت عليه انما هو من حيث ما توجهني من ذاتك وذلك لتعلم
انك لست انا فانا النور بلا ظل وانت النور الممتزج لامكانك فان نسبت
الي قبلتك وان نسبت الى العدم قبلك فانت بين الوجود والعدم وانت
بين الخير والشر فان اعرضت عن ظلك فقد اعرضت عن امكانك واذا اعرضت
عن امكانك جهلتني ولم تعرفني فان لا دليل لك على اني الاهك وربك
وموجدك الا امكانك وهو شهود ظلك فلا تنظر الى نظرا يغنيك عن
ظلك فتدعي انك انا فتقع في الجهل ولا تنظر الى ظلك نظرا يفنيك عني
فانه يورثك الصمم فتجهل ما خلقتك له فكن تارة وتارة وما خلقتك لك
عينين الا لتشهدني بالواحدة وتشهد ظلك بالاخري واطال في ذلك
ثم قال واعلم ان من اجل علوم المعرفة بالله تعالى العلم بالكمال والنقص
في الوجود كما يشهد لذلك حضرات الاسما الالهية من اسما الحنان والامتنان

وأما القهر والانتقام فلولا العاصي ما ظهر كمال فضل الحق على عباده من حلمه
وصفحه وعفوه وغير ذلك فعلم ان من كمال الوجود وجود النقص النسبي
فيه قال تعالى في كمال كل ما سوى الله اعطى كل شيء خلقه فما نقصه شيء اصلا حتى
النقص اعطاه خلقه ووفاه اياه وقوله ثم هدى اي بين الامور التي خرجت عن
الكمال بلسان الامر فنقرها على اسم النقص كما اقرها الحق تعالى فافهم
فان قلت فهل ظهرت النقايص في شيء غير الانسان ام هي خاصة بالانسان
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومايه ان النقص المعنوي
لم يظهر في شيء من العالم كله الا في الانسان فقط وان كان في الجن فهو معلوم
غير ظاهر الا للخواص وذلك لان الانسان مجموع حقايق العالم وهو المختصر
الوجيز والعالم هو المطول البسيط قال واعلم انه لما كان كمال الالوهة
ظاهرا بالشرايع وادلة العقول جا الشرع بالتنزيه وغيره وجا العقل
بالتنزيه فقط فهو على النصف من معرفة الله عز وجل فلزم للعقل سلب
احكام كثيرة عن الله تعالى جا بها الشرع اذ الشرع قد اخبر عن الله بثبوت
ما سلب عنه وجا بالامرين معا وهو هذا الكمال والذي يليق به سبحانه وتعالى
لحير تعالى العقول ولو انه تعالى لم تحيرها لكان تحت حكم ما خلق فان القوى
الحسية والخياليه تطلبه بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها
وادلتها من نفي واثبات ووجوب وجواز واحالة لتعلم موجدها فخاطب
الحواس والخيال بتجريده الذي دلت عليه ادلة العقول والحواس تسمع فحارت
الحواس والخيال وقالوا ما بايدينا منه شي وخاطب العقول بتشبيهه الذي
دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالت ما بايدينا
شي منه فتعالى عن ادراك العقول والحواس والخيال وانفرد سبحانه بالحيرة
في الكمال فما يعلمه تعالى سواه ولا شاهده غيره ولم تحيطوا به علما ولا اراواله
عينا فآثار تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد والا له منزه ومشبه يعبد
فهذا هو الكمال الالهي وبقي الانسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحد
وهو كمال العالم فبالانسان كمل العالم وما كمل الانسان الا بالعالم فافهم

وبالجملة

وبالجملة فقد قال الامام المحاسبي مجموع المعرفة ترجع الى العلم باربعة اشيا الله
والنفس والدنيا والشيطان قال الشيخ محي الدين والذي نقول به ان المعرفة
ليس لها طريق الا المعرفة بالنفس والله اعلم وسياتي في هذا الكتاب من مسايل
المعرفة ما تقربه عينك ان شا الله تعالى فان غالب المباحث متعلقة بالله
عز وجل فاعلم ذلك والله تعالى اعلم خاتمة في بيان العارف بالله تعالى وصفاته
ذكر الشيخ محي الدين في الباب السابع والسبعين ومايه ان العارف عند
طايفة الصوفيه هو من اشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة
الصارفة عن شهود الحق تعالى واذا ذكر الله واستولى عليه الذي يغيب عن
الاكوان بما به كل ناظر هو مع الله بلا وصل ولا فصل كثير الحيا في قلبه التعظيم
يقدم حق الحق على حظوظ نفسه بطنه جايع وبدنه عار لا ياسف قط على شي لكونه
لا يرى غير الله طيار مد الدهر تبكي عينه ويضحك قلبه هو كالارض يطاه البر
والفاجر وكالسحاب يظل كل شي وكالمطر يسقي ما تحب وما لا تحب لا يقضي
وطره قط من شي وذلك لبدو مرافتقاره الى الله تعالى ذوقا شانه الفقر
والذل بين يدي الله يفتح له في فراشه كما يفتح له في صلاته وان اختلفت
الواردات بحسب المواطن واطال في ذلك ثم قال واما صفة العارف عندنا
وعند غيرنا من المحققين فهو ان يكون قايما بالحق في جمعيته بانفد الهمة موثرا
في الوجود على الاطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند اهل الله
مجهول النعت والصفة عند جميع العالم من بشر وجن وملك وحيوان لا يعرف
مقامه فيحد ولا يفارق العادة فيتميز هو خامل الذكر مستور المقام عام
الشفقة على خلق الله عارف بارادة الحق في عباده قبل ظهور المراد فيريد بارادة
الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع في الوجود ما لا يريده شديد في لين يعلم
مكارم الاخلاق في سفسافها فينزلها منازلها مع اهلها تنزيل حكيم يتبرا ممن
تبرا الله منه محسن اليه مع البراة منه يشاهد تسبيح المخلوقات كلها على
تنوعات اذكارها لا يظهر العارف مثله واطال في ذلك ثم قال وقد اختلف
اصحابنا في مقام المعرفة ومقام العلم فقالت طايفة مقام المعرفة رباني

ومقام العلم الالهي قال وبه اقول ووافقني على ذلك المحققون كسهل ابن عبد الله
التستري وابي يزيد وابن العريف وابي مدين وطايفة قالت مقام المعرفة الالهي
ومقام العلم كذلك وبه اقول ايضا فانهم ارادوا بالعلم ما اردناه بالمعرفه
وارادوا بالمعرفة ما اردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظي وعمدتنا قوله تعالى
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من
الحق فسماهم عارفين وعلما ثم ذكر قولهم فقال يقولون ربنا امنا ولم يقل يقولون
الاهنا امنا ولا علمنا ولا شهدنا وقد علمت من جميع ما قررناه في هذا البحث
ان طريق المعرفه بالله عند القوم انما هو الكشف لا الظن المبني على الفكر وتامل
قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله روف بالعباد كانه تعالى يقول
ما حذرناكم من النظر في ذات الله الا رحمة بكم وشفقه عليكم لما نعلم ما تعطيه
القوة المفكرة للعقل من نفي ما اثبته على السنة رسلي من صفاتي فتردونها
بادلتكم العقلية فتخرجون الايمان بها فتشقون شقا الابد ولذا اختلفت
مقالات اهل النظر في الله وتكلم كل بما اقتضاه نظره فنفى واحد عين
ما اثبته الاخر وما اجتمعوا على امر واحد في الله من حيث النظر في ذاته
وعصوا رسله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه نهي شفقه ورحمة بهم فرغبوا
عن رحمة الله وضل سعيهم فاثبت يا اخي على اعتقاد كلما جاتك به الشريعة
تسلم فهمته اولم تفهمه فانه تعالى اعلم بنفسه واصدق في قوله والله تعالى اعلم

المبحث الرابع

في وجوب اعتقاد ان حقيقته تعالى مخالفة لساير الحقائق وانها ليست
معلومة في الدنيا لاحد وقال كثير من المتكلمين انها معلومة للناس في الدنيا
لان الخلق مكلفون بالعلم بوحدانيته وذلك متوقف على العلم بحقيقته
قال الجلال المحلي وغيره واجيب بمنع التوقف على العلم به بالحقيقه
وانما تتوقف على العلم به بوجه وهو انه تعالى يعلم بصفاته كما اجاب به موسى
عليه السلام فرعون حين قال لموسى وما رب العالمين الى اخره ثم اختلفوا
هل يمكن علمها في الاخرة فقال بعضهم نعم لحصول الروية فيها وقال

بعضهم

بعضهم لا والروية لا تفيد حقيقة ولم يرجح ابن السبكي ولا الجلال المحلي شيا
في هذه المسالة والتي قبلها وقال شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني
الصحيح انه لا سبيل للعقول الى علمها قال الشيخ كمال الدين ابن ابي
شريف ثم لا يخفى ان قولهم ليست معلومة الان يعني في الدنيا انه هو
كلام في الوقوع وقولهم واختلفوا هل يمكن علمها في الاخرة كلام في الجواز
العقلي انتهى هذا ما رايته في هذه المسالة من كلام محققي المتكلمين واما
كلام محققي الصوفية من اهل الكشف فنجلي عليك مقالاتهم فيها
حتى يزول عنك اللبس ان شا الله تعالى وتعرف ان القوم ابعد الناس
عن القول بالجسمية لشدة معرفتهم بالله تعالى لاسيما الشيخ محي الدين
رحمه الله اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق اعلم ان الخلق ما خبطوا
عشوى في ايات الصفات وكثر اختلافهم الا من ذهولهم حال الاختلاف عن
شهود ان حقيقته تعالى مخالفه لساير الحقايق والا فلو اشهدوا ذلك
لم يقفوا في شي من ايات الصفات واخبارها ولم يحتج احد منهم الى تاويل
ولم يخف قط من لحوق نقص في الجناب الالهي كالقول بالجهة والتجسيم
مثلا وايضاح ذلك ان تنظر يا اخي الى صفات الحق كلها وتنزه الحق تعالى
عنها من حيث الكيف فتقول مثلا من شان الخلق الجهل من ذاتهم فليس الحق
تعالى بجاهل بل هو عالم بكل شي ومن شان الخلق العجز فليس الحق تعالى بعاجز
عن انفاذ وقوع شي مما اراده بل هو قادر ومن شان الخلق الجهة فالحق تعالى
لا جهة له ومن شان الخلق الجسمية فالحق تعالى ليس بجسم وهكذا فلا يصح
في جانب الحق تعالى لحوق تشبيه بخلقه ابدا الا في شخص ولا في نوع ولا في
جنس كما سياتي ايضاحه في نقول العارفين وقد ذكر الشيخ محي الدين في
الباب الرابع والعشرين وثلاثماية ما نصه اعلم انه لا يجوز لاحد طلب معرفه
ماهية الحق تعالى بلفظة ما كما وقع فيه فرعون فاخطا في السوال ولهذا
عدل موسى عن جواب سواله على المطابقة لان السوال اذا كان خطا لا يلزم
الجواب عنه وكان المجلس مجلس عامة فلذلك تكلم موسى بما تكلم به وراي

فرعون ان ذات الحق تعالى لا تدخل تحت طلب ما وانما تدخل تحت مطلب هل
وهو سوال عن وجود المسئول عنه هل هو متحقق ام لا ولما علم فرعون ما وقع منه
من الجهل قال اشغالا للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون تنفيرا لهم عن الاصغا لمقالة موسى خوفا ان يتبعوه وقال في الباب
الاول من الفتوحات اعلم ان الحق تعالى منزه عن ان يحيط به خلق او يعرفه احد
الا بحسب ما وقع به التجلي له لا غير الا ترى انه يتجلى يوم القيامة لقوم في غير
العلامة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فينكرون ربوبيته ومنها يتعوذون
وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون ويقولون لذلك التجلي نعوذ بالله منك وها
نحن لربنا منتظرون فحينئذ يتجلى لهم في العلامة التي لزمهم فيعترفون له بالربوبية
وعلى انفسهم بالعبودية فهؤلاء ما عبدوه تعالى الا بالعلامة ومن قال منهم
انه عبده تعالى غيبا فقوله زور وكيف يدعي ذلك وعند ما تجلى له انكره
فما عبده تعالى الا الانبيا وكمل ورثتهم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
فاعبده وتوكل عليه اي غيبا فافهم فان قلت فما معنى قولهم العلم حجاب عن
الله تعالى مع ان العلم هو الذي يكشف عن حقايق الامور فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب الثاني من الفتوحات انه ليس المراد به ذم العلم معاذ الله
ان يريد القوم ذلك وانما مرادهم ان احدا لا يعلم الحق تعالى الا بواسطة
العلم فالواسطة هي التي علمت الحق تعالى لا انت فما علم الحق تعالى حقيقة
الا علمك لا انت وعلمك دايما حاجب لك عن معرفة كنه الحق تعالى ولو ترقيت
في العلم به ما رقيت فلا يصح وقوف تجلي الحق تعالى لك حتى تدركه لان كل
تجل يقع كلمحة بارق لا يثبت اثنين ابدا ومن هنا امتنع للخلق تكييف
الحق فافهم واعلم انه ليس مشهود كل احد من الحق الا علمه فاياك ان جريت
على اسلوب الحقايق ان تقول انك علمت المعلوم فانك ما علمت الا بالعلم
وهو العالم بالمعلوم الذي هو الحق وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرا احد
قعرها فان سر التعلق بينهما مع تباين الحقايق بحر مركبه عسير بل لا تركبه
العبارة اصلا ولا الاشارة لكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة

لا يحس

لا يحس بها احد على غير البصيرة الا الانبيا وكمل ورثتهم من الاوليا لدقتها وغموضها
واذا كانت عسرة المدارك فاحرى من خلقها فان قلت قد ثبت عندنا وتقرر
ان العلم بامر ما لا يكون الا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بامر اخر
يكون به بين المعروفين مناسبة لا بد من ذلك وقد ثبت عندنا وتقرر انه
لا مناسبة بين الحق تعالى وبين خلقه بوجه من الوجوه فكيف صحت
معرفته تعالى فالجواب كما قاله الشيخ ايضا في الباب الثاني من الفتوحات
ان المراد بمعرفتنا له تعالى معرفتنا له بالآثار واما الذات فلا تعلم بعلم سابق
وانما تعلم من طريق الكشف لبعض المختصين علما لا يصح التعبير عنه ابدا فان
قلت فهل يصح استدلال بعضهم بالشاهد على الغايب في مسئلة العلم
الالهي من انه عين او غير فالجواب لا يصح هذا الاستدلال لان الحق تعالى
مباين لخلقه في ساير شؤونه فلا يصح قياسه على خلقه واصل دخول
الشبهة على هذا المستدل انه لما راى الانسان يسلب علمه وذاته كاملة
لم تنقص قال علم الله ذاته ثم من العجب انه يقدسه بعد ذلك مع انه قد
حمله على حال نفسه وقاسه عليها فان قيل فهل يصح لاحد معرفة ربه من
حيث الدليل العقلي فالجواب لا يصح لاحد ذلك لان من العلوم ان العقل
لا يدرك كنهه تعالى من حيث ما هو ناظر وباحث ابدا لان برهانه الذي
يستند اليه الحس او الضرورة او التجربة والحق تعالى غير مدرك بهذه الاصول
باجماع المحققين ولو ان هذا الناظر والباحث نظر بعقله الى المعقولات
الصناعية والتكوينية والانبعاثية وراى جهل كل واحد منها بفاعله يعلم
ان الحق تعالى لا يعلم قط بالدليل العقلي وانما غايته علم العقل ان يعلم انه
تعالى موجود وان العالم كله مفتقر اليه افتقارا ذاتيا لا محيص له عنه
البتة انتهى فان قلت فما الحكمة في تحيير العقول فيه سبحانه وتعالى
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومايته ان الحق تعالى
انما حير عقول عباده فيه لئلا يدخل تعالى تحت حكم ما خلق وذلك ان القوى
الحسية والخيالية تطلب بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها

وادلتها لنعلم موجدها فلذلك خاطب تعالى الحواس والخيال بتجريده الذي دلت
عليه ادلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بايدينا منه شي
وخاطب ايضا العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس والخيال والعقول
تسمع فحارت العقول وقالت ما بايدينا منه شي كما تقدم وتعالى الله عن ادراك
العقول والحواس والخيال فلذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة في وصف كماله
فما علمه سواه ولا شاهده غيره ولا احاط احد به علما وقد تقدم هذا ايضا في
مبحث التوحيد انتهى فان قلت فهل الاطلاق بعض المتصوفة وجه المناسبة
بين الحق والخلق صحيح في بعض الوجوه فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثالث
من الفتوحات لا يصح ذلك بوجه من الوجوه وان وقع في مثل ذلك ابو حامد الغزالي
فهو بضرب من التكليف وبمرمى بعيد من الحقايق فاي نسبة بين المحدث والقديم
وكيف يصح تشبيه من لا يقبل المثل بمن يقبل المثل هذا والله محال قال
وما طلب الحق منا الا العلم بوجوده والوهيته لا غير واما الحقيقة فلا واذا
كان المبدع الاول لا مناسبة بينه وبين ربه فكيف يصح مناسبة من بينه وبين
ربه وسايط لا تحصى انتهى فعلى ما قررتموه لا يصح لاحد مراقبة ذات الحق
تعالى ابدا وقد امر الله تعالى بمراقبته فكيف الحال فالجواب كما قاله الشيخ في
الباب السادس والعشرين ومايه من الفتوحات اننا لم نومر بمراقبة عين الذات
وانما المراقبة حقيقة للمثال التي ينزل الحق تعالى فيه للعقول تقريبا لها
لتقف على مركز ولما اقتضت مرتبة العلما بالله تعالى انه ليس كمثله شي ارتفعت
الامثال والاشكال من اوهامهم فلم يتقيد لهم امر الاله المنزه عن الامثال
ولم ينضبط بل جهل الامر وهنالك يعني عند ارتفاع الامثال يعلمون ان الحق تعالى
انما هو من حيث نسبة معقولة اعطتها الاثار الموجودة في الاعيان لا غير واذا
كان الامر كذلك فلا كيف ولا اين ولا متى ولا وضع ولا اضافة ولا عرض ولا
جوهر ولا كم وهو المقدار وما ثم الا فاعل مجهول يرى اثره ولا يعرف خبره
ولا تعلم عينه ولا يجهل كونه فلمن يراقب العبد وما ثم من تقع عليه عين ولا
يضبطه خيال ولا من يحده زمان ولا من تحدده صفات واحكام ولا من

فان قيل

يكيفه

تكيفه احوال ولا تميزه اوضاع ولا تظهره فكيف يصح مراقبة من لا يقبل هذه
الصفات ومن شرط العلم ان يرفع حكم الخيال والحادث لا يتعلق الا بالمناسب
وهو عندك من معرفة الحق فما برحت من جنسك وما عثرت الا على صورة
اعتقادك قال ولهذا اختلفت المقالات في تاويل صفات الله تعالى
فطايفة تقول هو كذا وطايفة تقول ما هو كذا وانما هو كذا وما منهم
احد احاط به علما فالكامل من عظمت فيه حيرته ودامت حسرته ولم ينل
منه مقصود وذلك لانه رام ما لا يمكن تحصيله وسلك سبيل من لا يعرف
سبيله واطال في ذلك ثم قال فاذا لم يعرف احد الحق تعالى كما يعرف
الحق تعالى نفسه ابدا والسلام فان قلت فعلى ما قررتموه جميع الامور
المعلومة معلولة والكيفية في حق الله مجهولة فالجواب كما قاله الشيخ في
باب الاسرار نعم لا تخلوا علم الحقايق من العلل ابدا الا ان الحق تعالى هو
المنفرد في علمه بعدم العلل فاصل الابد من الازل وقد خلت المثلات
باهل الفكر في المحدثات اذ لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول
في قضايا العقول والحق تعالى لا يدرك بالدليل فليس الى معرفة كنه
ذاته من سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا لصفته فلا من صفة
تتعلق بها المعرفة وما ثم في العقل الا صفة تنزيه وقد ضم الشرع معها
صفة ظاهرها التشبيه فعلى ما هو المعول الاخر او الاول انتهى وقال
في باب الاسرار ايضا لا تعلم الذات الا مقيدة وان اطلقت هكذا عرفت
الاشياء وحققت فالاطلاق تقييد في حق السادات والعبيد وقال
ايضا الذات مجهولة فما هي علة ولا معلولة ولا هي للدليل مدلولة فان
من شان وجه الدليل ان يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط كما
لا تختلط انتهى وقال فيه ايضا اعلم ان التنزيه وان جلت مراقيه
فهو يرجع لتحديد المنزه من حيث انه لا بد له من مقابل والتشبيه يرجع
الى تثنية المشبه واذا كان التنزيه يرجع الى التشبيه فاين المعرفة بالله
تعالى فاذا التنزيه انما سمع في الشرع ولم يوجد في العقل انتهى وقال

فيه ايضا لا يصح الانس بالله تعالى لاحد لعدم المجانسة بينه وبين خلقه ومن
ادعى الانس بالله من الخلق فانما انس بنور اعماله الصالحة وايضاح ذلك ان الانس
لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمماثل ضد والضد بعيد قال
الشيخ في كتاب العبادله تنتهي همم العارفين بالله تعالى وهم معه على اول
قدم في لمعرفه فلم تف لهم اعمارهم بما تعلقت به هممهم من واجب معرفة الله كما يليق
بجلاله انتهى وقال في شرحه لترجمان الاشواق كل من الخلق واقف خلف
حجاب العزة الاحمى فعند هذا الحجاب تنتهي علوم العالمين ومعرفة
العارفين لا يصح لاحد ان يتعدا هذا الحجاب ولو كان من اكابر الاحباب
وقال سيدي علي ابن وفا رحمه الله جلت ذات الحق تعالى ان تدخل تحت احاطة
علم او ادراك انتهى فان قلت اذا كانت الذات مجهولة فما مرادهم بقولهم
فلان من العلما بالله تعالى فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس من الفتوحات
ان مرادهم بذلك العلم بوجوده وما هو تعالى عليه من صفات الكمال وليس
مرادهم العلم بذاته لان ذلك عندهم ممنوع لا يعلم بدليل ولا ببرهان
ولا باخذه حد ومعرفتنا به سبحانه وتعالى انما هي علمنا بانه ليس كمثله شيء
واما الماهية فلا يمكن لنا علمها قطعا انتهى فان قيل قد يفهم من قول
بعضهم ان معرفة الحق لا تكمل الا بمعرفته تعالى من طريق التنزيه ومن طريق
التشبيه ان التشبيه موجود حقيقة فالجواب ان الذي نعتقده ان
التشبيه لا وجود له حقيقة وانما ذلك واقع من بعض الخلق لضعف شهودهم
وكثافة حجابهم ولو انكشف حجابهم لعلموا علما يقينا ان الحق تعالى لا يلحقه
قط تشبيه بخلقه في جميع الصفات التي تنزل فيها العقول عباده وتامل
يا اخي السراب تحسبه الظمآن ماء ما دام بعيدا فاذا قرب من محله لم يجده ما
وحكم بفساد حسابه الاول وقس على ذلك ايضا سماع كلام الله تعالى بصوت
وحرف ورويته في التجلي الاخروي في صور مختلفة فان ذلك انما هو تنزل
للعقول ولو كشف الحق تعالى حجابهم لسمعوا كلامه تعالى من غير صوت
ولا حرف وراوه تعالى في غير صورة معقوله لكنهم لما حجبوا لم يكونوا

يفهموا

يفهموا الكلام بغير صوت ولا حرف ولم يكونوا يعقلوه تعالى الا في صورة وتعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول جميع ما منه
اليك لا يكيف وجميع ما منك اليه يكيف فان قيل فما وجه قول من منع ان الذات
لا تعلم بالكون فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر من الفتوحات ان
وجهه ان الكون لا تعلق له الا بالمرتبة الطالبة له كالخالق يطلب المخلوق
والرازق يطلب المرزوق وهكذا فعلم ان الذات غني عن العالمين لا تعلق
له باحد فلذلك كان لا يعرف بالكون انتهى فان قلت فاذا ليس للفكر
حكم ولا مجال في ذات الحق تعالى لا عقلا ولا شرعا فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب الرابع والاربعين ومايه نعم بل قد منع الشرع من التفكر في ذات
الله تعالى بقوله ويحذركم الله نفسه اي ان تتفكروا فيها وقد ورد
مرفوعا كلكم حمقى في ذات الله اي فلا تصلوا الى التحقيق بمعرفتها فان قلت
فما سبب المنع من التفكر في ذات الله تعالى فالجواب ان سببه ارتفاع
المناسبة بين ذاتنا وذات الله ومن هنا انف اهل الله تعالى ان يجعلوا التفكر
من دابهم لاجال لا يعطي الحفظ ولا يدري ايصيب صاحبه ام يخطي
وقال في الباب الخامس والاربعين ومايه انما منعوا التفكر لانه لا يتعدى
احد امرين اما الجولان في المخلوقات واما الجولان في الاله على درجات
جولانه في المخلوقات ان يتخذها دليلا ومعلوم ان الدليل يضاد المدلول
فلا يجتمع دليل ومدلول في حد عند الناظر ابدا واما جولانه في الاله
ليتخذه دليلا على المخلوقات ففيه من سوء الادب ما لا يخفى لانه طلب
الحق لغيره اي ليدله على الكاينات فما طلبه تعالى لعينه وذلك غاية
الجهل فانه لا شيء ادل على الشيء من نفسه فان قيل فهل يتعدى علم احد
بالله تعالى فوق ما يعطيه نظره او هل يصح اجتماع اثنين في العلم بالله
تعالى على حكم التساوي فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين
وما تين ان علم كل انسان بالله تعالى انما هو على قدر نظره وما عليه في
نفسه ولا يصح اثنين في علم واحد في الله من جميع الجهات ابدا كما انما لا يجتمع

اجتماعهما على مزاج واحد فلا بد في الاثنين في الوجود ما يقع به الامتياز لثبوت
عين كل واحد ولو لم يكن الامر كذلك لم يصح ان يكونا اثنين انتهى وقال
في الباب السادس والتسعين ومايه قد جا النهي عن التفكر في ذات الله
ونزل العقل في ذلك وتعدي وظلم نفسه وما امرنا الله تعالى قط ان
نعلم كيف ذاته وانما امرنا ان نعلم انه اله واحد لا اله الا هو لا غير فلم
عن ذلك التفكر غالب العقول بل سبح بنظره وفكره الى ما لا حاجة له
به حتى انه وقع في ذلك جماعة انتموا الى اهل الله تعالى كابي حامد وغيره انتهى
وقال في الباب الثامن ومايتين اجهل الطوايف من طلب ان يعلم الله
مما يعلم الله نفسه فان قيل فايما اولى مخاطبة العبد ربه فبضمير الغايب
او بضمير الحاضر فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين ومايتين
ان خطاب العبد ربه بضمير الغايب اعلى في التنزيه من مخاطبته بضمير
المخاطب نحو اللهم اني اسئلك لان الحقايق تعطي انك ما حضرت الا مع
ما عرفته انت من الحق تعالى فما برحت عن نفسك واذا كان الاكابر يقولون
سبحانك ما عرفناك حق معرفتك فكيف بغيرهم وقال في الباب الثاني
والسبعين من الفتوحات اعلم ان خطاب الله تعالى بضمير الواجهة تحديد
وخطابه بضمير الغايب تمييز ولا بد للعبد من واحد منهما ولكن الثاني
اقوى في التنزيه وقال في الباب التاسع واربعين ومايه كما لا يجتمع
الدليل والمدلول كذلك لا تجتمع انت وربك في حد ولا حقيقة فانه الخالق
وانت المخلوق وقال الشيخ ايضا في باب الاسرار اعلم ان كل من وقف مع
الدليل حرم المدلول فاياك ان تقف مع الحق من كونه دليلا على نفسه
فانك ان وقفت معه على هذا الحد حرمته لان الدليل والمدلول لا يجتمعان
قط في حد وقال فيه ايضا لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم اصل فان
ذلك عماية وليس وراء الله مرمى وهناك يستوي البصير والاعمى وقال
فيه ايضا لو كانت العلة في الازل لكان المعلول لم يزل فاياك من ظهور
الشبه في صور الادلة فانها مضلة فما عرفه تعالى سواه وقال فيه

ايضا

ايضا اعلم ان البراهين لا تخطي فانها قوية السلطان وانما الخطا راجع الى المعبر
واذا كان الدليل لا يعرف الا بالدليل فليس الى العلم به تعالى سبيل فان من
علمت به معلوما وجهلته فما علمته لانك ما علمت به وقال فيه ايضا
التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وذلك لا يصح ولا
يوجد في العين وقال في شرحه لترجمان الاشواق اعلم ان كل عقل له عقل
مثله وليس للحق تعالى حق مثله فمن عرفه بعقله فما عرفه وقال في باب
الوصايا من الفتوحات اياك ان تدعي معرفة ذات خالقك فانك في
المرتبة الثانية من الوجود واما في حاد قابك فما عرفه تعالى هناك الا هو
تجلى معنى التوحيد عن الذوق انتهى فان قيل فما سبب وقوع الحيرة في الله
تعالى فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الخمسين من الفتوحات ان سبب
ذلك طلب الخلق معرفة ذاته باحد الطريقين اما بطريق الادلة العقلية
واما بطريق تسمى المشاهدة فالدليل العقلي يمتنع من المشاهدة والدليل
السمعي قد اوما اليها وما صرح وقد منع الدليل العقلي من ادراك حقيقة
ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية التي هو عليها في ذاته فلم يدرك
العقل بنظره الا صفات السلوب وقد سمى القوم ذلك معرفة فان قلت
فاذا كلما زادت حيرة العبد كلما ازداد علما بالله تعالى لكون العقل عجز عن
ضبط ما يدركه فالجواب نعم ولذلك كانت حيرة اهل الكشف اعظم
لا درا لهم التجليات مع الاناه فلا يستقر لهم في معرفته قدم يستقرون
عليه وقد قال في باب الاسرار لا يعقل الحق تعالى قط الا الها غير معقول
ولا يمكن قط في العلم تجريده بالكلية عن العالم المربوب واذا لم يعقل مجردا
عن العالم لم نعقل ذاته ولم نشهد من حيث هي فما اشبه العلم به العلم بالنفس
والجامع عدم التجريد فكما لا يتخلص شهود العلاقة التي بين نفسك
وبدنها فكذلك لا يتخلص لك معرفة العلاقة التي بين الله تعالى وبين العالم
فاد وكل من قال بتجريد النفس عن هيكل ما تدبره فما عنده علم بالنفس ماهيه
لانها لا تعقل نفسها قط الا في مركب انتهى وعبارة الشيخ في شرح ترجمان

ترجمان الاشواق اعلم ان اللطيفة الانسانية لا توجد دنيا ولا اخرى وهي مدبرة
لمركب ولا تترك قط لحظة واحدة لمشاهدة بسيطها وهي غريبة عن مركبها من
غير علاقة ابدا اقال وهذا بخلاف ما يراه بعض المتصوفة وغيرهم ممن لا
علم لهم بما الامر عليه فعلم انها لا تتصل ابد الاباد بالمنزه البسيط الاعلى لان
تدبيرها لمركبها وصف لازم فلا تتفرغ لغيره انتهى وقال في باب الاسرار
وقد تكون المعرفة بالشيء هي العجز عن المعرفة فيعرف العارف ان هذا المطلوب
لا يعرف وليس الغرض من المعرفة لشيء الا ان يتميز عن غيره فقد ميز وعجز
من لا يعرف بكونه لا يعرف فحصل المقصود انتهى وقال في كتاب لواقح الانوار
من سلك الى الله بالفكر ولم يبرح من الكون فما عنده غيره انتهى وقال
في باب الاسرار حقيق على الخلق ان لا يعبد كل واحد منهم ماهية الحق لجهلهم
بها وانما يعبدون ما يعتقدونه من صفات الحق دليلي في ذلك الله اكبر
حتى عند تحوله يوم القيامة في الصور وقال فيه ايضا اذا لمح القلب شهود
الحق تعالى فالحق حينئذ ضيف نازل يتعين القيام بواجب حقه لكن
اكرامه على قدر مقام ذلك القلب لا على قدر النازل وعند العوام ان الكرامة
تكون على قدر النازل لا المنزول عليه فلا يحجبك حديث انزلوا الناس
منازلهم لانا لو عاملنا الحق بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه قط مواصلة
فان قلت فاذا عظمة الحق تعالى انما هي راجعة لما يقوم في قلب العبد
من شدة التعظيم او قلته وليست راجعة لذات الحق في نفسها الا دراك
العبد الزيادة والنقص في علمه بالله تعالى فالجواب هو كما تقول فقد قال
الشيخ في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات اعلم ان العظمة الالهية
ليست راجعة لذات الحق تعالى وانما هي راجعة الى مقام العبد ومشاهدته
اذ لو كانت العظمة صفة للذات الالهية لكانت الذات مركبة من صفة
ذاتية ومعلوم ان قيام صفات المعاني بذاته تعالى محال كما يستحيل ان
تكون العظمة صفة نفسية وذلك من اجل ما ورد من انكار بعض الخلق
بعض التجليات في الاخرة مع كونه هو هو واذا بطل الوجهان فلم يبق الا ان

تكون

تكون العظمة صفة للعبد وكذلك اذا خرج ملك متنكرا في غير هيئته المعرو
ومشى في شوارع مدينته لا يقوم له تعظيم في قلب احد ولو ان العظمة كانت
صفة له لعظمه كل من يراه في حال تنكره انتهى وقال في هذا الباب ايضا
احذر ان تقول ان الحق تعالى متصف بصفات خلقه كما تعطيه اخبار
الصفات فان ذلك سوء ادب فما في صفات خلقه من النقص من حيث الحدث
وانما الادب ان تضيف اليه تلك الصفات ونؤمن به من غير تكييف ومن
اولها او ردها فقد اخطا طريق الصواب فان في تاويلها فوات كمال مقام
الايمان لا فوات اصل الايمان اذ لولا اعتقاد المؤول صحة تلك الصفة في جناب
الحق لما اشتغل بتاويلها انتهى وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله
يقول اياك ان تؤول اخبار الصفات فان ذلك دسيسة من الشيطان
ليفوت المؤمن الايمان بعين ما انزل الله قال تعالى امن الرسول بما انزل
اليه من ربه والمؤمنون وهذا المؤول ما امن حقيقة الا بما اوله بعقله
ففاته الايمان بعين ما انزل الله تعالى فليتامل انتهى فان قلت فما
اعلى معارف الاولياء وهل يدرك كيف الحق اذا تجلى فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب السادس والسبعين ومائتين ان اعلى المعارف للاولياء ان يعرف
احدهم التجليات الالهية لقلوبهم من حيث ورودها فهو يعرف من تجلى
ولماذا تجلى لا غير واما كيف تجلى فهو من خصائص الحق جل وعلا لا يعلمه
ملك مقرب ولا نبي مرسل وذلك لان الذات مجهولة في الاصل فعلم
كيفية تجليها غير حاصل ولا مدرك لاحد من خلق الله تعالى فان قلت
فمن هم اهل الانكار في التجليات الاخروية فالجواب هم ثلاثة اقسام
كل قسم ينكر ما فوقه لانه ما ثم الا اربعة اقسام اسلام وايمان واحسان
وايقان فاذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاسلام انكره الكفار جملة واذا
تجلى لاهل مقام الايمان فربما انكره بعض اهل الاسلام واذا تجلى الحق تعالى
لاهل مقام الاحسان فربما انكره بعض اهل مقام الايمان واذا تجلى لاهل
مقام الايقان فربما انكره بعض اهل مقام الاحسان وقال الشيخ في

الباب الستين وار بعماية ان كل من لم يذق شيا في هذه الدار انكره في الاخرة
فصاحب مقام الايقان لا ينكره تعالى في تجل من التجليات كالانبيا وكمل
ورثتهم لانهم جاوزوا مقام الاسلام والايمان والاحسان الى مقام الايقان
فان قلت هل في منع التجلي الذاتي في غير مظهر خلاف بين المحققين فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب التاسع والسبعين ومايه انه لا خلاف في منع التجلي
الذاتي في غير مظهر عندنا وعند اهل الحقايق ثم انشد

ولم يبد وها من شمس الوجود ونورها ❁ على عالم الارواح شي سوى القرص ❁
وليس تنال الذات في غير مظهر ❁ ولو هلك الانسان من شدة الحرص ❁
ولا ريب في قولي الذي قد يثبته ❁ وما هو بالقول المموه والخرص ❁

فان قلت فاذا قلتم بمنع وقوع التجلي الذاتي فبماذا تتعلق رويتنا
للحق تعالى فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثاني والثمانين ومايتين ان
الرويه تتعلق بحجاب العظمة بيننا وبين الحق تعالى ويحمل على ذلك ما ورد
من النصوص اذ لو رفع هذا الحجاب لعلمت ذات الحق تعالى وكل من زعم انه علم
ذات الحق من رويته له فلا بد ان ينكشف له جهله في الدار الاخرة فيعلم
يقينا ان الامر على خلاف ما كان يعتقده في الدار الدنيا ويبدو لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون انتهى فان قلت فهل التجلي في صور المعتقدات
والمعقولات واقع او هو ممنوع كالتجلي الذاتي فالجواب انه واقع وذلك
لان صور المعتقدات والمعقولات انما هي جسور يعبر عليها بالعلم اي يعلم
ان وراء هذه المظاهر امرا لا يصح ان يعلم ولا يشهد وليس وراء ذلك
المعلوم الذي لا يشهد ولا يعلم حقيقته ما يعلم اصلا انتهى كلام الشيخ
في الباب التاسع والسبعين ومايتين فان قلت فاذن من خاض في الذات
بفكره فهو عاص لله ورسوله فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثاني
والعشرين وثلاثماية نعم هو عاص لله ورسوله وما امر الله تعالى بالخوض
في معرفة ذاته لا النافي ولا المثبت وذلك لان العبد اذا عجز عن معرفة
كنه نفسه فعن معرفة كنه الحق تعالى اولى بل لو سئل الخايض عن

تحقيق

تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ما قدر ولو قيل له كيف تدبر نفسك
بذلك وهل هي داخلة فيه او خارجة عنه او لا داخلة ولا خارجة وهل الزايد
الذي يتحرك به هذا الجسم الحيواني ويسمع ويبصر ويتخيل ويفكر لماذا يرجع
هل لواحد او كثيرين وهل يرجع الى جوهر او عرض او جسم وبطالبه بالادلة
العقلية فضلا عن الشرعية ما وجد لذلك دليلا عقليا ابدا ولا عرف
ان للارواح بقاء وجودا بعد الموت ابدا انتهى فان قيل فاذا عبادة الناس
كلهم لله تعالى انما هي على الحس والسماع الا من شا الله لعدم رويتهم له في هذه
الدار فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثاني والعشرين وثلاثماية انه
لا سبيل الى عبادة الحق تعالى على الغيب المحض جملة فلا بد من تعلق العبادة
بما هو مشهود او كالمشهود كما اشار اليه خبر اعبد الله كانك تراه ويكفينا
هذا التعلق من فضل الله وكرمه والا فلو اخذ الله اصحاب العقايد من
طريق فكرهم لاهلكهم فان كل صاحب عقل قد قيد اوصاف ربه في
معرفته هو من طريق عقله ونظره وحصر ربه في كذا دون كذا ولا ينبغي
ان ينسب لله تعالى الا الاطلاق وقد عذر الله تعالى الخلق وهذا التقييد
وعفى عنهم اذ بذلوا وسعهم في طريق معرفته ولولا ان الحق تعالى عند
كل معتقد اسلامي لكان العبد بعيد عدما من حيث ان الحق تعالى
اذا وجد محصورا عند عبد لزم ان يكون مفقودا عند العبد الاخر فعلم
ان من تعرض لمعرفة الذات بعقله فقد تعرض لامر يعجز عنه وبرهان
ما قلناه اختلاف المقالات فيه تعالى من كل ناظر بعقله وعدم اختلاف
المقالات فيه من كل من جا من عند الله من رسوله وولي ملهم فالـ
ولو ان العاقل فهم معنى قوله تعالى ولم يولد لعلم ان جميع ما انتجه العقل
من فكره بترتيب مقدمته في معرفة الله تعالى مولود وقد نفى الحق تعالى
عن نفسه كونه يولد فاين ايمان هذا العاقل وقد ولد الحق بعقله فان
كان مومنا كان ذلك طعنا في ايمانه وان لم يكن مومنا فيكفيه انه ليس
بمومن انتهى وكذلك قال في باب الاسرار انما نفى الحق تعالى كونه لم يولد

يشمل ما ولدته العقول في حقه تعالى من المعارف فان ولادة العقول انما هي
عن نكاح سفاح بخلاف ولادة النصوص الشرعية انتهى فان قلت فعلى
ما قدمتموه لا يسلم لاحد من اهل النظر الفكري معرفته بل لا بد في طريق
معرفته من حصول اوهام وخيالات فالجواب نعم ذلك امر لازم وذلك
لانه لا يشهد الحق الا منعزلا عن العالم يبعد اقتضاه له تنزيهه فيجعل
هذا نفسه في جانب والحق في جانب اذ لا حلول ولا اتحاد ولذلك ينادي
ربه بالنداء المشعر بالبعد مع انه ما ثم بعد في نفس الامر الا بعد مرتبة
بساده عن مرتبة عبوديته لا غير ذكره الشيخ في الباب السبعين وثلاثمائة
وقال في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة اعلم ان الحق تعالى لا يدرك
بالنظر الفكري ابدا وليس عندنا ذنب اكبر من ذنب الخائضين في ذات الله
تعالى بفكرهم فانهم قد اتوا باقصى درجات الجهل ثم انهم لما اعطاهم الفكر
خلاف ما جاءت به الرسل اخرجوا الى تاويل بعيد لينصروا جانب الفكر
على اعلام الله تعالى عن نفسه من حيث لا يشعرون ولو انهم لزموا الادب
ووقفوا على حد ما ورد من اخبار الصفات ووكلوا علم كيف ذلك الى الله تعالى
ولم ينالوا لاعطاهم الله تعالى الفهم في ذلك باعلام اخر ينزله في قلوبهم
فتكون المسئلة منه وشرحها منه وكانوا يعرفون الله تعالى باعلامه لا بنظرهم
انتهى فان قلت فهل تنزل الحيرة من احد في جانب الله تعالى اذا بلغ
مراتب الكمال فالجواب كما قاله الشيخ في باب الثاني والخمسين وثلاثمائة
ان الحيرة تزول من قلب العبد اذا تجلى الحق تعالى له في غير مادة وحينئذ يسكن
قلبه من الاضطراب وتزول عنه الحيرة ويعلم عند ذلك من الله ما لم يكن يعلم
قبل ذلك التجلي لكن لا يقدر احد على تعيين ما قد تجلى له من الحق الا كونه تجلى
له في غير مادة لا غير فان قيل فما سبب عجز العبد عن تعيين ما تجلى له من
الحق فالجواب ان سبب ذلك كون الحق تعالى ما تجلى قط لعبد بعين
ما تجلى به لعبد اخر ابدا فلذلك كان لا يقدر عبد على تعيين ما تجلى فيه ولا
التعبير عنه ثم ان العارف اذا رجع من هذا المقام الى عالم نفسه الذي هو

عالم

عالم المواد صحبه تجلي الحق تعالى فما من حضرة يدخلها من جميع الحضرات الا وترى
الحق تعالى قد تحول بحكم تلك الحضرة لان العارف قد ضبط منه اولا ما ضبط
فلا يجهله بعد ذلك ابدا الا انه تعالى لقلب عبد في شيء من المعارف واحتجب
عنه بعد ذلك واطال الشيخ محي الدين في ذلك ثم قال وفي الحضرة يجمع
العبد بين الضدين ولا يقدر على انكار ذلك من نفسه والله اعلم وقد
قدمنا في هذا المبحث ان علم كيف تجلي الحق تعالى من خصايص الحق لا يعلمه
نبي مرسل ولا ملك مقرب ويؤيده قول الشيخ في الباب الثاني والثمانين
وثلاثمائة ان للحق تعالى بنفسه علما ما هو عين ما حكم به العقل عليه ولا
هو عين ما شهده البصر وحكم به عليه ولا عين هذين الحاكمين انتهى
وقال الشيخ عبد الجبار النفري في المواقف اوقفني الحق تعالى
وقال لي اعلم ان حجابي الجهل بي فهو دايما امام حضرتي فلا معلوم لخلقي
الا جهلهم بي لعدم احاطتهم به وقال ايضا اوقفني الحق تعالى
وقال لي اعلم لا اظهر لعبده الا بعد ان يتفرغ من جميع علومه ومعارفه
ويدخل حضرة الجبروت فاذا دخل فهناك يشهد المعرفة اصناما
والعلوم ازلاما وقال ايضا قال لي الحق معرفة لا جهل فيها لا تقع
وجهل لا معرفة فيه لا يبدوا وانا اظهر من الظاهر واخفى من الباطن واقرب
الى كل شيء من نفسه وجميع ما اظهرته لعبادي من التعرفات لا تحتمل تعرفي
الذي لا يبدوا فاني لا انا التعرف ولا انا العلم ولا انا كالتعرف ولا انا
كالعلم وليس القرب الذي عرفه عبادي هو القرب الذي اعرفه انا فلا
قربي عرفوا ولا بعدي عرفوا ولا وصفي كما يليق بجلالي عرفوا فانا قريب
بعيد بلا مسافة وهم لا يعرفون قربي وبعدي الا بالمسافة وقال فيها
اوقفني الحق تعالى وقال لي ان اردت ان تعرف لك فارم علمك لي من وراء
ظهرك ولا تدخل حضرتي بعلم ولا جهل وقف من وراء الكون واساله عني
تجد الكون جاهلا بي واسال الجهل عني تجده جاهلا بي فاني انا الظاهر

لا كما ظهرت الظواهر وانا الباطن لا كما بطنت البواطن وشهود عبدي لي مع غير
لا يصح فان اردت ان تعرف لك فلا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك ولا عن
يمينك ولا من شمالك ولا في علمك ولا في وجدك ولا في ذكرك ولا في فكرك
وانظر من قبل الكون فهنالك مقامك فاقم فيه تنظر الي كيف اخلق الاسور
وقال فيها ايضا اوقفني الحق تعالى وقال لي ان اردت ان تعرف لك فاخرج
عن شهودك الموصول والمفصول وعن العلم الذي ضده الجهل وعن الجهل الذي
ضده العلم وعن المعرفة التي ضدها النكره واطال في ذلك فان قلت فما
تقول فيمن اخذ معرفة الحق تعالى من خلق حجاب الحروف والالفاظ
الواردة والكتاب والسنة فهل يسمى عارفا فالجواب كما قاله الشيخ في باب
الوصايا من الفتوحات ليس هو عارفا بل هو جاهل بالله تعالى ليس له نفحة
من نفحات الجود الالهي قال وايضا ذلك ان من اخذ معرفة الحق تعالى
من الحروف فهو يتردد من كون الى كون بدايه ونهايه وقال الشيخ ايضا
في شرحه لترجمان الاشواق من عرف الله بالله فقد عرفه ومن عرفه بالكون
فقد عرف ما اعطاه ذلك الكون لا غير فما برح من جنسه وقال الشيخ ايضا
في لواقح الانوار اعلم ان من الناس من ادخل في تحرير الادلة واغرقه في
التفتيش وكلما قام بباطنه امر نفاه فكان غاية هذا انه وقف بعد
التعب مع قوله تعالى ليس كمثله شي فهذا قد قطع عمره في التفكر فيمن
لا يصح افتتاحه بالفكر وشغل المحل بما نهاه الله تعالى عنه ومن الناس من كان
هذا بدايته فاستراح من اول قدم وفرغ المحل فبقي قابلا للمواهب
والمعارف وقال الشيخ في الباب الثالث والسبعين واربعمايه اعلم ان
غاية امر من خاض في الذات من القدما والمتصوفه انهم عصوا الله عز وجل
بذلك واحتجوا بامور هي عليهم لا لهم ثم انهم بعد استيفا النظر اقروا
بالعجز ولو انهم لزموا الادب مع الله تعالى لكان ذلك الاقرار وقع منهم
في اول قدم لكنهم تعدوا حدود الله الذي هي اعظم الحدود وجعلوا ذلك
قربة اليه والحال انهم في ذلك من ابعد ما يكون عن حضرته تعالى فان قيل

فمن

فما علي المحامد التي يثني العبد بها علي الله تعالى فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب السابع والستين واربعماية اعلي المحامد عند جميع المحققين عقلا
وشرعا قولنا هو تعالى كما اثنى علي نفسه وقولنا ليس كمثله شي اذ لا يصح لعبد
ان يثني علي ربه عز وجل بما لا يعقله العبد وما بقي الا ان يثني عليه العبد
بما يعقله فقط ومعلوم ان الحق تعالى من ورا كل ثنا للعبد فيه ثبوت
فكل شي علمته لو عقلته كان علي صنعتك ولابد ومن هنا قالوا حقيقه
التسبيح عن التسبيح كقولهم التوبه من التوبه وايضاح ذلك ان التسبيح
تنزيه ولا نقص في جانب الحق تعالى يعقله العبد حتى ينزه خالقه عنه
فافهم وقال ايضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمايه اعلم ان من
فهم معنى قوله تعالى ليس كمثله شي لم يفكر قط في كنه ذات الحق ابدا
وما رايت احدا ممن يدعي انه من فحول العلما من اصناف النظار الا وقد
تكلم في ذات الله تعالى بفكره زاعمين انهم ينزهونه حتى وقع في ذلك ابو
حامد الغزالي رحمه الله لكنه رجع عن ذلك قبيل موته قال الشيخ
وكان من فضل الله تعالى علي ان حفظني من التفكر في ذاته فلم اعرفه تعالى
الا من قوله وخبره وشهوده فبقي الفكر مني معطلا في هذه الحضرة فشكر
فكري علي ذلك وقال الحمد لله الذي عصمني بك عن التصرف
والتعب فيما لا ينبغي لي ان اتصرف فيه وكان ذلك من مبايعه سابقه
فاني كنت قد بايعت فكري ان لا يتعب في التفكر في ذات الله وان يصرف
تعبه في الاعتبار فبايعني على ذلك فلله الحمد علي صرفه في الشغل الذي
خلق له انتهى وقال الشيخ ايضا في الباب الثالث والسبعين اعلم
ان اكثر الشريعة قد جا علي فهم العامه في صفات الحق تعالى رحمه بهم
ولم يجي علي فهم الخواص الا بعض تلويحات نحو قوله ليس كمثله شي وقوله
سبحان ربك رب العزة عما يصفون لان العزيز هو المنيع الذي لا يوصل
اليه بفكر ولا عقل انتهى فان قلت فاذن لا سبيل للعبد الى التنزيه
الخالي عن التشبيه ابدا فالجواب كما قاله الشيخ في الثاني والسبعين نعم

لا سبيل لمخلوق اليه الا برد العلم فيه الى الله تعالى فقد صدق والله ابو سعيد
الخراز حيث قال لا يعرف الله الا الله انتهى فان قلت فاذا كان الحق تعالى
لا يشبه خلقه في شيء مطلقا فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم
على صورته فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة ان
المراد هنا بالصورة ان الله تعالى جعل كلا من ادم وبنيه يامر وينهى ويعزل
ويولي ويواخذ ويسامح ويرحم ونحو ذلك لكونه خليفة في الارض اذ الصورة
تطلق ويراد بها الشان والحكم والامر اي ان الله تعالى جعل ادم يفعل
بامره تعالى ما شاء الله له فهذا هو معنى الصورة انتهى وذكر الجلال السيوطي
ان الحديث وارد على سبب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى شخصا
يلطم مملوكه على وجهه فقال لا تفعل هذا فان الله خلق ادم على صورته
اي فينبغي لك اكرام صورته انتهى فهذا هو المراد بالصورة والله اعلم
فان قلت فما معنى حديث الطبراني رايت ربي في صورة شاب امرد قطط له
وفرة من شعر وفي رجليه نعلان من ذهب الحديث فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب الرابع والستين ان هذه الروية كانت في عالم الخيال ان يجسد
ما ليس من شانه التجسد من المعاني فيرى الاسلام قبة والعلم لبنا
والقيد ثباتا في الدين ونحو ذلك فلا شيء في الكون اوسع من الخيال فانه يحكم
بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ويصور العدم المحض والمحال والواجب
والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا قال ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم لجابر اعبد الله كانك تراه وقال ان الله في قبلة احدكم
خطابا لمن هو في حضرة الخيال وانما خص وجود الحق بالقبلة ليفتح له باب
تخيله تعالى في القبلة ليراقبه العبد ويستحي منه ويستفهم حرمة الادب
اذا رجعت عليه فيعلمه الحق تعالى بها من باب الالهام ويلزم الادب في صلاته
فلولا انه صلى الله عليه وسلم علم ان عند المسلم في مقام الاحسان حقيقة تسمى
الخيال لها هذا الحكم ما قال اعبد الله كانك تراه اي كانك تراه ببصرك
مع ان الدليل العقلي يمنع من كان لانه تخيل بدليله التشبيه والبصر

ما ادرك

ما ادرك شيئا سوى الجدار واطال في ذلك قال فما خاطبك الشارع بما
قلنا الا لتتخيل انك تواجه الحق في قلبك وان كان الحق تعالى لا يتحيز
لانك لا تعقل الحق الا لذلك ما دمت محبوسا في دائرة عقلك
فاذا اعطاك الحق تعالى القوة التي فوق طور الحق بالجنيد تشهد
الحق تعالى من غير تحيز فقد علمت ان من شان الخيال ان يصور من
يستحيل عليه الدليل العقلي الصورة والتصور انتهى وقال
في الباب الثالث والسبعين انما سمي العقل عقلا لانه ماخوذ من
العقال فلا قدم له في معرفة الحق تعالى في رتبة الاطلاق انتهى
وقال في الباب الثامن والستين اعلم ان اعظم حجاب يحجب به العبد
عن رويته الحق تعالى هو الصورة التي تقع في ذهن العبد تجلي الحق فيها
فانه تعالى ما هو تلك الصورة المتحيزة تعالى الله عن ذلك مع ان العبد
لا يصح قط ان يرقى عن التجلي الصوري الا ان خرج عن عالم المواد انتهى
فان قلت فما حكمة منع المخلوقات من ان تعلم الحق تعالى من كل وجه فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان حكمة ذلك ان يمنع من علم سر
القدر اذ لو صح للمعلومات ان تعلم الحق من كل وجه لعلمت سر القدر ولو
علمت سر القدر لعلمت احكامه ولو علمت احكامه لاستقلت بالعلم
بكل شيء وما احتاجت الى الحق تعالى في شيء وذلك محال انتهى فان قيل
قد اخبر الله تعالى بانه اقرب الينا من حبل الوريد واذا كان منا بهذا
القرب العظيم فكيف جهلناه فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الخامس
والثمانين ان شدة القرب حجاب كما ان البعد حجاب وتامل الهوا لما
كان بلطافته ملاصقا للباصر كيف لم يدركه البصر وكذلك الما اذا غطس
فيه العبد وفتح عينيه فيه لا يراه لشدة قربه فان قلت فاذا
كان الحق تعالى منا بهذا القرب العظيم فاين السبعون الف حجاب
من النور والظلمة التي اخبرنا الشارع بانها بيننا وبين الحق تعالى فالجواب
كما قاله الشيخ ان هذه الحجب كناية عن شهود العبد بعده من حضرة

الحق يقل لما يعطي الله تعالى مثالا فهي راجعة الي شهود العبد والحق تعالي
لا يحجب وايضاح ذلك ان العبد المومن مشتمل علي علم وجهل فالعلم يدركه
حجب النور والجهل يدرك حجب الظلمة كل بما يناسبه فافهم فان قلت
فهل يصح رفع حجاب العظمة الذي بين العبد وربه فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب الرابع والخمسين وما تين لا يصح رفع حجاب العظمة
عن الحق ابدا الذي هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى فلا تقع عين
عبد قط الا علي هذا الحجاب فاذن العبد راه وما راه وقال في الباب
الحادي والخمسين وما تين فسبحان من لا يعلم الا بانه لا يعلم وقال
في الباب السابع عشر وثلاثمايه فسبحان الظاهر الذي لا يخفى وسبحان
الاخفى الذي لا يظهر وقد حجب تعالى الخلق به عن معرفته واعماهم عن
رويته بشدة ظهوره فهم منكرون مقرون مترددون حايرون
فان قلت فعلي ما قررتموه فما معنى قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا
الي الله علي بصيرة انا ومن اتبعني فالجواب كما قاله الشيخ في الباب
الثالث والسبعين ان المراد به ادعوا الي طريق الله تعالى الخاصة
التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام علي حذف مضاف ومن
ادعي انه يدعوا الي الله حقيقة من غير حذف مضاف قلنا له كيف عرفت
من ليس كمثله شي حتى تدعوا الناس اليه فانه لو كان مثله شي لوقع التماثل
وهو تعالي لا يماثل فليس مثله تعالى شي وليس مثله لا شي ومن هو
كذلك لا يعرف فبطل دعواك معرفته تعالي انتهي وقد قال
بعض العارفين لشخص من مشايخ العصر ممن اعتقدت القربة حتى
دعوت الناس اليه فان قلت اعتقدت قربي من الله تعالي قلنا لك
هذا تحديد للحق ومن حد الحق فقد جهل والجاهل لا يكون داعيا
وان قلت انما دعوت الناس الي طريق سعادتهم قلنا لك سعادة
السعدا من الخلق لم تزل قايمة بهم وما برحت في حال دعايهم اليها
وما دعت الاكابر قومها الا امتثالا لامر ربهم لا غير انتهى فان قلت

فاذا كان الحق تعالى لا تعقل ذاته فالجهات كلها متساوية في توجهنا له
تعالي فلم اذا شرع لنا استقبال الكعبة بالخصوص حال صلاتنا وغيرها
فالجواب كما قاله الشيخ في لواقح الانوار ان الحكمة في تخصيص الاستقبال
بجهة الكعبة كوننا لا تجتمع قلوبنا الا اذا توجهنا الى جهة واحدة
لان احدنا ذو جهة فلا يقبل ان يتعقل الا ذا جهة ومن هنا قالوا
قالوا كلما خطر ببالك فالله تعالي بخلاف ذلك واوجبوا علي العبد
ان ينزه الحق تعالي عن ما ظهر له وصرفه عن خاطره فافهم فكان تخصيص
توجهنا الى الكعبة شفقة من الحق تعالي علينا ليجمع هممنا عليه
سبحانه وتعالي والا فسائر الجهات في حقه تعالي سوا قال تعالى
فاينما تولوا فثم وجه الله قالت واعلم انه من اعجب الامور ان العبد
يعلم ويتحقق ان الحق تعالي ليس في جهة ثم مع ذلك يغلب وهمه
علي عقله فلا يشهد الحق تعالى الا متعاليا في جهة الفوق وربما
يستدل بعضهم بقوله تعالي يخافون ربهم من فوقهم وليس في
الاية دليل صريح علي ذلك لان المراد يخافون ربهم ان ينزل عليهم
عذابا من فوقهم يعني من السما والمراد فوقيه الرتبة والمكانة لا المكان
روى الحكيم الترمذي مرفوعا ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن
الابصار وان الملأ الاعلي يطلبونه كما تطلبونه قال ومن هنا قال
المحققون ان علم العبد بان الله تعالي يراه اكمل في التنزيه من شهود
كون العبد لانه يراه لان العبد لا يشهده الا مقيدا غير مطلق
وتعالي الله عن التقييد قال الشيخ وليحذر المصلي حال استقباله
الكعبة ان يرى نفسه مستقبلا في جهة معينة بل يري الجهات كلها
متساوية وهي وجه الحق تعالى عند المحقق ومن توهم ان نفسه
قد احاطت بها الجهات كصورته الظاهرة وبقي الحق في وهمه كالدايرة
المحيطة به فهو لم يشم من معرفة الله تعالي رايحة ولو كان محققا لراي
نفسه لم تحط بها الجهات الست وذلك لانها ليست من عالم الحس

فكما يري نفسه في غير جهة كذلك يشهد الحق في غير جهة واما ظاهر العبد
فهو متوجه الى جهة الكعبة فقط فعلم ان رويه الحق بالباطن روية
مطلقه غير مقيده واطال في ذلك واعلم يا اخي ان مسئله القول
بالجهة قد زل فيها خلق كثير حتى نقل القول بالجهة عن سيدي عبد القادر
الجيلي وسياتي بسط ذلك في المبحث السابع وفي مبحث الاستوا على العرش
ان شا الله تعالي وقال الشيخ في الباب التاسع عشر وثلاثمايه اعلم ان
الذات المقدس له الغني على الاطلاق وكيف للمحدث انه يعرف
القديم وقال الشيخ في الباب الرابع والعشرين والثلاثمائة في قوله
تعالى واستغفر لذنبك المراد بالذنب هنا ما يخطر ببال العبد من
طلب معرفه ما هو الحق تعالى عليه من الحقيقة التي لا تعرف في الذات
والمراد بذنبه صلى الله عليه وسلم ذنب امته فهو المخاطب والمراد به
غيره هذا هو اللايق بمقامه صلى الله عليه وسلم وقال في الباب
الستين وثلاثمائة ما حرم النظر بالفكر في ذات الله الا لكون ذلك
لا يودي صاحبه الى معرفه الحقيقة كما يعرف ذلك كل ذي عقل سليم
وقال في الباب التاسع والستين وثلاثمائة ما سمى الحق نفسه بالباطن الا
لبطون العلم بالذات واذا كانت ذات الحق تعالى غير معلومة فهي باطنه
عن جميع الخلق دنيا واخرى وقال في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة
واذا كانت ذات الحق تعالى غير معلومة فالحكم عليها بامر دون اخر
جهل عظيم وقال في الباب السابع واربعين اعلم ان ذات الحق تعالى
لا يعلمها احد من خلق الله تعالى فهي وراء كل معلوم انتهى كلام الشيخ محي الدين
في جميع ابواب الفتوحات في الكعبة وغيرها فتامل يا اخي فيه فانك
لا تكاد تجده في كتاب مجموعا هذا الجمع ابدا ومنه يعلم كل عاقل خارج عن
الهوي والتعصيب ان الشيخ رضي الله عنه بلغ في مقام التنزيه لله تعالى
ما لا يكاد يري احد من الاوليا بلغه وانه رضي الله عنه بري من العقول
الباطنية خلاف ما اشاعه من لا يخشى الله عز وجل وقد صرح في عقيدته

الصغري

الصغري بما معناه اعلم ان الحق تعالي ليس بجوهر فيفتقر له المكان ولا بعرض
فيستحيل عليه البقا ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقا فهو منزه عن الجهات
والاقطار انتهى وقال في باب الاسرار انما ذهب جمهور المتكلمين الى نعدام
العرض لنفسه ليكون الخالق خلاقا على الدوام وبالجملة فالحق تعالى
مباين لخلقه في ساير المراتب وهو من ورا معلومات جميع الخلق والسلام
قد بر هذا المبحث والله يتولى هدا خاتمة كان الاستاذ ابو اسحق
الاسفرايني رحمه الله يقول جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه
اهل الحق في كلمتين الاولى اعتقاد ان كل ما تصور في الاوهام فالله بخلافه
الثانية اعتقاد ان ذاته تعالي ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن
الصفات وقد اكد ذلك تعالى بقوله ولم يكن له كفوا احد انتهى واعلم يا اخي
ان الحق تعالي هو المنزه نفسه بنفسه وقد قال الشيخ في الباب الثاني
والسبعين ومائتين ما نصه اعلم ان الحق تعالى انما ينزه عن صفات خلقه
بتنزيه التوحيد اياه لا بتنزيه من نزهه من المخلوقين لان تنزيه المخلوق
مركب والمامور بذلك مخلوق فلا يصدر عنه الا ما يشاكله لكن لما تعبدنا
الشارع بالتنزيه افرناه في موضعه وقلناه كما امرنا به على جهة القربة اليه
مع اعتقادنا انه ليس كمثله شي فليس التنزيه الذي امر به العبد هو عين
التنزيه الذي نزه الحق تعالى به نفسه فان قلت فما الفرق بين التنزيه
والتقديس فالجواب كما قاله الشيخ في لواقح الانوار ان الفرق بينهما هو
ان التنزيه لا يكون الا مع استشعار توهم نقص في جانب الحق تعالي
واما التقديس فلا يكون الا في صفات الكمال والجلال مع عدم الاستشعار
وجود توهم نقص هنالك فعلم ان التقديس اكمل في حق العبد من التنزيه
ولذلك قال الشيخ في باب الاسرار التسبيح تجريح فان من لا يلحقه نقص
لا ينزه لكن لما وقع استشعار نقص ما من بعض العبيد حين حملوا الحق
تعالي على صفاتهم في بعض المواضع شرع للعبد ان ينزهه عن هذا الشعور
وان كان ذلك محالا عند التامل وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله

يقول تسبيح العلما بالله تعالى انما هو حكاية من قول الله تعالى عن نفسه
فيقولونه على سبيل التلاوة ليلا يتهم عن الوقوع في التوهم المشعر بنقص ما
رضي الله عنهم اجمعين وقد قدمنا نظير ذلك في مبحث التوحيد والله تعالى اعلم

المبحث الخامس في وجوب اعتقاد انه تعالى احدث العالم كله من غير حاجة اليه ولا موجب اوجب ذلك عليه

وانما علمه تعالى به سبق فلابد ان يخلق ما خلق فهو تعالى غني عن العالمين
فاعلا بالاختيار لا بالذات وموجود بذاته من غير افتتاح ولا انتها بل
وجوده مستمر قايم بذاته سبحانه وتعالى هذا كلام المتكلمين ونبسط
الكلام على هذا المبحث بنقول الشيخ محي الدين رضي الله عنه فنقول وبالله
التوفيق ذكر الشيخ في الباب التاسع والعشرين ومايتين من الفتوحات
انه لا يجوز ان يقال ان الحق تعالى مفتقر في ظهور اسمايه وصفاته الى وجود
العالم لان له الغنى على الاطلاق قلت وهذا رد صريح على من نسب
الى الشيخ انه يقول ان الحق تعالى مفتقر في ظهور حضرات اسمايه الى
خلقه ولو خلقه ما ظهر ولا عرفه احد واجمع العقلا كلهم على انه تعالى
لا يتصف بالقدرة على نفسه ولا بالارادة لوجوده لان من شان الارادة
ان لا تتعلق الا بمعدوم والله موجود ومن شان القدرة ان لا يتعلق الا
بممكن او واجب بالغير والله تعالى واجب الوجود لنفسه انتهى فان
قلت اذا كان الحق تعالى لا يجب عليه شي فما معنى قوله تعالى كتب
ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله وكان حقا علينا نصر المومنين فان ذلك
موذن بان الحق تعالى ليس له ان يخلق ما اوجب على نفسه من الرحمة
والنصر للمومنين فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين
وثلاثماية ان للحق تعالى ان يوجب على نفسه ما شا ولكن لا يدخل
تحت الواجب على عباده من المنع من ترك ذلك الواجب لانه تعالى
يفعل ما يريد فله تعالى ان يخلف ما كتبه ويخذل من شا من المومنين
ولا يلحقه ذم ولا لوم لان الواحد المختار لا يصح منه ان يلزم نفسه

ولو الزمها لا يلزمه الوفا بخلاف العبد اذا اوجب على نفسه شيا بالنذر يلزمه
الوفا به لدخوله تحت حد الواجب الشرعي ويأثم اذا لم يوف نذره مع القدرة
وذلك كالعقوبة له لكونه اوجب على نفسه لم يوجبه الله تعالى عليه
وزاحم الحق في التشريع وما قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين
فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثلاثين ان العلم الالهي
اذ تعلق ازلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه
اي لابد من وجود تلك الطريق الموصلة الى ذلك الامر الذي يتعلق به
العلم واطال في ذلك قال فعلم ان الحق تعالى لا يوجب عليه شي ولو
اوجب على نفسه شيا فله الرجوع عنه من حضرة الاطلاق فان للحق تعالى
حضرتين حضرة تقييد نحو قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذه
لا يصح شرعا ان يخلف ما اخبر به منها وحضرة الاطلاق نحو قوله تعالى
يغفر لمن يشا ويعذب من يشا ومذهب المحققين من اوليا الله تعالى ان
ان يطلقوا ما اطلقه الحق ويقيدوا ما قيده الحق ادبا لفظيا ولا يجعلوا
خاصا على عام ولا عاما على خاص انتهى ويويد ما ذكره الشيخ ايضا في الباب
الثالث والتسعين ومايتين في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شي فساكتبها
للذين يتقون الى اخر النسق وهو ان للحق تعالى جودان جود مطلق
وجود مقيد قال وهذه الاية من الجود المطلق واما الجود المقيد فهو
قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي اوجب وفرض على نفسه الرحمة
لقوم خاص نعتهم بعمل خاص وهو قوله انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب
من بعده واصلح فهذا جود مقيد بالوجوب لمن هذه صفته بحكم الوعد السابق
منه تعالى وهو عوض عن هذا العمل الخاص فان التوبة والاصلاح من
من الجود المطلق وقد قابل وجوده بجوده فما عليه سبحانه سواه ولا قيده
غيره فالتقييد بين هذين الجودين كانه عرض زايل قال وقد بان لك
ان وجه الاطلاق مشروع ووجه التقييد معقول كما انه تعالى حجر
اطلاق نسبة الولد اليه وادخله تحت حكم ابويه كما حجر تعالى تبديل

القول الالهي بقوله ما يبدل القول لدي قال الشيخ والعقل يدل على الاما
ني لولد دلالة عقلية وفي نحو قوله ولو شا لهداكم اجمعين دلالة عقلية
وقد دلت لفظة او على انه تعالى مخير في نفسه ان شا امرا ما شاه وان شا
لم يشاه فقد رايت ورود الاخبار الالهي كما نري ومع ذلك فالعقل يحيله
واطال في ذلك ثم قال فقد بان لك مما قد رناه ان الحق تعالى انما اوجب
على نفسه بعض امور تانيسا لنا فيما نوجبه على نفسنا لنا من الصلاة
والقربات الشرعية فان اوجبناه لربنا سبحانه كالنذر اوجبه علينا التبرز
عنه فنعصي بتركه ولو انه تعالى ترك ما اوجبه على نفسه لم يكن له هذا
الحكم فيما اوجب علينا فعل ما اوجبناه على انفسنا الا من حيث ما اوجبه
الحق علينا الا من حيث ايجابنا ذلك على انفسنا فانه لو لم يوجب تعالى
علينا ما اوجبناه على انفسنا لم نكن عصاه اذا تركناه واما الحق تعالى
اذا اوفى بما اوجبه على نفسه فهو فضل منه ومنه ومكارم اخلاق
فان قلت هذا ظاهر فيما اذا كان الوفا منه بما وعد من الخير فان كان
بما توعد به العصاه من الشر فما حكمه فالجواب انما ثم شي يصدر منه
تعالى الا وهو خير ولكن الخير على قسمين خير محض وغير ممتزج فالخير
المحض هو الذي لا تكرهه النفوس والخير الممتزج هو فيه ضرب من الشر
كشرب الدوا الكريه فصاحب هذا الخير كالمعذب المرجو تجد عذابه
اذا امله رحمة ونا ديبا هذا حكم عصاة الموحدين واما من حقت عليه
كلمة العذاب من الاشقيا فذلك في شر محض لا رحمة فيه بوجه من
الوجوه نسال الله اللطف وقال الشيخ في الباب الثالث والتسعين
وماتين ايضا ما يويد اعتقاد اهل السنه والجماعة من ان الحق تعالى
لا يجب عليه شي وهو ان سهل ابن عبد الله التستري رضي الله عنه
قال لقيت ابليس مرة فعرفته وعرف مني انني عرفته فوقع بيني وبينه
مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه
وقف وحار وحرت فكان اخر ما قال لي يا سهل ان الله تعالى قال

ورحمتي

ورحمتي وسعت كل شي عم ولا يخفى عليك انه شي وكلمة كل يقتضي الاحاطة
والعموم الا ما خص وشي انكر النكرات فقد نالتني انا وجميع العصاة
فباي دليل تقولون ان رحمة الله لا تنالنا فقال سهل فوالله لقد اخرسني
وحيرني بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الاية وفهمه منها ما لم اكن
افهمه وعلمه من جلالتها ما لم اكن اعلمه فبقيت حايرا متفكرا واخذت
اردد الاية في نفسي فلما جيت الى قوله فساكتبها للذين يتقون ويوتون
الى اخر النسق سررت بها وظننت انني قد ظفرت بحجة ظهرت عليه
بما يقصم ظهره فقلت له تعالى يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها
بنعوت مخصوصة تخرجها عن ذلك العموم قال فساكتبها للذين يتقون
الى اخر الاية فتبسم ابليس وقال يا سهل التقييد صفتك لا صفته
تعالى ثم قال يا سهل ما كنت اظن ان يبلغ بك الجهل بالله ما رايت ولا ظننت
انك ها هنا ليتك سكت ليتك سكت قال سهل فرجعت
الى نفسي وغصصت بريقي واقام الما في حلقي وما وجدت له جوابا
ولا سددت في وجهه بابا وعلمت انه طمع في مطمع وانصرف وانصرفت
ووالله ما ادري بعد هذا ما يكون فان الله تعالى لم ينص بما يرفع هذا الاشكا
فبقي الامر عندي على المشيئة منه في خلقه لا احكم عليه في ذلك الا
بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الايمان به انتهى كلام سهل قال
الشيخ محي الدين وكنت قديما اقول ما رايت اقصر حجة من ابليس ولا اجهل
منه فلما وقفت على هذه المسالة التي حكاها عنه سهل رضي الله تعجبت وعلمت
ان ابليس قد علم علما لا جهل فيه فله رتبة الافاده لسهل في هذه المسالة
انتهى فقد بان لك ان الله تعالى خلق العالم كله من غير حاجة اليه ولا نوجب
اوجب ذلك عليه واما وجه كونه تعالى غنيا عن العالمين فقد قال الشيخ
رحمه الله في الباب الثاني والسبعين ان الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره
اليه وانما الاسباب في حال عدمها الامكاني لها طلبت وجودها حتى هي
مفتقرة اليه بالذات وهو الله تعالى لا تعرف غيره فلما طلبت بفقرها

الذاتي من الله تعالى ان يوجدها قبل الحق تعالى سؤالها لا من حاجة قا
به ايهما لانها كانت مشهودة له تعالى في حال عدمها الشبي كما هي مشهودة
له في حال وجودها سوا فهو يدركها سبحانه على ما هي عليه في خفا نفسها حال
وجودها وعدمها بادراك واحد فلهذا لم يكن ايجاده للاشيا عن فقر
بخلاف العبد فان الحق تعالى ولو اعطاه حرف كن واراد ايجاد شي
لا يوجده الا عن فقر اليه وحاجة فما طلب العبد الا ما ليس عنده ليكون
عنده فقد افترق ايجاد العبد عن ايجاد الحق تعالى قال الشيخ وهذه
مسئلة لو ذهبت عينك جزا لتحصيلها لكان قليلا في حقها لانها مزلة قدم
زل فيها كثير من اهل الله تعالى والتحقوا فيها بمن ذمهم الله تعالى في قوله
لقد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا انتهى فان قلت قد نقل
بعضهم عن الشيخ انه كان ينشد ٭ الكل مفتقر ما الكل مستغني ٭ هذا هو
الحق قد قلنا ولا تكني ٭ اعلم مثل ذلك مدسوس عليه في كتاب الفصوص
وغيره فان هذا نصه يكذب الناقل عنه خلاف ذلك وقال ايضا في
الباب الحادي والستين وثلاثمائة في قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين
اي غني عن وجود العالم لكن لما اظهر الله الاسباب ورتب ظهور بعضها
على ظهور بعض زل نظر بعضهم فقال ان الله تعالى غني عن وجود العالم لا عن
ثبوته ففهم بعض المقلدين من هذه العبارة رايحة الافتقار من حيث ترتيب
الظهور مع غفلته عن كون ذلك فعل مختار في الاصل غني عن العالمين
فزلت بهذا قدم العرور في مهوات من التلف فانه لا يلزم من كون
العالم ثابتا في العلم الالهي الافتقار الى وجوده فان من كان غنيا عنه
وعن ايجاده لا يوصف بافتقار اليه واذا تعارض عند العاقل مزلات
الاقدام فليكن مع وصف الحق تعالى بالكمالات فانه حينئذ ناصر جناب
الحق قال وايضاح ذلك ان تعلم يا اخي ان العلم لما تعلق بالعالم من حيث
ثبوته فيه النفي بذلك ثم ان شا الله تعالى اوجده الى عالم الشهادة
وان شا لم يوجده فهو تعالى ولو اوجده لا يوصف بالافتقار اليه بل هو

مستغني عن وجوده وقد وفى الالوهية حقها بكونه ممكنا فالدور لان الممكنات
طلبت من الله بلسان الافتقار ان يذوقها طعم الوجود كما اذاقت طعم العدم
حال اظهرها تعالى فانها سالت بلسان ثبوتها في العلم واجب الوجود
ان يخرجها من العدم ويوجد اعيانها ليكون العلم لها ذوقا فاوجدها
تعالى لها لا له اذ هو الغني عن وجودها وعن ان يكون وجودها دليلا عليه
وعلامة على ثبوته بل عدمها في ترك الدلالة اظهر من وجودها فاي شي
رجح من عدم او وجود حصل به المقصود من العلم بكمال الحق جل وعلا قال
فلهذا قلنا ان غناه تعالى عن العالم فهو عين غناه عن وجود العالم
وهذه مسئلة غريبة لان فيها اتصاف الممكن بالعدم في الازل
وكون الازل لا يقبل الترجيح وكيف قبله عدم الممكن مع ازليته في
في العلم وذلك انه من حيث ما هو ممكن في نفسه استوى في حقه القبول
للحكمين فما تعرض له حال وجود فما كان له الحكم فيه في حال فرضه فهو
مرجح فان الترجيح ينسحب على الممكن ازلا في حال عدمه وان كان منعوتا
بعدم المرجح وايضاح ذلك ان الترجيح من المرجح الذي هو اسم فاعل لا
يكون الا مع القصد لذلك والقصد حركة معنوية يظهر حكمها في
كل قاصد بحسب ما تعطيه حقيقته فان كان محسوسا شغل خيرا
ووزع خيرا اخر وان كان معقولا ازال معنى واثبت معنى ونقل من
حال الى حال انتهى وحاصل كلام الشيخ انه لا يقال ان الحق تعالى
غني عما تضمنه علمه القديم من حيث ثبوت العالم فيه اذ العالم هو
معلوم علمه تعالى وعلم بلا معلوم لا يصح فمن قال ان الله تعالى غني عن
ثبوت المعلومات في علمه كانه قال ان الحق تعالى غني عن علمه على حد
سوا وذلك محال فافهم فرجع الامر الى انه تعالى غني عن ابراز العالم من
مكنون علمه الى عالم الشهادة لا غني عن ثبوته في علمه فليتامل ويوين
ما فهمناه قول الشيخ في الباب الثاني والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه
تعالى البادي اعلم ان الحق تعالى من ورا جميع المعتقدات لانه غني عن

العالمين لكن لابد من تخيل جميع العالم لنا في الذهن ليثبت له تعالى الغنى
عنه كما يقال في صاحب المال انه غني بالمال عن المال اذ المال هو الموجب
له صفة الغنى عنه فلا بد من وجود المال ليتصور صفة الغنى عنه قال
الشيخ وهذه مسالة دقيقة لطيفة الكشف فان العالم صفة الثنا عليه
تعالى من حيث وجود العالم كما انه تعالى لا ينزه عن صفاتنا الابنا فما وقع
الثنا عليه الا مع تصور وجودنا فهو غني عنا بنا في الدايرة العقلية
لا الكشفية فان كونه تعالى غنيا انما هو بنا فلا بد من ثبوت
هذا الغني له تعالى قال ومن اراد ان يقرب عليه تصور هذا الامر فلينظر
الي ما سمي الحق تعالى به نفسه من كل اسم يطلب العالم فان الخالق يطلب
مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا والرحمن يطلب مرحوما والرب يطلب
مربوبا وهكذا فلم يتعقل قط الغنى عنا الا بنا قال ومن قال سهل ابن
عبد الله ان للربوبية سرا لو ظهر لبطل حكم الربوبية ومعنى ظهر زال
كما يقال ظهر السلطان من البلد اذا خرج عنها انتهي وقال الشيخ ايضا
في الباب الاربعين وماية المراد بكون الحق تعالى غنيا عن العالمين
اي غنى عن العالم من حيث دلالة العالم عليه اذ لو خلق تعالى العالم
للدلالة عليه لكان للدليل فخر وسلطنة علي المدلول ولما صح للحق
تعالى الغنى عنه فكان الدليل لا يبرح عن مرتبة الزهو لكونه افاد
الدال امر لم يتمكن للمدلول ان يوصل اليه الا به فكان يبطل الغنى عن
العالمين فسقط بذلك قول من قال ان الله تعالى خلق العالم للدلالة
عليه فان الله تعالى ما نصب الادلة لتدل عليه وانما نصبها لتدل على
المرتبة ليعلم العبد انه تعالى اله واحد لا اله الا هو انتهي ويويد ذلك ايضا
قول الشيخ في الباب الستين من الفتوحات في قوله تعالى ان الله غني عن
العالمين اي غنى عن الدلالات عليه اذ العوالم كلها دلالات كانه تعالى
يقول ما خلقت العالم كله الا ليدل علي نفسه وليظهر له عجز نفسه وفقرها
وحاجتها الي لانه ما ثم في الوجود دليل علي لانه لو كان في الوجود دليل

علي لربطني به فكنت مقيدا به وانا الغني الذي لا يقيدني وجوه ادلة ولا يدل
علي ادلة المحدثات قال واكثر الناظرين في هذه المسالة يتوهمون ان الكون دليل
علي الله لكونهم ينظرون في نفوسهم فيستدلون وما علموا ان كونهم ينظرون راجع
الي حكم كونهم متصفين بالوجود فالوجود هو الناظر حقيقة وهو نور الحق
تعالى لا نورهم فان ذات احدهم لو لم يتصف بالوجود فما ذا كان ينظرون
هنا قال من قال عرفت الله بالله وهو مذهب الجماعة انتهي وقال الشيخ ايضا
في شرحه لترجمان الاشواق جميع الادلة التي نصبها الحق تعالى ادلة فقد
محاها بقوله ليس كمثله شي فاوقف العالم كله في مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف
العارفون ما طلب منهم من العلم وما لم يطلب منهم فيتادبون ولا يتجاوزون
مقاديرهم انتهي وقال في باب الاسرار من الفتوحات مع ان العالم بدوه ممن
هو علامة علي من فاتهم الا الله وفعله وما لا يسمح جملة انتهي كلام الشيخ رحمه
الله وقد بان لك ان الشيخ رضي الله عنه بري من القول بان الحق تعالى يوصف
بكونه مفتقرا الي العالم وانه تعالى هو الغني علي الاطلاق وان العالم لا ينفك
طرفة عين عن الافتقار الي الله تعالى وانه تعالى ما اظهر العالم من مكنون
علمه الا ليسبغ عليه نعمه حال وجوده الي عالم الشهادة لا غير وهو معني قول
بعضهم ان الله تعالي اوجدنا لا لحاجة منه الينا لنقوم بالتكليف اذ الحق
لا يكلف نفسه والله اعلم خاتمة ان قيل هل يصح لاحد الغني بالله عن
الكون فالجواب كما قاله الشيخ في باب الخامس والعشرين وماية انه لا يصح
لاحد الغني بالله حقيقة انما حقيقة الاستغنا ترجع الي الاسباب وجلت
ذات الحق ان تكون محلا لمثل ذلك وايضاح ذلك ان الله تعالى ما وضع
الاسباب الا ليزيل بها فاقة المخلوقين فما استغنى احد الا بالكون ولا يصح
الغنى عن الكون بحكم العموم وانما يصح الاستغنا عن مخلوق ما بغيره فقول
بعضهم فلان مستغن بالله جهل وانما التحقيق ان العبد مستغن بما من الله
الا بالله فاذا جاع امر بالاكل فزال جوعه عند الاكل بالاكل والله اعلم

المبحث السادس

في وجوب اعتقاد انه تعالى لم يحدث بابتداعه العالم في ذاته حادث وانه
لا حلول ولا اتحاد اذ القول بذلك يودي الى انه في اجواف السباع والحشرات
والوحوش وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم ان هذه المسئلة مما اشاعها الملحدون
عن الشيخ محي الدين كما مر في خطبة الكتاب وها انا اجلي عليك عرايس كلامه في
ابواب الفتوحات لتعلم يقينا براة الشيخ من مثل ذلك اذ هو جهل محض فاقول
وبالله التوفيق قال الشيخ في عقيدته الصغرى تعالى الحق تعالى ان تحله
الحوادث او يحلها وقال في عقيدته الوسطى اعلم ان الله تعالى واحد باجماع
ومقام الواحد يتعالى ان يحل فيه شي او يحل هو في شي او يتحد بشي وقال
في الباب الثالث من الفتوحات اعلم انه ليس في احد من الله شي ولا يجوز ذلك
عليه بوجه من الوجوه وقال في باب الاسرار من الفتوحات لا يجوز لعارف
ان يقول انا الله ولو بلغ اقصى درجات القرب وحاشى العارف من هذا
القول حاشاه انما يقول انا العبد الذليل في المسير والمقيل وقال
في الباب التاسع والستين ومايه القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا
يكون حالا في المحدث وانما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض
ربط اضافة وحكم لا ربط وجود عين بعين وغاية الامر ان يجمع بين العبد
والرب في الوجود وليس ذلك بجامع انما يكون الجامع بين العبد والرب
بنسبة المعنى الى كل احد كنسبته الى الاخر ولسنا نعني اطلاق الالفاظ
ومعلوم ان نسبة المعنى الي كل واحد منهما على حد نسبته الى الاخر غير
موجودة انتهى وقالت الولية الكاملة سيدة العجم في شرح المشاهد
اعلم ان العبودية مرتبطة بالربوبية ارتباط مقابلة كارتباط حرف بحرف
اذ كل واحد من هذين الحرفين اللذين قد صارا واحدا في النظر متوقف
على الاخر عند وضع حقيقة هذا الحرف انتهى فان قيل فما معنى حديث
فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله الذي
يمشي بها ويده الذي يبطش بها فان جماعة كثيرة فهموا منه وجود اتحاد الحق
تعالى بالعبد وحدوثه فيه فالجواب ان معنى كنت سمعه الى اخره ان

ذلك الكون الشهودي مرتب على ذلك الشرط الذي هو حصول ذلك المحبة
من حيث الترتب الشهودي جا الحدوث المشار اليه بقوله كنت سمعه لا من
حيث التقرير الوجودي قاله الاستاذ سيدي علي وفا رحمه الله وقال
الشيخ محي الدين في الباب الثامن والسبعين في الكلام على الاذان المراد
بكنت سمعه وبصره الى اخره انكشاف الامر لمن تقرب اليه تعالى بالنوافل
لا انه تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان الحق تعالى الله عن ذلك وعن
العوارض الطارية قال وهذه من اعز المسايل الالهية انتهى فان قيل
فلم ذكر تعالى في هذا الحديث الصور الحسية من السمع والبصر ونحوهما دون
القوي الروحانية كالخيال والحفظ والفكر والتصور والوهم والعقل
وما وجه تخصيص الحسية فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس
والاربعين وثلاثماية انه تعالى ما ذكر الحواس الظاهرة الا لكونها مفتقرة
الي الله لا الى غيره بخلاف القوي الروحانية فانها مفتقرة الى الحواس
والحق تعالى لا يتنزل منزلة من يفتقر الى غيره بخلاف من هو مفتقر
اليه تعالى وحده لم يشرك به احدا فقد بان لك ان الحواس الظاهرة اتم
لكونها هي التي تهب للقوي الروحانية ما يتصرف فيه وما به يكون
حياتها العلمية والله اعلم وقال الشيخ ايضا في الباب الخامس والسبعين
وثلاثماية لولا نداء الحق لنا وندا ونا له ما تميز عنا ولا تميزنا عنه فكما
فصل تعالى نفسه عنا في الحكم كذلك فصلنا نحن انفسنا عنه فلا حلول
ولا اتحاد انتهى وقال في باب الاسرار من قال بالحلول فهو معلول
فان القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك وبينه فقد اثبت
عينك وعينه الا ترى قوله كنت سمعه الذي يسمع فاثبتك باعادة الضمير
اليك ليدل عليك وما قال بالاتحاد الا اهل الالحاد كما ان القايل بالحلول
من اهل الجهل والفضول فانه اثبت حالا ومحلا ثم من فصل نفسه عن
الحق فنعم ما فعل ومن وصل فكانه شهد على نفسه بانه كان مفصولا حتى
اتصل والشي الواحد لا يصل نفسه وما ثم الا ذاته ومصنوعاته انتهى

وقال في باب الاسرار ايضا الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث القديم
لصح قول اهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا ومن ادعى الوصل فهو في
عين الفصل انتهى وقال في هذا الباب ايضا انت انت وهو هو فاياك ان
تقول كما قال العاشق انا من اهوى ومن اهوى انا فهل قدر هذا ان يرد
العين واحدة لا والله ما استطاع فانه جهل والجهل لا يتعقل حقا ولا بد لكل
احد من غطا ينكشف عند لقا الله وقال فيه ايضا اياك ان تقول انا هو
وتغالط فانك لو كنت هو لاحطت به كما احاط تعالى بنفسه ولم تجعله
في مرتبة من مراتب التنكرات وقال فيه ايضا اعلم ان العاشق اذا قال
انا من اهوى ومن اهوى انا فان ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان
العلم والتحقيق ولذلك يرجع احدهم عن هذا القول اذا صحى من سكرته
انتهى وقال في الباب الثاني والتسعين ومايتين من اعظم دليل على نفي الحلول
والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم ان تعلم عقلا ان القمر ليس من نور الشمس شي
وان الشمس ما انتقلت اليه بذاتها وانما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه
من خالقه شي ولا حل فيه وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسماية بعد كلام
طويل وهذا يدلك على ان العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق اذ لو كان
عين الحق او حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا انتهى وقال في الباب
الرابع عشر وثلاثماية لو صح ان يرقى الانسان عن انسانيته والملك عن ملكيته
ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقايق وخرج الاله عن كونه الاها وصار
الحق خلقا والخلق حقا وما وثق احد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل
الى قلب الحقايق ابدا وقال في الباب الثامن والاربعين لا يصح ان
تكون الخلق في رتبة الحق تعالى ابدا كما لا يصح ان يكون المعلول في رتبة
العلة وقال في لواقح الانوار من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف
نفى شهود العبد في وقت ما فليس هو بعارف وانما هو في ذلك الوقت صاحب
حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده وقال في الباب السابع و الستين
وثلاثماية اجتمعت روحي بهارون عليه السلام في بعض الوقايع فقلت

له يا نبي الله كيف قلت فلا تشمت بي الاعدا ومن الاعدا حتى تشهد نعم والنوا
منا يصل الى مقام لا يشهد فيه الا الله فقال لي السيد هارون عليه السلام
صحيح ما قلت في مشهدكم ولكن اذا لم يشهد احدكم الا الله فهل زال العالم
في نفس الامر كما هو في مشهدكم ام العالم باق في نفس الامر لم يزل وانما حجبنا
نحن عن شهوده فقال قد نقص من علمكم بالله في ذلك المشهد بقدر ما نقص
من شهود العالم فانه كله ايات الله فافادني عليه السلام علما لم يكن عندي
انتهى وقال في باب الاسرار لا يترك الاغيار الا الاغيار فلو ترك
تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلاحظهم لو تركت الاغيار لتركت التكاليف
التي جات بها الاخبار ومن ترك التكاليف كان معاندا عاصيا او جاحدا
فمن كمال التخلق باسما الحق الاشتغال بالله وبالخلق انتهى وقال
في لواقح الانوار لا يقدر احد ولو ارتفعت درجات مشاهده ان يقول
ان العالم عين الحق او اتحد به ابدا وانظر الى ذاتك يا اخي فتعلم قطعا انك
واحد لكن تعلم ان عينك غير حاجبك ويدك غير رجلك الى غير ذلك
وان هذه الاعضا تتفاصل في عين ذاتك لا يقال انها غيرك قال ومن فهم
ما اومانا اليه فهو الذي يفهم قوله تعالى قل الروح من امر ربي فلم
يحدث بابتداعه العالم في ذاته حادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
انتهى وقال ايضا في الباب الثاني والسبعين وثلاثماية بعد كلام طويل
وبالجملة فالقلوب به هايمة والعقول فيه حايرة يريد العارفون ان
يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة التنزيه فلا يقدرون ويريدون
ان يجعلوه عين العالم من شدة القرب فلا يتحقق لهم فهم على الدوام
متحيرون فتارة يقولون هو وتارة يقولون ما هو هو وتارة يقولون
هو ما هو وبذلك ظهرت عظمته تعالى انتهى وقد انشد الشيخ محي الدين في
هذا المعنى ومن عجبي اني احن اليهم ۞ واسال عنهم دايما وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ۞ وتشتاقهم روحي وهم بين اضلعي
وكان سيدي علي بن وفا يقول انما كانت القلوب تحن الى التنزيه اكثر من

التنشبه لان من شان الذات الاطلاق لذاتها وتساوي النسب لصنعاتها انتهى
وكان يقول ايضا المراد بالاتحاد حيث جا في كلام القوم فنا مراد العبد في مراد
الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما بمراد صاحبه ثم انشد

﴿ وعلمك ان كل الامر امري ﴿ هو المعنى المسمى باتحاد ﴾ انتهى

ولعمري اذا كان عباد الاوثان لم يجترؤا على ان يجعلوا الهتهم عين بل قالوا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يظن باولياء الله انهم يدعون الاتحاد
بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة هذا كالمحال في حقهم رضي الله
عنهم اذ ما من ولي الا وهو يعلم ان حقيقته تعالى مخالفة لساير الحقايق وانها
خارجة عن جميع معلومات الخلايق لان الله بكل شي محيط وسمعت شيخنا
سيدي علي الخواص يقول لا يجوز ان يقال انه تعالى في كل مكان كما تقوله
المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض
لايهامه انه يحل بذاته في ذلك المكان انتهى وسياتي بسط ذلك في المبحث
الثامن ان شا الله تعالى وسمعت اخي الشيخ صالح زين العابدين سبط
المرصفي يقول المراد بكون الحق في السموات والارض نفوذ الامر والنواهي
ووقوع الحوادث على وفق الارادة والله اعلم فكذب والله وافترى من
نسب القول بالحلول والاتحاد والتجسيم الى الشيخ محي الدين وهذه نصوصه
كلها تكذب هذا المفتري والله اعلم خاتمة ذكر الشيخ في الباب الخامس
عشر وثلاثمائة ما يويد ما قلناه في الرد عنه وذلك انه قال لا اعرف
في هذا احد تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك اني بلغت في مقام العبودية
الغاية بحكم الارث لرسول الله فانا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف
للربوبية على احد من العالم طعما قال وقد منحني الله هذا المقام هبة
منه ولم انله بعمل انما هو اختصاص الهي وارجو من الله ان يمسكني
على هذا المقام ولا يحول بيني وبينه حتى القاه فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يجمعون والله اعلم فتامل يا اخي في هذا المبحث وتدبره فانك لا تجده
في كتاب والله يتولى هداك

﴿ المبحث السابع ﴾

عصري

في وجوب اعتقاد ان الحق تعالى لا يحويه مكان كما لا يحده زمان لعدم دخوله
في حكم خلقه فان المكان يحويهم والزمان يحدهم وقد قدمنا انه مباين لخلقه
في ساير المراتب فانه كان ولا مكان ولا زمان وذاته تعالى لا تقبل الزيادة
ولا النقصان وهو الذي انشا الزمان وخلق المتمكن والمكان فلا
اينية له تعالى فان قيل فما المراد بقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم فانه
يوهم الاينية عند ضعفا العقول فالجواب كما قاله سيدي محمد المغربي
الشاذلي انه لا ايهام لان الاينية في هذه الاية راجعة الى الخلق لانهم
هم المخاطبون في الاين اللازم لهم لا له تعالى فهو تعالى مع كل صاحب اين
بلا اين لعدم مماثلته لخلقه في وجه من الوجوه انتهى وسياتي بسط ذلك
في المبحث بعده ان شا الله تعالى وقال الشيخ في الباب الثاني والسبعين
من الفتوحات ليس للحق تعالى لنا باين لان من لا اينية له لا يقبل
المكان فاذا كان لا اين لمن له اين فكيف يكون الاين لمن لا اين له يعقل
انتهى وقال ايضا في الباب الثامن والاربعين منها انما امر الله عباده
بالسجود وجعله مقام قربه في قوله واسجد واقترب ولقوله صلى الله عليه
وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بانه تعالى في
نسبة الفوقية اليه كنسبة التحت فالساجد يطلب السفل بوجهه
كما ان القايم يطلب الفوق بوجهه وبرفع يديه الى السما في حال الدعا
فلا يكاد القايم يطلب من الله شيا قط من جهة السفل فما جعل الله السجود
حال قربه وقرب من الحق الا لينبه عباده على انه لا يقيده تعالى الفوق
عن التحت وعكسه لتنزهه عن صفات خلقه انتهى وسياتي بسط ذلك
في المبحث بعده ان شا الله تعالى خاتمة رايت في كتاب البهجة
المنسوبة لسيدي الشيخ عبد القادر الجيلي ما نصه اعلموا ان عباداتكم
لا تدخل الارض وانما تصعد الى السما قال تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه فربنا سبحانه في جهة العلو الله على العرش
استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالاشيا بدليل سبع ايات في القران

العظيم في هذا المعنى لا يمكنني ذكرها لاجل جهل الجاهل ورعونته انتهى فلا
ادري ذلك الكلام دس على الشيخ في كتابه ام وقع في ذلك في بدايته ورجع عنه
لما دخل في الطريق فان من المعلوم عند كل عارف بالله انه تعالى لا يتحيز والشيخ
قد شاعت ولايته في اقطار الارض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعا وقد
ذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي انه لا يلزم من قوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب ان يكون تعالى في جهة الفوق دون غيرها بدليل قوله تعالى
وهو الله في السموات وفي الارض طرفية تليق بجلاله واجمع المحققون ان
شهود الحق تعالى في حال السجود صعود وان كان السجود في اسفل سافلين
واما قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم اي يخافون ربهم ان ينزل عليهم
عذابا من فوق روسهم هذا هو الاعتقاد الحق قلت ويصح حمل قول
السيد عبد القادر السابق انه تعالى في جهة العلو حيث على ان مراده بجهة
العلو الجهة التي تقصد العبد قضا حاجته منها عند الحق وان كانت في
السفليات هذا لا يبعد على مقام الشيخ انتهى والله تعالى اعلم

المبحث الثامن

في وجوب اعتقاد ان الله تعالى معنا اينما كنا في حال كونه في العما في حال
كونه مستو على العرش في حال كونه في السموات وفي الارض في حال
كونه اقرب الينا من حبل الوريد ولكل واحده من هذه المعيات الخمس
حالة تخصها من مراتب الاختصاص ومراتب العلم كما بسط الكلام على
ذلك الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومايه من الفتوحات
فراجعه فان قيل فهل هو تعالى معنا في جميع هذه المواطن بالذات
ام بالصفات كالعلم بنا والروية لنا والسماع لكلامنا فالجواب
كما قاله الشيخ العارف بالله تعالى تقي الدين ابن ابي المنصور في رسالته
انه لا يجوز ان يطلق على الذات المتعالي معية كما انه لا يجوز ان يطلق
عليها استوا على العرش وذلك انه لم يرد لنا تصريح بذلك في كتاب ولا سنة
فلا نقول على الله ما لا نعلم انتهى وقال الشيخ محيي الدين في باب حضرات

الاسما

الاسما من الفتوحات في الكلام على اسمه الرقيب اعلم انه ليس في حضرات الا
الالهية ما يعطي التنبيه على ان الحق تعالى معنا بذاته الا الاسم الرقيب
فانه نبه على ان الذات لا تنفك عن الصفات لمن تامل ويويد ذلك
قول الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم لا نعدم خيرا من رب يضحك فانه
اتبع الضحك نواجذه انتهى قلت وهذه المسيلة من المعضلات لاختلاف
السلف قديما وحديثا ولكن من يقول ان المعية راجعة للصفات
لا للذات اكمل في الادب ممن يقول انه تعالى معنا بذاته وصفاته وان
كانت الصفة الالهية لا تفارق الموصوف وقد وقع في هذه المسيلة
عقد مجلس في جامع الازهر في سنة خمس وتسعماية بين الشيخ بدر الدين
العلايي الحنفي وبين الشيخ ابراهيم المواهبي الشاذلي وصنف الشيخ ابراهيم
فيها رسالة وانما اذكر لك عيونها لتحيط بها علما فاقول وبالله التوفيق
ومن خطه نقلت قال الشيخ بدر الدين العلايي الحنفي والشيخ زكريا
والشيخ برهان الدين ابن ابي شريف وجماعة ان الله تعالى معنا باسمايه
وصفاته لا بذاته فقال الشيخ ابراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته
فقالوا له ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى والله معكم وقوله تعالى
وهو معكم ومعلوم ان الله علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية
ذوقا وعقلا لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له اوضح لنا ذلك فقال
حقيقة المعية مصاحبة شي لاخر سواكانا واجبين كذات الله مع صفاته
او جايزين كالانسان مع مثله او واجبا وجايزا وهو معية الله تعالى
لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى وهو معكم ومن نحو
ان الله مع المحسنين ان الله مع الصابرين وذلك لما قدمناه من ان مدلول
الاسم الكريم انما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعلقها
بجميع الممكنات وليست كمعية متحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه
الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة
الاينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبه والنظير

لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شي وهو السميع البصير قال
وبهذا الذي قررناه انتفى القول بلزوم الحلول في حيز الكاينات على القول
بمعية الذات مع انه لا يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات
عن الذات ولا بعدها وتحيزها وساير لوازمها وحينيذ فيلزم من معية
الصفات لشي معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان
ولوازم الامكان لانه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال
العلامة القونوي في شرح عقايد النسفي ان قول المعتزلة وجمهور النجارية
ان الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لانه
لا يلزم من علم مكانا ان يكون في ذلك المكان بالعلم فقط الا ان كانت
صفاته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلايق لا علم الحق انتهى على انه يلزم
من القول بان الله معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات
بانفسها دون الذات وذلك غير معقول فقالوا له فهل وافقك احد
غير القونوي في ذلك فقال نعم ذكر شيخ الاسلام ابن اللبان في قوله تعالى
ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ان في هذه الاية دليلا على ان اقربيته
تعالى من عبده قرب حقيقي كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان اذ لو كان
المراد بقربه تعالى من عبيده قربه بالعلم او بالقدرة او بالتدبير مثلا لقال
ولكن لا تعلمون ونحوه فلما قال ولكن لا تبصرون دل على ان المراد به القرب
الحقيقي المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فان من المعلوم ان البصر
لا ادركه بالصفات المعنوية وانما تتعلق بالحقايق المرئية قال وكذلك
القول في قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو يدل ايضا على
ما قلناه لان فعل من يدل على الاشتراك في اسم القرب وان اختلف الكيف
ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لان قرب الصفات
معنوي وقرب حبل الوريد حسي ففي نسبة اقربيته تعالى الى الانسان
من حبل الوريد الذي هو حقيقي دليل على ان قربه تعالى حقيقي اي بالذات
اللازم لها الصفات قال الشيخ ابراهيم وبما قررناه لكم انتفى ان يكون

المراد

المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته وان الحق الصريح هو قربه منا بالذات
ايضا اذ الصفات لا تعقل مجردة عن الذات المتعالي كما مر فقال له
العلابي فما قولكم في قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم فانه يوهم ان الله تعالى
في مكان فقال الشيخ ابراهيم لا يلزم من ذلك في حقه تعالى المكان لان اين
في الاية انما اطلقت لافادة معية الله تعالى للمخاطبين في الاين اللازم
لهم لا له تعالى كما قدمنا فهو مع صاحب كل اين بلا اين انتهى فدخل عليهم
الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال
السيوطي فقال ما جمعكم هنا فذكروا له المسئلة فقال تريدون علم هذا
الامر سماعا او الادوقا فقالوا سماعا فقال معيته تعالى ازلية ليس لها
ابتدا وكانت الاشيا ثابتة في علمه ازلا تعينا بلا ابتدايه لانها متعلقة
به تعلقا يستحيل عليه العدم لاستحالة علمه لواجب وجوده بغير معلوم
واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد ان
لم يكن فكما ان معيته تعالى ازلية كذلك هي ابدية ليس لها انتها فهو
تعالى معها بعد حدوثها من العدم عينا على وفق ما في العلم تعينا وهكذا
يكون الحال ابدا كانت في عالم بساطتها وتركيبها واضافتها وتجريدها
من الازل الى ما لا نهاية له فادهش الحاضرين بما قاله فقال لهم اعتقدوا
ما قررته لكم من المعية واعتمدوه ودعوا ما بينا فيه تكونوا منزهين
لمولاكم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه وان
اراد احدكم ان يعرف هذه المسيله ذوقا فليسلم قياده لي اخرجه من
وظايفه وثيابه وماله واولاده وادخله الخلوة وامنعه النوم واكل
الشهوات وانا اضمن له وصوله الى علم هذه المسيلة ذوقا وكشفا قال
الشيخ ابراهيم فما تجرا احد ان يدخل معه في ذلك العهد ثم قام الشيخ
زكريا والشيخ برهان الدين والجماعة قبلوا يده وانصرفوا انتهى فتامل
يا اخي في هذا الموضع وتدبره فانك لا تجده في كتاب الان واما نقول
الشيخ محي الدين في هذه المسئلة فكان يقول في حديث كان الله ولا

كلها

شي معه ان المراد بكان هنا كان الوجود به مثل وكان الله عليما حكيما وليس
المراد بها كان من الفعل الماضي فلم يطلق صلى الله عليه وسلم على الحق تعالى
معية لشي معه فهو تعالى مع الاشيا ولا يقال ان الاشيا معه لانها لم تزد
وقال وايضاح ذلك ان المعية تابعة للعلم فهو تعالى معنا لكونه يعلمنا
وليس لنا ان نقول انا معه لانا لا نعلم ذاته بخلاف حضرات الاسما
والصفات التي هي المرتبة لابد من معية الخلق للحق تعالى معها لكونها
تطلب العالم لتظهر اثارها فيه فانه تعالى سمى نفسه الكريم والرحيم والعفو
ونحو ذلك فكريم على من ورحيم بمن وغفور لمن ومن المحال ان يكون تعالى
ان يكون محلا لهذه الاثار ولا من حضرة تحكم فيها هذه الاسما بالفعل
او بالقوة اذ الامكان لنا كالوجوب له تعالى انتهى وقد مر تقريره في
المبحث الثاني الذي مر فان قلت فلاي شي لم يقل صلى الله عليه وسلم في
الحديث السابق وهو الان على ما عليه كان كما ادرجه بعضهم فالجواب
انما يدرج ذلك صلى الله عليه وسلم لان الان نص في وجود الزمان ولو
جعلناه ظرفا لهوية الباري لدخل تحت ظرف الزمان وتعالى الله عن ذلك
بخلاف لفظه كان فانه حرف وجودي من الكون الذي هو عين الوجود
فكانه صلى الله عليه وسلم قال الله موجود ولا شي معه في وجوده الذاتي
فان وجود غيره معه تعالى انما هو بايجاده وبابقايه لا مستقلا فعلم ان
من ادرج هذه الزيادة المذكورة في الحديث فلا معرفه له بعلم كان ولا
سيما في هذا الموضع فان قلت فالحامل لبعضهم على ادراجها فالجواب
الحامل له على ذلك تخيله انها من يكون فهو كاين ومكنون فلما راى في الكون
هذا التصريف الذي يلحق الافعال الزمانية تخيل ان حكمها حكم الزمان
وليس كذلك فان من اشبه شيا في امر ما لا يلزم ان يشبهه من جميع الوجوه فانظر
يا اخي ما اعلمه صلى الله عليه وسلم وما اكثر ادبه في كونه لم يطلق على الحق تعالى
ما لم يطلقه على نفسه ذكره الشيخ محي الدين في لواقح الانوار وقال
في باب الاسرار من الفتوحات من زاد في حديث كان الله ولا شي معه لفظة

وهو

وهو الان على ما عليه كان فقد كذب القران فان الله تعالى قال كل يوم هو
في شان وسنفرغ لكم ايها الثقلان وقد كان ولا ايام ولا شوون في تلك
الايام وقال تعالى انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فكيف
يصح قوله وهو الان على ما عليه كان مع انه مومن بالقران هذا اعجب من عجيب
انتهى وقال في هذا الباب ايضا لا يشترط في المجاورة الجلوس لان ذلك علم
في لبس فان الله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية ومن صح ايمانه بالمعية
لم يحتج الى طلب الماهية فان قيل فما الحكمة في سوال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجارية التي شكوا في اسلامها وارادوا عتقها بالاينية حين قال
لها اين الله فاشارت الى السما فقال مومنة ورب الكعبة مع انه صلى الله عليه
وسلم يعلم قطعا استحالة الاينية على الباري جل وعلا فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين وثلاثمايه انه صلى الله عليه وسلم
ما سال الجارية الا تنزلا لعقلها والشريعة قد نزلت على حسب ما وقع عليه
التواطي في السنة العالم قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم ثم ان التواطي قد يكون على صورة ما هي الحقايق عليه في نفسها
وقد يكون والشارع صلى الله عليه وسلم تابع لهم في ذلك تنزلا لعقولهم
ليفهموا عنه احكامه وقد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق تعالى
في اينية ومع ذلك فقد جات على اين الله ولو ان غير رسول الله قال ذلك
لجهله الدليل العقلي فانه تعالى لا اينية له في نفسه وانما الانسان
لقصور ادراكه لا يشهد الا في اين لا يستطيع ان يرقى فوق ذلك
الا ان امده الله بنور الكشف فلما قالها صلى الله عليه وسلم بانت حكمته
وعلمه وعلمنا انه لم يكن في قوة تلك الجارية ان تعقل موجدها الا بحسب
ما تصورته في نفسها ولو انه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تواطات
عليه وتصورته في نفسها لارتفعت الفايدة المطلوبة ولم يحصل لها
القبول وكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سال الجارية بمثل هذا
السوال وبهذه العبارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الجارية لما

اشارت الي السما انها مومنه اي مصدقة بوجود الله في السما كما قال
تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فان قلت فلاي شي لم يقل صلى
الله عليه وسلم فيها انه عالمة بدل قوله مومنة فالجواب انما قال ذلك
لقصور عقلها عن مقام العلما بالله تعالى ولو انها كانت عالمة به تعالى
ما خاطبها بالاينية انتهي فعلم ان من الادب ان نقول ان الله معنا ولا
نقول نحن مع الله تعالى لان الشرع ما ورد به كما مر والعقل لا يعطيه لعدم
تعقل الكيف ولولا ما نسبه تعالى الي نفسه مع المعية السارية مع جميع
الخلق لم يقدر العقل ان يطلق عليه تعالى معنى المعية وسمي هذه المعية
الوجودية الجامعة لحضرات جميع الاسما والصفات وعلم ايضا ان الحق
تعالى ظاهر المعية من الوجه الذي يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه وسلم
اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والسفر ماخوذ من الاسفار
الذي هو الظهور فان قلت فما تقولون في نحو قوله تعالى عند مليك
مقتدر وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش
ان رحمتي سبقت غضبي فان ذلك يوهم ان عندية الحق تعالى ليست
بظرف مكان ولا زمان حيث اطلقت في الكتاب والسنة فهي ظرف
ثالث لا ظرف زمان ولا ظرف مكان مخلص ما هو ظرف مكان على الاطلاق
قال وما رايت احدا من اهل العلم نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ماهيه
ثم انشد

فعندية الرب معقولة ❊ وعندية الهو لا تعقل
وعندية الله مجهولة ❊ وعندية الخلق لا تجهل
وليس لها عند ظرفية ❊ وليس لها غيرها محمل

قال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله بها يعود على عندية
الحق وعندية الخلق انتهي وسياتي ايضاح هذا المبحث في مبحث الاستوا
على العرش ان شا الله تعالى خاتمة ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين
ما نصه قد وقع في الكتاب والسنة نسبة المكان والزمان الي الله مع
انهما ظرفان محالان في حق الباري جل وعلا فقال تعالى يا أيتهم الله في

ظلل

ظلل من الغمام وقال صلى الله عليه وسلم للجارية اين الله فهذا ظرف المكان
فذكر تعالى ورسله ذلك ولم يخرج تعالى ذلك الاعتقاد ولا صوبه ولا
انكره وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ايضا سنفرغ لكم ايها الثقلان
وقال لله الامر من قبل ومن بعد فهذا ظرف الزمان وقال صلى الله عليه وسلم
فيه ايضا لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر تنبيها لهذه الكلمة التي هي من
الالفاظ المشتركة كالعين والمشترى والله اعلم المبحث

التاسع

في وجوب اعتقاد ان الله تعالى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول قال
تعالى ليس كمثله شي واذا كان ليس كمثله شي فمن المحال ان يضبطه اصطلاح
لان ما يشهده منه زيد ما هو عين ما يشهد منه عمرو جملة واحدة ذكره
الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة من الفتوحات قال وبهذا
القدر عرفه العارفون فلا يتجلى قط في مشهد واحد لشخصين ولا
يتكرر له تجل واحد لشخص مرتين وليس فوق هذا في المعرفة مقام
قال واما القدما ومن تبعهم من الحكما وغيرهم فقد اتفقوا على عقد واحد
في الله تعالى وجعلوا ذلك ضابطا للحق وكل من خالفهم جرحوا في عقيدته
وتعالى الله عن ذلك التقييد لانه فعال لما يريد قال ولهذا الذي
قررناه كان لا يقدر عارف قط ان يوصل الى عارف اخر صورة ما يشهده
بقلبه من ربه عز وجل لان كل واحد شهد من لا مثل له ولا يكون التوصيل
الا بالامثال فالكامل من وصل الي حضرة التي يتفرع منها ساير
الاعتقادات الاسلاميه واقر عقايد المسلمين بحق وكان سيدي
علي وفا يقول من احاط بك ولم تحط به فلست مثله ولا على صورته فافهم
فان قلت فما سبب عدم تكييف كل واحد ما شهده بقلبه من الحق
فالجواب ان سبب ذلك عدم ثبوت التجلي الواحد اكثر من ان
واحد فلا يثبت للعبد التجلي الالهي آنين حتى يكيفه ويمثله وقد قال
الشيخ في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة ما اثنى الله على نفسه

باعظم من نفي المثل ولا مثل له تعالى فان قيل فهل الكاف في قوله ليس كمثله
شي كاف الصفة او زايدة فالجواب كما قال الشيخ في الباب الثالث
والستين وثلاثماية ان الكلام في ذلك من الفضول لان العلم الحق
لا يدرك فيهما بالقياس ولا بالنظر بل هو ارجع الى قصد المتكلم ولا يعلم
احد ما في نفس الحق تعالى الا بافصاحه عن مراده وهو تعالى لم يفصح لنا
عنها هل هي اصلية او زايدة انتهى فان قيل ان افراد العالم تشارك
الحق تعالى في كونه لا مثل له فانا قد اعتبرنا جميع الذوات فراينا ها
لا بد ان يزيد احدهما على الاخر او ينقص فلا مثل لها على هذا وقال
ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم فلا تكاد
تجد صورة تشبه اخرى من كل وجه ولو اخر شعره خرج من المثلية فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين من الفتوحات ان الامثال
في العالم وان كانت غير موجودة ويكفينا في التمييز عن الحق تعالى كونها
معقولة وان كان التوسع الالهي يقتضي ان لا مثلية في جميع الاعيان الموجودة
من كل وجه كل ذلك غيرة الالهية ان لا يقع ادراك الحق الاعلى من لا مثل له
موجود فاذن المثلية امر معقول لا محقق فان المثلية لو كانت صحيحة
موجودة ما امتاز شي في العالم عن شي مما يقال هو مثل له فكان الذي
امتاز به الشي عن ذلك الشي الاخر هو عين ذلك الشي اذ ليس هناك
ما يميزه عن غير حقيقة قال وهذه المسالة من اغمض المسايل لانه ما تم
على ما قررناه مثل يوجد اصلا ولا يقدر على انكار الامثال لكن بالحدود
انتهى وقال في الباب الثامن والتسعين وماية من عرف الاتساع الالهي
علم انه لا يتكرر شي في الوجود وانما وجود الامثال في الصور تخيل لك انها
اعيان ما مضى وانما هي امثالها لا اعيانها ومثل الشي ما هو عينه مثاله في
الاشكال التربيع في كل مربع والاستدارة في كل مستدير فالشكل بذلك في كل
متشكل لا يتغير والذي وقع عليه الحس ليس هو المتشكل وانما هو التشكل
فالشكل هو المعقول وقال في الباب الثاني والسبعين وثلاثماية من المجالس

ان يظهر امر في صورة امر اخر من غير مناسبة فهو مثله في النسبة لا مثله في
العين ويسمى هذا في صناعة فعل المقاربة بقول كاد النعام ان يطير
وكاد العروس ان يكون اميرا وقال في باب الاسرار من الفتوحات ما حجب
الرجال الا وجود الامثال ولهذا انفى الحق المثلية عن نفسه تنزيها
لقدسه وكلما تصورته او مثلته او خيلته هالك والله تعالى بخلاف ذلك
هذا اعتقد الجماعة الى قيام الساعة انتهى والله تعالى اعلم

المبحث العاشر

في وجوب اعتقاد انه تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن فلا
افتتاح له ولا انتها ولا ظهور لاحد بالقهر والسلطان في الدارين غيره
ولما كان لا يصح لاحد من الخلق ان يعرف ربه كما يعرف تعالى نفسه لم
يزل تعالى باطنا من هذا الوجه فان قيل فهل حضرات هذه الاسماء
الاربعة مقيدة لا تتصرف الا في اهل حضراتها ام كل اسم يفعل فعل اخواته
فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين في شرحه لترجمان الاشواق ان الحق تعالى
اول من عين ما هو اخر وظاهر وباطن واخر من عين ما هو اول وباطن
وظاهر وباطن من عين ما هو ظاهر واول واخر ففي كل صفة ما في اخواتها
وذلك لمباينة صفاته تعالى لصفات خلقه اذ لا تتعدى كل صفة من
صفاتهم ما حده الحق لها فصفة الشم مثلا لا تعطي سوى شم العطر والنتن
وصفة السمع لا تتعدى المسموعات فلا يرى بها ولا يتكلم وقس على ذلك
فعلم ان سبب توقف العقول الضعيفة في كون الصفات الالهية
تفعل كل صفة منها فعل اخواتها كون من توقف راى ان القوى التي
خلق الانسان عليها لا تتعدى حقايقها فقاس الحق تعالى على نفسه
وظن ان صفة الحق تعالى كذلك انتهى وقال في موضع اخر من شرحه
لترجمان الاشواق قد تسمى الحق تعالى ازلا بالظاهر والباطن ولا يجوز
حمله على محل النسب والاضافات وانما ينبغي ان يحمل على انه امر ذاتي يوصف
به على الوجه الذي يليق به ويعلمه سبحانه وتعالى من نفسه قالت

السيدة الكاملة سيدة العجم في شرح المشاهد لتعلم ان الازل والابد
في حقه تعالى سوا حتى ان بعضهم استغنى بلفظ الاسم الاول على الاسم
الباقي اذ من شان الاول البقا السرمدي فاياك يا اخي ان تتوهم من نحو
قولهم ان الله تكلم كذا في الازل او قال كذا في الازل ان ذلك عبارة عن
امتداد متوهم في زمان معقول كزمان الخلق فان ذلك من حكم الوهم لا من
حكم النظر الصحيح فان الخالق قبل خلق الزمان المعقول لنا لا يتعقل اذ
العقل الانساني انما وجد بوجود ادم عليه السلام فتعلم ان مدلول
لفظة الازل عبارة عن نفي الاولية لله تعالى فهو اول لا باولية تحكم عليه
فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها واطالت في ذلك رضي الله عنها وقال
الشيخ محيي الدين في باب الاسرار انما اخبرنا تعالى بانه الاول والاخر والظاهر
والباطن ليرشدنا الى ترك التعب في طريق معرفته الذاتية كانه تعالى يقول
الذي تطلبونه من الباطن مثلا هو عين ما تطلبونه من الظاهر ومع ذلك
فلم تصغ النفوس الى هذا الارشاد بل بحثت في الادلة وصارت كل شي ظهر لها
من صفات الحق تطلب خلافه ولو انها كانت وقفت مع ما ظهر لها من وجوه
المعارف لعرفت الامر على ما هو عليه فكان طلبها لما غاب عنها وعين حجابها
فما قدرت الذي ظهر لها حق قدره لشغلها بما تخيلت انه بطن عنها والله ما بطن
عنها شي ومن مقامها وانما حجب كل احد عما هو فوق مقامه لا غير انتهى وقال
الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه قد محق الحق تعالى جميع الاغيار بقوله
هو الاول والاخر والظاهر والباطن فقيل له اين الخلق فقال موجودون
ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالهنابيب التي في كوة الشمس تراها صاعدة هابطة
واذا قبضت عليها لا تراها هي موجودة في الشهود مفقودة في الوجود انتهى
فان قيل فهل كان ظهوره تعالى بعد استتار فالجواب كما قاله الشيخ تقي الدين
ابن ابي المنصور ان ظهوره تعالى لم يكن بعد استتار بل هو الظاهر في حال كونه
باطنا واختلاف حكم التجليات انما هو راجع الى ادراك المدركين والمشاهدين
بحسب ما يكشف عن بصايرهم فانه تعالى لا يظهر بعد احتجاب ولا يستتر بعد

ارتفاع لان ذلك من صفة الاجسام وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال الشيخ في
باب الصلاة من الفتوحات اعلم ان العبد لا تكمل شهوده وعبادته لله تعالى الا
ان شاهده وعبده من حيث اوليته المنزهة عن ان يتقدمها اولية لا من حيث
اولية العبد عن اوليات كثيرة قبله فاذا وقف العبد وعبد ربه من حيث
اوليته تعالى انسحبت عبادته من هنالك على كل عبادة عبدها احد من
المخلوقين الى حين وجود هذا العابد انتهى وهو امر نفيس ما سمعناه من احد
وقال الشيخ ايضا في الباب السادس والخمسين ومايتين اعلم ان تجليات
الحق تعالى بالاسما لها ثلاث مراتب الاولى ان يتجلى للعالم بالاسم الظاهر فلا
يبطن على العالم شي من امر الحق تعالى وهذا خاص بموقف القيامة الثانية
ان يتجلى للعالم في اسمه الباطن فتشهده القلوب دون الابصار ولهذا تجد
الانسان في فطرة الاستناد والاقرار به من غير نظر في دليل ويرجع في اموره
كلها اليه الثالثة ان يتجلى في اسمه الظاهر والباطن معا وهذا خاص بالانبيا
وكمل ورثتهم انتهى فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك المبحث

الحادي عشر

في وجوب اعتقاد انه تعالى علم الاشيا قبل وجودها في عالم الشهادة ثم
اوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالما بالاشيا لم يتجدد له علم عند تجدد الاشيا
فان قلت فاذا كان العالم كله موجودا في علم الحق فما ذا استفاد العالم حين
ظهر لعالم الشهادة فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر من الفتوحات
ان العالم استفاد ببروزه الى عالم الشهادة علما بنفسه لم يكن عنده لانه
استفاد حالة لم يكن عليها وايضاح ذلك ان الامور كلها لما كانت لم تزل
معلومة للحق تعالى في مراتبها تبعه اذ صورها فلا بد من فارق يفرق بين
بين علمها بنفسها وعلم الحق تعالى وان الحق تعالى يدرك جميع الممكنات في حال
عدمها ووجودها وتنوعات الاحوال عليها والممكنات لا تدرك نفسها ولا
وجودها ولا تنوعات الاحوال عليها فلما كشف لها عن شهود نفسها وهي في العدم
ادركت تنوعات الاحوال عليها في خيالها فما اوجد الله الاعيان الا ليكشف

ارتفاع

لنا من اعيانها واحوالها شيا بعد شي علي التتالي والتتابع وهذا معنى قولنا لم نجد
له علم عند تجدد الاشيا لانها كانت معلومة للحق تعالى اذ هي معلوم علمه وهذه
المسالة من غرر المسايل المتعلقة بسر القدر وقليل من اصحابنا من عثر عليها فان
قلت فهل ثم مثال يقرب للعقل تصور كون العالم مرئيا للحق تعالي في حال عدمه
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثاني والخمسين وثلاثمائة ان اقرب مثال
لكون العالم مرئيا للحق تعالي في حال عدمه الدويبة المسماة بالحربا فانها تتقلب
في لون ما تكون عليه من الاجسام على التدريج شيا بعد شي ما هي مثل المراة تتقلب
الصورة بسرعة ولا جسم صقيل فقد ادركت يا اخي في الحس تقلب الحربا في
الالوان مع علمك بان تلك الالوان لا وجود لها في ذلك الجسم الذي انت ناظر
اليه ولا في اعيانها في علمك فمن تحقق بهذا علم يقينا ادراك الحق تعالى للعالم
في حال عدمه وانه يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الالهي ومما يقرب لك
ايضا شهود الحق تعالي للاعيان في حال عدمها قول الشيخ في باب الاسرار
العجب كل العجب من رؤية الحق في القدم اعيانا حالها العدم ثم انه اذا ابرزهم
الي وجودهم تميزوا في الاعيان بحسبه ودهم ولكن انظر وحقق ما انبهك
عليه واستر وهو ان الله تعالي اوجد في عالم الدنيا الكشف والرويا لقرب
ذلك الامر على ضعفا العقول فترى الامور التي لا وجود لها في عينها قبل
كونها وتري الساعة في مجلاها والحق تعالي يحكم فيها بين عباده حين جلاها
وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما راها شهدت ثم توجد بعد ذلك
في مراها كما راها فان تفطنت يا اخي فقد رميت بك علي الطريق وذلك
منهج التحقيق انتهي وقال في الباب الثالث والخمسين وثلاثمائة لم تزل
الممكنات كلها مشهودة للحق تعالي وان لم تكن موجودة فما هي له مفقودة
فهي حال عدمها مرئية للحق مسموعة له ولا يتوقف مومن في تصور ذلك
فان الله على كل شي قدير انتهي فان قلت فما المراد بذلك الشي الذي وصف
الحق تعالي نفسه انه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض ام العدم
الاضافي فالجواب المراد به ما تضمنه علمه القديم من الاعيان الثابته

في العلم

المحض

في العلم الذي هو العدم الاضافي وليس المراد به العدم المحض لان العدم
ليس فيه ثبوت اعيان ويويد هذا قول الشيخ في لواقح الانوار في قوله
ان الله على كل شي قدير اي قدير علي شي تضمنه علمه القديم فان ما لم يتضمنه علمه
فليس هو بشي وكذلك يريد ذلك قول الشيخ في الباب السبعين من الفتوحات
لا تتعلق قدرة الحق تعالي الا بشي موجود في علمه تعالى لقوله ان الله على كل شي
قدير فنفي تعلق قدرته تعالي على ما ليس بشي مما لم يتضمنه علمه القديم
قال وايضاح ذلك ان لا شي لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته
لا شي ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته فلا شي محكوم عليه بانه لا شي ابدا
وما هو شي محكوم عليه بانه شي ابدا انتهى فان قلت قد قال الشيخ ابو
الحسن الاشعري ان وجود كل شي في الخارج عينه وليس بشي زايد عليه
سوا كان واجبا وهو الله وصفاته الذاتية او ممكنا وهو الخلق وهذا
يخالف لقول كثير من المتكلمين ان وجود الشي امر زايد عليه فما الحق
من القولين فالجواب كما قاله ابن السبكي والجلال المحلي الحق ما قاله
الاشعرية وعليه فالمعدوم ليس في الخارج بشي ولا ذات ولا ثابت
اي لا حقيقة له في الخارج وانما يتحقق بوجوده فيه قال الجلال
المحلي ثم هذا من الحكم كذلك عند اكثر اهل القول الاخر ايضا قال
وذهبت كثير من المعتزلة الي ان المعدوم الممكن في الخارج شي اي له
حقيقة متقررة انتهي ما قاله الجلال المحلي في شرحه لجمع الجوامع فان قلت
فما الوجه الجامع بين قول الاشعرية ان العالم وجد عن عدم متقدم وبين قول
المعتزلة انه وجد عن وجود فالجواب ان الوجه الجامع بين قولي الاشعرية
والمعتزلة ان العالم حادث في الظهور قديم الالهي فمن قال انه حادث من
الوجهين اخطا او قديم من الوجهين اخطا والله اعلم فان قلت فما المراد
بالحق الذي خلق الله به السموات والارض وما بينهما وهل لهذا الحق عين
موجودة ام لا فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والستين وثلاثمائة
ان المراد انه تعالي خلق العالم كله للحق تعالي وهو ان العالم يعبده علي

حسب حاله ليجاوزبه على ذلك في الدنيا والاخرة ويسبغ عليك نعمه قال الشيخ
وقد غلط في هذا الحق المخلوق به السموات والارض وبينهما جماعة من اهل الله
وجعلوه عينا موجودة والحق ان البا هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام
الاية تعالى الله عما يشركون من اجل البا فمعنى بالحق اي للحق فالبا هنا عين اللام
في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضاح ذلك ان الحق
تعالى لا يخلق شيا بشي وانما يخلق شيا عنه شي وكل با تقتضي الاعانة
والسببية فهي لام فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجده في تفسير والله يتولى هداك

المبحث الثاني عشر في وجوب اعتقاد ان الله تعالى ابدع

العالم على غير مثال سبق عكس ما عليه عباده فان احدا منهم لا يقدر بارادة
الله على اختراع شي الا ان انشاه في نفسه اولا عن تدبر ثم بعد ذلك تبرز القوة
العملة الي الوجود الحسي على شكل ما يعلم له مثل وهذا محال في حق الحق
تعالى فلم يزل الحق تعالى عالما بما يخلقه ازلا كما مر في المبحث قبله قال
الشيخ محي الدين ولا يجوز ان يقال ان الخلق كانوا على صورة لا يوصف الحق
تعالى بانه عالم بها قبل اختراعهم لان ذلك يودي الى انه تعالى اخترع
شيا لم يعلمه وقد ثبت بالادلة القاطعة انه عالم بكل شي ازلا وابدا فثبت
لنا ان اختراع الحق تعالى لجميع العالم بالفعل على غير قياس سبق وخرجنا
للوجود على حد ماكنا في علمه تعالى ولو قدرنا انا لم نكن كذلك في علمه لخرجنا
للوجود على حد ما لم يعلمه تعالى وذلك محال لان ما لا يعلمه لا يريده
وما لا يعلمه ولا يريده لا يوجده فنكون اذن نحن موجودين بانفسنا او بحكم
الاتفاق واذا كان وجودنا بانفسنا او بحكم الاتفاق فلا يصح وجودنا عن
عدم وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا عن عدم اي اضافي لا عدم محض
كما مر بيانه في المبحث قبله فان قلت فعلى هذا التقدير ان قلنا اننا موجودون
من عدم صدقنا او من وجود يعني في العلم صدقنا فالجواب نعم والامر
كذلك كما اشار اليه الشيخ في شعره في الباب الثامن والتسعين ومايه
من الفتوحات بقوله

فلو

فلو رايت الذي رايتا ٭ لما نفيت الذي رايتا
فظاهر الامر كان قول ٭ وباطن الامر انت كنتا
قد اثبت الشي قول ربي ٭ لو لم يكن ذاك ما وجدنا
فالعدم المحض ليس فيه ٭ ثبوت عين فقل صدقنا
لو لم نكن ثم يا حبيبي ٭ اذ قال كن لم نكن سمعنا
فاي شي قبلت منه ٭ الكون او كون انت انا

فافهم وقد اشار الشيخ ايضا الى نحو هذا المعنى بقوله في شعره ايضا في الباب
الثامن والثلاثمائة

عجبي من قايل كن لعدم ٭ والذي قيل له لم يك ثم
ثم ان كان فلم قيل له ٭ ليكن والقول ما لا ينقسم
فلقد ابطل كن قدرة من ٭ دل بالعقل عليها وحكم
كيف للعقل دليل والذي ٭ قد بناه العقل بالكشف هدم
فنجاة النفس في الشرع فلا ٭ تك انسانا راي ثم حرم
واعتصم بالشرع في الكشف فقد ٭ فاز بالخير عبيد قد عصم
اهمل الفكر ولا تحفل به ٭ واتركنه مثل لحم في وضم
كل علم شهد الشرع له ٭ هو علم فيه فلتعتصم
واذا خالفك العقل فقل ٭ طورك الزم ما لكم فيه قدم
مثل ما جهل اللوح الذي ٭ خط فيه الحق من علم القلم

الى اخر ما قال والنكته في التعجب كون الحق تعالى اضاف التكوين الى الشي
دون قدرته الالهية بقوله للشي كن وجعله موجودا حين قوله له كن
وايضاح ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله والله اعلم فان قلت فما معنى قوله
تعالى فتبارك الله احسن الخالقين فانه يوهم ان ثم خالقين ولكن الله تعالى
احسنهم خلقا فما الفرق بين خلق الخلق بارادة الله وخلق الخلق بالواسطة
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثالث والستين واربعماية ان الفرق
بين الخلقين ان الله تعالى اذا اراد ان يخلق خلقا خلقه عن شهود في علمه

فيكون ذلك الخلق حلة الوجود بعد ان كان معدوما في شهود الخلق وما العبد
فاذا خلق باذن الله شيا كعيسى عليه السلام فلا تخلقه الا عن تقدم متصور وتدبر
من اعيان موجودة يريد ان يخلق مثلها او يبدع مثلها فا خلقها العبد الا عن
مثال سبق بخلاف خلق الله تعالى بلا واسطة فحصل بذلك الفرق بين الخلق المضاف
الى الله بلا واسطة والمضاف الى الخلق بواسطة وسياتي بسط ذلك المسالة في
مبحث خلق الافعال ان شا الله تعالى فراجعه في المبحث الرابع والعشرين وتقدم
في المبحث الثاني في حدوث العالم بعد كلام طويل قول الحق جل وعلا وما خلقت
لك عينين الا لتشهدني بالواحدة وطلبتك يعني امكانك بالاخرى والله تعالى اعلم

المبحث الثالث عشر في وجوب اعتقاد

انه تعالى لم يزل موصوفا بمعاني اسمايه وصفاته وبيان ما يقتضي التنزيه
والحكمة وما لا تقتضيها اعلم ان هذا المبحث من اجل المباحث فلنبسط لك
الكلام فيه بكلام محققي المتكلمين ثم بكلام محققي الصوفية فاقول وبالله
التوفيق قال محقق الزمان الشيخ جلال الدين المحلي معاني الاسما والصفات
هو كلما دل على الذات المقدس باعتبار صفته كالعالم والخالق والرازق ونحو
كما انه تعالى لم يزل موصوفا بصفات ذاته وهي ما دل عليها فعله من قدرة
وعلم وارادة وحياة او دل عليها التنزيه به له عن النقص من سمع وبصر وكلام
وبقا قال واما صفات الافعال كالخلق والرزق والاحيا والاماتة
فليست ازلية خلافا للحنفية بل هي حادثة من حيث انها متجددة اذ هي
اضافات تعرض للقدرة فتتعلق بها حين اوقات وجودها وطال في
ذلك ثم قال فان اريد بالخالق من صدر عنه الخلق فليس صدوره ازليا
قاله الغزالي انتهى كلام الجلال المحلي قال ابن ابي شريف رحمه الله في
حاشيته على شرح جمع الجوامع ليس في كلام ابي حنيفة رضي الله عنه ولا متقدمي
اصحابه ان صفات الافعال قديمة زايدة على الصفات المتقدمة وانما
اخذ ذلك متاخروا اصحابه من معنى قوله في كتاب الفقه الاكبر كان الله
تعالى خالقا قبل ان يخلق وقبل ان يرزق وذكروا وجها من الاستدلال واما

الاشاعرة

الاشاعرة فيقولون ليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها
بايصال الرزق مثلا وفي كلام ابي حنيفة ايضا وكما كان تعالى بصفاته ازليا
كذلك لا يزال ابديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه
البرية استفاد اسم الباري فله تعالى معنى الربوبية ولا مربوب وله معنى
الخالق ولا مخلوق وكما انه محيي الموتى واستحق هذا الاسم قبل احيايهم كذلك
استحق اسم الخالق قبل انشايهم وذلك انه على كل شي قدير انتهى كلام الامام ابي
حنيفة رضي الله تعالى عنه قال البرماوي فقول ابي حنيفة ذلك بان الله على
كل شي قدير تعليل وبيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فافادت
معنى الخالق موجود قبل الخلق وان المراد استحقاق اسمه بسبب قيام قدرته
عليه فاسم الخالق ولا مخلوق في الازل صحيح لمن له قدرة الخلق في الازل
هذا ما تقوله الاشاعرة قال الكمال في حاشيته وانما يثبت لك عندي العبارة
مع طولها لانها موضحة لكلام الجلال المحلي ومويدة له تاييدا ظاهرا انتهى
وسياتي الكلام على صفات الحق هل هي عينه او غيره في الخاتمة اخر
المبحث ان شا الله تعالى فان قيل فهل الاسم عين المسمى او غيره فالجواب
ان الاصح كما قال ابن السبكي ان الاسم عينه وبه قال الشيخ ابو الحسن الاشعري
رحمه الله وقال غيره هو غيره كما هو المتبادر اذ لفظ النار مثلا غيرها بلا
شك قال الجلال المحلي والمراد بما قاله الاشعري بالنظر للاسم الله اذ مدلوله
الذات من حيث هي بخلاف غيره كالعالم مثلا فان مدلوله الذات باعتبار
الصفة كما قال الاشعري لا يفهم من الاسم الله سواه بخلاف غيره من الصفات
فانه يفهم منه زيادة على الذات من علم او غيره انتهى قال ابن ابي شريف
في حاشيته على انه لم يظهر لي في هذه المسالة ما يصلح محل النزاع الحلا كما
اوضح ذلك البيضاوي في اول تفسيره فقال ان الاسم يطلق لمعان ثلاث
الاول اللفظ المفرد الموضوع لمعنى الثاني ذات الشي والذات والنفس
والعين والاسم بمعنى قاله ابن عطية الثالث الصفة كالخالق والعليم
وغيرهما من اسما الله وهذه الثلاثة امور لا يظهر كون شي منها محلا للنزاع

لانه ان اريد بالاسم المعني الاول الذي هو اللفظ المفرد الموضوع لمعنى فلا شك
في كونه غير المسمي اذ لا يشك عاقل ان لفظ النار غير كما مر وان اريد به المعنى الثاني
الذي هو ذات الشي وحقيقته فهو المسمي ولا يحتاج حينئذ الي الاستدلال
وان لم يشتهر استعمال الاسم بمعني الذات وان اريد بالاسم المعني الثالث
وهو الصفة كما راي الاشعري انقسم عنده انقسام الصفة اذ هي عنده على
ثلاثة اقسام ما يرجع الي الذات كالاسم الله وهو نفس المسمي وما يرجع الي الا فعال
كالخالق والرازق وهو غير المسمي وما يرجع الي صفات الذات كالعليم والقدير
والسميع والبصير فلا يقال انها عين المسمي ولا غيره فان المسمي ذاته والاسم
علمه الذي هو ليس عين ذاته وهو الظاهر ولا غيره علي تفسير الغيرين بما يجوز
انفكاك احدهما عن الاخر قال وقد نبه الجلال المحلي علي ان الاسم المسمي عند
الاشعري لكن في لفظ الجلالة خاصة من الاسم الاول لان مدلوله الذات
من حيث هي كما قال الاشعري لا يفهم من اسم الله سواه انتهى كلام الجلال المحلي
وكلام ابن ابي شريف واما كلام محققي الصوفية في ذلك فقال الشيخ في الباب
الثاني والاربعين وثلاثمائة من الفتوحات مما يويد قول من قال ان الاسم
عين المسمي قوله تعالي ذلكم الله ربي فجعل اسمه تعالي عين ذاته كما قال قل ادعو
الله او ادعوا الرحمن ولم يقل ادعوا بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم هنا عين
المسمي وفي قوله الله لم يصح قوله ربي انتهى قلت ومما يويد ذلك ايضا
حديث مسلم موفوعا انا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه فانه تعالى
جعل اسمه عين ذاته اذ الذات لا تتحرك بها الشفتان وانما يتحرك بالاسم الذي هو
اللفظ فليتامل والله اعلم فان قلت فما التحقيق في اقسام الاسما الالهية كم هي ترجع
الي قسم فالجواب هي ترجع الي ثلاثة اقسام اسما تدل علي الذات واسما تدل علي التنزيه
واسما تدل علي صفات الافعال وما ثم مرتبة رابعة حتى يها سما الله تعالي بعلمه
فانه يرجع الي هذه المراتب ثم ان هذه الثلاثة ترجع الي قسمين قسم يقتضي التنزيه
كالكبير والعلي والغني والاحد وما يصح ان ينفرد به الحق تعالي مما تطلبه الذات
لذاتها وقسم يقتضي طلبه العالم كالمتكبر والمتعالي والرحيم والغفور ونحو ذلك

مما تطلبه الذات من كونه تعالي الها ذكره الشيخ في الباب الثامن والستين من الفتو
والباب الثاني والسبعين وثلاثمائة منها وقال في الباب التاسع والسبعين
وثلاثمائة اعلم انا ما وجدنا قط اسما لله تعالي يدل علي ذاته خاصة من غير تعقل
معنى زايد علي الذات ابدا لانه ما وصل الي علمنا اسم الا وهو علي احد امرين اما
يدل علي فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد واما تنزيه وهو الذي يستروح منه
احلاله تعالي عن صفات نقص كوني تنزه الحق تعالي عنها غير ذلك ما اعطانا الله
تعالي فان قلت فما ثم علي هذا الاسم علم لله تعالي ما فيه سوي العلمية ابدا الا
ان كان ذلك في علمه تعالي فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين نعم ما ثم علي هذا اسم
علم لله ابدا فيما وصل الينا وذلك لان الله تعالي ما اظهر اسماه لنا الا لنثني عليه بها
فمن المحال ان يكون فيها اسم علم لان الاسما الاعلام لا يقع بها ثنا علي المسمى وانما
هي اسما اعلام للمعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثني بها علي من ظهر
عندنا حكمها فينا وهو المسمي بمعانيها والمعاني هي المسماه بهذه المعاني اللفظية
كالقادر والعالم ونحوهما قال ويويد ذلك قوله تعالي ولله الاسما الحسنى
فادعوه بها وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ اذ الالفاظ لا تتصف بالحسن
والقبح الا بحكم التبعية لمعانيها الداله عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها
فانها ليست بزايدة علي حروف مركبة ونظم خاص يسمي اصطلاحا فان قلت
فاذن فما سميت اسما الله حسنى ليكون لها مقابل غير حسن وانما هي حسنى من حيث
ظهور حسنها في العرف فالجواب نعم وهو كذلك فما ظهر لنا حسنه في العرف
فهو حسن مطلقا وما لم يظهر له حسن في العرف فحسنه مبطون فيه مجهول
علي العامة واما الخاصة فحسن جميع الاسما ظاهر لهم لا يخفى عليهم لمعرفتهم بالحق
تعالي في ساير مراتب التنكرات في العالم هذا ما ذكره الشيخ في الباب التاسع
والسبعين والثلاثمائة وكان قبل ذلك يقول لم نعلم من الاسما الالهية اسما يدل
علي الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة الا الله لانه اسم علم لا يفهم
منه الا ذات المسمي ولا يدل علي مدح ولا ذم وبسط الكلام علي ذلك في الباب
السابع والسبعين وما به من الفتوحات بسطا طويلا لخصت منه ما ذكرته

لك وكذلك طالعت جميع كتاب لواقح الانوار في هذا البحث ولخصته هنا فاعتمده
وقد قال الشيخ محي الدين في هذا الباب الذي هو السابع والسبعين ومايه وما
قلناه من العلمية هو في مذهب من لا يري انه مشتق ثم انه علي قول الاشتقاق
هل هو مقصود للمسمي او ليس بمقصود له كما اذا سمينا شخصا بزيد علي طريق العلمية
وان كان هو فعل من الزيادة لكننا لم نسمه به لكونه يزيد وينمو في جسمه مثلا
وانما سميناه لنعرفه ونصيح له اذا اناديناه فمن الاسما ما يكون بالوضع علي هذا
الحد فاذا قيلت هذه الاسما علي هذا المعني فهي اعلام واذا قيلت علي اسما المدح
فهي اسما صفات قال وبهذا وردت جميع اسما الله الحسني ونعت بها تعالي ذاته
من طريق المعني قال واما الاسم الله فنعت به نفسه من طريق الوضع اللفظي
فالظاهر ان الاسم الله للذات كالعلم ما اريد به الاشتقاق وان قال بعضهم باشتقاقه
فان قلت فهل اسما الضماير تدل علي الذات كالاسما الصريحة ام لا فالجواب
كما قاله الشيخ محي الدين انها تدل علي الذات بلا شك فانها ليست بمشتقة ولكنها
مع ذلك ليست اعلاما وان كانت اقوي في الادلة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر
الي النعوت واسما الضماير لا تفتقر وذلك مثل لفظة هو وذا وانا وانت ونحن
واليا من اني والكاف من انك فاما هو فهو اسم لضمير الغايب وهو اعرف عند اهل
الله من الاسم الله في اصل الوضع لانه يدل علي هوية الحق التي لا يعلمها الا هو
واما ذا فهو من الاسما الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة يا المتكلم
مثل قوله تعالي فاعبدني واقم الصلاة لذكري وكذلك لفظة انت ويا المخاطب
مثل قوله كنت انت الرقيب عليهم وكذلك القول في لفظة نحن وانا مشددة
ولفظة نا من نحو قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب
انك انت العزيز الحكيم فهذه كلها اسما ضماير واشارات وكنايات نعم كل مضمر
ومخاطب ومشارا ليه ومكني عنه وامثال ذلك انتهي وقال في الباب الثامن
والخمسين وخمسماية الذي هو اواخر الفتوحات اعلم ان الاسم الله انما سمي
بالوضع ذات الحق تعالي عينه الذي بيده ملكوت كل شي واطال في ذلك
ثم قال فعلم ان كل اسم الهي يتضمن اسما التنزيه من حيث دلالته علي ذات الحق

ولكن

ولكن لما كان ما عدا الاسم الله من الاسما مع دلالته علي ذات الحق تعالي يدل
علي معني اخر من نفي واثبات من حيث الاشتقاق لم تقو احديته الدلالة علي الذات
فوق هذا الاسم كالاسم الرحمن وغيره من الاسما الحسني قال وقد عصم الله تعالي
هذا الاسم العلم ان يتسمي به احد غير ذات الحق ولهذا قال تعالي في معرض الحجة
علي من نسب الالوهية لغير الله تعالي قل سموهم فلو سموهم ما سموهم الا بغير الاسم
الله لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي فقد علمت ان الاسم الله يدل
علي الذات بحكم المطابقة كالاسما الاعلام علي مسمياتها قلت وقد بان لك
تناقض كلام الشيخ في قوله ان الاسم الله علم او غير علم فانه ذكر اولا في الباب
السابع والسبعين ومايه انه غير اسم علم ثم ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمايه
انه علم والله تعالي اعلم فان قلت فعلي ما قررتموه من ان المراد من الاسما الالهية انما هو
معانيها لا الفاظها تكون جميع الاسما التي بايدينا اسما للاسما الالهية التي سمي
الحق تعالي بها نفسه من كونه متكلما فالجواب نعم وهو كذلك فنضع الشرح الذي
كنا نوضح به مدلول تلك الاسما علي هذه الاسما التي بايدينا فانه تعالي يسمي بها
من حيث ظهورها للعالم فلها من الحرمة ما للاسما القايمة بالذات كما قلنا في
الحروف المرقومة في المصحف انها كلام الله تعالي وان كان لها تحقيق اخر يعرفه
العلما بالله فان قلت فهل يعم تعظيم الاسما جميع الالفاظ الداير علي السنة
الخلق علي اختلاف طبقاتهم والسنتهم فالجواب نعم هي معظمة في كل لغة لرجوعها
الي ذات واحدة فان اسم الله لا تعرف العرب غيره وهو بلسان فارس خداي وبلسان
الحبشة واق وبلسان الفرنج كريطرور وابحث علي ذلك في ساير الالسن تجد ذلك
الاسم الالهي معظما في كل لسان من حيث ما يدل عليه ولهذا نهانا الشارع ان
نسافر بالمصحف الي ارض العدو وهو بلا شك خط ايدينا اوراق مرقومة
بايدي المحدثات بمداد مركب من عفص وزاج مثلا فلولا هذه الدلالة التي
في الاسما والحروف لما وقع لها تعظيم واطال الشيخ في ذلك الباب السابع
والتسعين ومايه فراجعه فان قلت فاذن يحرم علينا التسمي بنظير اسما الله
تعالي كنافع ونور ووكيل ونحو ذلك فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثالث

والاربعين نعم يحرم ذلك ويجب علينا شرعا وعقلا اجتناب ذلك وان اطلقنا اسما
منها على حد فانا نذكره مع كوننا ذاهلين عن تخلقه بالله تعالى كما اذا قلنا فلان
مومن فان مرادنا به كونه مصدقا بما وعد الله به واوعد وليس مرادنا للمعنى المتعلق
باسم الله تعالى المومن وانما تسميته الحق تعالى عبده محمد صلى الله عليه وسلم روفا
رحيما فانما نذكر ذلك على سبيل التلاوة والحكاية لكلام الله تعالى فنسميه صلى الله
عليه وسلم بما سماه الله تعالى ولا حرج لان صاحب الاسم هو الذي خلع عليه ذلك
الاسم مع اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم في نفسه مع ربه عبد ذليل خاشع اواه
منيب فان قلت فهل في اسما الله تعالى افضل ومفضول وان عمها كلها العظمة
والجلال ام كلها متساوية فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين
وثلاثمائة ان اسما الله متساوية في نفس الامر لرجوعها كلها الى ذات واحدة
وان وقع تفاضل فانما ذلك لامر خارج فان الاسما نسب واضافات وفيها ايمة
وفيها سدنة وفيها ما يحتاج اليه الممكنات احتياجا كليا ومنها ما لا يحتاج
اليه الممكنات ذلك الاحتياج الكلي بالنظر للاحوال المشاهدة فالذي
يحتاج اليه الممكن احتياجا ضروريا الاسم الحي العالم المريد القايل وهذا
الاخير في النظر العقلي هو القادر فهذه اربعة يطلبها الممكن بذاته وما بقي
من الاسما فكالسدنة لهذه الاسما ثم يلي هذه الاربعة في ظهور الرتبة الاسم
المدبر والمفصل ثم الجود ثم المقسط ففي هذه الاسما كان عالم الغيب والشهادة
والدنيا والاخرة والبلا والعافية والجنة والنار انتهى وكان سيدي علي وفا
رضي الله عنه يذهب الى التفاضل في الاسما ويقول في قوله تعالى وكلمة الله هي
العليا هذا الاسم الله فانه اعلا رتبة من ساير الاسما ولذلك يتقدم في التسمية
وفي نحو قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم على ذكر ما يعطف عليه من الاسماء
واجمع المحققون على انه الاسم الجامع لحقايق الاسما كلها قال ونظير ذلك
ايضا ولذكر الله اكبر اي ولذكر الاسم الله اكبر من ذكر ساير سطير الاسما انتهى
وقال الشيخ محي الدين نحو ذلك ايضا بالنظر للاستعاذة من الشيطان فقال
انما خص الامر بالاستعاذة بالاسم الله دون غيره من الاسما لان الطرق التي

يأتينا

يأتينا منها الشيطان غير معينة فامرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع فكل طريق
جانا منها يجد الاسم الله ما نعا له من الوصول الينا بخلاف الاسما الفرع انتهى
وقال ايضا في الباب الثاني والثمانين في قوله تعالى ففروا الى الله انما جا
بالاسم الجامع الذي هو الله لان في عرف الطبع الاستناد الى الكثرة قال صلى الله
عليه وسلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الامان باستنادها الى الكثرة
والله تعالى مجموع الاسما الخير ومن حقق معرفة الاسما الالهية وجد اسماء
الاخذ والانتقام قليلة واسما الرحمة كثيرة في سياق الاسم الله انتهى فتامل
هذا المبحث وحرره والله يتولى هداك خاتمة فان قلت هل يصح لاحد
الانس بالله تعالى كما يصح الانس بغيره من الاسما فالجواب كما قاله الشيخ في
الباب الاربعين ومايتين ان الانس بالذات لا يصح لاحد عند جميع المحققين
لانتفا المجانسة بل نقول انه لا يصح الانس باسم من اسما الله ابدا انما حقيقة
الانس ترجع الى ما يصل الى العبد من تقريبات الحق تعالى ونور الاعمال
لا غيره ومن قال انه انس بغير ذات الحق فقد غلط انتهى والله تعالى اعلم
فان قلت فهل الرحمن الرحيم اسمان كما هو مشهور ام هما اسم واحد مركب كبعلبك
ورامهرمز فالجواب كما قاله الشيخ في باب الاسرار ان الذي اعطاه الكشف انهما
اسم واحد كما ذكر في السوال انتهى وقال في الباب الثامن والتسعين ومايه قد
بلغنا ان الكفار كانوا يعرفونه مركبا فلما افرد انكروه ولم يعرفوه انتهى فان قلت
فهل كل اسم الهي يجمع حقايق جميع الاسما الالهية ام كل اسم لا يتعدى حقيقته
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع من الفتوحات ان كل اسم الهي يجمع جميع
حقايق الاسما ويحوي عليها مع وجود التمييز بين حقايق الاسما قال وهذا المقام
اطلعني الله عليه ولم ار له ذايقا من اهل عصري انتهى فان قلت فهل يصح لاحد
من الخلق التخلق بالقيومية الذي هو السهر الدايم ليلا ونهارا فالجواب كما
قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين انه لا يصح التخلق به كما في الاسما الالهية
التي يصح التخلق بها لاحد من الخلق بالاتفاق وليس ذلك من خصايص الحق كما قال
به شيخنا ابو عبد الله ابن جنيد قال والحق ما قلناه من وقوع التخلق به انتهى

فان قلت فهل يصح لاحد التخلق باسم الهوية او الاحدية او الغني عن العالمين
فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين لا يصح التخلق بذلك لاحد لان هذه الامور
من خصايص الحق تعالى فلا يصح ان يتخلق بها مخلوق لا عيانا ولا نظرا عقليا وقد
قال ايضا في باب الاسرار اعلم ان التخلق بالاسما على الاطلاق من اصعب الاخلاق
لما فيها من الخلاف والوفاق فاياك يا اخي ان يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك
الي مشهد من شهد اعوذ بك منك فمن استعاذ والي من لاذ انتهى فتامل في
هذه الجواهر فانك لا تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك

المبحث الرابع عشر في ان صفاته تعالى عين ام غير او لا عين ولا

غير اعلم يا اخي ان نفي الصفات الذاتية ينسب الى المعتزلة وهم لم يصرحوا بذلك
كما قاله شيخ الاسلام ابن ابي شريف في حاشيته وانما اخذ الناس ذلك من نفيهم
صفات الذات كالعلم والقدرة مثلا من حيث كونها زايدة والا فالمعتزلة متفقون
على انه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم لكن بذاته لا بصفة زايدة فالوا فمعنى
انه تعالى متكلم انه خالق الكلام في الشجرة مثلا قال وهذا ابنا منهم على انكار
الكلام النفسي وزعمهم ان لا كلام الا اللفظي وقيام اللفظي بذاته تعالى ممتنع
فما نقل عنهم من نفي الصفات على هذا التقرير لازم مذهبهم ولازم المذهب ليس
بمذهب على الراجح واطال في ذلك ثم قال ومذهب اهل السنة ان صفات الحق
السبعة زايدة على الذات قايمة بها لازمة لها لزوما لا يقبل انفكاك وقالوا
الحق تعالى حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا قال واما صفة البقا فقد اختلفوا
فيها فالاشعري واكثر اتباعه على انها صفة زايدة على الذات وقال القاضي
والامامان وغيرهم كقول المعتزلة انه تعالى باق لذاته لا ببقا قال والادلة
من الجانبين مسطورة في كتب اصول الدين قال واما نفي المعتزلة الصفات
على ما مر تقريره هروبا من تعدد القدما واهل السنة قالوا القديم لذاته واحد
وهو الذات المقدس وهذه صفات وجبت للذات لا بالذات والتعدد
لا يكون في القديم لذاته انتهى ذكره في مبحث الاشتقاق من شرح جمع الجوامع في
حاشيته انتهى كلام المتكلمين واما ما قاله الصوفية رضي الله عنهم فقد قال

سيدي علي وفا رحمه الله اعلم ان الذات شي واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة وانما
خاف المعتزلة من تعدد القدما من جهة اعتبار تعينها بالصفات وذلك انما هو تعدد
اعتباري والاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها
او كالاصابع بالنظر للكف انتهى فان قيل فما الفرق بين الصفات والاوصاف
فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين في الكلام على التشهد في الصلاة من الفتوحات
ان الصفات يعقل منها امر زايد وعين زايدة على عين الموصوف واما الاوصاف
فقد تكون عين الموصوف بنسبة خاصة ما لها عين موجودة انتهى وذكر
ايضا في الباب السادس عشر واربعمائة عن شيخه ابي عبد الله الكناني امام
المتكلمين بالمغرب انه كان يقول كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية
عينا او غيرا فدليله مدخول لكن من قال انها عين فهو اكثر ادبا وتعظيما وسياتي
اخر المبحث الاتي عقبه من الادب ان نسمي الصفات اسما لانه هو الوارد
فراجعه وقد بسط الشيخ محي الدين الكلام على مبحث الصفات هل هي عين
او غير واحسن ما رايته عنه في جميع الفتوحات ما ذكره في هذه الابواب الخمسة
الاتي ذكرها وهي الباب السابع عشر والباب السادس والخمسين والباب الثالث
والتسعين وثلاثمائة والباب السبعين واربعمائة والباب الثامن والخمسين
وخمسمائة فاما ما قاله في الباب السابع عشر فقال اعلم ان جميع الاسما والصفات
الالهية كلها نسب واضافات ترجع الى عين واحدة لانه لا يصح هناك كثرة
بوجود اعيان اخر كما زعمه بعض النظار ولو كانت الصفات اعيانا زايدة
وما هو اله الا بها لكانت الالوهة معلولة بها ثم لا يخلو ان تكون هي عين
الاله فالشي لا يكون علة لنفسه ولا تكون عينه فالله تعالى لا يكون معلولا
لعلة ليست عينه فان العلة مقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك
افتقار الاله من كونه معلولا لهذه الاعيان الزايدة التي هي علة له وهو محال
ثم ان الشي المعلول لا تكون له علتان وهذه علل كثيرة لا يكون الاها الا بها
فبطل ان تكون الاسما والصفات اعيانا زايدة على ذاته تعالى الله عن ذلك انتهى
واما ما قاله في الباب السادس والخمسين فهو قوله اعلم يا اخي ان الاستغراق النفسي

لا يصح في العقايد لان مبناها على الادلة الواضحة وقد تتبع بعض المتكلمين ادلة
المحدثات فلم يجد فيها من هو عالم لنفسه فاعطاه دليله ان لا يكون عالم قط الا بمعنى
زايد على ذاته يسمى علما وحكمها فيمن قامت به ان يكون عالما قال وقد علمنا ان الحق
تعالى عالما فلا بد ان يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زايدة على ذاته قايمة به
قال الشيخ وهذا استقرا سقيم بل هو الله العالم القادر الخبير كل ذلك بذاته لا بامر
زايد عليها اذ لو كان ذلك بامر زايد على ذاته وهي صفات كمال لا يكون كمال الذات
الا بها لكان كماله تعالى بشي زايد على ذاته واتصفت ذاته بالنقص والفقر اذ لم يقم
بها هذا الزايد تعالى الله عن ذلك وهذا هو الذي دعى بعض المتكلمين ان يقول
في صفات الحق تعالى انها غيره فاخطا طريق الصواب وسبب خطائه انه راى
العلم من صفات المعاني بقدر رفعه مع كمال ذات العالم من الخلق فلما اعطاه
الدليل ذلك طرده شاهدا وغايبا يعني في حق الخلق والحق معا انتهى على ان الشيخ
ذكر ذلك في الباب الثامن والخمسين وخمسماية في الكلام على اسمه تعالى العليم
ان من الخلق من يكون علمه من ذاته لا بامر زايد وذلك في كل علم يدركه الانسان
بعين وجوده خاصة ولا يفتقر في تحصيله الى امر اخر فاذا اورد عليه ما لا يقبله
الا بكونه موجودا على مزاج خاص فهو علمه الذاتي انتهى فليتامل كانه يقول
فاذا كان بعض العبيد يقع له عدم استفادة العلم من غيره فالحق اولى لكن الفرق
بين علم هذا العبد وعلم الحق تعالى ان علم العبد هبة من الله تعالى له حين نفخ فيه
الروح فليس علمه من قسم من كان علمه بذاته حقيقة وهو الله فاعلم ذلك واياك
والغلط واما ما ذكره في الباب الثالث والسبعين وثلاثماية فهو قوله اعلم
انه لا يجوز الحكم على الله بشي لانه خير الحاكمين ومن هنا يعلم انه لو كانت صفات
الحق تعالى زايدة على ذاته كما يقول به بعضهم لحكم على الذات بما هو زايد عليها
ولا هو عينها وقد زل في هذه المسالة كثير من المتكلمين واضلهم فيها قياس الغايب
على الشاهد وهو غاية الغلط فان الحكم على المحكوم عليه بامر ما من غير ان تعلم
ذات المحكوم عليه وحقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك فرحم الله ابا حنيفة
حيث لم يقض على غايب انتهى واما ما قاله في الباب السبعين واربعماية فهو قوله

اعلم ان ما العلم يعلم العلم فالعلم متعلق بالعلم فهو المعلوم للعلم والعلم صفة العالم
فاعرف الحق تعالى منك الا علمك لا انت غير ذلك لا يصح لك ومن هنا قالوا العلم
حجاب اي عن شهود حقيقة الحق قال الشيخ محي الدين وهذا الذي ذكرناه هو
الذي يمشي على قول بعض المتكلمين في الصفات انها ما هي غيره فقط ويقف
واما قولهم بعد هذا القول ولا هي هو فانما ذلك لما راوا من انه معقول زايد
على هو فينفي هذا القايل ان تكون الصفات هو وما قدر على ان يثبت هو من غير
علم يصفه به فقال وما هو غيره فحار فنطق بما اعطاه فهمه وقال صفات الحق
لا هي هو ولا غيره قال الشيخ محي الدين وهو كلام خلي من الفايدة وقول لا روح
فيه يدل على عدم كشف قايله ولكنا اذا قلنا نحن مثل هذا القول لم نقله على حد
ما يقوله المتكلم فانه يعقل الزايد ولا بد ونحن لا نقول بالزايد ولا نخالف
كشفنا بان الصفات الالهية عين فان من يقول غير واقع في قياس الحق تعالى
على الخلق في زيادة الصفة على الذات فازاد هذا على الذين قالوا ان الله فقير
الا بحسن الجبارة فقط فانه جعل كمال الذات لا يكون الا بغيرها فنعوذ بالله
ان نكون من الجاهلين انتهى فتلخص من جميع كلام الشيخ انه قايل بان الصفات
عين لا غير كشفا ويقينا وبه قال جماعة من المتكلمين وما عليه اهل السنة والجماعة
اولى والله تعالى اعلم

المبحث الخامس عشر في وجوب اعتقاد ان اسما الله تعالى توقيفية

فلا يجوز لنا ان نطلق على الله تعالى اسما الا ان ورد في الشرع وقالت المعتزلة
يجوز لنا ان نطلق الاسما اللايق معناها به تعالى وان لم يرد بها الشرع ومال
الى ذلك القاضي بوبكر الباقلاني قال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف في حاشيته
وليس الكلام في اسمايه الاعلام الموضوعة في اللغات وانما الخلاف في الاسما
الماخوذة من الصفات والافعال كما نبه عليه السيد في المواقف وقال
المولى سعد الدين في المقاصد محل النزاع ما اتصف الباري جل وعلا بمعناه
ولم يرد لنا اذن به وكان مشعرا بالجلال ولا التعظيم من غير وهم اخلال انتهى
قال الشيخ كمال الدين والقيد الاخير للاحتراز على الاطلاق ما يوهم اطلاقه

امرا لا يليق بكبريا الله تعالى كلفظ عارف مثلا لان المعرفة قد يكون المراد بها علما
يسبقه غفلة وكلفظ فقيه فان الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه ولولا كلامه ما فهم
منه شي وذلك يشعر بسابقة جهل وكلفظ عاقل فان العقل علم مانع من الاقدام
على ما لا ينبغي ماخوذ من العقال ونحو ذلك انتهى هذا ما رايته من كلام المتكلمين
واما كلام المحققين من الصوفية فقال الشيخ محي الدين رضي الله عنه اعلم انه
لا يجوز اجماعا ان يشتق له تعالى اسما من نحو قوله الله يستهزئ بهم ولا من نحو
قوله ومكروا ومكر الله ولا من نحو قوله وهو خادعهم ولا من نحو قوله نسوا الله فنسيهم
وان كان تعالى هو الذي اضاف ذلك الى نفسه في القران فنتلوه على سبيل الحكاية
فقط ادبا معه سبحانه وتعالى ونخجل منه من حيث تنزله تعالى لعقولنا ومخاطبتنا

بالالفاظ اللائقة بنا لا به ثم انشد

ان الملوك وان جلت مناصبها ... لها مع السوقة الاسرار والسمر

فعلم ان تنزل الحق تعالى لعباده من جملة عظمته وجلاله تزداد بذلك تعظيما
في قلب العارف به قال تعالى ولله الاسما الحسنى يعني الواردة في الكتاب
والسنة وما ثم الا حسنا لانه لا يصح الا ان يكون لها مقابل انتهى وقد مر
ذلك في المبحث قبله وقال في الباب السابع والسبعين وما به ليس لاهل
الادب مع الله تعالى ان يشتقوا له اسما ولو حسنا في العرف سواء كان طريقهم
الى ذلك الكشف او النظر الصحيح وقال ايضا في كتاب القصد لا يجوز لنا
ان نسمي الله تعالى الا بما سمى به نفسه على السنة رسله فما اطلقه على نفسه
اطلقنا وما لا فلا فانما نحن به وله وقال في باب الاسرار وغيره لا يجوز ان
يقال في الحق انه مصدر الاشيا وان كان له وجه بعيد الى الصحة لانه
قد يفهم العاقل منه ان العالم منفصل من ذات الحق بل صرح بعضهم بذلك
وهو كفر وقد ضرب بعض الخلفا عنق من قال في شعره قطعت الورى من
نفس ذاتك قطعة ولا انت مقطوع ولا انت قاطع وقال الشيخ في كتاب
القصد لا ينبغي ان يقال في الحق تعالى قديم وان كان بمعنى اسمه تعالى الاول
ومثله الازلي والابدي قال وكذلك لا ينبغي ان يقال للحق تعالى ذو خيـ

وانما يقال تعالى حي كما ورد وذلك لقول الله تعالى خلق الموت والحياة وما خلق
تعالى لا يوصف به وكذلك لا يقال انه تعالى اخترع العالم الا بوجه ما
وذلك لان العالم كله كان ثابتا في علمه تعالى قبل بروزه الى عالم الشهادة وما
كان ثابتا كذلك لا يقال انه اخترعه وانما يقال ابرزه على وفق ما سبق به العلم
قال وكذلك لا يقال يجوز للحق تعالى ان يفعل كذا ويجوز ان لا يفعله لان
اطلاق الجواز على الله لم يرد لنا في كتاب ولا سنة ولا دل عليه عقل مع ان الجواز
مفتقر الى المرجح بوقوع احد الجائزين وما ثم فاعل الا الله وقد افتقر اهل هذا
المذهب الى اثبات ارادة حتى يكون للحق تعالى يرجح بها غير ارادته القديمة
ولا يخفى ما في هذا المذهب من الغلط لانه يصير الحق تعالى محكوما عليه
بما هو زائد على ذاته وهو عين ذات اخرى انتهى وقال الشيخ محي الدين في
الباب العشرين واربعمائة والذي نقول به ان اطلاق الجواز على الحق جائز
للعارف الذي علمه الله تعالى ضرب الامثال لله تعالى وذلك لان العين المخلوقة
من حيث كونها ممكنة تقبل الوجود وتقبل العدم فجائز انه تعالى يخلقها
وجائز ان لا يخلقها فلا توجد ثم اذا وجدت فالمرجح هو الله واذا لم توجد
فالمرجح هو الله ايضا ولا حاجة الى تكلف ارادة زائدة وبذلك يستقيم
كلام اهل هذا المذهب وان كان الادب مع اكمل واتم بل اوجب انتهى
قلت والذي ذهب اليه القلانسي وعبد الله ابن سعيد انه لا يجوز اطلاق
الجواز على الله عز وجل كان يقال يجوز ان يكون الله واتفق اصحاب القلانسي
وعبد الله ابن سعيد على قولهم انه تعالى يجوز ان يرى نفسه وبه قال جماعة
من منكري الرؤية والله اعلم فان قلت فهل الاولى في الادب ان تسمى الصفات
اسما كما ورد فالجواب نعم الاولى ذلك قال الله تعالى ولله الاسما الحسنى ما قال
الصفات الحسنى وقال الشيخ في باب الاسرار من الادب ان تسمى الصفات
اسما لان الله تعالى قال ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وما قال فصفوه بها
فمن عرفه حق المعرفة الممكنة للعالم سماه تعالى ولم يصفه قال ولم يرد لنا
خبر في الصفات لما فيها من الافات الا ترى من جعله موصوفا كيف يقول

ان لم يكن كذلك كان موقوفا وما علم من صفته تعالى ان الذات ان الذات اذا
توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص لصرف وفي كلامهم من لم يكن كماله
لذاته افتقر بالدليل في حصول الكمال الى صفاته وصفاته تعالى ليست عينه
فقد جهل هذا القايل بالصفات كونه والمشاركة في الصفات دليل على تباين
الذوات وقد قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون فنزه نفسه في هذه
الاية عن الصفة لا عن الاسم وهو المعروف بالاسم لا بالصفة انتهى وكذلك
لا يقال ابدا ان الله تعالى شي الا في المحل الذي ورد فيه ذلك ولا ينبغي القياس
وقد قال الشيخ محي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات
سمعت في بعض الهواتف الربانية ما نصه لست بشي لاني لو كنت شي لجمعتني
الشيئية فيقع التماثل وانا لا اماثل انتهى وكذلك لا يقال الحق تعالى يخيل
وان كان هو بمعنى الاسم المانع وقس على ذلك المنع كلما لم يطلقه تعالى على نفسه
والله اعلم

المبحث السادس عشر في حضرات الاسما الثمانية

بالخصوص وهي الحي العالم القادر والمريد السميع البصير المتكلم الباقي وهذا
المبحث من اجل مباحث الكتاب فلنوضح كل اسم بجملة من تعلقاته تبركا بمعاني
اسما الله تعالى فنقول وبالله التوفيق اعلم يا اخي ان الاسم الحي له التقديم على
ساير الاسما بعد الاسم الله ولا يمكن ان يتقدمه اسم في الظهور وهو النعوت
على الحقيقة بالاسم الاول ولذلك قال تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم
فجعل اسمه تعالى الحي تلي الاسم الجامع للنعوت والاسما ويستحيل وجود حقايق
شي من الاسما من غير الحي وحقيقة الحي هو الذي يكون حياته لذاته وليس ذلك
لاحد من الخلق انما ذلك خاص بالله تعالى وقد رايت للشيخ كلاما في كتابه
المسمى بعنقا مغرب يتعلق بحضرات الاسما ولسان حالها فلا باس بذكره لك يا اخي
فربما كان لم يطرق سمعك قط وهو قوله اعلم ان القدرة الالهية لم تتعلق بايجاد
شي الا بعد وجود ارادة كما انه تعالى لم يرد شيا حتى علمه اذ يستحيل في العقل
ان يريد تعالى ما لا يعلم او يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده
تعالى كما يستحيل ان توجد هذه الحقايق من غير حي كما يستحيل ان تقوم هذه

الصفات

الصفات بغير ذات موصوفة بها قال وتلي الاسم الحي في الظهور الاسم الباقي
وكان بلسان حال الاسما الالهية حين اجتمعت بحضرة المسمى حين لا زمان
قالت لبعضها بعضا نريد ظهورا احكامنا لتتميز حضرات اعياننا باسماينا
واثارنا فقال بعضهم لبعض انظروا في ذواتكم فنظر كل اسم في ذاته فلم
ير الاسم الخالق مخلوقا ولا المدبر مدبرا ولا المفصل مفصلا ولا المصور
مصورا ولا الرازق مرزوقا ولا القادر مقدورا ولا المريد مريدا ولا
العالم معلوما فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الاعيان التي بها تظهر
سلطاننا واحكامنا فجاءت الاسما الالهية التي تطلبها حقايق العالم
الى الاسم الباري جل وعلا فقالوا له عسى توجد هذه الاعيان فتظهر
احكامنا وتثبت سلطاننا اذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تاثيرنا فقال
الباري ذلك راجع الى الاسم القادر فاني تحت حيطته قال وكان اصل
هذا كله ان الممكنات في حال عدمها سالت الاسما الالهية سوال
الاذلة وافتقار وقالت للاسما ان العدم قد اعمانا عن ادراك بعضنا بعضا
وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو انكم اظهرتم اعياننا وكسوتمونا
حلة الوجود لانعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغي لكم من الاجلال والتعظيم
وانتم ايضا كان يظهر علينا سلطنتكم بالفعل فانكم اليوم علينا سلاطين
بالقوة والصلاحية دون الفعل فما طلبناه منكم هو لنا ولكم فقال الاسم
القادر ان هذا الامر تحت حيطة المريد فلا يوجد عينا منكم الا باختصاصه
ولا يمكننا الممكن من نفسه الا ان ياتيه امر الامر من ربه عز وجل فاذا امره
بالتكوين وقال كن مكننا من نفسه وتعلقنا بايجاده فكوناه من حينه فالجاوا
الى الاسم المريد عسى ان يرجح او يخصص جانب الوجود على جانب العدم فحينئذ
اجتمع انا والامر والمتكلم ونوجدكم فلجاوا الى الاسم المريد فقالوا له انا سالنا
الاسم القادر في ايجاد اعياننا فاوقف امر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد
صدق القادر ولكن ما عندي خبر بما عند الاسم العالم من الحكم فيكم هل سبق علمه
بايجادكم فاخصص ولم يسبق فاني تحت حيطته فسيروا اليه واذكروا قضيتكم

فسارو الي الاسم العالم واذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم صدق المريد
وقد سبق علي بايجادكم ولكن الادب اولي فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهي
حضرة الاسم الله فلابد من حضورنا عنده فانها حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء
كلها في حضرة الاسم الله فقال ما بالكم وهو اعلم فذكروا له الخبر فقال انا اسم جامع
لحقايقكم وانا دليل علي مسمي ذات مقدس له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتي
ادخل حضرة مدلولي فدخل علي مدلوله وذكر له ما قالته الممكنات وما تحاورت
فيه الاسما فقال اخرج وقل لكل واحد من الاسما يتعلق بما يقتضيه حقيقته في
الممكنات فاني انا الواحد لنفسي من حيث ذاتي والممكنات انما تطلب مرتبتي
لا حقيقتي لاني انا الغني والمرتبة هي التي تطلب الممكنات لتنظر آثارها
فيهم وجميع الاسما الالهية للمرتبة لا الي الاحد خاصة فانه اسم خصيص بي
فخرج الاسم الله ومعه الاسم المتكلم يترجم منه للممكنات والاسما فذكر لهم
ما ذكره المسمي فتعلق العالم والقادر والمريد والقايل فظهر الممكن الاول من
الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت الاعيان والاثار في
الاكوان وتسلط بعضها علي بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما استند
اليه من الاسما فادي ذلك الي منازعة وخصام فقالوا انا نخاف ان يفسد
علينا نظام حضراتنا ونلحق بالعدم الذي هو عدم ظهورنا كما كنا قبل
فنبهت الممكنات الاسما بما القي اليها الاسم العليم والمدبر وقالوا لو كنا
حكمكم ايها الاسما علي ميزان معلوم وحد مرسوم بامام ترجعون اليه ليحفظ
علينا وجودنا ونحفظ عليكم تاثيراتكم فينا لكان اصلح لنا ولكم فالجاوا
الي الله حتي يقدم لكم من يحد لكم حدا تقفون عنده والا هلكنا وتعطلتم فقالوا
هذا عين المصلحة وعين الراي ففعلوا ذلك فقالوا ان الاسم المدبر هو
الذي ينهي امركم فانهوا الي المدبر الامر فقال انا لها فدخل وخرج بامر الحق
الي الاسم الرب وقال له افعل ما تقتضيه المصلحة فاتخذ وزيرين يعينانه
علي ما امر به وهما المدبر والمفصل قال تعالي يدبر الامر يفصل الايات لعلكم
بلقاء ربكم توقنون الذي هو الامام مجلي الرب فانظروا ما احكم كلام الله

حيث جا بلفظ مطابق لحال الذي ينبغي ان يكون الامر عليه في نفسه فحد الامام
الرب لهم الحدود ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة ليبلوهم ايهم احسن عملا
فسبحان الله رب العالمين انتهى كلامه في عنقا مغرب وهو كلام ما طرق سمعنا
قط مثله في ذلك المعني فان قلت هل من الاسما ما يكون مهيمنا على بعضها
فالجواب نعم كما تقدم في كلام عنقا مغرب فنقول مثلا لا يكون مريدا الا عالما
ولا عالما الا حيا فصار كونه حيا مهيمنا على كونه عالما ومريدا وهكذا كل
اسم يتوقف وجود اثره علي وجود اسم اخر انتهي فان قلت فهل الاسما الالهية
تتراص بين يدي مسماها كما تتراص الملايكة بين يدي ربها فالجواب نعم كما
قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومايه فان قيل فما اول صفوف
الاسما فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين اولها الحي والي جانبه العالم ليس
بينهما فراغ لاسم اخر والي جانب العالم المريد والي جانبه القادر والي جانبه
الحكيم والي جانبه المقيت والي جانبه المقسط والى جانبه المدبر والي جانبه
المفصل والي جانبه الرازق والي جانبه المحيي فهكذا صفوف الاسما كما رايت
ذلك من طريق كشفنا فان قلت فهل يكون التخلق بالاسما الالهية علي ترتيب
حكم صفوفها ام لا فالجواب نعم لا يصح التخلق باسم منها الاعلى ترتيب تراصها
ومتى تخللها فراغ في الكون دخلت الشياطين كما تدخل بين خلل صفوف
الصلاة كما ورد فربما تلبس علي الولي التخلق بما لا يوافق الاوامر الشرعية
بما هو من خصايص الحق تعالي كالكبريا والعظمة في غير محله المشروع فان قيل
فهل بين حضرات الاسما الالهية بون معقول ام لا فالجواب كما قاله الشيخ
في الفتوحات ليس بين حضرات الاسما الالهية بون معقول حقيقة
لارتباط الاسما كلها بمسماها ولكون كل اسم فيه قوة جميع الاسما تطير
خطاب الحق تعالي لنا بالتاية المشعر بالبعد مع انه تعالي اقرب الينا من
حبل الوريد ولكن لما كان لكل اسم حضرة يخصه ووقت يتحكم في اعيان
العالم ويظهر سلطانه فيه ظهر للعبد القرب من تلك الحضرات تارة
والبعد منها تارة اخري كان كل اسم يقول بلسان حاله للعبد هلم الي

حضرتي فاذا كان العبد تحت سلطان حكم الي يعطي حكمه للعبد موافقه ما امر به
او نهي عنه فان الاسم الالهي الذي يعطي حكمه للعبد موافقة ما امر به العبد
او نهي عنه بعيد عن هذا المخالف في حضرة الشهود فيناديه ليرجع الى حضرته
ويصغي لندايه فيكون تحت حكمه فهو لعدم الموافقه فيما امر به ذلك الاسم
بعيد ولا يخرج عبد قط عن هذا الميزان الا ان عصم او حفظ فان قلت
فاذن العبد اسير تحت سلطان الاسما على الدام فالجواب نعم هو اسير تحت
سلطانها فلا ينقضي حكم اسم الا ويتولاه حكم اسم اخر فلا تزال الاسما تتجاذبه
ليلا ونهارا ومحال ان يترك المكلف لحظة واحدة لنفسه فاسم الرحمن يطلب
مرحوما على الدوام واسم المنتقم يطلب منتقما منه على الدوام وهكذا فلا
يخلو عبد من ان يكون في محل لاحدى الدايرتين بحكم القبضتين وما خرج عن
هذا الحكم الا المعصوم او المحفوظ كما مر والله اعلم انتهى ما فتح الله به من الكلام على
اسمه تعالى الحي وتوابعه واما الاسم العالم فقال الجلال المحلي محقق الزمان
العالم هو الذي علمه شامل لكل ما من شانه ان يعلم والا فمتعلقات علمه تعالى
غير متناهية قال تعالى احاط بكل شي علما وقال واحصى كل شي عددا
وقال يعلم السر واخفي وقال يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور وقال
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فهو تعالى عالم بكل ممكن وممتنع لنا من
كليات وجزييات اما الكليات فعلى الاطلاق واما الجزييات فباجماع
من اهل النظر والاتفاق فان قلت كيف اجريت خلافا من كونه تعالى
عالما بالجزييات مع صحة ايماننا فالجواب اني جريت تبعا للخبري في الاشارة
للخلاف في تعلق العلم بالجزييات فانا اعتقد جزما ان الله تعالى عالم بكل شي
ولا يعزب عن علمه شي وقد سالت عن ذلك اليهود والنصارى والمجوس والسامرة
بارض مصر فكلهم قالوا لا يعزب عن علم ربنا شي فما ادري اين هولا الذين
قالوا ان الله تعالى لا يعلم الجزييات حتى حكى عنهم الايمة ذلك لعل من حكى
ذلك عنهم اخذه من لازم مذهبهم ولازم المذهب ليس هو بمذهب على الراجح
ويويد ما قلناه من ان الظاهر ان الايمة اخذوا ذلك من لازم المذهب قول

الشيخ

الشيخ محي الدين في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات اعلم انه لا يوشك مؤمن
ولا غير مؤمن في كمال علم الله عز وجل حتى الذين نقل عنهم انهم قالوا لا يتعلق علمه
تعالى بالجزييات بل علمه بها مندرج في علمه بالكليات لا يحتاج ذلك الى تفصيل
في طريق علمه بها كما هو شان خلقه فلم يرد القايلون بمنع تعلق علمه تعالى بالجزييات
نفي العلم عنه تعالى بها مطلقا وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى لا يتجدد
له علم نفسي بها عند التفصيل فقصدوا التنزيه فاخطوا في التعبير من حيث
ان عبارتهم اوهمت ما اضيف اليهم من المذهب والا فهم مثبتون العلم لله تعالى
انتهى قلت ولعل من حكم بتكفير من قال ان الحق غير عالم بالجزييات ظن انهم
كانوا مسلمين فكفرهم بهذا القول والحق انهم كانوا كافرين قبل ذلك بامور اخر
كما حكاه الشيخ عنهم وقد قال في باب الاسرار من الفتوحات ليس من وصف
الكمال ان يكون في علم الحق تعالى اجمال مع ان الاجمال في المعاني محال وانما محل
الاجمال الالفاظ والاقوال انتهى فان قلت فما المراد بقوله تعالى
ولنبلونكم حتى نعلم وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ونحوهما
من الايات فان ظاهر ذلك يقتضي ان الحق تعالى يستفيد علما بوجود
المحدثات فالجواب ان هذه مسالة اضطرب في فهمها فحول العلما ولا يزيل
اشكالها الا الكشف الصحيح وقد قال الشيخ في الباب الرابع عشر وخمسماية
من الفتوحات اعلم انه ليس ورا الله مرمى وما وراك ايضا مرمى لانك معلوم
علمه تعالى وربك محل الوجود فهو حسبك كما انك حسبه ولهذا كنت اخر
موجود واول مقصود ولولا عدمك ما كنت مقصودا فصح حدوثك
ولولا ما كان علمك به بعد وما صح ان تزيد العلم وهذا من اعجب ما في
الوجود واشكله على العقول كيف يكون من اعطاك العلم العلم بنفسه
لا يعلم نفسه الا بك فان الممكنات اعطت الحق تعالى العلم بنفسها ولا يعلم
شي منها نفسه الا بالله تعالى فلهذا قلنا ان الوجود حسبك كما انك حسبه
لانه الغاية التي اليها ينتهي وما ثم بعده الا انت ومنك علمك وما بقي
بعدك الا المحال وهو العدم المحض انتهى وهذا الموضع ما في الفتوحات

اشكل منه وقد نقلته بحروفه لنوضحه علما الاسلام والله اعلم وقال في الباب
الثامن وخمسين وخمسماية في الكلام علي اسمه تعالي الخبير اعلم يا اخي ان الخبير هو
الذي حصل العلم بعد الابتلا وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالي
ولنبلونكم حتي نعلم وجل الله تعالي عن هذا الاقتضا بل هو تعالي عالم بجميع ما يكون
من العبد قبل كونه ولكنه تعالي نزل نفسه منزلة من يستفيد علما كما تنزل
لعقولنا في اية الاستوا وفي النزول الي سما الدنيا ونحو ذلك مع ان ذلك ينبا في
صفات التنزيه انتهي وقال الشيخ ايضا في باب الاسرار في قوله ولنبلونكم حتي
نعلم اعلم ان من علم الشي قبل كونه فما علمه من حيث كونه واطال في ذلك ثم قال
فعلم ان العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم
هذه مساله حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول وقال في معني هذه
الاية في موضع اخر من هذا الباب اعلم ان للعالم ان يتجاهل وعن الجاهل
يتغافل مع انه ليس بغافل لينظر هل يومن عبده بما اضافه الي نفسه ام يتوقف
وقال في موضع اخر من استفهمك فقد اقر لك بانك عالم بما استفهمك عنه وقد
يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من في قلبه ريب فيتميز من يعلم ربه عند
نفسه ممن لا يعلم نظيره يا ايها الذين امنوا امنوا فهذا مومن امر ان يومن بما هو به
مومن وقال في موضع اخر من باب الاسرار من اعجب ما في الباب من الفتن قوله
تعالي ولنبلونكم حتي نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم
واذا سيلت فقل لا اعلم تعلم ان الفتنة اختبار في البصاير والابصار وقال
في موضع اخر منه لما اخبر تعالي ان العلم انتقل اليه من الكون بقوله حتي نعلم
سكت العارف علي ذلك وما تكلم وتاول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم
ومرض قلب المتشكك وتالم وسربه العالم بالله تعالي ولكنه تكتم فقال مثل
قوله الظاهري الله اعلم فالولي الكامل علم والمحدث سلم فاحمد الله يا اخي الذي
علمك ما لم تكن تعلم واطال في ذلك ثم قال فقد علمت ان العلم المستفاد للعليم
بهم في وجوب الايمان به للحادث والقديم وان عاندت في ذلك فتامل في
قوله حتي نعلم وبما حكم الحق تعالي به علي نفسه فاحكم بذلك ايمانا ولا تتوهم وقسط

بعقلك

بعقلك دون نقلك فان التقييد في التقليد وعلم ان الحق لنا قد يكون معلوما
لنا واما علمه تعالي بنفسه فلا يعلمه احد لعلو قدسه وهو قول عيسي عليه السلام
ولا اعلم ما في نفسك فاني لست من جنسك انتهي كلام الشيخ في باب الاسرار قلت
وقال في الباب الرابع واربعماية اعلم ان من اشكل العلوم اضافة العلم الي المعلومات
والقدرة الي المقدورات والارادة الي المرادات وذلك انه يوهم حدوث
التعلق اعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد وان
المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها في العلم الازلي معلوم علمه
تعالي فهو محيط علما بانها لا تتناهي قال ولما كان الامر علي ما اشرنا اليه وغمض علي ذلك
من عثر من المتكلمين كابن الخطيب قال بالاسترسال المعبر عنه عند قوم بحدوث
التعلق وقال تعالي في هذا المقام حتي نعلم وانكر بعض القدما تعلق العلم
الالهي بالتفصيل لعدم التناهي في ذلك ولكون ذلك غير داخل في الوجود
المحصور واضطربت عقول العلما في هذه الاية لاضطراب افكارها قال
الشيخ واما نحن فقد رفع الكشف عندنا الاشكال في هذه المسالة فالقي
تعالي في قلوبنا ان العلم نسبة بين العالم والمعلومات وما ثم واجب الوجود
غير ذات الحق تعالي وهي غير وجوده وليس لوجوده افتتاح ولا انتها فيكون
له طرف لان نفي البدء والنهاية من جملة درجاته الرفيعة التي ارتفع بها
عن خلقه قال تعالي رفيع الدرجات ومعلوم ان المعلومات هي متعلق
وجوده تعالي فتعلق ما لا يتناها وجودا بما لا يتناها معلوما ومقدورا
ومرادا فتفطن يا اخي لذلك فانه امر ما اظنه طرق سمعك قط فان الحق
تعالي لا يتصف بالدخول في المحصور فيتناها اذ كل ما دخل في الوجود متناه
والباري تعالي هو الوجود الحقيقي فما هو داخل في هذا الوجود لان وجوده
عين ماهيته بخلاف ما سواه فان منه ما دخل في الوجود فتناهي بدخوله
فيه ومنه ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي وعلي هذا ماخذ المقدورات
والمرادات والله اعلم فان قلت فهل اطلع احد من الاوليا علي سبب بدء العالم
الذي هو تاثير الاسما في الممكنات كما ان الخالق يطلب مخلوقا والرازق

بطلب مرزوقا وهكذا فالجواب ان هذا من علم سر القدر وعلم القدر انما هو خاص
بالافراد من كمل الورثة المحمديين قال الشيخ محي الدين في الباب الرابع من الفتوحات
اعلم ان اكثر العلما بالله تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم الا تعلق العلم القديم
ازلا بايجاده فكون تعالى ما علم انه سيكون وهنا انتهى علمهم واما نحن فاطلعنا
الله تعالى على ما فوق ذلك من طريق الوهب وهو ان الاسما الالهية هي المؤثرة
في هذا العالم وهي المفاتح الاول التي لا يعلمها الا هو قال الشيخ ولا ادري اعطى
الله ذلك لاحد من اهل عصرنا ام خصنا به من بينهم انتهى فان قلت فما معنى
سبق الكتاب في حديث ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها
الا باع او ذراع فيسبق عليه الكتاب فانه تعالى ما كتب الا ما علم ولا علم الا ما
من الصور المعلومات على ما هي عليه في انفسها سوا ما يتغير منها وما لا يتغير فهو
تعالى يشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغيراتها الى ما لا يتناهى فلم
توجد الا على ما هي عليه في علمه تعالى واذا تعلق علمه تعالى بالاشيا كلها معدو
وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها فما ثم على ما قلناه كتاب سبق فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر واربعمائة ان معنى سبق الكتاب انما يكون
باضافة الكتاب الى ما يظهر به ذلك الشي الذي تعلق به العلم الى حضرة الوجود
على الهيئة التي كان الحق يشهده عليها حال عدمه فهذا سبق الكتاب على
الحقيقة فان الكتاب سبق وجوده ذلك الشي قال الشيخ ولا يطلع على هذا
ذوقا الا من اطلعه الله تعالى من طريق كشفه على الكوائن قبل ظهور تكونها
كما تقدم في رويا الانسان ان الساعة قد قامت والحق تعالى يحكم فيها فصاحب
هذا الكشف الذي يشهد الامور قبل تكونها في حال عدمها ممن كان له هذا
العلم سبق هو الكتاب فهو لا يخاف سبق الكتاب عليه الا بحسب ما كان
هو عليه في الصورة التي ظهر في وجوده عليها فليعلم العبد نفسه ولا يعترض
على الكتاب قال ومن هنا ان علقت وصف الحق تعالى نفسه بان له
الحجة البالغة لو نوزع فان من المحال ان يتعلق العلم الالهي بما هو المعلوم
عليه في نفسه فلو ان احدا احتج على الله تعالى وقال قد سبق علمك في بان اكون

علي

على كذا فلم تواخذني لقال له الحق تعالى وهل علمتك الا على ما انت عليه فلو كنت
على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فارجع الى
نفسك وانصف في كلامك فاذا رجع العبد الى نفسه وفهم ما قررناه علم انه محجوج
وان الحجة لله تعالى عليه بل يصير هو يقيم لله على نفسه الحجة ادبا معه تعالى ومن هذا يعلم
معنى قوله تعالى ايضا وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ونحوها من الايات يعني
فان علمنا ما تعلق بهم حين علمنا في القدم الا بما ظهروا به في الوجود من الاحوال لا نبدل
الخلق وسياتي بسط ذلك في المبحث الخامس والعشرين في بيان ان لله الحجة البالغة
فراجعه فان قلت فعلى ما قررتموه فبماذا يتميز الحق تعالى في الرتبة على المخلوق
فالجواب ان الحق تعالى يتميز بالرتبة على المخلوق بانه تعالى خالق والعالم مخلوق
قال الشيخ محي الدين بعد ذكر هذا الجواب وهذا يدلك على ان العلم تابع للمعلوم
ما هو المعلوم تابع للعلم قال وهي مسيلة دقيقة ما في علمي ان احدا نبه عليها من اهل
الله الا ان كان ما وصل الينا وما من احد يحققها يمكنه انكارها وفرق بين كون الشي
موجودا فيتقدم العلم وجوده وبين كونه على هذه الصورة في حال عدمه الازلية
مساو للعلم الالهي ولا يتعقل بينهما بون الا في الرتبة انتهى قال الشيخ ولو لم يكن
في الفتوحات الا هذه المسالة لكانت كفاية في شرف الكتاب ويويد ما قررناه
هنا في هذا الموضع ما ذكره في الباب الثامن وخمسين وخمسماية في الكلام على اسمه
تعالى العليم وهو قوله اعلم ان مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص بالعالم وهو نسبة
تحدث لهذه الذات من المعلوم متاخرة عن المعلوم لكونه تابعا له هذا تحقيقه
فحرف على التحقيق في المعلومات وهي نسبة لا يصح رفعها في مشهد احد من
الاكابر وكلما ارتفعت رتبته فهي متصلة بين العالم والمعلوم وليس للعلم عند
المحقق اثر في معلوم اصلا لتاخره عنه عقلا فانك تعلم المحال محالا ولا اثر لك
فيه من حيث علمك به ولعلمك فيه اثر والمحال بنفسه اعطاك العلم بذاته
محال ثم من هنا يعلم ان العلم لا اثر له في المعلوم بخلاف ما يتوهمه اصحاب النظر
فقد ظهر لك ان ايجاد اعيان الممكنات صدر عن القول الالهي كشفا وشرعا
وصدر عن القدرة الالهية عقلا وشرعا لا عن العلم فيظهر الممكن في عينه

فيتعلق به علم الذات العالمة به ظهورا كما تعلقت به بعد وما انتهى فان قلت
فما معنى قوله تعالى وهو بكل شي عليم هل عليم بمعنى عالم او بمعنى معلوم فالجواب
كما قاله الشيخ في باب الحادي والستين وثلاثمائة ان بنيته فعيل ترد بمعنى الفاعل
وبمعنى المفعول كقتيل وجريح واما قوله تعالى هنا عليم فهو بمعنى عالم وبمعنى معلوم
معا فان الباء في قوله بكل شي بمعنى في كل شي فهو تعالى في كل شي معلوم وبكل شي محيط
اي له في كل شي احاطة بما هو ذلك المعلوم عليه وليس ذلك الا الله تعالى ولمن اعلمه الله
قال والاصل في ذلك كله ان الظرفية هل هي اصلية في الكون ثم حملناها على الحق تعالى
حملا شرعيا او هي في حق الحق بحسب ما ينبغي لجلاله وظهرت في العالم بالفعل كما في
قوله في الحديث للجارية اين الله انتهى فتامل في هذا المحل وحرره والله يتولى هداك
خاتمة ذكر سيدي علي ابن وفا رضي الله عنه في قوله احاط بكل شي علما ما نصه كما كان
من صفاتك فهو في الاصل علمه تعالى فوهمك علمه وحسابك علمه وتخيلك علمه وفكرك
علمه وتعقلك علمه واختيارك علمه وعلى هذا فقس فانه تعالى ان لم يكن كل ما هو شي
معلومه لما ثبت له تعالى هذه الاحاطة والله تعالى اعلم واما الكلام على اسمه القادر
فقال المتكلمون القادر هو من كانت قدرته شاملة لكل ما من شانه ان يقدر عليه من
الممكن خاصة بخلاف الممتنع وانما عبروا بقولهم لكل ما من شانه ان يقدر عليه
لينبهوا على ان متعلقات قدرته لا تتناهي وان كان كلما تعلقت به بالفعل
متناهيا فمتعلقاتها بالقوة غير متناهية وبالفعل متناهية فان قلت
فهل يقال ان الحق تعالى يتصف بالقدرة على نفسه او الارادة لوجوده
فالجواب ذلك ممتنع والسوال مهمل لانه واجب الوجود لذاته والارادة متعلقها
العدم لتوجده وتعالى الله عن ذلك فان قلت فما معنى قوله تعالى ان الله على
كل شي قدير فانه تعالى اثبت الشي الذي هو قدير عليه فما بقي لقدرته
متعلق فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الموفي لستين من الفتوحات
المراد بالشي الذي هو قدير عليه ما تعلق به علمه القديم فتعلق به القدرة
فتوجده في عالم الحس فهو قدير على كل شي تعلقت به ارادته مما تضمنه علمه
القديم وايضاح ذلك ان كل من علم استحالات الاعيان في الاعيان وتقلب

الخلق

الخلق في الاطوار علم ان الله على كل شي قدير لا على ما ليس بشي في علمه فان لا شي لا يقبل
الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شي ولا يخرج معلوم عن حقيقته ابدا
فلا شي محكوم عليه بانه لا شي ابدا وما هو شي محكوم عليه بانه شي ابدا انتهى
فان قلت فهل اطلع احد من الاولياء على صورة تعلق القدرة بالمقدور
حالة الايجاد ام هو من سر القدر او سر القدر لا يطلع عليه الا الافراد قال
وقد اطلعنا الله تعالى عليه ولكن لا يسعنا الايضاح عنه لغلبة منازعة
المحجوبين فيه قال تعالى ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا فادخله تحت
المشيئة وذلك لنا بحكم الوراثة المحمدية فان الله تعالى قد طوي علم سر القدر
عن ساير الخلق ما عدا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ورثه فيه كابي
بكر رضي الله عنه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم ساله يوما فقال اتدري يوم يوم
فقال ابو بكر رضي الله عنه نعم ذلك يوم المقادير كما قال كما تكلمنا عليه في عدة
اماكن من مولفاتنا انتهى فان قلت فهل يقال ان قدرة الحق تتعلق بايجاد
المحال كتجسد المعاني وايجاد شخص في مكانين او امكنة في ان واحد فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الثمانين وماتين ان قدرة الله تعالى مطلقة فله ايجاد
المحالات العقلية واطال في ذلك وقال في كتابه اللوامع في قول حجة الاسلام
ليس في الامكان ابدع مما كان قد شنع الناس على الامام بسبب هذه المقالة
ومعناها في غاية الوضوح وذلك انه ما ثم لنا الا مرتبتان قدم وحدوث
فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى
ما خلق لا يخرج عن رتبة الحدوث ولا يصح ان يخلق الله تعالى قديما ابدا
انتهى وقال في الباب الثامن من الفتوحات في شان الارض التي خلقها من
بقية خميرة طينة ادم عليه السلام قد خلت هذه الارض وشاهدت فيها
المحالات العقلية وكل ما احاله العقل بدليله وجدته ممكنا في هذه الارض
موجودا فعلمت بذلك قصور العقول وان الله تعالى قادر على الجمع بين الضدين
ووجود جسم في مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى
قال وكل اية او حديث ورد عندنا وصرفه العقل عن ظاهره وجدناه على

الذي لا يطلع عليه الا الله تعالى فاخبر
في ترجمه لترجمان الاشواق
كما قاله الشيخ ان ذلك من سر القدر

طاهم في هذه الارض واطال في ذلك فلينا مل والله تعالى اعلم واما الكلام على اسمه
تعالى المريد فاعلم ان المريد هو الذي تتوجه ارادته على المعدوم فتوجده فما علم انه
تعالى يوجده اراده فاوجده وما علم انه لا يوجده فلا يريد وجوده فالارادة تابعة
للعلم فعلم ان القدر خيره وشره كاين بارادته وهو ايجاد الاشيا على قدر مخصوص وتقدير
معين في ذات الاشيا واحوالها وغير ذلك هذه عبارة مصنفي العقايد من الاشاعرة
وعبارة الشيخ محي الدين في الباب الثلاثين والثلاثماية اعلم ان القضا سابق
على القدر حتى في اللفظ فيقولون القضا والقدر والقضا هو ارادته تعالى الازلية
المتعلقة بالاشيا على ما هي عليه فيما لا يزال واما القدر فهو تعيين الوقت الواقع
فيه المقدورات من الحق تعالى على العباد فالقضا حاكم القدر فهو يحكم في القدر
ولا عكس والمقدر هو الوقت والقدر هو التوقيت انتهى وقال في الباب الثالث
عشر واربعماية فان قيل فهل يجب الرضى بالقضا فالجواب الذي عليه اهل السنة
والجماعة انه يجب الرضى بالقضا وايضاح ذلك ان الله تعالى لما امرنا بالرضى بالقضا
مطلقا علمنا انه يريد الاجمال فانه اذا فصله انقسم الى ما يجوز لنا الرضى به والى
ما لا يجوز واما القدر فهو توقيت الحكم فكل شي بقضا وقدر اي بحكم موقت من
حيث التوقيت المطلق يجب الايمان بالقدر خيره وشره ومن حيث التعيين يجب
الايمان به لا الرضى ببعضه وصورة الايمان بالشر ان يومن العبد بانه شر كما يومن
بالخير انه خير لكن لا يضاف الى الله تعالى ادبا كما اشار اليه والخير والشر ليس اليك
انتهى فعلم تعالى فعال لما يريد فهو المريد للكاينات في عالم الارض والسموات
كما مر بسطه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته
فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القايل وما تشاون الا ان يشا الله
فان قلت فهل يطلق على الارادة مشية وعكسه فالجواب قال بعضهم الارادة
اخص من المشيئة والمشيه اعم لان المشية تتعلق بالايجاد والاعدام والارادة
لا تتعلق الا بايجاد الممكنات فمتعلقها العدم الاضافي فتتوجه عليه فتوجده
فالمشيه لها الاطلاق لانها توجد وتعدم قال تعالى انما امره اي مشيئته اذا
اراد شيا ان يقول له كن فيكون وقال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد

فهي

فهي اعم من الارادة من هذا الوجه انتهى والحق الاول لان من خصايص صفات
الحق تعالى ان كل صفة تفعل فعل اخواتها بخلاف صفات الخلق لا تتعدى
صفة منها ما قيدها الحق تعالى به هذا ما عليه اهل الكشف وخالف
في ذلك بعض المتكلمين فقال صفات الحق تعالى لا تتعدى مراتبها فلا يسمع
تعالى بما به يبصر وقس على ذلك فان قيل فهل فرق بين الرضى والمحبة او هما
بمعنى فالجواب انهما بمعنى وموضوعهما من الله تعالى انهما لا يكونان الا فعل
محمود شرعا فهما غير المشيه والارادة لانه قد يكون المشا والمراد بهما محمود
كالطاعة والايمان وقد يكون مذموما كالكفر والعصيان فلا يرضى
تعالى لعباده الكفر مع وقوعه من بعضهم بمشيئة الله ولو شا ربك ما فعلوه
وقالت المعتزلة الرضى والمحبة بنفس المشيئة والارادة لان صفات الحق
تعالى كلها كاملة فكل صفة تعمل عمل اخواتها بخلاف صفات الخلق انتهى
وهذا الذي قالته المعتزلة صحيح ان حملنا مرادهم على الكلام من حيث الكمال
الالهي واما ان حملناه على الكلام من حيث الاوامر والنواهي فليس بصحيح
لانه به تصير في مرتبة المنهيات وذلك خروج عن الشريعة فان قلت
فما الفرق بين الارادة والشهوة المتعلقتين بالخلق فالجواب فهل الارادة
صفة للذات على مذهب الجمهور وغيرهم ام هي على مذهب بعضهم فالجواب
قد خالف في ذلك بعضهم فقال ليست الارادة صفة للذات على مذهب
نفاة الزايد ولا صفتها على مذهب من يقول انها زايدة وبه قال الشيخ محي
الدين في الفتوحات في الباب الثامن وخمسين وخمسماية فقال الصحيح عندي
ان الارادة تعلق خاص للذات لنسبة الممكن لامكانه في القبول لاحد
الامرين على البدل فانه لولا معقولية هذين الامرين ومعقولية القبول
من الممكن ما ثبت للارادة ولا للاختيار حكم ولا ظهر لذلك اسم انتهى
فان قلت فاذا كان الكفر والمعاصي من الله تعالى فكيف تبرا سبحانه منهما
بقوله ان الله لا يامر بالفحشا فالجواب ان الادب ان يقال في الشر قضاه وقدره
ولا يقال امر به وان كانت الارادة اقوى في النفوس من حيث انه لا يمكن لاحد

عصيانها يخالف الامر فانه يعصي بارادة الله تعالى وايضا فان الامر موضوع تسميته
انما هو للطرف الراجح في الخير ففيه الحث على الفعل ولا هذا الارادة ولو قيل ان الله
تعالى يامر بالفحشا لصارت من قسم المامورات ولم يبق للمناهي في الوجود اثر فلذلك
تبرا الحق تعالى من الفحشا واضاف الامر بها الى النفس والشيطان وقال الشيخ
محي الدين في عقيدته الوسطى اعلم انه يصح ان يقال كما انه تعالى لا امر بالفحشا كذلك
يقال انه لا يريدها فيقال قضاها وقدرها ولا يقال ارادها ثم قال بيان كونه
تعالى لا يريدها ان كونها فاحشة ما هو عينها وانما حكم الله فيها وحكم الله بالاشيا
غير مخلوق كالقران العظيم سوا وما لم تجر عليه الخلق لا يكون مرادا للحق اذ الارادة
لا تتوجه الا على معدوم لتوجده قال فان الزمنا ذلك في جانب الطاعات
الزمناه وقلنا الارادة للطاعة ثبتت سمعا لا عقلا فاثبتوها في الفحشا ونحن
قلناها في الطاعات ايمانا كما قلنا وزن الاعمال مع كونها اعراضا فلا يقدح ايمانا
بها فيما ذهبنا اليه لما اقتضاه الدليل انتهى وهو كلام دقيق فليتامل ويحرر فعلم
مما قررناه ان الهداية والاضلال والتوفيق والخذلان بيد الله لا بيد العبد
وكذلك اللطف والطبع والختم والاكنه على القلوب بيد الله لا بيد العبد
وكذلك الران والوقر والصمم والقفل الواردة في القران كلها بيد الله تعالى
لا بيد العبد ولنفسر لك معاني هذه الامور فنقول وبالله التوفيق اما الهداية
والاضلال فالمراد بهما خلق الايمان والكفر في العبد وهو مذهب اهل السنة
وقالت المعتزلة ان الهداية والضلال بيد العبد بنا على قولهم ان العبد يخلق
افعال نفسه وذلك مما اخطا فيه المعتزلة كل الخطا فان الحس يكذبهم فضلا عن
الادلة الشرعية ولو ان العبد يخلق افعال نفسه كما زعموا لم يفته مطلوب من
اغراضه ولم يفعل ما يسوءه قط واما التوفيق فقال جمهور المتكلمين ان المراد به
خلق قدرة الطاعة في العبد مع الداعية لعدم تاثيرها واما الخذلان فهو
خلق قدرة المعصية في العبد مع الداعية اليهما وقال امام الحرمين هو خلق
قدرة المعصية فقط على وزن الطاعة كما مر وكان الشيخ محي الدين ابن العربي
رضي الله عنه يقول اذا رايت لوايح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة

استعمالك

استعمالك للمباح وخفت ان ينتقل ذلك الى المكروه فتضرع الى ان تحلق قيد الكرا
لذلك المباح والا هلكت واما اللطف بالعبد فهو ما يقع عنده صلاح العبد
اخرة بان تقع منه الطاعة دون المعصية على وجه العصمة منها ان كان نبيا
او على وجه الحفظ منها ان كان وليا واما الختم والطبع فالمراد بهما واحد كما قال
الاصوليون وهو خلق الضلالة في العبد الذي هو الاضلال واما الكن
فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر واربعماية ان يكون العبد في بيت
الطبيعة مشغولا بامه التي هي النفس ما عنده خبر من ابيه الذي هو الروح
فلا يزال هذا في الظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقول الكفار
ومن بيننا وبينك حجاب ومعلوم ان من كان في حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام
الداعي الى الله ولا يفهمه على وجه الانتفاع به واما الوقر المشار اليه بقوله
تعالى وفي اذاننا وقر فالمراد به ثقل الاسباب الدنيوية التي تصرفه عن
الاشتغال بما ينفعه في الاخرة واما الران المشار اليه بقوله تعالى بل ران
على قلوبهم فالمراد به هو صدا وظلما يطلع على مراة القلب وقد يحدث من
النظر الى ما لا يحل النظر اليه من شهوات الدنيا وجلا ذلك الصدا والظلما
يكون بكثرة الذكر وتلاوة القران واما الصمم فالمراد به حصول فسوق القلب
تمنعه من الاصغا الى كلام داعي الشرع واما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم
القيامة من الكفار وان لم ينفعهم الاعتذار فيقولون يا ربنا انا لم نقفل على
قلوبنا هذا القفل وانما وجدناه مقفلا عليها ولم نعلم من قفلها وقد طلبنا
الخروج فحضنا يا رب من فك ختمك وطبعك عليها فبقينا ننتظر الذي اقفل
عليها عسى ان يكون هو الذي تتولى فتحها فلم يكن بايدينا من ذلك شي قال
الشيخ محي الدين وكان عمر ابن الخطاب من اهل الاقفال فتولى الله تعالى فتح قفله
فايد الله به الاسلام رضي الله عنه فتامل هذه التفاسير فانك لا تكاد تجدها
مجموعة في كتاب والله يتولى هداك فان قلت فاذا كان بيده تعالى ملكوت
كل شي وان كل واقع في الوجود بارادته ومشيئته فاثابته على الطاعة فضلا
منه وعقابه للعباد على المعصية عدلا منه شركا كان او غيره فالجواب

نعم والامر كذلك الا ان يغفر تعالى غير الشرك قال تعالى فاما من طغى واثر الحياة
الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي الماوى وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا قال الشيخ جلال الدين المحلي وهذا الاخير مخصص لعمومات العقاب
اي ولايتها في ذلك العفو الذي تضمنه صدق اخبار الله تعالى تعذيب العصاة
لان التخصيص بيان لان ذلك الخاص لم يرد بالحكم لا انه بيان للرفع بعد
الاثبات فان قلت فهل له تعالى مخالفة ما وعد واوعد في هاتين الايتين
فالجواب نعم له ذلك وبه قالت الشافعية وقالت الحنفية لا يصح فيهما وعلى
كلام الشافعية فله تعالى اثابة العاصي وتعذيب الطايع وايلام الدواب
والاطفال لانهم ملكه يتصرف فيهم كيف يشا قالوا لكن لا يقع منه تعالى
ذلك لاخباره تعالى باثابة المطيع وتعذيب العاصي في كتابه وسنة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم قالوا ولم يرد لنا في كتاب ولا سنة صحيحة ايلام الدواب والاطفال
في غير قصاص الاخرة والاصل عدمه فان كلام الايمة انما هو الايلام في الاخرة
لا في الدنيا اذ وقوع الايلام مشاهد لا نزاع فيه اما ايلام الدواب والاطفال
في القصاص فقد قال صلى الله عليه وسلم لتودن الحقوق الى اهلها يوم القيامة
حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يقتص
للخلق من بعضهم بعضا حتى للجما من القرنا وحتى الذرة من الذرة وقال ايضا
ليختصمن كل شي يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا رواه الامام احمد قال الجلال
المحلي رحمه وقضية هذه الاحاديث انه لا يتوقف وقوع القصاص يوم القيامة
على التكليف والتمييز فيقضي للطفل من طفل وغيره فعلم استحالة وصفه تعالى
بالظلم او وقع منه تعالى تعذيب او ايلام لاحد من خلقه مكلفا او غيره لانه
مالك الامور كلها على الاطلاق فان قلت فهل اذا وقع الايلام في الدنيا للدواب
والاطفال يكفي ذلك عن ايلامهم في الاخرة لحديث لا يجمع الله على عبد عقوبتين
فان عاقبه في الدنيا لم يعاقبه في الاخرة ويكون محل خلاف الايمة في ايلام
الدواب والاطفال في الاخرة على ما اذا لم يعاقبوا في الدنيا فالجواب

نعم

نعم يكفي ذلك خلافا للحنفية ويحصل به اطلاق المشيئة على الحق تعالى في عباده
ويؤيد ذلك قول الشيخ محي الدين في الباب الثامن والتسعين ومايتين اعلم
ان الله تعالى قال في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقد قرر تعالى الذنب واوقع المغفرة وما علق المغفرة
بالدنيا لوقوع الامراض والالام الحسية والنفسية فيها وذلك عين انفاذ الوعيد
في حق الامة لان لا بد لكل مخلوق من وقوعه فيما يولمه فصح قول المعتزلة في مسالة
ايلام البري والطفل فان الاشعري يجوز وقوع ذلك من الله تعالى ولكن يقول
ما كل جايز واقع وقال الشيخ وكلما احتج به الاشعري على المعتزلة فليس هو بذلك
الطايل فان القايلين بانفاذ الوعيد مصيبون ان اطلقوا محل انفاذه ويقيد
الا حيث يعينه الحق تعالى في الدنيا او في الاخرة فاذا انفذه في الدنيا بمرض
او الم او حمى كان ذلك كفاية في صدق انفاذ العقوبة وكان ذلك سترا له عن
عقوبة الاخرة انتهى وقال في الباب الرابع والستين ومايتين اعلم انه لا بد لجميع
بني ادم من العقوبة والبلايا والاسقام شيا بعد شي في ابدانهم وسرايرهم حتى
يدخلوا الجنة او النار فاول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته فانه
يخرج صارخا لما يجده من الالم عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهوى عند خروجه
من الرحم فيحس بالم البرد فيبكي فان مات بعد ذلك فقد اخذ حظه من البلا وان عاش
فلا بد له في الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فان نقل الى البرزخ
فلا بد له من الالم ادناه سوال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد له من الم الخوف على
نفسه او غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الالم وصحبه النعيم ابد الابدين
ودهر الداهرين وان دخل النار فهو في الم لا انتها له ان كان من اهل النار
الذين هم اهلها والا صحبه الالم حتى يخرج بالشفاعة انتهى وقال في باب الاسرار
في قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس الاية اعلم
ان الحق تعالى قد اخبر في هذه الاية ان كلما حصل للعبد من الامور المولمة فهو
جزا ما هو ابتدا فما ابتليت البرية وهي بريه وهذه مسالة صعبة المرتقى فقد
اختلف فيها طايفتان كبيرتان ضعفت احداهما ما اجازت الاخرى ونصرت

كل طايفة منهما ما قام في غرضها وهو عين مرضها قال واما الطبقة العليا من اهل
الكشف فعلموا الامر يقينا وان لم يكن امر مولم في الدنيا الا وهو جزا اما هو ابتدا
لقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم حتى ان الطبيب يقول
للمريض اذا تألم والله ما قصدت الانفعاك بما امرتك باستعماله من الادوية المولمة
وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من اي باب دخل عليه
المرض هذا الالم الذي اصابك انما هو جزا لما المت به المرضى فجز جزا ما فعلته
وان كان ذلك الالم ما قصدته انتهى وسياتي في مبحث ان احدا لا يخرج عن
التكليف ان اول درجات تكليف الروح التمييز فراجعه والله تعالى اعلم واما
الكلام على اسمه تعالى السميع البصير فنقول وبالله التوفيق ان قلت
ما الحكمة في تقديم السميع على الاسم البصير وعلى الاسم العليم في الذكر دون العكس
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والثمانين ومايه ان الحكمة في تقديم
الاسم السميع على غيره في الذكر كون اول شي علمناه من الحق تعالى القول وهو قوله
لنا كن فكان منه تعالى القول ومنا السماع فكون الوجود وقد بسط الشيخ الكلام
على ذلك في الباب السابع والتسعين وسياتي بمعناه في المبحث عقبه ان شا الله
تعالى واعلم ان هذين الاسمين لا يعقل كيفيتهما كساير الصفات فهو تعالى
يسمع ويرى ما تحرك او سكن او نطق في الورى في العالم الاسفل والاعلى فيسمع
كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس ويرى تعالى السواد
في الظلمة والما في الما ولا يحجبه تعالى الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ولا الجدار
كما لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا بصره البعد فهو القريب جلت
صفاته تعالى ان تجتمع مع صفات خلقه في حد او حقيقة وقال
في لواقح الانوار من خصايص الحق تعالى لا يشغله ما يبصره عما يسمعه ولا ما
يسمعه عما يبصره بل يحيط علما بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية ادراك
باحد الصفتين على الاخرى فلا يشغله شان عن شان وقال في باب الاسرار
من اعجب ما يعتقده اهل التوحيد وصفه تعالى بالقرب البعيد قريب ممن
وبعيد عمن هو اقرب اليه من حبل الوريد فالقرب والبعد انما هو

راج

راجع الى شهود العبد فان اطاع ربه راى ربه قريبا وان عصى امر ربه وجد
نفسه بعيدا والله تعالى اعلم واما الكلام على كونه متكلما فاعلم يا اخي ان هذا
محل وقع فيه اضطراب للعلما في تعقله ونحن نشير الى طرف صالح من كلام المتكلمين
والصوفية فنقول وبالله التوفيق اجمع المتكلمون ان هذه الصفة اي صفة
الكلام لا يتعقل كيفيتها كيفية ساير الصفات لان كلامه تعالى لا هو عن صمت
متقدم ولا عن سكوت متوهم اذ هو قديم ازلي كساير صفاته من علمه وارادته
وقدرته كلم تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام سماه التوراة والانجيل
والزبور من غير تشبيه ولا تكييف انما هو امر يرزقه النبي او الملك في
نفسه لا يستطيع ان يكيفه بعبارة كما لو سيل الذايق كيف وجدت طعمه
او الفرق بين حلاوة العسل النحل والعسل الاسود مثلا ما قدر على ايصال
الفرق بينهما الى السامع بعبارة ولو قيل لموسى عليه الصلاة والسلام كيف
سمعت كلام ربك ما قدر على تكييفه لما سمع فان قلت كيف تنوعت الفاظ
الكلام الى عربي وسرياني وعبراني مع انه واحد في نفسه غير متجزي فالجواب
صحيح ان الكلام واحد ولكن المخلوقون هم الذين يعبرون عنه بلغاتهم
المختلفة فهو كذات الله تعالى فان عبر عن كلامه تعالى بالعربية كان قرانا
او بالسريانية كان انجيلا او بالعبرانية كان توراة فان قلت فاول كلام شق
اسماع الممكنات من الحق تعالى فالجواب هو ما اشرنا اليه في المبحث
السابق ان اول كلام شق اسماع الممكنات هو كلمة كن فما ظهر العالم كله الا عن صفة
الكلام وحقيقة هذا الكلام الالهي هو توجه ارادة الرحمن على عين من الاعيان
فينفخ الرحمن في شخصية ذلك الكوني بالكلام وعن المكون فيه بالنفس كما ينتهي
نفس المتنفس المريد ايجاد عين حرف بمخرج النفس المسمى صوتا ولا يعقل كيف
ذلك في جنب الحق والله اعلم وعبارة جمع الجوامع وشرحه القران كلام الله تعالى
القايم بذاته غير مخلوق وانه مكتوب في مصاحفنا على الحقيقة لا المجاز
ومحفوظ في صدورنا بالفاظه المخيلة للمعنى على الحقيقة لا المجاز ومقروء
بالسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة على الحقيقة لا المجاز قال الجلال

المحلي وسهوا بقولهم لا المجاز في الثلاث مشابل على الاشارة الى انه ليس المراد
بالحقيقة كنه الشي كما هو مراد المتكلمين فان المراد بهذه الصفة الحقيقة ليس هو
في المصاحف ولا في الصدور ولا في الالسنة وانما المراد بها مقابل المجاز اي يصح
ان يُطلق على القران حقيقة انه مكتوب محفوظ مقرو اي ان اسناد كل من
هذه الثلاث الى القران اسناد حقيقي كلامها باعتبار وجود من الوجودات
الاربعة كما لا يخفى لا انها اسناد مجازي قال الشيخ وايضاح ذلك انه يصح
ان يقال القران جميعه مكتوب محفوظ مقرو وانه غير مخلوق اي موجود ازلا
وابدا انضاف له باعتبار الوجودات الاربعة التي هي لكل موجود وهي الوجود
الخارجي والوجود الذهني والوجود في العبارة والوجود في الكتابة وهي تدل
على العبارة وعلى ما في الذهن وهو على ما في الخارج فالقران باعتبار الوجود
الذهني محفوظ في الصدور وباعتبار الوجود اللساني مقرو بالالسنة وباعتبار
الوجود الكتابي مكتوب في المصاحف وباعتبار الوجود الخارجي وهو المعنى
القايم بالذات المقدس ليس بالصدور ولا بالالسنة ولا بالمصاحف واما
الالفاظ المركبة من الحروف فانها اصوات هي اعراض والله اعلم وقال الشيخ
كمال الدين ابن ابي شريف في الكلام على الكتاب العزيز اعلم ان القران يطلق
لمعنيين احدهما الكلام النفسي القايم بالذات المقدس الثاني اللفظ المنزل
على محمد صلى الله عليه وسلم وهو اطلاقه عليهما بالاشتراك او هو في الثاني مجاز
مشهور الظاهر الاشتراك قال ثم ان القران بالمعنى الاول محل نظر علماء
اصول الدين وبالمعنى الثاني محل العربية والفقه واصوله قال ووجه
الاضافة في تسمية كلام الله في المعنى الاول انه صفة الله تعالى وبالمعنى الثاني
انه تعالى انشاه برقومه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح
محفوظ او بحروفه في لسان الملك لقوله تعالى انه لقول رسول كريم او لسان
النبي لقوله نزل به الروح الامين على قلبك ومعلوم ان المنزل على القلب هو المعنى
لا اللفظ لا بمجرد كونه دالا على كلامه القديم ثم انه هل يعتبر في التسمية بالقران
بالمعنى الثاني خصوص المحل كما قيل انه اسم لهذا المولف القايم باول لسان

اخترعه

اخترعه الله تعالى فيه او لا يعتبر في التسمية الا خصوص التاليف الذي لا يختلف
باختلاف المتلفظين الصحيح الثاني لانا نقطع انما يقروه كل واحد منا هو القران
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول يكون نفس القران لا نفسه
قال وقد منع السلف من اطلاق القران بحلول القران بالمعنى الثاني في اللسان
او في المصحف ومن القول بكونه مخلوقا ادبا واحترازا من ذهاب الوهم الى القران
بالمعنى الاول الذي هو الكلام النفسي القايم بذاته تعالى انتهى وعمارة
الشيخ ابو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول وقد اجمع السلف كلهم على ان
القران كلام الله غير مخلوق من غير بحث منهم بانه القران او المقرو او الكتابة
او المكتوب كما اجمعوا انهم اذا زاروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المزور
والمصلي والمسلم عليه هو النبي صلى الله عليه وسلم من غير بحث انه شخصه او روحه
واطال في ذلك في الباب الخامس من كتابه فان قلت فهل نزلت الاحاديث
القدسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا او معنى فالجواب يحتمل انها نزلت
معنى لا لفظا فعبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارته هو وذلك لانها لم تنزل
للاعجاز بالفاظها كالقران وهي كلام تعالى بلا شك فان قلت فما معنى قوله
تعالى انا جعلناه قرانا عربيا فانه يوهم انه مخلوق فالجواب ليس الجعل بمعنى الخلق
في سائر الاحوال بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
فان قلت فهل يجوز لاحد ان يعتقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا شيا
من القران على المعنى فالجواب لا يجوز لاحد اعتقاد ذلك لانه لو قدر انه تصرف
في اللفظ المنزل ورواه بالمعنى لكان حينئذ مبينا لنا صورة فهمه لا صورة ما نزل
والله تعالى يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فمن المحال ان يقول صلى الله عليه وسلم
اعيان تلك الكلمات وحروفها بل لو فرض انه صلى الله عليه وسلم اطلع على جميع
معاني كلام الله عز وجل بحيث لا يشذ عنه شي من معانيه وعدل عما انزل فاي
فايدة للعدول وحاشاه من ذلك اذ لو تصرف في صورة ما نزل من الحروف
اللفظية لكان يصدق على انه بلغ للناس ما نزل اليهم وما لم ينزل اليهم ولا
قايل بذلك فافهم وقد اطال الشيخ الكلام على حديث القوم الذين يقرون

القران لا يجاوز حناجرهم في الباب الخامس وعشرين ومايه من الفتوحات فراجعه
فان قلت فما مثال الوحي اذا ظهر لنا وجبريل عليه السلام في صورة دحية فان
جبريل لم يكن حين ظهر فيها بشر محضا ولا ملكا محضا ولا كان بشرا ولا ملكا
معا في حالة واحدة فكما تبدلت صورته في اعين الناظرين ولم تبدل له حقيقته
التي هو عليها فكذلك الكلام الازلي والامر الاحدي يتمثل بلسان العربي تارة
وبلسان العبري تارة وبلسان السريانية اخري وهو في ذاته امر واحد ازلي
فالكافر والمشرك يسمع كلام الله ولكن بين سماعهما بعد المشرقين اذ لو كان سماعهما
واحد بطل الاصطفا وقال الشيخ ابو طاهر القزويني رحمه الله بعد كلام طويل
وبالجملة فالايمة الكبار من شيوخ السلف مثل الامام احمد وسفيان وساير اصحاب
الحديث كانوا اكثر علما واعز فهما واكمل عقلا ومع ذلك زجروا اصحابهم عن الخوض
في مثل ذلك لدقته وغموضه كما ذموا علم الكلام لعلمهم بان استخلاص العقايد
الصحيحة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل عسر جدا الا على من رزقه الله الفهم
عنه اذ غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقران فخاف السلف
علي اصحابهم ان تتزلزل عقولهم فامروهم بمحافظة الامر الظاهر والايمان به
قطعا من غير بحث علي المعني الحقيقي اذ قد صح ايمان المومنين بالله وملايكته وكتبه
ورسله وهم لم يروهم وقالوا لاصحابهم اجروها كما جات من غير تكييف وقولوا
امنا به وصدقنا ولعمري ان في ذلك مصلحة عظيمة للعوام واما الايمة فمحال
ان يختفي عليهم التحقيق في هذه المسالة رضي الله عنهم قال الحافظ الذهبي رحمه الله
وانما وقعت المحنة للعلما في زمان المامون دون غيره من الخلق لان المامون
كان فقيها ماهرا قد طالع كتب الفلاسفة فجره ذلك الي القول بخلق القران
ولولا ذلك لكان من احسن الخلفا عقيدة ورايا وادبا وحلما وسوددا ثم تولي
بعده اخوه المعتصم فامتحن العلما كذلك في مسالة خلق القران وجدد مذهب
اخيه المامون ثم تولي بعده الواثق ابن المعتصم فامتحن العلما كذلك باعتراف
احمد ابن ابي داود ثم تاب الواثق واظهر السنة انتهى والله اعلم واما قول
الشيخ محي الدين رحمه الله في هذه المسالة فقال في الباب الرابع والثلاثين

من

الفتوحات ان قلت ما الحكمة في تخصيص نزول القران في ليلة القدر فالجواب
انما خص نزوله بليلة القدر لان بالقران تعرف مقادير الاشيا وموازينها وكان
نزوله في الثلث الاخير انتهى فان قلت فما المراد بقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث فالجواب كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة ان
المراد انه محدث الاتيان لا محدث المعني فحدث علمه عندهم حين سمعوه كما تقول
حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم انه كان موجودا قبل ان ياتي وكذلك القران
جا في مواد حادثة تعلق السمع بها ثم تعلق الفهم بما دلت عليه الكلمات
فله الحدوث من وجه والقدم من وجه فان قلت فاذن الكلام لله والترجمة
للمتكلم فالجواب نعم هو وكذلك بدليل قوله تعالي مقسما انه يعني القران لقول
رسول كريم فاضاف الكلام الي الواسطة والمترجم كما اضافه تعالي الي نفسه
بقوله فاجره حتى يسمع كلام الله فاذا تلي علينا القران فقد سمعنا كلام الله وموسى
عليه الصلاة والسلام لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السامعين بعد المشرقين
كما مر فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لانبيا وبين من سمعه بالوسايط
انتهى وسمعت سيدي علي الخواص رضي الله عنه يقول ما دام القران في القلب
فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القاري نطق به بصوت وحرف وكذلك
اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت القلب وحرف وسمعته يقول ايضا المفهوم
من كون القران انزل حروفا من كونه من اثنين الي خمسة حروف فاكثر متصلة
او منفردة امران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه سمي كتابا ورقما وخطا فان نظرت
الي القران من حيث كونه تحفظ فله حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث
ينطق به فله حروف اللفظ فما ذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها هل هي كلام الله
الذي هو صفته او للمترجم عنه الحق الثاني انتهى وسمعته ايضا يقول
في قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا
جاءه لم يجده شيا فكما ان الظمان يحسب السراب ماء وليس هو ماء كذلك حكم من
سمع كلام الله يحسب كلامه تعالى بصوت وحرف وليس هو في نفس الامر
بصوت ولا حرف وان كان من المحال ان يظهر الا في صورة امر اخر الا بنسبته

تكون بينهما فهو مثله في النسبة لا مثله في العين فكان الظمآن اذا جاء السراب
لم يجد ثمّ كما كان ذلك من سمع كلام الله بصوت وحرف اذا كشف عنه الغطاء لم يجده
بحرف ولا صوت كما سمعه فقلت له فهل للحق تعالى ان يتكلم بصوت وحرف لاطلاقه
تعالى من حيث انه فعال لما يريد فقال لا يصح ذلك للحق ابدا الا انه يلزم منه
مساواته لخلقه وعدم مباينتهم فهو تعالى فعال لما يريد مما لم يشبه خلقه فيه
واما تجليه تعالى في الصور في الآخرة فليس هي بصور حقيقية كما قلناه في الصوت
والحرف انتهى وقد ذكر ذلك الشيخ محي الدين في الباب الثاني والسبعين
وثلاثمائة فان قلت فهل يصح سماع خطاب الحق تعالى من غير مظهر صوري
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين وثلاثمائة انه لا يصح لعبد ان
يسمع كلام ربه قط الا من وراء مظهر تقييدي يتجلى الحق له فيه فيكون ذلك
المظهر حجابا عنه تعالى ودليلا عليه فلا يشهد عبد في حال المنازلات الخطابية
الا بمظاهر سورية عنها ياخذ ما يترجم له من الحقائق والاسرار وهي الالسنة
الفهوانية الا ترى انه تعالى ما كلم موسى عليه الصلاة والسلام الا في تجليه له في
صورة حاجته التي هي النار انتهى قلت وهو كلام محتاج الى تحرير فليتامل
والله اعلم فان قلت فهل يقال القرآن القديم حال في القلب بلا صوت
وحرف ام بصوت وحرف فالجواب ان القرآن ما دام في القلب فهو احدي
العين لا صوت فيه ولا حرف كما مر فهو في قلوب العلماء به على غير الصورة التي
نطقوا بها في السنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره ثم ان
الخيال ياخذه من القلب فيجسده ويقسمه ثم ياخذه منه اللسان فيصيره كله
احرف وصوت ويقيد به سمع الاذان قال تعالى فاجره حتى يسمع كلام الله فكلام الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه اصواتا وحروفا سمعها الاعرابي بسمع اذنه
في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كائنا من كان اي من حيث
الحروف والاصوات يصح اسناد الكلام الى العبد مجازا كما سياتي بسطه قريبا
في باب الاسرار والقلب بيت الرب انتهى ذكره في الباب التاسع والعشرين
وثلاثمائة وقال في باب الاسرار لو حل بالحادث القديم لصح قول اهل التجسيم

القديم لا يحل ولا يكون محلا ولا يعرف المسك الا من عرفه ولا يضم المعين سوى حرفه
ذكر القرآن امان وبه يجب الايمان انه كلام الرحمن مع تقطع حروفه في اللسان ونظم
حروفه فيما رقم البراع والبنان لحدث الالواح والاقلام وما حدث الكلام
وحكمت على العقول والاوهام بما عجزت عن ادراك الافهام ولو قدر انه نيل بالالمام
لكان العالم به هو العلام انتهى وقال فيه ايضا الذكر القديم ذكر الحق وان حكى
ما نطق به الخلق كما ان الذكر الحادث ما نطق به لسان الخلق وان كان كلام
الحق اذ كان الحق تعالى يتكلم على لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من
نسبتهم لا تعرف الحق في هذه المسالة الا من كان الحق قواه ولا يكون قواه الا ان
قواه وقال فيه ايضا الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم
الصفة لان له الاحاطة وحدوثه هو وروده علينا كما يقال حدث عندنا اليوم
ضيف انتهى وقال فيه ايضا لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث
وتلاه ولا يضاف القديم الى كلام الحادث الا اذا سمعه من الله وقال فيه ايضا
اصدق القول ما جاء في الكتب المنزلة والصحف المطهرة مع تنزيهه الذي لا
يماثله تشبيه فنزلت اياته بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر
صورة ما جاء به الملك هل هو امر ثالث ليس هو مثلهما او مشترك وعلى كل حال
فالمسالة فيها اشكال لان العبارات لحنا والكلام لله ليس هو لنا فما هو النزول
والمعاني لا تتنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهي وان كان القول فما
هو اللفظ الكياني وهو اللفظ بلا ريب فاين الشهادة والغيب ان كان دليلا
فكيف يوافق قيلا وما ثم قيل الا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم
فحقق بذلك ولا تنطق به انتهى وقال فيه ايضا لا تقل انا اياه لقوله فاجره
حتى يسمع كلام الله انت الترجمان والمتكلم الرحمن الحروف ظروف والصفة
عين الموصوف انتهى وهذا لا يتمشى على مذهب من ليست الصفات
عينا ولا غيرا فليحرر وقال فيه ايضا القرآن كله قال الله وما جاء فيه قط تكلم
الله فان قلت فالحكمة في ذلك فالجواب انه لو جاء في القرآن تكلم الله ما كفر
به احد ولا انكر فضله ولا جحد الا ترى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كيف

اثرفيه كلامه وظهرت عليه احكامه فان الكلام ماخود من الكلم الذي هو الجرح والاثر
فاذا اثر القول فاهو لذاته ففرق يا اخي بين القول والكلام كما تفرق بين الوحي والالهام
وبين ماياتيك في اليقظة والمنام تكن من اهل ذي الجلال والاكرام انتهى وقال
فيه ايضا ما العجب الا منا كيف تتلوا كلامه وهو قايم بذاته والله انها ستور مسدلة
وابواب مقفلة وامور مبهمة وعبارات موهمة في شبهات من اكثر الجهات انتهى
فان قلت فهل تتشكل الحروف اللفظية في الهوى ام تذهب هبا منثورا بعد
خروجها فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين انها تتشكل في الهوا
اذا خرجت ولذلك تتصل بالسموع على صورة ما نطق به المتكلم فاذا تشكلت في الهوا
تعلقت بها ارواحها ولا تزال يمسك عليها شكلها وان انقضى عملها فان عملها
وتاثيرها انما يكون في اول ما تتشكل في الهوا ثم بعد ذلك تلتحق بساير الامم
فيكون شغلها تسبيح ربها فان قيل فاذا كانت كلمة كفر فهل تكون مثل كلمات
الخير من كون شغلها تسبيح ربها فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السابق انه يكون
شغلها تسبيح ربها ولو كانت كلمة كفر فان وبال ذلك انما يعود على المتكلم بها لا عليها
لانها نشات مسبحة لله تعالى لا تعلم ما على قايلها من الاثم وقد جعل الشارع العقوبة
على المتلفظ بها بسببها كما يويده حديث ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي
لها بالا يهوي بها في نار جهنم سبعين خريفا وتامل كلام الله تعالى تراه يجد ويعظم
ويقرا على جهة القربة الى الله تعالى وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى في حق الله
تعالى من الكفر والسبية وهي كلمات كفر وبالها على قايلها وبقية الكلمة على بابها
تتولى عذاب قايلها يوم القيامة او نعيمه فان قلت فاذن هذه الحروف الهوائية
اللفظية اللطيفة لا يدركها موت بعد وجودها فالجواب نعم لا يلحقها موت
بخلاف الحروف الرقمية لانها تقبل التغيير والزوال اذ هي في محل يقبل ذلك
واما الاشكال اللفظية فلها البقا لكونها لا تقبل التغيير فان قلت فما الحكمة
في قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من دون قوله واذا قرات الفرقان
فالجواب انما لم يقل الفرقان لان الفرقان يطرد ابليس فلا يحضر القاري فلا احتاج
الى الاستعاذة بالله منه فان قلت فلم لم يومر المستعيذ بالاستعاذة من ابليس

باحد من اولي العزم من الرسل او الملايكة لكون كيده ضعيفا واولوا العزم اقوى
منه بيقين فالجواب انما كان كيد الشيطان ضعيفا بالنظر للقدرة الالهية
اما بالنظر الى الخلق فهو قوي جدا لانه عند حضرة الارادة التي قهرت العالم
كله كانت الاستعاذة منه بالاسم الجامع الذي هو الله دون غيره فاي طريق اتاهم
منها وجد الاسم مانعا عن الحضور بخلاف غيره فان قلت فهل يثاب القاري على
حكاية ما حكاه الحق تعالى عن عباده مثل ثواب ما لم يحكه مما اختص تعالى به فالجواب
نعم يثاب على ذلك ثواب كلام الله كما ان العارف ياخذ كلام الحق الذي قاله ابتداء
بغير الوجه الذي قاله تعالى استدعا وكانه ياخذ ما حكاه الحق تعالى عن عبيده
بالمعنى بغير الوجه الذي يحكيه عنهم باللفظ لكونه قديما ولو حكاه عن الحق لم يحكه
لاحد من خلقه وقد قال الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومايه اذا تلوت
القران فاعلم عمن تترجم فان الله عز وجل تارة يحكي قول عبده بعينه وتارة يحكيه عن
المعنى مثال الاول قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر
لا تحزن ان الله معنا ومثال الثاني قوله تعالى حكاية عن قوله فرعون ياهامان
فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد
فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلنعلم الامور الالهية اذا وردت بغير حروف
القاري بين كلام الله اصالة وبين كلامه حكاية ويميز عن بعضه بعضا فاخر
قول الله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم
جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على
ذلكم اصري ثم انه تعالى حكى قولهم عن جماعتهم اقررنا وكذلك قوله عن المنافقين
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا والى هنا انتهى قوله تعالى ثم انه حكى عنهم قولهم
انا معكم انما نحن مستهزءون وقس على ذلك ما كان مثله في القران تجده كثيرا وهذا
علم لم اجد لاحد قدما فيه من اهل عصري فالحمد لله الذي اهلنا لذلك فانه ليس
لنا مادة نستخرج منها علومنا الا القران العظيم وما كل احد اوتي مفاتيح الفهم
فيه انما ذلك لافراد من الناس فان قلت اذا كان القران كله عربيا فلم لم تفهم
العرب منه معاني الحروف التي هي اوايل السور المرموزة كالف لام ميم والف

لا م ميم ص ونحو ذلك فانه بلسانهم فالجواب انما لم تكن العرب تفهم هذه الحروف
ليبقى لهم الايمان بها ولم يفهموها فلذلك جعل الله تعالى فهمها خاصا باهل الكشف
ولا يقال ان اهل الكشف لا يعرفونها ايضا لانا نقول انه لابد من ان يعلمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شا الله تعالى والا فلو لم يصح لاحد علمها لكانت
حشوا ولا يجوز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كما عليه الجمهور من علما الاصول
خلافا للحشوية باسكان الشين المعجمة ماخوذ من قولهم ان في القران حشواه ورايت
في الباب الثامن وتسعين وماية من الفتوحات ما نصه اعلم ان جميع الحروف
المقطعة اوايل السور كلها اسما ملايكة قال وقد اجتمعت بهم في بعض الوقايع
وما منهم ملك الا وافادني علما لم يكن عندي فهم من جملة اشياخي من الملايكة فاذا
نطق القاري بهذه الحروف كان مثل النداء لهم فيجيبونه لانه ثم رقايق ممتدة من ذواتهم
الى اسمايهم فاذا قال القاري مثلا الم قال هولا الثلاثة من الملايكة ما تقول
فيقول القاري ما بعد هذه الحروف فيقولون له صدقت ان كان خبرا ويقولون
هذا مومن نطق بحق واخبر بحق فيستغفرون له وهكذا القول في المص ونحوها
قال وهم اربعة عشر ملكا اخره نون قال وقد ظهروا في منازل القران على وجوه
مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد هو ص وق ون ومنازل ظهر فيها اثنان
مثل طس وحم وصورها مع التكرار تسعة وسبعون شعبة من الايمان فان
الايمان بضع وسبعون درجة والبضع من واحد الى تسع فقد استوفى هنا غاية
البضع واطال في ذلك ثم قال فمن نظر في هذه الحروف بهذا الباب الذي
فتحه له راى عجايب وتخرق له هذه الارواح الملايكة التي هي الحروف اجسامها
فتمده بما بيدها من شعب الايمان وتحفظ عليه ايمانه الى الممات خاتمه
ذكر الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلاثماية ان جميع المحكم من القران عربي
وجميع المتشابه اعجمي ومعلوم ان العجمية عند اهلها عربية والعربية عند غير اهلها
عجمية وما ثم عجمة الا في الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة واما في المعاني
فكلها عربية لا عجمة فيها فمن ادعى معرفة علم المعاني وقال بالتشبيه فيها فلا علم
له بما ادعاه ثم ان المعاني كالنصوص عند اهل الالفاظ لكونها بسايط لا تركيب

فيها فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود فاعلم ذلك وحرره والله يتولى هداك
واما الكلام على اسمه الباقي تعالى فاعلم ان الباقي هو من كان بقاوه مستمرا لا اول
له ولا آخر وبعضهم استغنى بذكره الحي عن ذكر هذا الاسم فان الصفات الالهية
انما هي سبعة في الحقيقة عدد نجوم الثريا وانما استغنى بالحي تعالى لان الحي هو
من كانت حياته ابدية لا افتتاح لها ولا انتهاء وقد تقدم في مبحث كون الصفات
الالهية عينا او غيرا ان الاصوليين اختلفوا في صفة البقا وان الاشعري
واكثر اتباعه على انها صفة زايدة على الذات وان المعتزلة والقاضي والامامين
قالوا انه تعالى باق لذاته وادلة الفريقين مسطورة في كتب اصول الدين والله
تعالى اعلم المبحث السابع عشر في معنى الاستواء
على العرش اعلم ان هذا المبحث من عضال المباحث فلنبسط يا اخي الكلام فيه بنقول
المتكلمين والعارفين حتى يتجلى لك وجه الحق فيه ان شا الله تعالى فنقول وبالله التوفيق
قال الشيخ صفي الدين ابن ابي المنصور في رسالته يجب اعتقاد ان الله تعالى ما استوى
على عرشه الا بصفة الرحمانية كما يليق بجلاله كما قال تعالى الرحمن على العرش
استوى ولا يجوز ان يطلق على الذات العلي انه استوى على العرش ان كانت الصفة
لا تفارق الموصوف في جانب الحق تعالى لان ذلك لم يرد لنا التصريح به في كتاب
ولا سنة فلا يجوز لنا ان نقول على الله ما لم نعلم فكما انه تعالى استوى على العرش
بصفة الرحمانية كذلك العرش وما حواه به استوى واعلم ان غاية العقل في
تنزيه الباري عن كيفية الاستوا ان يجعل ذلك استوا تدبير كما استوى الملك من
البشر على مملكته كما قال في استشهادهم بقولهم قد استوى بشر على العراق وابن
استوى هذا الذي هو مخلوق من استوا الباري جل وعلا فتامل وسياتي بسط ذلك
في الخاتمة اخر المبحث الاتي بعده ان شا الله تعالى وقد انشد الشيخ
محي الدين في الباب الثالث عشر من الفتوحات رضي الله عنه
العرش والله بالرحمن محمول • وحاملوه وهذا القول معقول
واي حول المخلوق ومقدرة • لولا اتاه عقل وتنزيل
واطال في ذلك فان قلت فما وجه الحكمة في كون الاستوا لم يجي في الكتاب والسنة

الا الاسم الرحمن فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومايه ان وجه
الحكمة في ذلك اعلام الحق تعالى لنا انه لم يرد لنا رحمة بالايجاد الا رحمة الموجودين
كل احد بما يناسبه من رحمة الامداد او رحمة الامهال او عدم المعاجلة بالعقوبة
لمن استحقها ونحو ذلك فعلم ان الاسم الرحمن من اعظم الاسما حكما في المملكة ويليه الاسم
الاسم الرب وكذلك لم يرد لنا ان الحق تعالى ينزل الي سما الدنيا الا بالاسم الرب المحتوي
علي حضرات جميع المربوبين انتهي فان قلت فما الحكمة في اعلامه تعالى انه استوى
علي العرش بنا علي ان المراد بالعرش مكان مخصوص في جهة العلو لجميع الاكوان
فالجواب كما ذكره الشيخ في الباب السبعين وثلاثمائة ان الحكمة في ذلك تقريب
الطريق علي عباده وذلك انه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولابد للملك من مكان
يقصده فيه عباده لحوايجهم وان كانت ذاته تعالى لاتقبل المكان قطعا اقتضت
المرتبة له ان يخلق عرشا وان يذكر لعباده انه استوي عليه ليقصدوه بالدعا وطلب
الحوايج فكان ذلك من جملة رحمته بعباده والتنزل لعقولهم ولولا ذلك لبقي صاحب
العقل حايرا لايدري اين يتوجه بقلبه فان الله تعالى خلق العبد ذا جهة من اصله
فلا يقبل الا ما كان في جهة ما دام عقله حاكما عليه فاذا من الله عليه بالكمال واندرج
نور عقله في نور ايمانه تكافات عنده الجهات في جانب الحق تعالى وعلم وتحقق
ان الحق تعالى لا يقبل الجهة ولا التحيز وان العلويات كالسفليات في القرب
منه تعالى قال تعالى ونحن اقرب اليه منكم حبل الوريد وقال صلى الله عليه وسلم
اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فعلم ان الشرع ما تبع العرف الا في حق
ضعفا العقول رحمة بهم فان قلت فاذا كلما كان دنوا من حضرة الحق تعالى فهو
عروج وان كان في السفليات فالجواب كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثمانين
وثلاثمائة نعم لان الحق تعالى من حيث هو لا يتقيد بالجهات فان قلت
فما الحكمة في اخباره تعالى بانه تعالى ينزل فالجواب كل ليلة الي سما الدنيا مع
انه تعالى لا تقبل ذاته النزول ولا الصعود فالجواب الحكمة في ذلك فتح
باب تعليم التواضع لنا بالنزول الي مرتبة من هو تحت حكمنا وتصريفنا
واعلامنا بانه كما لا يلزم اثبات المكان كذلك لا يلزم من اثبات الفوقية

اثبات

اثبات الجهة وايضا فان في اعلامه تعالى لنا بانه ينزل الي سما الدنيا فيقول هل
من سايل هل من مريض هل من مستغفر ونحو ذلك الاذن لعباده في مسامرته بالسوال
وطلب النوال ومناجاته بالاذكار والاستغفار كما انه تعالى يسامرهم كذلك
بقوله هل من سايل الى اخر النسق فيقول لهم ويقولون له ويسمعهم ويسمعونه من
طريق الالهام كانهم في مجلس الخطاب ولله المثل الاعلى هذا معنى النزول عند اهل
العقول انتهى واعلم يا اخي ان صفة الاستوا علي العرش والنزول الي سما الدنيا
والفوقية للحق تعالى ونحو ذلك كله قديمة والعرش وما حواه مخلوق محدث
بالاجماع وقد كان تعالى موصوفا بالاستوا والنزول قبل خلق جميع المخلوقات
كما انه لم يزل موصوفا بانه خالق ورازق ولا مخلوق ولا مرزوق فكان قبل العرش
يستوي علي ماذا او قبل خلق السما ينزل الي ماذا انظر بعقلك فما تعقله في
معنى الاستوي والنزول قبل خلق العرش والسما فاعتقده بعد خلقهما وانا
اضرب لك مثلا من الخلق تعجز عن تعقله فضلا عن الخالق وذلك ان الخالق كل
عرش تصوره وراه خلا او ملا من جهاته الست فليس هو عرش الرحمن الذي وقع
الاستوا عليه فلا يزال عقلك كلما تقف علي شي يقول لك فما وراه فاذا قلت
له خلا يقول لك فما ورا الخلا وهكذا ابد الابدين ودهر الداهرين فلا يتعقل
العقل كيفية احاطة الحق تعالى للوجود ابدا فقد عجز العقل والله في تعقل
مخلوق فكيف بالخالق وكل من ادعي العلم بالله تعالى علي وجه الاحاطة به كذبناه
وقلنا له ان كنت صادقا فتعقل لنا شيا لم يخلقه الله تعالى فان الله تعالى خالق
غير مخلوق باجماع جميع الملل وقول الشبلي ان الحق اذا احطتم به احاطوا به فرض
محال لانه لم يبلغنا وقوعه لاحد وكيف تصح الاحاطة فلا بدع حينئذ كما بسطنا
الكلام عليه في باب الاجوبة لا كما يتوهم في جانب الحق فان قلت فاذن الحق
تعالى لا يحيط بذاته لعدم تناهيها علي حد ما يتعقله الخلق من الاحاطة والتناهي
فالجواب نعم وهو كذلك كما اوضحه الشيخ في الباب التاسع والثمانين وثلاثمائة
فقال اعلم ان من القول المستهجن قول بعض النظار ان الحق تعالى لا يحيط
بنفسه لان وجوده تعالى لا يتناهى ووجوده عين ماهيته ليس غيرها وما

لا ابتداها لا يكون محاطا به الا انه لا ابتناهي فقد احاط تعالى علما بانه لا ابتناهي له مثلا عن
العالم قال الشيخ وهذا القول وان كان مستهجنا من حيث اللفظ فله وجه الى الصحة
وذلك انه تعالى يعلم من ذاته انه لا يقبل الاحاطة ولا التحيز لانتفا البدء والنهاية
ولمباينته خلقه في ساير الاحكام قال وهذه المسالة مزلة قدم فان غالب
الناس اذ سمع احدا يقول ان الله تعالى لا يحيط بذاته يبادر الى الانكار عليه ويقول
بل هو محيط بها على وجه الاحاطة التي نتعقلها للخلق وتعالى الله عن ذلك
انتهى وقد نبه على ذلك ايضا الشيخ عبد الكريم الجيلي في الباب الخامس والعشرين من
في كتابه المسمى الانسان الكامل ولفظه ان ماهية الحق تعالى غير قابلة للادراك
والغاية فليس لكماله تعالى غاية ولا نهاية فهو سبحانه مدرك ماهيته
ويدرك انها لا تدرك في حقه ولا في حق غيره اعني يدركها بعد ان يدركها
انها لا تقبل البدء ولا النهاية فان نفي البدء والنهاية درجة من درجاته التي يتميز
تعالى عن العالم بها قال تعالى رفيع الدرجات ذو العرش كانه تعالى يقول
ليس لي نهاية في نفسي حتى يتعلق بها علمي قال وقولنا ان الحق تعالى يدرك
ماهية ذاته وصف له بالعلم والقدرة ونفي الجهل وقولنا ويدرك انها لا تدرك
نفي للتشبيه واثبات التنزيه قال ومن هذا ينقدح لك الجواب عن قول الامام
الحرالي رحمه الله تعالى ليس في الامكان ابدع ابدع مما كان اي لان كلما كان
من هيئات الممكنات واحوالها قد تعلق به العلم القديم والعلم القديم لا يقبل
زيادة ابدا فكذلك معلومه فصح انه ليس في علم الحق ابدع من هذا العالم من حيث
كونه في مرتبة الحدوث هذا مراد الحرالي رحمه الله انتهى فان قلت
فاذا كانت ذات الحق تعالى تجل عن الاستوا والنزول الى الكرسي والى سما الدنيا
لكونه تعالى قديما وهذه الامور محدثة لها اول واخر فما معنى قوله تعالى
وكان عرشه على الماء مع ان في معنى الحديث كل شي خلق من الما فحمل العرش وما
حواه فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلاثمائة ان على هنا
بمعنى في اي كان العرش في الما بالقوة فان الما اصل الموجودات كلها فهو لها
كالهيولى لجميع ملك الله تعالى اذ هو عرش الحياة فعلم ان العرش هنا كناية عن

جميع

جميع ملك الله تعالى وكان حرف وجودي اي الملك كله موجود في الما فان
قلت فما معنى حديث كان ربنا في عما ما فوقه هوا وما تحته هوا فانه اثبت له
صفة فوق وتحت مع ما في الحديث نافية لا موصولة فليس فوق العما الذي
كان الحق تعالى فيه هوا ولا تحته هوا وذلك ليخالف مرتبة المحدثات فان العما
هو عند العرب هو السحاب الرقيق وكيف اجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
ذكر مع ان السايل انما قال يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق فما هذا
العما ان كان مخلوقا فالسوال باق من السايل فالجواب ان جواب ذلك
لا يذكر الا مشافهة لاهله لان الكتاب يقع في يد اهله وغير اهله والله
اعلم فان قلت فاذا قلتم ان العرش لا وراله لانه اسم لمجموع الكاينات فاين
الخلا الذي يكون فيه الحافون من حول العرش يوم القيامة فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومايه انه لا فرق بين كونهم حافين
من حول العرش وبين الاستوا على العرش في عدم التعقل ويكفينا الايمان
في ذلك فان قلت فما وجه تسمية العرش بثلاثة اسما عظيم وكريم ومجيد
فهل هي مترادفة ام لا فالجواب انها غير مترادفة فهو من حيث الاحاطة
عظيم لكونه اعظم الاجسام ومن حيث انه اعطى ما فوقه لمن هو في حيطته وقبضته
كريم ومن حيث تنزهه عن ان يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد لشرفه على
ساير الاجسام فهذا ما وجدته في الفتوحات المكية وقد رايت في كتاب
سراج العقول للشيخ ابي طاهر القزويني رحمه الله كلاما نفيسا في مسالة
الاستوا على العرش وها انا ملخص عيونه فاقول وبالله التوفيق وقال
في الباب الثالث من كتابه المذكور في قوله الرحمن على العرش استوى اعلم
ان الله تعالى قد خلقنا من الارض في الارض وخلق فوقنا الهوى وخلق
فوق الهوى السموات طبقا فوق طبق وخلق فوق السموات الكرسي وخلق
فوق الكرسي العرش العظيم الذي هو اعظم المخلوقات ولم يبلغنا في كتاب
ولا سنة ان الله تعالى خلق فوق العرش شيا واما ما جاء من ذكر السرادقات والشرفات
والانوار فهو من جملة العرش وتوابعه فقوله جل جلاله الرحمن على العرش

استوي اي استتم خلقه تعالي علي العرش فلايخلق خارج العرش شيا وجميع ما خلق ويخلق دنيا واخري لايخرج عن داير العرش لانه حاوٍ جميع الكاينات ومع ذلك فلايزن في مقدوراته ذرة فاني يكون مستقره وقال واولي ما يفسر القران بالقران قال تعالي فلما بلغ اشده واستوي اي استتم شبابه وقال تعالي كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوي علي سوقه اي استتم ذلك الزرع وقوي واذا احتملت الاية والحديث وجها صحيحا سالما من الاشكال وجب المصير اليه ولكن النفوس تميل الي الخوض في الشبهات وقد اختلف ارا السلف والخلف في معني اية الاستوي وذكروا في تفسيرها كل رطب ويابس وضلت المشبهة بذلك حتي اداهم الي التصريح بالتجسيم واقتضي الامرين الايمة الي التكفير والتضليل والضرب والشتم والقتل والنهب والالقاب الفاضحة ولله تعالي في ذلك سر مع ان الاية عما فهموه بمعزل كما ذكرنا قال وايضاح ذلك ان الله تعالي ما ذكر الاستوي علي العرش في جميع القران الا بعد ذكر خلق السموات والارض وذلك في ستة مواضع قال في سورة الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوي علي العرش وقال في سورة يونس ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوي علي العرش يدبر الامر وقال في سورة طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلي الرحمن علي العرش استوي وقال في سورة الفرقان الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوي علي العرش الرحمن وقال في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوي علي العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع وقال في سورة الحديد هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوي علي العرش يعلم ما يلج في الارض والمعني في هذه الايات كلها استوا الخلق علي العرش اي استتم علي خلقه بالعرش فما خلق بعد العرش شيا كما يقال استقر الملك علي الامر الفلاني واستقر الامر علي الراي الفلاني اي ثبت وهو ما روي ابن عباس رضي الله عنهما انه قال استوي استقر انتهي وهو بمعني استتم واستكمل قال واصل الاستوا في العربية المساوات

قال

قال تعالي هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قد جعل الله تعالي لكل شي نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوا ومنه استوي الشمس واستوي الميزان واذا تمكن الجالس علي موضعه واستقر يقال استوي قال تعالي فاذا استويت انت ومن معك علي الفلك وقال تعالي لتستووا علي ظهوره وقال في ذكر السفينة واستوت علي الجودي ولما كمل الله خلق السموات والارض واتمه قال فسواهن سبع سموات وقال في تمام خلق ادم وتصويره فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقال ونفس وما سواها فعلي هذا الاصل يكون تفسيرا لاستوا في الايات السابقات بالمساوات احق واصدق وذلك كما يقال استوي امر فلان اي استتم واستكمل وقال ولما كان الفعل الماضي والمستقبل يدلان علي المصدر ربما ان يخرج للمصدر المقدر فعل ظاهر كان او كناية فالظاهر نحو قولك سا ومت زيدا ساعة فاستوا علي العشرة اي المستوي علي السوم والقيمة علي العشرة والكناية نحو قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه اي في الجعل ومنه قول الشاعر اذا نهي السفيه جري اليه اي الي السفه فلما دل لفظ السفيه اعاد الكناية اليه فكذلك حكم هذه الايات قال ومثاله في الكلام قولك بني زيد بيته فاستوي علي السقف يعني استقر البنا علي سقفه واستتم به كذلك معني خلق السموات والارض في الايات كاري فاستقر الخلق علي العرش واستتم وما خلق فوقه شيا فان قيل فما قولك في قوله تعالي في سورة طه الرحمن علي العرش استوا وفي سورة الفرقان ثم استوي علي العرش الرحمن فالجواب ان الشبه انما وقعت فيهما من جهة النظم والا فالقصة في جميع الايات واحدة وللنظم طرق عجيبة في القران فاما قوله تعالي في سورة طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلي الرحمن علي العرش استوي فان الرحمن تفسير وايضاح لقوله ممن اي هذا الخالق هو الرحمن ثم قال علي العرش استوي خلقه وفاعل استوي هو المصدر الذي يدل عليه لفظ خلق ويسمي ذلك بالضمير المستتر وفتح استوي في آخر الاية لان مقاطيع ايات هذه السورة علي الالف المقصورة قال تعالي في سورة الفرقان الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما

في سته ايام ثم استوي على العرش الرحمن ففيه تقديم وتاخير والاية تقديره الذي
خلق السموات والارض هو الرحمن على العرش فالرحمن ابتدا خبره متقدم عليه وذلك
الخبر هو قوله الذي خلق كما تقول الذي جاك زيد وقوله ثم استوي على العرش اعتراض
في الكلام والمعني كما قلنا استوي خلقه على العرش يعني استوي وقال ابو طاهر
بعد كلام طويل هذا وكم ناظر في كلامي يبادر الي ملامي ويقول انك ابتدعت
للاية تفسيرا مخالفا لما قاله جماهير السلف والخلف وفي مخالفتهم خرق الاجماع
واني والله اعذره في ذلك فان الفطام عن المعهود شديد والنزول عما تلقنه الغبي
من اباييه وشيوخه صعب جدا حقا كان ام باطلا والذي اقوله ان هذا الذي ذكرنا
محتمل صحيح واضح وان سماه بعضهم بدعة مستحسنة واطال في ذلك ثم قال وبالجملة
فالعرش اعظم الممالك كلها والحق تعالى فوقه بالرتبة وذلك انا لما تاملنا ما فوق
راينا الهوا واذا تاملنا فوق الهوا راينا سما فوق سما يقول ربنا ثم اذا ترقينا باوهامنا
من السموات السبع راينا الكرسي واذا ترقينا من الكرسي راينا العرش الذي هو
منتهي المخلوقات التي هي بجملتها تدل على الخالق جل جلاله ثم اذا تدرجنا بالفكر
من العرش الذي هو نهاية لم نر للفكر مرقاة البته فيقف الفكر هناك لان
مطار الفكر ينتهي بانتها الاجسام فنري اذ ذاك بعقولنا وقلوبنا الرحمن فوق
العرش من حيث الرتبة اذ رتبة الخالق فوق رتبة المخلوقات فهو تعالى فوق
العرش على الكرسي لا يكون الا بالجهة والمكان بخلاف فوقية الرب على العرش فانها
بالرتبة والمكانة دون المكان انتهي والله تعالى اعلم

المبحث الثامن عشر في بيان ان عدم التاويل لايات

الصفات اولي كما جري عليه السلف الصالح رضي الله عنهم الا ان خيف من عدم
التاويل محظورا كما سياتي بسطه ان شا الله تعالى ولنبدا بكلام الاصوليين ثم
نعقبه بكلام الشيخ محي الدين فنقول وبالله التوفيق قال جمهور المتكلمين ما صح
في الكتاب والسنة من ايات الصفات واخبارها نعتقد ظاهر المعني منه وننزه
عند سماع المشكل منه كما في قوله تعالى الرحمن على العرش استوي ويبقي وجه ربك
ولتصنع على عيني ويد الله فوق ايديهم ونحو ذلك ثم اختلفوا هل نؤول المشكل او

يفوض

يفوض علم معناه الي الله تعالى مع تنزيهنا له عن ظاهر اللفظ حال تفويضنا فمذهب
السلف التسليم ومذهب الخلف التاويل ثم انهم اتفقوا سلفا وخلفا علي ان جهلنا
بتفصيل ذلك لا يقدح في اعتقادنا المراد منه مجملا قالوا والتفويض اسلم والتاويل
الي الخطا اقرب مما في التاويل من فوات كمال الايمان بايات الصفات لان الله تعالي
ما امرنا ان نؤمن الا بعين اللفظ الذي انزله لا بما اولناه بعقولنا فقد لا يكون ذلك
التاويل الذي اولناه يرضاه الله تعالى اعلم ان من يريد التاويل لايات الصفات
يحتاج الي علوم كثيرة قل ان تجتمع في شخص من اهل هذا الزمان وهي التبحر في لغة العرب
من جميع القبايل والغوص في معرفة مجازاتهم واستعاراتهم ومعرفة اماكن التاويل
وتمييزه عن الخطا وغير ذلك من التبحر في علوم تفسير القران وشروح الاحاديث
ومذاهب السلف والخلف في ساير الاحكام قال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف في
حاشيته وانما شرطوا التنزيه حال التفويض ليتنبهوا في المشكل المعني انتهي واما كلام الشيخ
محيي الدين في ذلك فكله مايل الي التسليم وعدم التاويل الا ان خفنا على انسان وقوعه
في محظور اذا لم نؤول ذلك له فيتعين حينئذ التاويل كما فتح لنا الحق باب التاويل
للضعفا بقوله في حديث مسلم وغيره مرضت فلم تعدني فان العبد لما توقف في ذلك
وقال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال له الحق تعالى اما علمت ان عبدي فلانا
مرض فلم تعده اما انك لو عدته لوجدتني عنده الي اخر السياق وقال الشيخ محيي الدين في
الباب السابع والسبعين وماية جواز التاويل للعاجز وقال في الباب الثامن والستين
عقب الكلام على الاذان من الفتوحات يجب على كل عاقل ستر الستر الالهي الذي اذا كشف
ادي عنه من ليس بعالم ولا عاقل الي عدم احترام الجناب الالهي الاعز الاحمي فيجب
التاويل لمثل هذا انتهي وكان الشيخ محيي الدين يقول اسلم الايمان العقايد بما انزل الله
على مراد الله اذ الحق تعالي ما كلفنا ان نعلم حقيقة نسبة الصفات اليه لعلمه بعجزنا عن
ذلك فان حقيقته تعالي مباينة لجميع صفات خلقه وحقايقهم وقال الشيخ في الباب
الخامس واربعماية وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول قطاع طريق السفر بالفكر
في المعقولات الشبه القادحة في الايمان وقطاع طريق السفر في المشروعات التاويل انتهي
وكان يقول ايضا ما ثم في الكون كلام الا وهو يقبل التاويل قال تعالى وليعلمه من

تاويل الاحاديث ثم ان من التاويل ما يكون موافقا لمراد المتكلم ومنه ما يكون مخالفا لمراد
المتكلم فعلم ان ما ثم كلام الا وهو قابل للتعبير عنه ثم لا يلزمنا افهام كل من لا يفهم انتهى
ويويد ذلك قول الشيخ محي الدين في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة لا يخرج احد من اهل الفكر
عن التوقف في معنى ايات الصفات ما دام في قيد العقل فاذا خلع الله تعالى عليه من علمه
اعلمه تعالى من طريق الالهام بمراده من تلك الاية او الحديث قال ثم ان من رحمة الله تعالى
انه غفر للمؤولين من اهل ذلك اللسان اذا اخطاوا في تاويلهم فيما يلفظ به رسولهم من
تشريع الله او من تشريع رسول الله باذن الله انتهى وقال الشيخ في لواقح الانوار اعلم ان
الغلط ما دخل على الفلاسفة الا من تاويلهم وذلك انهم اخذوا العلم من شريعة ادريس
عليه السلام فاولوا ما بلغهم من كلامه لما رفع فاختلفوا كما اختلفنا نحن في كلام نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فاحل هذا العالم ما حرم العالم الاخر قال الشيخ وما علمت
الخطا الا من ادريس عليه السلام حين اجتمعت عليه في واقعة من الوقايع فاخذت علمه منه
على وجه الحق انتهى وقال ايضا في باب الاسرار اياك والتاويل فانك لا تظفر بطايل
ومتعلق الايمان انما هو بما انزل الله من الالفاظ لا بما اوله عقلك امن الرسول بما انزل
اليه من ربه الى اخره وقال في الباب السادس والسبعين ومايتين في قوله تعالى ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم المراد باقامة التوراة عدم تاويلها فمن
اول كلام الله فقد اضجعه ما كان قايما ومن نزهه عن التاويل والتعلق فيه بفكره فقد
اقامه فان الفكر غير معصوم من الغلط انتهى وقال في الباب الخامس عشر وثلثمايه
اعلم ان من الادب عدم تاويل ايات الصفات ووجود الايمان بها مع عدم الكيف كما جاءت
فانا لا ندري اذا اولنا على ذلك التاويل هل هو مراد بما قاله فنعتقد عليه ام هو ليس بمراد
له فيرده علينا فلهذا التزمنا التسليم في كل ما لم يكن عندنا فيه علم من الله تعالى فاذا قيل
لنا كيف يتعجب ربنا او كيف يفرح مثلا قلنا انا مومنون بما جاء من عند الله تعالى على مراد الله
وانا مومنون بما جاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونكل علم الكيف في ذلك كله الى الله والى رسوله قال وقد يكون الرسل ايضا
بالنسبة الى جاياتهم من الله تعالى من ذلك الامر فيرد عليهم هذه الاخبارات من الله تعالى
فيسلمون علمها الى الله تعالى كما سلمنا ولا نعرف تاويله هذا لا يبعد وقد نعرف تاويله بتاويل

الله تعالى باي وجه كان هذا ايضا لا يبعد قال وكانت هذه طريقة السلف جعلنا
الله لهم خلفا امين انتهى على ان الشيخ رحمه الله تعالى قد خرج على عقيدة من يقول نومن بهذا
اللفظ من غير ان نعقل له معنى في الباب الخامس والاربعايه فقال من امن بلفظ من غير ان
يعقل له معنى وقال نجعل نفوسنا في الايمان به حكم من لم يسمع به ويبقى على ما اعطانا
دليل العقل من احالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول فهولاء متحكمون على الشارع
بحسن عبارة في جعلهم نفوسهم حكم من لم يسمع الخطاب قال ومن هولاء طايفة تقول
نومن بهذا اللفظ على علم الله فيه وعلم رسوله فلسان حال هولاء يقول ان الله تعالى قد خاطبنا
بما لا نفهم فجعلوا ذلك كالعبث والله تعالى يقول وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم وقد جا بهذا فقد ابان صلى الله عليه وسلم لنا كلما امر الله تعالى قال واخبث
الخايضين في الصفات بغير علم من طعن في الرسل وجعلهم في ذلك تحت حكم الخيال والاوهام
ويليهم من قال ان الرسل اعلم الناس بالله تعالى لكنهم نزلوا في الخطاب على قدر افهام الناس
لا على ما هو الامر عليه في نفسه فانه محال فلسان حال هولاء كالمكذب للرسل فيما ينسبوه الى
ربهم بحسن عبارة كما يقول الانسان اذا اراد ان يتادب مع شخص يحدث بحديث لا يعتقد
السامع صدقه فلا نقول له كذبت وانما نقول له يصدق سيدي فيما قال ولكن ليس الامر
كما ذكرتم وانما صورة الامر كذا وكذا فهو يكذبه في جملة بحسن عبارة ويليهم في ذلك من قال لا تقول
بالشرك في العبارة الى افهام الناس وانما المراد بهذا اللفظ كذا وكذا دون ما يفهمه العامة
قال وهذا موجود في اللسان الذي جا به الرسول فهذا اشبه حالا مما تقدم
الا انهم متحكمون في ذلك على الله تعالى بما لم يحكم به على نفسه انتهى ما ذكره في الباب الخامس
والاربعايه وقال في الباب السابع والسبعين ومايه عليك يا اخي بالتسليم لكل ما جاءك
من ايات الصفات واخبارها فان اكثر المؤولين هالكين واخف الطرايق حالا من قال لا نشك
في صدق رسولنا ولكنه انا نافي نعت الله الذي ارسله بامور ان وقفنا عند ظاهرها
وحملناه على نفوسنا ادى ذلك الى حدوثه وزال كونه الها علينا وقد ثبت كونه الها
عندنا فننظر هل لذلك مصرف في اللسان فان الرسول انما يرسل بلسان قومه وما
تواطوا عليه فنظروا فادّاهم ذلك الى تنزيه الحق تعالى عما وصف به نفسه فاذا قيل
لهم ما دعاكم الى ذلك قالوا دعانا الى ذلك امران الاول القدح في الادلة فانا بالادلة

اثبتنا صدق دعواه فلا نقول ما يقدح في الادلة العقلية فان في ذلك قدحا في
الادلة على صدقه الامر الثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ان
الذي ارسله ليس كمثله شيء فوافق ذلك الادلة العقلية فيقوى صدقه علينا بمثل
هذا فان قبلنا ما قاله في الله على ظاهره ضللنا عن طريق الحق فلذلك اخذنا في التاويل
ابانا للطرفين انتهى وهو كلام نفيس وقال في الباب الثامن والسبعين ومايه اعلم
ان الخير كله في الايمان بما انزل الله والشر كله في التاويل فمن اول فقد خرج ايمانه
وان وافق العلم وما كان ينبغي له ذلك فلا بد ان يسال كل مؤول عما اول يوم القيامة
ويقال كيف اضفت الى نفسي شيئا فنزهتني عنه وترجح عقلك على ايمانك وترجح نظرك
على علم ربك فاحذر يا اخي ان تنزه ربك عن امر اضافه الى نفسه على السنة رسله
كائنا من كان ولا تنزهه بعقلك بمجرد اجملة واحدة فقد تصحك فان الادلة
العقلية كثيرة التنافر للادلة الشرعية في الالهيات واطال في ذلك بذكره
نفايس سابقة ولاحقة فراجعه ترى العجب وقد ارحت بك على الطريق وقال
في الباب الرابع ومايتين اعلم ان من يقول بالتنزل للعقول في اخبار الصفات
محجوب عن معرفة الحقايق فان العبودية لو زاحمت الربوبية لبطلت الحقايق
فان العبد ما تجلى الا بما هو له ولا ظهر الحق الا بما هو له لا من صفات التنزيه ولا
من صفات التشبيه كل ذلك له تعالى ولو لم يكن الامر كذلك لكان ما وصف تعالى به
نفسه كذبا وتعالى الله عن ذلك بل هو تعالى على ما وصف به نفسه من العزة
والكبريا والجبروت والعظمة ونفي المماثلة وهو ايضا كما وصف نفسه من النسيان
والمكر والخداع وغير ذلك فالكل صفة كمال في حقه تعالى فهو موصوف بها كما يليق
بجلاله تعالى فما قال بالتنزل الا من لا معرفة له بالحقايق قال وكذلك كنا لولا
ان الله تعالى هدانا ما من علينا بالبيان فتعين علينا ان نبين للخلق ما بينه الحق تعالى
لنا ولا يحل لنا كتمه الا لعذر شرعي انتهى وقال في الباب الثامن وخمسين من
الفتوحات اعلم ان من اعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان
مثله وقوة من القوى التي جعلها الله تعالى خدمة للعقل وهو يعلم مع ذلك كونهما
لا تتعدى مرتبتهما في العجز عن ان يكون لهما حكم قوة اخرى كالقوة الحافظة والمصورة

والمخيلة ثم انه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواه العاجزة في معرفة ربه ولا يقلد ربه
فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فما من اعجب خاطرا في العالم من الغلط وكل صاحب
فكر وتاويل تحت هذا الغلط بلا شك فانظر يا اخي ما افقر العقل وما اعجزه حيث لا يعلم شيئا مما
ذكرنا الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم انه اذا حصل شيئا من هذه
الامور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما اخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يرده فيقلد
فكره وتركيبه ويخرج شرع ربه واطال في ذلك ثم قال وبالجملة فليس عند اهل العقل شيء
من حيث نفسه واذا كان ذلك فقبوله ما صح عند ربه واخبر به عن نفسه اولى من قبول من
فكره بعد ان علم ان فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه انتهى وقال في الباب الثالث
من الفتوحات اعلم ان جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق واحيا واماتة ومنع وعطا ومكر
واستهزا وكيد وفرح وتعجب وغضب وضحك وتبشبش وقدم ويد ويدين وايد وعين واعين
وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا فاننا ما وصفناه به من عند انفسنا وانما هو تعالى هو الذي
وصف نفسه بذلك على السنة رسله قبل وجودنا وهو تعالى الصادق وهم الصادقون بالادلة
العقلية ولكن ذلك على حد ما يعلمه سبحانه وتعالى وعلى حد ما تقبله ذاته وما يليق بجلاله
ولا يجوز لنا رد شيء من ذلك ولا تكييفه ولا نقول بنسبته الى الله الا على غير الوجه الذي ننسبه
الينا ونعوذ بالله ان نضيف ذلك الى الله على حد علمنا نحن به فانا جاهلون بذاته في هذه الدار وفي
الاخرة لا ندري كيف الحال وكل من رد شيئا مما اثبته الحق لنفسه على السنة رسله فقد كفر بما
جا من عند الله وكل من امن ببعض وكفر ببعض فهو كذلك ومن امن بذلك ولكن شبهه تعالى في
نسبة ذلك اليه مثل نسبته الينا او توهم ذلك او خطر على باله او تصوره او جعل ذلك ممكنا فقد
جهله وما كفر قال وهذا هو العقد الصحيح انتهى وقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات
اعلم ان جميع المشاهدين للحق تعالى لا يخرجون عن هاتين النسبتين وهما نسبة التنزيه لله تعالى
ونسبة التنزل للخيال بضرب من التشبيه فاما نسبة التنزيه فهي تجليه تعالى في نحو ليس كمثله
شيء واما النسبة التنزل للخيال فهي تجليه في قوله تعالى وهو السميع البصير وفي نحو قوله في
الحديث اعبد الله كانك تراه وقوله فاينما تولوا فثم وجه الله وان الله في قبلة احدكم وفي وثم
ظرف ووجه الله ذاته وحقيقته قال وجميع الاحاديث والايات الواردة بالالفاظ التي
تطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها اياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفايدة

لذلك عند المخاطب بها مما تخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الالهي قال
تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم
يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح
فننسب تلك المعاني المفهومة من تلك الالفاظ هذه الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ولا
نحكم في شرحها بمعان لا يفهمها اهل ذلك اللسان الذي نزلت هذه الالفاظ بلغتهم فنكون من الذين
يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بمخالفتهم ويجب
علينا ان نقر بالجمل بمعرفة كيفية النسب قال وهذا اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالفا
والطال في ذلك ثم قال وقد ورد في القران قوله تعالى في ادم عليه الصلاة والسلام لما خلقت
بيدي ومعلوم انه لا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية ولا على ان تكون الواحدة
يد النعمة والاخرى يد القدرة لان ذلك سائغ في كل موجود والاية انما جاءت تشريفا لادم
عليه السلام على ابليس ولا تشريف لادم بمبدا التاويل فلا بد ان تكون اليد معنى خلاف ما ذكرنا
مما يعطي التشريف ولا نعلم ان اليدين الا هاتين النسبتين اللتين هما نسبة التنزيه ونسبة التنزل
للخيال كما في قوله تعالى في الحديث فلما خلق تعالى الكرسي تدلت اليه القدمان ولا نعلم القدمان
الا الامر والنهي اللذين هما مظهرا اهل الجنة والنار فافهم فلهاتين النسبتين اللتين ذكرناهما هما
خرج بنو ادم لما توجهت عليهم ها ثان المسالتان على ثلاثة اقسام منزه وهو الجامع بين
النسبتين ووافق مع دليل فكره او نظره خاصة ومشبه بما اعطاه اللفظ الوارد ولا رابع
فهو لا من المومنين ممن قال بالتنزيه فقد ورد التنزيه للعقول فقد انحرف عن طريق الكمال ولذلك
من قال بالتشبيه وحده دون التنزيه فنسال الله تعالى ان يحفظنا من انحراف المتكلمين ومن انحراف
المجسمين امين انتهى وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمايه اعلم انه يجب الايمان بايات
الصفات واخبارها على كل مكلف قال وقد اخبرنا الله تعالى عن نفسه على السنة رسله ان له
يدا ويدين واصبعا واصبعين واصابع وعينا وعينين واعينا ومعية وضحكا وفرحا
وتعجبا واتيانا ومجيا واستوا على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سما الدنيا واخبر انه
بصرا وعلما وكلاما وصوتا وامثال ذلك من نحو الهرولة والحد والمقدار والرضى والغضب
والفراغ والقدم قال وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه
حكم حكم به الحق على نفسه فهو اولى مما حكم به مخلوق وهو العقل وما جنح صاحب العقل الى

التاويل الا لنص جنايات العقل والفكر على جانب الايمان فانه ما اول حتى توقف عقله في
القبول فكان في حال تصديقه لله غير مصدق قاله انتهى قال الشيخ في كتاب لواقح الانوار
اعلم انه ليس عند اهل الكشف في كلام العرب مجاز اصلا انما هو حقيقة وذلك انهم وضعوا الفاظهم
حقيقة لما وضعوها له فوضعوا يد القدرة للقدرة ويد الجارحة للجارحة ويد المعروف للمعروف
هكذا ومن ادعى انهم يجوزوا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل اليه ولما قالوا فلان اسد وضعوا
هذا حقيقة في لسانهم ان كل شجاع يسمى اسد فوضعوا هذا الاطلاق حقيقة لا مجازا ومن هنا
يعلم العاقل ان كلما جا في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقتضي التشبيه
اذ التشبيه انما يكون بلفظ المثل او كاف الصفة وما عدا هذين الامرين انما هو الفاظ اشتراك نفسه
ننسبها حينئذ متى جاءت الى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات انتهى وقال في الباب الثامن
من الفتوحات اعلم ان كلما جا في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهر التشبيه ليس هو على بابه وانما ذلك
تنزل لعقول العرب الذي جا القران على لغتهم وذلك مثل قوله تعالى فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى فان ملوك العرب كان عندها المقرب المكرم يجلس منهم على هذا الحد فعقلت بذلك
قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب وقال
في الثالث منها ايضا اعلم انه ما ضل من المشبهة الا بالنار على حسب ما يسبق من الافهام من غير نظر
فيما يجب لله تعالى من التنزيه فقادهم ذلك الى الجهل الصراح ولو انهم طلبوا السلامة وتركوا
الايات والاخبار على ما جاءت من غير عدول منهم فيها الى شي البتة ووكلوا علم ذلك الى الله ورسوله
لافلحوا ولو كان يكفيهم ليس كمثله شي فمتى جاءهم حديث ظاهره تشبيه قالوا ان الله تعالى
قد نفى عن نفسه التشبيه بليس كمثله شي فما بقي الان لذلك الخبر وجها من وجوه التنزيه وجي
بذلك لفهم العرب الذي نزل القران بلسانهم على انك لا تجد قط لفظة في كتاب ولا سنة
تكون نصا في التشبيه ابدا وانما تجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يودي ظاهره الى
التشبيه ومنها ما يودي الى التنزيه فحمل المتاول ذلك اللفظ على الوجه الذي يودي
الى التشبيه ثم انه ياخذ بعد ذلك في تاويله جورا على ذلك اللفظ اذ لم يوفه حقه بما
يعطيه وصفه في اللسان مع ما في ذلك ايضا من التعدي على صفات الله تعالى حيث حمل
عليه ما لا يليق بجلاله قال ونحن نورد لك بعض احاديث وردت يعطي ظاهرها التشبيه
ولبست بنص فيه لتقيس عليها ما لم اذكره لك فمن ذلك حديث قلب المومن بين اصبعين

من اصابع الرحمن نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز فوجد الاصبع لفظ مشترك
يطلق على الجارحة وعلى النعمة تقول العرب ما احسن اصبع فلان على ماله فاذا كان الاصبع
يطلق على الجارحة كانه نص في ذلك وبنزل وجه التنزيه فما ان العبد يرد ذلك على ما يليق
بالتنزيه واما ان يسكت ويكل علم ذلك الى الله تعالى والى من عرفه الحق ذلك من نبي او ولي
ملهم لكن بشرط نفي الجارحة ولابد اللهم الا ان يقوم لنا بدعي فلا يحل لنا السكوت بل يجب علينا
ان نبين ما يحتمله ذلك اللفظ من التنزيه حتى يدحض حجته كما يقع لنا مع القائلين بالتجسيم
فعلم ان معنى الحديث على مذهب اهل الحق من هذا التقرير قلب المومن بين نعمتين من نعم الرحمن
وهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد ومثال القبضة واليمين في قوله تعالى والارض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه نظر الموضع مما يقتضيه الموضع فعرف من
وضع اللسان العربي ان معنى الاية ان الوجود كله في قبضة يعني تحت تصريفه كما يقال
فلان في قبضة يدي يعني انه تحت حكمي ليس في يد جارحته منه شي البته وانما امره وحكمه
ماض فيه لا غير مثل حكمه على ما ملكته يدي حسا وقبضت عليه فلما استحالت الجارحة على الله
تعالى عدل العقل الى روح القبضة ومعناها وفايدتها وهو ان عالم الدنيا والاخرة في
تصريف الحق تعالى واما قوله بيمينه فانما ذكر لان اليمين محلا للتصريف المطلق القوي اذ
الشمال لا يقوى في العادة قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي فهو اشارة الى تمكن القدرة
من الفعل فوصل المعنى افهام العرب بالالفاظ التي يعرفونها وتسارع قلوبهم التلقي لما بالقبول
والله اعلم ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب نظر العقل فراى التعجب لا يقع
الا من موجود ورد على المتعجب لم يكن له به علم قبل ذلك وهناك يصح له التعجب منه وكذلك
القول في الضحك والفرح ومعلوم ان ذلك محال على الله تعالى لانه الخالق لذلك الامر الذي اخبر
انه يتعجب منه او يضحك لاجله او يفرح له فرجع المعنى الى ان ذلك انما هو تنزل للعقول
ليظهر لاصحابها شرف صاحب تلك الصفة التي وقع التعجب منها كما في حديث يعجب من شاب
ليس له صبوة اي لا يقع في الزنا مثلا مع ثوران شهوته قال ويصح حمل الفرح والرضى والضحك
على القبول لذلك الاثر ثاني ذلك في جانب الحق كما هو في حق الخلق محال واما الغضب
فهو كناية عن وقوع ذلك العبد الذي غضب الحق عليه في النهي وذلك ليعرف العبد ان
الانتقام يعقب الغضب وهو اثره فيخاف العبد ويستغفر ربه ويتوب من ذلك الامر

الذي وقع وقال بعضهم المراد بالغضب الالهي هو اقامة الحدود والتعزيرات الالهية على
العباد في هذه الدار ولا يصح حمله على ما يتبادر فان ذلك محال على الحق فانه خالق لافعال
عباده فكيف يقع منهم فعل على غير مراده حتى يغضب عليهم واما الغضب الاخروي فيكون على
اهل النار خاصة اما الغضب على غيرهم فينقضي بيوم القيمة ويدخل الله تعالى جميع الموحدين
الجنة فافهم ومن ذلك النسيان ومعلوم انه لا يجوز حمل ذلك في حق الحق تعالى على حكم حمله في حق
الخلق فان ذلك محال لكن لما كان عذاب الكفار لا ينقضي كانوا كالمنسيين عند الملك لكون رحمته
لا تنالهم ويقرب من ذلك معنى المكر والاستهزا والسخرية الواردة في جهة الحق المراد به اثره وانه
معاملهم معاملة الماكر والمستهزي والساخر والله اعلم ومن ذلك لفظ النفس بفتح الفا في
نحو حديث اني اجد نفس الرحمن ياتيني من قبل اليمن ومعلوم ان الحق تعالى منزه عن النفس الذي هو
الهوا الخارج من الجسد المتنفس وقال بعضهم المراد بالنفس التنفيس فان الله تعالى نفس عنه بالانصار
صلى الله عليه وسلم حين اتوه من قبل اليمن وازال الكرب بهم قال ويدل عليه اضافة النفس للاسم الرحمن
دون غيره من الاسما التي لا تعطي الرحمة انتهى وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى
يقول من اعتقد بقلبه ان حقيقته تعالى مخالفة لساير الحقايق لم يتوقف قط في اضافة صفة
اضافها الحق تعالى الى نفسه فكان ينسب الاستوا مثلا الى الله تعالى كما يليق بجلاله من غير
تكييف ولا تشبيه اذ التشبيه لا يصح في جانب الحق تعالى ابدا وقال الشيخ محي الدين في الباب
الثالث والسبعين ومايتين من الفتوحات اعلم انه لا يصح لك تنزيه الحق تعالى عن شي لا بعد
شهودك بعقلك ان ذلك الشي نقص وان ذلك يلحق الحق تعالى ولو لم تشهد ما نزهته عنه
والا فكيف تنزهه عن امر ليس هو مشهود لك عقلا فان التنزيه وجد في الشرع سماعا ولم
يوجد في العقل فان غاية تنزيه العقل للحق تعالى عن الاستوا ان يقول المراد بهذا الاستوا هو
كاستوا السلطان على المكان الفلاني الاحاطي الاعظم او على الملك فما خرج هذا عن التشبيه
فان غايته انه انتقل من التشبيه بمحدث الى التشبيه بمحدث اخر فوقه في المرتبة فما بلغ
العقل في التنزيه مبلغ الشرع فيه في نحو قوله ليس كمثله شي الا تراهم يستشهدون في
التنزيه العقلي للاستوا بقولهم قد استوى بشر على العراق وابن استوا بشر على العراق
الذي هو عبد من استوا الخالق جل وعلا على ان الشيخ قال في مكان اخر من حمل الاستوا
على الاستيلا كما يستولي الملك على الملك فاي شي انكره على من قال بالاستقرار الذي هو

من صفات الاجسام وكلا الامرين حادث بل لو جاز اطلاق احد الامرين لكان اطلاق
الاستقرار اولى لكون العرش جا في الحديث بمعنى السرير نحو قوله صلى الله عليه وسلم ان الكرسي
في جوف العرش كحلقه ملقاة في ارض فلاة انتهى تتمة تختم بها الخاتمة قال الشيخ محي الدين
في الباب الثالث والستين وثلثمائه من الفتوحات اعلم ان من عدم الانصاف ايمان الناس بما جا
من ايات الصفات واخبارها مع الانبيا عليهم الصلاة والسلام وعدم ايمانهم بها اذا اتى بها
احد من كمل العارفين الوارثين للرسل فان المنبع واحد فكما وجب الايمان بما جاءت به الرسل من
ذلك يجب الايمان بما جا به الاوليا المحفوظون وكما سلمنا لما جا به الاصل كذلك نسلم لما
جا به الفرع بجامع الموافق للشريعة وبالجملة فالناس اذا لم يومنوا بما جا به الاوليا يجعلونهم
كاهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى فتامل في هذا المحل وتعقله فانك لا تجده في كتاب
والله يتولى هداك ه ه ه ه ه ه الاعلام

المبحث التاسع عشر في الكلام على الكرسي واللوح والقلم

اعلم يا اخي ان الحق تعالى كما جعل العرش محل الاستوا كما يليق بجلاله كذلك جعل الكرسي
محل بروز الاوامر والنواهي المعبر عنهما في حديث الكرسي بالقدمين من العرش اليه
اذ العرش محل احدية الكلمة العلية المشتملة على الرحمة كما اشار الى ذلك بخصايص الاستوا
بالاسم الرحمن واما الكرسي فقد انقسمت الكلمة فيه الى امرين ليخلق تعالى من كل شي زوجين
فظهرت الشفعية في الكرسي بالفعل وكانت في العرش بالقوة فان قدمي الامر والنهي لما تدلتا
الى الكرسي انقسمت فيه الكلمة الرحمانية هولاء للجنة ولا ابالي وهولاء للنار ولا ابالي
فاستقرت كل قدم في مكان القدم الاخرى هو منتهى استقرارهما فسمي احدهما جنة والاخرى
جهنما وليس بعدهما مكان ينتقل اليه القدمين كما ذكر الشيخ في الباب الثامن والتسعين
ومائة وما ذكرناه من ان المراد بالقدمين اللتين تدلتا الى الكرسي هما الامر والنهي
هو الصحيح خلاف ما توهمه المجسمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ذكره الشيخ في الباب
الرابع والسبعين وثلاثمائة وعبر عن القدمين في الباب الثالث عشر بانهما الخير والشر
وكلاهما صحيح لان الخير والشر اثر الامر والنهي فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجد تاويله
في كتاب فان قلت فما محل استقرار اعمال بني ادم اذا اصعدت بها الملايكة فالجواب

كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومايتين من الفتوحات انه ينتهي صعودها الى
سدرة المنتهى فان كل شي يرجع نهايته الى ما منه بدا فان قلت ان الكرسي هو موضع
القدمين اللذين هما الامر والنهي فلا يتاخر في الكرسي عمل فالجواب ان ذلك خاص
بعالم الخلق والامر واما التكليف فان اصله انما هو منقسم من السدرة فقطع اربعة مراتب
قبل السدرة والسدرة هي المرتبة الخامسة وايضاح ذلك ان التكليف تنزل من قلم الى
لوح الى عرش الى كرسي الى سدرة ومعلوم ان احكام التكليف خمسة لا سادس لها
واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح
والمحظور من العرش والمكروه من الكرسي والمباح من السدرة اذ المباح هو حظ النفس
فلذلك كان منتهى نفوس عالم الشهادة الى السدرة والى اصلها وهي الزقوم ينتهي نفوس
عالم الشقا فاذا صعدت الاعمال التي نشات من هذه الخمسة الاحكام المذكورة كان غايتها الى
الموضع الذي منه ظهرت انتهى فان قلت فما صورة صعود الاعمال مع انها اعراض فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب السابع والتسعين وثلاثمائة انها تتطور ملايكة على تشاكل فاعلها
ثم تصعد فتخرج من الهيكل الى محلها على مركبها الذي هو روح الحضور فيها فيضع قدمه بمنتهى
بصره حتى يصل العمل الى محل انتهائه الذي هو محل بروزه الاول فان قلت فما وجه
تخصيص هذه الاماكن بالاحكام الخمسة وهو كون الواجب من القلم والمندوب من اللوح
الى اخره فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ان وجه التخصيص كون
كل محل يمد ما برز منه فيكون من القلم نظر الى الاعمال الواجبة فيمدها بحسب ما يري
فيها ويكون من اللوح نظر الى الاعمال المندوبة فيمدها بحسب ما يري فيها ويكون
من العرش نظر الى المحظورات فلا يمدها الا بالرحمة لانه محل استوا الرحمن قال
ولهذا يكون مآل من لم يسبق اليه شقاوة الى الرحمة ويكون من الكرسي نظر الى الاعمال
المكروهة فيمدها بحسب ما يري فيها لكن رحمة الكرسي دون رحمة العرش اذ العرش يعظم
الذنب والمكروه اقل قبحا من الحرام بيقين فلذلك عمت رحمة الكرسي جميع من فعل المكروه
ورحمة العرش جميع من فعل الحرام اما رحمة امهال او تخفيف واما رحمة دوام ولما كان
الكرسي محل بروز الامر والنهي على ما قررناه اسرع في العفو والتجاوز عن اصحاب المكروه
من الاعمال ولهذا لا يواخذ فاعل المكروه ويوجر تاركه والله اعلم فان قلت فما صورة

خلقه تعالى اللوح والقلم والكرسي والعرش وايهما خلق قبل الاخر فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الثالث عشر من ابواب الفتوحات ان اول ما خلق الله تعالى
القلم الاعلى فهو راس ملائكة التدوين والتسطير واما اللوح فهو مشتق من القلم وقد
جعل الله تعالى لهذا القلم ثلثمائة وستين سنا كل سن يغترف ثلاثمائة وستين صنفا من العلوم
الاجمالية فيفصلها في اللوح ثم انه ذكر في الباب الستين منها ان مقدار امهات فروع علوم
القلم المتعلقة بالخلق الى يوم القيمة ماخرج من ضرب ثلاث مائة وستين في مثلها من اصناف
العلوم لا تزيد علما واحدا ولا تنقص انتهى وقال في الباب الثالث عشر اعلم ان الحق تعالى لما
تجلى للقلم وهو محل التعليم الذهني رقم تعالى فيه ما يريد ايجاده في خلقه لا الى غاية
ما يوجده فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق تعالى من الاسماء الالهية الطالبة صدور هذا العالم
ثم اشتق من هذا القلم موجودا اخر سماه اللوح وامر القلم ان يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون
الى يوم القيامة لا غير فعلمها اللوح حين اودعه اياها القلم ثم ان الله تعالى اوجد الظلمة
المحضة التي هي في مقابلة تجليه للعماء بالنور حتى ظهر فيه صور الملائكة ولولا هذا النور
ما ظهر لهم في صورة هذه الظلمة بمنزلة العدم المطلق المقابل للوجود المطلق فعند
ما وجدها افاض عليها من ذلك النور المتجلي للعماء فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش
فاستوى عليه الرحمن بالاسم الظاهر فذلك اول ما ظهر من عالم الخلق ثم انه تعالى خلق من
ذلك النور الممتزج الذي هو مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله
وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ثم انه تعالى اوجد الكرسي في جوف
هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فان كل ملك اصل لما خلق منه من عمار
كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق ادم من تراب وعمرته وبنيه الارض ثم خلق
في جوف الكرسي الافلاك فلكا في جوف فلك ثم خلق بعد ذلك الارواح ثم الغذاء ثم جعل
لكل مكلف مرتبة في السعادة والشقا انتهى فان قلت قد ورد في الحديث ان الحق تعالى
قال للقلم اكتب علمي في خلقي الى يوم القيامة فذكر الغاية فما حكم ما يقع بعد يوم القيمة
ابد الابدين فالجواب ان جميع ما يقع للخلق بعد يوم القيامة من توابع الاحكام التي
كتبت عليهم في اللوح حتى الشقا الابدي لتجزى كل نفس بما تسعى ابد الابدين ودهر الداهرين
وقال الشيخ في الباب السابع والعشرين وثلاثمائة انما خص الحق تعالى الكتابة في اللوح بامور

الدنيا فقط لتناهيها بخلاف الاخرة فان القلم لا يقدر يكتب علمه فيها لانها لا انتهاء لها وما
لا يتناهى امره لا يحويه الوجود والكتابة وجود انتهى فان قلت فما وجه تخصيص القلم الاعلى
بالذكر اول المبحث فهل هناك قلم غيره فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر وثلثمائة
من الفتوحات ان هناك اقلاما اخر دون القلم الاعلى والواح اخر دون اللوح المحفوظ كما اشار
اليه حديث الاسرا وقوله فيه فوصلت الى مستوى سمعت فيه صريف الاقلام والصريف هو اصوات
فان قلت فما عدد هذه الالواح والاقلام فالجواب ثلاثمائة وستون قلما وثلاثمائة وستون
لوحا ذكره الشيخ في الفتوحات في الباب المتقدم انفا قال ورتبة هذه الاقلام والالواح دون
رتبة القلم الاعلى واللوح المحفوظ وذلك لان لان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولذلك
سمي بالمحفوظ يعني من المحو فلا يمحو ما كتبه فيه بخلاف هذه الاقلام والالواح فان هذه الاقلام
تكتب دائما في الواح المحو والاثبات ما يجدده الله تعالى في العالم من الاحكام المشار اليها
بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب قال ومن هذه الالواح نزلت الشرائع
والصحف والكتب الالهية على الرسل عليهم الصلاة والسلام ولهذا دخلها النسخ بل دخل النسخ
في الشرع الواحد قال والى محل هذه كان التردد ليلة الاسراء اي تردد محمد صلى الله عليه
وسلم بين الالواح وبين موسى عليه السلام في شان الصلوات الخمس فكانت حضرة خطاب
الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الالواح الى ان اثبت فيها الخمسة واثبت لمصليها
اجر الخمسين واوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم ما يبدل القول لدي فما رجع موسى عليه بعد
الخمسة فيما لشانه التخفيف على سبيل الجزم وانما ذلك من حضرة الاطلاق قال
ومن هذه الالواح ايضا نزل قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ومنها ايضا وصف
الحق تعالى نفسه بالتردد في قبضه لنسمة عبده المؤمن حين موته مع انه تعالى هو الذي
قضى عليه بذلك من باب رحمتي سبقت غضبي قال ومن هذه الحقيقة الالهية التي كنى
عنها بالتردد يكون سريانها في التردد الكوني في الامر وحصول الجبر فيه وذلك
ان الانسان اذا وجد نفسه تردد في فعل ما هل يفعله ام لا وما زال في ذلك الحال
به حتى وقع احد الامور التي كان تردد فيها زال التردد بذلك الامر الواقع هو الذي
ثبت في اللوح المحفوظ من تلك الامور المتردد فيها وهو الذي ينتهي اليه ايضا امر
الواح المحو والاثبات وايضاح ذلك ان القلم الكاتب لوح المحو يكتب امرا ما وهو زمان

الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الامر ثم ان تلك الكتابة تمحى فيزول ذلك الخاطر
من ذلك الشخص لانه رقيقة من هذا اللوح تمتد الى نفس هذا الشخص في عالم الغيب
فان الرقائق الى النفوس من هذه الالواح تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فاذا
ابصر القلم موضعها من اللوح محى كتب غيرها مما يتعلق بذلك الامر من الفعل او الترك فتمتد
من تلك الكتابة رقيقة الى نفس ذلك الشخص الذي كتب هذا من اجله فيخطر لذلك الشخص ذلك
الخاطر الذي هو نقيض الاول ثم ان اراد الحق تعالى اثباته لم يمحه فاذا اثبت بقيت رقيقته
متعلقة بقلب هذا الشخص وثبت لفعل ذلك الامر او تركه بحسب ما يثبت في اللوح فاذا فعله
وثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق تعالى من كونه محكوما بفعله واثبته صورة عمل حسن
او قبيح على قدر ما يكون ثم ان القلم يكتب امرا اخر هكذا الامر دائما فعلم ان القلم الاعلى اثبت في
لوحه كل شي تجري به هذه الاقلام من محو واثبات ففي اللوح المحفوظ اثبات المحو في هذه الالواح
واثبات الاثبات ومحو الاثبات عند وقوع الحكم في لوح مقدس عن المحو ولذلك سمي محفوظا
يعني عن المحو كما مر فان قلت فهل يدخل المحو في الذوات كالاعمال فالجواب كما قاله
سيدي علي الخواص رضي الله عنه لا يدخل المحو في الذوات وانما هو خاص بالاحوال والاعمال
كما اشار اليه حديث ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة الحديث انتهى فان قلت فهل اطلع
احد من الاولياء على عدد الحوادث التي كتبها القلم الاعلى في اللوح الى يوم القيامة فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم قال وانا ممن اطلعه الله على ذلك
فان قلت فكم عدد ما سطر في اللوح من ايات الكتب الالهية فالجواب عدد ما سطر
في اللوح من الايات التي انزلت على الرسل مائتا الف اية وتسع وستون الف اية ومائة
اية ذكره الشيخ محيي الدين في الباب المتقدم قال هذا ما اطلعنا الله عليه فان قلت
فهل اطلع احد من الاولياء على عدد امهات علوم الكتاب الذي هو الامام المبين فالجواب
نعم يطلع الله على ذلك من يشاء من عباده قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين
والذي اطلعني الله عليه من طريق الكشف ان عدد امهات علوم الكتاب مائة الف نوع وتسعة
وعشرون الف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم جمة انتهى فان قلت فما مراد
اهل العقائد بقولهم السعيد من كتبه الله تعالى في الازل سعيدا والشقي من كتبه الله
تعالى في الازل شقيا هل هذه الكتابة المذكورة في اللوح المحفوظ ام غيره وهل الازل

غير زمان او زمان لا يليق بالحق تعالى لا يتعقل فالجواب المراد به ام الكتاب كما قال
ابن عباس وغيره فالمراد بالازل ما لا يدخل تبديل ولا تغيير وفي حديث الترمذي
فرغ ربك من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير قال شيخ مشايخنا الشيخ
كمال الدين ابن ابي شريف مرادهم بغير الازل التي تكتب فيها الملائكة رزق الانسان
واجله وشقيا او سعيدا عند ما ينفخ فيه الروح ولا مانع من تطرق القيد بل كل الى
ما كتب في هذه الصحف لتعلق السعادة والشقاوة فيها على شي لا يدري الملك ايقع
ام لا مع علم الله بما يكون من وقوعه او عدمه انتهى قلت وفيه تاييد لما قدمناه
من امر الواح المحو والاثبات الثلاثمائة وستين لوحا المنقدمة عند اهل الكشف ولعلها
هي المراد في لسان المتكلمين بالصحف فان قلت هل يقال ان الحق تعالى تكلم في الازل او
قدر كذا في الازل كما ذهب اليه بعضهم فالجواب كما قاله الشيخ في بعض كتبه ان ذلك
لا ينبغي لذهاب الذهن الى الزمان المعقول والحق تعالى منزه عن ان يقول ويقدر في الازمان
اذ الزمان مخلوق والتقدير قديم فافهم انتهى فان قيل كيف دخل التغيير والتبديل
للتوراة مع ما ورد ان الله تعالى كتب التوراة بيده فالجواب ان التوراة لم تتغير في
نفسها وانما كتابتهم اياها وتلفظهم بها لحقه التغيير فنسب مثل ذلك الى كلام الله تعالى
المعقول عندهم وابدوا في الترجمة عنه خلاف ما هو في صدورهم وفي مصحفهم المنزل عليهم
فانهم ما حرفوا الا عند نسخهم من الاصل وابقوا الاصل على ما هو عليه ليبقى لهم ولعلمائهم العلم
فان قيل ان ادم عليه الصلاة والسلام خلقه الله بيديه ومع ذلك فما حفظ من المخالفة
واين رتبة اليدين ان جعلتم اليدين كناية عن شدة الاعتنا بادم عليه الصلاة والسلام
فالجواب انما لم يحفظ ادم عليه السلام من جريان الاقدار لانه عبد وليس جريان الاقدار
الا عليه لانه هو المحل الاعظم لذلك واما كلام الله تعالى فانه عصم بكونه حكم الله وحكم الله
في الاشيا غير مخلوق لعصمته من ذلك بخلاف ادم ليس هو حكم الله فان قلت فاذا كان
ادم خلق باليدين انما هو لشدة الاعتنا به على غيره فاذن الحق تعالى بالانعام اشد اعتنا
بها منه لان الله تعالى جمع الايدي في خلقها فقال مما عملت ايدينا انعاما فالجواب
ان توجه اليدين على ادم اقوى من توجه الايدي على الانعام لان التثنية برزخ بين
المفرد والجمع فلها القوة والتمكين من حيث انه لا يوصل الى الجمع الا بها ولا ينتقل عن المفرد

الا الیهما فان قلت فکیف سمی الحق تعالی نفسه بالدهر مع ان الخلق لا یعقلون
الدهر الا زمانا فالجواب ان المراد بالدهر هنا هو الازل والابد اللذان
هما الاول والاخر وهما من نعوت الله عز وجل بلا شك فانه تعالی سمی نفسه بالاول
لا باولیة تحکم علیه کالاولیات المسبوقة بالعدم لان ذلك محال فی حق الحق وکذلك
القول فی الاخر فانه تعالی اخر لا باخریة تحکم علیه نظیر اسمه الاول فان قلت
فما سبب کفر الدهریة علی هذا التقدیر فالجواب سبب کفرهم تعقلهم فی الدهر الذی
جعلوه الها انه زمان فلکی اذ الفلکی لا حقیقة له فی زمان الله الذی لا یتعقله ولو
انهم لعتقدوا الدهر کما قررناه ما کفروا لقوله صلی الله علیه وسلم یقول الله انا الدهر والله اعلم

المبحث العشرون فی بیان صحة اخذ الله العهد والمیثاق

علی بنی ادم وهم فی ظهره علیه السلام اعلم یا اخی ان المعتزلة قد انکروا هذا العهد
والمیثاق وزعموا ان معنی قوله تعالی واذ اخذ ربك من بنی ادم من ظهورهم ذریاتهم
ان المراد به اخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل فی الدنیا الی یوم القیمة وانه لیس
هناك اخذ عهد ولا میثاق حقیقة وان المراد بالعهد والمیثاق هو ارسال الرسل واشکال
العقل والنظر واستدلال توجیه الخطاب الی العبد ولا یخفی ما فی هذا المذهب من الخطا
والغلط وکیف یصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد فی اثبات الحشر والنشر مبنی
علی هذه المسالة والذی یظهر انهم انما انکروا ذلك فرارا من عموم مسائل هذا المبحث
ودقة معانیه علیهم فرضوا بالجهل عوضا عن العلم والحق ان الله تعالی اخذ علیهم العهد
فی ظهر ادم حقیقة لانه علی کل شیء قدیر فان قلت ففی ای محل کان اخذ هذا العهد
فالجواب کما قاله ابن عباس رضی الله عنهما کان ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة وقال
بعضهم کان بسرندیب من ارض الهند وهو الموضع الذی هبط به ادم من الجنة وقال
الکلبی کان اخذ العهد بین مکة والطائف وقال علی ابن ابی طالب رضی الله عنه کان اخذ
العهد فی الجنة وکل هذه الاحتمالات قریبة ولا ثمرة للتعیین بعد صحة الاعتقاد
باخذ المیثاق فان قیل فما کیفیة استخراجهم من ظهره فالجواب قد جاء فی الحدیث ان الله
تعالی مسح ظهر ادم واخرج ذریته کلهم منه کهیئة الذر اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم

منه او استخرجهم من بعض ثقوب راسه وکلاهما بین الوجهین بعید والاقرب کما قاله
ابو طاهر القزوینی رحمه الله تعالی انه استخرجهم من مسام شعرات ظهره اذ تحت
کل شعرة ثقبة دقیقة یقال لها سم مثل سم الخیاط وجمعه مسام ویمکن خروج الذرة
الصغیرة من هذا الثقب کما یخرج منها العرق المنصب والصیبان وهذا غیر مستبعد
فی العقل فیجب بانه اخرج الذریة من ظهر ادم کما یشاء ومعنی مسح ظهره انه امر بعض
ملائکته بالمسح فنسب ذلك لنفسه لانه بامره کما یقال مسح السلطان طین البلد الفلانی
وما مسحها الا اعوانه فان الرب سبحانه مقدس عن مسح ظهر ادم علی وجه المماسة اذ لا
یصح اتصال بین الحادث والقدیم فان قیل کیف اجابوه بقولهم بلی هل کانوا احیاء
عقلاء ام قالوه بلسان الحال فالجواب الصحیح ان جوابهم کان بالنطق وهم احیاء اذ
لا یستحیل فی العقل ان یوتیهم الله الحیاة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته
تعالی واسعة وغایة وسعنا فی کل مسالة ان نثبت الجواز ونکل کیفیتها الی الله تعالی
فان قیل اذا قال الجمیع بلی فلم قبل قوما ورد قوما فالجواب کما قال الحکیم الترمذی
رضی الله عنه انه تعالی تجلی للکفار بالهیبة فقالوا بلی مخافة فلم یك ینفعهم ایمانهم
کایمان المنافقین وتجلی للمومنین بالرحمة فقالوا بلی طوعا فنفعهم ایمانهم وقیل ان اصحاب
الیمین قالوا بلی حقا فرجع صوتهم الی اهل الشمال وهم سکوت وکان ذلك کارتداد الصوت
فی شعاب الجبل والکهوف الجبالیة الذی یسمونه الصدی وکان هواء الارض یومئذ خالیا
من الاصوات اذ لم یکن احد فی الارض غیر ادم وانما هو محاکات للصوت الاول ولا حقیقة
له وقد اطال الشیخ ابو طاهر القزوینی فی ذلك ثم قال والصحیح عندی ان قول اصحاب
الشمال بلی کان حقا علی وفق السوال وذلك ان الله تعالی سالهم عن ربهم ولم یسالهم
عن الههم ومعبودهم ولم یکونوا یومئذ فی زمان التکلیف وانما کانوا فی حال التخلیف
والتربیة وهی الفطرة فقال لهم الست بربکم قالوا بلی لان تربیتهم اذ ذاك مشاهدة
فصدقوا فی ذلك کلهم ثم لما انتهوا الی زمان التکلیف وظهور ما قضی الله تعالی
من سابق علمه لکل احد من السعادة والشقا فکان منهم من وافق اعتقاده فی قبول
الالهیة اقراره الاول ومنهم من خالفه ولو انه تعالی کان قال لهم الست بواحد وقالوا
بلی لم یصح لاحد ان یشرك به فافهم فان قیل اذا سبق لنا عهد ومیثاق مثل هذا

ثم لا نذكره اليوم فالجواب انما كنا لم نذكره لان تلك البقية قد انقضت وتداولت
الانسان الغير بمرور الدهور عليها من اصلاب الابا وارحام الامهات ثم زاد الله
تعالي في تلك البقية اجزا كثيرة ثم استحالت بتصريفها في الاطوار الواردة عليها
من العلقة والمضغة واللحم والعظم ولهذه كلها مما يوجب الوقوع في النسيان وقال
علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه اني لاذكر العهد الذي عهد الي ربي واعرف من كان هنالك
عن يميني ومن كان هنالك عن شمالي قال وانما اخبرنا الله تعالي عن اخذ الميثاق وبما نذكره
واكراما للحجة علينا فهذه فايدة الاخبار لنا لا غير انتهي ۞ وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن
سهل ابن عبد الله التستري رضي الله عنه انه كان يقول اعرف تلامذتي من يوم الست بربكم
ولم تزل طبيعتي تربيهم في الاصلاب حتي وصلوا الي في هذا الزمان فان قلت فهل كانت
تلك الذرات متصورة بصورة الادمي ام لا فالجواب لم يرد لنا في ذلك شي الا ان القريب
في العقول لم تكن متصورة والسمع والنطق لا يفتقران الي الصورة انما يقتضيا محلا حيا فاذا
اعطاه الله تعالي من ظهورهم ذرياتهم ولفظ الذرية يقع علي المصورين فان قلت فمتي تعلقت
الارواح بالذرات قبل خروجها من ظهر ادم ام بعد خروجها منه فالجواب ان الذي يظهر لي
ان الله تعالي استخرجهم احيا لانه سماهم ذرية والذرية احيا لقوله تعالي وانه لهم انا حملنا
ذريتهم في الفلك المشحون فيحتمل ان الله تعالي خلق الارواح فيهم وهم في ظلمات ظهر ابيهم
ويخلقها فيهم مرة اخري وهم في ظلمات بطون امهاتهم ويخلقها فيهم مرة اخري وهم في
ظلمات بطن الارض خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث هكذا اجرت سنة الله تعالي فان قيل
ما الحكمة في اخذ الميثاق من الذرات فالجواب ليقيم الله تعالي الحجة علي من لم يوف بذلك العهد
كما وقع ذلك في دار التكليف علي السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام فان قيل فهل اعادهم الي
ظهر ادم احيا ام استرد ارواحهم ثم اعادهم اليه امواتا فالجواب الذي يظهر لي انه لما اعادهم
الي ظهره قبض ارواحهم بنا علي انه لما اراد في الدنيا ان يعيدهم الي بطن الارض يقبض ارواحهم
ثم يعيدها فيهم فان قيل اين رجعت الارواح بعد رد الذرات الي ظهره فالجواب ان هذه
مسالة غامضة لا يتطرق اليها النظر العقلي ولم يجي فيها نص فمن اطلعه الله علي شي
فليلحقه بهذا الموضع فان قيل ان الناس يقولون ان الذرية اخذت من ظهر ادم والله تعالي
يقول واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم فالجواب هذا شي يتعلق بالنظم ولكن

انه لم ينقل من ظهر ادم وانهم اخرجوا من ظهره لان الله اخرج ذرية ادم بعضهم من بعض ظهرا
علي طريقة ما يتناسل الابنا من الابا فاستغني به عن ذكر ادم استغنا بظهور ذريته اذ
ذريته خرجوا من ظهره ۞ ويحتمل ان يقال انه اخرج ذرية ادم من ظهر ادم ثم اخرجهم جميعا
فيصح القولان جميعا فاذا قال اخرجهم من ظهورهم صح واذا قال اخرجهم من ظهره صح ايضا
ومثال ذلك من اودع جوهرة في صدفة ثم اودع الصدفة في خرقة ثم اودع الخرقة
مع الجوهرة في حق واودع الحقة في درج واودع الدرج في صندوق ثم ادخل يده في
الصندوق فاخرج منه تلك الاشيا بعضها من بعض ثم اخرج الجميع من الصندوق فهذا
لا تناقض فيه فان قيل ورد في الخبر ان كتاب العهد والميثاق مستودع في الحجر
الاسود وان للحجر عينين وفما ولسانا وهذا غير متصور في العقل فالجواب انما كلما عسر
علينا تصوره بعقولنا يكفينا الايمان به والاستسلام له ورد معناه الي الله تعالي وقال
الشيخ محيي الدين في الفتوحات في كتاب الحج قال لما اودعت الكعبة شهادة التوحيد عند التقبيل
للحجر الاسود خرجت الشهادة عند تلفظي بها وانا انظر اليها بعيني في صورة سلك وانفتح في
الحجر الاسود مثل الطاق حتي نظرت الي قعر الحجر الاسود والشهادة قد صارت مثل الكعبة واستقرت
في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وانا انظر اليه فقالت لي هذه امانة لك عندي
ارفعها لك الي يوم القيمة فشكرتها علي ذلك انتهي ۞ والذي في يدي الاخري وفي الحديث
الصحيح ان رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج يوما وفي يده كتابان مطويات وهو قابض بيديه
علي كتاب فساله اصحابه ما هذان الكتابان فقال ان في الكتاب الذي في يدي اليمني اسما اهل
الجنة واسما ابايهم وقبايلهم وعشايرهم من اول ما خلق الله الي يوم القيمة انتهي والذي في يدي
الاخري فيه اسما اهل النار واسما ابايهم وقبايلهم وعشايرهم من اول ما خلقهم الله الي يوم القيمة
انتهي قال الشيخ محيي الدين في الباب الخامس عشر وثلاثماية من الفتوحات ولو ان مخلوقا اراد
ان يكتب هذه الاسما علي ما هي عليه في هذين الكتابين لما قام بذلك كل ورق علي وجه الارض
قال ومن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين وهو علم غريب رايناه وشاهدناه
قال وقد حكي ان فقيرا طاف بالبيت وسال الله ان ينزل له ورقة بعتقه من النار
فيها فنزلت عليه ورقة من ناحية الميزاب مكتوب فيها عتقه من النار ففرح بذلك
واوقف الناس عليها وكان من شان هذا الكتاب ان يقرا من كل ناحية علي السوا لا يتغير كلما

قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فتعلم الناس ان ذلك من عند الله تعالى واطال
الشيخ في ذكر حكايات تناسب ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الحادي والعشرون في صفة خلق الله تعالى

عيسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون فان قلت فما وجه تشبيه عيسى بادم عليه الصلاة والسلام مع ان
عيسى خلق من نطفة مريم ونفخ جبريل عليه السلام فالجواب ان الحق تعالى انما اوقع التشبيه
في عدم الابوة الذكرانية من اجل انه تعالى نصب ذلك دليلا لعيسى في براءة امه وانما لم
يوقع التشبيه بحوى وان كان الامر عليه لكون المراة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت
محلا موضوعا للولادة وليس الرجل بمحل لذلك والمقصود من الادلة انما هو ارتفاع الشكوك
وفي خلق حوى من ادم لا يمكن وقوع الالتباس بكون ادم ليس بمحل لما صدر عنه من الولادة
فكما لا يبعد ابن من غير اب لظهور حوى من غير ام وذلك ان اول موجود وجد من الاجسام
الانسانية ادم عليه السلام فكان هو الاب الاول من هذا الجنس ثم ان الحق تعالى فصل عن ادم
عليه السلام ابا ثانيا سماه اما فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليه لكونه اصلا له فلما اوجد
الحق تعالى عيسى ابن مريم نزلت مريم عليها السلام منزلة ادم ونزل عيسى منزلة حوى فكما
وجدت انثى من ذكر كذلك وجد ذكر من انثى فختم الدورة بمثل ما به بداها في ايجاد ابن من
غير اب كما كانت حوى من غير ام وكان عيسى وحوى اخوان وكان مريم وادم ابوان لهما
ذكر ذلك الشيخ محيي الدين في الفتوحات وهو كلام نفيس لم اجد احدا تعرض له ولا حام حول
معناه فرحمه الله ما كان اوسع اطلاعه وقال في الباب السابع منها ان قيل كم انواع ابتدا
الجسوم الانسانية فالجواب هي اربعة انواع ادم وحوى وعيسى وبنو ادم فان كل جسم من
هذه الاربعة يخالف نشا الاخر في السببية مع الاجتماع في الصورة كيلا يتوهم ضعيف
العقل ان القوة الالهية والحقائق لا يعطي ان تكون هذه النشاة الانسانية الا عن سبب
واحد يعطي بذاته هذه النشاة فرد الله هذه الشبهة في وجه صاحبها بان اظهر هذا النشا
الانساني في ادم بطريق لم يظهر به جسم حوى واظهر جسم حوى بطريق لم يظهر به جسم
ولد ادم واظهر جسم ولد ادم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه السلام قال وقد جمع الله

تعالى هذه الاربعة انواع في اية من القران وهو قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم يريد
ادم وجميع الناس من ذكر يريد حوى وانثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وانثى جا بطريق
النكاح يريد بني ادم فهذه الاية من جوامع الكلم وفصل الخطاب ثم انه لما ظهر جسم ادم كما
ذكرنا ولم يكن فيه شهوة النكاح وكان سبق في علم الله انه لا بد من التناسل بالنكاح للانتاج
استخرج تعالى من ظهر ادم من القصير حوى فقصرت بذلك عن درجة الرجل فما تلحق به
ابدا فان قلت فما الحكمة في تخصيص خلقها من الضلع فالجواب الحكمة في ذلك ليكون لها حنو
على ولدها وزوجها لاجل الانحنا الذي في الضلع فحنو الرجل على المراة انما هو حنو على نفسه
في الحقيقة لانها جزء منه وحنو المراة على الرجل لكونها منه خلقت اي من ضلعه والضلع فيه انحنا
وانعطاف قال الشيخ وانما عمر الله تعالى الموضع الذي خرجت منه بالشهوة لئلا يبقى في الوجود
خلا تحن اليها حنينه الى نفسه لانها جزء منه وحنة حوى اليه لانه موطنها الذي نشات فيه
فان قلت فاذن حب حوى حب الوطن وحب ادم حب نفسه فالجواب نعم وهو كذلك ولذلك
كان حب الرجل للمراة ظاهرا اذ كانت عينه واما المراة اعطيت القوة المعبر عنها بالحيا فلم
يظهر عليها محبة الرجل لقوتها على الاخفا اذ الوطن لم يتحد بها اتحاد ادم بها وصور الله
تعالى في ذلك الضلع جميع ما صوره وخلقه في جسم ادم فكان نشو ادم في صورته كنشا
الفاخوري فيما ينشيه من الطين والطبخ وكان نشو جسم حوى كنشا النجار فيما ينحته
من الصور في الخشب فلما نحتها في الضلع واقام صورتها وسواها ونفخ فيها من روحه
قامت حية ناطقة انثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الابنات الذي هو التناسل
واطال في ذلك في الباب السابق فان قيل فما وجه تسمية عيسى عليه السلام روحا من
الله تعالى فالجواب كما قاله الشيخ ابو طاهر القزويني رحمه الله تعالى ان الحق تعالى لما خلق
الارواح قبل الاجسام بالفي عام خباها في مكنون علمه فلما خلق الاجسام هيا لكل ذرة
منها روحا في المكنون تناسبها من سعادة او شقاوة فكانت تلك الذرات ازواجا للارواح
قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها اي مقرونة بشكلها ثم لما اراد الله تعالى
اخذ الميثاق منهم اهبط بقدرته تلك الارواح من اماكنها على تلك الذرات على وفق
علمه وحكمته ثم لما اخذ منهم الميثاق حل عقال الارواح فطارت الى مكامنها في المكنون الى
وقت اتصالها بالاجنة في الارحام قال الشيخ ورايت في تفسير الانجيل ان روح عيسى

عليه السلام لم تستقر على الذرة بعد اخذ الميثاق وانما رفعها الله تعالى الى جبريل
عليه السلام فاسكنه في المكنون وكان يسبح الله ويقدسه الى ان امر الله سبحانه فنفخه
في جيب مريم فخلق منها المسيح عليه السلام من غير نطفة متوسطة فلذلك سماه الله روحا
منه دون غيره ثم رفعه الى السما بقدر ما فيه من الروحية ثم كان مكثه في الارض بقدر ما
من الطين ومكثه في السما بقدر ما فيه من النور قال الشيخ وقول الله تعالى حكاية
عنه وهو في المهد وجعلني مباركا اينما كنت اشارة منه الى هذه الجملة يعني اينما
كنت من السما والارض ۞ ويويد ذلك قول ابي ابن كعب ان الله تعالى لما اخذ ارواح
بني ادم مع الذرات امسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما اراد خلقه ارسل ذلك
الروح الى مريم فكان منه خلق عيسى عليه السلام فلهذا قال فيه روح منه فان قلت
فهل الملايكة الموكلون بالارحام ويتولون تصور الاجنة هم اعوان اسرافيل عليه السلام
الموكل بالصور واما هو عليه السلام فانما هو ناظر الى صور الخليقة المصورة تحت العرش
فان في الحديث ان لكل ما خلق الله تعالى صورة مخصوصة في ساق العرش اظهرها الله تعالى
قبل تكوينهم ثم انه لصور بني ادم تشابه وتشاكل في الخلقة لانهم على صورة ابيهم ادم
وادم هو كذلك في الصور التي تحت العرش واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق ادم على صورته وفي رواية اخرى على صورة الرحمن ومعناه على الصورة التي
صورها الرحمن في العرش او اللوح قبل خلق ادم عليه السلام فان الحق تعالى لا صورة
له لمباينته لجميع خلقه فافهم فنعلم ان اسرافيل ناظر الى الصور المنقوشة في العرش
وتلك الارواح عند تصوير الجنين ناظر الى اسرافيل وذلك الصور كلها حكاية عما في
علمه الازلي سبحانه فياخذ اسرافيل تلك الصورة المختصة المسماة عند الله تعالى
لتلك الذرة المتخلقة المرباة ثم يلقيها الى الجنين في الرحم فيصور بتلك الصورة
المعينة والقا الصورة انما يكون بالقا نسختها التي يليق بها وانما اضاف تعالى التصوير
في الارحام اليه بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا لان هذه
الاسباب مقدرة على قضية علمه وتدبيره اجرا للعادة الحسنى فهو تعالى مصور
للصور ومصور مصوريها لا خالق سواه ولا مصور الا هو ولذلك شدد الوعيد
على من اتخذ الاصنام والله تعالى اعلم فامعن النظر في ذلك البحث فانك لا تجده في كتاب والله

المبحث الثاني والعشرون في بيان ان الله تعالى

يرى للمومنين في الدنيا بالقلوب وفي الاخرة لهم بالابصار بلا كيف في الدنيا والاخرة
اي بعد دخول الجنة وقبله كما ثبت في احاديث الصحيحين الموافقة لقوله تعالى وجوه
يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة والمخصصة ايضا لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار اي لا تراه قال جمهور المتكلمين والاصوليين وتكون روية المومنين
لربهم في الاخرة الانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان وذلك لان الروية نوع
كشف وعلم للمدرك بالمرئي يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بالبصر فجاز ان يخلق
هذا القدر بعينه من غير ان ينقص منه قدر من الادراك من غير مقابلة لهذه الحاسة
اصلا كما كان صلى الله عليه وسلم يرانا من وراء ظهره وكما ان الحق يرانا من غير مقابلة ولا
جهة باتفاقنا اذ الروية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فان اقتضت عقلا كون
احدهما في جهة اقتضت كون الاخر كذلك فاذا ثبت عدم لزوم ذلك في احدهما ثبت
مثله في الاخر وخرج بقولنا يراه المومنون غير المومنين من الكفار فلا يرونه يوم القيمة
ولا في الجنة لعدم دخولهم لها قال تعالى كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون الموافق
لقوله تعالى لا تدركه الابصار واختلفوا هل تجوز رويته تعالى في الدنيا يقظة
ومناما فقال بعضهم تجوز وبعضهم لا تجوز ۞ دليل جوازها في اليقظة هو ان
موسى عليه السلام طلبها حيث قال رب ارني انظر اليك وهو عليه الصلاة والسلام
لا يجهل ما يجوز وما يمتنع على ربه عز وجل ودليل المنع ان قوم موسى عليه السلام
طلبوها فعوقبوا قال تعالى فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم قال
الجلال المحلي رحمه الله واعترض هذا بان عقابهم انما كان لعنادهم وتعنتهم في طلبها
لا لامتناعها في نفسها انتهى وقد استدل الجمهور على منع الروية في الدنيا لقوله
صلى الله عليه وسلم لن يرى احد ربه حتى يموت وبذلك صح حملهم للايتين السابقتين
على عدم الروية في الدنيا جمعا بينهما وبين ادلة الروية ودليل المجيز لها انه لا استحالة
في الروية في المنام وقد ذكر العلما وقوعها في المنام لكثير من السلف الصالح منهم الامام
احمد وحمزة الزيات والامام ابو حنيفة وكان حمزة الزيات يقول قرات سورة يس

على الحق تعالى حين رايته فلما قرات تنزيل العزيز الرحيم بضم اللام فرد على الحق تعالى
تنزيل بفتح اللام وقال اني نزلته تنزيلا قال وقرات عليه جل وعلا ايضا
سورة طه فلما بلغت الى قوله تعالى وانا اخترتك فقال تعالى وانا اخترناك
فهي قراة برزخية وقد اجمع علما التعبير على جواز روية الله تعالى في المنام واغا بالغ
ابن الصلاح في انكارها تبعا لمن منع وقوعها من العلما واما روية الحق جل وعلا
في اليقظة لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعها جمهور العلما واستدلوا لذلك
بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى لموسى لن تراني وبقوله صلى الله عليه
وسلم لن يرى احدكم ربه حتى يموت • رواه مسلم في كتاب الفتن في صفة الدجال
اما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختلف الصحابة في وقوع رويته ليلة المعراج
قال الجلال المحلي رحمه الله والصحيح نعم واليه استند القايل بالوقوع في الجملة لكن
روى مسلم عن ابي ذر سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال
نور اني اراه بتشديد نون اني مفتوحة وضمير اراه لله تعالى اي حجبني النور المغشي
للبصر عن رويته انتهى ما قاله الشيخ جلال الدين المحلي والشيخ كمال الدين ابن ابي
شريف في حاشيته وقال الشيخ ابو طاهر القزويني في كتاب سراج العقول في هذه
المسالة واعلم ان اكثر المتكلمين من الفرق ينكرون جواز روية الله تعالى في المنام فضلا
عن اليقظة لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتجوا في ذلك بان ما يراه النايم يكون
مصورا لا محالة ولا صورة للرب تعالى وانه يراه بواسطة مثال مناسب له ولا مثل
ولا مثال لله رب العالمين قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال • وقال ليس كمثله شي
• وقال ولم يكن له كفوا احد قالوا فمن راى من ذلك شيا وتخيل انه الاله فذلك
من اراة الشيطان وتخيله واغوايه وتضليله او هو مشبه معتقد لذلك في
اليقظة واطال في ذلك ثم قال والذي عليه جمهور مشايخ السلف رضي الله عنهم
انه يجوز روية الله تعالى في صورة في المنام وبه جات الاحاديث نحو قوله صلى الله
عليه وسلم خير الرويا ان يرى العبد ربه في منامه او يرى نبيه او يرى ابويه ان
كانا مسلمين وقوله صلى الله عليه وسلم رايت ربي في احسن صورة الحديث وقال
محمد ابن سيرين من راى ربه في المنام دخل الجنة قالوا ويكون روية الله تعالى بواسطة

مثال يليق به منزه عن الشكل والصورة فيكون تجليه في ذلك ليفهم كلامه القديم لعبا
بواسطة الحروف والاصوات مع تنزيه كلامه تعالى عن ذلك فكما ان الكلام الازلي منزه
عن الصوت والحرف الحادثين ونفهم بواسطتهما كلام الله القديم فكذلك يجوز ان يكون ذاته
الازلية المنزهة عن الصورة والشكل يرى بواسطة مثال يناسبها بادنى معنى فيكون كالمثل
بفتح المثلثة المذكور في القران في قوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح لا كالمثل
بسكون المثلثة التي يوجب المماثلة من كل اما اذا راه في صورة لا تناسب جلال الصمدية
في معنى ما فالرايي ممن عبث به الشيطان فان قيل ان روية الله تعالى على ما هو عليه
في ذاته غير ممكن لعدم صحة المثل والمثال في نفس الامر والنايم لا يرى شيا في المنام الا
بصورة ومثل فالجواب اذا تجلى الحق تعالى بذاته المقدسة لعبده في منامه فالروح
تعرف بالفطرة الاولية انه هو الاله الحق بخلاف سايره ورياه المحتاجة للتعبير ان النفس
بالانفا الخيالية لا تستطيع روية من لا صورة له ولكن تتصور بوسايط وامثلة ثم تذهب
كالزبد يذهب جفا ويبقى معها روية الله تعالى حقا كما ان القديم يتعلمه الناس بامثلة الحروف
في اللوح ثم يمحى اللوح ويبقى القران في الحفظ قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله فعلم انه لا يلزم من
كون الشي لا صورة له ان لا يرى في صورة على ما قررناه الا ترى ان كثيرا من الاشيا التي
لا اشخاص لها ولا صورة ترى في المنام بامثلة تناسبها بادنى معنى ولا يوجب التشبيه
ولا التمثيل ذلك كالمعاني المجردة مثل الايمان والكفر والشرف والقران والهدى
والضلالة والحياة الدنيا ونحو ذلك واما الايمان فكقول النبي صلى الله عليه وسلم
رايت الناس في المنام يعرضون منهم من قميصه الى كعبه ومنهم من قميصه الى انصاف
رجليه فجا عمر ابن الخطاب وهو يجر قميصه فقالوا يا رسول الله ما اولت ذلك قال
الايمان فالايمان لا شكل له ولا صورة ولكن جعل القميص له مثالا مرئيا بواسطة ولذلك
الكفر يمثل في المنام بالظلمة وكذلك الشرف والعز يرى بواسطة صورة الفرس وكذلك
يمثل القران باللولو ويمثل الهدى بالنور والضلالة بالعمى ولا شك ان بين هذه الاشيا
مضاهاة لتلك المعاني المرئية وتشبيه المعاني لا ينكره العلما بالله تعالى قال وموضع
الغلط في ذلك لمن منع روية الله في صورة ظنه ان المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم
وسكون المثلثة وذلك خطا فاحش فان المثل بالسكون يستدعي المساواة في جميع الصفات

كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه في كل حال بخلاف
المثل بفتحتين فانه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه وانما يستعمل فيما يشاركه بادنى
وصف قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فالحياة لا صورة لها
ولا شكل والماء ذو شكل وصورة وكذلك قوله مثل نوره كمشكوة فيها مصباح وغير
ذلك فعلم انه لا مثل لله تعالى ولكن له المثل الاعلى في السموات والارض قال ومن
هنا جوز الاكثرون من السلف الصالح تجليه لعبده في المنام كما مر في الامثال والحال
في ذلك ثم قال واللسان تقصر حقيقة عن البيان لانها امور دقيقة لا يضبطها
عبارة والله سبحانه وتعالى اعلم هذا ما اطلعت عليه في كتب المتكلمين واما ما رايته
في كتب الصوفية ممن افصحهم عبارة فيه الشيخ محيي الدين رضي الله عنه فقال في
الباب الرابع والستين من الفتوحات اعلم انه لا ينبغي لمسلم ان يتوقف في رؤية الله تعالى
في المنام فانه لا شي في الاكوان اوسع من عالم الخيال وذلك انه يحكم بحقيقته على
كل شي وعلى ما ليس بشي ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن
ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ويريك العلم لبنا والاسلام قبة والثبات في
الدين قيدا قال ودليلنا فيما قلناه قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله ووجه
الشي حقيقته وعينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور
فعلم ان كلما جاز وقوعه في المنام والدار الاخرة جاز وقوعه وتجليه لمن شاء الله تعالى
في اليقظة والحياة الدنيا انتهى وقال ايضا في علوم الباب التاسع والستين وثلاثماية
لا يصح لاحد ان يعبر عن حقيقة ما طريقه الذوق من غير تكييف كرؤية الله تعالى ابدا
والحال في ذلك ثم قال واذا صح ان العقل يدرك الحق تعالى مع ان العقل
محدث جاز ان يدركه بالبصر من غير احاطة لانه لا فضل لمحدث على محدث من حيث
الحدوث وانما الفضل من حيث الصفات الجميلة ومن قال ان الحق تعالى يدرك عقلا
ولا يدرك بصرا فمتلاعب لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هي
عليه وذلك كالمعتزلة فان هذه رتبتهم وكل من لا يفرق بين الامور العادية والامور
الطبيعة فلا ينبغي لاحد الكلام معه في شي من الامور العلمية ولولا ان موسى عليه
الصلاة والسلام فهم من ارادة كلام ربه ارتفاع الوسايط ما اجراه على طلب الرؤية

ما فعل فان سماع كلام الله تعالى بالوسايط عين الفهم عنه فلا يفتقر الى فكر وتاويل
فلما كان عين السمع في هذا المقام عين الفهم سال الله الرؤية ليعلم قومه ومن ليس له
هذه المرتبة من الله تعالى فعلم ان رؤية الله تعالى ليست بمحال انتهى وقال
ايضا في الباب السبعين من الفتوحات اعلم ان اعظم نعيم في الدنيا والاخرة رؤية
الباري جل وعلا لكن هنا دقيقة وهي ان الالتذاذ برؤيته تعالى انما هو راجع
الى رؤية المظاهر الذي يتجلى الحق تعالى فيها تنزلا للعقول لا الى الذات المتعالي
وايضاح ذلك ان الالتذاذ بالرؤية لا يكون الا برؤية من بيننا وبينه مجانسة
ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه فان قلت فكيف الرؤية
فالجواب ان الحق تعالى اذا اراد ان يتفضل على عبد من عبيده المختصين بان
يحصل له التذاذ برؤيته اقام له مثالا يتخيله في عقله مطابقا له اي للرائي
فيقع الالتذاذ بالرؤية حينيذ وتعالى الله في علو ذاته عن الالتذاذ به ومن مشابهة
خلقه وعن ان يحيطوا بذاته علما لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وتقدم في الكتاب
ان مراد من يقول ان الحق تعالى اذا احيط عبدا به احاط به هو علمه تعالى بانه لا يحاط
به فهذا هو معنى الاحاطة وقال ايضا في الباب الثامن والسبعين ومائة اذا
اراد الله عز وجل ان يري عبدا من عبيده نفسه تعالى فلا بد من فنا العبد عن
شهود نفسه عند التجلي وتجرد الروح وحينيذ يرى ربها كما تراه الملايكة ثم اذا
اراد الحق تعالى ان ينعم عبده ويلذذه برؤيته ومشاهدته فلا بد من ارسال الحجاب
فيقع التلذذ بالمشاهدة قال وهذه مسالة من الاسرار ما اظهرتها باختياري وانما
كنت في اظهارها كالمجبور انتهى وعبارته في كتاب لواقح الانوار اعلم انه
لا بد من فنا المشاهد عند رؤية الباري جل وعلا فيغيب عن حسه وعن لذاته لان
النفس احدية الذات ليس في قدرتها ان تشتغل بامرين معا في آن واحد فلا بد ان
تكون متوجهة بكليتها لادراك الرؤية او قبولها فاذا اشهدك تعالى نفسه افناك
عنك فلا يجد الخطاب محلا يتوجه اليه واذا كلمك اوجدك لانه لا بد للقبول منك
حتى تقبل الخطاب والا فلا فايدة للخطاب انتهى قال ابو العباس السياري احد شيوخ
الطايفة الاكابر ما التذ عاقل قط بمشاهدته تعالى ولذلك لانها فنا والفنا

ليس فيه لذة ووافقه على ذلك الشيخ في الفتوحات وقال في لواقح الانوار ايضا اذا
اقامك الحق تعالى في مشهد ما واشهد لك نفسك معه فانت من ابعد الابعدين
لان نفسك كون واين الكون في الرتبة من رب العالمين لكن لك حينئذ حقيقة المجاورة
المعنوية وهي انه ليس بينك وبين الله تعالى امر زايد كما انه ليس بين الجوهرين المتجاورين
حيز ولله المثل الاعلى قال ثم ان هذه المجاورة لا يعقلها الا اهل الكشف • وفي
حديث الطبراني وغيره مرفوعا بين العبد وبين ربه سبعون الف حجاب من نور وظلمة
فما من نفس تسمع شيئا من حس تلك الحجب الا زهقت انتهى • وفي رواية اخرى ان الله
سبعين الف حجاب بينه وبين خلقه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره
من خلقه فان قيل فكيف رؤية الباري لخلقه جل وعلا فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب الثامن والسبعين وماية ان صورة نظر الحق تعالى الى العالم انه ينظر اليه
بعين الرحمة لا بعين العظمة كما يليق بجلاله تعالى ولهذا اثبت العالم معه تعالى عند
الرؤية ولو انه تعالى نظر الى العالم بعين العظمة كما يليق بجلاله لاحترق العالم كله
بسبحات وجهه كما مر انفا في الحديث قال وهذه الرحمة هي عين الحجاب الذي بين
العالم وبين السبحات المحرقة فهي كالعما الذي اخبر الشارع ان الحق تعالى كان فيه قبل
ان يخلق الخلق واكثر من ذلك لا يقال وقال الشيخ في باب الاسرار اذا عوين
الحق تعالى فلا يعاين الا من حيث العلم والمعتقد والله اجل واعلا ان يحاط بذاته
انتهى وقال في باب الوصايا من الفتوحات اعلم ان من علامة صدق من يدعي انه يشاهد
الحق تعالى انه انعكس مراة قلبه الى الكون يعرف ما في ضماير جميع الخلق وتصدقه
الناس على ذلك الكشف فان قلت فما الفرق بين الرؤية وبين الشهود الذي
تقول به الطايفة فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الساداس والستين وماتين
ان الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي ابدا والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى
بالعقايد ولهذا يقع الاقرار والانكار وايضاح ذلك ان الشاهد ما سمي شاهد
الا لكونه ما راه يشهد له بصحة ما اعتقده قال تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه
شاهد منه اي يشهد له بصحة ما اعتقده قال ومن هنا سال موسى الرؤية بقوله
رب ارني انظر اليك وما قال اشهدني لانه كان تعالى مشهودا له ما غاب عنه وكيف

يعيب

يغيب عن رسول كريم وهو لا يغيب عن الاولياء فما طلب موسى الا الرؤية الخاصة
بالانبياء في الاخرة ليتجلها الله تعالى له في الدنيا حين طلب مقامه ذلك واما شهود
الحق تعالى مثل ما يشهده الاولياء فذلك حضوه وزبدته من حيث مقام ولايته انتهى
وقال في كتاب اللواقح ايضا من الفرق بين الرويا والشهود ان الشهود هو
ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار اليه بحديث اعبد الله كانك تراه فقوله
كانك تراه هو شاهد الحق الذي اقمته في نفسك كانك تراه • قال وهذه درجة
التعليم ثم يترقى منها الى درجة الخصوص وهي علمك بان الله يراك ولا تراه وذلك لانك
اذا اضبطت شهوده عن بقية الوجود المحيط بك واذا تحققت بذلك علمت عجزك
عن الاحاطة به تعالى لانك مقيد وهو تعالى مطلق واستضيق وهو تعالى واسع
وحينئذ يبقى مع نظرة الحق اليك لا مع نظرك انت اليه لان نظرك يقيده
ويحده وهو المنزه عن القيود والحدود فاذن الشهود له المعرفة والرؤية
لها الكشف التام انتهى فان قلت فهل يخرج العبد عن القول بالجهة فالجواب
كما قاله سيدي علي ابن وفا رحمه الله انه لا يخرج عبد من القول بالجهة الا ان نفذ
كشفه من اقطار السموات والارض واعطاه الله تعالى شيا من علمه تعالى قال واما
من تقيد كشفه بالسموات والارض والبرزخ والجنة والنار فلا يرى ربه الا في جهة
انتهى فان قلت فاذن ما راى احد ربه الا بصورة استعداده فالجواب نعم ما راى
عبد ربه الا بقدر وسعه وغير ذلك لا يكون اذ لو صح ان يرى عبد فوق مرتبته
لبطل اختصاص الانبياء والاولياء على بعضهم ولرقي الاولياء في سلم الانبياء وذلك محال
فان قلت فاذن ما راى العبد الا صورة نفسه في مراة معرفة الحق وما راى
الحق حقيقة فالجواب نعم وهو كذلك بحكمه كالانسان الذي راى نفسه في المراة
المحسوسة فانه يرى صورة نفسه حاجبة له عن شهود جرم المراة قال الشيخ في
لواقح الانوار وما ثم مثال اقرب ولا اشبه بالرؤية والتجلي من رؤية الشاهد
في المراة واجهد يا اخي في نفسك عند ما ترى الصورة في المراة ان ترى جرم المراة
لا تراه ابدا بل تنطبع صورتك في المراة قبل تحققك بالرؤية فما يقع بصرك
الا على صورة نفسك فلا تطمع ولا تتعب نفسك في ان ترقى الى اعلى من هذا

المرئي ابدا فما هو ثم اصلا وليس ثم الا العدم المحض فليتامل ويحرر فانه يوهم ان المرئي في الاخرة لجميع الناس غير الحق ولا يخفى ما فيه **فان قلت** فما سبب تفاضل الناس في الرؤية كمالا ونقصا مع ان المرئي سبحانه وتعالى لا تقبل ذاته الزيادة ولا النقصان **فالجواب** سبب التفاضل كونهم لا يشهدون في مراة معرفة الحق تعالى الا حقايقهم ولو انهم شهدوا عين الذات لتساووا في الرؤية ولا يصح بينهم تفاضل ولكن ان حقايق الانبيا من حقايق غيرهم **فان قلت** فهل يتفاوتون في الاخرة كما يتفاوتون في الدنيا **فالجواب** نعم فان تفاوتهم في الاخرة فرع عن تفاوتهم في الدنيا وقد قال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثماية اعلم ان رؤية المومنين لربهم في الاخرة تابعة لاعتقادهم الذي كانوا عليه في دار الدنيا فيتجلى لكل احد من حيث كان يعتقدون فرؤيتهم على قدر علمهم بالله تعالى وعلى قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلما وكما انهم متفاضلون في الرؤية كذلك هم متفاضلون في النعيم واللذة فمنهم من حظه من النظر الى ربه لذة عقلية ومنهم من حظه من ذلك لذة نفسية ومنهم من حظه من ذلك لذة حسية ومنهم من حظه من ذلك لذة خيالية ومنهم من حظه من ذلك لذة مكيفة ومنهم ومنهم من حظه من ذلك لذة يقال تكييفها ومنهم من حظه من ذلك لذة لا يقال تكييفها ومنهم من هو مقلد في علمه بالله تعالى بحسب ما القى اليه عالمه اما على حسب ما عنده من العلم واما على قدر ما يحمله عقله فقط ومنهم من هو غير مقلد وهكذا **فان قلت** فما اكمل الرؤية التي تقع للخلق **فالجواب** اكمل الرؤيا رؤية الانبيا عليهم الصلاة والسلام ثم رؤية كمل اتباعهم فان الكمل لا يرون ربهم الا في مراة نبيهم الماخوذة من شرعه الثابت عنه **واعلم** ان عدد رؤية كل عبد للحق في الاخرة تكون على قدر مجالسته للحق تعالى في دار الدنيا في جميع المامورات واجتناب المنهيات على الكشف والشهود فتزيد الرؤية والمعرفة بزيادة الطاعات وتنقص بفعل المنهيات وكل من قلت مجالسته للحق تعالى حجبه فيما لم يجالسه فيه والسلام **قلت** وانما كانت مراة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اكمل المرائي لانها حاوية لجميع مرائي الانبيا عليهم الصلاة والسلام ودون ذلك في المرتبة من يرى في مراة نبي من الانبيا ثم مراة احد من الاوليا **فعلم** ان الكامل لا يطا مكانا لا يري

يري

فيه قدم نبيه ابدا **فان قلت** فالذين ينكرون الحق تعالى في تجليات الاخرة هل هم مسلمون **فالجواب** نعم هم مسلمون بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي فاذا كان كشف عن ساقه خروا له ساجدين وقالوا انت ربنا وهنا اسرار يذوقها اهل الله لا تسطر في كتاب والله اعلم **فان قلت** فاذا وقع الانكار من هولا فهل يكون المقربون من الانبيا والاوليا حاضرين فان كانوا حاضرين فلم لم يرشدوهم الى ان المتجلي لهم هو الله تعالى **فالجواب** كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الاشواق ان الانكار اذا وقع يكون الانبيا والعارفون واقفون بجانب عن هولا المنكرين وانما لم يرشدوا المنكرين لتلك التجليات لانهم يعرفون من الحق تعالى انه طلب منهم انهم يستروه عن اوليك المنكرين ليتجلى لكل احد بثمرة علمه به في دار الدنيا **فان قيل** فاذا كان الكافرون لا يرون ربهم فما صورة عدم رؤيتهم له **فالجواب** كما قاله الشيخ في باب الاسرار ان صورة عدم رؤيتهم له تعالى انهم يرونه ولكن لا يعلمون انه هو فحجابهم عن ربهم جهلهم به فلا يرونه ابد الابدين ودهر الداهرين انتهى **فان قلت** فهل تكون الرؤية للمومنين بباصر العين كما في الدنيا ام تكون بجميع عيونهم **فالجواب** كما قاله الشيخ تقي الدين ابن ابي المنصور ان رؤية المومنين لربهم في الاخرة تكون بجميع اجسادهم وذلك لكمال النعيم الابدي فلا يتقيد رؤيتهم له تعالى بباصر العين بل كلهم ابصار كمال وبعضهم يراه بجميع وجهه فقط انتهى **فان قيل** فهل يلزم ان يكون ما يشهده المومن بقلبه من الله تعالى هو المطلوب لوسعه تعالى ولتعاليه عن الحصر والتقييد **فالجواب** كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلاثماية لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه ان يكون هو المطلوب باعلام من الله تعالى فيجعل للعبد في نفسه علما ضروريا ربما مثل ما يجد النايم في نومه من رؤية الحق جل وعلا او رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجد الرائي في نفسه العلم الضروري بان ذلك المرئي هو الله عز وجل او رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لوقوع المرئي مطابقا لما هو الامر عليه فيما راه اذ لا يدرك احد الحق تعالى الا هكذا واما بالنظر والفكر فلا كما مر في مبحث ان حقيقته تعالى مخالفة لساير الحقايق **فان قيل** فمثل النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الاخرة نور له شعاع كما راه صلى الله عليه وسلم

انتهى فان قلت فكم ترجع صور التجلي الالهي الى مرتبة من العدد فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة انها ترجع كلها الى صورتين صورة تنكر وصورة
تعرف ولا ثالث لهما قال وقد ورد ان الله تعالى لما كلم موسى عليه الصلاة والسلام
تجلى له في اثني عشر الف صورة وفي كل صورة تقول له يا موسى لتنتبه موسى فيعلم انه لو
كان جميع التجلي بصورة واحدة لم يقل له في كل صورة وكلمة يا موسى فان قلت
فكيف ثبت موسى عليه السلام لسماع كلام الله تعالى ولم يثبت لرؤيته فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الخمسين واربعمائة انه انما ثبت لسماع كلام الله تعالى لان الحق
تعالى كان سمعه عند التجلي يعني مؤيدا ومقربا لسمع موسى عليه الصلاة والسلام وذلك
لانه محبوب لله بلا شك وقد اخبر الحق تعالى انه اذا احب عبدا كان سمعه وبصره الحديث
لكن قد يجمع الله تعالى لمن شاء في هذا المقام الصفات كلها وقد يعطيه بعض الصفات على
التدريج شيئا بعد شيء فلذلك صعق موسى عند التجلي اذ لم يكن الحق تعالى بصره اذ ذاك
فلو انه تعالى امده بالقوة في بصره كما ايده بها في سمعه لثبت للرؤية كما ثبت لسماع
الكلام اي لا طاقة للمحدث على رؤية الحق تعالى الا بتاييد الهي انتهى فان قلت فما
السبب الذي دعى موسى عليه السلام الى سؤال الرؤية دون سائر الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فان كان شدة الشوق فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اشد شوقا منه بيقين
لان الشوق يعظم بشدة المعرفة بعظمة من وقع الاشتياق الى رؤيته وان كان الباعث
له على ذلك هو التقريب فكل الانبياء مقربون فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي
والثلاثين وثلاثمائة ان السبب الداعي له على طلب الرؤية زيادة التقريب على غيره
من الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم منعه الادب ان يسال ذلك مع انه كان بالاشواق
الى رؤية الباري اكثر من موسى عليه السلام بيقين فلما سلك مقام الادب لقوة
تمكينه حفظ الله عليه المقام حتى دعاه الله تعالى الى رؤيته على لسان جبريل وارسل
له براقا فانزلت عليه تشريفا له على موسى عليه السلام فعلم ان موسى عليه السلام
ما منع من الرؤية الا لكونه سالها على غير وحي الهي ومقام الانبياء يقتضي المؤاخذة بالذر
فلذلك كان الجواب له لن تراني ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم ان التاذي
بلغ حده في موسى من حيث سؤاله الرؤية لغير امر من الله تعالى قال له تعالى ولكن انظر

الى الجبل فاحاله على الجبل في استقراره عند التجلي حيث كان الجبل راى ربه وان
الرؤية هي التي اوجبت له التدكدك ومن هنا قال بعض المحققين اذا جاز ان يكون
الجبل راى ربه فما المانع لموسى ان يرى ربه في حال تدكدك الجبل ويكون في
وقوع النفي على الاستقبال والاية تحتمله فكان الصعق لموسى قائما مقام التدكدك
للجبل ثم لما وقع التجلي للجبل واندك علم موسى انه وقع فيما لم يكن ينبغي له سؤاله
وان كان الحامل له على ذلك كثرة الشوق فقال تبت اليك وانا اول المؤمنين يعني
بوقوع هذا الجائز وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما طمع موسى في
طلب الرؤية الا لما قام عنده من التقريب ومعلوم ان الرسل اعلم الناس بالله تعالى فهم
يعرفون ان الحق تعالى مدرك بالادراك البصري كما ينبغي لجلاله تعالى وعلى ذلك
فما سال موسى الا ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا فان ذلك من محارات
العقول انتهى وقال في الباب التاسع ومائتين انما احال الحق تعالى موسى عليه الصلاة
والسلام على رؤية الجبل حين ساله رؤية ربه لان من صفة الجبل الثبوت يعني ان ثبت
الجبل اذا تجليت عليه فستراني من حيث ما في ذلك من صفة ثبوت الجبال تعالى ولان
جبل من الجبال انما كان يثبت عند الشدائد والامور العظيمة ولا يخفى ان الجبل ليس هو
اكرم على الله تعالى من موسى عليه السلام وانما ذلك من حيث كون خلق الارض التي
الجبل منها اكبر من خلق موسى الذي هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس اي فاذا كان الجبل الذي هو الاقوى صار دكا عند التجلي فكيف يثبت
لرؤيتي جبل موسى الذي هو جبل صغير من حيث الجرم انتهى فان قلت فلم رجع موسى الى
صورته بعد الصعق ولم يرجع الجبل الى صورته بعد الدك فالجواب انما لم يرجع الجبل الى
صورته لخلوه عن الروح المدبر له بخلاف موسى عليه السلام رجع الى صورته بعد
الصعق لكونه كان ذا روح فروحه هي التي امسكت صورته انتهى فان قلت فقد قال
اهل الكشف ان الجماد كله حي فما هذه الحياة فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثالث
والتسعين وثلاثمائة ان المراد بحياة الجماد كونه يسبح الله تعالى وينزهه ويقدسه
لا ان له اختيارا وتدبيرا كالحيوان المشهور قال الشيخ ومن اعظم دليل سمعي على حياة
الجماد قوله تعالى وان منها يعني الحجارة لما يهبط من خشية الله فانه لا يوصف بالخشية

الاحي داري ولكن قد اخذ الله تعالى ابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد
الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل سمعي في ذلك لكشفنا عن
حياة كل شيء عينا واسماعنا تسبيح الجماد ونطقه قال وكذلك اندكاك الجبل حين وقع
له التجلي ما وقع منه الا لمعرفته بالله تعالى ولولا ما كان عنده من المعرفة ما اندك لان
الذوات لا تؤثر في بعضها من حيث هي ذات وانما يؤثر فيها معرفتها وانظر الى الملك
اذا دخل السوق على هيئة العوام ومشى بينهم وهم لا يعرفونه كيف لا يقوم له وزن
في نفوسهم ثم اذا لقيه في تلك الحالة احد يعرفه من خواصه قامت بنفسه
عظمته وقدره واثر فيه علمه فاحترمه وتادب معه وخضع له فاذا راى الناس ذلك
من هذا الخاضع الذي يعرفون قربه ومنزلته من الملك حارت اليه ابصارهم وخشعت
له اصواتهم واوسعوا له في الشارع ونبادروا الرؤية واحترامه فما اثر فيهم الا
ما قام بهم من العلم فما احترموه لمجرد صورته لانها كانت مشهودة لهم قبل علمهم
بانه الملك فتامل فقط ان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هي رتبة نسبية
اعطته التحكم في العالم الذي هو تحت حكمه انتهى فان قلت قد ورد في الحديث
ان العبد يناجي ربه في الصلاة في هذه الدار ومعلوم انه لا يصح ان يناجي الا
من يتخيله مناجيا لذلك فبم تميزت الدار الاخرة فالجواب تميز الدار الاخرة
بكون العبد هناك يعرف من يناجيه ويسمع كلامه وهنا لا يعرفه ولا يسمع كلامه
فلا بد من مزيد انكشاف العبد في الاخرة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنا في هذه الدار اعبد الله كانك تراه وقال في الدار الاخرة ما من احد الا سيكلمه
ربه كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان الحديث ۝ وايضاح ذلك ان كل مدرك بشيء
من القوى الظاهرة والباطنة التي في الانسان لا بد ان تكون بتخيل ولولا ذلك
التخيل ما سكن اليه فلا يقع السكون الا لمتخيل بفتح التحتية من متخيل بكسرها وجميع
العقائد كلها تحت هذا الحكم ولهذا سميت عقائد فان العقائد محلها الخيال والخيال
لا يصح ان ينضبط امرا زائدا ولذلك كان من لازم صاحب الوهم قلة السلامة منه
انتهى فان قلت فهل يقع لاهل الكشف في الدنيا انكار لشيء من التجليات الاخروية
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلاثمائة لا يقع من اهل الكشف شيء من الانكار

للتجلي

للتجلي الاخروي وانما يقع ذلك من اصحاب النظر العقلي وذلك لانهم قيدوا الحق
تعالى بما ادت اليه عقولهم المعقولة فلما لم يروا في الاخرة ما قيدوه بعقولهم
في الدنيا انكروه ضرورة الا تراهم اذا وقع التجلي بالصفات التي كانوا قيدوه بها يقرون
له بالربوبية ولو انه تعالى كان تجلى لقلوبهم بهذه العلامة اولا لما انكروه فعلم
ان اهل الكشف لا يقع منهم انكار والسلام انتهى وكان سيدي علي ابن وفا رضي الله
عنه يقول لا يقر بالحق تعالى في كل تجلي من تجليات الاخرة الا اهل الشرب المطلق
الذي هو تجريد التوحيد عن شرك يقابله قال وهذا سر العيان الذي يستحيل
معه الحجاب فان قيل اذا كان الحق تعالى واحدا لا ثاني له في نفس الامر فمن اين
جاء الانكار فالجواب كما قاله الشيخ في باب الاسرار جاء الانكار من اختلاف الامر
جبة فكل واحد يصوب اعتقاد نفسه ويخطي غيره وهو تعالى في نفسه واحد
لا يتبدل ولا يتحول فالاعتقادات هي التي تنوعه وتفرقه وتجمعه وتعالى الله في
علو ذاته عن ذلك فان قيل فما علامة صدق من يرى الله بقلبه في هذه الدار
على الكشف القلبي فالجواب علامته ان يراه من سائر الجهات من غير ترجيح لاحدى
الجهات على بعضها قال الشيخ محيي الدين في الباب السادس عشر وما تين وقد
ذقنا هذا المقام ولله الحمد قال وكذلك هي رؤية اهل الجنة في الجنة اذا راوه
بابصارهم فتكون الرؤية مطلقة لا تتقيد بجهة انتهى فان قلت ان بعض المحققين
منع رؤية الحق تعالى بالقلوب كالابصار فما وجهه فالجواب كما قاله الشيخ في الباب
العشرين واربعمائة ان وجه اطلاق الابصار في الاية التي لا تدركه الابصار من
كل عين من اعين الوجوه واعين القلوب وذلك ان القلوب لا ترى الا بالبصر واعين
الوجوه لا ترى ايضا الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذي يقع به الادراك فيسمى
البصر في القلب عين البصيرة ويسمى في الظاهر بصر العين فكما ان العين في الظاهر
محل البصر فكذلك البصيرة في الباطن محل العين الذي هو بصر في عين الوجه
فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه فكما لا تدركه العيون بابصارها
كذلك لا تدركه البصائر باعينها انتهى فان قيل فهل وقعت رؤية الله تعالى
يقظة لاحد في الدنيا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم الارث له في المقام

فالجواب كما قاله الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله لم يبلغنا وقوع ذلك
في الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان فلانا يزعم انه يرى الله
بعيني راسه فارسل الشيخ خلفه وقال احق ما يقول هولاء عنك فقال نعم فانتهره
الشيخ وزجره عن هذا القول واخذ عليه العهد ان لا يعود اليه فقيل للشيخ محق هذا
الرجل ام مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك انه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال
البديع ثم خرق من بصيرته الى بصره منفذ فراى ببصيرته حال الصالحا بنور شهوده
وظن ان بصره الظاهر راى ما شهدته بصيرته وانما راى بصره حقيقة بصيرته
فقط من حيث لا يدري قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان
وكان جمع من المشايخ حاضرين فاعجبهم هذا الجواب واطربهم ودهشوا من حسن افصاحه
عن حال الرجل رضي الله عنه قال الشيخ عبد القادر الجيلي وقد تراءى لي نور عظيم
مرة ملأ الافق ثم بدت لي فيه صورة تناديني يا عبد القادر انا ربك وقد اسقطت
عنك التكاليف فان شئت فاعبدني وان شئت فاترك فقلت له اخسا يا لعين فاذا
ذلك النور قد صار ظلاما وتلك الصورة صارت دخانا ثم خاطبني اللعين وقال
لي يا عبد القادر نجوت مني بعلمك باحكام ربك وفقهك في احوال منازلاتك ولقد
اضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من اهل الطريق فقيل للشيخ عبد القادر من
اين عرفت انه شيطان فقال باحلاله لي ما حرم الله علي على لسان رسوله صلى
الله عليه وسلم فانه تعالى لا يحرم شيا على السنة رسله ثم يبيحه لاحد في السر ابدا
انتهى فان قلت ان الحق تعالى اخبر انه اقرب الينا من حبل الوريد فاذا
كان هذا القرب العظيم فما المانع من رويتنا له فالجواب المانع من رويته هو شدة القرب
كما قال تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون اي لشدة قربي منكم وقد
اطال الشيخ في تفسير قوله تعالى لا تدركه الابصار وقال في الباب الخامس
والعشرين واربعمائة وفي الباب الحادي والعشرين ومائتين وقال في كتابه
شرح ترجمان الاشواق اعلم ان الحق تعالى اذا كان الوهم لا يحيط به مع انه
الطف الادراك الحسي فكيف يدركه البصر الذي هو الاكثف انتهى وسمعت
سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول قوله تعالى لا تدركه الابصار صحيح على ظاهره

فان

فان المبصر للحق جل وعلا انما هم المبصرون بالابصار لا نفس الابصار انتهى فليتامل
فان قلت فهل ثم وجه جامع بين قول من اثبت روية الباري وبين قول من نفاها
فالجواب نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ولفظه اعلم ان
الجامع بين من اثبت روية الله تعالى عز وجل وبين من انكرها ونفاها اما من اثبتها
اراد انها تكون على قدر وسع العبد ومن نفاها اراد ان حجاب العظمة مانع من
روية حقيقة الذات وكل من لا يحيط بشي كانه ما راه مع انه راه انتهى وقال
في لواقح الانوار ايضا اعلم ان حجاب الكبريا على الذات المتعالي لا يرتفع ابدا كما
اشار اليه خبر مسلم بقوله صلى الله عليه وسلم وليس على وجهه تعالى الا رداء الكبرياء
في جنة عدن واذا كان هذا الحجاب لا يرتفع فما وقعت الروية دايما الا على الحجاب
فصح قول من قال ان الحق يصح ان يرى ومن قال لا يصح اي يرى فحمله على هاتين
الحالتين انتهى واما الكلام على رويته تعالى في المنام فقد قدمنا اول
المبحث فيها قول المتكلمين وها نحن نذكر لك قول الصوفية فنقول وبالله التوفيق
اعلم ان الاصل في صحة الرويا ما رواه الطبراني وغيره مرفوعا رايت الليلة ربي
في صورة شاب امرد قطط له وفرة من شعر وفي رجليه نعلان من ذهب الحديث
قال الحافظ السيوطي رحمه الله وهو حديث صحيح قال الشيخ محيي الدين في الباب
الاحد وثمانين وثلاثمائة قد اضطربت عقول العلما في معنى هذا الحديث وفي صحته
فنفاه بعضهم واثبته بعضهم وتوقف في معناه واوله ولا يحتاج الامر الى تاويل
فانه صلى الله عليه وسلم انما راى هذه الرويا في عالم الخيال الذي هو النوم ومن
شان الخيال ان يرى النائم فيه تجسد المعاني في الصور المحسوسة وتجسد ما ليس
من شانه ان يكون جسدا لانه حضرته تعطي ذلك فما ثم اوسع من الخيال قال
ومن حضرته ايضا ظهور وجود المحال فانه ترى فيه واجب الوجوب الذي
لا يقبل التصور في صورة ويقول لك المعبر صحيح ما رايت ولكن تاويله كذا وكذا
فقد قبل المحال الوجود في هذه الحضرة فاذا كان الخيال به القوة من التمكن في
الامور من تجسد المعاني وجعله ما ليس قايما بنفسه وهو مخلوق فكيف بالخالق
وكيف يقول بعضهم ان الله تعالى غير قادر على خلق المحال وهو يشهد من نفسه

قدرة الخيال على المحال واطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثامن والستين
ومائة ثم قال ولو لم يكن من قوة الخيال الا انه يريك الجسم في مكانين فيكون الانسان
نائما في بيته ويرى في منامه ان عين جسمه في مدينة اخرى وهو حالة اخرى
تخالف حاله الذي هو عليه في بيته وهو عينه لا غيره لمن ادرك الوجود على
ما هو عليه ولولا ذلك ما قدر العقلاء على فرض المحال فانه لولا صورة في نفسه
ما قدر على فرضه قال ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة وهو
عند الله حي يرزق ويأكل وروى الترمذي في حديث القبضتين مرفوعا ان الله
تعالى لما فتح قبضته كما يليق بجلاله فاذا فيها ادم وذريته فادم في هذه القبضة
في القبضة وهو عينه خارجها فيا من يحيل الجمع بين الضدين ما تقول في هذا الحديث
والحال في ذلك هذا كلامه بحروفه فتامله وحرره والله يتولى هداك فان قلت
فاذا المواطن تحكم بنفسها على من ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به كما حكم الخيال
على صاحبه برؤية الحق تعالى في صورة فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع
وستين واربعمائة نعم وهو كذلك والدليل الواضح في ذلك ما ذكرته في السوال من
رؤيتك الله تعالى في المنام الذي هو موطن الخيال في صورة فاذا كان حكم الموطن قد
حكم عليك في الحق تعالى بما هو منزه عنه فلا تراه الا كذلك فكيف بغيره ثم انك
اذا خرجت من حضرة الخيال الى موطن النظر العقلي لم تدرك الحق تعالى الا منزها
عن تلك الصورة التي ادركته فيها في موطن الخيال واذا كان الحكم للمواطن عرفت
اذا رايت الحق تعالى ما رايت واثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولا
ابدا فلا يحصل لك به احاطة ابدا وغاية امرك توحيد المرتبة له لا غير واما علمك
بذاته تعالى فهو محال لانك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن
بحاله فلا تعرف الله من حيث ما يعرف الله نفسه ابدا فما عندك من معرفته
في موطن ينفد مثله في موضع اخر فما عندك من العلم ينفد وما عنده تعالى
من علمه بنفسه باق لا يتغير ولا يتبدل انتهى فان قلت فاذا كان ما يراه الانسان
بهذه المثابة فلا يصح لاحد القطع بما يراه في المنام ابدا فالجواب نعم وهو
كذلك كما ذكر الشيخ في لواقح الانوار قال لان دائرة الخيال واسعة وكلما ظهر فيها

الثمن

ومنها يحمل التأويلات فلا يحصل القطع الا ان اسند الرائي في علم احوال
ذلك اذ الخيال ليس له حقيقة في نفسه لانه امر برزخي بين حقيقتين وهما
المعاني المجردة والمحسوسات فلهذا يقع فيه الغلط قال وانظر الى قوله صلى الله عليه
وسلم حين اتاه جبريل بصورة عائشة في سرقة من حرير وقال هذه زوجتك كيف
قال له ان يكن من عند الله يمضيه ولو ان جبريل اتاه بذلك من طريق الوحي المعهود
في الحس او بطريق المعاني المجردة الموجبة لليقين لما كان يمكنه الجواب بمثل ذلك
لان النصوص لا يدخلها تاويل ولا خطأ ولا تردد انتهى فان قلت فما السبب الداعي
لرؤية الله في المنام مع قوله صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا الحديث
السابق اول المبحث فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين وثلاثمائة
ان السبب لرؤية الله في المنام كون النوم اخا الموت فمعنى الحديث ان تروه بعد
موتكم لا في حال موتكم فما نفى الشارع الا رؤية الله في الدنيا لضعف نشأة هذه
الدار الا لمن امده الله بالقوة خلاف نشأة الاخرة لقوتها فان قلت فما محل
وقوع النوم في العالم فالجواب محل النوم ما تحت مقعر فلك القمر خاصة وما فوق
فلك القمر لا نوم فيه بمحله واما في الاخرة فهو ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة
قال الشيخ محيي الدين ومن هنا انكر بعضهم كون الملائكة يرون ربهم وقال ان الملائكة
خلقوا للبقاء من غير موت فلا يرون الله في الدنيا ولا في الاخرة لعدم موتهم ونومهم
وقد اطال الشيخ الكلام على الرؤيا في الباب التاسع والسبعين من الفتوحات وذكر
في موضع اخر من الفتوحات ان جبريل لا يرى ربه في الدنيا وانما يراه في الاخرة
فليتامل فان قلت فما الفرق بين النوم والموت فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب السابع عشر وثلاثمائة ان الموت فيه اعراض الروح عن تدبير الجسم
بالكلية بذلك جميع القوى كما يدخل الليل بمغيب الشمس واما النوم فليس هو اعراضا
عن الجسم بالكلية وانما هو حجاب بجزء يحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية
مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص
من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك السحاب
المتراكم بينها وبين الارض فان قلت فما السبب في عدم نقص وضوئه صلى الله عليه وسلم

بالنوم فالجواب كما قاله الشيخ في باب الاحد وثمانين وثلاثمائة ان السبب في
ذلك شرف حياة قلبه صلى الله عليه وسلم فاذا انتقل الى عالم الخيال لم يتغير
عليه حال بل يرى صورته هناك لسرعة تيقظانه لم تنم فلم يحدث وكذلك جسده
المحسوس لم يطرا عليه ما ينقض طهارته ومن هنا قال بعضهم النوم سبب للحدث
فان قلت فمن اصدق الناس رويا فالجواب اصدقهم رويا من يجلي له ما راه
في حضرة خياله الذي هو فيه فهذا هو الذي يصدق روياه ابدا فان قلت
فاذن كل رويا صادقة فالجواب نعم هي صادقة بلا شك لا تخطي فاذا قيل ان
الرويا اخطات فما اخطات وانما اخطا الذي عبرها حيث لم يعرف ما المراد بتلك
الصورة الا تراه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق رضي الله عنه حين عبر الرويا
اصبت بعضا واخطات بعضا في ما قاله بخياله فاسد لانه راي حقا ولكنه اخطا
في التاويل وقد اطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والستين من
الفتوحات فراجعه فان قلت فما الفرق بين الرويا والحلم المشار اليهما في حديث
الرويا من الله والحلم من الشيطان فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين
وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الحليم ان الرويا هي رويا الامر على ما هو عليه
في نفسه واما الحلم فانه رويا الامر على خلاف ما هو عليه يقال حلم الاديم اذا
فسد وكذلك النوم افسد المعنى صورته لانه الحقه بالحس وليس بمحسوس فاذا
اخبر المحتلم العارف بما راي بمنزلة ذلك العارف بنقل تلك الصورة الى المعنى
الذي ظهر بها فردها الى اصلها كما افسد الحلم العلم واظهره في صورة اللبن فليس
بلبن فرده صلى الله عليه وسلم الى اصله وهو العلم بتا ويل الرويا وجرده
عن تلك الصورة ○ وقد جا رجل الى محمد بن سيرين رضي الله عنه فقال اني رايت
اني ارد الزيت في الزيتون فقال له اهل تحتك فبحث الرجل عن ذلك فراي امه
تحته تزوجه وما عنده خبر منها وابن صورة نكاح الرجل امه من رد الزيت في
الزيتون فتامله وبالجملة فكل من راى الامر على ما هو عليه فهو صاحب كشف
لا صاحب حلم سوا كان في النوم او في اليقظة فان قلت فما معنى الحديث رويا
المومن على رجل طاير ما لم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت فالجواب ما قاله

الشيخ في الباب الثامن والثمانين ومائة ان الله تبارك وتعالى ملكا موكلا بالرويا
يسمى الروح وهو دون السما الدنيا وبيده صور الاجساد التي يدرك النايم فيها
نفسه وغيره بصور ما يحدث من تلك الصور في الاكوان فاذا نام الانسان انتقلت
اللطيفة الانسانية بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذي
محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بها بالصور من الخيال المنفصل
عن الاذن الالهي ما يشا الحق تعالى ان يريه لهذا النايم من ادراك المعاني متجسدة
ونحو ذلك حتى انه يرى الحق تعالى في صورة كما مر فاذن ما عبر احد الرويا حيث
عبرها الا بعد ان تصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه
حديث نفس او تحزين شيطان الى خيال العابر لها فان قلت فما المراد بالطاير في
الحديث فالجواب الطاير هو الحظ قال تعالى طايركم معكم اي حظكم ونصيبكم معكم
من الخير والشر وايضاح ذلك ان الله تعالى اذا اراد ان يري احدا رويا جعل لصاحبها
فيما يراه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضي روياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طايرا
وهو ملك في صورة طاير كما يخلق من الاعمال صور ملكية روحانية جسدية برزخية
وانما جعلها الحق تعالى في صورة طاير لانه يقال طار سهمه بكذا فاذا وقعت الرويا
جعلها الله تعالى معلقة برجل هذا الطاير وهي حقيقة عين الطاير سقطت لما عبرت
له وعندما تسقط ينعدم الطاير لانه عين الرويا فتعدم لسقوطها وتتصور في
عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرويا فترجع صورة الرويا عين الحال لا غير
وتلك الحال اما عرض واما جوهر واما نسبة من ولاية او غيرها هي عين صورة
تلك الرويا وذلك الطاير ومنه خلقت ولا بد كما خلق ادم من تراب ونحن من ماء
مهين انتهى فان قلت فما وجه تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الستة والاربعين
جزا في حديث الرويا جزء من ستة واربعين جزا من النبوة فالجواب وجهه ان رسالته
صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة ووقعت له الرويا قبل الرسالة
مدة ستة اشهر فاذا نسبت الستة اشهر الى ستة واربعين جزا وجدتها صحيحة
فالمراد بالجزء هنا النصف ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اذا اصبح
هل راى احد منكم رويا لكون الرويا من اجزا النبوة اذ هي مبتدا الوحي فكان يحب

ان يشهد معنى النبوة في امته هذا والناس في غاية الجهل عن هذا المعنى الذي
اعتنى به صلى الله عليه وسلم وقصده وسواله عنه كل يوم بل بعضهم يستهزي
بالرائي اذا اعتنى على تلك الرويا وذلك جهل بمقامها واطال الشيخ في ذلك في
الباب الثالث والستين وثلاثمائة وذكر فيه من الفرق بين الرويا والمبشرات
فراجعه والله تعالى اعلم **خاتمة** في الكلام على روية رسول الله صلى الله عليه
وسلم السابق اول المبحث خير الرويا ان يرى العبد ربه في منامه او يرى نبيه وقوله
صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي وليس
لعبد الحق تعالى اعظم من محمد صلى الله عليه وسلم فوجب علينا الاعتنا بالكلام على
رويته في المنام اذا علمت فاقول وبالله التوفيق انما كان الشيطان لا يتمثل به
صلى الله عليه وسلم لما روي انه صلى الله عليه وسلم لما ولد جاءه الشيطان وجنوده
حتى دخلوا مكة فوجدوا نورا يسطع منه الى السماء له شعاع كلما دنى منه شيطان
احترق من ذلك اليوم والشياطين كلهم يفرون ويفزعون من صورته صلى الله عليه
وسلم ولاجل هذا الفزع اسلم قرينه كما جا في الحديث فهذا هو السبب في كون الشيطان
لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم **فان قلت** كيف عصم الله صورة محمد صلى الله عليه وسلم
ولم يمنع تطور الشياطين ودعواهم انهم الحق تبارك وتعالى **فالجواب** كما قاله
الشيخ في الباب الاربعين وخمسمائة ان الشياطين انما لبست على بعض الحمقى بالتطور
بصورة ادعوا انها صورة الحق لكون الحق تعالى ليس له صورة تعقل ولذلك جا
الشيطان الى جماعة في المنام وقال لهم اني انا الله فمنهم من هدى الله فرده خاسئا
ومنهم من حقت عليه الضلالة بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فان له صورة
معقولة ثابتة الاوصاف في الاحاديث الصحيحة فاذا جا ابليس في صورة غيرها
ردت عليه حتى قالوا من شرط الرويا الصحيحة ان تراه صلى الله عليه وسلم مكسر
الثنية كما كان في حياته ومعنى قوله في الحديث السابق فقد راني اي راى
حقيقة جسمي وروحي وصورتي معا وذلك ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لا تبلى اجسادهم ولا تتغير صورهم وهم في قبورهم يصلون كما جات به الاحاديث **فان قيل**
كيف يراه وهو بالمدينة وبينه وبين الرائي مسافات بعيدة **فالجواب** ان روية

المنام

المنام ليس حكمها حكم روية العين التي في راسه حتى يجب الحضور وانما الروية له
صلى الله عليه وسلم بالعين التي في قلب الرائي له وذلك لا يستدعي حضور المرئي
بل يرى من المشرق الى المغرب وتخوم الارض الى العرش وذلك كما يرى الصور
في المراة المحاذية لها وليست الصور منتقلة الى جرم المراة ومعلوم ان العين
الباطنة كالمراة يرتسم فيها جميع ما قابلها من العلويات والسفليات **فان قيل**
فما الحكم فيما اذا راه صلى الله عليه وسلم جمع كثير في وقت واحد على صفات
مختلفة كان يراه بعضهم شيخا ويراه اخر شابا ويراه اخر ضاحكا واخر باكيا
واخر طويلا واخر قصيرا او غير ذلك **فالجواب** ان هذه الاختلافات كلها راجعة
الى الرائين لا الى المرئي صلى الله عليه وسلم ومثال المرائي الكثيرة المختلفة
الاشكال والمقادير اذا قابلت وجه انسان يرى وجهه في المراة الكبيرة كبيرا
وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا وفي المقعرة مقعرا
الى غير ذلك فالاختلافات في ذلك راجعة الى اختلاف اشكال الرائي لا الى
وجه المرئي وكذلك الراؤون للنبي صلى الله عليه وسلم احوالهم بالنسبة اليه مختلفة
بحسب استقامتهم على شريعته واعوجاجهم **فعلم** ان جميع ما يرى من النقص في
صورة النبي صلى الله عليه وسلم فهو راجع الى الرائي **قال** الشيخ ابو طاهر
القزويني رحمه الله واني لارى جماعة من الحمقى تشمئز طباعهم عن ضرب
الامثال بالمراة ونحوها في مثل الذي ذكرناه من روية رسول الله صلى الله عليه
وسلم على صفات مختلفة وذلك جهل منهم يضاهون قول الذين كفروا من قبل
حين ضرب الله الامثال بالذبابة والعنكبوت حتى انزل الله تعالى ان الله لا يستحي
ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها يعني والله اعلم في الصغر والحقارة فالامثال
اعظم شي في تفهيمات المعنى وقالوا الامثال مرائي القلوب يعني ان عين القلب
ترى في الامثال من صور المعاني ما تراه عين الراس في المراة من صور الاجسام
قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون والكتب
المنزلة من السما اكثرها امثال مضروبة **فعلم** ان الرائي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على تلك الصورة والاشكال المختلفة راى له حقيقة فان تلك الصورة

كلها امثلة له خيالية والمرئي بواسطتها هو النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كما
يقول الانسان رايت وجهي في الما ومعلوم قطعا ان وجهه ليس منتقلا الى
الما حتى يراه فيه وانما معناه رايت حقيقة وجهي بواسطة مثاله في الما فيكون
المثال واسطة لا يلتفت اليه اذ لا حقيقة له حتى يكون مرئيا لذاته وانما هي
هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك من عجايب قدرته التي تكل الافهام
عن دركها ولا فرق بين ان يقول رايت وجه صديقي بعيني وبين قولك رايت
وجه صديقي في الما اذ المرئي في الحالتين واحد غير ان الله تعالى اجرى العادة
ان من نظر في صقيل كالما والمراة يرى في ذلك الصقيل وجهه فيظن ان في
ذلك الصقيل شيا يراه هو مثلا لوجهه وذلك خيال باطل لان الصقيل
في ذلك الحال متلون بكون الخاص ولا يقوم لونان بمحل واحد في حالة واحدة
فعلى هذا من راى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه فقد راه حقيقة بروحه
وجسده كما قال صلى الله عليه وسلم من راني فقد راني واطلق كما انه صلى الله
عليه وسلم لما كان يرى جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي يراه حقيقة
لا امثال قال الشيخ ابو طاهر القزويني رحمه الله وكان الامام الغزالي رضي الله
يقول من راى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير حقيقة شخصه المودع في روضة
المدينة وانما راى مثاله لا شخصه قال وبلغنا عن الغزالي ايضا انه كان
يقول ما يراه النايم من المثال انما هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم المقدسة
عن الصورة والشكل وشبهه روية الله في المنام كذلك فلا ادري ما اراد به رحمه
الله انتهى فان قلت فهل يصدق من ادعى روية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة
الان فالجواب نعم يصدق كما اخبرني به الشيخ الصالح عطية الانباسي والشيخ
الصالح قاسم المغربي المقيم بتربة الامام الشافعي والقاضي زكريا الشافعي انهم
سمعوا الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله يقول رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اليقظة بضعا وسبعين مرة وقلت له في مرة منها هل انا من اهل الجنة يا رسول
الله قال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك فقال الشيخ عطية
وسالت الشيخ جلال الدين مرة في ان يجتمع بالسلطان الغوري في ضرورة وقعت

مطلب

لي

لي فقال لي يا عطية انا اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة واخشى ان
اجتمعت بالغوري انه يحتجب النبي صلى الله عليه وسلم عني ثم قال ان فلانا
من الصحابة كانت الملايكة تسلم عليه فاكتوى في جسده لضرورة فلم ير الملايكة
بعد ذلك عقوبة له على الكتوابة انتهى قال الشيخ قاسم المذكور واكثر ما تقع
روية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم يترقى الى روية البصر قال وليست
روية النبي صلى الله عليه وسلم كروية الناس بعضهم لبعض وانما هي جمعية حالية وحالة
برزخية وامر وجداني لا يدرك حقيقته الا من باشره انتهى وقد الف الشيخ
جلال الدين المذكور كتابا سماه تنوير الحلك في امكان روية النبي والملك وذكر فيه
من كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالملايكة يقظة من الصحابة والاوليا
والعلما ولم يذكر عن نفسه شيا مما ذكرناه من هولاء الاشياخ الثلاثة العدول
الثقاة الذين لا يتهمون في مثل ذلك فيصدق من قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقظة مطلقا وكان الشيخ محمد المغربي رحمه الله يقول بين العبد وبين روية
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مايتا الف مقام وسبعة واربعون الف مقام
وتسعماية تسعة وتسعون مقاما لا بد للسالك من قطعها كلها حتى يصح له مقام
الروية في اليقظة وكان رضي الله عنه يقول ايضا ان اراد من يدعي روية رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقظة انه يراه كما راته الصحابة فهو كاذب وان ادعى انه يراه
بقلبه حال كون القلب يقظانا فهو لا يمنع منه وذلك لان من بالغ في كمال الاشتغال
بتنظيف القلب من الرذايل المذمومة حتى من خلاف الاولى صار محجوبا بالحق
واذا احب الله تعالى عبدا كان في نومه من كثرة نورانية قلبه كانه يقظان
قال وحينئذ فما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بروحه المتشكلة بشكل
الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة وجسمها من البرزخ الى مكان هذا الرائي
لكرامتها وشرف جسمها عن كلفة المجي والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى
فعلم ان المراد بقول من يقول انه يراه يقظة يقظة القلب لا يقظة الحواس
الجسمانية والله اعلم فان قلت فهل يجب على الرائي العمل بما كان يسمعه من هذه
الصورة فالجواب لا يجب على احد العمل بمثل ذلك لعدم العصمة وخوف تطرق الخلل

الي الشرع الظاهر لاسيما ان خالف نصاصريحا فان قلت فما حكم ما يراه الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فالجواب ان للانبيا عليهم الصلاه والسلام العمل بما يرونه
في المنام وذلك ان الانبيا لا يرون الا حقا وما يرونه في المنام حكمه حكم اليقظة
ويؤيد ذلك حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكذلك الانبيا فجميع ما ينطبع في
عالم امثالهم حق اذ هو من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوي وهذا لا يمكن الخطا
فيه ولا التاويل فان قيل فاذا انعكس نور قلوبهم الي الجهة العلوية فهل يحتاج
الي تاويل فالجواب ان مثل ذلك يحتاج الي تاويل كما وقع في قصة يوسف عليه السلام
ورويته الاحد عشر كوكبا فلهذا قال يوسف هذا تاويل روياي من قبل قد جعلها ربي حقا والله اعلم

المبحث الثالث والعشرون في اثبات وجود الجن

ووجوب الايمان بهم وذلك لاجماع اهل السنة والجماعة سلفا وخلفا علي اثباتهم
مع نطق القران وجميع الكتب المنزلة بهم وهم من الخلق الناطق ياكلون ويشربون
ويتناسلون قال الشيخ ابو طاهر القزويني ومما يدل علي وجودهم تخيل عامة الناس
من اثارهم الخفية قال وقد انكرت المعتزلة الجن اصلا وزعموا ان الجن عبارة عن
دهاة الناس والشياطين عبارة عن مردة الناس واشرارهم فردوا بذلك ثلث القران
الدال علي وجودهم واوصافهم فان قلت فكم اصول الخلق كلهم فالجواب كما قاله الماوردي
ان اصول الخلق اربعة اشيا الما والتراب والهوا والنار فالما والتراب ظاهران للخلق
والهوا والنار خافيان عنهم ومعلوم ان النار مشتملة علي نور ولهب ودخان فالنور
ضيا محض والدخان ظلمة محض والمارج واللهب هو المارج المتوسط وهو الشر المحض
وخلق الله الجان من مارج من نار فلهم نسبة الي الملايكة بالنورية ولهم نسبة الي
الشياطين بالظلمة الدخانية ولذلك كان منهم المطيع والعاصي والمومن والكافر قال
تعالي والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقيل هي نار الشمس وقيل هي نار الصواعق
واما ابليس فقد اختلفوا اما هو اهو من الملايكة ام من الجن فقال قوم كان من الذين استكبروا
في الارض فحاربتهم الملايكة وسبوا ابليس منهم الي السما فصار بالحكم من الملايكة فان
موطن القوم من انفسهم وكان من النسب جنيا فيصدق عليه القولان وقيل انه من الجن فعلا

ومن

ومن الملايكة نوعا فباعتبار فعله كان من الكافرين قال الماوردي ثم ان الله تعالي
خلق سكان البر والبحر من الطين والما كالانسان والانعام والوحوش والطيور
والحشرات وخلق الجان والضفادع من نبات الارض فصار هولاء الاجناس
الاربعة من المخلوقات من الاصول الاربعة جنسان صاعدان لصعود اصليهما
وهما الملايكة والجن وجنسان هابطان لهبوط اصليهما وهما حيوان البر وحيوان
البحر ذكر ذلك كله الماوردي في كتاب النبوة ثم اعتذر فقال انما نقلت هذه
العبارات الي الفاظ المنكرين لها لان الاستدلال بلسان الخصوم يكون اوقع
عندهم وادعي الي التزام الحجة عليهم انتهي قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله واعلم ان
كل جنس من هولاء لا بد اذا تم خلقه بقدرة الله تعالي ان تزول صورة اصله ويتشكل
بشكل اخر لا يشبه اصله وتامل الانسان كيف زالت عنه صورة الما والتراب
وصار لحما وعظما وبشرا الي غير ذلك ثم تشكل بهذه الصورة المخصوصة والهيئة المشهورة
وكذلك القول في جميع الحيوانات من السباع والطيور اشكالها مختلفة لا يشبه بعضها
بعضا وهكذا تكون صفة الملايكة والجن والشياطين فانه قد زالت صورة الهوا
عن ظاهر اجسادهم وصور الله تعالي لهم هيات لطافا ولذلك سموا روحانيين
ثم ان لتلك الانوار اشكالا وصورا لطيفة لايقة بذواتها يتمايز بعضهم عن
بعض كاشكال الحيوانات الارضية لا يعلمها الا الله تعالي وما يعلم جنود ربك الا هو
وتلك الصورة لازمة في اختلافها في تنوعها ولكنها ممنوعة عن ابصارنا لغاية
لطافتها كالهوا والرياح وقد يكون بعضها عارضة كالصور التي ينظرون
فيها احيانا فيراهم الانبيا والاوليا بواسطتها ثم يزول عنهم وذلك يجري لهم
مجري اختلاف اللباس لنا وسببه ان اجسامهم لغلبة اللطافة والرقة كانها
تمتزج بالهوا فيتصور الهوا بما شاوا من الصور في عين الرائي دون الهوا وتارة
يظهر من نسمة في الهوا السما وقوس قزح حتي يراها الحاضرون ايضا في صورة
الخضرة والحمرة والصفرة وغير ذلك كما راي عبد الله ابن عباس صورة جبريل مع النبي
صلي الله عليه وسلم ولم يراها ابوه العباس وكان معه في المسجد فاخبر النبي صلي الله عليه
وسلم فقال اما انه سيعمي ولكن الله يفقهه في الدين ويعلمه التاويل قال وقد اقدر

الى الشرع الظاهر لاسيما ان خالف نصاص صريحا فان قلت فما حكم ما يراه الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فالجواب ان للانبيا عليهم الصلاه والسلام العمل بما يرونه
في المنام وذلك ان الانبيا لا يرون الاحقا وما يرونه في المنام حكمه حكم اليقظة
ويويد ذلك حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكذلك الانبيا فجميع ما ينطبع في
عالم امثالهم حق اذ هو من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوي وهذا لا يمكن الخطا
فيه ولا التاويل فان قيل فاذا انعكس نور قلوبهم الى الجهة العلوية فهل يحتاج
الى تاويل فالجواب ان مثل ذلك يحتاج الى تاويل كما وقع في قصة يوسف عليه السلام
ورويته الاحد عشر كوكبا فلهذا قال يوسف هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا والله اعلم

المبحث الثالث والعشرون في اثبات وجود الجن

ووجوب الايمان بهم وذلك لاجماع اهل السنة والجماعة سلفا وخلفا على اثباتهم
مع نطق القران وجميع الكتب المنزلة بهم وهم من الخلق الناطق ياكلون وينكحون
ويتناسلون قال الشيخ ابو طاهر القزويني ومما يدل على وجودهم تخيل عامة الناس
من اثارهم الخفية قال وقد انكرت المعتزلة الجن اصلا وزعموا ان الجن عبارة عن
دهاة الناس والشياطين عبارة عن مردة الناس واشرارهم فردوا بذلك ثلث القران
الدال على وجودهم واوصافهم فان قلت فكم اصول الخلق كلهم فالجواب كما قاله الماوردي
ان اصول الخلق اربعة اشيا الما والتراب والهوا والنار فالما والتراب ظاهران للخلق
والهوا والنار خافيان عنهم ومعلوم ان النار مشتملة على نور ولهب ودخان فالنور
ضيا محض والدخان ظلمة محض والمارج واللهب هو المارج المتوسط وهو الشر المحض
وخلق الله الجان من مارج من نار فلهم نسبة الى الملايكة بالنورية ولهم نسبة الى
الشياطين بالظلمة الدخانية ولذلك كان منهم المطيع والعاصي والمومن والكافر قال
تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقيل هي نار الشمس وقيل هي نار الصواعق
واما ابليس فقد اختلفوا اما هو اهو من الملايكة ام من الجن فقال قوم كان من الذين استكبروا
في الارض فحاربتهم الملايكة وسبوا ابليس منهم الى السما فصار بالحكم من الملايكة فان
موطن القوم من انفسهم وكان من الجن جنيا فيصدق فيه القولان وقيل انه من الجن فعلا

ومن الملايكة نوعا فباعتبار فعله كان من الكافرين ۞ قال الماوردي ثم ان الله تعالى
خلق سكان البر والبحر من الطين والما كالانسان والانعام والوحوش والطيور
والحشرات وخلق الجان والضفادع من نبات الارض فصار هولاء الاجناس
الاربعة من المخلوقات من الاصول الاربعة جنسان صاعدان لصعود اصليهما
وهما الملايكة والجن ۞ وجنسان هابطان لهبوط اصليهما وهما حيوان البر وحيوان
البحر ۞ ذكر ذلك كله الماوردي في كتاب النبوة ثم اعتذر فقال انما نقلت هذه
العبارات الى الفاظ المنكرين لها لان الاستدلال بلسان الخصوم يكون اوقع
عندهم وادعى الى التزام الحجة عليهم انتهى قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله واعلم ان
كل جنس من هولاء لا بد اذا تم خلقه بقدرة الله تعالى ان تزول صورة اصله ويتشكل
بتشكل اخر لا يشبه اصله وتامل الانسان كيف زالت عنه صورة الما والتراب
وصار لحما وعظما وبشرا الى غير ذلك ثم تشكل بهذه الصورة المخصوصة والهيئة المشهودة
وكذلك القول في جميع الحيوانات من السباع والطيور اشكالها مختلفة لا يشبه بعضها
بعضا وهكذا تكون صفة الملايكة والجن والشياطين فانه قد زالت صورة الهوا
عن ظاهر اجسادهم وصور الله تعالى لهم هيئات لطافا ولذلك سموا روحانيين
ثم ان لتلك الانوار اشكالا وصورا لطيفة لايقة بذواتها يتمايز بعضهم عن
بعض كاشكال الحيوانات الارضية لا يعلمها الا الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو
وتلك الصورة لازمة في اختلافاتها في تنوعها ولكنها ممنوعة عن الابصار لغاية
لطافتها كالهوا والرياح وقد يكون بعضها عارضة كالصور التي ينظرون
فيها احيانا فيراهم الانبيا والاوليا بواسطتها ثم يزول عنهم وذلك يجري لهم
مجرى اختلاف اللباس لنا وسببه ان اجسامهم لغلبة اللطافة والرقة كانها
تمتزج بالهوا فيتصور الهوا بما شاوا من الصور في عين الرائي دون الهوا وتارة
يظهر من نسمة في الهوا السما وقوس قزح حتى يراها الحاضرون ايضا في صورة
الخضرة والحمرة والصفرة وغير ذلك ۞ كما راى عبد الله ابن عباس صورة جبريل مع النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يراها ابوه العباس وكان معه في المسجد فاخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اما انه سيعمى ولكن الله يفقهه في الدين ويعلمه التاويل ۞ قال وقد اقدر

الله تعالى الجن على ان يظهروا في اي صورة شاؤا كما اقدرنا ان نظهر في اي لباس
شيئا كما ان اشكال اللباس لنا مسخرة كذلك كانت اشكال الصور لهم مسخرة غير ان لباسنا
من نسج الاكل والقز ولباسهم من نسج الهوا والاشعة وكل يعمل على شاكلته ولما كان
جسم الملك والجني ارق من الهوي يعني في سرعة النطور دقت اجسادهم عن ابصارنا
ولكن اذا اراد الله عز وجل ان يرينا الملك او الجني كشف الهوا واعطاهم القدرة على
ما تشكلوا به من لباس الهوا باي شكل وصورة شاؤا فيراهم الناس على تلك الصورة
كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والملك لا يكون
رجلا في الحقيقة وانما يتشكل بصورة الرجل بواسطة الهوا المتكاثف لان الهوا اذا
تكاثف امكن ادراكه كالسراب **فان قلت** فما معنى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم **فالجواب** معناه والله اعلم من حيث لا ترونهم في الصورة التي خلقهم الله
عليها واما رويتهم اذا تشكلوا في غير صورهم من كلب وهر فلا مانع بل هو واقع كثيرا
قلت وقد وقع لي ان شخصا منهم جاني بنيف وسبعين سوالا في التوحيد يطلب جوابها
مني وكان على صورة كلب اصفر مثل كلاب الرحل السالمة من الدنس وذلك ليلا فظن
الفراش ان ذلك كلب حقيقة فغسل المسجد كله بالما والطين فاجبتهم عنها وسميته
كشف الحجاب والران عن وجه اسئلة الجان وهو مجلد لطيف **فان قلت** فهل
يكونون محجوبون عنا في الجنة كما في الدنيا **فالجواب** لا بل ينعكس الحكم هناك فنراهم
ولا يرونا الا الخواص منهم فانهم يرونا كما يرى الخواص منا الجن هنا **فان قلت**
فهل تختلف اصواتهم بحسب الصورة التي يظهروا فيها ام هم باقون على اصواتهم
الاصلية **فالجواب** تختلف اصواتهم تبعا للصورة التي ظهروا بها اذ الحكم
للصورة التي دخلوا فيها من ادمي وبهيمة او غير ذلك من ساير الحيوانات **فان قلت**
فاذا دخلوا في صورتنا فهل ينطقون بحروف جميع كلامنا ام يخالفونا **فالجواب**
يخالفونا في البعض دون البعض فلا تشبه اصواتهم اصواتنا في جميع الامور وذلك
ان اجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لانها تطلب انطباقا
وصلابة وذلك غير موجود عندهم **فان قلت** فكيف يحصل لنا العلم من كلامهم
الناقص للحروف **فالجواب** حصول العلم لنا من كلامهم انما هو لنطقهم بنا لحروفنا

لاتحقيقها

لا بحقيقتها فلو نطقوا الحقيقة حروفها ونقصوا من الكلمة حرفا واحدا ما فهمنا
من كلامهم شيا **فان قلت** فهل يقدر احدهم على ان يتكلم بكلام البشر وهو في غير
الصورة الانسانية **فالجواب** لا يقدر روحا على ذلك ابدا الا ان خرقت له
العادة **فان قلت** قد تقدم اول المبحث ان الجان خلق من مارج من نار والمرج
في اللغة الاختلاط فما هذا الاختلاط **فالجواب** هو نار مركبة فيها رطوبة
المواد فلهذا يظهر لها لهب وهو اشتعال الهوا وهو حار رطب **فان قلت** ان الشيا
من الجن هم الاشقيا البعدا خاصة فلم ابقي عليهم اسم الجنس الذي هو الجان **فالجواب**
انما ابقي عليهم اسم الجنس لان الجان خلق بين الملايكة والبشر الذي هو الانسان
ومعلوم ان الجان عنصري ولهذا تكبر ولو كان طبيعيا خالصا لم تغلب عليه حكم العنصر
ما تكبر وكان مثل الملايكة فهو برزخي فله وجه الى الارواح النورية بلطافة
النار منه بدليل ان له الحجاب والتشكل وله ايضا وجه الينا به كان عنصريا
ومارجا كما مرت الاشارة اليه في كلام الماوردي واعطاه الاسم اللطيف انه
يجري من ابن ادم مجرى الدم ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة
الشيطان ووسوسته في صدورنا ما علمنا ان ثم شيطانا فما اقدر الجان على
الاستتار عن اعين الناس الا الاسم اللطيف ولهذا كانت ابصارنا لا تدركهم الا
متجسمين **فان قلت** فهل ثم فرق بين لفظ الجسم ولفظ الجسد **فالجواب**
كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب السادس والاربعين وثلاثماية ان بينهما فرقا
وذلك ان الجسم هو المعروف في العموم لطيفه وشفافه وكثيفه ما يرى منه
وما لا يرى واما الجسد فهو ما يظهر فيه الروحاني في اليقظة الممثلة في صور
الاجسام ومنه ما يظهر للنايم ادراكه في نومه مما يشبه بالاجسام ويعطيه
الحس وليست هذه الامور في نفسها باجسام انتهى **فان قلت** فهل المرئي بواسطة
الصور التي يتطور فيها الجني او الملك وهو الملك حقيقة او الجني **فالجواب** نعم هو
الملك والجني حقيقة كما ان المسموع بواسطة الحروف والاصوات هو كلام الله حقا
وقد سيل عن حد الجن فقال هو حيوان ناطق من شانه ان يتشكل باشكال مختلفة
فان قلت فهل ثم من الجن من يقسم الانسان عليه باسم الله تعالى فلا يبر قسمنا ام كلهم

يبرون قسم من اقسم عليهم فالجواب كلهم يبرون قسم من اقسم عليهم لا يقدرون
على رد القسم عن ذلك بخلاف الانس ● قال الشيخ ابو طاهر ويقال ان الجن
لا يجيبون الا بالعزايم وانها اذا قربت على المجنون كان لها شعاع كشعاع الشمس
يقع على الجني فيحضرهم ويردهم الى الطاعة طوعا بحيث لا يمكنهم العصيان
ولقد كانوا مسخرين لسليمان عليه السلام كما سخرت له الريح وهم اجسام لطاف
كالريح يدخلون اجواف بني ادم دخول النار في الفضة المذابة فتراها تضطرب
في البوطة وكذلك المصاب يضطرب عند قراة العزايم عليه ● وفي الحديث
ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فان قلت فما الدليل على ان
الجن مكلفون فالجواب الدليل على ذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن وكانوا تسعة من جن نصيبين وقد كان صلى
الله عليه وسلم راهم ببطن النخلة قد اتوه من شعب الحجون فخط رسول الله صلى
الله عليه وسلم حول عبد الله ابن مسعود خطا وقال لا تخرج منه قال ابن مسعود
لما حضرهم النبي صلى الله عليه وسلم كان بينهم خصومة في دم فكنت اسمع لغطهم
حين قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم علمهم سورة الرحمن واوجب
عليهم الصلوات كما هو مشهور في التفاسير فان قلت فما الدليل على دخول
الجن الجنة فالجواب قد سيل عن ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فمكث
سبعة ايام حتى اطلع على قوله تعالى لم يطمثهن يعني الحور انس قبلهم ولا
جان فقال هذا دليل على ان الجن يدخلون الجنة انتهى ● وقال الضحاك
يدخل الجن الجنة ويثابون على اعمالهم كالانس وقال سفين يثابون
على الايمان بان يجاوزوا النار خلاصا ثم يقال لهم كونوا ترابا ● قال الشيخ
ابو طاهر واكثر الجن لا يعتقدون البعث لقوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم
ان لن يبعث الله احدا فان قلت فهل منعهم من استراق السمع الى يوم القيامة
من منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ذلك الى مدة معلومة فالجواب
الصحيح انهم ممنوعون منه الى يوم القيامة وتقدير استراقهم السمع فلا يوصلون
الينا الخبر ولا ما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتقتلهم فان قلت فما حقيقة هذه

الشهب

الشهب فالجواب ان فيها قولين قيل هو نور يتقيد يشتد ضياه فيحرق ثم يعود
الى مكانه وقيل هو على هيئة النجم ينقض من تحت السما فيحرقهم فلا يعود فان قلت
فهل ابليس ابو الجان كما هو المشهور في افواه الناس فالجواب ليس ابليس باب للجان
فان الجان كانوا قبله وانما هو اول من عصى فان قلت فما مرتبة ابليس فالجواب مرتبته
انه يوسوس للناس بما يهلكهم او ينقص مقامهم عند الله تعالى من حيث لا يشعرون ولكن قد
اخبر الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه
على الذين يتولونه والذين هم به مشركون اي يضيفون اليه امر الاغوا مع الغفلة
عن الله تعالى وتقدير ممن اخذ فمن اخذ وسوسته على الحذر منه ولم يعمل بها نجا
من كيده ومن دسايسه التي تخفى ان يجد الانسان في طاعة فيوسوس له يفعل طاعة
غيرها لينقله منها ويفسخ عزمه ونيته الاولى مع الله تعالى ثم ان خالفه في
ذلك حسن له آخر وقال له ان هذا الفعل افضل مما انت فيه ومن دسايسه
انه ياتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه ان يجهل من اتاه به ومن
دسايسه انه ياتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به استارهم
ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف انه نال درجة عظيمة وانما ذلك صار
سمعه وبصره فيجب على ذلك الراي المبادرة للتوبة والا يهلك ومن دسايسه
التي تخفى على غالب الاوليا انه ينظر الى قلب الولي فان راه يستمد من العماثل
له عما واتاه منه وكلمه منه او عرشا فكذلك او كرسيا فكذلك وان كان سبق
في علم الله تعالى حفظ هذا العبد منه اطلعه على ان ذلك منفعل وتلبيس عليه
من الشيطان فيرده خاسيا وان لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين فان قلت
فهل للشياطين سلطان على ظاهر الانسان كباطنه ام سلطانه على الباطن فقط فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الثامن وثلاثماية ان شياطين الجن ليس لهم سلطان الا
على باطن الانسان بخلاف شياطين الانس لهم سلطان على ظاهر الانسان وباطنه
وان وقع مع شياطين الجن وسوسة واغوا الناس في ظاهرهم فانما ذلك بحكم النيابة
لشياطين الانس فانهم هم الذين يدخلون الآرا على شياطين الانس فان قلت فاي عداوة
اشد عداوة ابليس لآدم ام عداوته لذريته فالجواب كما قاله الشيخ في الباب

الخامس والعشرين وثلاثمائة ان عداوته لبني ادم اشد من عداوته لادم وذلك ان بني
ادم خلقوا من ماء والماء مناقض للنار واما ادم فقد جمع بينه وبين ابليس اليبس الذي
في التراب فكان بين النار والتراب جامع ولهذا صدقه لما اقسم عليه بالله انه له من الناصحين
وما صدقه الابناء في ذلك لكونهم اضداده فلهذا كانت عداوته للابناء اشد من عداوتهم
لابيهم **قال** ثم من رحمة الله تعالى بنا انه لما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك ابصارنا
جعل الله تعالى لنا علامات في القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر
الظاهر لنتحفظ بتلك العلامات من العمل بالقاية واعاننا الله عليه
ايضا بالملك الذي جعله مقابلا له عينا لعين انتهى **فان قلت** فهل ثم
لنا شيطان لا هو انسي ولا هو جني كما قيل **فالجواب** نعم وذلك في صورة واحدة
اذ الشيطان في سائر مراتبه حسي الا في صورة واحدة يكون فيها معنويا وهو
ما اذا اجتمعت شياطين الانس والجن واوحى بعضهم الى بعض فانهما يحدث
بينهما حينئذ شيطان اخر عند وسوستهم معنوي لا انسي ولا جني **فان قلت**
فما الفرق بين هولاء الشياطين الثلاث **فالجواب** الفرق بينهم ان الشيطان
الجني او الانسي يفتح احدهما باب الالقا في قلب العبد بما يبعده عن الله تعالى
لا غير **واما** الشيطان المعنوي فيستنبط من ذلك شبهات وامور لم يقصدها
ابليس ولا عنيره **قال** الشيخ محي الدين ومثل هذا ينسب الى الشيطان بحكم الاصالة
لانه هو الذي فتح باب الوسوسة وليس غرض الشيطان من الخلق الا ان يجهلوه في
الخواطر ويصدقوه فيها **قال** وقد اعطي الشيطان قوة التجسد قال تعالى
والقينا على كرسيه جسدا وكان روحا تجسد على صورة سليمان فاذا راى
الشيطان من عبد انه محفوظ ووجه التاييد من الله تعالى محيط به ولم يستطع
الوصول اليه بالوسوسة تجسد له في صورة انسان مثله فيتخيل العبد انه انسان
حقيقي ويايته بالاعوان من قبل اذنه فيدخل فيما حرم الله عليه التاويلات الكثيرة
ليوقعه في معاصي الله ادناها ان يقول له مثلك لا يواخذه الله لكونه كشف لك
انه هو الفاعل والمقدر فان رد ذلك عليه دخل له من باب حسن الظن بالله وقال
احسن ظنك بالله انه لا يواخذك فانك اذا ظننت به ذلك لا يواخذك وانت

عبده على كل حال في حال طاعتك وفي حال معاصيك وذلك لان ابليس يعلم ان المومن
لا يقدم على معصية الله تعالى ابتدا دون تاويل وتزيين لذلك الفعل ولو ان المومن
كان يقدم على المعصية بغير وسوسة ابليس ما اوجد الله ابليس انتهى وقد بسط
الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة فراجعه **فان قلت**
فما صورة تناكح الجن **فالجواب** صورة تناكحهم التواء مثل ما يتصير الدخان الخارج
من الاتون او من فرن الفخار يدخل بعضه في بعض فيلتذ كل واحد من الشخصين
بذلك التداخل ويكون نحلهم من ذلك كلقاح النخلة بمجرد الرايحة **فان قلت** فهل
هم قبايل وعشاير كالانس **فالجواب** كما قاله الشيخ في الباب التاسع في الفتوحات
نعم ويقع بينهم حروب عظيمة قال وبعض الزوابع قد يكون من حروبهم فان الزوبعة
تقابل ريحين يمنع كل واحدة صاحبتها ان تخرقها فيودي ذلك الى الدور المشهود
المعبر في الحس وما كل زوبعة تكون من حروبهم **فان قلت** فمن اول من سمي من الجن
شيطانا **فالجواب** هو الحارث فابلسه الله تعالى اي طرده عن رحمته ومنه تفرعت
الشياطين باجمعها فمن امن منهم مثل هامة ابن الهام ابن لاقيس ابن ابليس التحق
بالمومنين من الجن ومن بقي منهم على كفره كان شيطانا **فان قلت** فهل يصح في حق شيطان
ان يسلم كما يسلم الكافر وعدنا من الانس ويصير مومنا ام لا **فالجواب** قد اختلف
الناس في ذلك وبنى خلافهم على ضبط ميم فاسلم فان بعض الحفاظ ضبطها بالضم اي
فاسلم انا منه وهو باق على كفره وبعضهم ضبطها بالفتح ولفظ الحديث ما من احد الا
وله قرين يامره بالسوء فقالوا وانت يا رسول الله قال نعم ولكن اعانني الله عليه فاسلم
وفي بعض طرق الحديث فلا يامرني الا بخير فهذه الزيادة تدل على انه يصح اسلامه في
الجملة فان ابليس قد انظره الله الى يوم الدين يعني الى حين تنقطع التكاليف فلا يصح ان
يسلم ابدا لانه لو جاز ان يسلم لتعطلت حضرات الاسما الالهية وما عصى احد فانه
لا يصح في الوجود كله معصية من احد الا بواسطته اما بنفسه واما باغوايه والله اعلم
فان قلت فاذا كان اول من عصى فهو انظير قابيل سوا **فالجواب** نعم والامر كذلك
فكما كان قابيل اول الاشقيا من البشر فكذلك كان ابليس اول الاشقيا من الجن اي
من هذا الصنف المخلوقين الاشقيا **فان قلت** قد حكى الله تعالى عن ابليس انه اذا قال

للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين فهل يدل هذا القول
علي توحيده باطنا فالجواب لا يدل ذلك علي توحيده لانه اول من سن الشرك في العالم
ثم بتقدير صحة توحيده ذلك الوقت فما يدرينا انه لحقه شبهة طرات عليه علي الفور فاخرجت
عن ذلك التوحيد فانه لابد ان يموت علي الكفر قطعا فافهم فان قلت ان الكفر
الذي امر به ابليس ليس بشرك فان الكفر هو تعيين الالوهية لغير من هي له مع عدم
وجود اله ثان في عقده والشرك هو جعل المشرك مع الله الها اخر فمن اين جا الشرك
ان ابليس اول من سن الشرك فالجواب ان المراد هنا بالكفر هو الشرك وهو الظلم العظيم
كما قال لقمن لابنه ذلك ولذلك قال تعالي في اخر الاية وذلك جزا الظالمين يريد المشركين
فانهم هم الذين لبسوا ايمانهم بظلم فعلمنا بقوله تعالي ان الشرك لظلم عظيم وتفسير
رسول الله صلي الله عليه وسلم الظلم بالشرك ان المراد بالايمان في قوله تعالي ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم ان المراد به الايمان بتوحيد الله عز وجل اذ الشرك لا يقابله الا التوحيد
فعلم النبي صلي الله عليه وسلم ما لم تعلمه الصحابة حين سالوه عن الظلم ۞ وقد اطال الشيخ
الكلام علي ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلاثماية من الفتوحات ثم قال
ومن هنا ترك بعض العلما التاويل ولم يقل به واعتمد علي الظاهر ووكل علم ذلك الي
الله تعالي فمن اعلمه الله تعالي بما اراده في كلامه قال وبه والا كف عن ذلك انتهي
فان قلت فهل مجالسة الجان ردية او محمودة فالجواب هي غير محموده ومن اكثر
مجالستهم من العلما الروحانيين فهو جاهل فان الغالب عليهم الفضول كالانس الفسقة
فالعاقل من هرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين وما راينا احدا جالسهم
وحصل له خير ابدا وذلك لان اصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركاته كان
الفضول اسرع اليه فالجن اشد فتنة علي جليسهم من الناس فانهم اجتمعوا مع فسقة
الانس علي الاطلاع علي عورات الناس التي لا ينفع فيها عاقل وقد قال الشيخ محيي
الدين في الباب الحادي والخمسين من الفتوحات ما جالس احد الجان وحصل له
منهم علم بالله جملة واحدة اذ هم اجهل العالم الطبيعي بالله تعالي وصفاته قال
وربما يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الاكوان وما يقع في العالم ومن العالم
ان ذلك كرامة الله له وهيهات فان غاية ما يمنحونه لمن يجالسهم ان يطلعوه علي شي

من خواص النبات والاحجار والاسما والحروف وذلك معد ومن علم السيميا فما اكتسب
منهم هذا الا العلم الذي ذمته الشرايع ۞ قال ومما جرب ان من اكثر من مجالستهم صار عنده
تكبر علي الناس ومن تكبر مقته الله تعالي وادخله النار كما جات به الايات والاخبار انتهي
وقد اطال الشيخ الكلام علي ذم عشرة الجن في الباب الخامس والخمسين والله سبحانه وتعالي اعلم

المبحث الرابع والعشرون في ان الله تعالي خالق

لافعال العباد كما هو خالق لذواتهم وان العباد مكتسبون لا خالقون خلافا للمعتزلة
في قولهم ان العبد يخلق افعال نفسه ۞ قال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف رحمه
الله وقد كان الاوايل من المعتزلة كواصل بن عطا وعمرو ابن عبيد لقرب عهدهم
باجماع السلف علي انه لا خالق الا الله تعالي يتحاشون عن اطلاق لفظ الخالق ويكتفون
بلفظ المخترع والموجد ونحوهما فلما راي ابو علي الجباي واصحابه ان معني الكل واحد
وهو المخترع من العدم الي الوجود تجاسروا علي اطلاق لفظ الخالق واعلم يا اخي ان
مسالة الكسب من ادق مسايل الاصول واغمضها ولا يزيل اشكالها الا الكشف الصحيح
علي نزاع في ذلك كما سياتي في نقول الصوفية واما ارباب العقول من الفرق فهم
تايهون في ادراكها واراوهم مضطربة فيها وذلك ان افعال الانس وجميع الحيوانات
وحركاتهم في معاشهم وتصرفاتهم مشاهدة لا انكار عليها من احد ثم اذا رجعنا حاكم
العقل لا يكاد يحكم بثبوتها حكما جليا بحيث لا يبقي منا في الصدر حزازة ۞ وها انا اجلي
عليك عرايس نقول المتكلمين ثم نقول العارفين من القوم فاقول وبالله التوفيق
كان ابو الحسن الاشعري يقول ليس للقدرة الحادثة اثر وانما تعلقها بالمقدور
مثل تعلق العلم بالمعلوم في عدم التاثير وكان الشيخ ابو طاهر القزويني يقول
القضيات العقلية في هذه المسالة ثلاثة وهي اما ان تكون الافعال كلها مقدورة لله
تعالي علي الاستبداد ۞ ومقدورة للخلق علي الاستبداد او تكون مقدورة للحق تعالي
وللخلق معا فالاولان باطلان واما الثالثة وهي ان تكون مقدورة بين قادرين
فيلزم عليه ان الحركة الواحدة تعلقت بها قدرتان قديمة وحادثة وهي اذا تعلقت
بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية فما فايدة الثانية وما متعلقها وما

كيفية تعلقهما وهي بالقدرة الاولى كائنة موجودة وحالاتها ثلاث حالة عدم
وحالة وجود وحالة ايجاد وتعلق القدرة الثانية بها في هذه الحالات الثلاث
محال ۝ ثم لو قدرنا مقدورا بين قادرين خاصة بدواعيهما وارادتيهما لوجب
انه اذا امتنع احدهما فعله ولم يمتنع الثاني كان الحاصل فعلا موجودا معدوما وهو
من المحل المحال نعم انما يقال انما يلزم المحال اذا تعلق به القدرتان من وجه
واحد اما اذا كان الفعل مضافا الى القادرين من وجهين مختلفين فلا استحالة
فيه وذلك ان تعلق القدرة القديمة من وجه الايجاد وتعلق القدرة الحادثة
به من وجه الاكتساب وهذا غير محال فيقال لو جاز ذلك لجاز ان يقع الوجهان
في حالتين يعني كان يقع الموجود بايجاد القدرة القديمة في حالة ويقع الحدوث
باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية وهو محال اذ حدوثها قد حصل بالقدرة
القديمة فكيف يقال تعلقت القدرة الحادثة بها بعد وجودها ولو وقع الفعل
بقدرة ممتزجة من القديم والحادث حتى يصلح للايجاد والاكتساب كان من المحل المحال
على ان الاكتساب للموجود محال والايجاد للمكتسب محال ۝ وهذا القسم مع دقته
وغموضه هو اختيار الشيخ ابي الحسن الشاذلي الاشعري وتابعه وتابعه النجار
من المعتزلة على اختلاف بينهما ۝ قال الشيخ ابو طاهر وانما اختار الاشعري ومن تابعه
هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه اسهل من مذهبيهما قال الشاعر

۝ اذا لم يكن الا الاسنة مركب ۝ فلا راي للمضطر الا ركوبها ۝

قال وقد توجهت على الاشعري ومن تبعه اسيلة اظهرها ان كان للقدرة الحادثة
اثر في المقدور فهو شرك وان لم يكن اثر فوجود تلك القدرة وعدمها سوا فان
قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ومن اجل هذا الاعتراض افترق اصحاب الشيخ
ابي الحسن فقال بعضهم لا اثر للقدرة الحادثة اصلا في المقدور فيلزمه الجبر وقال
اخرون القدرة الحادثة لها اثر في المقدور وهو اختيار القاضي ابي بكر الباقلاني
واستدل بان الانسان يحس من نفسه تفرقة بين حركة الاضطرار والاختيار
وهذه التفرقة لا ترجع الى نفس الحركتين من حيث الحركة لانهما مثلان بل يرجع الى
امر زايد عليهما وهو كون احديهما مقدورة مرادة والثانية غير مقدورة ولا

مرادة

مرادة ثم لا يخلو ان يكون تعلق القدرة باحدهما كتعلق العلم بالمعلوم من غير
تاثير فيودي الى نفي التفرقة والانسان يجد التفرقة بينهما او يكون تعلق
القدرة باحدهما تعلق تاثير ۝ ثم لا يخلو ذلك من امرين ايضا ۝ اما ان تكون
راجعة الى الوجود والحدوث ۝ واما ان تكون راجعة الى صفة من صفات الوجود
فالاول باطل لانه لو اثر في الوجود لاثر في كل موجود فتعين ان التاثير يرجع
الى صفة اخرى وهي حالة زايدة على الوجود مثل قادرية القادر عند ابي
هشام فانها لا توثر الا في حال الوجود ۝ فقالوا للقاضي قد اثبت حالة مجهولة
لا اسم لها ولا معنى فاجاب بل هي معلومة بالدليل لكن لا يمكنني الافصاح
عنه الان بعبارة وان التفرقة ترجع الى اعتقاد القلب بتيسير الفعل له
عند سلامة الالة ووجود الاستطاعة وكل ذلك من الله تعالى وتقدم قول
الشيخ ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه انه لا اثر للقدرة الحادثة وقال
خصومه نفي الاثر عن القدرة يودي الى نفي حقيقة القدرة فان القدرة
فارقت العلم بتاثيرها في المقدور ولو انه كان في عدم التاثير كالعلم لاكتفى الفاعل
بعلمه عن القدرة فعلى هذا الكسب هو مقدور القدرة الحادثة عنده واما عند
القاضي فهو يعني الكسب حال وحكم هو مقدور القدرة الحادثة فيقال له هذا
الحال هي مقدورة لله تعالى ام ليست بمقدورة فان لم تكن مقدورة لله تعالى
فهي لا محالة تكون مقدورة للعبد وهي مذهب المعتزلة بعينه وان كانت مقدورة
لله تعالى فلم يكن للعبد شي البتة وذلك هو مذهب الجبرية بعينه فلا فائدة بالتمسك
بالحال في هذا المقام ۝ قال الشيخ ابو طاهر وقد غلا ابو المعالي اذا ثبت للقدرة
الحادثة اثرا هي الوجود غير انه لم يثبت للعبد استقلالا بالايجاد ما لم يستند
الى سبب اخر ثم تسلسل الاسباب في سلسلة الترقي الى الباري جل وعلا المستقل
بالابداع من غير حاجة الى سبب وقال في بعض كتبه ان القدرة الحادثة
مقدور القدرة القديمة لانها من اثرها وقال في مدارك العقول العبد
فاعل على الحقيقة وان قدرته موثرة في ايقاع الفعل ومقدرته عليه وقال
في مواضع اخر منه نحن نقول بان قدرتنا الحادثة توثر في غير محلها على شرط

الاتصال وقال البسطامي ان القدرة الحادثة هي المؤثرة للفعل وشبههما بالعبد
في بيع ماله باذن سيده في البيع قال الشيخ ابو طاهر وحاصل الامر ان ابا المعالي
كان تارة يجعل اثر القدرة الحادثة وتارة ينفيه هذا ما به مذاهب الائمة في هذه
المسالة الغوامضية المشكلة فمن تاملها وكرر النظر فيها علم غموض معانيها وصعوبة مراقيها
ومحض الامر ان من زعم ان لا عمل للعبد اصلا فقد عاند وجحد ومن زعم انه
مستبد بالعمل فقد اشرك وابتدع وما بقي موردا للتكليف الا ما يجده العبد
في نفسه من الاختيار للفعل وعدمه فان العبد بين طرفي الاضطرار مضطر
على الاختيار والله اعلم هذا ما وجدته من كلام المتكلمين واما كلام الصوفية
في هذه المسالة فاكثر من ان يحصى ولكن نشير الى طرف صالح منه لعل الله تعالى
يطلع بعض معانيها حتى ياتينا الكشف عن الحق فيها وزوال اللبس ان شاء الله
تعالى فنقول وبالله التوفيق قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين
من الفتوحات ان صورة خلق الافعال صورة لام الف في حروف الهجا فان الرائي
لا يدري اي الخطين هو اللام حتى يكون الآخر هو الالف ويسمي هذا الحرف الذي هو
لام الف حرف الالتباس في الافعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو
ولكن ان قلت هو لله صدقت وان قلت للمخلوق مع الله صدقت ولولا ذلك ما صح خطاب
الله تعالى للعبد بالتكاليف ولا اضافة العمل اليه بنحو قوله اعملوا انتهى وقال الشيخ ايضا
في الباب الثاني والعشرين واربعماية انما اضاف تعالى الاعمال الينا لاننا محل الثواب
والعقاب وهي لله حقيقة ولكن لما شهدنا الاعمال بارزة على ايدينا وادعيناها لنا
اضافها الينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لاجل الدعوى ثم اذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا
راينا الافعال كلها لله تعالى ولم نر الا حسنا فهو تعالى فاعل فينا ما نحن العاملون ثم مع
هذا المشهد العظيم لابد من القيام بالادب فما كان من حسن شرعا اضفناه اليه خلقا
والينا محلا وما كان من شي اضفناه الينا باضافة الله تعالى فنحن حاكين قول الله تعالى
وحينئذ يرينا الله تعالى وجه الحكمة في ذلك المسمي سوا فنراه حسنا من حيث الحكمة
فبدل الله سياتنا حسنات تبديل حكم لا تبديل عين انتهى وقال ايضا في الباب التاسع
والسبعين وماية لولا النسبة بين الرب والمربوب يعني رابطة الاستمداد بالحق ما دل

العبد

العبد على الرب ولا قبل التخلق باطلاقه قال وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا
عباده بالامر والنهي وعجبا بعينهما كان المخلوق مكلفا مامورا منهيا قال محقق
ما بينا ما ل عليه فاني اظن انه ما طرق سمعك قط فان لم تكن كذلك فانك ادب كثير
وقال في الباب السادس والتسعين وماتين كنت لم ازل انفي التجلي الالهي في الفعل
تارة واثبته اخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف اذ كان التكليف بالعمل من حكيم
عليم ولا يصح ان يقول تعالى لمن يعلم انه لا يفعل افعل اذ لا قدرة على الفعل وقد
الامر الالهي للعبد مثل اقيموا الصلاة مثلا فلابد ان يكون له في المنفعل عنه تعلق
من حيث الفعل به يسمي فاعلا واذا كان ذلك صحت نسبة وقوع التجلي في الفعل
فبهذا الطريق كنت اثبته وهو طريق في غاية الوضوح يدل على ان القدرة الحادثة
لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لابد من ذلك وحاصله ان العبد ما صحت له نسبة
الفعل الا من كون الحق تعالى جعله خليفة في الارض فلو جرد عنه الفعل بالكلية لما
صح ان يكون خليفة ولما قبل التخلق بالاسما قال وهذه الفائدة مما نبهني عليها
تلميذي اسماعيل حفظه الله تعالى ولما افادها لي لم يعرف احد قدر ما دخل علي من
السرور انتهى وقال في الباب الثامن وخمسماية اعلم انه لولا صحة النسب بكسر النون
وتحقيق النسب الصوري بفتحها ما كان للاسباب عين ولا ظهر عندها اثر وانت تعلم
ان اسناد العالم اكثر الى الاسباب فلولا ان الله تعالى حاضر عندها ما استند اليها
مخلوق فانا لم نشاهد اثرا الا منها وما عقلناه الا عندها فمن الناس من قال بها ولا
بد ومن الناس من قال عندها ولا بد ونحن ومن جرى مجرانا من اهل التحقيق يقولون
عندها وبها اي عندها عقلا وبها شهودا وحسا فما طلب الحق تعالى من عباده الا
ما لهم فيه تعمل فلابد من حقيقة تكون هنا تعطي صحة الاضافة في العمل اليك مع
كون عملك خلقا لله والله خلقكم وما تعملون اي وخلق ما تعملون قال وبعض اهل الاشارة
جعلوا ما هنا نافية فالعمل للعبد والخلق لله تعالى وبين العمل والخلق فرقان
في المعنى واللفظ فما اضافه تعالى اليك هو عين ما اضافه تعالى اليه لكن مع اختلاف
المعنى وما فعل ذلك معك الا ليعلمك ان الامر الواحد له وجوه فمن حيث ما هو عمل
هو لك وتجري به ومن حيث ما هو خلق فهو لله تعالى فلا تغفل عن معرفة هذا فانه

الضعيف خفي انتهي وقلت ونظير ذلك قول عيسى عليه السلام تعلم ما في نفسي ولا
اعلم ما في نفسك لان المعني تعلم ما في نفسي التي هي لك ملكا ولا اعلم ما في نفسك
التي خلقتها ونفختها في فالنفس في موضعين مضافة الى الله تعالى من وجهين
خلقا واسنادا والى العبد اسنادا فقط والله تعالى اعلم وقال الشيخ في الباب السبعين
واربعمائة اعلم ان الحق تعالى ما اضاف الفعل للعبد الا لكونه تعالى هو الفاعل تعالى حقيقة
من خلف حجاب جسم العبد فلم يكن الفعل الا لله تعالى غير ان من عباد الله من اشهده الله
ذلك ومنهم من لم يشهده ذلك قال تعالى فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
فالقسم الذي هداه هو الذي حفظه من دعوى الفعل لنفسه حقيقة واما القسم
الذي لم يحق عليه الضلالة فهو الذي حار ولم يدر وهم القايلون بالكسب واما
من حقت عليهم الضلالة فهم القايلون بخلق الافعال لهم انتهي وقال في الباب الحادي
والثمانين واربعمائة اعلم ان مقام الاحسان هو العمل على شهود الحق تعالى في حال
العبادة وفي ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك المشاهدة يبصر ان الفاعل هو الله
لا هو فان العبد انما هو محل لظهور العمل لا غير وقال في الباب الثاني والعشرين
واربعمائة لنعلم ان اعمالنا حقيقة هي لله وحده وانما اضافها الينا ابتلاء واختبارا
لينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل ان يكون هل ندعيها لانفسنا فيقيم الحق
تعالى بذلك علينا الحجة او نضيفها له فنقف موقف الادب نظير قوله تعالى
ولنبلونكم حتى نعلم فانه تعالى انما قال ذلك لينظر هل نضيف اليه تعالى ما اضافه
الى نفسه مع جهلنا بالكيف ام نرد ظاهر ذلك ونؤوله فنقع في سوء الادب انتهي
وقال في الباب السابع عشر وثلثمائة ومن اراد ان يعرف حقيقة ان الله تعالى هو
الفاعل من خلف حجاب الخلق فلينظر في خيال الستارة وصورها ومن هو الناطق
في تلك الصور عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم
وبين اللاعب بتلك الصور والناطق عنها فالامر كذلك في صور العالم كله والناس
اكثرهم كاوليك الصغار الذين وصفناهم فمن هناك يعرف من اين اتي عليهم فالصغار
في ذلك المجلس يفرحون ويطربون والغافلون يتخذون ذلك هزوا ولعبا والعلماء
بالله يعتبرون ويعلمون ان الله تعالى ما نصب هولاء الامثال لعباده الا ليعلموا ان

هذا

هذا العالم مع الله تعالى مثل هذه الصور المحسوسة مع محركها وان هذه الستارة هي حجاب
سر القدر الذي لا يجوز لاحد كشفه واطال في ذلك وقال في الباب الخامس عشر
واربعمائة مما يدلك على ان فعل العبد لله تعالى حقيقة كونه جعل نفسه عين قوى
العبد المحبوب في حديث كنت سمعه وبصره ويده ورجله ومعلوم ان العمل ليس هو
بجسم الانسان بما هو جسم حسا وانما العمل فيه لقواه فما تصرف في باطن العبد الا الرب
وهذا من اسرار المعرفة وقليل من عثر عليه ولذلك ادعى المعتزلة انهم يخلقون افعال
انفسهم لحجابهم عن شهود معطي قواهم انتهي وقال في الباب السبعين واربعمائة
في قوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اعلم ان للمقت درجات
بعضها اكبر من بعض ومن قال قولا ولم يصدق مقت نفسه عند الله تعالى
اكبر المقت عند الله تعالى اذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولا سيما
اذا راى غيره قد عمل بما سمعه منه واطال في ذلك ثم قال ومعنى الاية
بلسان الاشارة يا ايها الذين امنوا من وراء حجاب لم تقولون ان الفعل لكم وما
هو كذلك فانه لي فكيف تضيفون الى انفسكم ما لا تفعلون حقيقة ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يقاتلون من ينازع الحق في اضافة الافعال
الى نفسه ويقول ان الفعل لي كالمعتزلة حتى يرجع الى الحق ويترك النزاع فيضيف
الافعال كلها الى الله تعالى وقال في الباب الحادي والستين وثلاثمائة اعلم ان
الانسان مجبور في عين اختياره عند كل ذي عقل سليم مع ان جميع ما نظهر عنا من
الافعال يجوز ان يفعله الحق تعالى وحده لا بايدينا ولكن ما وقع ذلك في الشاهد
وما ظهر الا بايدينا اذ الاعمال اعراض والاعراض لا تظهر الا في جسم وهذا وان كان
صدقا فقد انف اهل الله ان يصرحوا به وانما قالوا الاعمال لله خلقا وللعبد اسنادا
ومجازا انتهي وسمعت اخي الشيخ زين العابدين المرصفي يقول مرارا اختيارا
لعباد غير مفوض اليهم قطعا واما قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
فهو وعيد وليس بتفويض لقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا والله خلقكم
وما تعملون لا يقال ان كان افعالهم لله وحده فكيف يعذبهم لانا نقول الثواب
والعقاب انما هو على استعمال العبد لفعل المخلوق لا على اصل الخلق فيعاقب عليه

لصرف الاستطاعة التي تصلح للطاعة الى المعصية لا على احداث الاستطاعة
انتهي وقال الشيخ محي الدين في باب الوصايا انت محل للعمل لا عامل ولكن
لولاك ما ظهر للعمل صورة لانه عرض وقال في لواقح الانوار محال من الحكيم ان
يقول امش يا مقعد او افعل يا من لا يفعل فان الحكمة لا تقتضيه فبقي نسبة
الفعل الى الفاعل ينبغي ان تعرف انتهي وقال في الباب الثالث والعشرين
وثلاثمائة اعلم انه لا اثر لمخلوق في الاعمال التي تظهر على يديه ابدا من حيث التكوين
وانما له فيها حكم الاثر واكثر الناس لا يفرق بين الحكم والاثر فان الله تعالى اذا اراد
ايجاد حركة او معنى من الامور التي لا يصح وجودها الا في مواحدها لانها لا تقوم
بنفسها فلابد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الذي لا يقوم بنفسه فللمحل
حكم في الايجاد لهذا الممكن وما له فيه اثر فهذا الفرق بين الحكم والاثر اذا حققته
علمت انه لا اثر للعبد جملة واحدة في الفعل فلماذا تقول فعلت كذا مع انه لا اثر له
وكذلك يمقت نفسه اذا انكشف حجابه وينكشف له يقينا ان ذلك الفعل الذي
يدعيه ليس هو له حين ينقضي زمان التكليف فليس المراد ان الله تعالى يمقت
العبد على نسبة الفعل لنفسه فان الله قد اضافه اليه وانما المراد ان العبد يمقت
نفسه ولو انه فعل مستحضرا مشيئة الله في ذلك الفعل لم يمقت نفسه عند
الله تعالى قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فشرع
المشيئة ليدفع العبد وقوع مقت نفسه وقال في الباب الثامن والسبعين
ومائة فاذا نزهت الحق تعالى عن الشريك فقيده بالشركة في الملك دون الشركة
في الفعل لاجل صحة التكليف فانه لولا ان للعبد شركة في الفعل ما صح تكليفه اذ لا
بد من شركة العبد في الفعل من خلف حجاب الاسباب فعلم ان من نزه ربه عن
الشركة مطلقا فانه مقام الكمال وقال في الباب الثاني والسبعين حكم افعال
العبد مع الحق حكم آلة النجار والحايك ونحوهما ولله المثل الاعلى فان الله يفعل
بالواسطة وبلا واسطة ومبدا القدر الذي هو كانه تعلق الجزا او التكليف
لوجود الاختيار من الالة ولا دليل في العقل يخرج العبد عن الفعل ولا جا
بذلك نص عن الشارع لا يحتمل التاويل فالافعال كلها من المخلوقين مقدورة

لله تعالى ووجود اسبابها بالاصالة من الله تعالى وليس لمخلوق فيها مدخل
الا من حيث كونه محلا لها انتهي وقال في الباب الثامن والسبعين ومائة
في قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون اثبت الفعل للعبد بالضمير ونفاه بالفعل
الذي هو خلق كما انتفى ابو بكر فلم يظهر له لفظ في العمرين واثبته ضمير التثنية
في العمرين انتهي وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على
اسمه تعالى الواجد بالجيم اعلم انه تعالى لا يصعب على شيء طلب ايجاده فاذا
طلب من الامر امرا ولم يقع منه كان تعويقه من قبله تعالى بمشيئته لا لعجز
عن تنفيذه مثاله طلب من ابي جهل ان يومن بالله ورسوله وما جاء به من
احدية الخالق فلم يجبه الى ما طلبه منه والمنع انما كان منه تعالى اذ لم يعطه
التوفيق ولو شاء لهداكم اجمعين فعلم انه تعالى لو قال للايمان كن في محل ابي
جهل او خاطبه بالايمان بلا واسطة لكان الايمان في محل المخاطب فكونه واجدا
انما هو اذا تعلقت الارادة بكونه وما عدا كن فمن حضرة الوجدان انتهي
وقال الباب ايضا على اسمه تعالى الخالق اعلم ان الخلق خلقان خلق يعقب
الخلق الالهي كما في قوله تعالى الا له الخلق والخلق فانه قدمه في الذكر وخلق
ايجاد وهو الذي يساوي الامر الالهي فيكون عين قوله كن عين قبول الكائن
للتكوين فيكون على الاثر فالفاء جواب الامر وهي فاء التعقيب وليس الجواب والتعقيب
الا في الرتبة لا في الامر الباطن خلاف ما يتوهم من انه لا يتكون الا عند الامر
بقوله تعالى كن ولولا هذا القول لم يكن والحق الذي نعتقده انه لا افتتاح
للقول كما لا افتتاح لمعلوم علمه تعالى فما حدث الا ظهور المكون لعالم الشهادة
بعد ان كان غايبا في علم الله تعالى وقال في كتاب لواقح الانوار لا يصح لعبد
قط عصيان الارادة الالهية وانما يعصي العبد الامر من خلف حجاب الداعين
الى الله تعالى من الرسل واتباعهم من العلما قال تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون فما وقع العبد في تخلفه عن امتثال امر واجتناب نهي
الا اذا كان الامر والنهي على لسان الوسايط من الخلق كما اذا قال الرسول او
نايبه صلوا او صوموا فقد يقع المامور به من العبد المامور وقد لا يقع

واما اذا قال الحق لعبده من غير واسطة كن مصليا او صائما فانه يقع ولابد
وتامل قوله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اقيموا الصلاة واصبروا
وصابروا ورابطوا وجاهدوا ولا يقع من بعض الناس شي من ذلك لتوقف امتثالهم
على الارادة الالهية وهي لم ترد لهم امتثال الامر فكانه تعالى قال لهم حينئذ
اخلقوا بانفسكم من غير ارادتي وليس من قدرتهم ذلك فكانه المتعلق بهم جسم
لكن لا ارواحها فكانت كالميتة بجرم استعمالها بخلاف ما اذا تعلق بهم كن الحية الذي
هو الامر الالهي بلا واسطة فانه يوجد عين الجهاد والرباط والصلاة وغيرها من
افعال العباد من حيث توجه الاذن لهم وليس من شان الافعال ان تقوم بنفسها
والا كانت الصلاة تظهر في غير مصل والجهاد في غير مجاهد وذلك لا يصح فلا بد
من ظهورها فيما ظهرت عنه فاذا ظهر ذلك فيمن ظهر عنه من المصلي والمجاهد او
نحوهما نسبنا الفعل الى العبد وجازاه الحق تعالى عليه فضلا منه او عدلا ولو ان
العمل نفسه كان محلا للتنعم او للتالم لكان هو اولى بالجزا ولكن لما كان ليس
محلا لذلك جعل الله تعالى الجزا الاقرب نسبة اليه وهو الذي هو الالة قال
هذه النسبة التي جعلها الحق تعالى للعبد لكان ذلك قدحا في الخطاب والتكليف
ومباهتة للحس وكان لا يوثق بالحس في شي وقد اطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب
السادس والثمانين ومائتين وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول
العبد محل لظهور الافعال كالباب الذي يخرج منه الناس فليس الناس يتولدون
من نفس الباب وانما ظهر بروزهم منه لا غير اذا الافعال في الظاهر ابواب
للحركات الربانية المستورة اذ الاكوان كلها ستره وهو الفاعل من خلف حجابها
بهذا الستر فقوم لا يشعرون بان الله تعالى هو الفاعل وهم المعتزلة وقوم يشهدون
ويشعرون بذلك وهم الجبرية غلب عليهم شهود الفعل لله تعالى وحده ولم يتسع
نظرهم حتى يضيفوه للعبد كما اضافه الحق تعالى فاخطاوا الشريعة وقوم لا يشهدون
ويشعرون وهم الاشعرية منعهم حجاب القول بالكسب عن الشهود وكل من هولاء
الطوائف الثلاث على بصره غشاوة ولا تزول عنهم تلك الغشاوة الا بالكشف
قال ولا ينبغي ان يقال العبد مجبور في عين اختياره وان كان ذلك القول صحيحا

لان فيه سوء ادب ويرجع الى رائحة اقامة الحجة على الحق جل وعلا انتهى
وسياتي بسط ذلك في المبحث عقبه وقال في باب الاسرار من الفتوحات ما طلب
الحق تعالى من عباده ان يستعينوا به في عباداتهم وغيرها الا لينبههم على عجزهم
عن الاستقلال بالافعال وكان الامام الجنيد رحمه الله تعالى يقول اياك ان تقع
في حضرة شهود الفعل لله تعالى وحده دون عباده فتقع في مهواة من التلف ولا ترى
لك مع ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين وفي ذلك هدم للشرائع كلها انتهى فان
قلت فما منشا الخلاف في مسالة خلق الافعال بين الفرق فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب الثامن والستين ان منشا الخلاف بينهم كونهم لم يدروا الى ماذا يرجع
التمكن الذي اعطاه الله تعالى للعبد ووجده من نفسه حال الفعل هل هو راجع الى
كون القدرة الحادثة لها فينا اثر في تلك العين الموجودة عن تمكننا او عن الارادة
المخلوقة فينا فيكون التمكين اثر الارادة لا اثر القدرة الحادثة فعلى ذلك ينبغي
كون الانسان مكلفا لعين التمكين الذي يجده من نفسه ولا يحقق بعقله لماذا
يرجع التمكين هل هو لكونه قادرا او لكونه مختارا وان كان على قول بعضهم هو مجبور
في اختياره ولكن بذلك القدر من التمكن الذي يجده من نفسه صح ان يكون مكلفا
ولهذا قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها فقد اعطاها امرا وجوديا ولا يقال
اعطاها لا شي وقال في الباب الاحد وتسعين وثلاثمائة في قوله تعالى فلم
تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان هذه الاية اثبات
القتل والرمي لمن نفاه عنهم ثم انه لم يثبت على الاثبات نفي كما اعقب لنفي اثباتا
بقوله ولكن الله قتلهم وبقوله ولكن الله رمى فما اسرع ما نفى وما اسرع ما اثبت لعين
واحدة وايضاح ذلك ان الله تعالى قال فاقتلوا المشركين فاظهر امرا وامرا
ومامورا في هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من اعيان
المحدثات قال ما انتم الذين قتلتموهم فانتم لنا بمنزلة السيف لكم او اي آلة كانت
للقتل فكما ان القتل وقع في المقتول بالالة ولم تقل فيها انها القاتلة بل الضارب
هو القاتل فكذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف
بالنسبة الينا فافهم وقال في باب الاسرار ما اجهل من قال ان الله تعالى

لا يفعل بالآلة وهو يقرأ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى فتراه يكفر بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب فالسيف هو آلة للعبد والعبد
آلة تعالى انتهى وقال في الباب الخمسين ما كلفنا الا بعد ان جعل لنا قدرة نجد
اثرها في نفوسنا تعجز عنها العبارة واذا فقدت لم يكلفنا كما لم يكلف الزمن القيام
في الصلاة وهذه القدرة هي التي اظهرها النفخ الالهي في الانسان بواسطة الملك
فلولا هذه القدرة لم توجه علينا تكليف ولا قيل لاحدنا قل واياك نستعين فان
في الاستعانة اثبات جانب في الفعل للعبد فصدقت المعتزلة في اضافتها
الافعال الى العبد من وجه واحد بدليل شرعي واخطأت في اضافتها الافعال اليه
بحكم الاستقلال وصدقت الاشعرية في اضافتها الافعال الى الله خلقا والى العبد
كسبا من الوجهين بدليل شرعي وعقلي انتهى وقال في الباب الثاني والسبعين
من الفتوحات اتفق النظار كلهم على ان خلق القدرة المقارنة للفعل من العبد لله وحده
وانما اللبس من كسب العبد ولا من خلقه فكل انسان معه اختيار الا ان له من نفسه اختيار
استقلال[ا] لا وقال في باب الاسرار ما امر الله تعالى عباده بنصره الا واعطاهم الاقتدار
في امره فمن قال لا قدرة لي وبغي الاقتدار فقد رد الاخبار وكان ممن نكث ولحق
تكليف الحق تعالى بالعبث انتهى وقال في الباب الخامس والخمسين وخمسمائة في الكلام
على اسمه تعالى الخافض اعلم ان حضرة الخافض لا ينصرف الحق تعالى فيها تصرف المحدث
الا اذا نزل اليها اضفنا اليه احكام تلك الحضرة فليس سلطان حضرة الخافض
الا في المحدث الامكاني ولو كان قرآنا فانه حدث عندهم باتيانه الا ترى حروف
الخفض هي الخافضة للاسماء مع دنوها في الدرجة وعلو الاسماء فيها يقول العبد اعوذ
بالله فالباء خافضة ومعمولها كلمة الله فهي التي تخفض الهاء من الكلمة فاثرت فيما هو
اعلا منها الذي هو الاسماء فالعالم وان كان في مقام الخفض في الرتبة فبعضه
لبعض كادوات الخفض في اللسان لا تخفض المتكلم الكلمة الا بها كذلك ما يفعله
الحق تعالى بواسطة الاسماء الالهية لا بد من التنزل الى رتبة الخفض لا تضرف الى
ادوات الخفض ثم ان حروف الخفض اذا دخلت بعضها على بعض صار المدخول عليها
منها اسما وزال عنه حكم الحرفية ورجع مخفوضا بالاضافة كسائر الاسماء واتفقوا

عليه

عليه الباحثين لا يتغير لان الخافض اصالة لا يكون مخفوضا حقيقة فهو هنا مخفوض
المعنى غير مخفوض الصورة لما هو عليه من البناء مثل قوله تعالى لله الامر من قبل
ومن بعد قال وهكذا يكون الامر في الطريق الذي نحن فيه اذا اثر المحدث
في المحدث لم ير له اثر فيه غيره ان يكون محدثا فالحدوث له بمنزلة البناء للحرف
ولا اثر فيه للمؤثر ولا مؤثر بالاجماع الا الله فهذا فعل خلق ظهر بصورة فعل الحق
تعالى فانفعل المنفعل بصورة الحق قال ومن هذه الحضرة قال تعالى وكنت سمعه
الذي يسمع به وقال فاجره حتى يسمع كلام الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
مع قوله ما على الرسول الا البلاغ انتهى وقال في باب الاسرار ما في الوجود الا
افعاله مع انه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله
عنه يقول في قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله اي ايجادا واسنادا وما اصابك
من سيئة فمن نفسك يعني اسنادا لا ايجادا وتامل يا اخي قول السيد ابراهيم عليه
السلام واذا مرضت فهو يشفين كيف لم يقل واذا امرضني بل اضاف المرض الى نفسه
حيث كان مكروها للنفس واضاف الشفا الى الله تعالى لكونه محبوبا للنفس وكذلك
تامل قول السيد ايوب عليه السلام رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين ولم
يقل امسستني بالضر فارحمني بل حفظ ادب الخطاب وكذلك تامل قول الخضر
عليه السلام فاردت ان اعيبها فاضاف العيب الى نفسه لما كان العيب مكروها
وانظر كيف اضاف الامر المحبوب الى النفس الى الله تعالى في قوله فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما ويستخرجا كنزهما فان قيل فما الجواب عن قول الخضر عليه السلام فاردنا
ان يبدلهما ربهما بنون الجمع الشاملة للعبد فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي
والثلاثين من الفتوحات ان قوله تعالى اردنا تحته امران امر الى الخير وامر الى
غيره في نظر موسى وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله من
حيث ضمير النون وما كان فيه من نكر في ظاهر الامر في نظر موسى في ذلك
الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم ان لنون الجمع هنا وجهين لما فيهما
من الجمع وجه الى الخير به اضاف الامر الى الله تعالى ووجه الى العيب به
اضاف العيب الى نفسه ولو ان الخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى

كان يعرف هذين الوجهين اللذين علمهما الخضر عليه السلام ما كان صلى الله عليه وسلم
قال له بئس الخطيب انت فقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين
ربه في ضمير واحد فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصه فلا يضر
الا نفسه ولا يضر الله شيئا وما ينطق عن الهوى وكذلك جمع الحق تعالى نفسه مع
الملائكة في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي فتامل يا اخي فيما ذكرناه
لك من اداب الانبيا تجدهم اكثر ادبا من سائر الخلق وقد قالوا لابي بكر رضي الله عنه
لما مرض الا ندعوا لك طبيبا فقال الطبيب امرضني فهو وان شهد الامر من الله تعالى
لم يراعي ادب اللفظ كما راعاه الخليل وايوب عليهما السلام انتهى قلت الذي نراه
ان السيد ابا بكر لم يقل ما قال من اسناد المرض الى الله جهلا بمقام الادب مع
الله وانما ذلك نزل لعقل السائل له ان يدعوا له طبيبا لما راى من علم شهوده مقام
الخليل الاعظم عليه الصلاة والسلام والله اعلم وقال في الباب الاحد وعشرين
ومايه اعلم يا اخي ان مسالة خلق الافعال وتعقل وجه الكسب فيهما من اصعب
المسايل قال وقد مكثت دهري استشكلها ولم يفتح لي بالحق فيها على ما هو الامر
عليه الا ليلة تقييدي هذا الباب في سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية وكنت قبل
ان يفتح علي بذلك يعسر علي تصور الفرق بين الكسب الذي يقول به وبين الخلق الذي
يقول به قوم وما كنت اعتقد الا الجبر المحض والان قد عرفت تحقيق هذه المسالة
على القطع الذي لا اشك فيه وعرفت الفرق بين المذاهب الثلاث فيها وذلك
ان الحق تعالى اوقفني بكشف بصيرتي على المخلوق الاول الذي لم يتقدمه مخلوق
اذ لم يكن ثم الا الله وحده وقال لي انظر هاهنا امور تورث اللبس والحيرة قلت
بلى يا رب فقال هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لاحد فيه اثر ولا شي في الخلق
فانا الذي اخلق الاشيا عند الاسباب لا بها فتتكون عن امري خلقت النفخ
في عيسى وخلقت التكوين في الطاير فقلت يا رب فتغنيك اذ تخاطبني بقولك
افعل او لا تفعل فقال لي اذا اطلعتك بشي من علمي فالزم الادب ولا تحاقق فان
الحضرة لا تحتمل المحاققة فقلت له يا رب وهذا عين ما نحن فيه ومن يحاقق
ومن يتادب الا ان خلقت الادب والمحاققة فان خلقت المحاققة فلا بد من

وقوعها

وقوعها وان خلقت الادب فلا بد من وجوده قال هو ذاك فاسمع وانصت
قلت ذلك لك يا رب اخلق السمع حتى اسمع والانصات حتى انصت وما يخاطبك
الان سوي ما خلقت وحدك فقال لي ما اخلق الا ما علمت وما علمت الا على ما هو
المعلوم عليه حين تعلق علمي به في الازل ولي الحجة البالغة انتهى وسياتي ايضاح
ذلك في المبحث بعده ان شا الله تعالى فتامل يا اخي ولكن مع اجتناب جميع ما يسخط
الله عز وجل فان القلب المظلم من لازمه الاستشكال في الامور الواضحة فضلا عن
مثل هذه المسالة وقد قال الامام الغزالي رحمه الله هذه مسالة لا يزول اشكالها
في الدنيا وهو معذور في قوله والله تعالى اعلم خاتمة ان قيل ان المراد بما فيه
الخلق الى عيسى عليه السلام ان عيسى في ذلك عبد مخلوق الذات ومن شان المخلوق
انه لا يخلق ولا يقدر على ذلك فالجواب قد صرح القران العظيم بان خلق عيسى
للطير انما كان باذن الله تعالى فكان عيسى في ذلك كالملك الذي يصور الجنين
في الرحم باذن الله تعالى فكان خلقه عليه السلام للطير من جملة العبادة التي يتقرب
بها الى الله تعالى لاذنه تعالى له في ذلك قال تعالى ارايتم ما تدعون من دون
الله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض وقال الشيخ محيي الدين في الباب السابع
والثلاثين وثلاثماية في تفسير هذه الاية اعلم ان لفظة ما عامة لانها لفظة تطلق
على كل شي ممن يعقل وممن لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه في هذا الفن
فان بعض المتحلين للفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل وهو قول غير محرر
فقد راينا في كلام العرب جمع ما لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على ما يعقل
كهذه الاية فدخل عيسى في هذا الخطاب وان كان يعقل لانه لا يقدر يخلق شيا
استقلالا قال وقول سيبويه اولى والسلام وتقدم قوله تعالى للشيخ
قبل الخاتمة خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطاير الى اخره وهذا
امر لا اشكال فيه والله اعلم فان قيل فاذا اعطى الحق تعالى لبعض خواصه
في هذه الدار حرف كن هل يتصرف به ام الادب تركه فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب السابع والسبعين ومايه ان من ادب اهل الله تعالى اذا اعطاهم الحق
تعالى التصرف بلفظة كن في هذه الدار ان لا يتصرفوا بها لان محلها الدار الاخرة

ولكنهم جعلوا مكان لفظة كن بسم الله ليكون لله تعالى ظاهرا كما هو له تعالى باطنا

فان قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر الخلق ادبا وقد استعملها في بعض الغزوات فالجواب انما استعملها صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك بحضرة اصحابه بيانا للجواز ولانه كان ماذونا له في اظهار المعجزات وهذه المسالة من قبيلها فقال صلى الله عليه وسلم كن ابا ذر فكان ابا ذر وقال لعسيب النخل كن سيفا فكان سيفا فان قلت هل يصح لاحد من الخلق ان يخلق انسانا باذن الله ام غاية امر الخلق ان يخلقوا الطير كما وقع لعيسى عليه السلام في خلقه الخفاش فالجواب ان هذا السوال اورده الشيخ محيي الدين في الباب الخامس والثلاثين والثلاثمائة ولفظه اذا خلق الانسان باذن الله تعالى انسانا لو فرض فهل هو انسان او حيوان في صورة جسم انسان لان الله تعالى اعجز الخلق كلهم ان يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فضلا عن صورة انسان التي هي اكمل الصور ولكن ذكرنا في الفلاحة النبطية ان بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المني الانساني بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان انسانا بالصورة الادمية واقام سنة يفتح عينيه ويغلقهما ولا يتكلم ولا يزيد على ما يتغذى به شيا فعاش سنة ومات قال الشيخ فلا ادري ان كان انسانا حكمه حكم اخرس او كان حيوانا في صورة انسان انتهى والله اعلم

المبحث الخامس والعشرون

في بيان ان لله تعالى الحجة البالغة على العباد مع كونه خالق لاعمالهم فلو قدر ان عبدا قال يا رب كيف تواخذني بما قدرته علي قبل ان اخلق لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمي بك الا بما انت عليه ولا افتتاح لعلمي ولا لمعلومي قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين فاتى بمثل هذه الاية لاقامة الحجة على عباده مع انه تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه لثبوت ذلك في علمه تعالى ولكن ما كل احد يبلغ الى ذوق هذا العلم والحج انما تقام في الاصل على المحجوبين لا على اهل الكشف لعدم نزاعهم للحق تعالى في شي اضافه الحق تعالى

اليهم او اليه فيجب على العبد ان يقيم الحجة لله على نفسه ايمانا حتى يعرف ذلك يقينا وكشفا لانه لا يجري على العبد الا ما كان هو عليه في العلم الالهي فما فعل تعالى بالعبد الا ما كان في علمه تعالى وما فوق اقامة الحجة هو موضع لا يسال عما يفعل وهم يسالون فان قيل فما وجه كونهم يسالون دونه تعالى فالجواب انما كانوا يسالون دونه تعالى لانه سبحانه اذا اطلعهم عند السوال على شهود الحالة التي كانوا عليها في علمه الذي لا افتتاح له تحققوا حينئذ ان علمه تعالى ما تعلق بهم الا بحسب ما هم عليه وانه تعالى ما حكم فيهم الا بما كانوا عليه مع انه تعالى خالق بالاختيار لا بالذات فافهم واياك والغلط وقد كان عبد الله رضي الله عنه يقول شكى نبي من الانبيا بعض ما اصابه من المكروه الى الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه كم تشكوني ولست باهل ذم هكذا بد وشانك في علم الغيب افتريد ان اغير الدنيا من اجلك وابدل اللوح بسببك الى اخر ما ورد فعلم ان كل من اطلعه الله على هذا المشهد صار يعترف لحجة الله تعالى البالغة عليه من ذات نفسه ويقيم الحجة على نفسه كشفا وشهودا ويقينا وقد اطال الشيخ محيي الدين في الجواب ثم قال واكثر الناس لا يعلمون وجه هذه الحجة بل ياخذونها على وجه الايمان والتسليم ونحن وامثالنا ناخذها عيانا ونعلم موقعها من اين اتى بها الحق تعالى واعلم ان من علامة من ياخذ الحجة على وجه الايمان ان لا يتخيل الحجة عليه على وجهها بل لسان حاله يقول ان الحق تعالى مكنني من الاحتجاج حين يسالني عن ذلك لقلت له يا رب انت فعلت بي ذلك ولكنك لا تسال عما تفعل ومثل هذا الكلام لا يقع الا من جاهل باحكام الله تعالى بل لله الحجة البالغة عليه مطلقا وكيف يليق بعبد ان يقول لسيده لا حجة لك علي ولو بقلبه فتامل في ذلك وقد قال الشيخ في الباب السابع والخمسين واربعمائة في تفسير قوله تعالى فلله الحجة البالغة فان قيل ما وجه كون حجة الله تعالى على العبد بالغة فالجواب وجه ذلك كون العلم تابعا للمعلوم وتميز الحق تعالى عن خلقه انما هو برتبة الفاعلية اذ الخلق كلهم مفعوله تعالى فما قال المعلوم شيا من الامور الا وهو محكوم عليه بان يقوله وكان

لسان الحق تعالى يقول للعبد المجادل لما تعلق علمي بك حال عدمك الشخصي
وانت في عالم الغيب عن هذا العالم الاعلى بما انت عليه فاني ما ابرزتك الى الوجود
الاعلى قدر ما قبلته ذاتك فيعرف العبد حينئذ ان ذلك هو الحق وهناك
تندحض حجج الخلق اجمعين من جميع المنازعين ولا يخفى ان كل واحد لله تعالى عليه
حجة ما هي عين ما يقام على عبد اخر جملة واحدة وبتلك الحجة يظهر بها
تعالى على عباده ٭ قال تعالى وهو القاهر يعني بالحجة فوق عباده وهو الحكيم
الخبير اي من حيث يظهر على كل صنف صنف بما تقوم به الحجة لله تعالى عليه
فلولا اطلاق التكليف ما كان خصما ولا جمع لنا معه مجلس حكم ولا ناظرنا تعالى
وهذا من جملة انصاف الحق تعالى عباده ليطلب منهم انتهى فلينا مل ويحرر ما فيه
فانه منزع دقيق وقال في الباب الثامن والسبعين وماية في قوله تعالى
قل فلله الحجة البالغة اعلم ان في هذه الاية دليل على ان الله تعالى ما كلف عباده
الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم الى نحو الصعود بلا سبب انتهى ولا بشهود الجمع
بين الضدين ولو انه تعالى كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما
كان يقول فله ان يفعل ما يريد كما قال لا يسال عما يفعل يعني في اصل القسمة
الازلية فهذا موضع لا يسال عما يفعل لفقد من كان هناك يسال الحق تعالى
انتهى ٭ وسياتي اوايل المبحث التاسع والعشرين نظم بديع لبعض اليهود في
تصوير وجه مخالفة العبد للقدرة الالهية وان ذلك غير ممكن فراجعه
وقال الشيخ في باب الاسرار من احتج عليك بما سبق في علم الحق فقد حاجك
بالحق لكن حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبه ومع كونها ما نفعت سمعت
وقبلها وان عدل الشرع على مذهبها فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون
ولكن اكثر الناس لا يشعرون ٭ قال ومثل هذه المسالة لا تكون جهارا ولا
يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جهر بها لكانت علما وبحث فيها واورثت
في الفواد كلاما دونه نحر الفم بما يودي اليه من درس الطريق الامم
الذي عليه جميع الامم وان كان كل دابة اخذ بناصيتها فافهم فصح قوله تعالى
ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن انفسهم يظلمون ٭ وايضاح ذلك لا يذكر

الا مشافهة لا هله فانه من علوم سر القدر والكتاب يقع في يد اهله وغير
اهله والله اعلم وقال الشيخ في كتاب لواقح الانوار لو ان عبدا قال لربه
كيف تواخذني على امر قدرته علي قبل ان اخلق لقال له الحق تعالى اذا انت
محل لجريان اقداري فلا يسعه الا ان يقول نعم يا رب انا محل لجريان اقدارك
فاذا قال العبد ذلك قال له الحق فاذن قد ذهب اعتراضك علي فان شيت
جعلتك محلا للثواب وان شيت جعلتك محلا للعقاب والعذاب وان قال
العبد بمذهب المعتزلة قلنا له فحينيذ يقام عليك ميزان العدل في قوله
تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت انتهى فقد قامت حجة الله تعالى على جميع
الطوايف انتهى قلت وقد بلغنا ان ابليس قال يا رب كيف تقدر على
عدم السجود لادم ثم تواخذني به فقال له الحق جل وعلا متى علمت اني قدرت
عليك الاباية عن السجود بعد وقوع الاباية منك او قبلها فقال بعدها فقال
له الحق تعالى وبذلك اخذتك فسر القدر حكمه حكم مكيدة الفخ الذي ينصب
وهو اللولب المدفون في التراب وحكمة اختيار العبد حكم الحبة الظاهرة على وجه
الارض فترى الطير لا يرى المكيدة ولا يهتدي لها وانما يرى الحبة فقط
فيلتقطها فيكون فيها هلاكه ولو انه عرف المكيدة ما التقط الحبة ابدا
فهكذا ابن ادم لا يقع في معصية الا وهو غافل عن شهود المكيدة والمواخذة
ثم اذا وقع ندم واستغفر والله يحب التوابين ٭ وبالجملة فاذا كان نفس ابليس
وقع ولم يدرك بذلك الذي كان فيه هلاكه الا بعد الوقوع فكيف بغيره
وكذلك بلغنا ان ابليس سال في الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط ان يصدقه وحفت به الملايكة
وهو في حال الذلة والصغار بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
ان الله خلقك للهداية وما بيدك منها شي وخلقني للغواية وما بيدي من
الغواية لنفسي ولا لغيري شي ٭ وانزل الله تعالى تصديق ذلك انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشا والله اعلم وسمعت سيدي عليا
الخواص رحمه الله يقول اياك ان تحتج بان ابليس اوقعك في المعصية بغير

بل مثلك سابق فان الله تعالى قد حكى عن ابليس انه يتبرا في خطبته في الاخرة
ممن اطاعه في دار الدنيا وذلك موضع يصدق فيه الكذوب ويبين
في تلك الخطبة جهل اهل المعاصي ويقول في اخرها فلا تلوموني ولوموا
انفسكم فاني ما اغويتكم بوسوستي فان ذاتكم كلسان الميزان الذي في الفلك
وانا واقف تجاهكم على الدوام فما دام لسان الميزان في كفه لم يخرج فانتم محفوظون
مني فاذا خرج لسان الميزان الى جانب معصية جيب فتقدت ارادتكم بالوقوع
فانا تابع لكم وهنالك تندحض حجة العبيد الذين اطاعوا ابليس لقيام حجته
عليهم وتصديقهم له في ذلك الموضع ويتضح ان ابليس لم يوقعهم في ذلك مستقلا
وانما اوقعهم نفوسهم فيصيرون يقيمون الحجة لابليس عليهم كما اقاموا الحجة
عليه بالنظر للاقدار الالهية واكثر من ذلك لا يقال **قلت** فحاصل
هذا المبحث ان العبد هو الذي ظلم نفسه تصديقا لقوله تعالى ﴿ وما ظلمناهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ فانه تعالى لا يجبر الا بالواقع ولما علم اهل الله تعالى
ذلك طلبوا وجها حقيقيا يقيمون به الحجة لله تعالى على انفسهم فنظروا بالكشف
الصحيح فراوا جميع افعالهم هي معلوم علم الله تعالى وكما لا افتتاح لعلم الله تعالى
كذلك لا افتتاح لمعلومه واذا كان الافتتاح لمعلومه فالحق تعالى لم يظلمنا
شيئا ولعل المعتزلة لو اطلعوا على هذا الوجه الذي قررناه ما وقعوا في قولهم
ان العبد يخلق افعال نفسه فانهم راوا لعقولهم الجور اذا جعلوا الفعل لله
وحده خلقا ثم عاقبهم عليه كان ذلك غير العدل فلما خافوا من اضافة ذلك
الى الحق قالوا جعلنا ان العبد يخلق افعال نفسه اخف من نسبة الظلم الى
الحق من باب الاضافة والمجاز لا من باب الحقيقة فان مثل الامام الزمخشري
لا يعتقد انه يخلق افعال نفسه حقيقة ابدا بل اليهود نفسهم لا يعتقدون
ذلك ثم ان القول في جزا الاعمال يوم القيامة كالقول في الاعمال نفسها
فلو قال قائل لله لم تعذبني على ما ليس من خلقي لقال له الحق تعالى وهل تعلق
علمي بك الا معاقبا على اعمالك فلا يسع العبد الا ان يقول انعم ما تعلق علمك
بي الا معاقبا وهنالك يقيم العبد الحجة على نفسه يقينا وكشفا وهذا

المنزع الذي ذكرته لم ار له ذايقا من اهل عصري وغاية امرهم ان احدهم
يقيم الحجة على نفسه ادبا فقط من باب قولهم بد لا نقدر ان نعصيها قبلها
فهو يقيم الحجة على ربه بقلبه كما هو مذهب الجبرية وربما يستشهد بقول الشاعر
القاه في اليم مكتوفا وقال له ۞ اياك اياك ان تبتل بالماء ۞
ومثل هذا السبب لا يجوز عندنا النطق به لما فيه من رائحة اقامة الحجة
على الله تعالى فعلم ان الجبرية وغيرهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه الا من شهودهم
وجه حدوث العبد وكونه مخلوقا ولو انهم شهدوا الوجه الاخر وهو كونه
قديما في العلم الالهي لاقاموا الحجة لله على نفوسهم فليتامل فانه محل تنفلت من الذهن والله اعلم

المبحث السادس والعشرون

في بيان ان احدا من الانس والجن لا يخرج عن التكليف
ما دام عقله ثابتا ولو بلغ اقصى درجات القرب على ما سياتي بيانه
اعلم يا اخي ان من المحال رفع التحجير عن كل عاقل ما بقيت الدنيا ولولا ذلك
لكان كل من ارتفع حجابه يرتفع عنه التحجير لانه حينئذ لا يرى فاعلا الا
الحق وحده ولا قائل بذلك من اهل السنة والجماعة وقول بعض العارفين ان
السالك يصل الى مقام يرتفع عنه التكليف مراده بهذا التكليف ذهاب
كلفة العبادة فلا يصير عليه منها بل ربما تلذذ بفعل ما كانت نفسه تتصعب
لفعله قبل ذلك وقد مكثت انا في هذا المقام مدة لا اتكلف لاشق العبادات
ثم كشف لي عن نقص ذلك المقام لما يصاحبه من هوى النفس فتبت منه وصرت
لا اتي العبادة الا بمشقة وكلفة كاني حامل جبلا وذلك لما فيها من
الاداب والمشاهد التي تخلقنا بها فيها وكنت قبل ذلك لا اتكلف لها كما لا
اتكلف لخروج النفس من انفي ودخوله وذلك اني رايت الله عز وجل يقول
لمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب اي اذا فرغت من عمل متعب
فانصب في عمل اخر اي متعب وهذا امر لا يذوقه الا من سلك الطريق فان
الراحة من التكليف ونحن مطالبون بالاقبال على الله عز وجل في كل نفس واعلم

يا اخي ان عباد الله تعالى من لا يصلي الصلوات الخمس الا بمكة ومنهم من لا يصليها الا ببيت المقدس ومنهم من لا يصليها الا بالمدينة المشرفة ومنهم من لا يصليها الا بجبل قاف ومنهم من لا يصليها الا في قبة ارين ومنهم من لا يصليها الا فوق قبة اسكندر ومنهم من لا يصليها الا على الجبل المقطم المشرف على بحر السويس فربما لا يراه الناس بذلك الفقير ويقولون انه تارك للصلاة وهو خطأ ولاصحاب هذا المقام امارات يتميزون بها على من يترك الصلاة تهاونا بها او كسلا وقد قال لي مرة سيدي عبد القادر الدشطوطي كم يقولوا اهل مصر عبد القادر ما يصلي شيئا ونحن والله لا نقطع الصلاة ولكن لنا اماكن نصلي فيها فقلت ذلك لسيدي محمد ابن عنان رضي الله عنه فقال صدق الشيخ عبد القادر له اماكن يصلي فيها واخبرني الشيخ محمد ايضا ان سيدي ابراهيم المتبولي ما رئي قط يصلي الظهر في مصر ابدا حتى كان بعض الناس يقول كان الله لم يفرض الظهر على ابراهيم ابدا والحال انه كان يصلي في الجامع الابيض برملة لد وكذلك كان يفعل سيدي علي الخواص فكان يصلي في الجامع المذكور دائما الظهر وسمعت الشيخ بدر الدين المنشاوي يقول له يا شيخ الظهر فرض عليك فيسكت الشيخ واخبرني الشيخ يوسف الكردي انه صلى مع سيدي ابراهيم الظهر في الجامع الابيض مرارا قال ورايت الذي يوم فيه وهو شاب امرد نحيف البدن اصفر اللون كان لونه الزعفران انتهى وقد حضرنا صلاة الظهر عند سيدي عبد القادر الدشطوطي فلما سمع الاذان الصحيح وقال غطوني بالملاة فغطيناه بها فلم نجد تحت الملاة احدا ثم جاء بعد خمس عشر درجة وكان سيدي علي الخواص يغلق باب حانوته عليه بعد اذان الظهر ثم يفتحه ففتحوا عليه مرة فلم يجدوه وبالجملة فارباب الاحوال ينبغي التسليم لهم واما العارفون الذين هم قدوة للناس فيجب عليهم حفظ ظاهرهم والاعدم الناس بهم النفع فعلم ان الله تعالى لا يحرم شيئا او يوجبه على السنة رسله ثم يبيحه لاحد من اوليائه ابدا لان الله تعالى قد راعى شرعه الظاهر وجعله مردا للناس كلهم فلا ينسخ الشريعة الا من جاء بها او من بعده من الرسل

ونبينا صلى الله عليه وسلم اخر الانبيا والرسل فليس لشرعه ناسخ وقد ذكر الشيخ محيي الدين انه لا يجوز لولي قط المبادرة الى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه كما انه لا يجوز لمن كشف له انه يمرض في اليوم الفلاني من رمضان ان يبادر للفطر في ذلك اليوم بل يجب عليه الصبر حتى يتلبس بالمرض لان الله تعالى ما شرع له الفطر الا مع التلبس بالمرض او غيره من الاعذار قال وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من اهل الله عز وجل فان قيل فاذا اطلع الولي على ان الله تعالى لا يواخذه على ذلك الذنب هل له الاقدام عليه فالجواب لا يجوز له ذلك على الاطلاع على عدم المواخذة ليس بواقع اصلا وان كان ذلك جائزا عقلا ذكره الشيخ في باب اسرار الصوم من الفتوحات ويؤيد ما ذكرناه من بقا اسم المعصية على جميع المكلفين قوله صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة اهل بدر وما يدريك ان الله تعالى اطلع على اهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانه لم يقل فقد احللت لكم وانما قال فقد غفرت لكم يعني ذلك الذنب فابقاه على تحريمه والمغفرة لا ترد الا على ذنب فافهم وقد سيل ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه عن قوم يقولون باسقاط التكليف ويزعمون ان التكاليف انما كانت وسيلة الى الوصول وقد وصلنا فقال رضي الله عنه صدقوا في الوصول ولكن الى سقر والذي يسرق ويزني خير ممن يعتقد ذلك ولو انني بقيت الف عام ما نقصت من اورادي شيئا الا بعذر شرعي انتهى وقال في الباب الثامن والسبعين ومايتين اول درجات خطاب الروح بالتكليف من حين التمييز الى ان يبلغ الحلم قال وقد اعتبر الحق تعالى فعل الصبي في غير زمان تكليفه فلو قتل احدا لم يقم عليه الحد وانما يحبس الى ان يبلغ ويقتل بما قتل في صباه الا ان يعفو ولي الدم فقد اخذه الله بما لم يفعله في زمان تكليفه والحال في ذلك ثم قال واعلم ان من حكم انفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به الا الخواص وجود التكليف وهو اول العذاب فان به يقوم الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا باحساسه لما وهو عقوبة ما جرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفا من الافعال نظرا بين العباد من الاذى والشتم والضرب على طريق التعدي وكل خير يفعله الصبي يكتب له حتى الحج ولوليه الذي حج به اجر المعونة الذي

لا تعقد الصبي على فعلها انتهى وقد سبق في مبحث اسمه تعالى المريد نفائس تتعلق
بتكليف الصبي وانفاذ الوعيد في حق البري فراجعه وقال الشيخ في الكلام على
صلاة التطوع من الفتوحات الذي اقول به ان من غلب عليه حال او كان مجنونا او صبيا
فهو تحت خطاب الشرع خلافا لبعضهم وذلك انه ما ثم حال او صفة في مكلف تخرج
عن حكم الشرع بالكلية فان الشرع قد اباح للصبي والمجنون التصرف فيما حظر على غيرهما
ولا حرج عليهما فكيف يقال زال عنهما حكم الشرع وهو قد حكم لهما بالاباحة وهو
حكم شرعي فعلى هذا ما خرج احد عن حكم الشرع واحكام الشرع مبنية على الاحوال
لا على الاعيان انتهى فان قلت فما حكم البهاليل والمجاذيب فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب السادس والعشرين ومايتين ان كل من سلب عقله كالبهاليل والمجانين
والمجاذيب لا يطالب بادب من الاداب بخلاف ثابت العقل فانه يجب عليه معانقة
الادب والفرق ان من سلب عقله من هو لا حكمه عند الله حكم من مات على حالة شهود
ونعت واستقامة لان ذهاب عقله انما هو من امر طرا عليه من قبل الحق تعالى فضعف
عن حمله فذهب عقله مع الذاهبين وصار حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم
طبيعته من اكل وشرب ونكاح وكلام من غير مواخذة ولا مطالبة بذلك عند الله تعالى
مع وجود الكشف وبقايه عليه كما يكشف الحيوان احوال الموتى على النعش وفي القبر
انتهى فان قلت فلم سمي المجذوب مجذوبا فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس
عشر ومايتين من الفتوحات انه انما سمي المجذوب مجذوبا بالجذب بالحق تعالى له واخذه
باعطافه ولولا انه كان متعشقا لحاله مستحسنا له ما اجذبه الحق تعالى فكان
سبب هذا الجذب تعشق احوال الطبيعة ولولا الجذب العنيف ما ترك ما ذاقه من
اللذة لكن من رحمة الله تعالى انه نقله الى ما هو احلى والذ فان احوال المجاذيب
ولذاتهم لا يعادلها لذة لكونها لذة معنوية في غير مادة محسوسة فلا هي تشبه
حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع بل هي اعلى واجل فان قلت فهل تدوم تلك اللذة
مع المجذوب الى موته ام تزول فالجواب تدوم اللذة معه زمانا ثم يفقدها قال
الشيخ محيي الدين وكل جذب لا يمنح صاحبه علما لم يكن عنده قبل الجذب فليس هو
بجذب ولا تلك الحلاوة حلاوة فتح فان قلت فما الفرق بين المجاذيب والمجانين

فالجواب

فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين ان الفرق بينهما هو ان المجانين
سبب جنونهم فساد المزاج عن امر كوني من غذا او جوع او فزع ونحو ذلك واما المجاذيب
فسبب ذهاب عقولهم التجلي الالهي الذي جاءهم على بغتة فذهب بعقولهم فعقولهم
محبوسة عند الحق تعالى منعمة بشهوده عاكفة في حضرته متنزهة في جماله فهم اصحاب
عقول بلا عقول ويسمى هولا عقلا المجانين اي المستورين عن تدبير عقولهم قال
على ثلاثة اقسام * الاول من يكون ارادته اعظم من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم
الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون بحكمه يصرفه الحال ولا تدبير له في نفسه وكان
ابو عقال المغربي من اهل هذا المقام * الثاني من يمسك عليه عقله في حضرة الله تعالى
ويبقى عليه عقل حيوانية فياكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا روية ويتهيا له
العيش الطبيعي كساير الحيوانات * الثالث من لم يدم له حكم ذلك الوارد بل زال عنه الحال
ورجع الى نفسه بعقله فهو يدبر امره ويعقل ما يقول ويقال له ويتصرف عن روية
تدبير مثل كل انسان وذلك هو الكامل من الاوليا واطال في ذلك ثم قال واعلم ان
اكبر من جذبه الحق الى حضرته الرسل عليهم الصلاة والسلام ولولا ان الحق تعالى كلفهم
بتبليغ الرسالة وسياسة الامة لذهب بعقولهم لعظم ما شاهدوه من جلال الله وعظمته
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا * وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جاءه الوحي ونزل به الروح الامين على قلبه يوخذ عن حسه ويسجى بثوب ويرغو كما يرغو
البعير حتى ينفصل عنه وقد وعا ما جاء به الملك فيلقيه على الحاضرين ويبلغه للسامعين
ومعلوم ان مواجيده صلى الله عليه وسلم التي كانت تطرقه من تجليات ربه على قلبه ما اعظم
سطوة بيقين من نزول ملك او وارد في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه
فلذلك كان يوخذ فيه عن نفسه مع كونه كان مستعدا لذلك الهول فعلم انه لولا
ان الرسل مطالبون بهداية الخلق وجهادهم ما ورد الله عليهم عقولهم فلذلك اعطاهم
التمكين ليقوموا بما كلفوا به بخلاف المجاذيب فان هناك من يقوم بهداية الخلق غيرهم
من العارفين في كل عصر وعلم ايضا انه ما ثم وارد يرد على قلب احد من الخواص
الا ويوثر فيه وقد غلط في ذلك بعض اهل الطريق حين تكلموا على الفرق بين الولي
والنبي وقالوا النبي يصرف الاحوال عنه والولي تصرفه الاحوال فجعلوا الانبيا مالكين

احوالهم والاولياء لم يكن تحت احوالهم والحق ما ذكرناه من ان الرسل يوخذون عن
احساسهم عند واردات الحق تعالى بخلاف الولي صاحب الحال فقد يمكث دهره كله
لا يحس بالجوع ولا عطش ولا حر ولا برد بل ربما ذهب عمره كلمحة بارق واعلم ان حالة
ايام جذب المجذوب تكون بحسب الحالة التي جذبه الحق تعالى عليها فان جذبه
في حال قبض فعمره كله قبض وحزن وان جذبه في حال بسط فعمره كله بسط وضحك
او تبسم وان جذبه في حال كلام دنيوي فكذلك او اخروي فكذلك حتى اني رايت بعض
القضاة جذب فكنت لا ازال اراه يقول لا حقا ولا استحقاقا ولا دعوى ولا طلبا
الى اخره ورايت بعض النحاة جذب فكنت لا ازال اراه يقول باب النعت النعت تابع للمنعوت
في نصبه وخفضه الى اخره فتامل في هذا المبحث فانك لا تكاد تجده في كتاب والله يتولى هداك

المبحث السابع والعشرون

في بيان ان افعال العباد كلها عين الحكمة

ولا يقال انها بالحكمة لئلا تكون الحكمة موجبة له فيكون محكوما عليه تعالى وهو
لا يصح ان يكون محكوما عليه لانه تعالى احكم الحاكمين ❊ فعلم انه لا ينبغي الادب
ان تعلل افعال الحق بالحكمة وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والستين
وثلثمائة في قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ان الباء
في قوله بالحق بمعنى اللام اي للحق قال وهي عين اللام في قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فان الله تعالى لا يخلق شيئا بشيء في الغالب وانما يخلق
شيئا عند شيء فعلم ايضا انه تعالى اذا اخبر انه خلق شيئا لشيء فتلك اللام
لام الحكمة فعين خلقه عين الحكمة اذ خلقه تعالى لا يعلل بالحكمة فيكون معلولا
لها انتهى وعلم ايضا انه تعالى ان انعم فمتعم بذلك فضله وان ابلى فعذب فذلك
عدله وقد اخرج تعالى العالم قبضتين واوجد لهم منزلتين وقال هولاء للجنة
ولا ابالي وهولاء للنار ولا ابالي ولم يعترض عليه معترض هناك اذ لا موجود
كان ثم سواه فان قيل فما معنى قوله في الحديث القدسي ولا ابالي فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثمائة ان معناه رحمتي سبقت غضبي

في حق اهل الجنة وحقت كلمتي لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ويصح ان يكون
سبق الرحمة ايضا في حق المشركين من حيث رحمة الايجاد من العدم اذ هي سابقة
على ظهور الغضب لو اوقع عليهم لعصيانهم ايام التكليف فلذلك كان تعالى لا يبالي
بالعذر بيقين واعلم ان الاسم الرب مع اهل الجنة لانها دار انس وجمال وتنزل
الهي لطيف ❊ وبالاسم الجبار مع اهل النار لانها دار جلال وجبروت وقهر فلا
يزال هذان الاسمان مع اهل الدارين ابد الابدين ودهر الداهرين فان قلت
فهل يتجلى الحق تعالى لاهل النار بالجلال الصرف ام بالجلال الممزوج كما في دار الدنيا
فالجواب لا يتجلى الحق تعالى لاهل النار الا بالجلال الصرف لفقد الرحمة لهم
بخلاف الدنيا فانه يتجلى فيها بجلال ممزوج بجمال وذلك حتى تطيقه الخلائق
فان قلت فاذن ليس المراد بعدم المبالاة باهل النار ما يتبادر الى الاذهان
من عدم التهمم بامرهم فالجواب وهو كذلك خلاف ما فهمه بعضهم ممن لا معرفة له بالحقائق
لانه لولا المبالاة بامرهم ما اخذهم بالجرائم ولا وصف تعالى نفسه بالغضب الشديد
عليهم ولا كان بطشه الشديد يحل بهم ولا كانت رحمته محرمة عليهم وهذا كله من المبالاة
بهم والتهمم بامرهم ولولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللامور والاحكام مواطن اذا
عرفها اهل العلم تعدوا بكل حكم موطنه فان قلت فاذا كانت رحمته سبقت غضبه
فما معنى قول الامام ابي القاسم ابن قسي لا يحكم عدله تعالى في فضله ولا فضله في
عدله فالجواب ان معناه ان كلا من الصفتين ليس محلا لحكم الاخر كما تعطيه الحقائق
ولكن قد علمنا من الله تعالى انه يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشرور
ولا يقيم عليهم ميزان العدل ولا يواخذهم بالعدل وانما يحكم فيهم بفضله ولا يقال في
هذا انه حكم فضله في عدله اذ محل حكم الصفة انما هو في المفضول عليه
او المعدول فيه فعلى هذا يجب تاويل كلام ابن قسي فانه هو اللائق بمقامه
فانه كان من الراسخين في الطريق رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الثامن والعشرون

في بيان انه لا رازق للعباد الا الله سبحانه وتعالى

خلافا للمعتزلة في قولهم من حصل له الرزق بتعب فالله هو الرازق له واحتجوا
بحديث فكم من لا مطعم له ولا ماوي وليس في ذلك دليل لهم لان المراد به انما هو
عدم تسهيل الرزق لا عدم الرزق مطلقا من باب يا دنيا من خدمني فاخدميه
ومن خدمك فاستخدميه قال اهل السنة ورزق العبد هو ما ينتفع به في التغذي
وغيره ولو كان حراما بغصب او سرقة او ربا ونحو ذلك وقالت المعتزلة ليس الحرام
برزق حملا للرزق على الملك والجواب لا وجه للحمل عليه لان من الدواب من لا
يملك والله تعالى رازقها وعندهم ان العبد يقدر ان ياكل رزق غيره وعندهم
ايضا انه لا يكون رزق الله الا حلالا لاسناده الى الله تعالى في الجملة وما اسند
اليه من حيث انتفاع عباده به يقبح ان يكون حراما يعاقبون عليه وقال اهل
السنة لا قبح بالنسبة اليه تعالى فانه تعالى فعال لما يريد وعقابهم على الحرام
لسوء مباشرتهم اسبابه قال اهل السنة ويلزم المعتزلة ان المتغذي بالحرام
فقط طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا وهو مخالف لقوله تعالى وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها ولا يترك تعالى قط ما اخبرنا انه عليه وان كان لا يجب
عليه شي لاطلاق حضرته وما اوجب تعالى على نفسه اشيا وحرم اشيا في نحو حديث
اني حرمت الظلم على نفسي الا تانيسا للعباد وتنزلا لعقولهم ليتخلقوا باخلاقه
تعالى والا فالحق ان جميع ما انعم به تعالى على عباده فضل منه ورحمة ولا يدخل
تحت حد الواجب على عباده ومعنى قول المعتزلة السابق في الرزق لاسناده
الى الله تعالى في الجملة اي لان الله تعالى هو خالق القدرة للعبد على تحصيل رزقه
وفاقا منا ومن المعتزلة وهو بهذا الاعتبار مستند الى الله تعالى عندهم ه ذكره
الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف وقال بعضهم الذي يظهر لي ان خطا الفرق الاسلامية كله خطا اضافي لا مطلق ويحتمل ان يكون اكابر المعتزلة ما نفوا اضافة
الرزق الحرام الى الله تعالى الا من باب ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من
سيئة فمن نفسك ومن باب انه لا يقال سبحان خالق الخنازير وان كان تعالى خالقا
لها فالمعتزلة يعتقدون ان الله تعالى خالق رزق العبد كله بل اليهود والنصارى
والمجوس لا يعتقدون ذلك فضلا عن مسلم موحد كالزمخشري وفي الحديث

والجبر

والخير كله في يديك والشر ليس اليك اي لا يضاف اليك على وجه التشريف
ويضاف اليك بحكم الخلق والقسمة وعليه يحمل حديث اللهم اغنني بحلالك
عن حرامك قال وكثيرا ما ينصب لعلما الخلاف بينهم بلازم المذهب لاسيما
المقلدون ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح فعلم ان المعتزلة
اذا ارادوا بغير ذلك بقولهم الحرام ليس برزق الله الادب اللفظي فلا
باس به وان ارادوا غير ذلك فهم مخطيون باجماع انتهى ه وقد قال الشيخ
محي الدين في الباب الثامن والسبعين واربعمائة في قوله تعالى ه وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى لا بد ان يوصل لكل
مخلوق رزقه الذي قسمه له وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه
تعالى يرزق البار والفاجر والمكلف وغير المكلف ولكن من اعتنائه
بالعبد ان يرزقه حلالا لا شبهة فيه ويستخرجه له من بين الحرام والشبهات
كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم قال تعالى بقية الله خير لكم وهي
ما احل للخلق تناوله من جميع الاشيا التي تقويهم على طاعة ربهم قال
وليس برزق العبد الا ما تقوم به نشاته ويدوم به قوته وحياته لا ما
جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه انتهى وقال
ايضا في الباب الثامن والثمانين واربعمائة في قوله تعالى ورزق ربك
خير وابقى اعلم ان رزق ربك هو ما اعطاك مما انت عليه في وقتك وما
لم يعطك فان كان لك فلا بد من وصوله اليك وما ليس لك فلا يصل اليك
قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع ه ومرادنا بقولنا ان كان لك ان تاخذه
على حد المشروع فان من اخذ من حرام لا ينبغي اضافته الى الله تعالى ادبا
وانما يضاف الى الطبع كما اضاف الخليل عليه السلام المرض الى نفسه حين
كان مكروها له والشفا الى الله تعالى حيث كان محبوبا له وكما قال ايوب
عليه السلام رب اني مسني الضر انتهى وقال ايضا في الباب الثامن والتسعين
ومائة حيث ما اضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من
حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله تعالى وليس فيه تحجير

ومن هنا ابيح الحرام للمضطر لكن لا ينبغي اضافة الحرام الى الله تعالى ادبا وما
ورد في حديث اغنني بحلالك عن حرامك السابق فانما هو بيان للجواز انتهى
خاتمة في بيان ان الاكتساب لا ينافي التوكل ولا ينبغي نصب خلاف
في ان السعي افضل من التوكل على هذا لان الله تعالى جعل الرزق على حالين فما
سبق في علم الله انه يأتيك الا بالسعي في تحصيله لا يقال فيه ترك السعي افضل
فان الرزق في طلب صاحبه داير والمرزوق في طلب رزقه حاير ويسكون
احدهما بحرك الاخر ولكن هذا حال يحتاج الى كشف ومن لا كشف عنده فهو
مخير بين السعي وعدمه وغالب الخلق يقولون كل شي رايناه يحتمل ان يكون
قسم لنا فتراهم يتجاذبونه وكل من غلب صاحبه تبين انه له كالزقاق الذي
يدخله الجاهل به فان راه ينفذ خرج منه وان راه مسدودا رجع ثم ما قررناه
انما هو مذهب المحققين من الصوفية وأما على مذهب المتكلمين فرجح قوم التوكل
مطلقا واخرون الاكتساب مطلقا قال ابن السبكي والمختار ان ذلك يختلف
باختلاف الناس فمن كان في توكله خاليا عن التسخط اذا ضاق رزقه ولا يتطلع
نفسه الى ما في ايدي الناس فالتوكل في حقه ارجح لما فيه من الصبر والمجاهدة
للنفس ومن كان في توكله على خلاف ما ذكرنا فالاكتساب في حقه ارجح من التسخط
والتطلع وقد سيل الحسن البصري رضي الله عنه عن شخص يريد ان يجلس في
بيته تاركا للحرفة ولا يخرج ويقول انا متوكل على الله فقال ان كان له يقين
كيقين ابرهيم الخليل عليه السلام فليفعل والا فليخرج الى الحرفة ليلا يصير
ياكل بدينه وزهده ويصطاد بهما الدنيا انتهى وقال الشيخ محيي الدين في
باب الجنان من الفتوحات اعلم ان الاضطراب قلب المومن في طلب رزقه
لا يقدح في اصل ايمانه وانما يقدح في كماله فقط وذلك لان هذا الاضطراب
ما هو عن تهمة في حق الله تعالى في ان الله لا يرزقه وانما هو اضطراب البشرية
لعدم الصبر والاحساس بالم الفقد فان العبد يعلم بالايمان ان الله يرزقه
ولا بد من حيث كونه حيوان ولكن لم يعلمه الحق تعالى متى يرزقه وانما اعلمه
انه لا يموت حتى يستكمل رزقه فما يدري عند فقد السبب الجالب للرزق

هل

هل فرغ وجا اجله فيكون فزعه من الموت ام رزقه لم يفرغ في علم الله
فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق بانقطاع السبب فيخاف من الم
الجوع المتوقع او من دوامه ان كان وقع فهذا سبب الاضطراب انتهى
وسمعت سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول قد يدعي بعض الناس
التوكل ويسعى كل السعي وان لامه احد على ذلك يقول سعيي لاجل العيال
لا لاجل نفسي فمثل هذا يجب عليه ان يمتحن نفسه بان يفرق جميع كسبه على
العيال اولا ولا يدخر لنفسه شيا من ذلك وينظر فان وجد في نفسه رايحة
اضطراب فيعلم انه غير متوكل على الله وانما هو مدع كذاب فان القوم ما سعوا
في الرزق الا امتثالا لامر الله تعالى حتى لا تتعطل الاسباب فهمتهم امتثال
الامر لا الاعتماد على الاسباب انتهى والله تعالى اعلم انتهت مباحث الالوهية
وتوابعها فلنشرع في مباحث النبوة والرسالة وتوابعها فنقول وبالله التوفيق

المبحث التاسع والعشرون

في بيان معجزات الرسل والفرق بينها وبين السحر كالشعوذة والكهانة
وبيان استحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيخ الدجال وذكر نقول المتكلمين
والصوفية وغيرهم وتحرير مسالة ما كان معجزة لنبي جازة ان يكون كرامة لولي
اعلم ان الحق تعالى ما ارسل الرسل الا ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور
باذن ربهم وذلك انه ما بعث رسول الا في زمن حيرة وتردد بين التنزيه
والتشبيه لعقولهم فمن الله تعالى عليهم بان اقام الحق تعالى شخصا ذكر انه جا
اليهم من عند الله تعالى برسالة يبلغها حين ثم فنظروا ابالعقول المفكرة
فراوا ان الامر جايز ممكن فلم يعزموا على تكذيبه ولا راوا علامة تدل على
صدقه فوقفوا وسالوه هل جيت بعلامة من الله تعالى نعرف بها صدقك
في ارساله لك فانه لا فرق بيننا وبينك الا ذلك فجاءهم بالمعجزة فمن الناس من
امن ومنهم من كفر فعلم ان كل نبي لم يظهر له شي من الايات الا بعد اقامة
الحجة على قومه لا غير فان جميع الايات انما وقعت على يد الرسول من كونه

رسولا رفقا بالمومنين من امته وحجة على الكافرين الا ترا الى قصة الاسرا
لما خرج الى الناس صباح تلك الليلة وذكر لاصحابه ما جرى له في اسرايه وما
وقع له مع ربه كيف انكر عليه بعض الناس لكونهم ما راوا لذلك اثرا في الظاهر
انما زادهم حكما في التكليف • وانظر الى موسى عليه السلام لما جا من عند ربه
وكساه نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه فما راه احد الا عمي فكان
يمسح وجه الرائي له بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك
كان يتبرقع حتى لا يتاذى الناظرون اليه اذا راوه وقال في الباب
الثامن والثلاثين واربعماية وكان شيخنا ابو يعزى موسوي المقام وكان له
هذه الكرامة فكان لا يراه احد الا عمي وممن راى وجهه فعمي شيخنا ابو مدين
لما رحل اليه فمسح ابو مدين عينيه بثوب ابي يعزى فرد الله عليه بصره قال
الشيخ محيي الدين وكان ابو يعزى هذا في زماني ولم اكن اجتمع به لما كنت عليه
من الشغل وكان غيره من الاوليا المحمديين ممن هو اكبر منه في الحال والعلم والقرب
الالهي لا يعرفه ابو يعزى ولا غيره قال الشيخ فمن جعل الله كرامته في
قلبه فقد علا بدية من الحق وكان ممن اصطفاه الحق لنفسه فلم تعرفه الابصار
في الدنيا ومن جعل الله كرامته في الافاق وخرق العوايد استهر ضرره بين
الناس وخيف عليه الفتنة انتهى فقد بان لك ان الله تعالى ما ايد جميع رسله
بالمعجزات الباهرات الا تانيسا لانقياد قومهم اليهم اذ من شان البشر ان
لا ينقاد لبعضه بعضا الا بظهور برهان وقد حد جمهور الاصوليين المعجزة
بانها امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل اليهم
بان لا يظهر بينهم مثل ذلك الخارق كما سياتي بيانه في المبحث بعده والمراد
بالتحدي هو الدعوى للرسالة وفيما قلناه تنبيه على انه ليس الشرط الاقتران
بالتحدي بمعنى طلب الاتيان للمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وانما المراد
انه يكفي دعوى الرسالة فكل من قيل له ان كنت رسولا فاتنا بمعجزة فاظهر
الله على يديه معجزا كان ظهور ذلك دليلا على صدقه نازلا منزلة التصريح
بالتحدي قال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف واصل التحدي انه يفعل

من الحدي اي يكلف الحدا على وجه يباري فيه الحادي شخصا اخر انتهى
وخرج بقولنا مقرون بالتحدي الخارق المتقدم على التحدي وذلك
يتناول ما وجد من النبي قبل النبوة وهو المسمى عند علما الاصول ارهاصا
اي تاسيسا للنبوة من ارهص الحايط اي اسسه • وخرج بالخارق للعادة
غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم • وكذلك خرج ايضا الخارق من غير التحدي
ككرامات الاوليا • وخرج ايضا المتاخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية •
وخرج ايضا السحر والشعبذة من المرسل اليهم اذ لا معارضة بذلك فعلم
ان مرادهم بالخارق للعادة ان يظهر على خلافها كاحيا ميت واعدام جبل وانفجار
ما من بين الاصابع ونحو ذلك فان قلت فما القول فيما يظهر على يد المسيح الدجال
من دعواه الالوهية واحيا الموتى وامطار السما ونحو ذلك وجعله ذلك دليلا
على صدقه في دعواه الالوهية في غاية الاشكال وهو من اكبر القوادح فيما
قرره علما الاصول في العلم بالنبوات من استحالة المعجزة على يد الكاذب وذلك
لانه يبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه واي فتنة اعظم من فتنة يقدح
في الدليل الذي اوجب السعادة للعباد فالجواب ان جميع ما يقع على يد
المسيح الدجال ليس هو بامور حقيقية وانما هي امور متخيلة يفتتن بها ضعفا
العقول بخلاف ما يقع على ايدي الانبيا فانها امور محققة ولذلك كان صلى الله
عليه وسلم يستعيذ تشريعا لامته من فتنة المسيح الدجال فان الدجل هو التمويه
باظهار الباطل في صورة حق وما كل احد يدرك ببصره حتى يدرك الامور المموهة
ويميزها عن غيرها انما ذلك للانبيا وكمل ورثتهم فان العقول السليمة اذا
شاهدت المعجزات لم يبق عندها شك في ان ما جا به ذلك الرسول حق من عند
ربه عز وجل واما العقول الضعيفة فلم تستجب لذلك الرسول ولم تومن به
ولهذا قال الشيخ محيي الدين في لواقح الانوار نحن لا نشترط المعجزة في حق الرسول
عليه الصلاة والسلام لانها ما خرجت عن كونها ممكنة والقدرة لا تتعلق الا
بايجاد الممكنات واذا اتى الرسول بالممكن فانما يكون المعجز في ذلك عدم الاتيان
ممن ارسل اليهم بمثل ذلك الذي تحدى به الرسول مع كون ذلك ممكنا وقوعه في

نفس الامر قال انا اذا نظرنا الى الذين يسابقون بالمعجز الى الايمان فرانيا
ذلك انما كان لاستقرار الايمان عندهم فتوقفت استجابتهم على المعجز لضعف ايمانهم
واما غيرهم فما احتاج الى ظهور ذلك بل امن باول وهلة بما جا رسوله به لقوة
نصيبه من الايمان فاستجاب بايسر سبب واما من ليس له نصيب في الايمان فلم
يستجب بالمعجزات ولا بغيرها قال تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا كانما يصعد في السما انتهى وقد نظم بعض اليهود ابياتا بالشام وارسلها للشيخ
صدر الدين القونوي وطلب الجواب عنها فاجابه الشيخ رحمه الله بقول هذه الابيات

ايا علما الدين ذمي دينكم … تحير دلوه باوضح حجتي
اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم … ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب دوني فهل الى … دخولي سبيل بينوا الى قضيتي
قضا بضلالي ثم قال ارض بالقضا … فما انا راض بالذي فيه شقوتي
فان كنت بالمقضي يا قوم راضيا … فربي لا يرضى بشوم بليتي
وهل لي رضي ما ليس يرضاه سيدي … وقد حرت دلوني على كشف حيرتي
اذا شا ربي الكفر مني مشية … فها انا راض باتباع المشية
وهل لي اختيار ان اخالف حكمه … فبالله فاشفوا بالبراهين علتي

فاجابه الشيخ رحمه الله بقول هذه الابيات

صدقت قضى الرب الحكيم بكلما … يكون وما قد كان وفق المشية
وهذا اذا حققته متاملا … فليس يسد الباب من بعد دعوة
لان من المعلوم ان قضاه … بامر على تعليقه بشريطة
يجوز ولا ياباه عقل كما ترى … حدوث امور بعد اخرى تاتت
كما الري بعد الشرب والشبع الذي … يكون عقيب الاكل في كل مرة
فليس بيدع ان يكون معلقا … قضا الاله الحق رب البرية
بكفرك مهما كنت بالكفر راضيا … تعاطي اسباب الهدى مع حكمة
فمن جملة الاسباب مما رفضته … مع الامن والايمان لفظ الشهادة
فانت كمن لا ياكل الدهر قايلا … اموت بجوعي اذ قضى لي بجوعتي

انتهى فليتامل الجواب ومن فتح الله عليه بجواب اوضح منه فليلحقه بهذا الموضع
وقد تقدم في مبحث خلق الافعال ان هذه المسالة من اشكل الامور فراجعه والله اعلم
وقال في كتاب سراج العقول للشيخ ابي طاهر القزويني رحمه الله ما نصه اعلم
ان البرهان القاطع على ثبوت نبوة الانبيا هو المعجزات وهي فعل يخلقه الله
خارق للعادة على يد مدعي النبوة مقترنا بدعواه وذلك الفعل يقوم مقام
قول الله عز وجل له انت رسولي تصديقا لما ادعاه مثاله قام انسان في ملا
من الناس بحضرة ملك مطاع فقال يا معشر الحاضرين اني رسول هذا الملك وان
اية صدقي ان الملك يقوم ويرفع التاج ~~يقوم ويرفع التاج~~ عن راسه فيقوم
الملك في الحال ويرفع التاج عن راسه عقب دعوى هذا المدعي ليس ذلك
الفعل منه ينزل منزلة قوله صدقت انت رسولي قال وانما يراعى في ذلك
ثلاثة امور الفعل الخارق للعادة واقترانه بالدعوى وسلامته عن المعارضة
اذ لو رفع التاج بقول غيره او بعد ذلك بمدة لا يكون حجة لهذا المدعي فهذه
الثلاث بمجموعها برهان قاطع على دعوى المدعي الرسالة نازل منزلة التصديق
القول وهو مثل حصول العلم بساير الاشيا من شواهد المقال وقراين الحال
فان قلت اقتران المعجز بدعواه لا ينهض دليلا على صدقه لان نفس الاقتران
بالاضافة الى دعواه والى غير دعواه من طريق الاقوال والافعال بمثابة واحدة
فالجواب ان سبيل تعريف الله تعالى عباده صدق الرسل بالمعجزات كسبيل
تعريفه تعالى الوهيته بالايات الدالة عليها وذلك قد يكون مرة بالقول ومرة
بالفعل فتصديقه بالقول كقول الملايكة اني جاعل في الارض خليفة وتصديقه
بالفعل لما علم ادم الاسما كلها ثم قال للملايكة انبيوني باسما هولا ان كنتم صادقين
وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم القران ثم قال فاتوا بسورة من مثله فكما عجزت
الملايكة عن معارضة ادم عليه السلام كذلك عجزت العرب عن معارضة محمد
صلى الله عليه وسلم بالقران فدل الاسما هنا لك والقران هنا على صدق النبي
الذي هو اول الانبيا وعلى صدق النبي الذي هو اخر الانبيا فعلى هذه الصفة
صح ان المقترن بدعواه له تاثير وينتهض دليلا بخلاف الاقتران بالابعد الخلق

عنه انتهى كلام الشيخ ابو طاهر رحمه الله وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول
تعرف نبوة النبي بامور منها ان يدعوا الى طاعة الله وينهى عن معاصيه ومنها
ان لا يخالف ما يدعوا الناس اليه ويعرف هو نبوة نفسه بامور منها ان يخلق
الله له علما ضروريا يعرف انه رسول ومنها ان يظهر الله على يديه ايات
وكرامات فيضطر الى العلم انه من عند الله وان البشر يعجزون عن مثله ومنها
ان يخبره الله بما في قلبه وصدره فيضطر النبي الى معرفة كلامه اذا الغيب لا يعلمه
الا الله تعالى واعلم يا اخي ان خرق العوائد يكون على وجوه كثيرة وليس مرادنا
هذا الا خرق العادة ممن ثبتت استقامته على الشرع المحمدي والا فهو مكر واستدراج
من حيث لا يشعر صاحبه فقد ذكر الشيخ في الباب السادس والثمانين ومائة
ان من الخوارق ما يكون عن قوى نفسية وذلك ان اجرام العالم تنفعل للهمم النفسية
فيكذا اجعل الله الامر فيها وقد يكون ايضا عن حيل طبيعية معلومة كالقلفطريات
ونحوها وانها معلومة عند العلما وقد يكون نظم حروف بطوالع وذلك لاهل
الرصد وقد يكون باسما يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى
خرق عادة في ناظر عين الرائي لا في نفس الامر قال وهذه كلها تحت قدرة
المخلوق بجعل الله تعالى قال ولا يكون خرق العادة على وجه الكرامة الا لمن
خرق العادة من نفسه باخراجها عن مالوفها الطبعي الى الانقياد للشرع في
كل حركة وسكون قال وليس خرق العادة الا اول مرة فاذا عاد ثانيا صار
عادة وفي الحقيقة الامر جديد وما ثم ما يعود فما ثم خرق عادة انما هو امر
يظهر لم ير مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة وقد انحجب
الناس عن هذه الحقيقة بل ما رايت احدا اطلع عليها من اهل عصري وقد نبهتك
على ما هو الامر عليه ان كنت تعقل ما اقول فان الله تعالى اذا كان خلاقا على
الدوام فاين التكرار انتهى فان قلت فكم الاعجاز على ضرب فالجواب هو على
ضربين كما قاله الشيخ في الباب السابع والثمانين ومائة الاول يمكن صدقه فيبدي
في ذلك ان الذي هو مقدور لكم في العادة اذا اثبت به دليلي على صدق دعواي
فان الذي ارسلني يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته وكل من كان في قدرته

ذلك

ذلك يجد العجز في ذلك الوقت فلا يقدر على اتيانه بما كان قبل هذه الدعوى
يقدر عليه وهذا انفع للنفس من الصرف الضرب الثاني ان ياتي بامر لا يكون
في مقدور للبشر ولا يقدر عليه الا الله تعالى كاحيا الموتى ولكن الوصول اليه
على طريق العلم انه حي في نفس الامر عزيز لا يدركه الا اهل الكشف خاصة منا
فان راينا عصى موسى حية وعصي السحرة احيا ولم نفرق العامة بين الحياتين فلهذا
كان الوصول الى ذلك عزيزا جدا انتهى فان قلت فما المراد بتلقف عصي موسى
لما صنعوا فالجواب ان المراد به كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر والباب
الاربعين من الفتوحات انكشاف ذلك للسحرة والناس بظهور ان تلك الحيات
حبال وعصي لا حيات حين ظهرت حجة عليه السلام عليهم لان الحبال والعصي اذ
لو انعدمت لدخل عليهم اللبس في عصي موسى اكثر وايضاح ذلك ان عصي موسى
انما تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم فقط فبدت للناس حبالا لا
وعصيا كما هي في نفس الامر هذا تلقفها وذلك كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه
ويظهر بطلانها ولو انه كان المراد بتلقفها انعدام الحبال والعصي كما توهمه
بعض المفسرين لدخل على السحرة الشبهة في عصي موسى والتبس عليهم الامر وكانوا
لم يومنوا فتنبه يا اخي لذلك فان الله تعالى يقول تلقف ما صنعوا وما صنعوا
الحبال والعصي بسحرهم وانما صنعوا في اعين الناظرين صور الحيات من الحبال والعصي
وعلى ما توهمه بعضهم يكون ان المعنى الذي جا به موسى من قبيل ما جات به السحرة
الا ان سحره اقوى من سحرهم فان قلت فما سبب خوف موسى من عصاه حين ظهرت
في صورة حية فالجواب انما خاف موسى من عصاه لعلم السحرة ان ذلك ليس سحرا منه
فان احدا لا يخاف من فعل نفسه لانه يعلم انه لا حقيقة له في نفس الامر
فان قلت فما وجه من قال ان من سحر غيره فقد كفر فالجواب ان في ضمن السحر
الكفر لان الارواح الكائنة هي المعينة له على السحر وانما يجيبه اذا خرج عن دين
الاسلام فان قلت فلم سمي السحر سحرا فالجواب لانه ماخوذ من السحر الذي هو الزمان
وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو نهار
لعدم طلوع الشمس وكذلك هذا الذي يسمى سحرا يكون الحا ماهو باطل محقق

فيكون عدما فان العين ادركت امرا لاشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود
في عينه فانه ليس هو في نفس الامر كما تشهده العين وبطنه الرائي والله اعلم فصل
ان معجزة كل نبي انما تكون بحسب ما هو غالب على قومه كما اتى موسى عليه السلام
بما يبطل السحر لما كان السحر غالبا على قومه وكما اتى عيسى عليه السلام بابرا الاكمه
والابرص لما كان الطب غالبا على قومه وكما اتى محمد صلى الله عليه وسلم بالقران الكريم
المعجز بفصاحته كل بليغ ومصقع فصيح لما غلب على قريش التفاخر بالفصاحة والبلاغة
فان قلت فقد شرطتم في المعجزة ان تكون فعلا كما مر ثم ادعيتم ان القران معجزة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان القران كلام الله والكلام عندكم صفة
من صفات الذات كالعلم والقدرة فلو جاز ان يكون صفة الكلام معجزة لجاز
ان يكون صفة العلم والقدرة معجزة فالجواب كما قاله الشيخ ابو طاهر القزويني
رحمه الله انه لا يخفى ان المعجز حقيقة انما هو الله تعالى فانه خلق العجز والقدرة
وانما سمي الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسع والمجاز لا على الحقيقة
لكن نظر الى صاعقة نزل من السما فيقول انظروا الى قدرة الله تعالى وانما
هي من اثار قدرته وذلك ان العجز انما يكون عن مقدور عليه وليس احيا
الميت مثلا من مقدور البشر حتى يقال ان فلانا عجز عن احيا الموتى ولا نسان
يحس من نفسه عدم القدرة على ذلك وعدم القدرة ليس بعجز كما ان عدم العلم
ليس بجهل اذ الجدار مثلا عادم العلم وليس بجاهل لانه فاقد شرط العلم
والجهل معا الذي هو الحياة والعامة يعبرون عن عدم القدرة بالعجز وهو
وهم وتخييل لان العجز لابد ان يقارن المعجوز عنه كالقدرة تقارن المقدور
عليه فصل مما قررناه ان مرادهم بقولهم ان القران معجز ان نظمه وتاليفه
على هذه الهيئة العربية والاساليب العجيبة هو فعل الله تعالى وذلك معجز
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس مرادهم ان كلام الله تعالى الذي هو صفته
القايمة بذاته معجز وقد اعجز الله تعالى جميع الخلق عن الاتيان بمثله كل
ذلك دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ولفظ القران في العربية يطلق على
القراة والمقرو كما قدمناه في مبحث اسمه تعالى المتكلم والله اعلم ثم اعلم ان جمهور

العلما قايلون بان ما كان معجزة لنبي جاز ان يكون مثله كرامة لولي من ساير
الخوارق وانما مبالغ الكرامة اجابة دعوة او موافاة ما في بادية لا ما فيها
عادة ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادة قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع
والثمانين ومايه من الفتوحات وهذا الذي قاله الاستاذ هو الصحيح عندنا الا
اني اشرط شرطا اخر لم يذكره الاستاذ وهو انا نقول لا يجوز ان تكون المعجزة كرامة
لولي الا ان يقوم ذلك الولي بذلك الامر المعجز على وجه التصديق لذلك النبي
دون ان يقوم به على وجه الكرامة لنفسه فلا يمتنع من ذلك كما هو مشهور
بين الاوليا اللهم الا ان يقوم ذلك الرسول في وقت تحديه بمنع وقوعها في ذلك
الوقت خاصة او في مدة حياته خاصة فانه جايز ان يقع ذلك الفعل كرامة
لغيره بعد انقضا زمانه الذي اشترطه واما ان يطلق ذلك النبي ولم يقيد
فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى قال اليافعي اليمني رضي الله عنه ولا
يرد على قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبي الى اخره القران للزوم التحدي به فلا
يجوز وقوع مثله لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف الكرامة فان
قلت ما الفرق بين الكرامة والمعجزة فالجواب الفرق بينهما ظاهر وذلك
انه اذا توقفت الاجابة على المعجزة يجب على النبي ان يتحدى بها ويظهرها بخلاف
الكرامة لا يجب على الولي اظهارها لانه انما يدعو الحكم التبع لشرع نبيه الثابت
عنده فلا يحتاج الى دليل ودعوى بخلاف النبي وكان اليافعي رضي الله عنه
يقول يجب على الولي اخفا الكرامة الا عن ضرورة واذن او حال غالب لا يكون
له فيه اختيار ولا تعمل او يكون لتقوية يقين بعض المريدين كالذي عزف
عسلا من الهوى ووضعه بين يدي مريده انتهى ٠ وقد فرق الايمة بين المعجزة
والكرامة بفروق كثيرة غير ما ذكرناه فقال بعضهم من الفرق بينهما ان المعجزة
تقع عند قصد النبي وتحديه واما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولي
وقال بعضهم يجوز ان تقع الكرامة بقصد الولي وانما الفرق الصحيح بينهما ان
المعجزة تقع مع التحدي والكرامة لا يتحدى بها الولي وقال بعضهم يجوز
للولي ايضا ان يتحدى بالكرامة على ولايته اذا راى في ذلك مصلحة ونصيحة

للحق حتى يهديهم الى الحق وانما الفرق الصحيح بينهما هو ان ما كان معجزة للنبي لا يكون
كرامة للولي وقال بعضهم يجوز ان يكون للولي ايضا من الكرامة ما كان
معجزة للنبي وانما الفرق الصحيح هو ان المعجزة لا تكون الا بعد دعوى ولا يكون
مع السكوت معجزة والكرامة يجوز ان تقع مع كلامه ومع سكوته معا وهذا
القدر من الفروق كان وحقيقة ذلك ان الولي اذا ادعى بفعل خارق للعادة
انه ولي فان ذلك لا يقدح في معجزة النبي بخلاف ما اذا ادعى بمثل ذلك الفعل
على انه نبي فانه يكذب في دعواه والكاذب لا يكون وليا لله تعالى فلا يصح ان
يظهر على يديه ما يظهر على ايدي الانبيا والاوليا قال الشيخ ابو طاهر وهو
فرق ظاهر ومعنى قول المشايخ المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا
يظهر على ايدي الاوليا حين دعواهم النبوة لانها لو وجدت عند ذلك لانقلب
الصدق كذبا وهو محال انتهى فان قلت هذا الفرق بين المعجزة والكرامة
فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة فالجواب كما قاله الشيخ ابو طاهر رحمه الله
ان الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه ان المعجزة تبقى هي او اثرها بعد النبي زمانا
والسحر سريع الزوال واما الفرق بين المعجزة والشعبذة هو ان المعجزة يظهرها
النبي على روس الاشهاد وعظما البلاد والشعبذة انما يروج امرها على الصغار
وضعفا العقول وجهلة الناس قال القزويني رحمه الله وقد اختلف الناس
في السحر واثره فقيل انه يمكن به تبديل الصورة فيقلب الانسان كلبا او [illegible]
او حمارا قال والظاهر ان مثل هذه خرافات العوام واسمار النسا والاطفال في
ذكر البرنجيات والفلفطريات في كتاب سراج العقول قال والسحر في اللغة
اراءة الباطل في صورة الحق ومنه قيل السحر للفجر الكاذب واما الشعبذة
فهي منسوبة الى رجل اسمه شعباذ وهو معرب اوصله خفة الايد في تقليب
الاشيا والسحر عندنا حق على معنى انه ثابت واقع وانكر المعتزلة والروافض
والدهرية السحر والدليل على صحته اجماع الاسلام سلفا وخلفا واجماع اهل
الكتاب من الهند والروم والفرس واية القران ناطقة بذلك وقال الشيخ
محيي الدين في الباب الاحد والسبعين ومايتين في قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون

به بين المرء وزوجه اعلم ان الله تعالى ما ذكره التفريق وذم فاعله بدا
الا الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى ان الافتراق لا بد منه لكل مجموع
مولف لحقيقة خفية شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا تحت الاذن في جميع
افعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشيطان ومع هذا فقد ورد ابغض
الحلال الى الله تعالى الطلاق وذلك لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبايع
ظهر وجود التركيب وبعدم الايتلاف كان العدم وكان تعطيل الاسما الالهية
عن التاثير في اهل حضرتهما فلاجل هذه الرايحة كره التفريق بين الزوجين لعدم
الاجتماع انتهى فان قلت فما الفرق بين المعجزة والكهانة فالجواب ان الفرق بينهما
هو ان المعجزة فعل خارق للعادة مقرون بالتحدي يقوم مقام تصديق الله تعالى
للنبي بالقول كامره واما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق
وربما تخالف والنبي لا يكون قط الا كامل الخلق والخلق واما الكاهن فيكون مختل
العقل ناقص الخلق موفقا فان ادعى النبوة بكهانته فربما قابله بدعواها كاهن اخر
فلا يوجد الفرق بينهما البتة بخلاف النبوة فان النبي اذا تحدى بالمعجزة وقابله
مدعي كاذب لا يجوز ان يظهر له معجزة الصادق وقد قدمنا ان المعجزة تصديق
الله للصادق فكيف تكون تصديقا للكاذب والله تعالى لا يصدق الكاذب والله
اعلم فان قلت فما وجه استحالة المعجزة على يد الكاذب فالجواب وجه ذلك
ان الناس قد استبقوا القول في استحالة المعجزة على يد الكاذب فكان ذلك كالاجماع
على استحالتها فان قيل اذ جوزتم اضلال الله تعالى للخلق واغواهم فما يشعركم
انه تعالى يظهر الايات على ايدي الكاذبين اضلالا واغوا ومعلوم ان ساحة
ربوبيته تعالى بريئة من وجود ضلال الخلق وهدايتهم فالجواب انا انما جوزنا
الاضلال لنصوص القران مثل قوله يضل به كثيرا وقوله ويضل الله الظالمين
وغيرهما من الايات وانما يجوز فيما لا يودي الى المحال فان كل ما ادى الى المحال
فهو محال والمحال لا يكون مقدورا البتة وذلك من وجوه اما ان يقع على
خلاف المعلوم واما ان يناقض الدليل والمدلول فيه واما ان يلتبس الدليل
بالمدلول واما ان يودي الى تعجيز القدرة وتكذيب الحق تعالى فهذه اربعة

وجوه تودي الى المحال فلا تتعلق القدرة بها والمعجزة على يد الكاذب من جملتها لان المعجزة مقرونة بالتحدي نازلة منزلة الحق تعالى لذلك الرسول صدقت انت رسولي كما مر وتصديق الكاذب من المحال لذاته وعينه اذ كل من قال انت رسولي صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا والجمع بين كونه كاذبا وبين كونه رسولا صادقا محال والله اعلم وقد ذكر الشيخ ابو طاهر ان بعض الائمة قال اظهار المعجزة على يد الكاذب من المقدورات بناء على ان ما علم الله انه سيكون لا يخرج عن كونه مقدورا وخلاف المعلوم لا يكون مقدورا ثم الذي نقول به ان ذلك لو كان مقدورا فلا يقع ذلك قطعا كما لا ينقلب العلم جهلا واطال في ذلك في كتابه سراج العقول فراجعه ان شئت وحاصله ان شرط المعجزة ان يكون ناقضا للعادة لان العقل المعتاد يوجد مع الصادق والكاذب وان يكون في ايام التكليف لان الذي يظهر في القيامة من انفطار السما وتكوير الشمس افعال ناقضة كالزلازل والصواعق وليست بمعجزة وان تكون مقرونة بدعوى النبوة لان كرامات الاوليا عندنا جائزة وليست بمعجزة لانها لم تكن مقرونة بذلك وان يكون على وجه الابتلا لانه لو تلقن انسان سورة من القرآن ثم مضى الى قبيلة بعيدة لم تبلغهم الدعوة وتنبا هناك لم تكن معجزة والله اعلم فتامل في هذا المبحث فانه نفيس والله يتولى هداك

المبحث الثلاثون

في زمان حكمة بعثة الرسل في كل زمان وقع فيه ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام

اعلم ان الاصل في هذا المبحث قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فما عذب بعد ارسال الرسل الا من لم ينصح نفسه ممن حقت عليه كلمة العذاب والشقا الابدي قال الشيخ محيي الدين رحمه الله واعلم ان جميع الحدود التي حدها اي قدرها الرب سبحانه وتعالى في هذه الدار لا يخرج عن قسمين قسم يسمى سياسي حكمية بكسر الحا وقسم يسمى شرعية وكلاهما انما جا لمصلحة بقا اعيان الممكنات في هذه الدار وسلامتها من المفاسد فاما القسم الاول فطريقه الالقا بمثابة الالهام عندنا وذلك لعدم وجود شريعة بين اظهر اهل ذلك الزمان

فكان

فكان الحق تعالى يلقي في فطر نفوس اكابر الناس الحكمة فيجدون الحدود ويضعون النواميس في كل مدينة وجهة واقليم بحسب المزاج الذي تقتضيه طباع تلك الناحية فانحفظت بذلك اموال الناس ودماؤهم واهليهم وارحامهم وانسابهم وسموها نواميس ومعناها اسباب خير لان الناموس في الاصطلاح هو الذي ياتي بخير عكس الجاسوس فهذه هي النواميس الحكمية التي وضعها العقلا عن الهام من الله تعالى من حيث لا يشعرون لاجل مصالح العالم ونظمه وارتباطه انتهى وقال في الباب التاسع والستين وثلاثمائة اعلم انه انما يتعين استعمال النواميس الوضعية والقوانين السلطانية في ايام الفترات وذلك ليجمع الله باستعمالهم شمل العالم قال ويأجر الله تعالى كل من وضع ذلك اجرا ما من باب ان الله لا يضيع اجر المحسنين قال واما استعمال النواميس والقوانين في زمن الشرايع فلا ينبغي استعمالها الان وافقت الشرايع لانه يحرم على كل حاكم ان يتعدى شريعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وقال الشيخ ايضا في الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة اعلم ان الشرع شرعان شرع منزل الهي وشرع حكمي سياسي عند فقد هذا الشرع فلا تخلو امة عن تدبير يقوم بسياستها لبقا المصلحة في حقها سوا كان ذلك الشرع الهيا او سياسيا فان قلت فهل كان لواضعي هذه النواميس علم بانها مقربة الى الله تعالى ام لا فالجواب انه لم يكن له علم بذلك كما انه لم يكن لهم علم بان ثم بعث ولا حشر ولا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا جنة ولا نار ولا شي من احوال الاخرة جملة لان ذلك ممكن وعدمه ايضا ولا دليل لهم في احد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان نسمي نواميس حكما في كل زمان على بقا الصلاح في هذه الدار لا غير وغاية علمهم انهم انفردوا في نفوسهم بالعلوم الالهية من توحيد الله تعالى وما ينبغي لجلاله من التعظيم والتقديس وعدم المثل والتشبيه وصاروا يحرضون الناس على النظر الصحيح فكان جل استعمالهم في ذلك فلما عرفوا ذلك شرعوا في البحث عن حقايق نفوسهم حين راوا ان الصورة الجسدية اذا مانت ما نقص من اعضايها شي فعلموا ان المدرك والمحرك لهذا الجسم امر اخر زايد

عليه بحثوا عن ذلك الامر الزايد فعرفوا انفسهم وماحده لهم عقلهم
لا غير فما ورثهم ذلك ترددا بين التنزيه والتشبيه وحيرة بين اثبات المعرفة
ونفيها في حق العالم فلما اورثهم ذلك ما ذكر رحمهم الله تعالى بارسال
الرسل واطال الشيخ في الباب التاسع وثلاثين وثلاثماية فراجعه والله
تعالى اعلم واما القسم الثاني المسمي شريعة وحقيقة هو ما جا على لسان
الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم من ساير الاحكام التي ليس للعقل
فيها مدخل الا من حيث قبولها والايمان بها لا غير كما حرر في مبحث المعجزات
اذ لو استقلت الامور بامور سعادتها لكان وجود الرسل عبثا واطال
في ذلك ومعلوم قطعا ان كل انسان منا يجهل بالضرورة ماله والى اين
ينتقل كما يجهل ايضا اسباب سعادته وان سعدا واسباب شقاوته
وان شقي وذلك لجهله بعلم الله السابق فيه وبما يريده به ولماذا هو
مفتقر بالضرورة الى التعريف الالهي له بذلك ولولا ارسال الرسل ما عرفنا
الفرق بين الطاعة والمعصية ولا تميز احد من اهل القبضتين على الاخر
فعلم ان بارسال الرسل قامت حجة الله تعالى على عباده وظهرت وما
سعد من سعد الا بالقسمة الالهية وما شقي من شقي الا بها وليس للرسل
عليهم الصلاه والسلام وليس اثر في ذلك ﴿ان عليك الا البلاغ﴾ ﴿انك
لا تهدي من احببت﴾ وكذلك ليس لابليس اثر في الاضلال انما هو موسوس
للناس ان يفعله الله ما قدره عليهم وسوف يخطب في النار ويقول ﴿وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم﴾
وذلك في مكان يصدق فيه الكذوب وكذلك اذا امر الرسول امته بفعل
شي مثلا فلسان حالهم يقول هل نفعل ما قسمه الحق لهم ام لم يقسمه فلا
يسع الرسول الا ان يقول افعلوا ما قسمه لكم فاذا قالوا اهل نفعله
في الوقت الذي قسم لكم ان تفعلوه فيه ولكن سلطان الامر الالهي متوجه
عليكم ان تفعلوا ذلك في الوقت المضروب لكم شرعا لا وقت ارادة نفوسكم
وهناك تندحض حجتهم فان قلت فهل للحيوانات رسل منهم كالجن والانس

كما قيل فالجواب ليس للحيوان رسل منهم وانما ذلك خاص بالجن والانس وقد
افتى المالكية بكفر من قال ان في كل جنس من الحيوانات نذيرا منها لها فان
قلت فما تقولون في قوله تعالى ﴿وان من امة الا خلا فيها نذير﴾ وفي قوله
﴿الا امم امثالكم﴾ فالجواب ان هذا عام مخصوص بالجن والانس فانه قد ورد
في الكلاب انها امة من الامم وكذلك الفيران ولم يرد لنا دليل قاطع بان
لها نذيرا منها فاياك والغلط فان قلت فمتى ينقطع حكم التكاليف في
حق الامة فالجواب ينقطع التكليف في حق اهل الجنة واهل النار بالموت
ما عدا اهل الاعراف الى ان يخروا ساجدين يوم القيمة فترجح ميزانهم بتلك
السجدة ثم يدخلون الجنة فانه لولا ان تكليفهم باق الى ذلك الوقت ما نفعتهم
تلك السجدة ولا رجحت ميزانهم بها فان قلت فما اول وقت كان فيه
تكليف الروح فالجواب هو مكلف من يوم ﴿الست بربكم﴾ فلولا ان تكليفها
وعقلها موجود ذلك اليوم ما خوطبت ولا اجابت وعلى ما ورد في الحديث
من الامتحان للاطفال والمجانين واصحاب الفترات على لسان رسول يوم
القيمة يرسل اليهم فيقوم بعث ذلك الرسول في ذلك اليوم مقام بعث
الرسول اليهم في دار الدنيا فمن اطاعه نجا ودخل الجنة ومن عصاه وخالف
امره هلك ودخل النار ليقوم العدل من الله تعالى في عباده بعد اقامة
الحجة والله اعلم وقد رايت في كتاب سراج العقول للامام ابي طاهر القزويني
في الباب الخامس والثلاثين منه ما نصه اعلم ان الله تعالى قد خلق في جميع
الكاينات من فضله وكرمه ورحمته بعد ان لم يكن للكون اثر ولا للمكون خبر
ثم انه تعالى لما خلقهم من فضله لم يتركهم سدى هملا غافلين عما يرجع الى مصالحهم في
الامور الدينية والدنيوية ولما كان الجليل جل جلاله منزها عن المجي اليهم والنزول
عليهم ولم يكن كلامه بحرف ولا صوت حتى يسمعوا كلامه كفاحا بعث منهم اليهم رسلا
مبشرين ومنذرين ليبلغوا الى اسماع كلامه عباده وقد الم بعض الشعرا بهذا المعنى

ولما تعذر ان نلتقي ۝ وزاد النزاع وحد القدم
سعيت اليك برجل الرسول ۝ وناجاك عني لسان القلم

قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل فنعلم ان الحق تعالى من جملة فضله علينا ارساله الرسل الينا
كما انه خلقنا بفضله من العدم اذ يجب عليه تعالى شي البته فان قلت
فما حقيقة النبوة فالجواب هو خطاب الله تعالى لشخص بقوله تعالى انت
رسولي واصطفيتك لنفسي كما مر في المبحث قبله والله اعلم حيث يجعل رسالاته
فان قلت فهل النبوة مكتسبة او موهوبة فالجواب ليست النبوة مكتسبة
حتى يتوصل اليها بالكسب بالنسك والرياضة كما ظنه جماعة من الحمقى فان
الله تعالى قد حكى عن الرسل بقوله قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشا من عباده وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول
سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فالنبوة اذن محض فضل من الله تعالى
كما مر خلافا للمعتزلة ومن تابعهم في قولهم بوجوب النبوات عقلا من جهة
اللطف والحق انها جائزة عقلا واجبة تواترا ونقلا تنتهي الى المعاينة وهي
من فضل الله تعالى ورحمته وتدبيره في الملك والملكوت باوامره ونواهيه
على ما يشا كيف يشا وعلى هذا فالنبوة صفة راجعة الى اصطفا الله شخصا بخطابه
ولو بواسطة الملك ولا ترجع الى نفس ذلك الشخص الذي هو النبي حتى انه يقال
استحق النبوة لذاته واذا كانت كذلك فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم
والغفلة ومن قال ان النبوة ماخوذة من النبا وهو الخبر اذ هو مخبر عن
الله تعالى ومن مات لا يخبر نقول له حكم النبوة باق عليه ابدا حيا وميتا
كما ان حكم نكاحه كذلك وفي الحديث روحاني في الدنيا روحاني في الاخرة
وفي الحديث ايضا الانبيا احيا في قبورهم يصلون وقد افتى المالكية وغيرهم
بكفر من قال ان النبوة مكتسبة والله اعلم فان قيل هل لا ارسل الله الملايكة
فانه كان اتيان الملايكة ادعى الى الحق والاستجابة لهم وكانت الكفرة لا تقول
البشر منا واحدا نتبعه فالجواب ان هذا السوال قد سبق من كفار مكة
واجاب الله تعالى عن ذلك بقوله قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا وقال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه

رجلا

رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والمعنى في ذلك ان في الرسالة امتحان واختبار
فينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل ان يكون هل يقوم بهم دا الحسد فلا يطيعون
ذلك الرسول او يطيعونه وذلك ان الحسد موضوعه ان يكون بين الجنس الواحد فليس
بين البشر والملك حسد ولذلك طلب كفار مكة ان يكون الرسول اليهم ملكا
لعدم الحسد بينهم وبين الملك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم وايضا فان عامة
البشر لا تطيق ان ترى الملايكة باعيانهم وحقايقهم في صورهم فضلا عن اخذ
الكلام عنهم وانما يستانس الجنس بالجنس ولا عجب من ان يفزع الادمي من صورة
الملك الذي يسد الخافقين بنشر جناح واحد ولقد بلغنا ان الله تعالى
خلق في اعالي الهند واقصى بلاد الصين وجزايرها اناسا اذا ابصروا واحدا
منا خروا لوجوههم ميتين ولو ابصرنا واحد صورة احدهم لانشعبت
مرارته خيفة منه وفي القصر المشيد خلق لا يقع بصر احد منا عليهم الا رأى
عليه فمات لوقته ولقد ربطوا انسانا بالحبال وثيقة وقالوا له انظر ونحن
نمسكك فنظر اليهم فتمزع من الحبل ونزل اليهم قطعا قطعا وحديث بدء
الوحي مشهور فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوته وشهامته لما راى
الملك او لا بجبل حرا قاعدا على كرسي بين السما والارض وله صوت هايل امتلأ
منه رعبا وهوى من الجبل الى الارض وجا الى بيت خديجة وهو يقول
زملوني زملوني فعلى هذا لو بعث الله ملايكة رسلا الى عباده كفروا بهم ولم
يطيقوا لسماع كلامهم بل ربما صعقوا من هيبتهم وماتوا كما قال تعالى ولو انزلنا
ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون اي لماتوا من هيبته في الحال فقد بان لك
فايدة كون الرسول من جنس المرسل اليهم وهو تمكنهم من الاخذ عنه لاستينا سهم
بحكم الجنسية كما قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال تعالى
ايضا وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فان قلت فما
التحقيق في معنى قوله تعالى افكلما جاكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
هل جميع ما جات به الرسل مخالف لهوى النفس من كل وجه ام بعضه موافق
لهواها فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومايتين

ان الشرع لم يجي لنا الا بمساعدة الطبع فلا تدري من اين جا الانسان
المشقة والكلفة وايضاح ذلك ان الصفات التي جبل عليها الانسان
لا تتبدل فانها ذاتية له في هذه النشاة الدنيوية او المزاج الخاص فلا
يكاد يفارق الجبن والبخل والشح والحرص والحسد والتكبر والغلظة
وطلب القهر وامثال ذلك ثم انه لما سبق في علم الله تعالى ان هذه الصفات
لم تكن تتبدل جعل الله تعالى لها مصارف وامر بصرفها اليها حكما مشروعا
فان تبعت النفس تلك المصارف سعدت ونالت الدرجات العلى وجبنت
عن اتيان المحارم لما يتوقعه لها من المضرة دنيا واخرة وشحت كذلك بدينها
ان تقع في شي ينقصه وحسدت من انفق المال ابتغا مرضات الله او طلب
العلم على وجه الاخلاص وحرصت على الخير ايضا وتكبرت وتعززت بالله على
من تكبر عن امر الله واغلظت القول والفعل في المواطن التي امرها الله بها
وطلبت القهر والغلبة لمن عادى الحق تعالى وقاواه فقد بان لك ان صفات
النفس لم تتغير في حد ذاتها وانما صرفت تلك الصفات في المصارف
التي ندب الحق اليها ليحمدها ربها وملايكته ورسله وبان لك ايضا ان
الحق تعالى لم يحجر على العبد الا ما يقتضيه طبعه بالكلية وانما حجر عليه
البعض وما هلك الناس الا سلطان الاعتراض فانه الذي ادخل الالم
عليهم والمكروه ولو انهم كانوا صرفوا اغراضهم الى ما اراده لهم خالقهم
واختاره لهم لاستراحوا واطال الشيخ في ذلك فان قلت فما المراد بقوله
تعالى نور على نور يهدي الله لنوره من يشا هل نور العقل مع نور الشرع
او غير ذلك فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين ان المراد بهذين النورين
نور الشرع مع نور التوفيق والهداية فلولا اجتماع هذين النورين ما كمل
حال المكلف وذلك لان النور الواحد وحده لا يظهر له ضو ولا شك ان
نور العقل قد ظهر كظهور نور الشرع من حين ارسال الرسل عليهم الصلاة
والسلام ولكن الاعمى لا يبصر ذلك كما لا يبصر الخفاش شيا من ضوء النهار
والسلام وكذلك من اعمى الله تعالى بصيرته لا يومن بهذا العدم ادراكه

ذلك النور ولو كان نور البصيرة موجودا ولم يظهر للشرع نور ولم يدر
صاحب نور البصيرة اين يسلك ولا كيف يسلك لانها طريق مجهولة لا يعرف
ما فيها ولا ما ينتهي اليه فنعلم ان الماشي في هذه الطريق ان لم يحفظ سراجه
من الاهوا والا هبت عليه رياح زعازع المخالفة واذهبت نوره ومرادنا
بالزعازع كل شي يوثر في نور توحيده وايمانه فان هبت ريح لينة امالت
سراجه ولسانه يعني السراج حتى يحير في الطريق فتلك الريح كتابعة الهوى
في فروع الشريعة وهي المعاصي التي لا يكفر بها ولا تقدح في توحيده وايمانه
انتهى فان قلت فهل يشترط في وقوع العذاب على من خالف الرسل ثبوت رسالتهم
عنده فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين وثلاثماية نعم
يشترط ثبوت رسالتهم عنده وذلك حتى ينبني عليه وجوب امتثال امرهم
واجتناب نهيهم فان قلت فما صورة ثبوت الرسالة فالجواب ان تقوم
الدلالة الظاهرة عند كل شخص ممن بعث اليهم سوا كانت بواسطة التواتر
او باشراق نور في القلب فرب اية يكون فيها غموض او احتمال بحيث لا يدرك
معناها بعض الناس ولا يعرف وجه دلالتها فلا بد ان يكون الدليل على صحة
الرسالة واضحا في غاية الوضوح عند كل من قام له حتى يثبت عنده انه رسول
وحينيذ ان جحد بعد ما تبين وتيقن تعينت مواخذته ولذلك قال
تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولم يقل نبعث شخصا لانه لا بد
ان تثبت رسالة المبعوث عند من وجه اليه كما مر وفي هذه الاية رحمة
عظيمة للامة لما الخلق عليه من اختلاف الفطر المودي ذلك الى اختلاف
النظر وما فعل الله ذلك الا ليفتح باب الرحمة على من يريد ان يرحمه من عباده
فان قلت فما السبب الذي منع العبد من العمل بما سمعه ممن دعاه الى الله
تعالى مما يجب عليه العمل به وهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الحق تعالى قد
تفضل عليه وعفى عنه او حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله تعالى على ذلك
عدلا منه فانه تعالى قال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي فانهم
سمعوا ذلك حقيقة وفهموه لانه بلسانهم ثم قال تعالى وهم لا يسمعون اي

حكمهم حكم من لا يسمع مع كونهم سمعوا فالجواب ان قراين الاحوال تشهد بالعقوبة
لمن سمع ولم يعمل بما سمع ولكن الامكان لا يرتفع في نفس الامر في حق الموحدين
لما يعلم من سعة رحمة الله تعالى وتجاوزه عن سيات جميع الموحدين الا ان شا الحق
تعالى ولم يخبرنا الحق تعالى بحكم من قالوا سمعنا وهم لا يسمعون هل يعاقبهم ام لا
فان قلت فهل الاولى دعا الرسول بالالحاح للمدعو او من غير الحاح
فالجواب ان من شرط الداعي الى الله نفوذ البصر الى باطن المدعو فان راى
المدعو عكنه الاجابة دعاه بالالحاح والا دعاه بغير الحاح لاقامة الحجة عليه
خاصة ولذلك لم تبعث الانبيا بالامر بالتوحيد الا للمشركين فقط ٥ كما ذكره
الشيخ في اخر الباب الثاني والسبعين من الفتوحات قال وذلك لانهم ابعد
الخلق عن الله تعالى فبعثوا اليهم بالتوحيد ليهديهم الى طريق الهدى وهذا هو
سر اهداء رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن الى الكعبة مع ذكره فيها الهة
شياطين ليتبين عند العقلا العالمين بذلك ان مقامه صلى الله عليه وسلم
رد البعدا عن حضرة الله الى حضرة الله ٥ وانما اشعرها في صفحة سنامها الايمن
الذي هو ارفع ما فيها لينبه على كبريا المشركين التي كانوا عليها في نفوسهم
وايضا فان الصفحة مشتقة من الصفح فكان في ذلك اشعار من الله تعالى
ان يصفح عمن هذه صفته اذا طلب التقرب من حضرة الله تعالى وانما جعل في
رقابها النعال اشارة الى زوال الكبريا والشيطنة التي كانت في البدن
اذ لا يصفع بالنعال الا اهل الذل والهون ومن كان بهذه المثابة فما بقي
عنده كبريا تظهر واهدى صلى الله عليه وسلم من غنما وهي من الحيوان الطاهر
من الشيطنة فكان ذلك اشارة منه الى تقريب الموحدين في ترقيهم في مقامات
التوحيد فقد علمت ان من حكمة بعثة الرسل ان يردوا الشاردين عن حضرة الله
اليها ويرقوا اهلها في درجاتها والله تعالى اعلم وقال في اثار بعثة الرسل
اعلم ان من اثرها وجود القرينين اللذين هما الملك والشيطان فمن كان من
اهل الفترات فلا قرين له بل هو متصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيد ربه
خاصة فكل ما مشى فيه في ذلك الزمان من احوال الموحدين فهو فيه على

صراط مستقيم ٥ واما من كان في امة بعث فيها رسول او خلق في امة بعث فيها
رسول فان القرينين يلزمانه من حين ولادته فلماذا يقرن به هذا القرينان
وهو لم يكلف فان قلت ان المولود غير مكلف حتى يبلغ الحنث فلماذا يقرن
به هذا القرينان وهو لم يكلف فالجواب ان الله تعالى ما جعل هذين القرينين
في حق المولود لنفسه وانما ذلك من اجل تربية والديه او من كان فيهمزه القرين
الشيطاني فيبكي او يلعب بيديه فيفسد شيا مما يكره والداه فساده او غيرهما
فيكون تلك الحركة الموجودة من المولود الغير مكلف سببا مثيرا في الغير ضجرا
او سخطا كراهية لفعل الله وتقديره فيتعلق به الاثم لهذا قرن بالصغير الشيطان
لا لاجل نفسه فانه ليس له حركة نفسية ولا ربانية حتى يبلغ الحلم فان قلت
فاذا كان المولود في زمان لا شرع فيه فهل يقال ان حركته نفسية ام لا
فالجواب اذا لم يكن المولود في امة لها شرع فحركته كلها نفسية من حال
ولادته الى ان يموت ما لم يرسل اليه برسول او يدخل هو في دين النبي يتعبد به
اي دين كان مشروعا الى الله او غير مشروع وحينئذ يوكل به القرينان اذ
لم يعقل وحده ان يشرع القربات فان قلت فما حكم من يكون على مكارم
الاخلاق المعتادة في العرف المحبوبة بالطبع المذكورة بالعقل فالجواب
مثل هذا لا يحكم عليه بحكم يقطع به على الله تعالى فان العقل لا يدرك ان ثم
اخرة ولا جنة ولا نارا ولا حشر بعد الموت ولا يعرف هذا المدبر لبدنه ما هو
وانما يدرك ذلك من جهة اخبار الشارع عن الله عز وجل كما مر في مبحث المعجزات
فان قلت فهل القرينان خاصان بالجن والانس في دار التكليف او يكونان
لهما ولغيرهما حتى في الجنة فالجواب ان القرينين خاصين بالجن والانس في
دار التكليف فقط فان كل مخلوق سوى الانس والجن مفطور على تعظيم الله
والتسبيح بحمده لا يعصي الله ما امره وكذلك اعضا جسد الانسان وجسد
الجني ولكن تسبيح هولا الاعضا لا على جهة التقرب وابتغا المنزلة العظمى
بل يتنعمون بذلك كالانفاس الداخلة والخارجة كما يسبح الانس والجن
في الجنة او النار فانه لا على طريق القربة المكلف بها ولا ينتج لهم قربة لانقضاء

زمن التكليف فكل واحد من الخلق هناك على مقام معلوم في تسبيحه وتحميده
وتمجيده لكون العادة صارت هناك طبيعية يقتضيها حقيقة كل احد من رفع
التكليف والوقوع في المخالفات فلا يصير القرين يجد شيا يكسبه والله اعلم

المبحث الحادي والثلاثون

في بيان عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام

من كل حركة او سكون او قول او فعل يناقض مقامهم الاكمل وذلك لدوام
عكوفهم في حضرة الله عز وجل الخاصة فتارة يشهدونه سبحانه وتعالى وتارة
يشهدون انه يراهم ولا يرونه ولا يخرجون ابدا عن شهود هذين الامرين ومن
كان مقامه كذلك لا يتصور في حقه مخالفة قط حقيقة وانما هي مخالفة
صورته كما سياتي بيانه ان شا الله تعالى ويسمي هذه حضرة الاحسان ، ومنها
عصم الانبيا وحفظ الاوليا فالاوليا يخرجون ويدخلون والانبيا مقيمون
ومن اقام فيها كسهل ابن عبد الله التستري وسيدي ابراهيم المتبولي فانما ذلك
بحكم الارث والتبعية للانبيا استمدادا من مقامهم لا بحكم الاستقلال فافهم اذا
علمت ذلك فلنذكر لك نقول المتكلمين في مبحث العصمة ثم نقول الصوفية فنقول
وبالله التوفيق قال ائمة الاصول الانبيا عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون
لا يصدر عنهم ذنب ولا صغيرة سهوا ولا يجوز عليهم الخطا في دين الله قطعا وفاقا
للاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني وابي الفتح الشهرستاني والقاضي عياض والشيخ
تقي الدين السبكي وغيرهم فقال جماعة لا ينبغي اجرا الخلاف في الانبيا والمرسلين
ابدا وانما الخلاف في الانبيا الذين لم يرسلوا وهو كلام محتوا دبا لتوقف حجيه
السية على القول بالعصمة وايضا فان الرسول مشرع لنا بجميع اقواله وافعاله
وتقريراته فلو انه صدق عليه الوقوع في معصية ما لصدق عليه تشريع
المعاصي ولا قايل بذلك ابدا وعبارة الشيخ محيي الدين في الفتوحات ويشترط
في حق الرسول العصمة في جميع ما يبلغه عن الله عز وجل فان عصم في غير ما يبلغه
فمن مقام اخر كان يخاطب بالتاسي فيه فيصير ذلك التاسي اصلا لا يجوز عليه

فيه

فيه فعل حرام قطعا ولا فعل مكروه الا لبيان الجواز انتهى وكان امام الحرمين
رحمه الله يقول من جوز وقوع الصغيرة من الانبيا سهوا قيدها بغير الدلالة
على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف في الكيل او الوزن بتمرة حتى لا ثم لا بد ان
ينبهوا عليها على الفور واما استغفاره صلى الله عليه وسلم اكثر من سبعين مرة
كما ورد فكان لاجل الترقي في المقامات فكان يستغفر من كل مقام ترقى عنه
وثم مقام رفيع وارفع وكان الامام الجنيد يقول في حديث انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة ان المراد به انه ليغان على
قلبي بما اطلعت عليه مما يقع لامتي بعدي من المخالفات فاستغفر الله تعالى لهم
اكثر من سبعين مرة انتهى وقال جماعة من علما الاصول الانبيا الذين لم يرسلوا
معصومون قطعا من غير خلاف ومن قال فيهم غير ذلك فعليه الخروج من عهدته
بين يدي الله تعالى وبين يديهم فان بداية النبوة توخذ من بعد انتها الولاية
فمن اين يتعقل الواحد منا اسم ذنوب الانبيا وقد قالوا حسنات الابرار
سيات المقربين فافهم والزم الادب واجب على الانبيا حمد لكل من كان في حجاب
عن مقامهم واي فايدة ليجرح من عدله الله عز وجل هل يثاب احد على ذلك
لا والله بل ذلك الى الاثم اقرب وقد قال الشيخ ابو طاهر القزويني رحمه الله
في الباب الخامس والثلاثين من كتابه سراج العقول يجب تنزيه الانبيا عن
كل ما يتبادر الى افهامنا من ذكر خطاياهم فان خطاياهم لا ذوق لنا فيها وان
الله تعالى لما اصطفى الانبيا في سابق علمه للنبوة واداء الرسالة رشحهم لذلك في
مبادي امورهم وحماهم من مكايد الشيطان وصفى سرايرهم من الكدورات وشرح
صدورهم بنوره وزينهم بالاخلاق الجميلة وطهرهم عن الرجس والرذايل
كما روي في الصحيح ان جبريل عليه السلام اتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الصبيان فاخذه وصرعه وشق عن قلبه فاخرج منه شبه
علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طشت من ذهب من ما زمزم
ثم لامه واعاده كما كان قال وصورة الشق ليست مثل شق الذبح بالسكين
وانما المراد به كشف باطنه بيد جبريل من غير الم يصيبه او دم يصيبه وحاشا

صلى الله عليه وسلم من ذلك قال وهذا قريب من اخراج الله تعالى الذرية من
ظهر ادم عليه السلام بمسح اليد كما يليق بجلاله وسبب توقف العقول الضعيفة
ووقوع الاشتباه في مثل ذلك تعذر الخروج عن المالوفات وذلك قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك فلم يكن فيه بعد ذلك للهوى منفذ ولا للشيطان عليه
سبيل واطال في ذلك وقال الشيخ العارف بالله تعالى الجامع بين الطريقين
عبد العزيز الديريني رضي الله عنه لا يجوز قطعا نسبة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام الى الذنوب على حد ما نعقله نحن وان سماها الله تعالى في حقهم
معصية وخطية وذلك ان مقامهم الارفع لا ذوق لولي فيه ولو ارتفعت
درجته فضلا عن غيره من امثالنا وذلك لانهم معصومون من الوقوع في ذنوبنا
وغاية خطاياهم مثل تطرق الى مباح اولفظة راجحها رعونة ومكروه وباطنها
علم وصلاح مثل قول ابراهيم عليه السلام في معرض اقامة الحجة على قومه بل فعله
كبيرهم هذا فاسالوهم وكما وقع له من قوله اني سقيم حتى لا يخرج مع قومه الى
ما دعوه اليه من اللهو واللعب اي مائل الى السقم ونحو ذلك انتهى وقال
الشيخ في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات المكية يجب قطعا
تنزيه الانبيا مما نسبه اليهم بعض المفسرين من الطامات مما لم يجي به كتاب ولا
سنة صحيحة وهم يزعمون انهم قد فسروا قصصهم التي قصها الله عليهم وكذبوا
والله في ذلك وجاوا فيه بالكبر الكبائر وذلك كمسالة ابراهيم الخليل عليه الصلاة
والسلام وما نسبوه اليه من وقوع الشك ما بحسب ما يتبادر الى الاذهان
وما نظروا في قوله صلى الله عليه وسلم نحن اولى بالشك من ابراهيم وذلك
ان ابراهيم لم يشك في احيا الله الموتى معاذ الله ان يشك نبي في مثل ذلك
وانما كان يعلم ان لاحيا الموتى طرقا ونحوها متعددة لم يدر باي وجه
منها يكون احيا الله للموتى وهو مجبول على طلب الزيادة من الزيادة
فعين الله تعالى له وجها من تلك الوجوه فسكن ما كان عنده وعلم حينئذ
كيف يحيي الله الموتى فما كان السوال الا معرفة الكيف لا غير وكذلك في قصة
سليمان وما نسبوه الى الملكين هاروت وماروت كل ذلك لم يرد في كتاب

ولا سنة وانما ذلك نقل عن اليهود فاستحلوا اعراض الانبيا والملائكة بما
ذكروه لهم من تجريحهم انبيا الله تعالى وملوا تفاسيرهم للقران من ذلك فالله
يحفظنا واخواننا من غلطات الافكار والافعال والاقوال امين انتهى
وقال ايضا في الباب الرابع وخمسين ومائة ينبغي للواعظ ان يراقب الله
عز وجل في انبيايه وملائكته ويستحي من الله عز وجل ويجتنب الطامات
في وعظه كالقول في ذات الله بالكفر والكلام على هفوات الانبيا من غير ان
يكون وارثا لاعمالهم فلا يتكلم قط على زلاتهم بحسب ما يتبادر الى الاذهان
من الناس بالقياس على غيرهم فان الله تعالى قد اثنى على الانبيا احسن الثنا بعد
ان اصطفاهم من جميع خلقه فكيف يستحل اعراضهم مما ذكره المورخون عن
اليهود قال ثم ان الداهية العظمى جعلهم ذلك تفسيرا لكلام الله تعالى ويقولون
في تفسيرهم قال المفسرون في قصة داود انه نظر الى امراة اوريا فاعجبته
فارسله في غزاة ليموت فياخذها وكقولهم في يوسف عليه السلام انه هم
بالمعصية وان الانبيا لم يعصموا عن مثل ذلك وكقولهم في قصة لوط قوله
لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد الحجر والبحر ونحو ذلك ويعتمدون
على تاويلات فاسدة واحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا في الله ما قالوا
من البهتان والزور فمن اورد مثل ذلك في مجلسه من الوعاظ مقته الله والانبيا
والملائكة لكونه جعل دهليزا ومهما دام في قلبه زيغ يتحمل منه الى ارتكاب
المعاصي ويحتج بما سمعه منه في حق الانبيا ويقول اذا كان الانبيا وقعوا في
مثل ذلك فمن اكون انا وحاشا الانبيا كلهم عن ذلك الذي فهمه هذا الواعظ
فوالله لقد افسد هذا الواعظ الامة وعليه وزر كل من كان سببا لاستهانته
بما وقع فيه من المعاصي ولكن قد ورد انه لا تقوم الساعة حتى يصعد
الشيطان على كرسي الوعظ ويعظ الناس وهو لاجنوده الذين يتقدمونه
انتهى فان قلت فما الفرق بين العصمة والحفظ فالجواب الفرق بينهما
ان العصمة تنفي الذنوب والخطايا قطعا ولا يمكن انفكاكها بخلاف الحفظ
للولي فان العناية الربانية قد تتخلف عنه فيقع في المحظور وسمعت

بعض الاولياء يقول الانبيا معصومون من المباح لهوى نفوسهم بخلاف
الاوليا فاذا فعلوا الانبيا المباح لا يفعلونه لهوى نفوسهم وانما يفعلونه
لغيرهم على جهة التشريع انه مباح فهو واجب عليهم حينئذ يعني فعل المباح
اذ التبليغ واجب عليهم ذكره الشيخ محيي الدين في اخر باب سجود الملائكة من الفتوحات
وقد حبب لي ان اذكر لك بعض اجوبة عن بعض الانبيا
مبتدا بادم عليه السلام خاتما بمحمد صلى الله عليه وسلم فتحا لباب الاجوبة
عن ابائهم فاقول وبالله التوفيق اعلم ان ادم عليه الصلاة والسلام هو اول
فاتح لباب التوبة حين وقع على يديه ما وقع من اكل الشجرة بعد النهي
عنها فكانت معصية صورية ليعرف بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا
في النهي لانه عليه السلام هو فاتح للقبضة ولو لم يقع ذلك على يده لوقع
على يد غيره وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والثلاثين من الفتوحات
كانت معصية ادم عليه الصلاة والسلام من عين منة الله عليه لان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لا ينتقلون قط من حال الا الى اعلى منه فان الله تعالى
اجتباهم واصطفاهم بسابق العناية فلا يمكر الحق تعالى بهم ابدا قال ومن
هنا نعلم ان هبوط ادم عليه السلام وحوى الى الارض لم يكن عقوبة لهم
وانما كان عقوبة لابليس وحده فان ادم عليه السلام اهبط لصدق الوعد
السابق بان يكون خليفة في الارض بعد ما تاب الله عليه واجتباه وبعد
ما تلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فكان اعترافه عليه السلام في مقابلة
قول ابليس انا خير منه فعرفنا الحق تعالى مقام الاعتراف عند الله وما
ينتجه من السعادة لنتخذ ذلك طريقا اذا خالفنا اوامر ربنا فكان
ما وقع من ادم عليه السلام كالتعليم لبنيه اذا وقعوا في مخالفة كيف يكون
خلاصهم وتخليصهم منها كما مر واما ابليس فعرفنا الحق تعالى بدعواه الخيرية
ان كل من اتبعه في هذه الدعوى طرد من حضرة الله تعالى ولعن ورجم
لنحذر من ان نقول نحن خير من فلان فلذلك كان هبوط ابليس الى الارض
عقوبة له دون ادم ثم ما هبط ابليس الى الارض الا لاكتساب الاوزار

بخلاف ادم عليه السلام فانه هبط للخلافة والترقي في الدرجات فان
جميع حسنات بنيه في صحائفه وليس عليهم من اوزارهم شي فان قلت
ان معصية ابليس لا تقتضي تابيد الشقا لانه لم يشرك بالله شيا وانما افتخر
على ادم عليه السلام بما جبله الله عليه من الطبيعة التي هي النار لكونها اقرب
الى اسمه تعالى النور لما فيهما من الاضافة بخلاف الطين فالجواب انما جاءه
الشقا الابدي من اعتراضه على الله تعالى ونسبة فعاله الى غير الحكمة مع اضماره
في نفسه انه لو بقي ابد الابدين لوسوس للناس بالضلال فجوزي بنظير فعله
وبنيته ورجع عليه وزر كل مشرك على وجه الارض وقد قال الشيخ ابو مدين
انما خلد اهل الجنة والنار بالنيات والا فكان العدل ان يعذب الكافر
بقدر عصيانه فان قلت فهل قوله حين تبرا من الذي كفر اني اخاف
الله رب العالمين توحيد يسعد به ام لا فالجواب ليس هو بتوحيد لانه قد
يوسوس لاحد بالشرك حتى يتصوره في نفسه على الصورة التي اذا حصلت
في نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فاذا تصورها في نفسه بهذه
الصورة فقد خرج عن التوحيد ضرورة فلم يسعد فكان ابليس مشركا في
نفسه بلا شك ولا ريب ثم لو قدر ان صفة الشرك ذهبت من نفسه لم
يجد المشرك في نفسه من يحدثه بالشرك فعلم ان ابليس اول مشرك
بالله واول من سن الشرك فهو اشقى العالمين فان قلت فما الحكمة في قوله
تعالى في ادم عليه السلام عصى وفي ابليس ابى فالجواب ما قاله الشيخ
في الباب السابع والستين وثلاثمائة ان ذلك من علوم الاسرار لا يذكر الا
مشافهة لاهله فان قلت فهل ابليس يجهل شيا من شرائع الانبيا فالجواب
هو عالم بها كلها على الكمال وذلك ليوسوس للناس بضد ما امرت الانبيا به
ولولا علمه بها لربما التبس عليه الامر فامر الناس بما امرت به الرسل وذلك
لا يصح منه وقد ذكر الشيخ في باب الحج من الفتوحات ان من اغرب الامور
ان ابليس يقف كل سنة مع الناس ولكن لا يقف في عرفة وانما يقف في عرنة
وهي من عرفات فيقف يبكي على ما فاته من طاعة ربه عز وجل ويحزن على

ماقاته ولما يراه يحصل لاهل الموقف من المغفرة العامة فيقف بعرنة لعلمه
بانها من عرفة رجا ان تصيبه الرحمة من باب الامتنان لا من باب الاعمال
الصالحة قلت وانما بطرت الملايكة عن عرفة لعلمهم بان عنده معرفة
الله عز وجل ودخول المشركين في المسجد جايز في الجملة انتهى فان قلت
فما الحكمة في وقوع ادم في اكله من الشجرة ثم نزوله بعد ذلك الي الارض التي
هي دون الحضرة التي كان فيها فالجواب وقوعه في ذلك تانيس العلما والاوليا
اذا وقعوا في زلة ومحظور على مقامهم العلي وظنوا انهم نقصوا بذلك عند
الله عز وجل فيعلمون بقضية ادم عليه السلام ان ذلك الانحطاط الذي احسوا
به في نفوسهم لا نقص بمقامهم ولابد وربما يكون هبوطهم كهبوط ادم للتكريم
والحق تعالى لا يتحيز والوجود العلوي والسفلي كله حضرته فليس السما التي هبط
منها ادم اقرب الي الحق من الارض واذا كان الامر على هذا الحد فعين هبوط
الولي في عيون الناس بعد الزلة وذله وانكساره بسببها هو عين الترقي فقد
انتقل الي مقام اعلي مما كان فيه لان علو الولي انما يكون بزيادة المعرفة والحال
وقد زاد هذا الولي بحصول الذلة والانكسار من العلم بالله ما لم يكن عنده قبل
الذلة وهذا هو عين الترقي فعلم ان فقد هذه الحالة في زلته ولم يندم
ولم ينكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فهو في اسفل سافلين ونحن ما نتكلم
الا على زلات اهل الله عز وجل اذا وقعت منهم قال تعالى ولم يصروا على
ما فعلوا وهم يعلمون الاية قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقيل لابي
يزيد البسطامي رضي الله عنه ايزني العارف فقال وكان امر الله قدرا مقدورا
اي ان معصية اهل الله تعالى بحكم القدر النافذ فيهم لا غير ولا يصح في حقهم
ان يقعوا في المعاصي قط بشهوة كما يقع فيه غيرهم لان في اعينها كالحرمات الله
تعالى واهل الله تعالى محفوظون من شهوة المعاصي والتلذذ بها فان الايمان
المكتوب في قلوبهم يمنعهم من ذلك قال سيدي عليا الخواص رحمه الله ومن
حكمة وقوع العبد في المخالفة للاوامر عدم في مقام الادلال بالطاعة وعجبه
بها فان توالي الطاعات الصرف ليلا ونهارا تورث غالب الناس الزهو والعجب

وشهود

وشهود انهم خير من كثير من الناس وهذا غاية البعد من حضرة الله وما جعل
الله تعالى التكاليف الا ليذل بها النفوس بين يديه ولا يرى بها المكلف
شرف نفسه على احد من خلق الله تعالى فان ذلك ذنب ابليس الذي اخرج به
من حضرة الله عز وجل وكل من ادعى مقام القرب مع الادلال فهو كاذب انتهى
فان قلت قد ورد ان ادم عليه السلام لما اكل من الشجرة اسود جسده وقد
يتبادر الى الاذهان ان ذلك يوذن بان ادم عليه السلام اثرت فيه المعصية
نقصانا فالجواب ليس اسوداد بدنه علامة على نقصه بل هو علامة على حصول
سيادته كما ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات في الكلام
على حديث نزول الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته
خطايا بني ادم قال وكذلك القول في اسوداد جسد ادم عليه السلام
لما اكل من الشجرة يدل على سيادته وكذلك الحجر الاسود لما خرج من الجنة
وهو ابيض فلابد من اثر يظهر عليه يعرف به سيادته في دار الدنيا
اذا رجع الي الجنة ويتميز به عن اقرانه ويظهر به عليه خلعة التقريب
الالهي في جعله يمين الله في الارض ولم يكن من الالوان ما يدل على السيادة
الا اللون الاسود فكساه الله لون السواد اعلاما لنا بانه صار سيد الحجر
من الجنة الي الدنيا قلت ولعل من هذا القبيل جعل ستر الكعبة اسود
وكذلك عمايم الخلفا بني العباس وغيرهم ولعل ذلك هو سر لبسه صلى الله عليه
وسلم العمامة السودا يوم فتح مكة اظهار السيادة على الخلق من باب
التحدث بالنعمة فعلم ان معنى قوله في الحديث القدسي فسودته خطايا
بني ادم اي جعلته سيدا بتقبيلهم اياه وكذلك القول في اسوداد جلد ادم
لان هبوطه الي الارض كان هبوط خلافة للتناسل والترقي فان قلت
فما الوجه الجامع بين سواد الحجر وجلد ادم وبنيه فالجواب قلنا وجه الا
والسيادة فكان تقبيل الحجر بسبب الاجتبا والاصطفا لادم وبنيه بسبب
خطاياهم فان قلت فلم امر الناس بالسجود على هذا الحجر وتقبيله والتبرك
به فالجواب انما امروا بذلك ليكون كفارة لهم من خطاياهم وظهرت سيادته بذلك

وحصل به تمييز القيام بآداب العبودية والمخل بالقيام بها فان بني
آدم ربما زهوا بالصورة التي خلقوا عليها وبالكمالات التي خلعها الحق عليهم
على ما سواهم فامرهم الحق تعالى بالسجود الى جهة الجمال الذي هو الكعبة مع انه
انقص رتبة منهم فمنهم من اطاع فرضي الله عنه ومنهم من عصى فسخط الله
عليه فان قلت قال القوم ان حصول المعرفة لله عز وجل للعبد تمنعه
من الوقوع في معصية الله وآدم عليه السلام من رؤوس العارفين بالله عز
وجل فكيف وقع في اكله من الشجرة فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السابع
وماتين ان المعرفة تمنع العارف بلا شك ولكن اذا اراد الله تعالى ان يوقع
احدا من الاكابر فيما قدر لحكمة سبق بها علمه فلا بد ان يزين الله تعالى له
الوقوع في ذلك بتاويل صحيح يقع له فيه وجه الحق ولا يقصد بذلك العمل
انتهاك الحرمة كما وقع لآدم عليه السلام ثم اذا وقع ذلك المقرب في المعصية
بذلك التاويل اظهر الله فساده فاذا تحقق بعد الوقوع علم انه عصى فعند
ذلك يحكم عليه لسان الشريعة بانه عصى ويشهد على نفسه عند نفسه انما
عصت واما في حال وقوع الفعل منه فلا لاجل شبهة التاويل فهو كالمجتهد
في زمان فتواه بامر ما اعتقادا منه انه عين ذلك الحكم المشروع في
المسالة وفي ثاني الحال يظهر له بالدليل انه اخطا فيكون لسان الظاهر
يحكم عليه انه اخطا في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فان قلت فهل
يكون عقوبة العارفين بالله عز وجل على الذنب اشد ام عقوبة الجاهلين
فالجواب ان عقوبة العارفين بالله عز وجل اشد لشدة اعتناء الحق تعالى بهم
وربما كانت زلة العارف ترجح على سبعين زلة من زلات الجاهل ولو لم يكن
من عقوبة العارف الا ما يحصل عنده من الاستحيا والخجل لكان ذلك كفاية
بل ربما كان ذلك الخجل اشد على العارف من العقوبة الظاهرة كما ان المغفرة
اشد عليهم من العقوبة وذلك لان العقوبة جزاء فيجد العبد الراحة عند
الاستيفاء منه فهو في منزلة من ادى دينه والغفران ليس كذلك فلا
يزال العارف ذا خجل وحياء مدة طويلة وذلك اشد من العقوبة الشديدة

في يوم وتنقضي كما قال تعالى والفتنة اشد من القتل ولهذا المعنى الذي ذكرناه
كان الحق تعالى اذا اعتنى بعبده وغفر له ذنبه احال بينه وبين تذكره
وانساه اياه لانه لو تذكره واستحيا ولا عذاب على النفوس الطاهرة الشريفة
اعظم من ان ينعى عليها من هي مسيئة في حقه حتى ان صاحب الحيا يود انه لم يكن
شيا مذكورا كما قالت الكاملة يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا
مع انها كان حياها انما كان من المخلوقين حين نسبوا اليها ما لا يليق بها
ولا بابيها وامها كما اشار اليه قوله تعالى ما كان ابوك امرا سوء وما
كانت امك بغيا فبراها الله تعالى مما نسب لاجلها لا لاجل ما نالها من عذاب
الحيا من قومها فكيف بالحيا من رب العالمين فيما تحققه العبد من تعدي
حدوده ومجاهرته بالمعاصي فان قلت فهل يلزم من كون الحق تعالى
ينسي عبده سياته ان تكون بدلت حسنات كما اشار اليه قوله تعالى
فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات فالجواب لا يلزم ذلك ولكن قال بعض
العارفين ان في نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله بانه بدله
سياته حسنات فان من علامة التبديل نسيان الذنب وذلك ان الذنب اذا
بدله الله بحسنات لم يبق للذنب صورة في وجود من الوجودات الاربع ويؤيد
ذلك قول بعض العارفين كل ذنب لم يذهب من ذهن الانسان فليحدث له
توبة جديدة فانه الى الان لم يبدل وليكثر من الاستغفار طول عمره فوالله
ما خلقنا الا لامر عظيم وسمعت سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول
انما انسى الله تعالى خواص اوليائه ذنوبهم رحمة بهم لان العبد كلما تذكر ذنبه
فكانه يجعل بينه وبين الله تعالى صورة قبيحة تؤذن بالبعد ولهذا
قالوا ذكر الجفا في وقت الصفا جفا انتهى وسمعت اخي افضل الدين
رحمه الله يقول لما انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر كان ذكر الذنب عليه اشد من الذنب لصفاء
الحضرة التي كان فيها على ان تلك الذنوب لا يتعقلها مثلنا كما مر لانها
ذنوب بالنظر لمقامه الشريف من باب حسنات الابرار سيات المقربين

كما بلغنا ان شخصا من العارفين مر على جدار فانتحب عنده من البكا
فقيل له ما سبب هذا البكا فقال وقع لي انني تيممت من ترابه بغير
اذن صاحبه وهذا الذنب لا يكاد يبكي عليه احد الان من صالحي زماننا
فضلا عن غيرهم قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع وماتين من
الفتوحات من حين نزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وتالم النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر الذنب ما نزل عليه قط جبريل
الا في صورة دحية وكان قبل نزول هذه الاية ينزل عليه في اي صورة
شا وكان دحية اجمل اهل زمانه فكان الحق تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه
وسلم بلسان الحال ما بيني وبينك الا صورة الجمال والحسن لانك اعظم حبيب
وفي اداب الملوك انه ينبغي للوزرا ان لا يكون في احد منهم عاهة من
برص او جذام او تشويه خلقة وان لا يحضروا قط بين يديه احدا في
بدنه عاهة بل يقضون حاجته من غير ان يوقفوه بين يدي السلطان
فافهم وكان من جمال دحية انه ما راته امراة حامل حين دخل المدينة الا
القت ما في بطنها لما ادركها في نفسها من شهود ذلك الجمال البديع وانما
لم تلقي الحوامل ما في بطنها عند روية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه
اجمل من دحية بلا ارتياب لانه مشرع والناس مامورون باتباعه
ولا يكون الا برويته فستر الله تعالى جماله عن غالب الناس رحمة بهم بخلاف
دحية لم يومر احد برويته فان قيل ما صورة تبديل السيات بالحسنات
هل تصير نفس المعصية التي وقعت حسنة في صحيفة العبد ام يصير العبد
يطيع الله تعالى بعد ان كان يعصيه فالجواب كما قاله بعض اهل الكشف
ان صورة التبديل ان يمحي اسم السيئة من الصحيفة ويكتب مكانها حسنة تشاكلها
فان كانت المعصية كبيرة كتبت مكانها حسنة كبيرة او كانت صغيرة كتبت
مكانها حسنة صغيرة وهذا الامر من اعظم عنايات الله بالعبد ان صح لانه
يعطي النفس حظها في الشهوات الدنيوية ثم يكتب الله له في صحيفته اعمالا
صالحة لم يعمل عنها فعلم انه تعالى اذا بدل سيات العارف حسنات راى

ذلك

ذلك من اكبر النعم عليه فان قيل فهل يصح ان يعصي احد ربه من الخواص على
الكشف والشهود اذا راى في اللوح المحفوظ ما قدره الله عليه فالجواب
لا يصح ذلك لعارف ابدا الا ان المخصوص عاكف بقلبه في حضرة الاحسان على
الدوام ولو قدر انه فعل معصية على الكشف لا يشهد الحق تعالى الا غير
راض عنه في ذلك الفعل فان قيل قد تقدم قول ابي يزيد حين سيل
ايعصي العارف فقال وكان امر الله قدرا مقدورا فجوز وقوع العارف في
ساير المعاصي فالجواب وهو كذلك مجاز ان يكفر بعد ايمان فضلا عن المعاصي
الاسلامية كما وقع لابليس فانه عصى بعد معرفته بالله عز وجل وانما جوز
ابو يزيد ذلك وعدمه ادبا مع الله تعالى ان يحكم عليه بشي معين كما ترا اول
المبحث اي ان كان الله تعالى قدر على العارف المعصية فلا بد من وقوعه
فيها لكن مع الحجاب بتاويل او تزيين او غفلة او سهو كما اشار اليه حديث
اذا اراد الله انفاذ قضايه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم الحديث
يعني العقول الذاكرة انها بين يدي الله عز وجل حال عصيانها لا عقول
التكليف فاياك والغلط والله اعلم فان قلت قد قال الحق جل وعلا
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وادم عليه السلام من عبيد الاختصاص بيقين
فكيف كان ابليس واسطة في اكل ادم من الشجرة فالجواب ان ابليس
لم يات ادم من باب المعصية وانما دلاه بغرور ومن ذلك حلفه لادم عليه
السلام بالله تعالى انه له من الناصحين ومنها انه قال له انما نهاك عن قرب
الشجرة لا عن اكل ثمرها ومنها كما هو مشروح في الاجوبة عن ادم عليه السلام
فما اتاه من صورة ما نهاه عنه وانما اتاه من صورة ما لم ينه عنه الذي هو
الاكل ، وايضاح ذلك ان ابليس اذا اراد اغوا عبد وراى وجه العصمة
او الحفظ محيطا به تجسد له في صورة انسان مثله فيتخيل ذلك الولي مثلا
انه انسان لا شيطان وياتيه بالاغوا من قبل اذنه فيدخل عليه فيما حجر
عليه تاويلا ادناه ان يقول له ان الله غفور رحيم وهل رحمته الا للمذنبين
وقال نبيكم شفاعتي لاهل الكباير من امتي فاذا اصغى اليه يقول له افعل

فان مثلك لا يضره الذنب الا اذا كان دليله لا يحتمل التاويل وقد
احتمل دليل هذه المعصية التاويل وذلك ان ابليس يعلم ان الانسان العاقل
لا يقدم على معصية الله ابدا دون وسوسة بالتاويل والتزيين فاذا اعطاه
ابليس هذا الاصل صار العبد من اهل الاجتهاد في وقوعه في الذنب او تركه
فان اخطا فله اجر فلم يتم للشيطان مراده من ذلك العبد المحفوظ ما دام
العبد ذاكرا قول ابليس فان نسي ما قاله ابليس وقع ضرورة كما وقع لادم
عليه السلام ٭ قال الشيخ محيي الدين وانما اكل ادم وحوى من الشجرة لان قلوب
الاصفيا صافية لا تعتقد ان احدا يكذب عليهم ولكن من عنا يته الله تعالى
بادم عليه السلام ان ياكل الاكلة اعقبته الخلد في الجنة وملكا لا يبلى على
رغم ابليس لكن من غير ما قصده هو لادم انما كان قصده له ان يقع في الذنب
ولا يتوب منه فتاب الله على ادم والتايب من الذنب كمن لا ذنب له فان
قلت فهل يمكن ان يكون ابليس قصد بقوله لادم هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى الخير الذي آل امر ادم اليه فان ابليس لن يعين وقتا
فالجواب لا يصح من ابليس قصد ذلك ابدا لانه ليس له خير الى ادم وذريته
البتة وانما الله تعالى يرد وسوسته خايبة لحسن العاقبة لاوليايه مثلا
فيجتبيه ويصطفيه ضد من عصى ممن كان في ظهره من ذريته الذين هم اهل
الشقا لان ظهره كان كالسفينة لساير اولاده وكان الشيخ ابو مدين التلمساني
يقول لو كنت مكان ادم لاكلت الشجرة كلها ٭ وفي رواية اخرى لو علم
ادم حين اكله من الشجرة ما يوول امره من الخير لاكل الشجرة كلها انتهى وقد
بسط الشيخ الكلام على حديث فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فنسيت
ذريته في الباب الخامس وثلاثماية فراجعه ترى العجب في غرايب تلك
العلوم وقد سنح لي ان اضرب لك مثلا تعلم به يقينا تنزيه ادم عليه
الصلاة والسلام من المعصية المحضة كما يقع فيه غيره وتقوم ببعض واجب
حق ابيك عليه الصلاة والسلام فاقول وبالله التوفيق اعلم ان الله سبحانه
لما قضى في سابق علمه بالسعادة لقوم والشقاوة لقوم ولم يبد ذلك

القول لديه فلا بد من فاتح يفتح القبضتين ٭ فكان ابليس فاتحا القبضة
الشقا ٭ وادم عليه السلام فاتحا القبضة السعادة ٭ فابليس شقي ٭ وادم
سعيد هو وذريته الذين اقتفوا اثاره في التوبة والاعتراف فان ادم
مع علمه بان ما وقع فيه كان بقضاء وقدر اعترف بذنبه وقال ربنا
ظلمنا انفسنا واضاف الذنب الى نفسه ليعلم بنيه كيف يخرجون اذا وقعوا
في معصية عن الاثم ولا يصرون على المعاصي من غير توبة ولا اعتراف كما وقع
فيه ابليس وجنوده من الجن والانس فكان حكم ادم عليه السلام فيما وقع له مع
الحق جل وعلا حكم عبد قال له الحق تعالى فيما بينه وبينه اني اريد ان اظهر
في هذا الوجود ما كان مكنونا في علمي وتحكم اسمايي في اهل حضرتهما من السعدا
والاشقيا وتظهر حجتي على عبادي قبل ان اخرجهم من جواري فان علمي سبق بذلك
وانا كريم وحاشا الكريم ان لا يخرج احدا من جواره الا بحجة ظاهرة تقام بين
المحجوبين عليهم عن سماع ما قلته لك من سري فاذا قلت لك لا تقرب هذه الشجرة
فاعلم اني قد اذنت لك في القرب منها فاقرب لاقيم عليك الحجة واخرجك الى
دار خلافتك وترقيك بالاعمال فان هذه الدار التي انت فيها لا تكليف فيها
ولا ترقي لاحد باعماله كما هي اعمال اهل الجنة التي يوول امر المومنين اليها
بعد يوم القيمة سوا فلا يسع العبد صاحب هذا السر الا ان يبادر الى
ما اذن له فيه سيده سرا من وراء المحجوبين ولم يكن ذلك معصية الا عند
المحجوبين عن سماع ذلك السر الذي اسره الحق لادم عليه السلام واما الحاضرون
السامعون ذلك فليس ذلك معصية عندهم فان الاذن من الحق في فعل شي والامر
به واحد في تلك الحضرة ٭ كما صرح به الشيخ في الباب الثالث والسبعين في
الجواب الثامن والثلاثين من اسيلة الحكيم الترمذي وانما فرق بينهما في لسان
ظاهر الشرع فقط فان الامر غير الارادة في احكام الشريعة اذ الامر هو الحث
على الفعل بخلاف الارادة الكنفي الحق تعالى فيما يلجا العبد في الباطن الى وقوع
ذلك الفعل من غير ان يامره بذلك ان الله لا يامر بالفحشا فافهم وكان
الشيخ ابو مدين يقول قول بعض العارفين ما فعلت الشي الفلاني الا باذن

من الله تعالى مراده الاذن هنا الارادة الازلية انتهى فعلم ان في نداء
الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية نفعا عظيما لذريته المحجوبين الذين
يتعدون حدود الله فيتاسون بابيهم في الندم والاستغفار والاعتراف فلم
تكن تلك المعصية مقصودة لآدم عليه السلام بالاصالة كما هي ذنوب الغاوين
من ذريته وانما بكى آدم عليه الصلاة والسلام مع اذن الحق تعالى له في اكله
من الشجرة سترا على ما مر في كلام ابي مدين تشريعا لذريته فكان بكاؤه صوريا
فان قلت فلم لم يفتح آدم عليه السلام قبضة السعادة بالطاعة الصرف
دون وقوعه في المعصية ثم توبته منها فالجواب انما كان الامر من بعد
وقوع المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله تعالى ورحمته وحلمه على
عباده الذين سبق في علمه انهم يقعون في معاصيه تعالى ولو انه فتح قبضة
السعادة المحضة لتعطلت حضرات كثير من الاسما الالهية المتعلقة بالعالم
المخالف اذ الطبايع لا يحتاج الى مغفرة ولا رحمة ولا حلم لعدم من يرحم
او يغفر له او يحلم عليه ٥ ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
واتى بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم فاعلم ذلك والله اعلم

واما الجواب عن السيد نوح عليه الصلاة والسلام

في قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فانما دعى عليهم بذلك
رحمة بهم خوفا ان يشتد عليهم غضب الله عز وجل اكثر مما كانوا عليه وقد
امرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول احدنا اذا خاف من وقوعه في
فتنة اللهم توفني اذا كانت الوفاة خيرا لي فلم يكن دعاؤه على قومه من غضب
نفسي حاشا الانبيا من ذلك قال الشيخ محيي الدين ليست دعوة نوح التي
يعتذر بها يوم القيمة قوله لا تذر على الارض انما هي قوله ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا لكونه تحكم على الله بما لم يعرفه ولم يزل الحق تعالى يربي انبياءه بادب
بعد ادب قال صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت ادبني ربي فاحسن تاديبي

واما الجواب عن السيد ايوب عليه الصلاة والسلام

في جمعه الذهب في ثوبه لما امطر الله تعالى عليه رجلا من جراد من ذهب وقال

له ربه الم اكن اغنيتك عن هذا فقال بلى يا رب ولكن لا غنا لي عن خيرك
وبركتك فالجواب ان اكابر الاوليا فضلا عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لا ينقص مقامهم اخذ الدنيا وامساكها فان كان ايوب عليه السلام جمع الذهب
لما هو عليه من ظاهر الحال فهو صحيح مع انه قانع بلا شك لان القناعة عند
اهل الله تعالى ليست هي الا الاكتفا بالموجود من غير طلب مزيد وان كان فعل
ذلك ليقتدي به قومه فما فعل الا ما هو الاولى بالقربة الى الله تعالى من
تركه لاسيما وايوب عليه السلام ممن هدى الله وممن امر الله نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم ان يقتدي بهداهم ٥ وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
فقد رجعت القناعة بهذا التقرير الى بابها في لسان العرب وهي المسالة
فان القانع هو السايل لكن من الله لا من غيره ٥ قال الله تعالى في الظالمين يوم
القيمة مقنعي رؤسهم اي رافعين رؤسهم الى الله تعالى يسالونه العفو والمغفرة
عن جرايمهم واعلم ان من سال غير ربه فهو ظالم الا ان يرى ان ذلك الغير
باب من ابواب الحق من غير وقوف معه فان لم يكن كذلك خيف عليه الحرمان
والخسران ولا يخفى ان السايل موصوف بالركون الى من ساله والله تعالى
يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومن ركن الى نفسه او الى
جنسه فقد ركن الى ظالم لقوله تعالى انه اي الانسان كان ظلوما جهولا
وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والتسعين اعلم ان الانبيا وكمل الاوليا
ما امسكوا الدنيا الا باطلاع عرفاني انتج لهم ما عشقهم في الارسال من نفع
الانفس بالاقوات التي قدر الله تعالى وصولها لاصحابها في اوقات مخصوصة
فما امسكوا الدنيا عن بخل ولا ضعف يقين حاشاهم من ذلك ، قال وانظر الى
ايوب عليه السلام كيف اعطته المعرفة المذكورة انه صار يحثوا في
ثوبه من الذهب لما امطر عليه وهو يقول لا غنا لي عن بركتك انتهى

واما الجواب عن السيد يونس عليه الصلاة والسلام

فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن
نقدر عليه الاية فالمراد بقوله لن نقدر عليه ان يونس عليه الصلاة والسلام

ظن ان الله تعالى لا يضيق عليه لما عمله من سعة رحمته من باب قوله تعالى
ومن قدر عليه رزقه وانما اخذه الله تعالى لكونه قصر ذلك الاتساع
الالهي على نفسه فقط ولم يتطرد ذلك في حق غيره من امته فلم يظن ان رحمة
الله تعالى لا تنالهم اثر غضبه ظلمة في ظاهره لعلو منصبه وصفا قلبه
فاسكن في ظلمة بطن الحوت حاشا الله تعالى ليبنهه تعالى على حالته حين
كان جنينا في بطن امه من كان يدبره فيه وهل كان في ذلك الموطن يتصور
منه ان يغضب او يغاضب بل كان في كنف الله عز وجل لا يعرف سوى ربه
فرده تعالى الى هذه الحالة في بطن الحوت تعليما له بالفعل لا بالقول
فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اي
سبحانك يا رب تفعل ما تريد وتبسط رحمتك على من تشا وهذا كالاعتذار
عن امته وقوله كنت من الظالمين اي اثر غضبي رجع على ما انت ظلمتني
لان علمك بي ما تعلق بي الا على هذا الحال ثم لما زالت ظلمة المغاضبة ظلمة
تعليق بمقام الانبيا وانتشر النور اللايق بكمال النبوة في قلبه استجاب له
ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم
يولد احد من بني ادم ولادتين سوى يونس عليه السلام فخرج ضعيفا
كالطفل كما قال تعالى وهو سقيم ورباه تعالى باليقطين لان ورقه ناعم
ولا ينزل عليه ذباب اذ الطفل لضعفه لا يستطيع ان يرد الذباب
عن نفسه فغطاه الله تعالى بهذه الشجرة التي من خاصيتها ان لا يقربها
ذباب مع نعومة ورقها فانه مثل القطن في النعومة بخلاف ورق الاشجار كلها
فان فيه الخشونة ه ذكره الشيخ في الباب الثالث والثلاثين من الفتوحات
واما الجواب عن السيد موسى عليه الصلاة والسلام
في قوله ففررت منكم لما خفتكم كيف خاف عليه السلام وهو كامل مع ان
الواحد من الاوليا لا يخاف احدا الا الله تعالى فالجواب مقام مقام
الخوف اولى من وجوه ه منها ان الكامل يرى من نفسه الضعف بخلاف صاحب
الحال من الاوليا ه ومنها انه يجب على الكامل الفرار من كل شي يودي بدنه

او يلحقه بالعدم وان خالف ذلك اثم ه ومنها ان في الخوف عدم تعطيل
الاسباب فكان من كمال موسى فراره ويحتمل ان خوفه منهم انما هو خوف من
الله بالاصالة ان يسلطهم عليه فرجع خوفه منهم الى خوفه من الله تعالى وذلك
محمود والله تعالى اعلم واما الجواب عن السيد سليمان عليه الصلاة والسلام
في قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق فهو ان تعلم يا اخي ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لا توصف بفعل سفه ولا اتلاف مال لكمالهم وانما المراد
انه لما احب الخير الذي هو المال عن ذكر ربه لا عن حكم الطبع طفق يمسح بيده
على اعراف الخيل وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه ولعلمه عليه السلام بان
الله تعالى يحب من عباده حب الخير وذلك الحب للخير اما ان يراد به حب الله
اياه او حب الخير من حيث وصف الخير بالحب ومعلوم الخير لا يحب الا الاخيار
فافهم بحل وجود عينه فلذلك قال سليمان عليه السلام اني احببت حب الخير
عن ذكر ربي اي انا في الخير من حيث المحبة للخير في حبه ولهذا لما توارت
بالحجاب يعني الصافنات الجياد اشتاق اليها فقال ردوها علي لانه فقد
المحل الذي اوجب له هذه الصفة الملذوذة فانما كانت محلا لهم قال
الشيخ في الباب الرابع والعشرين ومائة من الفتوحات وليس للمفسرين
الذين جعلوا التوارى للشمس دليل فان الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة
الذي يزعمون وسياق الاية لا يدل على ما قالوه في ذلك بوجه ظاهر البتة
واما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ه ولقد فتنا سليمان فالمراد
بتلك الفتنة انما هو الاختبار اذا كان متعلقه الخيل ولا بد فيكون اختبار
اذا راها هل يحبها عن ذكر ربه لها او يحبها لعينها فاخبر عليه السلام انه
يحبها عن ذكر ربه اياها لا لحسنها وكمالها وحاجته اليها فانها خير من الملك
الذي طلب ان لا يكون لاحد من بعده فاجابه الحق تعالى الى ما سال في
المجموع ورفع الحرج عنه وقال له هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب
وان له عندنا الزلفى وحسن ماب اي ما ينقصه الملك شيا من ملك الاخرة
كما يقع لغيره من المنعمين في الدنيا فان كل شي تنعموا به في الدنيا نقص

من نعيمهم في الاخرة كما ورد قلت ومن هنا يعلم ان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام قد لم يكن شي يشغلهم عن الله تعالى من نعيم الاخرة فضلا عن الدنيا
ولذلك سالوا التوسع في الدنيا ومحال ان يسالوا من ربهم ما يحجبهم عنه
اكراما لهم وقد ذكر الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات ان الاكابر
ما سالوا الله تعالى التوسع في الدنيا الا لغرض صحيح وذلك انهم لما احكموا
الزهد والقناعة منها بالقليل اسوا على انفسهم من ان يشتغلوا عن الله بشي
فسالوا الله تعالى التوسع في الدنيا ليوسعوا بها على انفسهم وعلى من يلوذ
بهم اعطا لنفوسهم ومعارفهم حقها وتلذذوا بخطاب الله عز وجل لهم بقوله
اقرضوا الله قرضا حسنا فانه تعالى ما خاطب بذلك الا اهل الجدة والسعة
فلاجل لذة توجه خطاب الحق تعالى لهم في ذلك سارعوا الى تحصيل مرتبة
الغنى بالتجارة والمكاسب الشرعية لعلمهم بان من لا مال له محروم من لذة
هذا الخطاب فقد بان لك ان سليمان عليه السلام لم يقدح في كماله سواله
الدنيا تكون له باسرها لفقد العلة التي كرهت الدنيا من اجلها وقد بلغنا
ان نملة طلبت من سليمان الامان فاعطاها فقالت ما ملكك الذي
اعطاكه الحق تعالى بسوالك فقال خاتمي فقالت اف لملك يحويه خاتم
ثم قالت له يا سليمان اذا كانت الامور التي يعطيها الحق تعالى لعباده لا يخرج
عن ملكه فما فايدة الطلب ان يعطيك ملكا لا ينبغي لاحد من بعدك انتهى
قلت وما ذكره الشيخ في تفسير هذه الاية تفسير غريب واضح
وعليه فلا يصح استدلال الشبلي به على تحريق ثيابه بالنار حين اشغلته
عن ربه عز وجل وقال ان سليمان عليه السلام قطع سوق الخيل واعناقها
لما اشغلته عن الصلاة واما قول بعض العلما ان الضمير في توارت للشمس
فلا يناسب قوله ردوها علي اذ الشمس ليس ردها في يد قومه حتى يردوها
عليه ومع ذلك فان صح دليل على رد الشمس على سليمان باظهار الضمير الذي
في توارت وردوها للشمس دون الخيل اتبعناه والله اعلم وسمعت
سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول ثم مقام يقتضي طلب العبد ان يوسع

الله عليه الدنيا لبيذرها بذلك فقرا الى الله تعالى والى نعمه وكيف
يعاب على من سال زيادة ما هو اقل من جناح بعوضة انتهى ٥
واما الجواب عن خطيئة السيد داود عليه الصلاة والسلام
التي استغفر منها وخر راكعا واناب فكانت نظرة فجاة بغير تقدم نية
صالحة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت خطيئة اخي داود
النظر انتهى وذلك انه رفع راسه من الارض بغير نية تناسب مقامه
فاخذه الله بذلك ولذلك ورد انه لم يرفع بصره الى ناحية السما بعد ذلك
الى ان مات حيا من ذلك الرفع السابق مع الغفلة فتعين الذنب هو
رفع البصر ولو الى مباح بغير نية فافهم واعلم ان مواخذة الاكابر
في الحركات والسكنات مع الغفلة لا تختص بالنظر ولا غيره فلو قدر انه
حرك اصابعه مع الغفلة عن شهود رضى الحق بذلك لاخذه الله به لوجوب
الحضور عليهم مع الله تعالى على الدوام واما ما ذكروه من ان خطية داود
كانت هي النظر الى امراة اوريا فلم يصح لنا ذلك في حديث والله اعلم ٥ وتقدم
بسط ذلك في مبحث الجواب عن ادم عليه الصلاة والسلام فراجعه
واما الجواب عن السيد يوسف عليه الصلاة والسلام
في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الاية فقد ذكر الشيخ في الباب السابع
والستين وثلاثماية من الفتوحات ان روحه اجتمعت بروح يوسف عليه
السلام في بعض الاسراات الروحية فقال له يا نبي الله ما معنى الاشتراك
في اخبار الله تعالى بقوله ولقد همت به وهم بها فان الله تعالى لم يعين فيما
ذاك ولا يخفى ان اللسان يدل على احدية المعنى فقال يوسف عليه
السلام نعم ولذلك قلت للملك على لسان رسوله ان يسال النسوة فما
ذكرت المراة انها راودتني عن نفسي وما ذكرت اني راودتها قط
فافهم ما قلته فان به يزول ما كان يتوهمه بعض الناس لما يعين الله تعالى
امر همي وهمها فقلت يا نبي الله اللسان يوذن بالاشتراك فقال صدقت
لكن في اللفظ دون المعنى فانها همت بي لتقهرني على ما كانت ارادت مني

وهمت أنا بهما لا قهرها بالدفع عن ذلك فالاشتراك في طلب القهر مني ومنهما
فكانه تعالى يقول ولقد همت به في عين ما هم بها وليس الا القهر فيما يريد
كل واحد من صاحبه دليل ذلك قول المراة الآن حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وما جا في قصتي قط اني راودتها عن نفسي فاراني الله تعالى البرهان
عند ارادتي القهر في دفعها عني فيما تريده مني وهل ذلك البرهان الذي
اراني الله تعالى ان ادفعها عن نفسي اولا بالقول اللين كما قال تعالى لموسى
واخيه هرون فقولا له قولا لينا اي لا تعنف عليها يا يوسف وسببها
انها امراة موصوفة بالضعف على كل حال فاعلم ذلك قال الشيخ محيي
الدين رحمه الله فقلت له افدتني افادك الله تعالى ، فاعلم ذلك والله اعلم

واما الجواب عن سيدنا ابرهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

فذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلاثمائة ان روحه اجتمعت بروح
الخليل عليه الصلاة والسلام ثم قال فقلت له يا ابت لم قلت ولكن ليطمئن
قلبي مع انك من المومنين بلا شك فقال صحيح ولكن للاحيا وجوها كثيرة كما كا
ايجاد الخلق فمنهم من اوجده الله تعالى عن كلمة كن ، ومنهم من اوجده بيديه
ومنهم من اوجده ابتدا ، ومنهم من اوجده عن خلق اخر فطلبت العلم بتعيين
وجه من هذه الوجوه فاذا اعلمني به اطمئن قلبي قلت ــــ وقد بسط الشيخ
الكلام على ذلك في الباب الخامس وعشرين ومائتين والله اعلم ولنرجع الى
المعنى الذي نحن فيه قال الشيخ فقلت له يا ابت ثم قلت بل فعله كبيرهم
هذا قال لانهم كانوا قايلين بكبريا الحق تعالى على الهتهم التي اتخذوها
فقلت له بماذا اردت باشارتك بقولك هذا فقال لي انت تعلم المراد
بها فقلت اني اعلم انها اشارة ابتدا وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله
كبيرهم فاسالوهم اقامة للحجة عليهم فقال عليه السلام ما زدت على ما كان
الامر عليه شيا فقلت له فما كانت خطيئتك في قولك والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي يوم الدين فقال نسبت المرض الى نفسي في قولي واذا مرضت
فهو يشفين مع انه في الحقيقة لم يمرضني الا الله تعالى فهذا كان خطيئتي

فكان في اضافتي المرض الى نفسي ثم طلبي المغفرة من الله تعالى على تلك
الاضافة ادبا فقلت له فلم قال تعالى في حقك وانه في الاخرة لمن الصالحين
فخص صلاحك بالاخرة واطلق الصلاح لغيرك من الانبيا في الدنيا والاخرة
فقال لان الصالح من شرطه ان لا يضيف الى نفسه شيا الا باضافة
الله تعالى وقد اضفت الى نفسي وغيرها ما ليس لها بغير اذن خاص
من الله تعالى بقولي واذا مرضت فهو يشفين وقولي اني سقيم وقولي
بل فعله كبيرهم هذا ، فقلت له يا ابت فما قولك في الانوار الثلاثة
فانك معصوم عن اعتقاد ان فيها الالوهية في حين من الاحيان فقال
انما قلت ذلك اقامة للحجة على قومي الا ترى ما قال الحق تعالى في القرآن
وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وما كان اعتقاد قومي في الاله
الا انه نمرود ولم تكن تلك الانوار الهتهم ولا كان النمرود الها لهم
عندهم وانما كانوا يرجعون في عباداتهم لما نحتوه الهة لا اليه ولذلك
لما قلت ربي الذي يحيي ويميت لم يتجرا نمرود ان ينسب الاحيا والاماتة
الى الهتهم التي وضعها لهم لئلا يفتضح فقال انا احيي واميت فعدل
الى نفسه تنزيها لالهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون فقلت له
فلم عدلت الى الاقرب في الحجة فقال لاني علمت قصور افهامهم عما جيت
به لو فصلته وطال المجلس فعدلت الى الاقرب في افهامهم بذكر اتيان
الله تعالى بالشمس من المشرق وطلبت ان ياتي بها من المغرب فبهت
الذي كفر بتحيير له من الله تعالى ولنختم الاجوبة بالجواب
عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق
اعلم ان الاجوبة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من علما امته لا تحصى
ولكن نذكر لك منها طرفا صالحا فنقول وبالله التوفيق ، ذكر الشيخ
محيي الدين في الباب الثامن والستين وثلاثمائة ان محمدا صلى الله عليه
وسلم لم يزل معصوما من كل ما ينقص من مقامه الاكمل قبل النبوة
وبعدها كما روي انه صلى الله عليه وسلم قبل رسالته كان يرعى الغنم

بالبادية فكان يهم ان يدخل الي مكة فيصيب فيها ما يصيب الشبان
من اللعب فاذا دخل مكة ارسل الله عليه النوم فيفوته فعل ما دخل لاجله
فيستعجل الرجوع الي غنمه فكان في ذلك عصمته صلى الله عليه وسلم من
حيث لا يشعر وفي المثل السائر من العصمة ان لا يجد ويسمي هذا المقام
علم الحاصل في عين الغايب كما قال تعالي وعسي ان تكرهوا شيا وهو
خير لكم وعسي ان تحبوا شيا وهو شر لكم فكان في ذلك الغايب سعادة العبد
وفضل علي الحاصل انتهي وقد تقدم اوايل المبحث معني قوله صلى الله عليه
وسلم انه ليغان علي قلبي فاستغفر الله تعالي في اليوم والليلة اكثر من سبعين
مرة وان المراد بذلك انه كان دايم الترقي فكان يستغفر الله عز وجل
عن كل مقام ترقي عنه فانه ثم مقام رفيع ومقام ارفع وفي باب الوصايا
للشيخ محي الدين اذا كان الحق تعالي يجيب دعوة الداعي اذا دعاه فينبغي
للعبد ان لا يتحدث في مناجاته للحق تعالي بما علمه له قبل ذلك فانه
تضييع للوقت وانما ينبغي له ان يطلب دايما امرا جديدا فان قلت
فما المراد بقوله تعالي ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فالجواب
كما قاله الشيخ في الجواب الخامس وخمسين من الباب الثالث والسبعين
من الفتوحات ان المراد بهذا الخطاب وجميع العتاب التي عاتب الله تعالي
عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وهو عن غيره من الامة نحو يا ايها النبي اتق
الله لين اشركت ليحبطن عملك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا فكان
من فتوته صلى الله عليه وسلم ان تحمل عن امته صولة الخطاب والعتاب
والتوبيخ فالخطاب له والمراد به غيره وهذا احسن الاجوبة قال
واما مغفرته تعالي لبقية النبيين عليهم الصلاة والسلام فانما هي لكون
الحق تعالي ستر عنهم في هذه الدار العلم بان جميع مقاماتهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بحكم الاصالة وانهم نوابه صلى الله عليه وسلم كما ينكشف
لهم ذلك كله في الدار الاخرة واطال في ذلك ثم قال فعلم من قولنا ان
المخاطب بتلك المعاتبات كلها رسول الله والمراد بذلك غيره لان الحق

تعالي من شانه ان يودب الصغير بالكبير وكما ادب تعالي الامة بتاديب
رسولها ليبلغ باستعمال ذلك الادب الي نيل ما حولها فخاطب الرسول
والمراد من ارسل اليهم فاحبط عليه انتهي قال في الباب الثامن
والتسعين ومايه في قوله تعالي لين اشركت ليحبطن عملك هو من باب
قولهم اياك اعني واسمع يا جارة كما يشهد لذلك قراين الاحوال قال
والحكمة في ذلك مقابلة اعراض الكفار وعن استماع ما جا به الرسول فلذلك
اعرض الحق عنهم في الخطاب مقابلة اعراض باعراض مع كونهم هم المراد
بذلك الخطاب فاسمعهم في غيرهم عقوبة لهم واستهانة بامرهم انتهي قال
الشيخ في الباب السابع والاربعين ومايتين اعلم انه لا يشترط في استغفار
الاكابر ان يكون من ذنب وقع وانما استغفارهم من خوف ان يبدو منهم
ما كان ينبغي ستره من الاحوال التي لم يومروا بذكرها لقومهم ولهذا
ما نقل عن نبي قط انه ندم علي ما قاله مما اوحي به اليه ولا سمع منه كلام
عادي في حال الوحي حتي يفرغ من نزله عليه فاذا انفصم عنه فحينيذ
يخبر بما وقع واما ما كان عن نظر من غير وارد وحي فقد يمكن ان يندم
علي ما جري منه كما وقع له في اساري بدر فان قلت فما معني قوله
تعالي وتخشي الناس والله احق ان تخشاه وما الذي اوقع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما عاتبه الله عليه من خشية الناس فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب الرابع والثلاثين وخمسماية من الفتوحات ان سبب وقوعه
صلى الله عليه وسلم في خشية الناس قوله في حق يوسف عليه السلام لو كنت
مكانه لاجبت الداعي يعني داعي الملك لما دعاه الي الخروج من السجن فلم
يخرج حتي قال له ارجع الي ربك يعني العزيز الذي حبسه فاسيله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن وذلك ليثبت عند العزيز براته فلا ينفتح
له المنة علي يوسف في اخراجه من السجن بل المنة لله وحده فقصد يوسف
براة ساحته اذ لو بقي الاحتمال لقدح في عدالته وهو رسول الله عز وجل
فلا بد لامته في طريق انقيادهم له من ثبوت عدالته عندهم فلذلك

خشي صلى الله عليه وسلم من الناس ان يعيبوا عليه تزويجه بزوجة من تبناه
حتى لا يرد دعوة الحق تعالى فعلم ان الله تعالى ابتلى نبيه صلى الله عليه
وسلم بتزويجه زوجة من تبناه الا ليذوق بلا التهمة ويتخلق بالرحمة التامة
على كل من اتهم فان تزوج الرجل زوجة من تبناه مما كان يقدح في كماله عند
جهال العرب وهو رسول الله واي رسول ثم تعالى لما اذاقه الم الحرج في نكاحه
داواه بابانته عن العلة في ذلك بقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين ورفع الحرج في مثل ذلك عن المومنين واذاق
الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ما اذاق يوسف حين لم يجب الداعي
وطلب ان تكون البراة في غيبته لكونها اكثر ترجيحا له لانه لو حضر لربما قيل
ما زكوه الا في وجهه حيا منه ومن كمال الرجال ان يقف مع ما تمسك عليه
المروة العرفية في كل ما يومر بفعله حتى يوتيه امر الله فهناك يكون بحسب
ما يومر انتهى قلت ويحتمل ان يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
لاجبت الداعي الثنا على يوسف بالقوة في عدم خروجه من السجن فاظهر صلى الله
عليه وسلم ضعف حاله عن حال يوسف كما قال نحن اولى بالشك من ابراهيم
فان يوسف اجتمع عليه حالان حال السجن وحال كونه مفترى عليه وكل رسول
يطلب ان يقرر في نفوس امته ما يقبلون به دعا ربه في كل ما يدعوهم
اليه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت مكان يوسف لسارعت
الى الخروج طلبا للبراة بجدالي عن نفسي لتثبت براتي عند من ارسلت اليهم
ويحتمل غير ذلك والله اعلم فان قلت فما المراد بقوله تعالى لمحمد صلى الله
عليه وسلم عفى الله عنك لم اذنت لهم هل هو توبيخ كما فهمه بعضهم او سوال
عن العلة كما في قوله تعالى لعيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسماية
ان ذلك سوال عن العلة لا سوال توبيخ لان العفو قد تقدم ذلك وقوله
حتى يتبين لك فاما ان يقول عند ذلك نعم او لا فان العفو والتوبيخ
لا يجتمعان لا سيما مع تقدم العفو في الذكر كما تقدم فان من وبخ فما عفى

مطلقا

مطلقا لان التوبيخ مواخذة وهو تعالى قد عفى قال ولما كان هذا
اللفظ قد يفهم منه في اللسان التوبيخ جا لاجل ذلك بالعفو ليتنبه المتنبه
العارف بالله تعالى وعواقب كلامه انه لم يرد التوبيخ الذي يتوهمه من لا علم له
بالحقايق انتهى وقال في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات ايضا في قوله
تعالى عفى الله عنك لما اذنت لهم ذكر اهل التفسير انه تعالى قدم البشر قبل
العتاب ليطمين فواده صلى الله عليه وسلم والذي عندنا نحن من العلم الالهي
ان هذه الاية بشرى خالصة ليس فيها عتاب انما هو استفهام لمن انصف واعطى
كلام الله تعالى حقه في الفهم انتهى فان قلت فما المراد بقوله تعالى في حقه
صلى الله عليه وسلم عبس وتولى ان جاه الاعمى الى اخر النسق هل معناه على ظاهره
او المراد به غير ذلك فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع وثلثماية ليس ذلك
العتاب على ظاهره وانما نبه صلى الله عليه وسلم على ما ذكر له ليعلمه انه تعالى
عند المنكسرة قلوبهم اكثر حضورا من الملوك لان رحمة الله تعالى للانكسار والفقرا
بخلاف الملوك وايضاح ذلك ان الحق تعالى يغار لاجل عبده المنكسر القلب من
اجل ربه اشد ما يغار لمن تظاهر بصفات العظمة فاذا حضر عندك ملك
مطاع نافذ الامر زاير ثم ان فقيرا دخل عليك كذلك زايرا فاقبل على الفقير
اكثر من الملك الا ان تخاف سطوته ولا تعرض عن الفقير حتى يفرغ من حاجته
التي جاك لاجلها فعلم ان تجلي الحق تعالى بالحضور عند الملك المطاع تجلي
في غير موطنه اللايق به اذ الكبريا والعظمة انما يليق باهل الجنة في الجنة
لعدم التحجير عليهم وزوال التكليف وما عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله عبس وتولى ان جاه الاعمى الا لكون ذلك الاعمى فقيرا فغار تعالى لمقام
العبودية والفقر ان يتهضم لاجل صفة عز او قهر ظهرت في غير محلها والمال
في ذلك واما معنى قوله تعالى اما من استغنى فانت له تصدى ذكر الشيخ
في الباب التاسع والاربعين وخمسماية ان معناه العتاب في حال اجتماع
الفقرا مع الاغنيا لا مع الانفراد فان من الادب الاقبال على كل وارد
من غني او فقير وفي الحديث اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وقال تعالى

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين وهنا نكتة ينبغي لك يا اخي ان تعرفها
وهي ان الملك العزيز في قومه ما جا اليك ولا نزل عليك حتى ترك جبروته وكبرياه
خلف ظهره قبل ان ياتيك فما اتاك الا وهو يري نفسه دونك فكان تجبروتك
في نفسك اذا لم تقبل عليه وتتواضع له اعظم من جبروته هو فعلى كل حال يلزمك
مقابلته بنظير فعله معك وانزله انت منزلته من نفسه قبل ان ياتيك وادخل
عليه السرور بالاقبال والتبسم تكن حكيم الزمان فان الله تعالى ما عاتب نبيه صلى
الله عليه وسلم في حق الاعمى والاغنى الا لكون الفريقين كانا حاضرين فبالمجموع
وقع انفراد العتب لا مع الانفراد وكان سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول
انما اقبل صلى الله عليه وسلم على الاغنيا لصفة الغنى التي تظاهروا بها والعارف
بالله تعالى ينبغي له الاقبال على كل نعت الهي من جلال وعظمة وغيرهما فان وقع
ان احدا من العارفين عوتب على اقباله على الاغنيا فليس ذلك من تظاهرهم
بالغنى وانما ذلك لعلة اخرى فعلم انه لا ينبغي القياس على هذا العتاب
ونطرده في حق الاغنيا مطلقا فان ذلك مزلة قدم عن الشريعة فانه صلى الله
عليه وسلم قد امر باكرام الكريم كل قوم اذا اتانا كما مر فافهم وعلم ايضا
ان تعظيم العارف للملوك والامرا والاغنيا انما هو من تعظيم الرب جل وعلا واما
تعظيم الفقرا فانما ذلك جبر لقلوبهم لانكسارها انتهى وقال في تفسير هذه
الاية ايضا في الباب الثالث والستين ومايه اعلم ان الغنى صفة ذاتية للحق فان
الله هو الغني الحميد اي هو الذي يستحق ان يثني عليه بهذه الصفة وكان مشهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عاتبه ربه بقوله عبس وتولى الى آخره انما هو
الصفة الالهية المذكورة وهي الغنا المطلق الذي لا يكون لغير الله قطعا
فلهذا تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكابر قريش لظهور رايحة هذه
الصفة الالهية فيهم فانما تعطي بذاتها الشرف والرفعة في ذلك الوقت
الذي يتصدى لهم فيه فكان قصده صلى الله عليه وسلم باقباله على الاغنيا انما
هو تعليم امته ان يتصدوا للكل من اتصف بصفة الغنى من الخلق ثم اذا رسخوا

رسخوا في هذا المقام امروا بالترقي الى شهود عدم تخصيص الصفات الالهية
فان العالم كله من شعاير الله تعالى ومن صنعته ولا ينفك شي منه عن مصاحبة
الحق تعالى له لعدم تحيزه جل وعلا فكان عاملا يغار على هضم جناب المنكسرة قلوبهم
لان الحق عندهم كما اخبرنا به الشارع صلى الله عليه وسلم ايضا فانه صلى الله عليه
وسلم مع هذا المشهد كان له حرص عظيم على اسلام قريش فكان يعلم ان الاكابر
اذا مالوا اليه تبعهم اطاعوه واحبوه واسلموا فاسلم باسلامهم خلق كثير قال
تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم اي ان عنادكم
وعدم اسلامكم يعز عليه لمحبته الخير لكم فان قلت فكيف اوقع الحق تعالى
العتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد العظيم الذي قدمناه
فالجواب انما عاتبه واعلمنا بذلك تاديبا لنا فان الانسان محل الغفلات
وهو فقير بالذات ولو صار من اكبر ملوك الدنيا فهو فقير لان غناه عرضي
عرض له من حصول الجاه والمال فما استغنى الا بغيره بخلاف الحق جل وعلا
فليست الصفة التي ظهرت في الاغنيا صفة الحق حقيقة حتى يتصدى العبد
لها ولذلك قال تعالى في الاية اما من استغنى بسين الطلب وما قال اما
من هو غني فكان مما ادب الله تعالى به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الاعراض
عن الاغنيا والاقبال على الفقرا اولا ثم امره ان يقبل على كل من ترك غناه
وكبرياه وجا اليه وقال الشيخ واكثر الناس غافلون عن هذا الادب
الثاني فلا يكادون يشهدون له طعما ويتخيلون ان اقبال العارفين
على احد من الروسا والاغنيا انما ذلك لاجل جاههم ومالهم وليس الامر
كما ظنوا ثم اعلم ان اهل الله عز وجل اذا خافوا ان احدا من العوام يتبعهم على
تعظيم الاغنيا من غير فهم المعنى الذي قصدوه وخافوا ان يزدادوا بذلك
الفعل رغبة في الدنيا فله اظهار الانفة على الاغنيا والروسا تقديما
لمصلحة المحجوبين وتامل قولهم شرط الداعي الى الله عز وجل ان يكون غنيا
عن المدعوين لا يحتاج اليهم في شي يمنون به عليه تعرف انه ينبغي له استجلاب
الناس لا تنفيرهم عنه فيحسن اليهم بالمال والاقبال ولا ينبغي له قبول صدقاتهم

واحسانهم لانه يهون بذلك في اعين المدعوين ويجب عليه التعفف عما
بايديهم وكف نفسه عنهم اما بمال او قناعة . قال تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فاما الحكمة فهو غناه عما بايدي المدعوين واما
الموعظة الحسنة فهو تمهيده بساط المدعوين حتى انهم يصيرون يبادرون
الى فعل ما يندبهم اليه من غير توقف لما يعلمون لنفوسهم في ذلك من المصلحة
وفي القران ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد استقر الامر
على ان تقديم الفقرا على الاغنيا مطلوب في كل ما فيه اكرام وانه لا ينبغي
لفقير ان يراعي احدا من الاكابر بعد ما تبين له الحق فمن شا فليومن ومن شا
فليكفر والسلام وقال لا ينقص من كمال الانبيا عليهم الصلاة والسلام عدم
معرفتهم بتدبير احوال الدنيا في بعض الاوقات كما اشار اليه قوله صلى الله عليه
وسلم في مسئلة تلقيح النخل انتم اعلم بامر دنياكم وذلك انه صلى الله عليه وسلم
مر على قوم وهم على رءوس النخل فقال ما يصنع هولا فقالوا يلقحون النخل
فقال ما ارى ذلك يجدي شيا فسمع بذلك الانصاري فتركوا تلقيحها تلك
السنة فقد حمل النخل وخرج البلح شيصا فاخبروه بذلك فقال انتم اعلم
بامور دنياكم يعني في كل ما لم يوح الي فيه بشي قال الشيخ محيي الدين
وسبب خفا بعض احوال الدنيا على الانبيا والاوليا انما هو لما غلب على قلوبهم
من عظيم مشاهدة جمال الله تعالى فغابوا بذلك عن تدبيرهم للكون ولو ان
ذلك الجلال والعظمة احتجب عنهم لكانوا اعرف الناس بامر الدنيا لكن لا يخفى
ان حجابهم عن تدبيرهم الكون انما هو لهم في بعض الاوقات لا كلها كما اشار اليه
خبر لي وقت لا يسعني فيه غير ربي قال بعض العارفين وما مات صلى الله
عليه وسلم حتى تزايد كماله وصار يدبر امر الدنيا والاخرة ولم يكن يشغله
مشاهدة جمال الله تعالى عن ذلك وقد ذكر الجلال السيوطي رحمه الله انه صلى
الله عليه وسلم كان مكلفا بالاقبال على الله تعالى وعلى الخلق معا في ان واحد
لا يحجبه الخلق عن الحق فان قلت فلم امر صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه
مع كونهم دونه بيقين فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين ومائة

ان

ان الله تعالى انما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لمن هو دونه الا لنعلمه
تعالى ان له في كل موجود خصوصية لا تكون لغيره فقد يلقي الله تعالى
من الوجه الخاص لآحاد الامة ما لم يلقه الى احد من الاكابر بدليل قصة
الخضر مع موسى عليه الصلاة والسلام والله تعالى اعلم .

المبحث الثاني والثلاثون

في ثبوت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان انه
افضل خلق الله سبحانه وتعالى على الاطلاق وغير ذلك .

اعلم ان رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالكتاب المعجز والسنة
والاجماع وكذلك اجتمعت الامة على انه بلغ الرسالة بتمامها وكمالها وكذلك
نشهد لجميع الانبيا انهم بلغوا رسالات ربهم وقد خطب صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع فحذر وانذر ووعد واوعد وما خص بذلك احدا دون احد ثم
قال الا هل بلغت فقالوا بلغت يا رسول الله فقال اللهم اشهد فان قيل
ان بعضهم يقول انه سقط من القران حين جمعوه بعض ايات وعلى هذا فينبغي
للعارف من طريق كشفه ان يبحث عنها من طريق كشفه ليتلوها فيثاب على تلاوتها
فهل ذلك صحيح فالجواب هذا امر لا يوافق هذا القايل عليه احد وقد قال
جمهور المحدثين يجب تاويل قول عايشة كانوا يقرون فعدة من ايام اخر
متتابعات فسقط متتابعات وقالوا المراد بالسقوط النسخ فيحتمل ان يكون
المراد بالسقوط في كلام هذا البعض النسخ ان صح النقل فان قيل فهل الدليل
على صدق الرسول في ادعايه انه رسول ينسحب على الدلالة على ما جا به
من الاخبار والاحكام او يفتقر الى دليل اخر فالجواب كما قاله الشيخ في الباب
الرابع والاربعين من الفتوحات انه لا يفتقر الى دليل اخر بل ينسحب
في الدلالة على ما جا به صلى الله عليه وسلم فان قلت ايما اكمل شهادتنا
بما جانا من طريق الوحي او شهادتنا بالمعاينة فالجواب ان شهادتنا بالوحي
اتم من شهادتنا بالعين والمشاهدة كما شهد خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم

بانه ابتاع الجمل من الاعرابي ولم يكن خزيمة حاضرا فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بم تشهد يا خزيمة قال نشهد بصدقك يا رسول الله فحكم صلى الله عليه وسلم
بشهادة خزيمة وحده لكونها شهادة بالوحي ولو ان خزيمة كان شهد شهادة
عين لم يقم شهادته مقام اثنين وبه حفظ الله تعالى علينا قوله تعالى لقد
جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة فان جامع القرآن من الصحابة كان لا يقبل
اية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الا هذه الاية فانما ثبتت بشهادة
خزيمة وحده انتهى فان قلت فما اول ما ظهر من الموجودات بعد فتق العما
فالجواب كما قاله الشيخ تقي الدين ابن ابي المنصور ان اول من ظهر بعد فتق
العما هو محمد صلى الله عليه وسلم فاستحق بذلك الاولية للاوليات فهو ابو
الروحانيين كلهم كما كان آدم عليه السلام ابو الجسمانيات انتهى وسياتي
قريبا تحقيق الاولية في كلام الشيخ محيي الدين ان اول ما خلق الله الهبا
فراجعه فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا فاخبر صلى الله
عليه وسلم قبل ان يخلق وقبل وجود من يخبرهم فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب الخامس وثلاثمائة من الفتوحات معناه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يعرف ذاته بذاته باذن الله في غير مجلى قبل اخذ الميثاق وهو الحال
الذي كان فيه صلى الله عليه وسلم يعرف نبوته وذلك قبل خلق آدم كما اشار
اليه الحديث المذكور فكان له صلى الله عليه وسلم التعريف الالهي في ذلك
الحال فان النشاة الانسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها الى حين
وجودها لكن من الناس من اعطي في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته اما
على غاياتها بكمالها واما بان يشهد صورة ما من صوره وهو عين تلك المرتبة
التي له في الدنيا فيعلمها ليحكم بها على نفسه وهنا شاهد صلى الله عليه وسلم
نبوته ولا يدري هل شهد صور جميع اعماله واحواله ام لا قال تعالى واوحى
في كل سما امرها فما من فلك من الافلاك التسعة الا وللانسان صورة فيحفظها
ذلك الفلك الى وصول وقتها موجودها كوجود الصورة الواحدة في المرائي
الكثيرة المختلفة الاشكال من طول وعرض واستقامة واستدارة وتربيع

وتثليث وصغر وكبر فتختلف صور الاشكال باختلاف المجلي والعين الواحدة
فلذلك قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى باذن
الله واذا كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب اذا نالها قال صلى الله عليه وسلم
وهو في المرتبة العليا انا سيد ولد آدم ولا فخر فلم تحكم فيه المرتبة وقال في
وقت اخر وهو في مرتبة الرسالة والخلافة انما انا بشر مثلكم فلم تحجبه المرتبة
عن معرفة نشاته وبسبب ذلك انه راى لطيفته ناظرة الى مركبها العنصري
وهو مستبد فيها فشاهد ذاته العنصرية فعلم انها تحت قوة الافلاك
العلوية وراى المشاركة بينها وبين ساير الخلق الاناسي والحيواني والنبات
والمعدن فلم ير لنفسه من حيث نشاته العنصرية فضلا عن احد مما تولد
عنها بل راى نفسه مثلهم وهم امثال له فقال انما انا بشر مثلكم وكان يتعوذ
من الجوع فما افترق عنا الا بقوله يوحى الي فقد عرفت معنى قوله صلى الله
عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ان هذا القول انما كان بلسان
تلك الصورة التي هو فيها مما هو معدود من صور تلك المراتب فترجم لنا في
هذه الدار عن تلك الصورة انتهى قال الشيخ رحمه الله ولنا ايضا صورة
فوق ما ذكرناه لا تدرك بعقل ولا استرواح من نقول الشرع فسكتنا عنها
وذلك ان لنا صورة في الكرسي وصورة في العرش وصورة في الهيولى وصورة
في الطبيعة وصورة في النفس وصورة في العقل المعبر عنه باللوح والقلم
وصورة في العدم وصورة في العما وهذا كله مرئي لاصحاب الكشف وهو الذي
يتوجه عليه خطاب الله القديم لعباده في مكنون علمه فافهم فان قلت
فهل كان لآدم عليه السلام علم عند اخذ الميثاق بما يحتوي عليه ظهره
من الصورة فالجواب لم يكن له علم بذلك كما انه لا علم لفلك من الافلاك
التي فيها صورة من صورنا بها فان قيل فلم كان الاخذ من الظهور دون غيره
فالجواب انه انما خص الظهر بالاخذ لان الظهر كان غيبا لآدم عليه السلام
ولو انه تعالى اخذ من بين يدي آدم لكان يعرفنا وذلك لان له عليه السلام
معنا صورة في صورنا فشهد كما شهدنا قال الشيخ محيي الدين وما نحن على يقين

بابه عليه السلام لم نعلم ما اخذ منه او نعلمه ولكنا المارات الحضرات التي
تعددت من الافلاك لانعلم بصورنا فيها قلنا ربما يكون في ادم كذلك
فرحم الله من اطلع على ان ادم كان نعلم الصور التي اخذت من ظهره فالحقه بهذا
الموضع من هذا الكتاب قلت قد اخبرني اخي الشيخ افضل الدين رحمه الله
ان الله تعالى اطلعه على عدد السعدا الذين كانوا في ظهر ادم عليه السلام
دون الاشقيا قال وعددتهم ماتحصل من ضرب تسعماية الف الف الف
الف الف الف الف الف تسع مرات و تسعماية تسعة وتسعين
الف ونصف ذلك وثلث ذلك مضروب جميعه في الاصول التي ذكرناها
فما تحصل من ذلك فهو عدد من كان في ظهر ادم من السعدا لايزيدون واحدا
ولاينقصون واحدا وهو حساب لايتعقله العقل وانما طريقه الكشف
انتهى والله تعالى اعلم ٥ قال الشيخ محيي الدين ومن بعد عن فهمه تصور ماذكرنا
من ان لنا في فلك صورة ليس احداها احق بنا من الاخرى فلينظر في خبر
الترمذي مرفوعا وقال فيه حسن غريب ان الله تعالى تجلى لادم ويداه
مقبوضتان اي كما يليق بجلاله فقال له يا ادم اختر ايهما شئت فقال
اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ففتحها فاذا ادم وذريته فنظر
ادم عليه السلام من اضوئهم فقال من هذا يا رب فقال الله تعالى له هذا
ابنك داود فقال يا رب كم كتبت له من العمر فقال اربعين سنة قال يا رب
وكم كتبت لي فقال الله تعالى الف سنة فقال يا رب قد اعطيته من عمري
ستين سنة فقال الله تعالى انت وذاك فمازال ادم يعد لنفسه حتى بلغ
تسعماية واربعين سنة فجاءه ملك الموت ليقبض روحه فقال له ادم قد
بقي من عمري ستين سنة فقال الله تعالى يا ادم انك قد وهبتها لولدك داود
فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فنسيت ذريته ٥ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن ذلك اليوم امر الله تعالى بالكتاب والشهود انتهى فهذا ادم
وذريته صور قايمة في قبضة الحق كما يليق بجلاله وهذا ادم خارج عن تلك
اليد وهو يرى صورته وصور ذريته في يد الحق فما بالك يا اخي بقربه

في هذا الموضع وتنكر علينا في قولنا بتعداد الصور في الافلاك فلو كان
هذا محالا لنفسه لم يكن واقعا اذ الحقايق لاتتبدل قال واكثر من هذا
لا نحن ولكن
الناس يغنيك فلا اقدر عليه فلا تكن ممن قال الله تعالى فيهم صم بكم عمي فهم لايبصرون
وقد اطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس والاربعين وثلاثماية
فان قلت فهل اعطي احد النبوة وادم بين الما والطين غير محمد صلى الله عليه وسلم
فالجواب لم يبلغنا ان احدا اعطي ذلك انما كانوا انبيا ايام رسالتهم المحسوسة
فان قلت فلم قال كنت نبيا وادم بين الما والطين ولم يقل كنت انسانا
او كنت موجودا فالجواب انما خص النبوة بالذكر دون غيرها اشارة الى انه
اعطي النبوة قبل جميع الانبيا فان النبوة لا تكون الا بمعرفة الشرع المقرر عليه
من عند الله تعالى فان قلت فما معنى قولهم انه صلى الله عليه وسلم اول
خلق الله هل المراد به خلق مخصوص او المراد به الخلق على الاطلاق فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب السادس ان المراد به خلق مخصوص وذلك ان اول ما خلق
الله تعالى الهبا واول ماظهر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم قبل ساير
الحقايق ٥ وايضاح ذلك ان الله تبارك وتعالى لما اراد بدء ظهور العالم على
حد ما سبق في علمه انفعل العالم عن تلك الارادة المقدسة بضرب من تجليات
التنزيه الحقيقية الكلية فحدث الهبا وهو بمنزلة طرح البنا الجص ليفتح فيه
من الاشكال والصور ماشا وهذا هو اول موجود في العالم ثم انه تعالى تجلى
بنوره الى ذلك الهبا والعالم كله فيه بالقوة فقبل منه كل شي في ذلك الهبا على
حسب قربه من النور يشتد ضوءه وقبوله ولم يكن احد اقرب اليه قبولا
من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم فكان اقرب قبولا من جميع ما في ذلك الهبا فكان
صلى الله عليه وسلم مبدا ظهور العالم واول موجود ٥ قال الشيخ محيي الدين وكان
اقرب الناس اليه في ذلك الهبا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه الجامع لاسرار
الانبيا اجمعين انتهى وقول الشيخ في الامام علي انه جامع لاسرار الانبيا قد
نقل ايضا عن الخضر عليه السلام في حق الشيخ ابي مدين التلمساني فقال فيه
حين سيل عنه انه جامع لاسرار المرسلين منه فعلم مما قاله الشيخ محيي الدين

في الفتوحات ان مستمد جميع الانبيا والمرسلين من روح محمد صلى الله عليه وسلم
اذ هو قطب الاقطاب كما سياتي بسطه في مبحث كونه خاتم النبيين فهو ممد
لجميع الناس اولا واخرا فهو ممد كل نبي وولي سابق على ظهوره في حال كونه موجودا
في عالم الشهادة وفي حال كونه منتقلا الى الغيب الذي هو البرزخ والدار
الاخرة فان انوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين
والمتاخرين فان قلت قد ورد في الحديث اول ما خلق الله نوري وفي رواية
اول ما خلق الله العقل فما الجمع بينهما فالجواب ان معناهما واحد لان حقيقته
محمد صلى الله عليه وسلم تارة يعبر عليها بالعقل الاول وتارة بالنور فان قلت
فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ممدا للانبيا السابقين في الظهور عليه
من القران فالجواب من الدليل على ذلك قوله تعالى اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده اي ان هداهم هو هداك الذي سار اليهم منك في الباطن
فاذا اهتديت بهداهم فانما ذلك اهتدا بهديك اذ الاولية لك باطنا والاخرية
لك ظاهرا ولو ان المراد بهداهم غير ما قررناه لقال تعالى له صلى الله عليه وسلم
فبهم اقتده وتقدم حديث كنت نبيا وادم بين الما والطين فكل نبي تقدم
على زمن ظهوره فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشريعة ۞ ويويد ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم وضع الحق تعالى يده بين ثديي اي كما يليق بجلاله فعلمت
علم الاولين والاخرين اذ المراد بالاولين هم الانبيا الذين تقدموه في الظهور
مدة غيبة جسمه الشريف ۞ وايضاح ذلك انه صلى الله عليه وسلم اعطي
العلم مرتين مرة قبل خلق ادم ومرة بعد ظهور رسالته صلى الله عليه وسلم
كما انزل عليه القران اولا من غير علم جبريل ثم نزل عليه به جبريل مرة اخرى
ولذلك قال تعالى له ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه اي
لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل ان تسمعه من جبريل بل اسمعه من
جبريل وانصت اليه كانك ما سمعته قط وقد علمت التلامذة الموفقين
بذلك مع استاذيهم ذكر ذلك الشيخ في الباب الثاني عشر من الفتوحات
وفي غير من الابواب وفي تصريح الشيخ بان القران انزل على رسول الله

صلى الله عليه وسلم قبل جبريل نظر ولم اطلع على ذلك في حديث فلينا مل
فان قلت فاذن روح محمد صلى الله عليه وسلم هي روح عالم الخبر كله وهي
النفس الناطقة فيه كله فالجواب نعم والامر كذلك كما ذكره الشيخ في
الباب السادس واربعين وثلاثمائة فحال العالم المذكور قبل ظهوره صلى
الله عليه وسلم بمنزلة الجسد المسوى وحاله بعد موته صلى الله عليه وسلم
بمنزلة النائم وحال العالم حين يبعث يوم القيمة بمنزلة الانتباه من النوم
فالعالم اليوم كله نائم من حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان
يبعث انتهى فان قلت فما الدليل على كون محمد صلى الله عليه وسلم افضل
من ابيه ابراهيم مع انه صلى الله عليه وسلم امرنا ان نسال الله ان نصلي عليه
كما صلى على ابراهيم والقاعدة ان يكون المشبه به افضل من المشبه فالجواب
ليس المراد ما يتبادر من ذلك الى الاذهان وانما النكتة في قوله كما صليت على
ابراهيم كونه صلى الله عليه وسلم كان مسولا في تعليم الصحابة كيفية الصلاة فلما
قالوا له كيف نصلي عليك ما وسعه الا التواضع فقال قولوا كما صليت على ابراهيم
وانت اذا قلت لانسان علمني عبارة اجلك بها لا يقدر ينطق لك بالفاظ تعطي
التفخيم مع كونك اقل حيا من الشارع بيقين فافهم فان قلت فلم كان محمد صلى
الله عليه وسلم افضل من ابيه ادم واقوى استعدادا منه مع انه فرع
من ادم عليه السلام كما قاله الشيخ في الباب الخامس من الفتوحات انما كان
من ابيه ادم لان ادم عليه السلام كان حاملا لالفاظ الاسما ومحمد صلى الله
عليه وسلم كان حاملا لمعانيها وهي جوامع الكلم المشار اليها بحديث اوتيت
جوامع الكلم فمن حصل الى الذات حصل على الاسما وكانت حيطة علمه ومن
حصل على الاسما لا يكون محصلا للذات الذي هو المسمى قال ولهذا فضلت
الصحابة فانهم حصلوا الذات ونحن حصلنا الاسم ولكن لما راعينا الاسم مراعاتهم
للذات ضوعف لنا الاجر لحسرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان لنا التضعيف
بذلك فنحن الاخوان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الاصحاب وهو صلى
الله عليه وسلم الينا بالاشواق وما امرحه بلقا واحد منا وللعامل منا

اجر خمسين ممن يعمل مثل عمل اصحابه كما ورد انتهى • واما كونه صلى الله
عليه وسلم اقوى استعدادا من ابيه ادم فلانه خلق من امتزاج الابوين
لا من واحد منهما بل من المجموع حسا وهما فجمع صلى الله عليه وسلم استعداد
الابوين فلهذا كان كماله اعظم من كمال ابيه • ذكر الشيخ في الباب الثاني
والسبعين من اسرار الحج من الفتوحات قال ومنها اختص محمد صلى الله عليه
وسلم بالكمال على ادم وابراهيم لكونه ابنا لهما وكل ابن له في النشاة هذا
الكمال الا ان الناس يتفاضلون فيه لاجل الحركات العلوية والطوالع
النورانية والاقترانات السعادية وان لم يكن لها عندنا اثر في التخليق
انتهى • وذكر الشيخ في الباب السابع وثلاثين وثلاثماية في حديث لو كان
موسى حيا ما وسعه الا ان يتبعني اعلم انه صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا
للعهد الذي اخذ على الانبيا بسعادته عليهم ونبوته في قوله تعالى • واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الاية فعمت رسالته
وشريعته كل الناس فلم يختص نبي بشي الا كان ذلك الشي لمحمد صلى الله عليه وسلم
بالاصالة انتهى • فكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو نايب له صلى الله عليه
وسلم وفي بعثته بتلك الشريعة • ذكره الشيخ تقي الدين السبكي ونقله عنه
الجلال السيوطي في اول الخصايص فان قلت ان القران قد تقدم انه
انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة قبل ان ينزل عليه تفصيلا
فما الحكمة في ذلك فالجواب انما انزل عليه صلى الله عليه وسلم القران اجمالا
ليفرق بين تنزله عليه وتنزل العلوم على الاوليا وذلك ان التدرج في
الامور انما هو للتحمل ولا تحمل للارسال بخلاف الاوليا لا تنزل عليهم العلوم
الا مفصلة فقط لان منهاجهم الترقي والتكسب فالنبوة وهب والولاية
كسب وقال في الباب العاشر من الفتوحات في قوله صلى الله عليه
وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وانما كان صلى الله عليه وسلم سيد ولد
ادم لان جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام نواب له صلى الله عليه وسلم
من لدن ادم الى اخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام كما ابان عن

ذلك حديث لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما الا اتباعي وصدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فانه لو كان موجودا بجسمه من
لدن ادم الى زمان وجوده لكان جميع بني ادم تحت شريعته حسا ولهذا
لم يبعث نبي الى الناس عامة الا هو خاصة فجميع شرايع الانبيا هي بالحقيقة
شرعه صلى الله عليه وسلم فان قلت فهل يكون نسخ شريعته لكل شريعة
تقدمت يخرج تلك الشرايع عن كونها شرعا له فالجواب لا يخرجها ذلك
النسخ عن كونها من شريعته فان الله تعالى قد اشهدنا النسخ في شرعه
الظاهر مع اجماعنا واتفاقنا على انه شرعه الذي نزل عليه فنسخ المتقدم
بالمتاخر ومما يشهد لكون جميع الانبيا نوابا له صلى الله عليه وسلم كون
عيسى عليه السلام اذا نزل لا يحكم الا بشرعه نفسه الذي كان عليه قبل
رفعه وانما يحكم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث به الى امته
ولو ان الشرع الذي يحكم به عيسى اذا نزل كان له بالاصالة لما كان يحكم
اذا نزل الى الارض لا يحكم الا به فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم
لا تفضلوني على يونس الحديث هل هو منسوخ او قاله تواضعا فالجواب
هو تواضع منه صلى الله عليه وسلم والا فهو يعلم انه افضل خلق الله
تعالى وذلك ليصح له تمام الشكر فانه اشكر خلق الله لله ولا يكون ذلك
الا بمعرفته كلما انعم الله به عليه فافهم ومعنى الحديث لا تفضلوني من
ذوات نفوسكم لجهلكم بالامر وليس معناه لا تفضلوني مطلقا فان من
فضله بتفضيل الله عز وجل له فقد اصاب فان قيل فهل للعارف
ان يفضله صلى الله عليه وسلم بحسب ما تحتمله الالفاظ فالجواب نعم له
ذلك ولكن الكامل لا يعتمد في جميع ما يقوله الا على ما يلقيه الله تعالى عنده
لا على ما تحتمله الالفاظ والله اعلم فان قلت فهل جميع مقاماته صلى الله
عليه وسلم تورث لاتباعه من الانبيا والاوليا ام يختص صلى الله عليه وسلم
بمقامات لم يصح لاحد منهم ان يرثها منه فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السابع
والثلاثين وثلاثماية يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لم يشاركه فيها احد من

الانبيا والاوليا ومنها انه اعطاه ضروب الوحي كلها من وحي المبشرات وانزاله
على القلب والاذن والعروج به الى السما ونحو ذلك ومنها انه اعطاه علم
الاحوال كلها لكونه ارسل الى جميع الناس كافة ومعلوم ان احوالهم مختلفة
فلابد ان تكون رسالته تعم الكل بجميع احوالهم ومنها انه اعطاه علم احيا
الاموات معنا وحسا بخلاف غيره فحصل صلى الله عليه وسلم العلم بالحياة
المعنوية وهي حيوة العلوم وحصل ايضا الحيوة الحسية وهو ما ان في قصة
ابرهيم تعليما واعلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله وكلا نقص عليك
من انبا الرسل ما نثبت به فوادك وجاءك في هذه الحق ومنها انه اعطاه علم
الشرايع كلها المتقدمة وامر ان يقتدي بهدي الانبيا لا بهم ومنها انه اختص
بشرع لم يكن لغيره كما اليه حديث اعطيت اشيا لم يعطهن نبي قبلي فهذه
امور خص بها لم يعطها احد غيره ومما خص به ايضا لوا الحمد في المقام
المحمود الذي يقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيمة باسمه الحميد
فان قلت فهل لوا الحمد واحد او هو عدد فالجواب هو سبعة الوية يسمي بالوية
الحمد تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورثته المحمديين وفي تلك الالوية
اسما الله التي يثني بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه عز وجل اذا اقيم
في المقام المحمود يوم القيمة وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا اسيل في الشفاعة
فاحمد الله بمحامد يعلمنيها لا اعلمها الان اي اثني عليه تعالى بهذه الاسما التي
يقتضيها ذلك الموطن ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم لا يثني على الله تعالى الا
باسمايه الحسني وهي لا يحاط بها علما وذلك انا نعلم ان في الجنة ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونعلم ايضا اننا لا نعلم ما اخفي لنا من
قرة اعين وما من شي من ذلك الا وهو مستند الى الاسم الالهي الذي اظهره
بخلاف الاسم الالهي الذي امتن الله تعالى علينا بالاطلاع عليه فلابد ان يثني
عليه به ونحن به اما ثنا تسبيح واما ثنا اثبات قال الشيخ محيي الدين في
الباب الثامن والثلاثين وثلاثماية وقد سالت الله تعالى على عدد تلك الاسما
المرقومة في الالوية فقيل لي ان عددها الف اسم وستماية اسم واربعة

وستون اسما قد رقم في كل لواء منها تسعة وتسعون اسما من احصاها في موطن
القيامة دخل الجنة يعني قبل الناس وليس احصاوها الا للرجل الكامل من
نبي وولي انتهى فان قلت فما حكمة جعل اللوا بيده صلى الله عليه وسلم
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين انه انما جعل بيده ليجتمع اليه
الناس اذ هو علامة على مرتبة الملك وعلى وجود الملك وانما سمي لوا لانه يلتوي
على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد كما اشار اليه حديث ادم ومن دونه تحت
لوايي وايضاح ذلك ان ادم عليه السلام عالم بالاسما وما ظهر بعلمها الا بحكم النيابة
عن محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الملايكة لتقدمه بالنبوة وادم بين الما والطين
فلما ظهر جسم محمد صلى الله عليه وسلم كان صاحب اللوا فياخذ اللوا من ادم يوم
القيمة بحكم الاصالة فيكون ادم فمن دونه تحت لوايه فان قلت فهل يدخل
تحت لوايه صلى الله عليه وسلم ايضا الملايكة فالجواب نعم لانها كانت تحت
ذلك اللوا في زمان ادم فكذلك يكونون في الاخرة تحته حين يحمله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخلافته على الجميع انتهى فان قلت فاين منزلة محمد صلى الله
عليه وسلم يوم الوفد الاعظم فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين
وثلثماية ان منزلته على يمين عرش الرحمن حين التجلي على العرش وامامته
يوم القيمة فمن بين يدي الحكم العدل لتنفيذ الاوامر الالهية في العالم فالكل
عنه ياخذ في ذلك الموطن وهو صلى الله عليه وسلم وجه كله فيري من جميع جهاته
وله من كل جانب اعلام عن الله تعالى لهم يرونه لسانا ويسمعونه صوتا
وحرفا انتهى فان قلت فهل الوسيلة مختص به فلا تكون لغيره ام يصح ان تكون
لغيره كما في الحديث لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون
انا هو فلم يجعلها له صلى الله عليه وسلم نصا فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين
في الباب الرابع والسبعين في الجواب الثالث والسبعين ان الذي نقول
به انه لا يجوز لاحد سوال الوسيلة ادبا مع الله تعالى في حق رسوله صلى الله
عليه وسلم الذي هدانا الله به وايثارا له ايضا على انفسنا وما طلب منا
ان نسال الله تعالى له الوسيلة الا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وتالفا للناظر

المشاورة فتعين علينا ادبا وايثارا ومروة ومكارم اخلاق ان الوسيلة لو كانت
لنا لوهبناها له صلى الله عليه وسلم فكان هو الاولى بافضل الدرجات لعلو منصبه
ولما عرفناه من منزلته عند الله تعالى * ومما يؤيد تحريم سوالنا الوسيلة لا نفسنا
ما ذكره العلما في الخصايص من تحريم خطبة المراة التي عرض عليه السلام تزويجها
له ولذلك امتنع ابو بكر من اجابة عمر حين ساله عمر ان يتزوج حفصة ابنته
وقال ابو بكر اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها انتهى * وقد رايت
في نسخة من نسخ الفتوحات بمصر ما نصه يجوز لكل مسلم ان يسال لنفسه
الوسيلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعينها لنفسه ولعلها من النسخ
المدسوس فيها على الشيخ او رجوع عنها بدليل قوله رضي الله عنه في الباب السابع
والثلاثين والثلاثماية ان منزلته صلى الله عليه وسلم في الجنان هي الوسيلة
التي تتفرع منها جميع الجنان وهي في جنة عدن دار المقامة ولها شعبة في كل
جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة وهي في كل جنة
اعظم منزلة فيها انتهى فاياك ان تضيف الى الشيخ ما في النسخ المدسوسة
ثم تعترض عليه والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الثالث والثلاثون

في بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما وبيان امتناع رسالة
رسولين معا في عصر واحد وبيان انه ليس كل رسول خليفة وغير
ذلك من النفايس التي لا توجد في كتاب والله سبحانه وتعالى اعلم
اعلم انه يا اخي انه قد ورد في الصحيح اول ما بدي به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة الحديث فان قلت فما حقيقة بدء
الوحي فالجواب كما قاله الشيخ في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث
والسبعين من الفتوحات ان المراد ببدء الوحي انزال المعاني المجردة العقلية
في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال سوا كان ذلك في نوم او يقظة
فان قلت فاذن هو من مدركات الحس فحضرة المحسوس كما في قوله تعالى

فتمثل لها بشرا سويا * قال الشيخ محيي الدين وفي حضرة الخيال ادرك رسول
الله صلى الله عليه وسلم العلم في صورة اللبن ولذا كان يؤول رؤياه وهذا
هو ما ابقاه الله تعالى على الامة من اجزا النبوة فان مطلق النبوة لم يرتفع
وانما ارتفع نبوة التشريع فقط كما يؤيده حديث من حفظ القران فقد
ادرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت به النبوة بلا شك وقوله فلا
نبي بعدي ولا رسول المراد به لا مشرع بعدي فان قلت فما الحكمة في كون
الرؤيا الصادقة جزا من ستة واربعين جزا من النبوة وما حكمة هذا العدد
فالجواب انما خصت الاجزا بهذا العدد لان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا
وعشرين سنة وكانت رؤياه الصادقة ستة اشهر ونسبة الستة اشهر الى
الثلاث وعشرين سنة جز من ستة واربعين جزا فلا يلزم ان تكون هذه
الاجزا لنبوة كل نبي فقد يوحى الى نبي اكثر من ذلك فتكون الاجزا بحسب ذلك
من خمسين وستين واكثر واقل والله اعلم فان قلت هل مقام الولاية من
لازم مقام النبوة ام هو وصف اخر لا يكون للانبيا فالجواب ان ولاية
الله تعالى لعباده هي الفلك المحيط العام وهي الدايرة الكبرى في حكمها وحقيقتها
ان الله يتولى من يشا من عباده برسالة او نبوة او ايمان ونحو ذلك من احكام الولاية
المطلقة فكل رسول لابد ان يكون نبيا وكل ولي لابد ان يكون وليا وكل
ولي لابد ان يكون مومنا فان قلت فالى اي وقت يستمر حكم الرسالة والنبوة
فالجواب اما الرسالة الى دخول الناس الجنة او النار واما النبوة فانها باقية
الحكم في الاخرة لا يختص حكمها بالدنيا فان قلت فما حقيقة الرسالة هل هي
حال او مقام فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائة ان
حقيقة الرسالة ابلاغ كلام من متكلم الى سامع وهي حال لا مقام اذ لا بقا لها
بعد انقضا التبليغ فلا تزال الرسالة يتجدد حكمها كل حين وهو قوله تعالى
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث فالاتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر
هو عند السامع المرسل اليه ولهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللبن لان الرسل
هو اللبن انتهى * وقال الشيخ في الباب التاسع والخمسين ومائة اعلم ان الرسالة

نعت الهي متوسط بين مرسل ومرسل به والمرسل به قد يعبر عنه بالرسالة
وقد تكون الرسالة حال الرسول لانفصالها بانقضا التبليغ قال تعالي
ما علي الرسول الا البلاغ فالرسالة هنا هي التي ارسل بها وبلغها وهكذا وردت
في القران حيث ما وردت ولا يقبلها الرسول الا بواسطة روح قدسي نزل
بالرسالة تارة علي قلبه وتارة يتمثل له الملك رجلا وكل وحي لا يكون بهذه
الصفة لا يسمي رسالة بشرية وانما يسمي وحيا او الهاما او وجودا ولا تكون
الرسالة الا كما ذكرنا يعني بواسطة روح قدسي فان قلت فما الفرق بين
النبي والرسول فالجواب الفرق بين الرسول والنبي هو ان النبي اذا القي
اليه الروح اقتصر به ذلك النبي علي نفسه خاصة ويحرم عليه ان يتبع غيره
ثم ان قيل له بلغ ما انزل اليك من ربك اما لطايفة مخصوصة كسائر الانبيا
واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلي الله عليه وسلم بهذا الوجه رسولا وان لم
يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول لا نبي واعني بها نبوة
التشريع التي لا تكون للاوليا فعلم ان كل رسول لم يخص بشي من الحكم في حق
نفسه فهو رسول لا نبي وان خص من التبليغ بشي في حق نفسه فهو رسول ونبي
فما كل رسول نبي علي ما قررناه ولا كل نبي رسول بالاطلاق والله اعلم هكذا
ذكره الشيخ في الباب الثامن والخمسين وماية فليتامل فان من بلغ شيا لا يصيب
له في العمل به يطلق عليه نبي ايضا من حيث انه مخبر والله تعالي اعلم فان قلت
فهل كان الوحي للانبيا الذين لم يرسلوا علي لسان جبريل في اليقظة ام في المنام
فالجواب لم ار في ذلك شيا عن الاصوليين ولكن ذكر الشيخ عبد العزيز الديريني
في كتابه المسمي بالدرر الملتقطة ان الانبيا الذين لم يرسلوا كان الوحي اليهم
في المنام علي لسان جبريل انتهي فلا ادري ما دليله في ذلك فليتامل فان
قلت فكم النبوة تنقسم علي قسم فالجواب تنقسم النبوة البشرية علي قسمين
القسم الاول من الله تعالي الي عبده من غير روح ملكي بين الله وبين عبده بل
اخبارات الهية يجدها في نفسه من الغيب او في تجليات ولا يتعلق بذلك
الاخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف بمعاني الكتاب والسنة او بصدق حكم

مشروع ثابت انه من عند الله تعالي او تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل
صحته ونحو ذلك وكل ذلك تنبيه من الله تعالي وشاهد عدل من نفسه قال
ولا سبيل لصاحب هذا المقام ان يكون علي شرع يخصه يخالف شرع رسوله
الذي ارسله اليه وامرنا باتباعه ابدا القسم الثاني من النبوة البشرية
وهو خاص بمن كان قبل بعثة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وهم الذين يكونون
كالتلامذة بين يدي الملك فينزل عليهم الروح الامين بشريعة من الله تعالي
في حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ما شا ويحرم عليهم ما شا ولا يلزمهم اتباع
الرسل وهذا المقام لم يبق له اثر بعد محمد صلي الله عليه وسلم الا في الايمة المجتهدين
من امته لكن يفارقونهم بوجوب اتباعهم للرسل فلهم ان يحلوا بالدليل ويحرموا
به انتهي فان قلت فهل ثم احد من البشر ينال في الدنيا علما من غير واسطة
محمد صلي الله عليه وسلم فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الاحد والثلثين واربعماية
ليس احد ينال علما في الدنيا الا وهو من باطنية محمد صلي الله عليه وسلم سوا الانبيا
والاوليا والعلما المتقدمون علي بعثته او المتاخرون عنه واطال في ذلك كما تقدم
بسطه في المبحث قبله فان قلت فهل اطلع الله احدا من الاوليا علي عدد الانبيا
والمرسلين وحصل له الاجتماع بهم كلهم من طريق كشفه فالجواب نعم ذلك واقع
لكل من حقق له قدم الولاية الكبري • وقد قال الشيخ محي الدين في الباب التاسع
والاربعين وثلاثماية اعلم ان عدد الانبيا والمرسلين من بني ادم ماية الف واربعة
وعشرون الفا ولا بد من هذا العدد في الاوليا في كل عصر وقد يزيدون
قال الشيخ وقد جمع الله تعالي بيني وبين جميع انبيايه في واقعة صحيحة حتي لم يبق
منهم احد الا وعرفته وكذلك جمعني علي من هو علي اقدامهم من الاوليا فرايتهم وعرفتهم
كلهم وقال ايضا في الباب الثالث والستين واربعماية رايت في كشفي جميع الانبيا
والمرسلين وانهم كما سياتي مشاهدة عين من كان منهم ومن يكون الي القيامة
وكذلك رايت في هذا الكشف جميع المومنين مشاهدة عين من كان منهم ومن يكون
الي يوم القيامة اظهرهم الحق تعالي لي في صعيد واحد وصاحبت منهم غير محمد
صلي الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه السلام قرات عليه القران كله باشده عايه

ذلك مني فكان يبكي عند كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القران وحصل لي منه
خشوع عظيم • واما موسى عليه السلام فاعطاني علم الكشف والايضاح عن الامور
وعلم تقليب الليل والنهار • واما هود عليه السلام فاخبرني بواقعة كانت وقعت
في الوجود وما علمها الا منه • واما عيسى عليه السلام فتبت على يديه اول دخولي
في طريق القوم قال ورايت في هذه الواقعة امورا علمت منها انه لاحظ لي في الشقا
منها اني رايت نفسي في السعدا الذين على يمين ادم عليه السلام فشكرت الله على
ذلك • وقال ايضا في الباب الثالث والسبعين ما اجتمعت باحد من الانبيا اكثر
من عيسى عليه السلام وكلما اجتمعت به دعا لي بالثبات في الدين حيا وميتا • وكان
لا يفارقني حتى يدعو لي بذلك • وكان يقول لي يا حبيبي وامرني اول اجتماعي
عليه بالزهد والتجريد • وكان من زهاد الرسل واكثرهم سياحة • وكان حافظا
للامانة لم ياخذه في الله لومة لائم • ولذلك عادته اليهود انتهى • وقال ايضا في
الباب الخامس والستين وثلاثماية قد شاهدت في واقعة نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم وشاهدت جميع الانبيا من ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم واشهدني الله
تعالى جميع المومنين بهم حتى ما بقي منهم احد لا ممن كان ولا ممن يكون الى يوم القيمة
وعرفت خاصهم وعامهم وعرفت جميع السعدا الذين كانوا في ظهر ادم عليه السلام
وعددهم فلا يخفى علي الان احد من اهل الجنة ولا من اهل النار ولكن لم يعطني الله
تعالى معرفة عدد اهل النار لكثرتهم فلا يعلم عددهم الا الله تعالى وعرفت في
هذا الكشف جميع مراتب الانبيا والمرسلين واتباعهم على جميع ما كنت امنت به مجملا
مما هو في العالم العلوي والسفلي وشهدت ذلك عيانا كله وما زحزحني عن ذلك
الذي رايته وشاهدته عن ايماني فلم ازل اقول وافعل ما اقوله وافعله
لقول النبي صلى الله عليه وسلم لي قل كذا او افعل كذا لا لعلمي ولا لعيني ولا لشهودي
فواخيت في شهودي بين الايمان والعيان في ان واحد لئلا يفوتني ثواب الايمان
قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتي هذا وان كنت اعلم ان في رجال
الله من ناله لكني لم اجتمع به يقظة ومشافهة قال وسبب ذلك اني ما علقت
خاطري قط من جانب الحق تعالى بشي يطلعني عليه من الكون وانما علقت خاطري

مع

مع الله ان يستعملني فيما يرضيه لو خالف ذلك نفسي وان لا يحجبني عنه عند وقوع
ما يباعدني عنه وعن شهوده فاني انا العبد المحض الذي لا ارى لي شرفا على احد
من عباد الله واتمنى ان يكون العالم كله مطيعا على قدم المعرفة قال وانما
ذكرت لك ذلك من باب التحدث بالنعمة وفتحا لباب تنشيط الاخوان لنيل
طلب مقامات الرجال انتهى فان قلت فما معنى قوله تعالى ينزل الروح من امره
على من يشا من عباده فالجواب ان الروح هنا هو الملقى من عند الله الى قلوب
عباده ويكون امر الله هو الذي القاه لان صورة ذلك الروح هو صورة قوله تعالى
لا اله الا انا فاتقون ولو لم تكن صورته ذلك لكان يقول ان لا اله الا هو فالوسايط
مرتفعة في هذا التنزل لا وجود لها اذ كان عين الوحي المنزل هو عين الروح والملقي
هو الله لا غيره فليس الروح هنا عين الملك فان قلت فهل الملايكة تعرف
هذا الروح فالجواب لا تعرف الملايكة هذا الروح لانه ليس من جنسها اذ هو روح
غير محمول وليس بوا ربنا والملك روح في نور • قال الشيخ في الباب الثامن
وثلاثين ومايتين وهذا الذوق لنا ولساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام واما
تنزل الارواح الملكية على قلوب العباد فانهم لا ينزلون الا بامر الرب وليس
معنى ذلك ان الله يامرهم من حضرة الخطاب بالانزال وانما يلقي اليهم ما لا يليق
بمقامهم ان يعرفوه بذوائهم في صورة من ينزلون عليه بذلك فيعرفون ان الله
تعالى قد اراد منهم الانزال والنزول بما وجدوه في نفوسهم من الوحي الذي لا يليق
بهم فانه من خصايص البشر فان البشر يشاهدون صورة المنزل عليهم في الصورة
التي عندهم فيعرفون من تلك الصور من هو صاحبها في الارض فينزلون عليه
ويلقون اليه ما يلقي اليهم فيعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحي فان كان
منسوبا الى الله تعالى بحكم الصفة سمي قرانا وفرقانا وتوراة وانجيلا وزبورا
وصحفا وان كان منسوبا الى الله تعالى بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمي حديثا وخبرا
وسنة ورواية • قال الشيخ وقد ينزلون ايضا بالامر الالهي من حضرة الخطاب
فان قلت فما معنى قول الملك وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما
خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ما معنى النسيان فالجواب معناه ليس ربك

نبيا فيما شاهد من قول جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم في حال كونها اعيانا ثابتة في
علمه حال عدمها وخطابا تماما فصح قوله نبيا لا حكاية امر محقق في وجود محقق اذ
لا يتصف بالحدوث ثم ان تلك الاعيان لما حدثت اخبرت بما كان منها قبل كونها مما
شاهد الحق تعالى منها ولم تشهده هي لعدم وجودها لنفسها ۞ وقد روي عن
الزهري انه حدث من عن شخص من الثقات فقال حدثني فلان اتصل الاسناد وان
كان هولا يعلم هذا الحديث ۞ ذكره الشيخ في الباب السابع وثمانين ومايتين وسيأتي
بسط الكلام على احوال الملايكة في المبحث التاسع والثلاثين فراجعه والله اعلم
فان قلت هل النبوة مكتسبة كالولاية اي ولاية النبي كما قيل ام هي موهوبة
فالجواب الولاية في كل من النبي والولي مكتسبة وما خرج عن الكسب سوى النبوة
وايضاح ذلك ان الله تعالى خلق الخلق على منازل بحسب ما سبق في علمه فجعل
الملايكة ملايكة وجعل الرسل رسلا والانبيا انبيا والاوليا اوليا والمومنين مومنين
والمنافقين منافقين والكافرين كافرين كل ذلك متميز عنده سبحانه وتعالى
لا يزيد فيهم ولا ينقص منهم ولا يتبدل احد باحد فليس لمخلوق تعمل في مقام
لم يخلق عليه بل قد وقع الفراغ من ذلك فلا يجري احد في غير مجراه ولا يمشي
احد في مدرجة احد اذ لو سلك احد في مدرجة احد لكانت النبوة مكتسبة
وحصلها من لم يكن نبيا وذلك غير واقع انتهى وقال الشيخ ايضا في الباب
التاسع عشر لكل شخص من اهل الله سلم يخصه لا يرقى فيه غيره اذ لو رقي احد في
سلم احد لكانت النبوة مكتسبة والامر على خلاف ذلك فان قلت فما شبهة
قول من يقول ان النبوة مكتسبة فالجواب شبهته في ذلك كونه راى الانبيا
قبل رسالتهم لا بد لهم ان ينقطعوا ويتعبدوا واعلى نية قوة الاستعداد للوحي
ليرجعوا الى الحالة التي كانوا عليها حين قدر الحق تعالى المقادير فلما نظر هولا
القوم الى انقطاعهم وتعبدهم ثم حصول النبوة لهم ظنوا ان النبوة مكتسبة
وهو وهم وقصور نظر فان قلت فما شبهة منكري النبوات المعهودة فالجواب
سبب انكارهم ذلك توهمهم ان كل من صفى جوهرة نفسه من الكدورات الطبيعية
والتزم مكارم الاخلاق العرفية صار نبيا من غير وحي اليه على لسان ملك

قالوا فانه اذا صفى قلبه انتقش في نفسه جميع ما في العالم العلوي من العلوم السماوية
التي في اللوح المحفوظ وغيره بالقوة فنطق بالغيوب وهناك يسمى نبيا عندهم
ذكره الشيخ في الباب الخامس والستين وثلاثماية ثم قال وليس الامر عندنا وعند
اهل الله كما قال هولا وان جاز وقوع ما ذكروه من انتقاش العلوم الالهية في قلبه
لانه لم يبلغنا ان نبيا او حكيما صفى جوهرة نفسه فاحاط علما بما يحتوي عليه حاله
في كل نفس ابدا بل غايته ان يعلم بعضا ويجهل بعضا والحال في رد اقوال منكري
النبوة فكذب والله وافترى من زعم ان الشيخ فلسفي كما مر في مبحث حدوث العالم
وقد قال ايضا في المبحث الثامن والستين ومايتين من قال ان النبوة مكتسبة
اخطا لان النبوة اختصاص الهي قطعا قال وشبهة قول من يقول انها مكتسبة
زعمه انها ليست من الله تعالى وانما هي من فيض العقل والارواح العلوية انتهى
وقال ايضا في الباب الرابع والثمانين ۞ اعلم ان كل مامور به فهو مقام مكتسب
ومن هنا قالوا المقامات مكاسب والاحوال مواهب انتهى فان قلت فهل كل
رسول خليفة ام الخلافة لبعض الرسل دون بعض فالجواب كما قاله الشيخ في الباب
الثامن والاربعين انه ليس كل رسول خليفة انما تكون الخلافة لمن نص الله تعالى
على خلافته كداود عليه السلام فهو رسول وخليفة لانه قال له احكم بين الناس
بالحق ۞ واما ادم عليه السلام فاجمل الله تعالى له الخلافة وما قال له احكم
فان قلت فما الفرق بين الخلافة والرسالة فالجواب الفرق بين الخليفة
والرسول ان الخليفة هو كل من جمعت فيه هذه الصفات فامر ونهى وعاقب
وعفى وامرنا الله تعالى بطاعته فهذا هو الخليفة واما الرسول فهو كل من يبلغ امر
الله ونهيه ولم يكن له من نفسه امر من الله ان يامر وينهي في كل ما اراد فهذا
رسول مبلغ رسالات ربه لا خليفة قلت ويصح ان يسمى الرسول الذي
لم يصرح الحق بقوله له احكم خليفة ايضا من حيث انه نايب عن الحق في خطابنا
بالتكليف وغيره والله اعلم ۞ وقال ان للخليفة ان يشرع كلما اراد مما لم يامره الحق به
صريحا ۞ وليس ذلك للرسول ۞ قال تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم اي اطيعوا الله فيما امركم به على لسان محمد يقول محمد فيه ان الله تعالى يامركم

بكذا واطيعوا الرسول مما لم يبلغه عن امر ولا قال لكم انه من عندي ويويد هذا
التاويل قوله تعالى واطيعوا الرسول فعضل امر الله الذي نطيعه فيه من طاعة
رسوله ولو كان يعني بذلك ما بلغه الينا من امر الله الذي امرنا به لم يكن ثم فائدة
زايدة بطاعة رسوله فتعين ان يكون المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم ان نطيعه
فيما امر هو به ونهي عنه مما لم يقل هو وانه من عند الله وسياتي بسط ذلك في
بحث وجوب الاذعان والطاعة للرسول ان شا الله تعالى فان قلت هل
يقدح في كمال عبودية الرسول بالنظر لمقامهم طلبهم الاجر على التبليغ كما اشاروا
اليه بقولهم ان اجري الا على الله فالجواب كما قاله الشيخ في باب اسرار الزكاة
من الفتوحات لا يقدح في عبودية الرسل ذلك وانما قال نوح عليه السلام
ان اجري الا على الله لعلمنا بان كل عمل خالص يطلب الاجر بذاته وذلك لا يخرج العبد
عن اوصاف عبوديته فانك العبد في صورة الاجير بالاثبات اجيرا ذ حقيقة الاجير
من استوجر وهو اجنبي عن عبودية المستاجر له والسيد لا يستاجر عبده وانما العمل
يقتضي الاجرة وهو لا ياخذها وانما ياخذها العامل وهو العبد فهو قابض الاجرة
من الله تعالى فاشبه الاجير في قبضه الاجرة وفارقه بالاستيجار انتهي فان قلت
فهل الافضل ترك الاجرة او اخذها صدقة من الله تعالى فالجواب كما قاله الشيخ في
الكلام على الاذان ان مذهب المحققين اخذ الاجرة وان ذلك افضل من تركها لكن بشرط
ان يكون مشهده الاخذ من الله عز وجل لا من المخلوقين فالكمل طلب الاجرة واخذها من
باب المنة واظهار الفاقة لا من باب الاستحقاق وذلك من اجل من يوكل ويتمتع به
فعلم ان مقام الدعوة الى الله يقتضي الاجرة وما نبي دعي قومه الى الله الا قال
لا اسالكم عليه اجرا فاثبت الاجر على الدعا ولكن اختار ان ياخذه من الله ويوخذ
من هذا ان الواعظ منا او المدرس او المفتي يعلم ان ياخذ اجرا على ذلك اذ هو في عمل
يقتضي الاجرة بشهادة كل رسول لله تعالى واله ايضا ان يترك الاخذ من الناس
ويطلبه من الله تعالى اقتدا بالانبيا عليهم الصلاة والسلام اذ هو اجر تفضل الله به على
عبده لكون العبد لا يستحق على سيده اجرا من حيث انه ملكه وعين ماله وقال الشيخ
ايضا في الباب السادس عشر وثلاثماية اعلم ان استخدام الحق تعالى للعبد على حالين

فتارة يعبده العبادة المحضة وتارة يعبده عبادة اجارة فمن كونه عبدا هو مكلف
بالصلاة والزكاة وجميع الفرايض ولا اجر له على هذا جملة واحدة من حيث ادا فرضه
انما له ما يمن به على سيده من النعم التي هي افضل من الاجر لا على جهة الاجر ثم انه تعالى
ندب الى عباده في امور ليست فرضا على العبد تعلي هذا الاعمال المندوبة فرضت
الاجور فكل من تقرب بها الى سيده اعطاه اجرته عليها وكل من لم يتقرب بها
لم يطلبه ولا يعاقبه عليها فمن هنا كان العبد حكمه حكم الاجير في الاجارة فالفرض
له الجزا الذي يقابله من حيث انه هو العبد الذي بين الله وبين عباده واما النوافل
فلها الاجور وهي قوله في الحديث القدسي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه الحديث فقد انتجت لنا نافلة للعبد محبة الحق تعالى والنكتة في ذلك هو
ان المتنفل عبد اختيار كالاجير فاذا اختار الانسان ان يكون عبد الله لا عبد هواه
فقد اثر الله تعالى على هواه واما في الفرايض فهو عبد اضطرار لان العبودية
اوجبت على العبد خدمة سيده فيما افترضه عليه فعلم ان بين الانسان في
عبوديته الاضطرارية وعبوديته الاختيارية كما بين الاجير والعبد المملوك
فان العبد الاصلي ماله على سيده استحقاق الا ما لا بد منه فهو ياكل ويلبس من سيده
ويقوم بواجبات اموره ولا يزال في دار سيده ليلا ونهارا لا يبرح الا اذا وجهه
سيده في شغل فهو في شغله الدنيا وي مع الله تعالى وكذلك حاله يوم القيمة
وفي الجنة فانها جميعها لسيده ملك فيتصرف فيها باذن سيده كتصرف المالك
والاجير ليس له الا ما عين له من الاجرة فقط ومنها نفقته وكسوته وماله
دخول على حرم سيده وموجره ولا له اطلاع على اسراره ولا تصرف في ملكه الا بقدر
ما استوجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته واخذ اجرته فارق موجره واشتغل
باهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة وطلب ممن استاجره الا ان يامن
عليه رب المال بان يبعث خلعة ويجالسه ويخلع عليه فذلك المنة فان قلت
فهل تكون عبودية الاضطرار في الجنة كما هي في الدنيا فالجواب لا يكون في الاخرة
عبودية اضطرار ابدا لعدم التحجير فان تفطنت بالحق لما نبهتك عليه علمت من
اي مقام قالت الانبيا ان اجري الا على الله مع كونهم العبيد الخلص الذين لم يملكهم قط

هوى نفوسهم ولا هوى احد من خلق الله تعالى وذلك ان طلب الاجر راجع الى
دخولهم تحت حكم الاسما الالهية فمن هناك وقعت الاجارة فيهم في حال الاضطرار
وهم في الحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك والاسماء انما تطلبهم لتظهر اثارها فيهم
فكل اسم ينادي بهم ادخلوا تحت امري وانا اعطيكم كذا وكذا فلهم الاختيار من هذا
الوجه في الدخول تحت اي اسم شاوا فلا يزال احدهم في خدمة ذلك الاسم حتى
يناديه السيد من تحت عبودية الذات فيترك كل اسم الهي ويقوم لدعوة سيده
فاذا فعل ما امره به حينئذ رجع الى اي اسم شا ولهذا كان الانسان يتنفل حتى
يسمع اقامة الصلاة للفريضة فيقوم ويترك كل نافلة ويبادر الى ادا فرض سيده
ومالكه فاذا فرغ دخل في اي نافلة شا فان قلت فمن اي حضرة كان اجر
الانبيا على الله تعالى فالجواب هو من حضرة السيادة عليهم فانه هو الذي
استخدمهم في التبليغ فان قلت فهل يكون زيادة اجر النبي ونقصه
بحسب النية والعزم او بحسب التعب والراحة من جهة المدعوين فالجواب كما
قاله الشيخ في الباب السابع عشر واربعماية ان اجر كل نبي يكون على قدر ما ناله من
المشقة الحاصلة من المخالفين له فان قلت فكيف يصح طلب الاجر من الله مع
كون الاجر ليس هو بمعلوم القدر عند الرسول والواعظ فالجواب انما صح طلب
ذلك من الله تعالى مع كونه مجهولا لا لعلم الرسول فان الله تعالى يعلمه بخلاف طلب
الاجر المجهول من الخلق لا يصح الا بعد علمه وذلك لجهل الخلق بما يستحقه الداعي
عليهم فان قلت فهل للرسول اجر اذا ردت قومه رسالة ولم يقبلوها منه
فالجواب نعم للرسول الاجر في ذلك لكن كاجر المصاب فيمن يعز عليه فللرسول
اجر بعدد من رد رسالته من امته للعوام من العدد ما بلغوا كما ان الذي يعمل بشرع
محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن به له اجر جميع من اتبع الرسل لاجتماع الشرايع كلها
في شرع محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت فما هو الغيب الذي يطلع الله تعالى
عليه رسله المشار اليه بقوله فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
هل هو ما غاب عنهم من احكام التكاليف الموحى بها اليه ام غير ذلك فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الاحد وعشرين وثلاثماية ان المراد بهذا الغيب المخصوص

بمن كان رسولا هو علم التكاليف الذي غاب عن العباد ولم تشتغل عقولهم بادراكه
ولهذا جعل له الملايكة له رصدا حذرا من الشياطين ان تلقي الى الرسول ما يعمل به
في نفسه من التكاليف الذي جعله الله طريقا الى سعادة العباد من امر ونهي ويؤيد
ما قلناه من ان هذا الغيب هو علم الرسالة التي يبلغها الرسول عن الله تعالى قوله
تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم فاضاف الرسالة الى قوله ربهم لما علموا ان
الشياطين لم تلق اليهم اعني الرسل شيا فيتيقنون ان تلك الرسالة من الله تعالى
لا من غيره فان قلت فهل ذلك القدر الذي يطلع الله عليه من ارتضاه من رسول
هل هو باعلام الملك له ام هو بلا واسطة ملك فالجواب هو بلا واسطة ملك فان
الملايكة اذا لم يكن لها واسطة في الوحي تحف انوارها بالرسول كالهالة حول القمر
وتكون الشياطين من ورايها لا يجدون الى هذا سبيلا حتى يظهر الله تعالى ذلك
الرسول على ما شا من غيبه المتعلق بالتكاليف كما مر قال الشيخ محيي الدين وليس
في الفتوحات المكية ولا غيرها من كتب الشيخ اصعب من تصوير الغيب الذي انفرد به
الحق ويسمى الغيب الحالي المشار اليه بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو وانما كان محالا لانه غيب برزخي بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص
لاحد الجانبين وكان هذا عن فضل الصديق عن غيره به وقليل من عثر عليه
فان قلت فما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم كان يلحقه البرد اذا نزل عليه
الوحي عرق من شدته للانضغاط الذي يحصل من التقا روح الملك وروح الرسول
ثم ان الهوا الخارج مع الرطوبات من البدن يعم المسام بقوته فلا يتخلل الهوا
البارد من خارج ثم اذا سري عن ذلك النبي صلى وانصرف الملك عنه سكن المزاج
وانفثت الحرارة الغريزية وايضاح ذلك ان الملك اذا ورد على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بامر يتعلق بعلم خبري او حكم يتلقى ذلك منه الروح الانساني وبلاقاه
هذا بالاصغا وذلك بالالقا وكل منهما نور فيحتد عند ذلك المزاج ويشتعل ويتحرك
الحرارة الغريزية المزاجية حتى يتغير وجه الرسول من شدتها وهو المعبر عنه بالحال
وهو من اشد ما يكون ثم ان تلك الرطوبات البدنية تصعد بخارات الى سطح كرة
البدن لاستيلا الحرارة ومنه يكون العرق الذي يطرا على صاحب الحال ثم اذا

انعشت تلك الحرارات وانفتحت المسام فقبل الجسم الهوا البارد من خارج فيتخلل
الجسم وحصل البرد في المزاج فيطلب الغطا وزيادة الثياب ليسخن وذلك
لاستيلا البرد والقشعريرة على الحرارة الغريزية وضعفها ولا يخفى ان هذا
كله خاص بما اذا كان التنزل على القلب بالصفة الروحانية والله اعلم فان قلت
فلم اختار الانبيا النوم على ظهورهم دون جنوبهم فالجواب كما قاله الشيخ في
الباب الحادي والثلاثين وثلاثمائة انهم انما اضطجعوا على ظهورهم لعلمهم
بان كلاهما قابل الوجه فهو افق له ومعلوم ان الافق نوعان نوع ادون وهو
الارض ونوع اعلى وهو السما فلذلك استلقوا على ظهورهم ليكون افقهم اعلى
وايضاح ذلك كما في الباب الثالث والثلاثين هو ان تعلم الوارد الالهي اذا صفة
القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من
الوارد الالهي من العلوم الالهية فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده
فرجع الى اصله وهو لصوقه بالارض المعبر عنه بالاضطجاع ولو كان على
سرير فان السرير هو المانع له من وصوله الى التراب فهذا سبب اضطجاع الانبيا
عليهم الصلاة والسلام على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم ثم ان الموحى اليه
اذا فرغ من ذلك التلقي وصدر الوارد الى حضرة ربه رجع الروح الى تدبير
جسده فاقامه من مضجعه قال الشيخ وما بلغنا عن نبي قط انه تخبط
واضطرب عند نزول الوحي ابدا والله اعلم فان قلت فهل ثم احد في العباد
اقوى من الانبيا لتحملهم ثقل الوحي فالجواب نعم ما ثم اقوى من الانبيا فهم اقوى
من الجبل لتحملهم الوحي حين نزل عليهم ولم يحمل ذلك الجبل بل تصدع قال الشيخ
في الباب الثاني والاربعين وثلاثمائة مما يؤيد قولنا ان الانبيا اقوى من الجبال
قوتهم على سماع ما لا يليق بجناب الله تعالى من الكفار وغيرهم وعدم قوة الجبال
لسماع ذلك قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا ه وقد سمع الانبيا قول الله تعالى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يكادوا ينفطرون ولا ينهزلون
بل ثبتوا وذلك لانه تعالى يتجلى للانبيا في نحو حضرة قوله لو اراد الله ان يتخذ

ولدا

ولدا لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فعلموا من حضرة الاطلاق الالهي
ما لم تعلمه السموات والارض والجبال فانتج لهم هذا العلم قوة في نفوسهم حملوا بها
ما سمعوه في حق الله ولو ان ذلك نزل على من ليست له هذه القوة لذاب عظمه
فانظر ما اكثف حجاب من اعتقد ان لله ولدا وما اشد عماه عن رؤية الحقايق انتهى
فان قلت فهل كان قبل نوح عليه السلام رسل ام كانوا كلهم انبيا فقط حتى
ادم عليه السلام فالجواب لم يبلغنا في كتاب ولا سنة انه كان قبل نوح رسل
وانما كانوا كلهم انبيا فقط كل نبي منهم على شريعة مخصوصة من ربه عز وجل
ولكن الا ان كل من شا من القوم دخل في شرع احدهم معهم ومن شا لم يدخل فمن دخل
ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر كما انه اذا دخل نفسه ثم كذب الانبيا
كان كافرا واما من لم يكذب وبقي على البراة فليس بكافر قلت لكن رايت
في مسند الامام سنين مرفوعا كان ادم رسولا مكرما انتهى فليتامل مع ما
قبله وما بعده فان قلت قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
هو نص في الرسالة فالجواب ليس هو بنص في الرسالة كما ذكره الشيخ في الباب
الثالث عشر وثلاثمائة قال وانما هو نص في ان في كل امة عالم بالله تعالى وباليوم
الاخرة وذلك هو النبي لا الرسول اذ لو كان الرسول لكان قال اليها ولم يقل
فيها فليس هو بنص في الرسالة وهذا هو الذي نقول به فلم يكن فيهم رسول وانما كان
فيهم انبيا عالمون بالله تعالى فمن شا وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم
ومن شا لم يكلف ذلك واما ادريس عليه السلام منهم فلم يجي له نص في القران بالرسالة
وانما قيل صديقا نبيا فاول شخص افتتح الله به الرسالة لقومه نوح والسلام
فان قلت فهل كانت عدم اجابة اكثر قوم نوح عليه السلام لضعف عزمه
ام لاتساع حاله وغلبة التسليم لله تعالى عليه فلم تكن له همة تنفذ فيهم فالجواب ليس
للهمة من الداعي اثر في المدعوين جملة واحدة ومن قبل من رسوله ما قيل فليس ذلك
من علو همة الداعي وانما ذلك من حيث ما وهب الله لخالقه من المزاج الذي اقتضى له
قبول مثل ذلك ويسمى هذا المزاج الخاص الذي لا يعلمه الا الله تعالى وبه كان كفر اول
من كفر ممن ليس له ابوان يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما ورد فعلم انه

لوكان تاثير الكلام في المدعو من همة الداعي فقط لاسلم كل من شافهه الرسول بالخطاب
كائنا من كان لنفوذ همته وكان يقدح في كمال الرسل رد قومهم رسالتهم ولا قايل بذلك
فسقط قول من يقول لوكان الواعظ صادقا مخلصا في وعظه لاثر وعظه في قلوب
السامعين فانه لا اصدق من الرسل ومع ذلك فلم يجر قولهم في السامعين قبولا بل
قال نوح عليه السلام اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعآئي الا فرارا فلما لم
يعم القبول في السامعين لكلام الرسل مع تحققنا بعلو هممهم علمنا ان الهمة مالها اثر
جملة واحدة وانما ذلك من المزاج كما مر ومن سمع قول واعظ ولم يوثر فيه القبول
فالعيب منه لا من الواعظ اذ صاحب العقل السليم يوثر فيه الكلام الحق على يدي
اي من جابه من الناس ولو من كافر بالله اذ الوحي الذي جا به المشرع حق على كل حال
وان لم يعمل به حامله فالعاقل يقبل ذلك من حيث كونه حقا لا من حيث المحل الذي
ظهر به فان قلت فما ايضاح ذلك فالجواب ان ننظر في حال المدعو فان رايته
في حال سماعه يسمع من الواعظ كلاما ولم يوثر فيه ثم انه يسمعه من واعظ اخر بعينه
فيوثر فيه فاعلم ان ذلك التاثير لم يكن من حيث قبوله الحق وانما هو من حيث نسبة
بينه وبين الواعظ الثاني من اعتقاد فيه او نحو ذلك فما اثر في السامع سوى نفسه
وفي القران العظيم ان عليك الا البلاغ وقال ليس عليك هداهم اي ليس عليك
ان توفقهم لقبول ما ارسلتك به وامرتك ببيانه ولكن الله يهدي من يشا وهو اعلم
بالمهتدين اي الذين قبلوا التوفيق على مزاج خاص فللهادي الذي هو الله تعالى
الابانة والتوفيق وليس للهادي من المخلوقين الا الابانة فقط ذكره الشيخ
في الباب التاسع والسبعين وثلاثماية فان قلت فما معنى قوله تعالى لتبين
للناس ما نزل اليهم مع ان القران جا على لغتهم فما السبب الداعي الى احتياجهم الى بيان
الرسول صلى الله عليه وسلم فالجواب سبب ذلك لان كل كلام لابد فيه من اجمال
وما كل احد يعرف المجمل فلذلك لم يكتف الحق تعالى بنزول الكتب الالهية من غير بيان
الرسل لما اجمل فيها ومعلوم انه لا يفصل البيان الا العبارة فناب الرسل مناب
الحق تعالى في تفصيل ما اجمله في كتابه وناب المجتهدون مناب الرسل فيما اجملوه
من كلامهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا برحت

من

من لسان الى لسان ولا من حال الى حال قال تعالى فاجره حتى يسمع كلام الله وهو
لما انزل خاصة وآما ما فصله الرسول وابان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل
فان البيان وقع بعبارة اخرى ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثماية
فان قلت فهل النبوة من النعوت الالهية او الكونية فالجواب انها من النعوت
الالهية اثبت حكمها من الجناب الالهي الاسم السميع واثبت حكمها صفة الامر الذي
في الدعا الماموربه واجابة الحق تعالى عباده فيما سالوه فيه وليست النبوة
بمعقول زايد على هذا الذي ذكرناه الا انه تعالى لم يطلق على نفسه من ذلك اسما
كما اطلق على الولاية فسمى نفسه وليا وما سمى نفسه نبيا مع كونه اخبرنا وسمع دعانا
ذكره الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائة فان قلت فما معنى قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
كيف وصل الى قلب الرسول والنبي مع انهما معصومان منه فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب السادس من الفتوحات ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام انما عصموا
من العمل بوسوسة الشيطان فقط فهو يلقي اليهم ولا يعملون بقوله لعصمتهم فليس
له على قلوب الانبيا سبيل فالعصمة حقيقة انما هي من العمل بما يلقي لا من الالقا
لاجل الاية المذكورة في السوال بخلاف قلوب الاوليا فقد يعملون بما يلقي اليهم
ان لم تحفهم العناية بالحفظ ولما علم ابليس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
معصوم من العمل بقوله لعصمة قلبه من استشراف ابليس عليه جاه في الصلاة
بشعلة نار محيلة فرمى بها وكان غرض الشيطان ان يفتن بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صلاته وعن الاقبال عليها لما راى له من الاقبال في
الصلاة ومن الخير اذ هو لعنه الله حسود لبني ادم بالطبع فتاخر النبي صلى
الله عليه وسلم الى خلفه ولم يقطع صلاته واخبر بذلك اصحابه خاتمة
ان قلت هل يمتنع رسالة نبيين معا في ان واحد الى شخص واحد فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الرابع والعشرين من الفتوحات نعم يمتنع رسالتهما الا ان
يكونا ينطقان في رسالتهما بلسان واحد في آن واحد كموسى وهرون قال تعالى
فيهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا الى اخر النسق فلم يكن لكل منهما

عبارة تخصه دون الاخر لاسيما وموسي عليه الصلاة والسلام يقول عن هرون هو افصح مني لسانا انتهي والله سبحانه وتعالي اعلم

المبحث الرابع والثلاثون

في بيان صحة الاسرا وتوابعه وانه راي من الله تعالي صورة ما كان يعلمه منه في الاخرة لاغير وما تغيرت عليه صلي الله عليه وسلم صورة اعتقاده حال كونه في الارض

اعلم ان الاصل في قصة الاسرا قوله تعالي سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير قال الشيخ محيي الدين والضمير في قوله انه راجع الي رسول الله صلي الله عليه وسلم لا الي الباري جل وعلا واطال في ذلك ثم قال فما نقل الحق تعالي محمدا صلي الله عليه وسلم من مكان الي مكان لنريه تعالي ما خص به ذلك المكان من الايات والعجايب الدالة علي قدرته تعالي من حيث وصف خاص لا يعلم من الله الا بتلك الاية كانه تعالي ما اسري بعبدي الا لروية الايات لا الي لانه لا يحويني مكان ونسبة الامكنة الي نسبة واحدة وكيف اسري بعبدي الي وانا معه كيف كان فان قلت فما بقي الا ان روية الملك في دسكرة ملكه وجنوده اعلي في التعظيم وحصول الهيبة من رويته وهو منكر وانما كان تعالي لا يحويه مكان لان المكان المعقول هو من سقف العرش الي تخوم الارضين وذلك كالذرة بالنسبة لما فوق العرش ولما تحت التخوم فان صعد العرشي ابد الابدين لا يجد بعده سقفا او نزل العرشي ابد الابدين لا يجد له ارضا ومن راي الوجود بهذه الروية بعد عن القول بالجسمية تعالي الله رب العالمين عن ذلك قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والستين وثلاثماية ولما اراد الله سبحانه وتعالي ان يري محمدا صلي الله عليه وسلم من اياته ما شا انزل الله تعالي اليه جبريل وهو الروح الامين بدابة يقال لها البراق اثباتا للاسباب وتقوية له ليريه العلم بالاسباب ذوقا كما جعل الاجنحة للملايكة ليعلمنا بثبوت الاسباب التي وضعها في العالم والبراق دابة برزخية فانه دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين

وفوق

وفوق الحمار الذي من جنس واحد لحكمة يعلمها اهل الله فركبه صلي الله عليه وسلم وحاذاه جبريل وسار في الهواء قال الشيخ المرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل للمرسل اليه ليركبه ثم تمام به في الظاهر واما في الباطن فمعناه انه لا يصل الي حضرته الا بما كان منه تعالي لا علي ما يكون لغيره فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدري مواقع الامر مبنا فجا صلي الله عليه وسلم الي بيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي يربط بها الانبيا قبله كل ذلك اثباتا للاسباب فانه ما من رسول الا وقد اسري به راكبا ذلك البراق ولكن رسول الله صلي الله عليه وسلم اختص عنهم في اسرايه بامور يعرفها اهل الله عز وجل فان قلت فما الحكمة في ربطه صلي الله عليه وسلم مع علمه بانه مامور فالجواب انما ربطه اثباتا لحكمة العادة التي اجراها الله تعالي في مسمي الدابة ولو انه اوقفه من غير ربطه بالحلقة لوقف ولكن حكم العادة منعه من ذلك الا تراه صلي الله عليه وسلم كيف وصف البراق بانه سمين وهو من شان الدواب التي تركب وانه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضي به صاحبه في القافلة التي لاقته في طريق مكة فوصف البراق بانه يعثر والعثور هو الذي اوجب قلب الانية يعني القدح ولما جا جبريل الي النبي صلي الله عليه وسلم قال له يا محمد اركب فركبه صلي الله عليه وسلم ومعه جبريل وطار به البراق في الهوا واخترق به الجو فعطش صلي الله عليه وسلم واحتاج الي الشرب فاتاه جبريل باناءين انا لبن وانا خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام اصبت الفطرة اصاب الله بك امتك ولذلك كان صلي الله عليه وسلم يتاول اللبن بالعلم فلما وصل الي السما الدنيا استفتح جبريل فقال له الحاجب من هذا فقال جبريل قال من معك قال محمد صلي الله عليه وسلم قال وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فدخل جبريل ومحمد صلي الله عليه وسلم فاذا بادم عليه السلام عن يمينه اشخاص بنيه السعدا عمرة الجنة وعن يساره نسم بنيه الاشقيا عمرة النار

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك صورته في اشخاص السعدا فشكر الله
تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الانسان في مكانين وهو عينه لا غيره فكان له
كالصورة المرئية والصور المرئيات في المراة الواحدة والمرايي فقال مرحبا
بالابن الصالح والنبي الصالح ثم عرج به البراق وهو محمول عليه في الفضا الذي
بين السما الاولى والسما الثانية فاستفتح جبريل السما الثانية كما فعل في
الاولى وقال وقيل له فلما دخل اذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه
فانه لم يمت الى الان بل رفعه الى هذه السما واسكنه فيها وحكمه فيها قال
الشيخ محيي الدين وهو شيخنا الاول الذي رجعنا الى الله على يديه وتبنا وله عليه
السلام بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة فرحب وسهل ۞ ثم عرج
الى السما الثالثة فاستفتح فقال وقيل له ففتح واذا بيوسف عليه السلام
فسلم عليه ورحب به وسهل وجبريل في هذا كله يسمي له ما يراه من هولا الاشخاص
ثم عرج به الى السما الرابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بادريس
عليه السلام بجسمه فانه ما مات الى الان بل رفعه الله الى هذه السما واسكنه فيها
قال تعالى ورفعناه مكانا عليا وهو هذا قلب السموات فسلم عليه ورحب
وسهل ۞ ثم عرج به الى السما الخامسه فاستفتح فقال وقيل له ففتح
فاذا بهارون عليه السلام ويحيى ابن زكريا فسلما عليه ورحبا به ۞ ثم عرج به
الى السما السادسة فاستفتح وقال وقيل له ففتح واذا بموسى عليه السلام
فسلم ورحب وسهل ۞ ثم عرج به الى السما السابعة فاستفتح فقال وقيل
له ففتح فاذا بابرهيم عليه السلام مستند بظهره الى البيت المعمور فسلم عليه
ورحب وسهل وسمي له البيت المعمور الضراح فنظر اليه وصلى فيه ركعتين
وعرفنا عليه السلام انه يدخله في كل يوم سبعون الف ملك من الباب الواحد
ويخرجون من الباب الاخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من
باب مغاربها واخبر ان اوليك الملايكة يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات
ما الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطاير عندما يخرج
من الما عند انغماسه في بحر الحياة فان له في كل يوم غمسة فيه ۞ ثم عرج

به الى سدرة المنتهى فاذا نبقها كالقلال وورقها كاذان الفيلة فراها
وقد غشاها الله تعالى من النور ما غشى فلا يستطيع احد ان ينعتها لان
البصر لا يدركها حتى ينعتها لشدة نورها وراى يخرج من اصلها اربعة
انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فاخبره جبريل ان النهرين الظاهرين
النيل والفرات والنهرين الباطنين نهرين يمشيان الى الجنة وهما نهر
العسل واللبن في الجنة قال الشيخ وهذه الانهار يعطي لشاربها علوما
متنوعة يعرفها اصحاب الاذواق في الدنيا واخبره ان اعمال بني
ادم تنتهي الى تلك السدرة وانها مقر الارواح فهي نهاية لما نزل
لما هو فوقها ونهاية لما يعرج اليها مما هو دونها وبها مقام جبريل عليه
السلام وهنالك منصته فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق بهذه المنصة
وجيء اليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فقعد عليه وسلمه جبريل
الى الملك النازل بالرفرف فساله الصحبة ليانس به فقال له لا اقدر
لو خطوت خطوة لاحترقت فما منا الا له مقام معلوم وما اسرى الله تعالى
بك يا محمد الا ليريك من اياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك
والرفرف يمشي به الى ان ظهر الى مستوى سمع فيه صريف القلم والاقلام
في الالواح وهي تكتب ما يجريه الله تعالى في خلقه وما ينسخه من اعمال عباده
وكل قلم ملك قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم زج به في
النور زجة فافرده الملك الذي كان معه وتاخر عنه فلم يره فاستوحش
لما لم ير معه احد وبقي لا يدري ما يصنع واخذه هيمان مثل السكران
في ذلك النور واصابه الوجد فاخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال
واستفرغه الحال وكان تمايله كتمايل السراج اذا هب عليه نسيم دقيق لا يطفيه
وكان سبب هيمانه سماع ايقان تلك الاقلام وصريرها اي صوتها في
الالواح فاعطت من النغمات المستلذة ما اداه الى ما ذكرنا من سريان
الحال فيه وحكمه عليه فتقوى بذلك الحال فعلم ان الرفرف ماتدلى له
الا لكون البراق له مكان لا يتعداه كجبريل عليه السلام لما بلغ الى المكان

الذي لا يتعداه وقف فلو ان الحق تعالى اراد لجبريل الصعود فوق ذلك
المقام لما صعد الا محمولا مثل ما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عروجه
انما كان لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القهرية وكذلك المقام الرفرفي
لما وصل الى مقام لا يتعداه الرفرف زج به في النور فعمه النور من جميع نواحيه
كما بسطه الشيخ في الرابع عشر وثلاثمائة وسياتي الكلام على عروج الملائكة في
محلها ان شا الله تعالى ثم انه صلى الله عليه وسلم لما تقوى بالحال اعطاه الله تعالى
في نفسه علما علم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته
فطلب الاذن في الروية بالدخول على حضرة ربه الخاصة فراى صوتا يشبه
صوت ابي بكر وهو يقول يا محمد قف ان ربك يصلي فراعه ذلك الخطاب
وقال في نفسه ان ربي يصلي فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب
وانس بصوت ابي بكر فتلي عليه هو الذي يصلي عليكم وملايكته فعلم عند
ذلك ما هو المراد بصلاة الحق تعالى فلما فرغ تعالى من صلاته مثل قوله
تعالى سنفرغ لكم ايه الثقلان مع انه تعالى لا يشغله شان عن شان ولكن لما
كان لخلقه الاتصاف العالم ازمنة مخصوصة وامكنة مخصوصة لا يتعدى بها
زمانها ولا امكانها لما سبق في علمه ومشيئته صح قوله تعالى سنفرغ لكم ايها
الثقلان من هذه الحيثية اي فان ربك قد سبق في علمه انه لا يجمع بين شغلين
ترتب احدهما على الاخر في آن واحد وظهر بذلك شدة الاعتنا برسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى يقيمه في مقام التفرغ له بحكم التنزل الالهي للعقول
فهو تنبيه على العناية به والله تعالى اعلم لما وجد في نفس نبيه صلى الله عليه
وسلم من ذلك ثم امر صلى الله عليه وسلم بالدخول لتلك الحضرة الشريفة فاوحى
الله تعالى في تلك الحضرة ما اوحى وراى عين ما كان يعلم لا غير وما تغيرت
عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده وذكر الشيخ رجوعه صلى الله عليه
وسلم من تلك الحضرة ومراجعته لموسى في شان الصلوات الى ان قال ثم ودع
رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى وانصرف الى الارض نازلا قبل طلوع
الشمس قال الشيخ وكان هذا الاسرا بجسمه الشريف صلى الله عليه وسلم

ولو

ولو كان الاسرا بروحه صلى الله عليه وسلم ويكون رايا راها كما يرى النائم
في نومه ما انكره احد من قريش ولا نازعه فيه وانما انكروا عليه كونه
اعلمهم ان الاسرا كان بجسمه الشريف في تلك المواطن التي دخلها كلها فان
قلت فلم كانت اسراآته صلى الله عليه وسلم فالجواب كما قاله الشيخ في
الباب الرابع عشر وثلاثمائة انما كانت اربعا وثلاثين مرة واحدة بجسمه
والباقي بروحه رويا راها قال ومما يويد ذلك على ان الاسرا ليلة
فرض الصلاة كان في الجسم ما ورد في بعض طرق الحديث انه صلى الله عليه
وسلم استوحش لما زج به في النور ولم ير معه احد اذ الارواح لا توصف
بالوحشة ولا بالاستيحاش قال وكذلك مما يدل على ان الاسرا كان بجسده
الشريف ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش قال
وانما سمع صوت ابي بكر تانيسا وقد اعطته المعرفة بان الانس لا يكون الا
بالمناسب ولا مناسبة بين الحق تعالى وبين عبيده وان اضيف الى الحق
المواسنة فانما ذلك على وجه خاص يرجع الى الكون فافهم قال الشيخ
وانما خص ابو بكر بذلك لكونه كان يانس به في الارض فحن لذلك وانس به
وتعجب من ذلك الصوت في ذلك الموطن لكونه جاه من العلو وقد تركه
في الارض فان قلت فهل ثم في المعراج الى السما بالجسم او بالروح
فايدة اخرى غير روية الايات فالجواب نعم منها انه اذا مر على
حضرات الاسما الالهية صار متخلقا بصفاتها فاذا مر على الرحيم كان رحيما
او على الغفور كان غفورا او على الكريم كان كريما او على الحليم كان حليما او
على الشكور كان شكورا او على الجواد كان جوادا وهكذا فما يرجع من هذا
المعراج الا وهو في غاية الكمال ومنها شهود الجسم الواحد في مكانين
في آن واحد كما راى محمد صلى الله عليه وسلم نفسه في اشخاص بني آدم السعدا
حين اجتمع به في السما الاولى كما مر وكذلك ادم وموسى وغيرهما فانهم
في قبورهم في الارض حال كونهم ساكنين في السما فانه قال رايت ادم رايت
موسى رايت ابراهيم واطلق وما قال رايت روح ادم ولا روح موسى

فراجع صلي الله عليه وسلم موسي في السما وهو بعينه في الارض قايما
يصلي كما ورد فيا من لا يقول بان الجسم الواحد يكون في مكانين كيف
ايمانك بهذا الحديث فان كنت مومنا فقلد وان كنت عالما فلا تعترض
فان العلم يمنعك وليس لك الاختيار فانه لا يختبر الا الله وليس لك ان تاول
الذي في الارض غير الذي في السما لقوله صلي الله عليه وسلم رايت موسي
واطلق وكذلك سائر من راه من الانبيا هناك فالمسمي موسي ان لم يكن
عينه في الاخبار عنه كذب انه موسي هذا والمعترض يقول رايتك البارحة
في النوم ومعلوم ان المرئي كان في منزله علي حالة غير الحالة التي راها عليه
وتكن في موطن اخر ولا يقول له رايت غيرك ثم ان المعترض ينكر علي الاوليا
مثل هذا في تطوراتهم ۵ وقد كان قضيب البان يتطور فيما شا من الصور
في اماكن متعددة وكل صورة خوطب فيها اجاب ان الله علي كل شي قدير ۵ ذكره
الشيخ في الباب الرابع والسبعين وماتين قال في الباب السابع واربعمائة
اعلم ان العبد محمول بالقدرة الالهية في جميع احواله لا استقلال له بشي ولهذا
ما اسري برسول قط الا علي براق اذا كان الاسرا بالجسم المحسوس فان كان
الاسرا به في النوم كما يقع للاوليا فقد يري نفسه فيها محمولا علي مركب
وقد لا يري نفسه محمولا لكن يعلم انه محمول في الصورة التي يري نفسه فيها
اذ قد علمنا ان جسمه في فراشه وفي بيته نايم فان قلت فهل يكون الوارث
للانبيا عليهم الصلاة والسلام له هذه المرتبة فيكون محمولا بالقدرة علي
الكشف والشهود في جميع احواله فالجواب نعم ولذلك قال تعالي في حق سيد
العبيد علي الاطلاق محمد صلي الله عليه وسلم سبحان الذي اسري بعبده فاقامه
في العبودية المحضة ونزع منه الدعوي والربوبية علي كل شي من العالم
وجرده عن كل شي حتي ان الاسرا جعله يسري به وما اضاف السري اليه فانه
لو قال سبحان الذي دعي عبده لان يسري اليه او الي روية اياته فسري
لكان له ان يقول ذلك ولكن المقام منعه ان يقول فجعله مجبورا لا حظ
له في الدعوي لفعل من الافعال ومنها اي من فوايد الاسرا ايضا التنويه

بشرف

بشرف مقام رسول الله صلي الله عليه وسلم ومدحه نظير تمدحه تعالي
بالاستوا علي العرش والثنا بذلك علي نفسه فان العرش اعظم الاجسام لاحتوايه
علي جميع الموجودات فما فوقه سقف في العلو ولا ارض في السفل وانما خص
الاستوا به لانه غاية مطمح ابصار المومنين ۵ واما العارفون من الانبيا وكمل
اتباعهم فيرون هذا العرش بالنسبة لاتساع الوجود كالذرة الطايرة في الهوا
ليس لها سقف ترسي عليه ولا ارض تنزل عليها فسبحان من لا يعرف قدره
غيره وفي كلام سيدي علي ابن وفا رضي الله عنه يصف حاله ۵
كما وقد نفذت من الاقطار اجمعها ۵ وقد تجاوزت حد الخفض والرفع ۵
وقال ايضا ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الافلاك والجنة
والنار وانما الرجل من نفذ بصره الي خارج هذا الوجود كله هناك يعرف قدر
عظمة موجده سبحانه وتعالي وقال الشيخ في الباب السادس عشر وثلاثمائة
اعلم انه لما كان الاستوا علي العرش تمدحا لله عز وجل جعل الله تعالي لنبيه صلي
الله عليه وسلم كذلك نسبة علي طريق التمدح عليه حيث كان العرش اعلي مقام ينتهي
اليه من اسري به من الرسل عليهم الصلاة والسلام قال وهذا يدل
علي ان الاسرا كان بجسمه صلي الله عليه وسلم ولو كان الاسرا رويا راها لما
كان الاسرا ولا الوصول الي هذا المقام تمدحا ولا وقع في حقه من الاعراب
انكار علي ذلك لان الرويا يصل الانسان منها الي مرتبة روية الله تعالي وهي
اشرف الحالات ومع ذلك فليس لها ذلك الموقع من النفوس اذ كل انسان بل كل
حيوان له قوة الرويا قال وانما قال صلي الله عليه وسلم علي سبيل التمدح
حتي ظهرت لمستوي سمعت فيه صريف الاقلام واتي بحرف الغاية الذي هو حتي
اشارة الي ما قلناه من ان منتهي السير بالقدم المحسوس العرش والله اعلم
خاتمة ذكر الشيخ في الباب العاشر ومائة ما نصه فان قلت
ما الفرق بين تنزل الوحي علي الانبيا عليهم الصلاة والسلام وبين تنزله علي
الاوليا في المنام علي يد ملك الالهام فالجواب الفرق بينهما ان تنزل
الوحي علي النبي يكون علي قلبه وعلي صدره لكن نبوته له مشهودة واما

نزله على الاوليا فيلون بين جنبيهم من وراء حجبهم لان نبوتهم مستورة عنهم فالوحي لهم في الظهر لا في الظهور والى ذلك الاشارة بقول بعض العارفين لم يمت ابو يزيد البسطامي حتى استظهر القران اي من الله تعالى عليه بفهم معانيه كلها من طريق الالهام بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استظهر القران هكذا فقد ادرجت النبوة بين جنبيه وسياتي بسط الكلام على ذلك في مباحث الولاية ان شا الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الخامس والثلاثون

في كون محمد خاتم النبيين كما صرح به القران العظيم

اعلم ان الاجماع قد انعقد على انه صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين كما انه خاتم النبيين وان كان المراد بالنبيين في الاية هم المرسلين وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين واربعماية من الفتوحات قد ختم الله تعالى بشرع محمد صلى الله عليه وسلم جميع الشرايع فلا رسول بعده يشرع ولا نبي بعده يرسل اليه بشرع يتعبد به في نفسه انما يتعبد الناس بشريعته الى يوم القيمة قلت واما اجتهاد الايمة وتشريعهم في الاحكام فذلك باذنه مع ان مادتهم في الاستنباط انما هو شرعه صلى الله عليه وسلم الثابت كتابا كان او سنة واعني بالسنة هنا الحديث ويلحق بالسنة كل حكم صدر عن المجتهدين من قياس فرع على اصل فانه من السنة ايضا وهو المراد بالاستنباط واما قياس فرع على فرع فلا يقول به الا المقلدون للايمة فانهم جعلوا قياس الفرع على الاصل اصلا رابعا كما جعلوا الاجماع اصلا ثالثا وقالوا ان الامة لا تجتمع على امر الا وهم يعرفون له دليلا وان لم يذكروه لنا فنحن نقطع بتجريم خرق اجماع الامة سوا علمنا لهم دليلا في ذلك ام لم نعلم والله اعلم وقال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم ان حقيقة النبي الذي ليس برسول هو شخص يوحي الله اليه بامر يتضمن ذلك شريعة يتعبد بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا ايضا واطال في ذلك ثم قال واعلم ان الملك

ياتي النبي بالوحي على حالين تارة ينزل بالوحي على قلبه وتارة ياتيه في صورة جسدية من خارج فيلقي ما جا به الى ذلك النبي على اذنه فيسمعه او يلقيه على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سوا قال وهذا باب اغلق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفتح لاحد الى يوم القيمة ولكن بقي للاوليا وحي الالهام الذي لا تشريع فيه وانما هو لفساد حكم قاله بعض الناس بصحة دليله وبحو ذلك فيعلم في نفسه فقط قال ولو ان الوحي على لسان جبريل كان باقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكان عيسى عليه السلام اذا نزل بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشرعه الذي يوحي الله به الى جبريل واطال في ذلك وقال في الباب العاشر وثلاثماية اعلم ان الوحي لا ينزل به الملك على غير قلب نبي اصلا ولا ينبي غير نبي بامر الهي جملة واحدة فان الشريعة قد استقرت وتبين الفرض والواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح فانقطع الامر الالهي بانقطاع النبوة والرسالة وما بقي احد من خلق الله تعالى يامره الله تعالى بامر يكون شرعا يتعبد به ابدا فان امر بفرض كان الشارع امر به واخطا هو في ادعايه بنبوة قد انقطعت وان نهاه عن حرام كان الشارع نهاه عنه او امر بمندوب كان الشارع ندبه اليه او نهاه عن مكروه كان الشارع كره له فان قال ان الله تعالى امرني بفعل المباح قلنا له لا يخلو ان يرجع ذلك المباح واجبا في حقك او مندوبا وذلك عين نسخ الشرع الذي انت عليه حيث صيرت بالوحي الذي زعمته المباح وقد قرره الشارع مباحا في الشريعة فاي فايدة لهذا الامر الذي جابه ملك وحي هذا المدعي فان قال لم يجيني بذلك ملك وانما امرني الله تعالى به من غير واسطة قلنا له هذا اعظم من الاول لانك ادعيت ان الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه السلام ولا قايل بذلك لا من علما النقل ولا من علما الذوق ثم انه تعالى لو كلمك او قال لك ما كان يلقي اليك في كلامه الا علوما واخبارا لا احكاما ولا شرعا ولا يامرك بامر جملة واحدة انتهى وقال الشيخ ايضا في الباب الحادي والعشرين من الفتوحات من قال ان الله

الله تعالى امر نبي فليس ذلك بصحيح انما ذلك تلبيس لان الامر من قسم الكلام
وصفته وذلك باب مسدود دون الناس فانه ما بقي في الحضرة الالهية امر
تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء وغيرهم سماع امر ولكن لهم المناجاة الالهية
وتلك لا امر فيها وانما هو حديث وسمر وكل من قال من الاولياء انه مأمور بامر الهي
في حركاته وسكناته مخالف لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان
كان صادقا فيما قال انه سمعه وليس ذلك عن الله وانما هو عن ابليس فظن انه عن
الله لان ابليس قد اعطاه الله ان يصور عرشا وكرسيا وسما ويخاطب الناس منه
كما مر في مبحث خلق الجن انتهى وسياتي بسط ذلك في مبحث الولاية ان شا الله تعالى
فقد بان لك ان ابواب الاوامر الالهية والنواهي قد سدت وكل من ادعاها
بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مدع شريعة اوحي بها اليه سوا وافق شرعنا او
خالف فان كان مكلفا ضربنا عنقه والا ضربنا عنه صفحا **فان قيل** فهل كان
قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحجير في ادعاء النبوة **فالجواب** لم
يكن في ادعائها تحجير ولذلك قال العبد الصالح خضر عليه السلام وما فعلته عن
امري فان زمانه اعطى ذلك وهو على شريعة من ربه اوحي بها اليه على لسان ملك
الالهام وقيل بلا واسطة وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى وعبدنا
وزكاه واما اليوم فالياس والخضر عليهما السلام على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
اما بحكم الوفاق او بحكم الاتباع وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك الا على سبيل
التعريف لا على طريق النبوة وكذلك عيسى اذا نزل لا يحكم فينا الا بشريعة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه الحق تعالى بها على طريق التعريف وان كان نبيا
انتهى واعلم ان امر الحق عز وجل حكمه العموم الا ان يخصه دليل وقد قال
تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول فلم يجعل لاحد بعد بعثة محمد صلى الله عليه
وسلم ان يخالف شرعه انما اوجب عليه الاتباع وجعل للمجتهد ان يشرع فيما امر
ونهى واما قوله تعالى واولي الامر منكم فالمراد اطاعتنا لهم فيما اذا امرونا
بمباح او نهونا عنه لا انهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد الثابت فاذا
امرونا بمباح او نهونا عنه فاطعناهم فقد اجرنا في ذلك اجر من اطاع امر الله

تعالى فيما اوجبه من امر ونهي وهذا كرم الله تعالى بنا ولا يشعر بها غالب
الناس بل ربما استهزوا به والله اعلم **وقال** الشيخ في الباب الثامن والثلاثين
من الفتوحات لما اغلق الله باب الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك
من اشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوحي الذي كان به الوصلة بينهم وبين
الله تعالى فانه قوت ارواحهم انتهى **وقال** في الجواب الخامس والعشرين من
الباب الثالث والسبعين اعلم ان النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد صلى الله عليه وسلم
وانما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعدي ولا رسول
اي ما ثم من يشرع بعدي شريعة خاصة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اذا
هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى ولا قيصر
الا ملك الروم والفرس وما زال الملك في الروم والفرس ولكن ارتفع هذا الاسم
فقط مع وجود الملك فيهم وسمي ملكهم باسم اخر غير ذلك وقد كان الشيخ عبد القادر
الجيلي يقول اوتي الانبيا اسم النبوة واوتينا اللقب اي حجر علينا اسم النبي مع ان الحق
تعالى يخبرنا في سرائرنا بمعاني كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب
هذا المقام من انبيا الاوليا فغاية نبوتهم التعريف بالاحكام الشرعية حتى لا يخطئوا
فيها لا غير انتهى **فان قلت** فما الحكم في تشريع المجتهدين **فالجواب** ان المجتهدين
لم يشرعوا شيئا من عند انفسهم وانما شرعوا ما اقتضاه نظرهم في الاحكام فقط من
حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر حكم المجتهدين فصار حكمهم من جملة شرعه الذي
شرعه فانه صلى الله عليه وسلم هو الذي اعطى المجتهد المادة التي اجتهد فيها من
الدليل ولو قدر ان المجتهد شرع شرعا لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع
رددناه عليه لانه شرع لم ياذن به الله والله اعلم **خاتمة** مما يؤيد كون النبي
صلى الله عليه وسلم افضل من سائر المرسلين وانه خاتمهم وكلهم يستمدون منه ما قاله
الشيخ في علوم الباب الاحد والسبعين واربعمائة من انه ليس لاحد من الخلق علم
بالله في الدنيا والاخرة الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سوا الانبيا
والعلما المتقدمون على زمن بعثته والمتاخرون عنها وقد اخبرنا صلى الله عليه
وسلم بانه اوتي علم الاولين والاخرين ونحن من الاخرين بلا شك وقد عم صلى الله عليه وسلم

الحكم في العلم الذي اوتيه فشمل كل علم منقول او معقول ومفهوم وموهوب فاجهد يا اخي ان تكون ممن ياخذ العلم بالله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه اعلم خلق الله بالله على الاطلاق واياك ان تخطي احدا من علما امته بدليل وهذا سر نبهتك عليه فاحفظ به ولا تقل حجرت واسعا وتقول قد يعطي الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذي بين كل مخلوق وبين ربه عز وجل من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم ما شا من العلوم بدليل قصة الخضر مع موسى الذي هو رسول زمانه لانا نقول نحن ما حجرنا عليك ان لا تعلم مطلقا وانما حجرنا عليك ان لا يكون لك علم ذلك الامن باطنية محمد صلى الله عليه وسلم شعرت بذلك ام لم تشعر قال الشيخ ووافقنا على ذلك الامام ابو القاسم ابن قسي في كتابه خلع النعلين وهو ممن روينا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسماية والله اعلم

المبحث السادس والثلاثون

في عموم بعثته محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس وكذا الملائكة على ما سياتي فيه وهذه فضيلة لم يشاركه فيها احد من المرسلين

وقد ورد في صحيح مسلم وغيره وارسلت الى الخلق كافة وفسروه بالانس والجن كما فسروا بهما ايضا ومن بلغ في قوله تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ اي بلغه القران وكما فسروا بذلك ايضا العالمين في قوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قاله الجلال المحلي رحمه الله فان قلت فهل تكليف الجن بالشرايع المنزله من عند الحق تعالى تكليف الزمهم به الحق تعالى ابتدا او الزموا به انفسهم ليشاركونا في الفضايل فالزمهم الحق تعالى به كالنذر فالجواب قد اورد هذا السوال الشيخ في الباب السادس والستين وثلاثماية وقال لا ادري انتهى فمن ظفر في ذلك بنقل فليلحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب واختلفوا في الملائكة هل ارسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم ام لا فنقل البيهقي في الباب الرابع من شعب الايمان عن الحليمي انه صرح بانه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الملائكة ثم انه نقل عن الحليمي ايضا في الباب الخامس عشر بانفكاكهم عن شرعه وعن تفسير الرازي والبرهان النسفي حكاه الاجماع في تفسير الاية

الثانية السابقة ايضا بقوله صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا اليهم وقال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف في حاشيته ونقل البيهقي ذلك عن الحليمي اشعار بالتبري من عهدته وبتقدير ان الاشعار فيه فلم يصرح بانه مرضي عنده قال واما الحليمي فانه وان كان من اهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة عن الانبيا وما نقل عنه هنا اي من انه لم يرسل الى الملائكة موافق لقوله بافضلية الملائكة فلعله بناه عليه واطال الشيخ كمال الدين في ذلك ثم قال ومع ذلك فا للايق بالادب من العلما الوقف عن الخوض في هذه المسالة على وجه يتضمن دعوى القطع في شي من الجانبين انتهى قلت والحاصل ان كلام الاصوليين يرجع الى القولين الاول انه ارسل الى الملائكة والثاني لم يرسل اليهم والذي صححه السبكي وغيره انه ارسل اليهم وزاد البارزي رحمه الله انه ارسل الى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر ذكره الجلال السيوطي اوايل كتابه الخصوص ونقل ايضا فيها عن السبكي انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا فهو كالسلطان الاعظم وجميع الانبيا كامرا العساكر ولو ادركه جميع الانبيا لوجب عليهم اتباعه اذ هو مبعوث الى جميع الخلق من لدن ادم الى قيام الساعة فكانت الانبيا كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وقال كل نبي يبعث بطايفة من شرعه صلى الله عليه وسلم لا يتعداها انتهى وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول كان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الخلق اجمعين في عالم الارواح والاجسام من لدن ادم الى قيام الساعة وسمعته يقول مرارا الملائكة على ثلاثة اقسام قسم ارسل اليهم بالامر فقط وهم ملايكة السموات فانهم لا يذوقون للنهي طعما انما هم في الامر فقط قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقسم لم يرسل اليهم اصلا بامر ولا نهي وهم الملايكة العالون المشار اليهم بقوله تعالى لابليس استفهام انكار استكبرت ام كنت من العالين فان هولا الملايكة عابدون الله تعالى بالذات التي جبلهم الله تعالى عليها لا يحتاجون الى رسول بل هم هيمون في جلال الله تعالى لا يعرفون ان الله تعالى خلق ادم ولا غيره انتهى فليتامل القسم الاول ويحرر فانه غريب في كلامهم والله اعلم وسمعته مرة اخرى يقول ملايكة الارض الى السما الاولى غير معصومين لان محمدا صلى الله عليه وسلم

ارسل اليهم بالامر والنهي ولا يرسل نبي الي احد بالنهي الا ان كان يتصور وقوعه
منه فان المعصوم لا يحتاج الي رسول وكذلك لم يرسل قط نبي الي نبي ومن سمي ملايكة
الارض جنا فهو صحيح لاستتارهم عن العيون ، قال تعالي وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا فقالوا انها بنات الله تعالي الله عن ذلك قال ومما يويد عدم عصمة ملايكة
الارض وقوع النزاع منهم في قصة ادم عليه السلام بقولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدما فانهم لم يقولوا ذلك الا عن ذوق وقع لهم في الارض قبل ادم
ولولا ذوقهم لذلك ما اهتدوا للاعتراض انتهي وعلم من كلامه سابقا ولاحقا ان من قال
انه ارسل الي الملايكة بالامر والنهي فما حقق الامر ولا فصل في ذلك كما تقدم فما اصاب
وهو كلام منزعه الكشف ولم اجده لغيره رحمه الله وقد ذكر القاشاني بما يويد ذلك
القول بعدم عصمة الملايكة الارضية فقال ان قيل كيف وقع من الملايكة نزاع
واعتراض في قصة ادم عليه السلام مع عصمتهم وقول الله تعالي صدق قطعا فالجواب
ان هذا النزاع لم يقع من ملايكة الجبروت والسموات لعصمتهم وانما وقع ذلك
من ملايكة الارض وما بينها وبين السما لكونهم لا عصمة عندهم فان ملايكة الجبروت
والسموات لغلبة النورانية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف مقام الانسان
الكامل وعلو رتبته عليهم عند الله تعالي ولم يات لنا في كتاب ولا سنة تصريح بان
هذا النزاع وقع من الملايكة السماوية او الارضية وانما اخذنا ذلك من معرفة
العناصر حين اربينا اهل كل عنصر تحت حكم عنصرهم من نور او ظلمة فقلنا ان النزاع
وقع من ملايكة الارض لغلبة الظلمة عليهم والطينية الموجبة للحجاب قال ويويد
ذلك الاشارة بتخصيص الارض بذلك بالذكر بقوله اني جاعل في الارض خليفة فما
وقع منهم النزاع الا من علمهم باحوال اهل الارض فان الملايكة السماوية لا يفسدون
ولا يسفكون الدما بل ليس لاحدهم دم في جسمه يسيل ابدا واطال في ذلك ثم قال
فقد بان لك ان الاعتراض والطعن في ادم لم يصدر من ملايكة الجبروت اذ
النزاع لا يكون الا ممن ركب في الطبايع الاربع لما فيها من التضاد اذ المتكون منها
لا يكون الا علي حكم الاصل انتهي وقال بعضهم لعل مراده بهولا الملايكة
هم القاطنون بين السما والارض نوع من الجن سماهم ملايكة اصطلاحا فان قيل

قد

قد وصف الله الملا الاعلي بالخصام في قوله ما كان لي من علم بالملا الاعلي اذ يختصمون
وفي قوله في الحديث قلت يا رب فيما يختصم الملا الاعلي الحديث فالجواب كما قاله
الشيخ في الفتوحات ان خصامهم ليس هو في الاعتراض علي احكام الله وتقديره
في خلقه وانما خصامهم في بيان الافضل من الاعمال كما صرح به في الحديث وذلك
حتي انهم يتبادرون الي بني ادم يدعونهم بلماتهم ويرغبونه في فعل ما فيه الاجر
العظيم من الاعمال حتي يتقدموا علي غيرهم من غير التفات الي غيرهم مما اجره يسير
منهم كالرجلين المتناظرين في مسايل الحيض التي لا نصيب فيها للرجال فان قيل
فهل هم مسبحون الله تعالي في هذا الخصام لكونهم قد وصفهم الله تعالي انهم يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وذلك لزوال الملل فالجواب نعم هم مسبحون الله
تعالي بذلك الخصام وهو من جملة تسبيحهم كما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يذكر
الله علي كل احيانه ومعلوم انه كان يتحدث مع الاعراب ويمزح مع الاطفال
والعجايز وهو في ذلك ذاكر الله تعالي لا يتحرك ولا يسكن الا في امر مشروع فان
قلت فهل ذلك المقام لكل كامل بعده صلي الله عليه وسلم فالجواب نعم لان
الله تعالي ما شرع لعباده امرا الا ليشهدوه تعالي حال العمل بذلك الامر فمنهم
من وفي بذلك المقام ومنهم من اتي بعبادته مع الغفلة فان قلت فهل يلحق
خصام ارباب المذاهب بخصام الملايكة المذكورين في الاجر والثواب فالجواب
نعم لكن بشرط ان يكون الجدال والخصام بصريح السنة لا بالعلم وان يكونوا
مخلصين في علمهم لا يشوبهم غرض نفساني فان قصدوا مغالبة الخصوم ورد اقوال
مذاهبهم فذلك مذموم شرعا فان الله تعالي يقول ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه فمن سعي في تفرقة الدين ولو بالازم فقد اضجعه من قيامه وقد نهي رسول
الله صلي الله عليه وسلم عن الجدال في دين الله بغير نص ، وقال بعضهم ينبغي لا ينبغي
المنازع وحكم تقرير العلما لشرعه من بعده في الادب كحكم حضورهم عنده
سوا لا يعلم ذلك الا العلما بالله تعالي والله سبحانه وتعالي اعلم ،

المبحث السابع والثلاثون

في بيان وجوب الاذعان والطاعة لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الاحكام وعدم
الاعتراض على شيء منه اعلم انه يجب على كل مومن ان ينشرح لكل ما شرحه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ۞ وقد ذكر الشيخ
محي الدين اواخر باب الحج من الفتوحات ما نصه اياك ان ترى امورا قد اباحها
الشارع صلى الله عليه وسلم فتكره ذلك ويقع في نفسك من فعلها حزازة وتقول
لو ان الحكم لي فيها لحجرتها وحرمتها على الناس فتنتج نظرك في ذلك على نظر الشارع
وتجعل نفسك ارجح ميزانا منه وتخوط في سلك الجاهلين قال وهذا واقع
كثير من بعض الناس الذين لم يمارسوا الادب مع الشارع فيغضب على الناس
اذا فعلوا بعض المباحات التي اباحها الشارع ويقول اذا عجز عن كف الناس
عنها ايش اصنع هذا قد اباحه الشارع ومن يقدر يتكلم فتراه يصبر على
حنق وكره على نفسه على استعمال الناس شرع ربهم وهذا من اعظم ما يكون من
سوء الادب وصاحبه ممن اضله الله على علم قال وقد ظهر ذلك من بعض
الناس في العصر الاول واما اليوم فقد فشى في غالب الناس ويقولون لو
ادرك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنع الناس منه ونحن نعلم ان الشارع
هو الله تعالى ولا يعزب عن علمه شيء ولو كانت اباحة ذلك الامر خاصة بقوم
دون اخرين لبينها تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلى
الله عليه وسلم مبلغ عن الله احكامه فيما اراه الله لا ينطق قط عن هوى
نفسه ولا يبين شيئا مما امر بتبليغه ان هو الا وحي يوحى وما كان ربك نسيا
وما قرر تعالى من الشرايع الا ما تقع به المصلحة في العالم فلا يزاد فيه ولا
ينقص منه ومهما زيد فيه او نقص منه فهو لم يعمل بما قرر من الاحكام وقد
عاب بعض اكابر الصحابة على السيدة عايشة رضي الله عنها في قولها لو راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع النسا بعده لمنعهن المساجد كما منعت
نسا بني اسرايل لايهام هذا القول الاعتراض على الشارع وانه لم يعلم ان
ذلك يقع من الناس واطال الشيخ محي الدين في ذلك ثم قال فنعلم ان

من سلك كمال الادب لا يجد في نفسه قط حرجا مما قضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ۞ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله ولا
عاما اللهم الا ان يحصل من ذلك ريبة ظاهرة فلا مانع من المنع واما على الظن
والتوهم فلا فالعاقل لا ينبغي له ان يغار الا في مواطن مخصوصة شرعها الحق له
لا يتعداها وكل غيرة تعدت ذلك فهي خارجة عن الحكم العقلي منبعثة عن
حكم الهوى فليس للانسان ان يغير على كشف زوجته وجهها في الاحرام فان الله
تعالى قد شرع لها ذلك واوجب عليها كشفه مع ان الله تعالى اغير من جميع خلقه
كما في الصحيح ان سعدا الغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني ومن غيرته انه
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فمن زاد على ما جعل الحق تعالى غيرته فيه
من الفواحش فكانه ادعى انه اغير من الله لكونه غار على امر ليس هو بفاحشة
عند الله تعالى وما احسن قوله تعالى ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما ولو عرض الانسان حال ايمانه وادخله في هذا الميزان لعلم
انه بعيد عن مقام الايمان الذي ذكره الله تعالى في قوله فلا وربك لا يومنون
الى اخره فان الله تعالى نفى الايمان عمن هذه صفته واقسم بنفسه عليه انه ليس
بمومن واطال الشيخ في ذلك ثم قال ولولا تعلق الاغراض النفسية
ما نزلت اية الحجاب فانها انما نزلت باستدعا بعض النفوس واهل الله عز وجل
يفرقون بين الحكم الالهي اذا نزل ابتدا من الله تعالى وبين الحكم الالهي اذا نزل
مطلوبا لبعض العباد وكانه تعالى سيل عن تنزيله فاجاب السايل اذ لولا
ذلك ما نزل ۞ وفي البخاري عن محمد بن كعب القرظي الشافعي الجليل انه كان
يقول ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سيل عن شيء لم يحرم فحرم على المسلمين
من اجل مسالته وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على امته من كثرة الاحكام لئلا يعجزوا
عنها كما قال لمن ساله عن الحج اكل عام يا رسول الله قال لا ولو قلت نعم لوجبت
ولم تستطيعون واطال في ذم السوال ثم قال نعلم ان من كمال العارف
ان يعتني بالامر المنزل ابتدا اشد من اعتنايه بما نزل بسوال فالله تعالى
يفهمنا مقاصد الشرع حتى لا نخرج عنه وما رجح احد بواسا سكت الشارع

عن بيانه لخطبة العيد مثلا فان الشارع فعلها ولم يخبرنا بكونها واجبة
او مندوبة فخلاص العبد من اتباع الهوى ان يفعلها على وجه التاسي
به صلى الله عليه وسلم بقطع النظر عن كونها واجبة او مندوبة وسمعت
سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما من عالم يامر الناس بفعل شي لم يصرح
الشارع بالامر به الا عني يوم القيامة انه لم يكن يرجح شي ثم ان المرجحين
باهويتهم خلاف ما رجح الشارع رجلان الواحد يغلب جانب الحرمة والثاني
يغلب دفع الحرج عن هذه الامة رجوعا الى الاصل فهذا عند الله اقرب منزلة
من الذي يغلب الحرمة اذ الحرمة امر عارض عرض للاصل ورافع الحرج داير
مع الاصل واليه يعود حال الناس في الجنان يتبوون من الجنة حيث يشاو
وما اغفل اهل الاهوا وان كانوا مومنين عن هذه المسالة وسيندمون اذا
انكشف الحجاب فاياك يا اخي وهوس الطبيعة فان العبد فيه ممكور به من حيث
لا يشعر قال الشيخ وكم قاسينا في هذا الباب من المحجوبين حيث غلبت اهواهم
على عقولهم فانا اخذ بحجزهم عن النار وهم يقتحمون فيها وقد دعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة الى طعامه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
وهذه واشار الى عايشة رضي الله عنها فقال الرجل لا فابي فابي ان يجيبه
الى ان انعم له فيها ان تاتي معه فاقبلا يتدافعان يعني النبي صلى الله عليه
وسلم وعايشة الى منزل ذلك الرجل والله تعالى يقول لقد كان لكم في رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فاين ايمانكم اليوم لو رايت صاحب منصب
من قاض او خطيب او وزير او سلطان يفعل مثل هذا تاسيا برسول الله
صلى الله عليه وسلم هل كنت تنسبه الا الى سفساف الاخلاق ولولا ان هذه
الصفة لم تكن من مكارم الاخلاق ما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه بعث ليتمم مكارم الاخلاق ونظير هذه الواقعة نزوله صلى الله عليه
وسلم من فوق المنبر وهو يخطب حتى اخذ الحسن والحسين وصعد بهما المنبر
لما راهما يعثران في اذيالهما ثم عاد الى خطبته اترى ذلك من نقص
حال لا والله بل كان من كمال معرفته بربه عز وجل لان ذلك من الشغل

بالله لا عن الله وقد عاب العارفون بالله على الشبلي لما سمع قاريا يقرا ان
اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وقال انه شغلهم بالجنة عنه تعالى
وقالوا للشبلي ان الله تعالى قد ذكر الشغل عن اصحاب الجنة وانهم هم وازواجهم
في ذلك الشغل فما عرفنا تعالى بمن تفكهوا هم وازواجهم فيما ذا حكم الشبلي
عليهم بانهم اشتغلوا بذلك عن الله عز وجل قال الشيخ محي الدين وقد
عدوا هذا من قصور نظر الشبلي حيث حجر اهل الجنة ببادي الراي ولعل
ذلك كان في بدايته واطال في ذلك ثم قال فعليك يا اخي بالعين الالهية
الشرعية ولا ترد علمها فتشقي في الدنيا والاخرة اما في الدنيا لا تزال معذب
النفس فيما لا ينبغي الاعتراض عليه واما في الاخرة فلما يودي الى سوال الحق تعالى
لك عن ذلك وعما يتسبب عليه ومعه من الاعتراض بالحال على الله في احكامه وحصول
الكراهية في النفس مما اباحه الله تعالى انتهى وقال ايضا في الكلام على صلاة
العيدين في الباب الثامن والستين اعلم ان الله تعالى قد شرع الزينة والشغل
باحوال النفوس من اكل وشرب وبعال في يوم العيد فمن ادب المومن ان لا
يشتغل في هذا اليوم الا بما ذكره الشارع فجميع ما يفعله العبد من المباحات
فيه شبه سنن الصلاة وجميع ما يفعله من الفرايض في ذلك اليوم يشبه الاركان
في الصلاة فلا يزال العبد في يوم العيدين في افعال تشبه افعال المصلي
ولهذا سمي يوم العيد اي لانه يعود على العبد بالاجر في كل مباح يفعله
وقد احسن من قال انما سمي عيدا لعود السرور فيه كل سنة فانه ربما انتقض
بالصلوات الخمس فانها تعود بالسرور كل يوم لوقوف العبد فيها بين يدي الله
ولا انتقال فيها عيد فان قيل ان العيد مرتبط بالزينة قلنا والزينة
مشروعة في كل صلاة قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وايضا
فان الصوم في يوم العيد حرام فصار الفطر فيه عبادة مفروضة بعد
ان كان مباحا ثم لما كان يوم العيد يوم فرح وسرور وزينة واستيلاء
للنفوس على طلب حظوظها من الشهوات ايدها الشرع في ذلك بتحريم
الصوم فيه وشرع للناس فيه اباحة اللعب والزينة واقر الحبشة على لعبهم

في المسجد يوم العيد ووقف صلي الله عليه وسلم هو وعايشة ينظران
الي لعبهم وعايشة خلفه وفي هذا اليوم ايضا دخل بيت رسول الله صلي الله عليه
وسلم مغنيتان فغنتا في بيته صلي الله عليه وسلم ورسول الله صلي الله
عليه وسلم يسمع ولما اراد ان اراد ابو بكر الصديق ان يمنعهما قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم دعهما يا ابا بكر فانه يوم عيد واطال في ذلك ثم
قال ولما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع ايضا تكرار التكبير
في الصلاة ليتمكن من قلوب الناس ما ينبغي للحق تعالي من الكبريا والعظمة
ليلا تشغلهم حظوظ نفوسهم عن كمال مراعاته جل وعلا قال وبما قررناه
نعرف حكمة ترك التنفل قبل صلاة العيد اذ المقصود في هذا اليوم
فعل ما كان مباحا علي جهة الندب بخلاف ما كان عليه ذلك الفعل في
ساير الايام فلا يتنفل في ذلك اليوم سوي بصلاة العيد خاصة لان
الحكم اذا كان مربوطا بوقت غلب ما لم يكن مربوطا بوقت وايضا فانه
انما ندب اللعب والفرح والزينة في هذا اليوم تذكيرا لبشر واهل الجنة
ونعيمهم فلا يدخل مع ذلك ندب واجر لعارضه ثم اذا زال زمان ذلك
الحكم المربوط بحينيته يبادر العبد الي ساير المندوبات ويرجع ما كان
ندبا في ذلك اليوم مباحا فيما عداه من الايام وهذا كله من فعل
الحكيم العادل في القضايا فان لنفسك عليك حقا واللعب واللهو والطرب
في هذا اليوم من حق النفس فلا تكن يا اخي ظالما لنفسك واعطها حقها انتهي
فان قلت فهل يلحق بالسنة الصحيحة في وجوب الادعان لها ما ابتدعه
المسلمون من البدع الحسنة فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين
وما تين انه يندب الادعان لها ولا يجب كما اشار اليه قوله تعالي ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم وكما اشار اليها قوله صلي الله عليه وسلم من
سن سنة حسنة فقد اجاز لنا ابتداع كلما هو حسن وجعله فيه الاجر
لمن ابتدعه ولمن عمل به ما لم يشق ذلك علي الناس واخبر ان العابد لله
بما يعطيه نظره اذا لم يكن علي شرع من ربه معين انه يحشر امة وحده

يعني

يعني بغير امام يتبعه فجعله خيرا والحقه بالاخيار كما قال في حكيم
ابن حزام اسلمت علي ما اسلفت من خير وكان ساله عن امور تبرر بها
في الجاهلية من عتق وصلة رحم وكرم وامثال ذلك وقال ايضا في حق
ابراهيم ان ابراهيم كان امة قانتا لله وذلك قبل ان يوحي اليه وفي الحديث
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن كان علي مكارم الاخلاق فهو علي شرع من
ربه وان لم يعلم هو ذلك والله اعلم فان قلت فما المراد بحقيقة قوله
تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب الثالث واربعين وخمسماية ان المراد به بيان ما جا
من الوحي علي لسان الرسول وما جا منه تعالي الي عباده ولكل من الحالتين
ميزان يخصه فما جانا علي ايدي الرسل وجب علينا اخذه بغير ميزان وما
جانا من غير واسطة بيننا وبين الله تعالي اعني من الوجه الخاص بطريق
الالهام وجب علينا اخذه بالميزان فان الله تعالي قد نهي ان ناخذ منه
كل عطا وهو قوله وما نهاكم عنه فانتهوا فصار اخذك من الرسول انفع
لك واحصل لسعادتك لعصمته فعلم ان اخذك من الرسول واجب
علي الاطلاق واخذك من الله بطريق الالهام واجب علي التقييد لعدم
عصمتك فيما اخذته بغير واسطة فانظر ما اعجب هذا الامر ما تاخذه
من الرسول مطلق مع ان الرسول مقيد وما تاخذه من الله تعالي مقيد مع
ان الله تعالي مطلق فان هذا ظهور الاطلاق والتقييد في الجانبين
وايضاح ذلك ان تعلم ان الله تعالي ما ارسل رسولا ليمكر بنا وانما ارسله
ليبين لنا ما نزل الينا فلهذا اطلق لنا الاخذ عن الرسول والوقوف
عند قوله من غير تقييد فنحن امنون فيه من مكر الله عز وجل بخلاف الاخذ
من الوجه الذي بيننا وبين الله تعالي من طريق الالهام ليس احد علي امان
من المكر فيه فربما مكر الحق تعالي بالعبد من حيث لا يشعر فان له تعالي
في عباده مكرا خفيا قال تعالي ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال
وهو خير الماكرين ولم يبح للرسل هذه الصفة ولهم تجعل لهم فيها قدما

لانهم بعثوا مبينين يبشروا وانذروا وكل ذلك صدق واعطى رسوله
الميزان الموضوع فمن اراد السلامة فلا يضع ذلك الميزان من يده فكلما
جاء من عند الله من غير واسطة فان قبله اخذه وعمل به وان لم يقبله
اهمله الله تعالى ومن عزم على الاخذ عن الله ولا بد فليقل لاخلابة فاذا
قال ذلك فان كان من عند الله ثبت واخذه وان كان مكرا من الله ذهب
من بين يديه بارادة الله تعالى فلم يجده عند قوله لاخلابة اذ الامر
كالبيع والشرا وان كان الحق تعالى لا يدخل تحت الشرط هذا يقتضيه مقام
الحق تعالى بالذوق وانما يشترط على الله تعالى من يجهل الله او يدل عليه
من ظن به خيرا كما في الحديث فليظن بي خيرا اه واطال الشيخ في ذلك بكلام
نفيس وقال في الباب الثامن والاربعين ايضا في قوله تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا اي لاني جعلت له ان يامر وينهى
زايدا على تبليغ صريح امرنا ونهينا الى عبادنا وقال فيه ايضا في
قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اعلم انما لم يكتف
بقوله اطيعوا الله عن قوله واطيعوا الرسول مع انه قال من يطع الرسول فقد
اطاع الله لانه تعالى ليس كمثله شي فلذلك استانف القول وصرح بقوله
واطيعوا الرسول بخلاف طاعة اولي الامر لم يستانف فيها بقوله واطيعوا
اولي الامر منكم لانهم لا تشريع لهم انما هم بحكم التبع للشارع واطال في ذلك
وقال في باب اسرار الصلاة يجب على العبد اذا وعظه ولي الامر بما لم
يعمل هو به ان ينقاد لامره ويعمل ولا يقل لا اعمل ذلك حتى تعمل انت
به اذ لا يشترط في الداعي ان يكون عاملا بما يدعوا اليه فقد يدعوا بما ليس
هو عليه في حاله وهو خير من ترك الدعا على كل حال فان قلت فما الحكمة
في سلام المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة مع انه امن منهم صلى
الله عليه وسلم بما هو امان فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثالث
والسبعين ان الحكمة في ذلك للمومن هو ان مقام الانبيا يعطي الاعتراض
عليهم ولو بالباطن لامرهم الناس بما يخالف اهواهم كما ان مقامهم يعطي التسليم

لهم ايضا فلذلك شرع ان نسلم على نبينا كانا نقول له انت يا رسول الله
في امان منا ان نعترض عليك في شي امرتنا به او نهيتنا عنه انتهى فان
قلت فما المراد بقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما
يحييكم ولم يكتف تعالى بقوله استجيبوا للرسول اذ الشرع ما عرفناه الا
منه فالجواب كما قاله الشيخ في الباب التاسع عشر وخمسماية ان الرسول
صلى الله عليه وسلم يدعونا من طريقين فان دعانا بالقران فهو مبلغ وترجمان
وهو حينئذ عن دعا الله تعالى لا عن دعا الرسول فاجابتنا حقيقة انما هي
والرسول الاسماع وان دعانا بغير القران فالدعا حينئذ دعا الرسول
فكان اجابتنا للرسول وان كان لا فرق بين الاجابتين ولا بين الدعايين
وفي الحديث اني شرعت لكم مثل القران واكثر رواه الطبراني وغيره
فاذن علة اجابة الرسل هو السماع لا من قال انه سميع عليم يسمع كما ذكر الشيخ
في الباب العشرين والخمسماية اذ السمع هو القول لما ادركته الاذن يسمعها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى فاذا علم ما سمع كان
بحسب ما علم فان العلم حاكم قاهر في حكمه لا بد من ذلك وان لم يكن كذلك فليس
يعلم كذلك لم يعد احد يعصي الله تعالى وهو يعتقد مواخذته على تلك المعصية
ابدا انتهى فان قلت فهل تخلف احد عن الاذعان لما جاء به الشارع غير
الجن والانس ممن بعث اليهم من الحيوانات والملائكة والجمادات والاشجار على
ما تقرر في مبحث عموم بعثته ام التخلف خاص بالانس والجن فالجواب لم يتخلف
احد من ساير من بعث اليهم صلى الله عليه وسلم سوى من تخلف من الانس والجن
وقال الشيخ في الباب التاسع والاربعين في قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون لان الله تعالى لم يخص بالذلة التي هي العبودية احد
غير الثقلين مع انهم لم يكونوا حين خلقهم اذلا وانما خلقهم ليذلوا في المستقبل
واما سوى الثقلين فانه خلقهم اذلا من اصل نشاتهم ولذلك لم يقع من احد من
خلق الله تعالى تكبر على الرسل الا الثقلين فان قلت فما سبب تكبر الثقلين على
الرسل دون غيرهما فالجواب كما قاله الشيخ في الباب المذكور انفا ان سبب تكبرهم

كون المتوجه على ايجادهم من الاسما اسما اللطف والحنان والرحمة والشفقة
والتنزل الالهي فلما ابرزهم الحق تعالى الى هذا الوجود لم يروا عظمة ولا عزة
لغيرهم ولا كبريا وراوا انفسهم قد استندت في وجودها الى لطف وعطف
لكون الحق تعالى لم يبد لهم شيا من عظمته التي هو تعالى عليها ولا كبريائه
ولا جلاله ولا جبروته حين اخرجهم الى الدنيا فقالوا ربنا لم خلقتنا فقال
تعالى لهم لتعبدوني اي لتكونوا اذلا بين يدي فلم يروا صفة قهر ولا عزة
تذلهم وراوا الحق تعالى قد اضاف فعل الاذلال اليهم فتكبروا لذلك ولو انه
تعالى قال لهم ماخلقتكم الا لاذلكم لبادروا الى الذلة من نفوسهم خوفا من
سطوة هذه الكلمة وقهرها • كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا او
كرها قالتا اتينا طايعين لاجل قوله او كرها فافهم • قال واما سبب عدم
تكبر غير الثقلين فلان المتوجه على ايجادهم من الاسما الالهية اسما الجبروت
والكبريا والعظمة والعزة والقهر فلذلك خرجوا اذلا تحت القهر الالهي فلم
يتمكن لاحد منهم ان يرفع راسه على احد من خلق الله تعالى فضلا عن رسل الله
ولا ان يجد في نفسه طعما للكبريا على احد من خلق الله تعالى انتهى فتامله
فانه نفيس لا تجده في كتاب والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الثامن والثلاثون

في بيان افضل الخلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم وهم الانبيا الذين ارسلوا
ثم الذين لم يرسلوا ثم خواص الملايكة ثم عوامهم وتسكت عن الخوض في تفاضل
المرسلين بعد محمد صلى الله عليه وسلم على التعيين الا بنص صريح اعلم
انه قد اضطربت نقول العلما فيمن هو الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
من المرسلين والملايكة فتكلم كل بما ظهر له من قراين الاحوال وظواهر الكتاب
والسنة لعدم نص صريح يعتمدون عليه اذا علمت ذلك فلنصدر المبحث بكلام
اهل الاصول ثم بكلام محققي الصوفية فنقول وبالله التوفيق قال الامام
صفي الدين بن ابي المنصور الذي نعتقده ان جميع الرسل بعد نبينا محمد صلى الله

عليه وسلم افضل من الملايكة باسرها على خلاف بيننا وبين المعتزلة وان
خواص الملايكة افضل من عموم النبيين وان عموم النبيين افضل من جملة الملا[يكة]
وان عموم الملايكة افضل من عموم المومنين كل نوع يعتبر فضله بما يقابله
من النوع الاخر وان النبوات فاضلة بالمقام فضلا يشمل واسعهم
وضيقهم فليس لاحد منهم مشاركة بالمقام النبوي الا بحكم الارث التبعي
وسياتي في المبحث بعده بيان المراد بعموم الملايكة فراجعه انتهى • وعبارة
الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف في حاشيته على شرح جمع الجوامع الافضل
بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الانبيا ثم الملايكة العلوية انتهى • وعبارة
صاحب المواقف لا نزاع في ان الانبيا افضل من الملايكة السفلية الارضية
وانما النزاع في الملايكة العلوية السماوية انتهى • وعبارة البرماوي رحمه
الله الانبيا من بني ادم كالرسل وغيرهم افضل من الملايكة وخواصهم كالانبيا
افضل من خواصهم وعوامهم افضل من عوامهم وبنات ادم افضل من الحور العين
انتهى وعبارة شيخ السنة الامام ابي الحسن البيهقي رحمه الله والاوليا من البشر
افضل من الاوليا في الملايكة وعوام البشر افضل من عوام الملايكة يعني الصلحا
من البشر افضل من الصلحا من الملايكة انتهى وليس المراد بالعوام الفسقة اذ
الملايكة ليس فيهم فاسق قاله ابن ابي شريف • واما عبارات الشيخ محيي الدين
فقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المختار عدم التفاضل
بين المرسلين على التعيين بالعقل مع ايماننا بان بعضهم افضل من بعض عند الله
تعالى اذ الخوض في مقام المرسلين غير محمد صلى الله عليه وسلم من الفضول فعلم
انا نعتقد تفاضلهم على الابهام ولا بد لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض ولم يعين لنا من هو الافضل ومعلوم ان لا ذوق لنا في مقامات
الانبيا حتى نتكلم عليها وغاية امرنا ان نتكلم بحسب الادب المناسب لمقامنا
واين المقام من المقام فلا ينبغي ان يتكلم في مقام الرسول الا رسول ولا في
مقام الانبيا الا نبي ولا في مقام الوارثين الا رسول او نبي او ولي او
من هو منهم هذا هو الادب الالهي ولولا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبرنا انه

سيد ولد ادم لما ساغ لنا ان نفضله بعقولنا انتهي وقال في الكلام علي
صلاة الجمعة من الفتوحات لقد اطلعني الله تعالي علي من هو افضل بعد محمد صلي
الله عليه وسلم من الرسل علي الترتيب ولولا ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
لا تفضلوا بين الانبيا لعينت ذلكم ولكن تركته لما يودي اليه من تشويش بعض
القلوب التي لا كشف عند اصحابها ولكن من وجد نصا صريحا او كشفا محققا
قال به انتهي وقال في الباب الثاني والستين واربعماية لا يعرف مراتب
الرسل والانبيا الا من ختم به الختم العام الذي يختم الله تعالي به الولاية المحمدية
في اخر الزمان وهو عيسي ابن مريم عليه الصلاة والسلام فهو الذي يترجم عن
مقام الرسل علي التحقيق لكونه منهم واما نحن فلا سبيل لنا الي ذلك انتهي
وقال في شرحه لترجمان الاشواق لا ذوق لنا في مقام الانبيا حتي نتكلم
عليه انما نراه كما نري النجوم في الما كما سياتي بسطه ان شا الله تعالي في مبحث
الولاية وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الخوض في تفاضل
الانبيا علي التعيين من غير كشف فضول فان نحو قوله تعالي منهم من كلم الله
وقوله واتخذ الله ابرهيم خليلا لا يوخذ منه تفضيل احدهما علي الاخر علي القطع
للجهل باي المقامين افضل الخلة او الكلام انتهي وسمعته ايضا يقول من فاضل
بين الرسل بعقله فقد صدق انه فرق بين الرسل وقد قال تعالي لا نفرق
بين احد من رسله وان كان المراد بالتفريق عند المفسرين الايمان ببعض والكفر
ببعض فافهم انتهي وذكر نحو الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من
الفتوحات فان قلت فهل فضل الرسل علي بعضهم بعضا من حيث ماهم رسل
او غيره لك فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وماية ان
الرسل لم يفضل بعضهم بعضا من حيث ماهم رسل وكذلك الانبيا لم يفضلوا
علي بعضهم بعضا من حيث كونهم انبيا وانما فضل الرسل والانبيا باحوال اخر
ليست هي عين ما وقع فيه الاشتراك اذ ما من جماعة يشتركون في مقام الا
وهم علي السوا فيما اشتركوا فيه هذا هو الاصل وقد يكون ما وقع به المفاضلة
يودي الى التساوي كما هو مذهب الامام ابي القاسم ابن قسي رحمه الله ومن وافقه
من

من الطائفة فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه اخر
فيفضل كل واحد بامر لا يكون عند غيره وفضل ذلك المفضول بامر ليس عند
الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذي خص به يفضل علي من فضله قال
الشيخ محيي الدين والذي عندنا غير ذلك فيجمع الواحد جميع ما عند الجماعة
كمحمد صلي الله عليه وسلم فيفضل الجماعة بجميع ما يفضل به بعضهم علي بعض لا بامر
زايد فهو افضل من كل واحد ولا تفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع
فلا ينفرد في فضله قط بامر ليس عند احاد الجنس انتهي ثم ان الشيخ نقل
كلام ابن قسي في الجواب التاسع والعشرين من الباب الثالث والسبعين من
الفتوحات ثم قال وصاحب هذا القول الذي قاله ابن قسي ومن تبعه
ما حرر القول علي ما يقتضيه وجه الحق فيه مع انه معدود من اهل الكشف
قال والذي نقول نحن به ان معني المفاضلة المعقولة من قوله فضلنا
بعض النبيين اي اعطينا هذا ما لم نعط هذا واعطينا هذا ما لم نعط هذا من
فضله ولكن من مراتب الشرف فمنهم من فضله الله تعالي ان خلقه بيديه
كما يليق بجلاله واسجد له ملايكته وهو ادم عليه السلام ومنهم من فضله
بالكلام كموسي عليه السلام ومنهم من فضله بالخلة كابرهيم عليه السلام ومنهم
من فضله بالصفوة وهو يعقوب عليه السلام فهذه صفات مجد وشرف لا يقال
ان خلته اشرف من كلامه ولا كلامه اشرف من صفة خلقه بيديه لان ذلك
كله راجع الي ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد وايضا فان جميع المراتب
مرتبطة بالاسما الالهية والحقايق الربانية ومن فاضل فكانه يقول الاسما
الالهية بعضها اشرف من بعض ولا قايل بذلك لا شرعا ولا عقلا انتهي واما
التفاضل والخلاف المنصوب بين الاشعرية والمعتزلة من قولهم الملك افضل
من خواص البشر وعكسه فقد قال الشيخ محيي الدين في كتابه لواقح الانوار لم
يظهر لي وجه الخلاف في التفاضل بين خواص البشر والملايكة لان من
شرط التفاضل ان يكون بين جنس واحد والبشر والملك جنسان فلا يقال
الحمار مثلا افضل من الفرس وانما يقال هذا الحمار اشرف من هذا الحمار اللهم الا

ان يقال ان التفاضل حقيقة انما هو في الحقايق التي هي الارواح وارواح
البشر ملايكة فالملك اذن جزء من الانسان فالكل من الجزؤ والجزء من الكل
انتهي فليتامل هنا وما قبله من كلامه ويحرر وقال في الباب السابع
والاربعين من الفتوحات مما غلط فيه جماعة قولهم انما كان ابن ادم افضل
من الملك لكون ابن ادم له الترقي في العلم والملك لا ترقي له ولم يقيدوا
صنفا ولا مرتبا من المراتب التي يقع بها التفاضل الا كون ابن ادم يترقي
بخلاف الملك قال وسبب غلطهم عدم الكشف ولو كشف لهم لراوا
الترقي في العلم لازم لكل حيوان من الانس والجن والملايكة وغيرهم ممن اتصف
بالموت دنيا وعقبي وبرزخا ولو ان الملايكة لم يكن لهم ترقي في العلم
وحرمت المزيد فيه ما قبلت الزيادة فيه من ادم حين علمها الاسما كلها
فانه زادهم علما الهيا بالاسما التي لم تكن عندهم فسبحوه تعالي وقدسوه
فان قلت فاذن الملايكة مساوون لنا في الترقي في العلم فالجواب
نعم بخلاف الترقي بالعمل فلا اعمال لهم يترقون بها كما لا ترقي لنا نحن في
الجنة بالاعمال التي نفعلها هناك لزوال التكليف فنحن واياهم في ذلك
اليوم سوا في الاخرة فان قلت فهل ترقينا بالاعمال والعلوم من باب
التشرف لنا علي غيرنا او من باب الابتلا فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين
ان ذلك من باب الابتلا ليبلونا الحق تعالي به لا غير ولم يوفهم حقهم
من قال الكامل من البشر افضل مطلقا من حيث ترقيه ولو علموا ان ذلك
ابتلا ما فضلوا به انتهي قال الشيخ في اواخر الباب السابع والستين
وثلاثماية مما يؤيد قول الاشعرية ان خواص البشر افضل من غيرهم كون
الحق تعالي من حين خلق ادم ما رئي قط في المنام الاعلي صورته لشرفها
واستقامتها وكان قبل خلق ادم يتجلي للرائي في المنام في كل صورة
في العالم ومن هنا تعلم ان المقصود من العالم كله انما هو الانسان الكامل
فان الله تعالي لما خلقه كانت حقايقه كلها مبددة في العالم كله فناداها
الحق تعالي من جميع العالم فاجتمعت فكان من جميعها الانسان فهو الخليفة الاعظم

وخزانة علم الله تعالي انتهي فان قلت فاذا كان الملك يترقي كالبشر فما
معني قول وما منا الا له مقام معلوم وهل جميع الخلق غير الملك لهم
كذلك مقام معلوم او ذلك خاص بالملك فالجواب نعم لكل مخلوق في
علمه تعالي مقام معين مقدر مغيب عن ذلك المخلوق واليه ينتهي كل
شخص بانتها نفسه فاخر نفس الشخص هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه
والي هذا دعوا الي السلوك فسلكوا علوا باجابة الدعوة المشروعة وسفلا
باجابة الامر الارادي من حيث لا يعلمون الا بعد وقوع المراد فكل شخص
من الثقلين ينتهي في سلوكه الي المقام الذي عين له فمنهم شقي وسعيد
وكل مخلوق سواهما في مقامه لم يزل عنه فلم يحتج ان يومر بالسلوك اليه
لاقامته فيه كان ذلك ملكا او حيوانا او معدنا او نباتا فهو سعيد عند
الله تعالي لا شقا ينا له فقد بان لك ان الثقلين دخلا في قول الملايكة وما
منا الا له مقام معلوم والله اعلم واعلم يا اخي ان القول بتفضيل الملايكة
علي خواص البشر قد نسب للشيخ محيي الدين وهو الذي رايته في نسخ الفتوحات
بمصر وقد قدمنا في الخطبة ان نسخ الشيخ مما دس فيها علي الشيخ والذي
رايته في النسخة المقابلة علي نسخة الشيخ بقونية المروية عنه بالاسناد
ان خواص البشر افضل من خواص الملايكة ويؤيده ما قاله الشيخ من الشعر
اوايل الباب الثالث والثمانين وثلاثماية من تفضيل محمد صلي الله عليه وسلم
علي خواص الملايكة بعد كلام طويل رضي الله تعالي عنه

وليس يدرن ما قلنا سوي رجل ۝ قد جاوز الملا العلوي والرسلا
ذاك الرسول رسول الله احمدنا ۝ رب الوسيلة في اوصافه كملا

انتهي فاياك ان تنسب الشيخ الي القول بمذهب اهل الاعتزال الشامل
لتفضيل الملايكة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم والله يتولي هداك

المبحث التاسع والثلاثون

في بيان صفة الملايكة واجنحتها وحقايقها وذكر نفايس تتعلق بها لا توجد في كتا

احدممن صنف في الملائكة فان منزع هذا المبحث الكشف والنقول فيه عن من
اعلم انه قد تقدم في المبحث الثالث والثلاثين نفايس في بيان نزول الملائكة
بالوحي فراجعه والذي يخصنا هنا ان نعلم ان الملائكة عند اهل الحق اجسام
لطيفة ولهم قوة التشكل والتبدل قادرون علي الافعال الشاقة عباد
مكرمون مواظبون علي الطاعات معصومون من المخالفات والفسق لا يوصفون
بذكورة ولا انوثة كما سياتي ايضاحه في هذا المبحث ان شا الله تعالي فان قلت
هل النجوم والشمس والقمر املاك ام منصات لملاك فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب الستين من الفتوحات ان جميع النجوم والشمس والقمر مراكب للملائكة
وذلك لان الله تعالي قد جعل في السموات نقبا من الملائكة وجعل لكل ملك
نجما هو مركب له يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم في كل يوم دورة فلا
يفوتهم شي من احوال الملائكة السماوية والارضية واملاك هذه المنصات
منهم جنود وامراونقبا وملوك واطال في ذكرهم ثم قال فكل سلطان لا ينظر
في احوال رعيته ولا يمشي بالعدل بينهم ولا يعاملهم بالاحسان الذي يليق بهم
فقد استحق العزل فان قلت فهل بين ولاة السموات وولاة الارض
ارتباط فالجواب بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقايق
يتصل بينهم الي ولاة اهل الارض بالعدل مطهرة من الشوايب مقدسة من
العيوب فتقبل ارواح هولا الولاة الارضين من ارواح الملائكة ورقايقهم
بحسب استعداداتهم فمن كان من ولاة الارض استعداده قويا حسنا قبل
ذلك الامر الذي امتد اليه من رقايق الملائكة طاهرا مطهرا من الشوايب
علي صورته من غير تغيير فكان والي عدل وامام فضل واما من كان استعداده
رديا فانه يقبل ذلك الامر الظاهر فيرده الي شكله من الرداة والقبح فكان
والي جور ونايب ظلم فلا يلومن الا نفسه انتهي وقد بسط الشيخ الكلام علي ذلك
في التنزلات الموصلية فان قلت فهل في قوة الملك ان يتطور كيف شا
فالجواب كما مر اول المبحث فان قلت فهل في قدرة الكامل من البشر ان
يظهر في صورة غيره كالملائكة فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر

ونلاغاية

ونلاغاية ان في قوة الكامل من البشر كقضيب البان وغيره ان يظهر في صورة
غيره من البشر وليس في قوة الكامل من الملائكة ان يظهر في صورة غيره من
الملائكة فلا يقدر جبريل يظهر في صورة اسرافيل ولا عكسه فعلم ان في قوة
الانسان ما ليس في قوة الملك فان قلت فاي الملائكة اكبر مقاما علي الاطلاق
كما هو الحال في محمد صلي الله عليه وسلم فالجواب لم يطلع من ذلك علي نص ولا ينبغي
لاحد ان يفاضل بعقله بين الملائكة السماوية ولا غيرهم فلا يقال جبريل
افضل من اسرافيل ولا افضل من ميكايل ولا عزرايل افضل من اسماعيل الذي
هو ملك السما الدنيا الا بنص صريح فان قلت فهل يوصف الملا الاعلا بانهم
انبيا او اوليا كالبشر فالجواب لا يوصف الملا الاعلا بانهم انبيا او اوليا
لانهم كانوا انبيا او اوليا ما جهلوا الاسما التي علمها لهم ادم عليه السلام اذ
معرفة الله تعالي تكون بحسب المعرفة باسمايه وجهل العبد به يكون بحسب
جهله بها فان قلت فهل جميع الملائكة من عالم الخير فان قلتم بذلك فكيف قالوا
اللهم اعط ممسكا تلفا ودعوا علي مال المومن بالاتلاف فالجواب كما قاله الشيخ
في باب الزكاة من الفتوحات ليس ذلك دعا علي مال المومن بالاتلاف الذي
يتالم منه المومن وانما هو دعا له بان ينفقه في مرضات الله تعالي عز وجل
فيوجر عليه كما يوجر المنفق اختيارا لان الملك من عالم الخير لا يدعوا علي مومن
بما يضره فمعني قولهم اللهم اعط ممسكا تلفا اي اجعل الممسك ينفق ماله في
مرضاتك لتخلفه وان كنت يا ربنا لم تقدر في سابق علمك ان ينفقه باختيار
فاتلف ماله عليه لتوجره فيه اجر المصاب ليصيب خيرا فهو دعا له بالخير كما
مر لا كما يظنه من لا معرفة له بمقام الملائكة فان الملك لا يدعوا بشر لا سيما
في حق المومن بوجود الله وتوحيده وبما جا من عنده قال الشيخ ولا شك ان
دعا الملك مجاب لوجهين الاول لطهارته والثاني كونه دعا في حق الغير
فهو دعا لصاحب المال بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك فعلم
ان المراد بالاتلاف الانفاق لكنه اي الملك غاير بين اللفظين والله اعلم
فان قلت فهل في قوة البشر ان ينزل الملك من السما بالاقسام عليه بالله

تعالى كما يفعله اهل الرصد فالجواب ليس في قوة البشر ان ينزل احدا من
الاملاك من السما باقسام عليه او غير ذلك لقوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك
فلا يوثر في امرهم ولا الذين لا يتنزلون الا بامر الرب خاصية بنات ولا
اقسام عليهم بالله عز وجل كما ذكر الشيخ في الباب الخامس والعشرين
وهذا بخلاف ارواح الكواكب السماوية فانها تتنزل بالاسما والبخورات
واشباه ذلك لانه تنزل معنوي ومشاهد صور خيالية فان ذات الكواكب
لم تبرح في السما عن مكانها وانما جعل الله تعالى لمطارح شعاعها من عالم الكون
والفساد تاثيرات عند العارفين بذلك لكن باذن الله تعالى كوجود الري عند
شرب الما والشبع عند الاكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر
والصحو حكمة اودعها الحكيم العليم فان قلت فما المراد بقوله تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا هل هم الجنة او الملائكة كما هو المشهور من قولهم في
الملائكة انهم بنات الله تعالى والله منزه عن ذلك فالجواب المراد بالجنة هنا
الملائكة وسموا جنة لاستتارهم عن العيون مع كونهم يحضرون معنا في مجالسنا
ولا نراهم لان الله تعالى جعل بينهم وبين اعين الناس حجابا مستورا فكما ان الحجاب
مستور عنا فهم كذلك مستورون بالحجاب فلا نراهم الا اذا شاوا ان يظهروا
لنا ذكره الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة ثم قال فيه ولا يخفى
ان الجنة من الملائكة هم الذين يلازمون الانسان ويتعاقبون فينا بالليل
والنهار ولا نراهم عادة ولكن اذا اراد الله عز وجل لاحد من الانس ان
يراهم من غير ارادة منهم كشف كذلك الحجاب عن عين الذي يريد الله ان يراهم
ويدركهم وقد يامر الله تعالى الملك بالظهور لنا فنراهم او يرفع الغطا عنا
فنراهم راي العين لكن لا يصح كلامهم لنا اذا راينا هم فان ذلك من خصائص
الانبيا واما الولي فان راى الملك لا يراه متكلما له وان كلمه الملك لا يرى شخصه
فلا يجمع بين الروية والكلام الا نبي فان قلت فهل للملك حظ في الشقا
فالجواب لا حظ له في الشقا واما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح
منه شي فالشقا والسعادة خاصان بالجن والانس والسلام فان قلت

فما السبب الذي امرت الملائكة بالسجود لادم لاجله هل هو لكونه في احسن
تقويم او لتعليمهم الاسما فالجواب كما قاله الشيخ في علوم الباب التاسع
والستين وثلاثمائة ان سجود الملائكة لادم ليس لاجل تعليمهم الاسما
وانما ذلك لاجل كونه في احسن تقويم وسياتي قريبا ان شا الله تعالى
ان سبب السجود كان من اغضاب خفي على الملائكة فان قلت فلم امروا
بالسجود لادم قبل ان يعرفوا فضله عليهم فالجواب انما امروا بذلك قبل
ان يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله له من الاسما امتحانا للملائكة ولو ان السجود
كان بعد ظهوره بالعلم ما ابى ابليس ولا قال انا خير منه ولا استكبر عليه
ولهذا قال ااسجد لمن خلقت طينا وقال خلقتني من نار وخلقته من طين
والنار اقرب الى اسم النور من الطين لاضاءتها فان قلت فاذن
ما كان اعلام الله تعالى الملائكة بخلافة ادم الا بعد ما اخبر الله تعالى عنهم
فالجواب نعم ولذلك قال في قصته واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فاتى
بالماضي من الافعال وباداة اذ وهي لما مضى من الزمان فاجعل بالذهن
هذه المسالة لتعلم فضل ادم بعلمه على فضله بالسجود لمجرد ذاته ولتعلم
ايضا لماذا نهى الشرع ان يسجد انسان لانسان فانه سجود الشي لنفسه
فانه مثله والشي لا يخضع لنفسه وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن
الانحنا ايضا وامر بالمصافحة فان قلت فهل كان الامر بالسجود لادم
ابتلا للملائكة او لامر اخر فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي والاربعين
وثلاثمائة ان ذلك ابتلا من الله للملائكة عن اغضاب حتى لا يشعر به الا
العلما بالله عز وجل وذلك لانها اعترضت على الحق تعالى في جعله ادم خليفة
في الارض ولو انها ما اعترضت ما ابتليت بالسجود لادم الذي هو عبد لله
عز وجل قال الشيخ وهكذا كل مواخذة وقعت بالعالم لا تكون الا بعد
اغضاب خفي او جلي لان الله تعالى خلق العالم بالرحمة المتوجهة على ايجاده
وليس من شان الرحمة الانتقام بخلاف الغضب فان شانه الغضب والانتقام
ولكنه على طبقات قال وحيث وقع الانتقام فهو تطهير الا للكفار وهذا

من علوم الاسرار فاحفظ به انتهي فان قلت قد ورد صفوا يعني في
الصلاة كما تصف الملايكة عند ربها يعني خلف امامها وورد انها تصف خلف
امامنا فاذن امامنا عند ربها ايضا فالجواب نعم وايضاحه ان الملايكة
خلفنا في هذا الحال عند الامام المصلي بها وهي لم تزل عند ربها فالامام لنا
مكان ادم فامامنا يسجد لله والله تعالي في قبله الامام كما يليق بجلاله والامام
قبلة الملايكة فما زال سجود الملايكة لادم وبنيه في كل صلاة كما سجد والابهم
ادم فلا تزال الخلافة في بني ادم ما بقي منهم مصلي الي يوم القيمة ذكره الشيخ
في الباب السابع والاربعين وثلاثماية وقال فيه ان النهي الالهي والامر اذا
وقع في الدنيا لم يرتفع حكمه الي يوم القيمة وقد وقع السجود لادم من الملايكة
فبقي سجودهم لذريته خلف كل من صلي الي يوم القيامة كما نسي ادم فنسيت ذريته
وكما جحد فجحدت ذريته وكما قتل قابيل اخاه هابيل ظلما فما زال القتل في
بني ادم ظلما الي يوم القيامة فكل مصل امام للملايكة والملايكة خلفه تسجد
الي جهته فان قلت فما الفرق بين السجودين اعني سجودهم لادم وسجودهم لاولاده
فالجواب ان الفرق بين ادم وبنيه ان الملايكة اذا سجدت خلف بنيه انما
تسجد لسجود بني ادم في القراة والصلاة واما سجودهم فهو سجود المتعلم للمعلم
فاجتمعا في السجود وافترقا في السبب والله اعلم فان قلت فلم لم تقف النبي
صلي الله عليه وسلم عن يمين جبريل لما صلي خلفه كما هو شان المنفرد فالجواب
انما لم يقف عن يمينه لان النبي صلي الله عليه وسلم راي الملايكة خلف جبريل
ببصره فوقف بعضهم في صفهم ولو انه لم ير صف الملايكة لوقف عن يمين
جبريل وكذلك ينبغي ان يقال في الجواب عن الرجل الذي صلي خلف النبي صلي
الله عليه وسلم وامره بالوقوف عن يمينه لو كان يشاهد الملايكة الذين يصلون
خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم لما امره بالوقوف عن يمينه فراعي صلي الله عليه
وسلم مقام ذلك المام ولیس حكم من لم يشاهد الامور مثل حكم من شاهدها
والمقصود بما ذكرناه كله اعلامك بان السجود من الملايكة خلف بني ادم ما ارتفع
وان الامامة ما ارتفعت من ادم الي اخر مصل والملايكة تبع لهذا الامام

فنحن

فنحن عند الله في حال امامتنا كآدم والملايكة تبع لامامنا والملايكة عندنا بالاقتدا
فهي عند ربها لان الامام وهذه الملايكة عنده وكل صف امام لمن خلفه بالحال
فان قلت فهل تتقرب الملايكة الي ربها بالنوافل كما يتقرب البشر فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الحادي والعشرين واربعماية انه ما ثم ملك يتقرب
الي الله تعالي بنافلة ابدا انما هم في الفرايض دايما فرايضهم قد استغرقت
انفاسهم فلا نفل عندهم فان قلت فاذن هم ناقصون عن مقام البشر لفقدهم
المقام الذي اخبر الحق تعالي انه يكون فيه سمعهم وبصرهم الي اخر النسق كما
يليق بجلاله فالجواب نعم فهم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار واختيار
فنقصوا بذلك عن مقامنا كما نقصوا عنا ايضا من حيث انه ليس لهم فكر وانما
لهم عقل فقط ففاتهم ثواب الفكر في مصنوعات الله وعدموا كون الحق سمعهم
وبصرهم كما فاتهم ايضا ثواب اجتناب النهي لانهم لا يعصون له طبعا لعصمتهم
انتهي فان قلت فما المراد بقوله تعالي وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون وقوله تعالي ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد هل
المراد بالرقيب العتيد هما الكاتبان فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع
والاربعين وخمسماية ان الملكين الكاتبين هما الرقيب العتيد من ملايكة الليل
والنهار فهم يكتبون كلما يتلفظ به العبد ولا يكتبون غير ذلك فان العبد
اذا تلفظ رمي به في الهوا وبعد ذلك يتلقاه الملك فان الله تعالي عند قول
كل قايل في حين قوله فيراه الملك نورا قد رمي به هذا القايل الذي الحق
تعالي عند لسانه فياخذه الملك ادبا مع القول فيحفظه له عنده الي يوم
القيمة فعلم ان الحفظة تعلم ما يفعل العبد بنص القران ولكنها لا تكتب له
عملا حتي يتلفظ فاذا تلفظ كتبه فهم شهود اقوال وسبب ذلك عدم اطلاعهم
علي ما نواه العبد في ذلك الفعل ولهذا كانت ملايكة العروج بالاعمال تصعد
بعمل العبد وهي تستقله فيقبل منها ويكتب في عليين وتصعد بالعمل
وهي تستكثره فيقال لهم اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه لم يرد به
وجه الله الحديث بمعناه ٥ وقال تعالي وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له

الدين حنفا فلو علمت الحفظة ما في نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا
الخير فالنية بالقلب لا يعلمها الا الله تعالى ثم صاحبها فالملك يكتب حركة العبد
حتى حركة لسانه فاذا تلفظ فالله شهيد لانه تعالى عند قوله على الحقيقة لا اعتنا
لا عند عبده فهذه الكينونة الالهية هي التي تحدث بحدوث الكون في الشهود
وسبب ذلك انه تكوين والتكوين لا يكون الا عند القول الالهي في كل كاين
فجميع ما يتكون في الكون فعن القول الالهي فليس بين الحق تعالى وبين العبيد
مناسبة اعم ولا اتم من مناسبة القول ولهذا ورد ان الله تعالى عند لسان كل قايل
فان الكون الذي هو القول مفارق قايله فان لم يكن الحق تعالى عنده ضاع
القول فلا بد من كونه تعالى عنده لينشيه صورة قايمة الخلقة كما يقبل تعالى
الصدقة فيربيها حتى تكون كالجبل العظيم انتهى فان قلت قد قال العلما
ان الملايكة يكتبون الاعمال ايضا لكون ان الله تعالى اخبرانهم يعلمونها وما
يعلمونها الا ليكتبونها فالجواب لم نعلم لقولهم هذا دليلا من القران فمن ظفر فيه
بدليل صريح فليلحقه بهذا الموضع والله اعلم فان قلت فما المراد بالملايكة
المشار اليهم بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من
امر الله هل هم الحفظة ام غير ذلك فالجواب المراد بهولا الملايكة ملايكة
التسخير الذين يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه فهو تبع وليس المراد
بهم الحفظة والله تعالى اعلم فان قلت فما المراد بقوله تعالى في صحف مطهرة بايدي
سفرة كرام بررة فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السبعين وماية ان المراد
بالصحف المطهرة هي علم الرسالة والمراد بالسفرة هم الرسل من الملايكة ومعنى بررة
اي محسنون فهم سفرة الحق تعالى الى الخلق ورييسهم الاكبر جبريل عليه السلام
فاذا اراد الله تعالى انفاد امر في خلقه اوحى الى الملك الاقرب الى مقام تنفيذ
الاوامر وهو الكرسي فيلقي الله تعالى ذلك الامر على وجوه مختلفة ثم يامره بان
يوحي به الى من يليه ويوحي اليه ان يوحي الى من يليه وهكذا الى سما الدنيا
وينادي ملك السما فتوضع تلك الرسالة في السما وينادي ملايكة اللمات وهم ملايكة
القلوب فيلقونها في قلوب العباد فتعرف الشياطين ما جات به الملايكة وتاتي

بامثاله

بامثاله الى قلوب الخلق فتنطق الالسنة بما تجده في القلوب وهي الخواطر قبل
التكوين بانه كان كذا واتفق كذا فالملم يكن فيما يكون منهم تعيد الكلام به فكذلك
ما جات به الملايكة وما لم يكن فهو ما القته الشياطين ويسمى ذلك في العالم الارجاف
وتقول عنه العامة انه مقدمات التكوين ثم ان ملك السما اذا القى ما اوحي اليه
به في السما فلا يشرب من ذلك الما حيوان الا ويعرف ذلك السر الا الثقلين انتهى
فان قلت فهل للملايكة اخرة كالانس والجن ام لا فالجواب كما قاله الشيخ في الباب
الثامن عشر وخمسماية انه ليس للملايكة اخرة وذلك انهم لا يموتون فيبعثون وانما
لهم صعق وافاقة كالنوم والافاقة منه عندنا وذلك حال لا يزال عليه الممكن
في التجلي الاجمالي دنيا واخرى والاجمال هنا عند الملايكة عين المتشابه عندنا
ولهذا سمعوا الوحي كانه سلسلة على صفوان وعند الافاقة يقع التفصيل الذي
هو نظير الحكم فينا فالامر فينا وفيهم بين ايات متشابهات وايات محكمات فعم
الابتلا والفتنة بالجمال والمتشابه المذكور الملا الاعلى والاسفل فان قيل
فهل تتفاضل الملايكة في العلم بالله تعالى فالجواب نعم لكن من غير ترق لانهم على
مقامات لا يتعدونها كما مر فالمفضول منهم يستفهم من العالم كما في قولهم ماذا
قال ربكم قالوا الحق ه وايضاح ذلك ان الملايكة ارواح في انوار ولها اجنحة
فاذا تكلم الحق تعالى بالوحي على صورة خاصة وتعلقت بها اسماعهم كانه سلسلة على
صفوان كما مر ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا وتصعق حتى اذا فزع الله عن قلوبهم
وهو افاقتهم من صعقهم قالوا ماذا اي يقول بعضهم لبعض ماذا فيقول بعضهم
قال ربكم كذا اعلاما بان كلام الله عين ذاته فيقول بعضهم لهذا القايل الحق
اي الحق فيقول وهو العلي الكبير عن هذا التشبيه فانتهى كلام المنتهي الى قوله
قالوا الحق فقال الله وهو العلي الكبير نظير قوله ليس كمثله شي والله اعلم
فان قلت فهل للعالم البشري التصرف في عالم الصور وعالم الانفس المدبرة
لهذه الصور فالجواب نعم كما قاله الشيخ في الباب الثالث والستين وثلاثماية
قال وما عدا هذين الصنفين فما للعالم البشري عليه حكم لكن من اراد منهم
ان يحكم من يشا على نفسه كعالم الجان فله ذلك فعلم ان العالم النوري من

الملايكة خارجون عن ان يكون للعالم البشري عليهم ولاية لان كل واحد منهم
على مقام معلوم عينه له ربه فما ينزل عنه الا بامر ربه فمن اراد ان ينزل واحد
منهم فليتوجه في ذلك الى ربه وربه يامره ويأذن له في ذلك لهذا السايل او
ينزل عليه ابتداء فان قلت فما مقام الملايكة السايحين فالجواب مقامهم
المعلوم كونهم سايحين يطلبون مجالس الذكر الذي هو القران فلا يقدمون على
من ذكر الله بالقران احدا من الذاكرين بغير القران فاذا لم يجدوا من يذكر
الله بالقران عدوا على الذاكرين بغيره وذلك رزقهم الذي يعيشون به فيه
حياتهم ٥ ولذلك كان المهدي اذا خرج يقيم جماعة يتلون كتاب الله آناء الليل
والنهار ٥ ذكره الشيخ في الباب السادس والستين وثلاثماية فان قلت فهل
في الملايكة احد يجهل صفات الله عز وجل كما يقع لعوام الجن والانس فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثماية انه ليس في الملايكة بعد
تعليم ادم الاسماء لهم من يجهل الحق تعالى بل كلهم علماء بالله عز وجل ولذلك
قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة ثم قال في حق الناس
واولوا العلم فما يطلق الامر كما اطلقه في الملايكة واطال في ذلك ثم قال
فالمراد بهذا العلم هو علم التوحيد لا علم الوجود فان العالم كله عالم بالوجود وبجلاء
التوحيد في الذات بالرتبة يجهله بعض الناس فان قلت فهل اختصت
الملايكة عن البشر بشيء من العلوم فالجواب نعم ما ذكره الشيخ في الباب الخامس
والسبعين وثلاثماية وذلك انهم اختصوا بالعلم الذي لا يعرفه احد من البشر
الا ان تجرد عن بشريته وعن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشاته حتى تبقى
الروح المنفوخ فيه على اصله الاول وحينيذ يتخلص للعلم بالله تعالى من حيث
تعلمه الملايكة فيقوم عن عبادته لله تعالى مقام الملايكة في عبادتهم لله تعالى
قال وقد ذقنا ذلك ولله الحمد ولولا خوفنا اننا اذا علمنا هذا العلم لاحد
يدعيه كذبا لبينا له منه ما تقر به العيون فان قلت فهل فطر احد من
الملايكة على الشهوة ولكن يحميه الله منها ام لا شهوة له اصلا فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب الثامن والسبعين وثلاثماية ليس للملايكة شهوة وانما فطرهم الله

تعالى على المعرفة بالله وعلى الارادة ولذلك اخبر عنهم بانهم لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون لما خلق لهم من الارادة ولولا الارادة ما اثنى عليهم بانهم
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فان قلت فعلى ماذا فطر الحيوان
فالجواب فطر على العلم بالله وعلى شهوة خاصة بخلاف الانس والجن فانهم فطروا
على المعرفة والشهوة وهناك تعلق خاص في الارادة اذ الشهوة ارادة طبيعية
فليس للجن والانس ارادة الاهية كالملايكة وفطرها الله تعالى على العقل لا على لسان
العلم وانما هو الة جعلها الله تعالى للجن والانس ليردعوا بها الشهوة في هذه الدار خاصة
وجميع ما استفاده الانسان والجان من العلم من غير طريق الكشف فانما هو من طريق
الفكر بالموافقة فعلم ان العلوم التي في الانسان انما هي بالفطرة والضرورة والالهام
وغاية الكشف ان يكشف له من العلوم التي فطره الله عليها لا غير مما يري به محلوس
واما الفكر فمحال ان يصل به الى العلم فان قلت فمن اين علمت هذا وهو من مدركات
الحس فلم يبق الا النظر فالجواب علمنا ذلك من طريق الالهام والاعلام الالهي
وذلك ان النفس الناطقة تتلقى ذلك العلم من ربها كشفا وذوقا من الوجه الخاص
من طريق الالهام فان لكل موجود من الله وجها خاصا فعلم ان الفكر الصحيح غاية
امره انه لا يزيد على الامكان بخلاف ما ذكرناه من علم الله واعلامه كما ان غاية امر
ما يصل اليه العبد بالنظر الصحيح في المعرفة بالله تعالى الحيرة في الله وهذا مبتدا
البهايم لانها مفطورة على الحيرة والعبد يريد ان يخرج عنها فلا يقدر ابدا فان
قلت فكم اصناف الملايكة فالجواب هم ثلاثة اصناف كما ذكره الشيخ
في الباب الرابع والخمسين ومائة ٥ الاول المهيمون في جلال الله تعالى كما اوجدهم
فانه تعالى تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وافناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم
ولا من هاموا فيه هكذا ادركناهم من طريق كشفنا فهم في الحيرة سكارى وقد
اوجدهم الله تعالى من ابنية العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء بجعل
ما نا فيه وهم ارواح في هياكل انوار كساير الملايكة الان وليس لهولاء الملايكة
من الولاية الا الولاية الممكنات ٥ الثاني ملايكة التسخير المسخرين لنا بالعروج
بيلاويها اي من حضرة الحق الخاصة الينا ومن حضرتنا الى الحق وكالملايكة الموكلين

بالممات والموكلين بالارحام والموكلين بالالهام والموكلين بنفخ الارواح وكالملائكة الموكلين بالارزاق والامطار وكالموكلين بالانسان وكالملائكة الصافات والزاجرات
والتاليات والمقسمات والنازعات والمرسلات والناشرات والسابقات
والسابحات والملقيات والمدبرات وغيرها وكل من عموم النبيين افضل من
هولاء كما مر في المبحث قبله واعلم ان راس ملائكة التسخير هو القلم الاعلى وهو
العقل الاول سلطان عالم التدوين والتسطير قال الشيخ وكان وجود هولاء
مع العالم المهيمين غير ان الله تعالى حجبهم عن هذا التجلي الذي هام به غيرهم
الثالث ملائكة التدبير وهي الارواح المدبرة للاجسام كلها سوي الطبيعية والنورية
والفلكية والعنصرية وجميع اجسام العالم واطال الشيخ في ذلك ثم قال وقد
ذكرنا في الباب الرابع عشر وثلاثمائة انه ليس للملائكة كسب ولا تعمل في مقام
وانما هي مخلوقة في مقامها لا تتعداه فلا تكسب قط مقاما وان زادت علوما
فليس تلك العلوم عن فكر ولا استدلال فان نشاتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه
نشاة الانسان فان قلت فما المراد بالاجنحة في قوله تعالى جاعل الملائكة
رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع فالجواب ان المراد بهذه الاجنحة هو
القوي الروحانية وليس لهذه القوي تصرف الا فيما كان من مقامها لا تتعدي
مقام صاحبها من الافلاك كما مر في مبحث الاسرا لان غاية كل شي ان يرجع للمحل
الذي صدر منه لكن لا يخفي ان الاجنحة المذكورة ما جعلت للملائكة الا لينزلوا
بها الي من هو دونهم في العنصر لا ليصعدوا بها الي من فوقهم فيه وهكذا بعكس
الطاير عندنا فانه يهوي بلا اجنحة ويصعد بها فان اجنحة الملائكة لا تصعد بها
فوق مقامها فتعلم ان الاصل في اجنحة الطاير اذا نزل نزل بطبعه واذا
علا علا بجناحه والملك اذا نزل نزل بجناحه واذا علا علا بطبعه كل ذلك
ليعرف كل موجود عجزه وانه لا يتمكن له ان يتصرف الاعلى قدر ما حد له
فان قلت فما المراد بعروج الملائكة فانه لا يعرج الامن نزل فالجواب
لا يختص عروج الملائكة بالعلويات كعروج غيرهم بل يسمي نزولهم الينا عروجا
ايضا لظهار الاطلاق الحكم لله رب العالمين فان له تعالى في كل موجود تجليا

ووجها

ووجها خاصا ان به يحفظه ولا سيما وقد ذكر سبحانه ان له جهة العلو
على الاطلاق اي سواء وقع التجلي في السفليات او العلويات قال
تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال وهو الله في السموات وفي الارض
فجعل له العلو سواء كان في السموات وفي الارض بقرينة حديث اقرب
ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فافهم فالعلو له دائما قال الشيخ
وايضاح ذلك ان الله تعالى اعطي الملائكة من العلم بجلاله بحيث انهم
اذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون الا الي الله لا الي غيره فلهم نظر الي الحق
في كل شي ينزلون اليه من حيث نظرهم الي من ينزلون اليه قال تنزل
الملائكة ومن حيث انهم في نزولهم اصحاب عروج قال تعرج الملائكة
وبالجملة كل نظر وقع الي الكون من اي كاين كان فهو نزول وكل نظر وقع
الي الحق من اي كاين كان فهو عروج وقد قررنا فيما سبق ان الملك اذا عرج
يعرج بذاته لانه رجوع الي اصله واذا عرج الرسول الي السما عرج تبعا لذات
البراق بحكم التبعية له فان قلت فما المراد بقوله تعالى خطابا لابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين فالجواب
المراد به استكبرت اي في نظرك وكذلك كان الامر فان الله اخبر عنه انه استكبر
وظن بنفسه في باطن الامر انه خير من ادم فهنا جهل ابليس فان قلت
فهل العالون ارواح ام ملائكة فالجواب هم ارواح ما هم ملائكة اذ الملائكة
هم الرسل في هذه الارواح كجبريل وامثاله فان الالوكة هي الرسالة في لسان
العرب فما بقي ملك الا سجد لانهم هم الذين قال الله لهم اسجدوا لادم فلم تدخل
الارواح المهيمة فيمن خوطب بالسجود فانه ما ذكر انه خاطب الا الملائكة لا
الارواح ولذلك قال فسجد الملائكة كلهم اجمعون ونصب ابليس على الاستثنا
المنقطع لا المتصل وهذه الارواح المشار اليهم بالعالين لا يعرفون ان الله تعالى
خلق ادم ولا غيره لشغلهم بالله تعالى فقال تعالى لابليس استكبرت ام كنت من
العالين اي من هولا الذين ذكرناهم فلم تومر بالسجود ولا يخفي ان السجود في
اللسان هو التطاطو لان ادم خلق من تراب وهو اسفل الاركان لا اسفل عنه

وسمعت بعض مشايخنا يقول انما لم يومر العالون بالسجود لادم لانهم
لايعرفونه حتي يسجدون له وايضا فلانهم ماجري لهم ذكر في تعرف الله ايانا
ولولاما ذكرالله تعالي لي من الاباية لابليس ماعرفنا انه امر بالسجود
ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة وقال في الباب الخمسين
ومائة ارفع الارواح العلوية العالون وليسوا بملايكة من حيث الاسم فانه
موضوع للرسل منهم خاصة اومعني للملايكة الرسل وهو من الالوك واصله
مالكة والالوكة الرسالة فلايختص بجنس دون جنس ولهذا دخل ابليس
في الخطاب بالامر بالسجود لما قال للملايكة اسجدوا لانه ممن يستعمل في
الرسالة في الجملة فالملايكة حبس يعم الارواح البررة السفرة والجن والانس فكل
جنس فيه من ارسل وفيه من لم يرسل فالتبوة الملكية المهيمون لايبالها الا الطبقة
الاولي الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم او الافراد من ملايكة الكرسي
والسموات وملايكة العروج قال واخبرني من الملايكة اسماعيل صاحب سماء
الدنيا وكل واحد منهم علي شريعة من ربه من باطنية شريعة محمد صلي الله عليه وسلم
في عالم الارواح معناه لغاية وذلك قوله تعالي وما منا الا له مقام معلوم
فاعترفوا بان لهم حدودا يقفون عندها لايتعدونها ولامعني للشريعة الا هذا
فاذا اوحي الله تعالي اليهم سمعوا كلام الله تعالي بالوحي فضربوا باجنحتهم واطال في
ذلك فان قلت فما المراد بالاسما الالهية التي اسند اليها الملايكة المشار اليهم
بهولا من قوله انبيوني باسما هولاء في ايجادهم واحكامهم فالجواب هي ساير الاسما الالهية
فكانه تعالي يقول لهولاء بالاسما نقصا يستحقون به المواخذة والتوبيخ كانه تعالي يقول لهولاء
الملايكة هل سبحتموني وقدستموني بهذه الاسما قط مع انكم ادعيتم تسبيحي وتقديسي
وزكيتم نفوسكم وجرحتم الخليفة في الارض ولم يكن ينبغي لكم ذلك فان قلت فهل
للملك والحيوان والمعدن والنبات ارادة فالجواب ليس لهم ارادة تتعلق بامر من
الامور منهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثنا عليه فشغلهم دايما به تعالي
لاغنه واما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة
والنسيان فان قلت فهل في الارواح قوة مصورة كما في الانسان فالجواب كما قاله

الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة ان الارواح لها قوة التصور
ومالها القوة المصورة فان القوة المصورة تابعة للفكر الذي هو صفة
للقوة المفكرة وكذلك الارواح التي فوق الطبيعة لايستمدون صور
العالم ولايبالون التصور كالنفس الكلية والعقل والملايكة المهيمين في
جلال الله والله اعلم • وفي هذا القدر من احوال الملايكة كفاية وسياتي بنذة
صالحة من الكلام علي ملايكة الالهام في مبحث الولاية ان شا الله تعالي

المبحث الاربعون

في مطلوبية بر الانبيا عليهم الصلاة والسلام ووجوب الكف
عن الخوض في ابوي نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وحكم اهل الفترتين
بين نوح وادريس وبين عيسي ومحمد صلي الله عليه وسلم وبيان انهم
يدخلون الجنة وان لم يكونوا مومنين بكتاب الله ولا رسوله
اعلم انه يستحب بر الانبيا كلهم والدعا لهم بان الله يزيد في درجاتهم رحيا رضي الله
عز وجل عنا وعنهم وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين
واربعمائة اعلم انه ينبغي لكل مومن بر اجداده واباية المسلمين وغير اباية
من اكابر الاوليا من ادم الي ابيه الاقرب قال الشيخ ولقد اعتمرت مرة
عن ابينا ادم عليه السلام وقد فتحت تلك الليلة السما وعرجت ملايكة
لايحصي عددهم الا الله ونزلت ملايكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل
الي ان ذهلنا منهم وذهلنا من كثرتهم لاجل صلة ابينا ادم عليه السلام
تلك الليلة وذلك لان رحم ادم عليه السلام مقطوعة عند اكثر الناس
قال ولقد الهمني الله صلتها فوصلتها ووصلت بسببي ايضا وكان
ذلك عن توفيق الالهي لم ار لاحد في ذلك قدما امشي عليه وما قال الحق تعالي
في غير موضع من القران يا بني ادم يا بني ادم يا بني ادم الا ليذكرنا تعالي بابينا
ادم عليه الصلاة والسلام لنصله ومع هذا فلم يتنبه احد لهذه الابوة ولا للوفا
بحقها وما اشبه هذه الذكري من الله تعالي بقوله لمريم يا اخت هارون وابن

هارون من موسى ، واما وجوب الكف عن الخوض في ابوي النبي صلى الله عليه
وسلم في الاخرة فللشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله في هذه المسالة ست
مؤلفات وقد طالعتها كلها فرايتها ترجع الى ان الادب مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واجب وان من اذاه فقد اذى الله وقال تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم ، وفي
القران العظيم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن طالع فيما نقله اهل السير
من كلام عبد المطلب لما اراد نحر عبد الله في قصة حفر بير زمزم شهد له
بالتوحيد وصاحب التوحيد سعيد باي وجه كان توحيده كما سياتي قريبا في
حكم اهل الفترات قال الجلال السيوطي وقد ورد في الحديث ان الله تعالى
احيا ابويه صلى الله عليه وسلم حتى امنا به وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم
الخطيب البغدادي وابو القاسم ابن عساكر وابو حفص ابن شاهين والسهيلي
والقرطبي ومحب الدين الطبراني وابن المنير وابن سيد الناس والصفدي
وابن ناصر الدمشقي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين ولفظ السهيلي بعد ايراده
حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود ، قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ابويه فقال ما سالتهما ربي فيعطيني فيهما واني لقائم يوميذ المقام المحمود
قال ففي هذا الحديث تلويح بانه صلى الله عليه وسلم يشفع فيهما في ذلك
المقام ليوفقا له طاعة عند الامتحان الذي يقع يوم القيمة كما ورد في عدة
احاديث ، قال المحب الطبري والله تعالى قادر على ان يحيي ابويه صلى الله
عليه وسلم حتى يؤمنا ثم يموتا ويكون ذلك من كرم الله تعالى به لانه سيد الاولين
والاخرين انتهى ، وقال القرطبي ليس احياهما وايمانهما له صلى الله عليه وسلم
يمتنع لا عقلا ولا شرعا فقد ورد في القران احيا قتيل بني اسرائيل حتى اخبر بقاتله
انتهى قلت وعلى القول بصحة احيائهما بعد موتهما فيكون ذلك الاحيا
مثل احيا من قال لهم الله موتوا ثم احياهم اي الى تكملة اجالهم وعلى ذلك فما اتى
ابوا النبي صلى الله عليه وسلم الا في زمن تكليفهما فكانهما امنا به قبل ان يموتا كما
قال بعض المحققين في سجدة اهل الاعراف من ان سيرانهم ترجح بتلك السجدة يوم

القيامة ثم يدخلون بها الجنة فلولا ان هذه السجدة تنفعهم وسعدوا بها
لم يدخلوا الجنة مع انها ما وقعت الا بعد موت فيوم القيامة برزخي له وجه
الى الدنيا ووجه الى الاخرة والله اعلم ، وكان الامام ابو بكر ابن العربي المالكي
الفقيه المحدث يقول ما عندي احد اشد اذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ممن يقول عن ابويه انهما في النار ، وفي حديث مسلم لا تؤذوا الاحيا
بسبب الاموات فيحرم جزما ان يقال ان ابوا النبي صلى الله عليه وسلم في النار
انتهى قال الشيخ جلال الدين السيوطي خاتمة حفاظ مصر رحمه الله وقد
صرح جماعة كثيرة بان ابوا النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى
يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت
ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة ، قال وهو مذهبنا لا اختلاف فيه بين
المحققين من ايمتنا الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على
ذلك الامام الشافعي وتبعه على ذلك الاصحاب قال الجلال السيوطي
رحمه الله ومما يوضح لك انهما لم تبلغهما الدعوة انهما ماتا في حداثته صلى الله عليه
وسلم وصحح العلاي وغيره ان والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله عاش من العمر
ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت في حدود العشرين ومثل هذا العمر لا يسع
الفحص عن المطلوب في التوحيد على القول بان الله تعالى لم يحييهما حتى امنا به
مع ان ذلك الزمن الذي كانا فيه كان زمانا قد عم فيه الجهل والفترة انتهى
ولنذكر لك جملة من احكام اهل الفترتين ليدخل ابوا النبي صلى الله عليه وسلم
في اشرف اقسامهم فنقول وبالله التوفيق ، اعلم ان الموحد سعيد باي وجه
كان توحيده وان لم يكن مومنا بكتاب ولا رسول ويدخل الجنة وذلك ان متعلق
الايمان انما هو الخبر الذي ياتي به الانبيا عن ربهم عز وجل وليس بين
ظهري اهل الفترتين كتاب ولا رسول حتى يومنوا ويصح ان يلغز بذلك
فيقال لنا شخص مات على غير الايمان ويدخل الجنة وهو مومن وحد الله
بنور وجده في قلبه ومات على ذلك ، وقد قسم الشيخ محيي الدين اهل الفترتين
في الباب العاشر من الفتوحات الى ثلاثة عشر قسما وحكم لستة اقسام منهم

بالسعادة والاربعة بالشقا وللثلاثة بانهم تحت المشيئة ۞ واما السعدا فقسم
وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه كقس بن ساعدة وسعيد بن زيد بن
عمرو بن نفيل فان قسا كان يقول اذا سئل هل لهذا العالم اله يقول البعر
تدل على البعير واثر الاقدام على المسير الى اخر ما قال ۞ واما سعيد بن زيد
فكان يسجد ويقول الهي اله ابراهيم وديني دين ابراهيم كما في صحيح البخاري وكان
يقول اني لانتظر نبيا من ولد اسماعيل من بني عبد المطلب ولا اري اني ادركه
وانا اومن واصدقه واشهد انه نبي ومن طال به وراه منكم فليقرأ مني السلام
انتهى ذكره ابن سيد الناس في سيرته ۞ قال الشيخ محيي الدين ويسمى من
وحد الله مثل قس صاحب دليل ممتزج وذلك لانه ذكر المخلوقات واعتبار ما
فيها ولذلك كان يبعث امة وحده كما ورد لا تابعا ولا متبوعا ۞ وقسم وحد الله
تعالى بما تجلى لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية
ولا نظر ولا استدلال فهذا على نور من ربه خالصا غير ممتزج بفكر
في كون من الاكوان ويحشر هذا يوم القيامة مع الاحفيا الابريا ۞ وقسم
القى في نفسه واطلع في كشفه لشدة نوره وصفاء سره وخلوص يقينه على
منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمن ادم
عليه السلام الى زمن هذا المكاشف فامن به في عالم الغيب على شهادة منه
بينه وبين ربه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه
ان يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف به فهذا يحشر يوم القيامة في
جنابين من خلقه و في باطنية محمد صلى الله عليه وسلم ۞ وقسم اتبع ملة حق
ممن تقدمه كمن تهود وتنصر واتبع ملة ابراهيم او من كان من الانبيا حين علم
واعلم انهم رسل الله تعالى يدعون الى الله تعالى طايفة مخصوصة فتبعهم وامن
بهم وسلك سننهم فحرم على نفسه ما حرم ذلك الرسول وان لم يكن مبعوثا
اليه فهذا يحشر مع من تبع ذلك النبي يوم القيامة ويتميز في زمرته في
ظاهريته اذا كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر ۞ وقسم طالع في
كتب الانبيا فعرف لشرف محمد صلى الله عليه وسلم وشرف دينه وثواب من

اتبعه فامن به وصدقه على علم وان لم يكن دخل في شرع نبي قط ممن تقدم
لاسيما ان كان قد اتى بمكارم الاخلاق كحكيم بن حزام واضرابه فهذا يحشر
يوم القيامة مع المومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا في العاملين بشريعته
ولكن في ظاهريته محمد صلى الله عليه وسلم ۞ وقسم امن بنبيه الذي ارسل
اليه وادرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وامن به فله اجران فهولاء
ستة اقسام كلهم سعدا عند الله تعالى يوم القيامة لتوحيدهم فان لم يتصفوا
بالايمان ۞ واما الاشقيا فقسم منهم عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك
شقي مطلق ۞ وقسم اشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي ۞ وقسم اشرك
عن تقليد محض فذلك شقي واما من هو تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجود
عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر اليه لضعف في مزاجه عن قوة فهو تحت
المشيئة ۞ وقسم اشرك عن نظر اخطا فيه طريق الحق مع بذل المجهود والذي تعطيه
قوته فذلك تحت المشيئة ۞ وقسم اخر عطل بعدما اثبت من نظر بلغ فيه اقصى
القوة التي هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه فهو تحت المشيئة فهذه اقسام
اهل الفترات بين ادريس ونوح وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فاياك
ان تحكم على اهل الفترات كلهم بحكم واحد من غير هذا التفصيل فتخطي طريق
الصواب فرحم الله تعالى الشيخ محيي الدين ما كان اوسع اطلاعه
فان هذا التقسيم لم نجده لغيره والله سبحانه وتعالى أعلم

المبحث الحادي والاربعون

في بيان ان ثمرة جميع التكاليف التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام
يرجع نفعها الينا والى الرسول لا الى الله عز وجل فان الله غني عن العالمين
وذلك انها كفارات لما نرتكبه من المخالفات فما من فعل منهي عنه الا ويقابله
امر مامور به يكون كفارة له اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق ۞ نقل
بعض الصادقين ان سبب مشروعية جميع التكاليف هي الاكلة التي اكلها
ابونا ادم عليه السلام من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلها كفارة لها

وتطهيرا لمحلها انتهي وسمعت سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول ذلك
ايضا عن سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله عنه ولا يخفي ان اكل ادم من الشجرة لم
يكن معصية حقيقية وانما كانت صورية ليري بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في
محظور لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام ترقيهم دايم فلا ينتقلون قط من مقام
او حال الا لاعلي منه كما مر بسطه في مبحث الاجوبة عن الانبيا فراجعه فكان
حكم هذه الاكلة منسحبا علي بنيه بالاصالة الي يوم القيامة الان شا الله تعالي
لان الشجرة كانت مظهرا لارتكاب بنيه النهي فعلا او همًّا حراما او مكروها
او خلاف الاولي ولكل اهل وان تفاوتت مراتب الناس فادونهم من ارتكب
خلاف الاولي واعلاهم من ارتكب الكباير غير الشرك فان الشرك لا كفارة له الا
التوبة منه والذي عندنا فيما ورد من اطلاق اسم المعاصي في حق الانبيا فمحمول علي
خلاف الاولي لانهم لا يتعدون قط مرتبة خلاف الاولي فمعاصيهم كلها من هذا
الباب وان فعلوا مكروها يفعلونه لبيان الجواز للامة توسعة من الله تعالي
عليهم فلهم في ذلك الاجر كما يوجرون علي بيان المباح بفعلهم المباح واما معاصي
غير الانبيا وان كان الولي محفوظا فحظه المكروه ما دامت العناية تحفه
فان تخلفت عنه العناية فقد يقع في الحرام ايضا واما عامة الناس فربما يقعون
في الثلاثة احوال الحرام والمكروه وخلاف الاولي فعلم ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لا يشاركون غيرهم في ارتكاب مباح ولا مكروه الا لبيان
الجواز ولكن لما شرف مقامهم سمي الله تعالي وقوعهم في خلاف الاولي معصية
وخطيئة فانهم ما من احد من المكلفين من الامة الا وقد وقع في النهي ولو في خلاف
الاولي الذي هو كناية عن اكله من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلة
وقوع بني ادم فيما ذكرناه كان في توبة الله تعالي عليه واجتبابه واصطفائه فتح
باب الذلة والانكسار لبنيه وبيان انهم كلهم تحت القضا والقدر في كل ما يتحركون
ويسكنون فيه من امر ونهي ومباح ولنبين لك احكام التكاليف من حيث انها
كفارة من باب الطهارة الي باب امهات الاولاد فنقول وبالله التوفيق
اعلم ان ادم عليه الصلاة والسلام لما اكل من شجرة النهي الذي هو فعل خلاف

الاولي بغير اذن صريح من الباري جل وعلا في حال نسيانه وفي حال
لحنه ان ابليس لا يحلف بالله كاذبا سمي الله تعالي ذلك معصية لعلو مقامه ثم
بعد التوبة زاد من اعتنايه به بان جعل مذكرا من نفسه لما وقع منه وهو
البطنة العذرة المنتنة علي خلاف ما كان عليه في تلك الجنة فكان ادم عليه
السلام كلما اخذته من بول او غايط او ريح كريه تذكر ما وقع فيه فزاد في
الاستغفار اجلالا وتعظيما لله عز وجل ولذلك جاءت شريعتنا بطلب الاستغفار
اذا خرجنا من الخلا وهكذا حكمه وزادت حوي وبناتها علي ادم وذكور بنيه
الحيضة في كل شهر زيادة علي البطنة لتزيينها لادم عليه السلام الاكل من
الشجرة وقطعها الثمرة من الشجرة لادم حتي اكلها وكانت شجرة التين علي خلاف في
ذلك ولا خلاف ان من ياتي المخالفات وهو مستحسن لها اشد ممن ياتيها وهو مستقبح
لها اذ التاويل يذهب قبح المعصية واعلم يا اخي ان تلك الجنة التي كان فيها ادم
وحوي ليست محلا للقذر الذي تولد من تلك الاكلة فلذلك انزلا الي الارض
التي هي محل العفونات ثم لما انزلا اليها تولد في بطنهما من تلك الاكلة التي اكلاها
من الشجرة البول والغايط والدم والنوم ولذة اللمس المنشا بجماع او غيره وتولد في
ذريتهما كذلك بسبب اكلهم من شجرتهم الخاصة بهم وعقابا لهم زيادة علي ذلك وهو
الجنون والاغما بغير مرض والمخاط والصنان والقهقهة والتبختر والتكبر
باسبال الازار والقميص والسراويل والعمامة والغيبة والنميمة والبرص
والجذام والكفر والشرك وغير ذلك مما ورد في الاخبار والاثار انه ينقض
الطهارة وكل هذه الامور متولدة من الاكل كما ذكرنا ولا يوجد لنا ناقض قط
الا وهو من الاكل والشرب فان من لا ياكل ولا يشرب حكمه حكم الملايكة في عدم
وقوعه في شي ينقض الطهارة مما ذكرنا ومما لم نذكر فان الملايكة لا يبولون ولا يتغوطون
ولا يجن ولا يغمي عليها ولا تنام ولا يعصي الله بقول ولا فعل ولا يبرص لها جسم
ولا يلحقها جذام ولا يخرج لها صنان ولا مخاط ولا تضحك الا تبسما من غير قهقهة
ولا تكفر ولا تشرك بالله ولا ترتد عن دينها ابدا وايضاح ذلك ان العبد
لا يعصي قط حتي يجنب ولا يجنب الا حين ياكل ويشرب فلولا انه جنب بالاكل ثم

والشرب ما وقع في معصية قط فصح قول الامام علي رضي الله عنه
من مس ابرصا او اجذما او يهوديا او نصرانيا او صليبيا فليتوضا
ولما كانت هذه النواقض كلها من لازمها سوء الادب مع الله تعالى والغفلة
عنه وكان ذلك مضعفا للقلب والمرض والبدن حتى ربما الحقته بالمريض
امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم واتباعه المجتهدون بالتطهر بالماء
المطلق المنعش للبدن وامرونا بالتنزه عن كل شي تولد من الاكل والشرب
وحرموا علينا الصلاة ونحوها مع وجوده حتى نتطهر بالماء او التراب بل
امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالتنزه عن مس المحل الخارج منه البول والغائط
حتى ان الشارع صلى الله عليه وسلم امرنا بنضح السراويل التي يمسها الفرج وقال
بذلك امرني جبريل عليه السلام فكان صلى الله عليه وسلم ينضح سراويله بالماء
كلما توضا وليس النضح المذكور دفعا للوسواس في حقه صلى الله عليه وسلم كما توهمه
بعضهم لعصمته عن مثل ذلك اذ قيل انه نوع من الجنون والحق ان ذلك الماء
انما هو لملامسة السراويل للفرج كما قررناه لك وقد اورد الولد عبد الرحمن
علي هنا سؤالا فلم يفتح الله تعالى لي فيه بجواب وهو انه اذا احكم الشارع
بنقض الوضوء من لمس فرج لكونه محلا للخارج فلم لا تؤمر بالوضوء اذا مسسنا
الغائط الذي هو اقبح من محله انتهى فقد علمت ان القول بالنقض بمس الذكر
والدبر وفرج المراة ليس لذاتها وانما لكونها محلا لخروج الناقض وملامسته اذ
لو كان الناقض بذلك لذات الفرج من حيث كونه متولدا من الاكل والشرب لكان
حكم جميع اعضاء البدن كذلك ولا قايل به فان جميع الاعضاء قد تولدت من الاكل
ونمت وقد جاءت اقوال المجتهدين على وفق الادلة الواردة في النقض تخفيفا
وتشديدا فمنهم المشدد ومنهم المخفف ومنهم المتوسط في الناقض وفي الماء الذي
يتطهر به فما اتفقوا على النقض به البول والغائط والجماع والجنون ومما اختلفوا
في النقض به لمس المحارم ومس الفرج بباطن الكف ولمس العجوز الشوها وخروج
الدم من البدن والغيبة والقهقهة ومس الابط الذي فيه صنان ومس المشركين
والاوثان والصلبان وقد جمع بعضهم بين قولي النقض بمس الفرج وعدمه فجعل

النقض

النقض به خاصا بالاكابر من العلماء وجعل عدم النقض خاصا بالعوام من اهل
الضرورات كالموسوسين في ايام البرد الشديد فليس للاكابر الذي خص بالنقض
بالمس مس الذكر والمراة الا لعذر شديد وكذلك القول في كل ما جاء فيه تخفيف
وتشديد من الشارع كما سياتي بسطه ان شاء الله تعالى في مبحث ان سائر ائمة
المسلمين على هدى من ربهم فعلم ان الناقض حقيقة انما هو الطبيعة المتولدة
من الاكل حتى القول بنقض الطهارة بخروج حصاة او عود مثلا انما الناقض حقيقة
ما على الحصاة او العود من الطبيعة لا نفس الحصاة والعود فان الطبيعة
هي التي حركت الشهوة حتى حجبت العبد عن شهوده لربه عز وجل وليس في الحصاة
والعود اثارة شهوة ثم بلعهما المكلف ثم خرجا منه واما بطلان الصوم ببلعهما
فانما حكم به العلماء سدا لباب الاكل من باب تحريم الحريم كما منعوا الاستمتاع
بما بين السرة والركبة فرارا من القرب من الفرج الذي هو المقصود بالنهي وكما
حكموا ببطلان الصوم باكل مقدار سمسمة مع ان ذلك لا يثير شهوة وكما حرموا
شرب قطرة خمر مع ان اصل علة التحريم هي الاسكار وقس على ذلك دخول
الميل في ذكر الصائم او دبره مثلا فانهم حكموا على فاعل ذلك بالافطار مع
انه لا يسمى اكلا ولا شاربا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا **فان قلت** فلم وجب
علينا تعميم البدن بالغسل عند خروج المني مع انه دون الغائط في الاستقذار
بيقين **فالجواب** انه انما وجب علينا تعميم البدن في الغسل من الجنابة
بخروج المني لانه فرع اقوى من اصله فما وجب تعميم البدن في ذلك الا من
حيث اللذة لا من حيث الاستقذار فان المجامع لما كان يحس باللذة انها قد عمت
بدنه كله حتى كانه لا يكاد يعقل شيئا معها امر بتعميم بدنه بالماء لينعشه
من ذلك الفتور الذي حصل للبدن عقب خروج المني فكانت بالغفلة عن
الله تعالى فيه اكثر من البول والغائط ولذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه
ان القهقهة في الصلاة تنقض الوضوء لما كانت لا تقع الا من قلب غافل غير
حاضر مع ربه عز وجل ومعلوم ان حضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة
فيها من احد من اهل حضرتها انما شانهم الادب والبهت والذبول **فان قلت**

ثم ما وجه تعميم البدن على الحائض والنفسا **فالجواب** ان وجه ذلك زيادة الحاصل من دم الحيض والنفاس وكثرة انتشار الدم في محلات البدن بواسطة العرق وغيره وايضا فلبعد الزمن المتخلل بين الحيضات فلا يشق عليها الغسل كلما حصل موجبه بخلاف الحدث الاصغر لقرب زمنه من بعضه بعضا عادة فلذلك خفف الامر علينا فيه بغسل الاعضا المفروضة والمسنونة فقط لكثرة تكرر سببها وحدوثها وايضا فان اعضا الوضو آلة لغالب المعاصي الواقعة من العبد فاذا غسل المتوضي الحاضر القلب مع الله تعالى اعضا الوضو وتذكر عند غسل كل عضو منها ما جناه من المعاصي واستغفر الله تعالى عند ذلك وندم عليه طهر ذلك العضو ظاهرا وباطنا وخرت خطاياه لان من كان مصرا على المعاصي ربما لا تخر له خطايا بغسل اعضائه بالما فافهم بخلافه اذا تاب وندم فان خطاياه تخر ان قبلت توبته بنص الحديث مع الما فيدخل حضرة الله تعالى التي هي الصلاة على اكمل حال يليق به **فان قلت** ثم ما وجه اتفاق العلما على نجاسة البول والغائط من الادمي دون البهايم التي توكل مع ان الادمي اشرف من البهايم كلها **فالجواب** انا نقول وما جانا الاتفاق على نجاسة بوله وغائطه الا من جهة شرفه فانه هو المكلف دون البهايم فلما اكل من شجرة النهي بالمعنى السابق اول المبحث بخلاف البهايم فانها لا توصف بطاعة ولا معصية فلذلك خفف في بولها وغائطها والقاعدة ان كل من عظمت مرتبته عظمت صغيرته وكان الاصل من حيث العقل عكس ذلك يسامح المقرب ويواخذ المبعد وكان ينبغي لكل من شرفت رتبته ان يطهر كل شي خالطه من المأكل والمشرب لكنه لما غفل عن ربه واشتغل بشهوات طبيعية العكس حكمة فلذلك صارت المآكل والمشارب الطيبة المبخرة بالمسك والعود نجسة خبيثة قذرة بولا وغائطا ودما ومخاطا وبصاقا وصنانا تحير صاحبته نحو يوم وليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فان قيل** يفهم من تقريركم هذا ان من كان معصوما ولم يشتغل عن ربه بحكم طبيعته ان يكون بوله وغائطه طاهرا **فالجواب** نعم وهو كذلك كما افتى به شيخ الاسلام البلقيني والسبكي والجلال

السيوطي وغيرهم حتى قال شيخ الاسلام السراج البلقيني والله لو وجدت شيا من بول النبي صلى الله عليه وسلم وغائطه لاكلته وشربته وفي الحديث ما يويد ذلك فروى الطبراني وغيره مرفوعا نحن معاشر الانبيا جنبت اجسامنا على اجسام اهل الجنة انتهى ولذلك كانوا يشمون المسك من موضع برازه صلى الله عليه وسلم واما دليل من قال بنجاسة البول والغائط من النبي صلى الله عليه وسلم فهو كونه صلى الله عليه وسلم يستتره عنه ويغسل ما اصابه منه او يمسحه بالحجر ولو من حيث الجزء البشري **فان قيل** فلم لم يتفق العلما على نجاسة فضلات الادمي كلها من مخاط وبصاق وعرق ابط لتولده كله من الاكل **فالجواب** انما لم يتفقوا على ذلك لخفة القبح والقذر وبعدها عن صورة كون الطعام والشراب اصلها بخلاف البول والغائط فانهما يفيتهمان غالبا على اصلهما **فان قيل** فما وجه الامر بالجمع بين الما والتراب في نجاسة الكلب **فالجواب** وجهه ان الله تعالى جعل سوره نجسا يميت القلب اذا اكل او شرب ومعناه ان من مات قلبه لا يحن الى موعظة ولا الى خير ولا يهتدي لتوبة اذا وقع في ذنب وما كان يورث الاكل او شربه ما ذكر صح التعبير عنه بالرجس والنجس كما قال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فكما سماها رجسا من حيث ما تورثه من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فلذلك صح تسميه سور الكلب نجسا بالنظر لما يورثه من القساوة في الانسان ووجب علينا التباعد عنه فلذلك امرنا الشارع بين الجمع بالما والتراب في الغسل من سوره او غير ذلك من فضلاته لكون الما والطين اذا اجتمعا انبتا الزرع بخلاف احدهما بمفرده اذا وضع عليه الحب لا ينبت ثمره ولا يتم له نتاج فكذلك من غسل النجاسة الكلبية بالما فقط او التراب فقط بان مسحها به لا يزيل ذلك الاثر الذي يميت القلب **فان قيل** فاي المذهبين اولى بالعمل من يقول بطهارته او من يقول بنجاسته **فالجواب** القايل بنجاسته اقوى واحوط في الدين وان لم يصرح الشارع بنجاسته لفظا وقد تتبع الامام البيهقي الادلة على التصريح بنجاسة الكلب

فلم يجده فاستدل على نجاسته بانه صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل ثمن الكلب
وقال لولا نجاسته لما حرم الله علينا اكل ثمنه انتهى ❁ ومما وقع ان سيدي عليًّا
الخواص رحمه الله نهى شخصا عن شرب لبن شرب منه الكلب فقال الفقيه
مذهبي انه طاهر فقال له الشيخ ان شربت فضلته يميت القلب فلم يسمع للشيخ
فقسي قلبه تسعة شهور وصار يجي للشيخ ويقول يا سيدي تبت الى الله
فان قلبي صار لا يحن الى قران ولا علم ولا يستلذ بعبادة فقال له الشيخ قد
نصحتك فلم تسمع فلولا ان هذا الفقيه ذاق العلة في نفسه لما امن بكلام الشيخ
وما رايت احدا نبه على هذه العلة غيره رضي الله عنه فان قيل فما الوجه
الجامع بين اقوال الائمة في التطهير بالماء المطلق والمستعمل وما ملحظهم
فالجواب ان ملحظهم الاعمال الواقعة من المكلفين فمن كان ملحظه عظمة الذنوب
وقبحها اشترط في الطهارة الماء المطلق ومن كان ملحظه غلبة الرحمة على الخلق
يجوز الطهارة بالماء المستعمل لان شرطه لبقاء الروحانية في الماء ولو تكررت
الطهارة به بدليل انباته الزرع فلما كانت ذنوب الخلق اقبح واكثر طولب
باستعمال الماء الذي لم يستعمل قط الا ان يكون مستبحرا ولا شك ان الماء الذي
لم يستعمل اغسل لبدن العاصي ومن شك فليجرب وللامام ابي حنيفة في الماء
المستعمل ثلاث روايات احدها ان المستعمل في الحدث حكمه حكم الماء المتغير
بالنجاسة ثانيها انه كبول البهايم سواء ثالثها انه في نفسه طاهر غير مطهر
لغيره كقول الشافعية وهذه اعدل الروايات واما الامام مالك فجوز
الطهارة بالماء مكررا ما لم يتغير جدا على ما بلغنا فهو اوسع الائمة قولا في
ماء الطهارة ولكل من روايات ابي حنيفة الثلاث وجه فوجه الرواية
الاولى الاخذ بالاحتياط فيجعل غسالة تلك الطهارة كانها غسالة الكباير
من زنا ولواط وشرب خمر ومرافعة في الناس وغيبة في العلماء العاملين
والاولياء والصالحين ومثل هذه الكباير اذا خرجت في ماء قذرته ضرورة
وغيرته والناس بين مقل ومكثر في ارتكاب هذه الذنوب ومن الناس
من يجمع بين فعلها كلها في يوم او جمعة فان قيل ان الحكم بنجاسة غسالة

طهارة الناس يلزم منه سوء الظن بهم فالجواب لا يلزم من ذلك سوء ظن انما
ذلك احتياط فيعامل الناس كمعاملة من يسيء بهم الظن من غير سوء ظن فلا يكون
من الحكم بنجاسة المستعمل اثبات المعاصي في حقهم وسمعت سيدي عليًّا الخواص
يقول مرارا انما قال ابو حنيفة بنجاسة غسالة ماء الطهارة لانه كان من اهل
الكشف فكان اذا راى في الماء عرف غسالة كل ذنب ومتى عن غسالة غيره وصاحب
هذا الكشف لا يقدر على الخروج عن حكم مشهده لانه يشاهد الماء قذرا منتنا
فكيف يتوضا منه او يغتسل ❁ وكان سيدي عليًّا رحمه الله يقول من كشف الله
عن بصيرته راى غسالة معاصي الناس اقذر وانتن من بول الكلب والحمار
او جيفتهما انتهى ❁ واما وجه الرواية الثانية ان غالب معاصي العباد الذين
يتطهرون منها صغاير والاصل عدم وقوعهم في الكباير او ندور ذلك بالنسبة
لوقوعهم في الصغاير ومعلوم ان الصغاير حالة متوسطة بين الكباير والمكروهات
فيكون على قياسه حكم الماء المستعمل حكم النجاسة المتوسطة بين المغلظة
والمعفو عنها ❁ واما وجه الرواية الثالثة من قول الامام ابي حنيفة
ومن وافقه رضي الله عنهم فهو ان حسن الظن بالمسلمين واجب بالاصالة
لان الاصل عدم ارتكاب المتطهرين الكباير والصغاير او انهم ارتكبوها
وكفرت عنهم باعمال اخر فما اتوا الماء الطهارة الا وليس عليهم خطيئة اللهم الا ان
يشاهد انسانا زنى مثلا ولم يتب فورا ولم يعمل اعمالا يكفر عنه ما جناه
فهذا ربما يندب للمتورع ان يجتنب ما طهر به لان ماءه كاهل الرواية
الاولى فرضي الله تعالى عن الامام ابي حنيفة ما ادق نظره وما انصحه لدين
الله ولعباده ورضي الله عن بقية الائمة امين ثم لا يخفى ان التراب قائم
مقام الماء عند فقده فلا يقال انا اسقطنا الكلام على التيمم كما لا يقال
انا اسقطنا الكلام على التيمم كما لا يقال انا اسقطنا الكلام على مسح الخف
لانه لا بد من غسل الرجلين او مسح الخفين والله تعالى اعلم فقد بينا لك
تعلق الحدث والطهارة بالاكل فتامله فانه نفيس واما تعلق مشروعية
الصلاة بانواعها بالاكل من شجرة النهي كل احد بما يليق بحاله من ارتكاب

بحرما او مكروها او خلاف الاولى فهو لتعلم ان الصلاة ما شرعت الا لتوبة
واستغفارا وتقربا الى الله تعالى وفتحا لباب رضى الحق سبحانه وتعالى
عنا حين اكلنا من شجرة النهي او هممنا به فشرع تعالى لنا الصلاة فرضها
ونفلها تكفيرا لذلك وفي الحديث تقول الملايكة عند دخول وقت الصلاة
يا بني آدم قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها وقد جمع الحق تعالى
لنا في الصلاة جميع عبادات الملا الاعلى والاسفل لمن تعقلها فان قيل
فما وجه تكرارها في الليل والنهار فالجواب وجهه حتى يتذكر العبد
ما جناه من المعاصي او الشهوات او الغفلات من الصلاة الى الصلاة كلما
توضى وصلى فيتوب ويستغفر داخل الصلاة وخارجها فلو كشف للمصلى
لراى ذنوبه تتحدر يمينا وشمالا عنه في حال قيامه وركوعه فلا يصل
الى حضرة السجود التي هي اقرب ما يكون العبد من شهود ربه وعليه خطية
واحدة فيناجي ربه عز وجل في سجوده وهو طاهر مطهر من الذنوب
فان قلت فاذا كان لا يصل الى السجود حتى لا يبقى عليه خطية الا
كفرت بالافعال والاقوال التي في الصلاة فاي فايدة للوضوء فيها
فالجواب ان الوضوء شرط من شروط الصلاة حتى ان الصلاة تصح فتكفر
الذنوب فانه اذا انتفى الوضوء انتفت صحة الصلاة الا لعذر شرعي
كفاقد الطهورين فمغفرة الذنوب في الصلاة لا تكون الا باجتماع الوضو
والصلاة وذلك ان من الناس من يموت بدنه من المعاصي او يضعف او يفتر
ومنهم من يموت قلبه من توالي الغفلات او يضعف او يفتر فاذا تطهر
بذلك الما المنعش لذلك البدن ثم انه يقوم فيدخل في حضرة الحق تعالى
في صلاته فيعبد الله تعالى كانه يراه فهو ما بين تكبير لله عز وجل وتحميد
له وثناء عليه بما هو اهله وسوال ان الله تعالى يعينه على ما كلف به
في هذه الدار حتى الصلاة التي هو فيها وهدايته الى الصراط المستقيم
وموافقة الامام في قوله آمين فيغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
اي الخاصة بالصلاة والا فقد ورد ان من توضى كما امر الله خرجت خطايا

اعضايه

اعضايه كلها حتى يخرج نقيا من الذنوب ثم يكون مشيه الى الصلاة للجماعة رفع
درجات فمرادنا بالذنوب التي تبقى الى الدخول في الصلاة الذنوب الخاصة
بها كما مر فعلم انه لا يخرج مع الوضوء الا المعاصي الخاصة به لا بالصلاة ولو كان
المراد بالذنوب الذي تخرج في الوضوء جميع الذنوب بحكم العموم لم يبق لغيره
من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك مما ورد في الشريعة شي يكفر
فافهم وقد قدمنا ان كل منهي له مامور يكفره هذا اذا اتى بالمامورات
على التمام ولا احتاجت نفس المامورات الى مكفرات كما بسطنا الكلام على ذلك
في كتاب اسرار العبادات وهو كتاب نفيس ما وضع مثله فيما اظن ومما
يويد ما قررناه ما قاله المفسرون في قوله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيات ان المراد بالسيات هنا الصغاير دون الكباير اذ الكباير لا يكفرها
الا التوبة النصوح هذا في احكام الدنيا واما في احكام الاخرة فقد يكفر
الزنا صدقة الزاني برغيف على مسكين كما ورد في قصة العابد الذي عبد
الله خمسماية سنة ثم زنى فوزنت عبادته كلها فرجحت الزنية عليها ثم تصدق
برغيف فرجح على تلك الزنية فافهم فان قلت فاذا كانت الصلاة
الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير فلم امرنا بالنوافل فالجواب
انما امرنا بالنوافل لنجبر ما يقع في فرايضنا من الخلل والنقص فان تادية الفرايض
بلا خلل ولا نقص من خصايص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبيا
قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فتامل قوله لك تعثر على ما قلنا
ولا نفل الا بعد كمال فرض ومن ذلك ايضا سجود السهو فانه يجبر خلل النقص
الواقع بترك الابعاض كما ورد وكما قيس فان قلت فما كيفية تكميل الفرايض
بالنوافل فالجواب كيفيتها ان يحمل الخلل الذي في اركان الصلاة للفرايض
باركان النوافل والخلل الذي في نوافل الفرايض كالاذكار المستحبة بالسنن
الذي في النوافل فلا يحمل واجب بسنة ولا عكسه هكذا قال الشيخ محي الدين
في الفتوحات والله اعلم فان قيل فما وجه تاكيد الشارع بعض النوافل
دون بعض فالجواب وجهه انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك توسعة على

امته اذ لو اكدها كلها لربما شق ذلك عليهم • وقد كان صلى الله عليه وسلم
يحب التخفيف على امته ويقول اتركوني ما تركتكم • وصلى ركعتين مرة في جوف
الكعبة ثم خرج وقال لعلي شققت على امتي انتهى اي اذا تاسوا بي في ذلك
فان طلوع البيت الغالب فيه المشقة من الزحمة وغيرها وصلى ركعتين قبل
المغرب وقال لمن شا انتهى اي كراهة اذا شدد احد من امته على نفسه بالمواظبة
عليها **فان قلت** فما وجه تعلق مشروعية صلاة الجماعة وصلاة السفر وصلاة
الجمعة وصلاة الخوف بالاكل من شجرة النهي **فالجواب** وجهه ان من شان
من ياكل الحجاب فاذا حجب تكلف العبادات ومل منها وثقل عليه الخروج
لصلاة الجماعة في المسجد البعيد والقريب وخرج عن كمال طاعة الشارع ولو كان
في ذلك ذهاب شعار دينه فلذلك امرنا بصلاة الجماعة في المسجد لئلا يذهب
نظام ديننا او يضعف ولو علم الشارع ان نظام الدين في الصلاة يحصل بلا
جماعة ما امرنا بها في الجمعة والصلاة الخمس وما الحق بذلك من العيدين والتراويح
والنوافل وانما خفف عنا الشارع في صلاة السفر والمرض وجعل للمسافر
القصر والجمع تقديما وتاخيرا وللمريض الجمع دون القصر رحمة بنا لما يحصل عادة
للمسافر والمريض من المشقة في اتيانه الفرايض ومعلوم ان اصل ذلك كله
الاكل فان من لا ياكل لا يحصل عنده ملل من عباداته كما قال تعالى في الملايكة
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكذلك من لا ياكل لا يحصل عنده كسل عن
عبادة ولا يانف عن طاعة امامه وكذلك من لا ياكل لا يخاف من عدو ابدا
فان الخوف انما يحصل من حجاب العبد عن ربه بالاكل فمن لا ياكل لا يخاف احدا
من خلق الله كما هو شان الملايكة فان من يجوع كثيرا ولا ياكل اصلا يصير الغالب
عليه الروحية وارواح الملايكة لا تخاف من بعضها بعضا وكذلك من لا ياكل
لا يتبختر في مشيته ولا يلبس حريرا ولا ذهبا للتفاخر فتامل ذلك **فان قيل**
فما وجه مشروعية النوافل الموكدات التي شرعت فيها الجماعة كالعيدين
والصلوات ذوات الاسباب كالكسوف والاستسقا وصلاة الجنازة وما وجه
مشروعية تارك الصلاة جحدا او كسلا **فالجواب** وجه مشروعيتها انها

شرعت لحكم مصالح العباد واصل ذلك كله حجابهم بالاكل من شجرة النهي فانهم
لما اكلوا منها بحسب مقاماتهم من الحرام الى خلاف الاولى فلتخوفهم من الله تعالى
تخوفهم الله تعالى بالايات العظام من كسوف الشمس والقمر والقحط والغلا فلولا
حجابنا بالاكل ما احتجنا الى التخويف بالايات ولا غفلنا عما خلقنا له لا سيما
من ياكل الحرام والشبهات فانه ربما يحجب بالكلية عن مصالح الدنيا والاخرة
فلذلك شرعت هذه الصلوات مشحونة بالدعا والاستغفار والتكبير لله عن
جميع وجوه صفات التعظيم التي تبلغها عقولنا او تكبيره عن ان يخرج شي في
الوجود عن ارادته ومعلوم ان من ياكل الشهوات لا يودي حق اخوانه
لا احيا ولا امواتا لحجابه فلذلك شرعت لنا صلاة الجنازة تكملة لوفا حقوق
اخواننا التي اخللنا بهم في حال حياتهم فننفعهم بصلاتنا عليهم وطلبنا من الحق
تعالى ان يغفر لهم ويسامحهم • واما الحكمة في مشروعية جماعة العيدين
فهي تاليف القلوب المتنافرة من كثرة المزاحمة على الاغراض النفسانية والمشاحنة
فيها حتى ربما تعلق الشخص بما هو ليس هو رزقه لي يكون رزقه فلا يكون
واصل ذلك كله الحجاب بالاكل • وكذلك الحكمة في مشروعية مصالحة الاعدا
قبل الخروج لطلب السقيا من الله تعالى انما ذلك لكون التشاحن يرفع نزول
الرحمة فاذا تصالحوا وتصافوا وائتلفت قلوبهم نزلت عليهم الرحمة وناسبهم
في ذلك الفرح في العيدين والسرور ولبس الثياب النفيسة والحلل
للعلما والناس فلا ينبغي لمومن ان يفارقه وفي قلبه كراهية لاحد من المسلمين
الا بطريق شرعي وهذا وان كان مطلوبا في كل وقت ففي العيد اوكد
لا سيما الحجاج في الحرم المكي فان الله تعالى توعد بالعذاب من اراد فيه
بالحاد سوا ولو لم يفعله • واما وجه تعلق حكم تارك الصلاة جحدا او
كسلا بالاكل من الشجرة فهو لكونه لما اكل حجب عن تادية حقوق الله تعالى
وحقوق نفسه بتعريضها للقتل فامرنا الشارع باقامة الحد عليه وان
ادى الى قتله كفارة لذلك الفعل الا ان ترك الصلاة جحدا لوجوبها
فانه يقتل كفرا فهذا سبب مشروعية الصلاة بانواعها وتعلقها

بالاكل من شجرة النهي والله اعلم ۞ واما وجه تعلق الزكاة بانواعها بالاكل
من شجرة النهي فظاهر وذلك اننا لما اكلنا ما لا ينبغي لنا شرعا اما من حيث
الزيادة على الحاجة واما من حيث الحرام والشبهات حجبنا عن كون الملك
لله تعالى في الاموال والاقوات وادعينا الملك فيها لانفسنا دون
الله تعالى غفلة وشحا بما دخل تحت يدنا فلم تسمح نفوسنا ان نعطي
شيا المحتاج بل صار احدنا يجمع ويمنع ويتخذ الحلي الذي لم يشرع ويمنع حق
الله تعالى من المواشي والنقود ومن المعدن والزكاة من ربح المال والتجارة
ولم ينبه نفسه لكون الحق تعالى الزمها باخراج الزكاة على الحكم المشروع
فيها حتى انها لم تخرج زكاة فطرها فحصل بذلك ضيق على الفقرا والمساكين
وابن السبيل وغيرهم من الاصناف فلما حصل الضيق المذكور امرنا الشارع
باخراج نصيب معين من كل نوع من انواع الزكاة تطهيرا لنا ولاموالنا
من الرجس الحاصل بمنعها من سواد القلب وغضب الرب وقلة البركة في
الرزق وما سماها الله تعالى الزكاة الا لتنبيه المومن على كثرة امواله اذا
اخرج حق الله تعالى منها وعدم نقصها بذلك الاخراج قال تعالى وما
انفقتم من شي فهو يخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من
صدقة ۞ واما وجه تعلق نوافل الزكاة بالاكلة المذكورة فهو ان العبد
اذا اكل ما لا ينبغي حجب واذا حجب لم تطب نفسه باخراج الزكاة فاخرجها
كارها لها او ناقصة العدد او ردية فامرنا الشارع بصدقة النافلة
جبرا لذلك الخلل كما تقدم نظيره في نوافل الصلاة واما زكاة الفطر فانما
امرنا بها ليصعد صومنا الى محل القبول ۞ وقد ورد في الحديث صوم رمضان
معلق بين السما والارض حتى يودي زكاة الفطر وما عوقه عن الصعود الا
الخلل الواقع في الصوم من حجاب الاكل في الليل ولولا الاكل ما نقص لمكلف
عمل ولكان ياتي به كاملا من غير ان يخرقه بغيبة او نميمة او شتم او اكل
حرام او نظر الى محرم ونحو ذلك والله اعلم ۞ واما وجه تعلق مشروعية
صوم رمضان وغيره بالاكلة المذكورة فهو ان الله تعالى جعل الصوم تطهيرا

للنفوس وتقوية للاستعداد والتوجه الى الله تعالى في قبول توبتنا
من ساير الذنوب التي وقعنا فيها لما حجبنا بالاكل وذلك ان الصوم يورث
رقة القلب وذبول الجسد ويسد مجاري الشيطان التي انفتحت
بالاكل في سائر البدن حتى صار البدن كطاقة شبكة الصياد فان العبد
اذا جاع ثم تعشى بعد العشا وتسحر بعد السنة فقط ولم يزد في السحور
على ثلاث تمرات ضاقت على الشيطان المجاري حتى لا يجد له مسلكا
يدخل منه الى بدن الصايم ليوسوس له بما يريد منه ولذلك ورد الصيام
جنة يعني على البدن ما لم يخرقه بغيبة ولا نميمة فلو فرض ان عبدا
صام الصوم الشرعي ولم يخرق صومه بشي لكان محفوظا من الشيطان
من رمضان الى رمضان فان قلت فلم كان رمضان ثلاثين يوما
او تسعا وعشرين يوما بحسب تمام الشهر ونقصه فالجواب قد ورد
ان تلك الاكلة التي اكلها ادم عليه السلام من الشجرة مكثت في بطن ادم
شهرا والشهر تارة يكون ثلاثين وتارة تسعا وعشرين ثم خرجت فاستمر
حكم تلك المدة في بنيه فلولا اكله عليه السلام من الشجرة التي هي
نظير خلاف الاولى كما مر ما فرض صوم رمضان عليه وعلى بنيه لاسيما
من اكل الحرام والشبهات فان قيل فلم شرع صوم النفل فالجواب شرع
جبرا للخلل الواقع في صوم الفرض نظير الصلاة والزكاة فلما علم الشارع
من امته انهم لا يودون عبادة صومهم على وجه الكمال شرع لهم زيادة على
شهر رمضان صوم الاثنين والخميس وثلاثة ايام من كل شهر وغير ذلك
وقد ورد ان ادم عليه السلام لما اكل من الشجرة اسود وجهه وجسده
اما اعتبار التنبيه في نظر اهل الحجاب واما اظهار لحصول سيادته
في نظر العارفين اذ الانبيا لا ينتقلون قط من حالة الا لاعلى منها لدوام
ترقيهم في المقامات لعصمتهم كما مر بسطه في مبحث عصمة الانبيا فامره
الله تعالى لما اسود جسده ان يصوم ثلاثة ايام البيض فزال كل يوم ثلث
سواد بدنه وذلك واقع لكل من وقع في مخالفة من بنيه بعده ولكن

لا يشعر بذلك الامر كشف الله عن بصيرته وما حسنا الامر وقع ولو في
مكروه ، وقد وقع لشخص من تلامذة الجنيد رضي الله عنه انه نظر الي
امرد جميل فاسود وجهه في الحال حتي صار كالزفت الاسود فما زال حتي
استغفر له الجنيد ثلاثة ايام ومن الحكمة في صوم هذه الثلاثة ايام ايضا
ان كل شهر ورد علي العبد فهو ضيف نزل عليه من قبل الحق جل وعلا وحق
الضيف ثلاثة ايام فاذا استوفي قراه ذهب شاكرا صنيع العبد معه لله
تعالي فان قيل فلم خص الشارع الثلاثة ايام المذكورة بالثالث عشر وثانيه
فالجواب انما خصها بذلك لان من جملة اكرام الضيف تعجيل الكرامه سوا كان
قبل حالة الجلوس او في وسط المدة او قبل انصرافه ولذلك شرع صوم ثلاثة
ايام من اخره ايضا ليفارق العبد ذلك الشهر علي اثر الاكرام فان قيل
هل تحصل السنة بصيام ثلاثة ايام متفرقة في غير الثالث عشر وثانيه
فالجواب نعم لكن يفوته كمال السنة فان قيل فلم شرعت الكفارة لمن
جامع في نهار رمضان بشرطه فالجواب ان الكفارة شرعت لتكون حجابا بين
العبد وبين ما عرض نفسه له من حلول البلايا وهو العقوبات بارتكاب المخالفة
واصل ذلك كله الاكل فانه لما اكل ما لا ينبغي له حجب فانتهك حرمة رمضان
بالجماع فشرعت له الكفارة كما شرعت للظاهر والقاتل والحالف فان البلا
اذا اراد ان ينزل من حضرة الاسم المنتقم مثلا يجد الكفارة قد سترت ذلك
العاصي في ظل جناحها واكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية فرجع البلا
عنه فافهم كل ذلك من سبقية الرحمة الغضب علي من عصي الله تعالي فهذا كان
سبب مشروعية الصوم فرضا ونفلا والله اعلم ، واما وجه مشروعية
الاعتكاف عقب الصوم وكلما دخل المسجد في اي وقت شا فالاكلة المذكورة
فهو ان العبد اذا اكل حجب فغفل فنسي مراقبة الله عز وجل فوقع في المخالفة
فشرع الشارع للعبد كل قليل ان يعتكف بقلبه وبدنه في بيت الله الخاص
مستغفرا بين يدي الله تعالي ليجبر ذلك الخلل الحاصل بالغفلة عن الله عز
وجل المؤدية بارخاء العنان في تناول الشهوات ولذلك حرم عليه الشارع

ان

ان يباشر امراته او حليلته في المسجد لاستحالة الاعتكاف خروجا عن مقام
الادلال في حضرة الحق فان الادلال فيها يجر الي العطب فلا يناسبها الا
الخوف المحض والهيبة والجلالة لا الترفه بالجماع ومقدماته فان ذلك ينافي
الادب ولو انه وقع في شي من ذلك لتعدي حدود الله ومن اوجب الصوم في
الاعتكاف سد الباب الترفه جملة واحدة ادبا مع الله تعالي وقالوا لا ينبغي
للمعتكف ان يعود مريضا ولا يشهد جنازة لانه في حضرة الله الكبري والعبادة
والجنازة تفرقه وتخرجه من تلك الحضرة وثم مقام رفيع وارفع والله تعالي
اعلم واما مشروعية الحج والعمرة بالاكل من الشجرة فهو ان الله تعالي شرعه
تكفيرا للذنوب العظام التي لا يكفرها شي الا الحج وقد تقدم في الكلام علي مشروعية
الوضوء والصلاة ان لكل عضو شرع خاصا لمعني خاص واصل وقوعنا في
الذنوب حتي احتجنا الي المكفرات وهو الاكل فلولا الاكل لما احتجنا الي
مكفر وكان الحج اخر ما وجب علي ادم من المكفرات فانه صلي الله عليه وسلم تلقي
الكلمات من ربه في تلك الاماكن فتاب عليه وهدي قال ابن عباس والكلمات
هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقد تقدم في مبحث عصمة الانبيا ان ذنب ادم عليه الصلاة والسلام لم
يكن ذنبا في الحقيقة وانما ذلك صورة ذنب ليعلم بنيه اذا وقعوا في مخالفة
كيف يتوبون فلذلك امر الحق تعالي بالحج تكفيرا لتلك الاكلة التي صورتها
صورة المخالفة فافهم فان قيل فلم كان الحج علي الناس مرة واحدة في العمر
فقط ولم يكرر كالصلاة وغيرها فالجواب انما كان مرة واحدة تخفيفا من
الله عز وجل علينا لضعفنا ولكثرة المشقة علينا في السفر للحج كل سنة لا سيما
في حق اهل البلاد البعيدة وقالوا من ورد حضرة الله عز وجل الخاصة
مرة في عمره لم تمسه النار ابدا فان قيل فما حكمة التجرد من لبس المخيط
فالجواب ذلك اشارة الي ان من ادب كل داخل للحضرة الالهية ان يدخل
مفلسا مجردا عن شهود حسناته السابقة وتائبا من جميع زلاته اذ الامداد
الالهية انما هي خاصة بالفقرا والمساكين غالبا وقد اجمع اهل الله قاطبة علي انه

لم يصح دخول حضرة الله قط لغني ولا لمتكبر قال تعالى انما الصدقات
للفقرا والمساكين فلما تجرد المحرمون مما ذكرنا استحقوا مواهب الله تعالى
وفضله عليهم ۔ وفي الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم
ولدته امه فكان المحرم يولد هناك ولادة جديدة ثم لا يخفى ان سبب
دعوى الغنى والتكبر انما هو الاكل فانه لما احتجب فنازع الصفات الالهية
في الكبريا والعظمة ودعوى الغنا فحرم بركة امداده تعالى فان قيل فما
وجه تعلق بعض الناس باستار الكعبة فالجواب ان ذلك نظير تعلق الرجل
بثوب صاحبه اذا كان بينه وبين صاحبه جناية ليصفح عنه ويسامحه
والاتم ادب الاكابر عدم التعلق باستار بيت الله الخاص لما لا يخفى فعلم
كمل لآدم عليه السلام بالحج كمال مقدم التوبة من اكله من الشجرة على ما قررناه
وكذلك كمل لذريته بحكم التبع كمال توبتهم فمن لم يحج لم يحصل له كمال التوبة
من حيث الذنوب الخاصة بالحج التي لا يكفرها الا هو كما مر في الكلام على الوضوء
والصلاة وانما قلنا كمال التوبة ولم نقل لم يحصل له التوبة من اجل ان
الندم وقع من آدم لما اكل من الشجرة وكذلك الحكم في كل مومن من ذريته
لابد من ندمه عقب المعصية امر لازم لكل من رد اليه عقله بعد الزلة
ومعلوم ان الندم هو معظم اركان التوبة لاستلزامه عادة وجود بقية
الاركان وقد ورد ان آدم عليه الصلاة والسلام لما حج البيت قال يا رب
اغفر لي ولذريتي فقال الله عز وجل له اما انت فقد غفرت لك ذنبك
حين ندمت واما بنوك فمن اتاني لا يشرك بي شيا غفرت له ذنوبه
فهذا كان اصل مشروعية الحج وتعلقه بالاكل من شجرة النهي كل حاج بما
يناسبه يكفر عنه الحج ذنوبه كلها من الكبائر الى خلاف الاولى والله
اعلم ۔ واما وجه تعلق البيع والشرا وسائر المعاملات وتوابعها بالاكل
المذكور فهو ان الانسان اذا اكل حجب واذا حجب جاف في البيع والشرا
وغش وجار في البيع وظلم فشرع له على الميزان الشرعي دفعا للحيف
والجور فان الانسان اذا حجب اكل اموال الناس بالباطل ضرورة وشره

نفسه وكثر ظلمه واشتدت ظلمة باطنه ومن لازم ذلك كثرة محبة
الدنيا حتى انه يصير يتلقى الركبان ويبيع الناس بالربا ويمنع من قرض
المحتاجين الا ان اربا هم وربما باع وندم او اشترى وندم فشرع له الخيار
وربما غصب الاموال او احتكر الطعام على الناس فجاءت الشريعة بالنهي
عن الاحتكار والغصب وربما جحد البيع والشرا فشرع التحالف قطعا للنزاع
وربما اشترى الثمرة قبل التابير فاعادها له او باعها بعد التابير
فادعاها المشتري او اشترى عقارا فقط فادعى ما فيه من المنقولات
وهكذا فشرع له احكام باب بيع الاصول والثمار وامر باعطاء كل ذي
حق حقه على يد عدول شهود ليرجع اليهم عند التنازع كما هو الغالب على
اهل الدنيا وسبب مشروعية ذلك كله انما هو الاكل فانه لما اكل حجب
عن جميع الحقوق التي ذكرناها ثم ان الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم حجاب
امته بالاكل عن ارفاق بعضهم بعضا على حكم المسامحة اللائقة باخوة الاسلام
وسع صلى الله عليه وسلم بالرهن والسلم وضرب الحجر على من عليه ديون الناس
ولا يجد لها قضا حتى ان المفلس لا يحبس ويحجر على السفيه حتى لا يتلف
ماله في غير طريق شرعي فان الله تعالى جعلها له قياما واصل وجود السفه
في الانسان انما هو الاكل وكذلك وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالعارية
والوديعة والشركة والوكالة والشفعة والحوالة وامرهم ان يقروا بما
عليهم من الحقوق في هذه الدار قبل الآخرة واصل ذلك كله حجابهم بالاكل
عن شهود مصالحهم ومصالح اخوانهم وكذلك شرع لامته ان يقسموا بعضا
ويصالحوا ببعض ديونهم اذا عجز المديون عن الوفا وكذلك نفس صلى الله عليه وسلم
عن امته بالمساقاة والقراض والاجارة ووسع عليهم في احيا الموات وامرهم
برد اللقطة واللقيط واعطا الجعالة من رد الآبق لما حجبوا عن فعل ذلك
مع اخوانهم واصل حجابهم الاكل فلولا الاكل لكان الناس كلهم يتعاونون على
البر والتقوى من غير مخالفة فيكونون كالملائكة لا يتصرفون الا
في خير ولا يقعون في شر البتة وتامل الملائكة تجدهم منزهين عن الوقوع

في شي من هذه الامور لعدم حجابهم واما الهبة والهدايا والوقف فانما شرع
ذلك شكرا للنعمة الحاصلة بالبيع والشرا فهو نوع اخر معدود من مكارم
الاخلاق وانما كان الوقف لا يصح الا على التابيد مبالغة في دوام المعروف
والصدقة بعد الموت وجبرا للخلل الواقع من صاحب المال طول مدة كون
المال في يده فلو كان كل من وجده محتاجا اعطاه حاجته اولا فاولا
ما شدد عليه في تابيد الوقف وكان يكفيه ان يقدر له مدة معلومة
انتهى فان قيل فما وجه تعلق باب الفرايض وبيان قسمها بالاكل من
الشجرة فالجواب وجهه انه لما اكل حجب فشرهت نفسه عن ان يعطي
غيره من مال مورثه شيا فجعل الله تعالى لكل وارث نصيبا مفروضا دفعا
للفساد وكانت الوصية في مرض الموت او غيره كالنافلة مع الفريضة
ليجبر خلل ما اخل به من المعروف مدة عمره ولذلك ورد افضل الصدقة
ان تصدق وانت صحيح شحيح تومل البقا وتخاف الفقر وليست الصدقة
اذا بلغت الروح الحلقوم فقلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث بالمعنى في بعضه
فان ذلك قليل الثواب بالنسبة لصدقة الانسان حال صحته فالحمد لله رب
العالمين فهذا كان سبب مشروعية رابع البيع كله وتعلقه بالاكلة المذكورة
والله تعالى اعلم واما وجه مشروعية النكاح وتوابعه بالاكلة المذكورة
فظاهر وذلك ان شهوة النكاح ما نشات الا من الاكل فلولا الاكل لما وجد
في الناس شهوة وكان الناس كالملايكة وانما امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم
بالنكاح وقال شراركم عزابكم ولم يكتف فيه بالوازع الطبيعي شفقة علينا
وتقوية لقلب من يستحي من فعل ذلك بل اكثر الناس يستحيون من ذكره فضلا
عن فعله وايضا فانما امرنا بالنكاح لنكون بذلك تحت طاعة الشارع
وممتثلين لامره لا تحت طاعة نفوسنا فنثاب بذلك بل نحن الاولياء
ربما نحضر مع الله تعالى في حال جماعه كما نحضر معه في حال صلاته من حيث
جامع المشروعية في كل منهما وايضا فانه حثه صلى الله عليه وسلم لنا على
التزويج لورث الاكثار منه فيكثر بذلك نسلنا وذرارينا ليستغفروا لنا

ولتكون

ولتكون اعمالهم الصالحة من جملة حسناتنا فاننا كنا محلا لوجودهم فينا
ومنا وليس علينا من اوزارهم شي كما انه ليس على ادم من وزر اولاده المخالفين
لامر الله عز وجل شي ونرجو من فضل الله تعالى قبول استغفار ذريتنا لنا
وان يعفو عنا ويصلح بذلك حالنا هذا هو الاصل في الفرض بالنكاح واما
حكم رفع شهوة الزنا ومقدماته فانما ذلك بحكم التبع لتلك المنافع
الحاصلة لنا من اولادنا واما وجه تعلق محرمات النكاح بالنسب
والمصاهرة بالاكلة المذكورة فهو ان العبد لما اكل ما لا ينبغي اظلم قلبه فقل
حياوه فربما اشتهى وطي حرمه فحرم الله تعالى عليه ما حرم من المحارم والنسا
من لا كتاب لهم من المشركين ولولا بيان الشارع لنا صلى الله عليه وسلم ذلك
لنكحنا محارمنا واما وجه تعلق باب الخيار والاعفاف ونكاح العبد
بالاكلة من الشجرة فلان نفرة احد الزوجين من الاخر بعاهة من العاهات
انما سببه الشهوة الطبيعية الناشية من الاكل فلولا الاكل ما حصل لاحدهما
جنون ولا جذام ولا برص ولا عنة ولا نفور من الرتقا والقرنا كما لا يشتهي
منها الملك لعدم الشهوة الى وطيها وكذلك لولا حجابه بالاكل ما خفي عليه وجوب
اعفاف ولده اذا تاقت نفسه الى النكاح ولا كان امتنع من تزويج عبده
مع استخدامه في مهماته ليلا ونهارا واما وجه تعلق هدايا الاصهار قبل
التزويج ووزن الصداق بالاكلة المذكورة فانما شرع ذلك استجلابا لميل
خاطر الولي والزوجة الى اجابة الخاطب فان خاطر الولي والمراة اذا كان
مايلا الى الزوج بالمحبة اسرع بالحمل وجا الولد نجيبا وكثر النسل لعدم الامر
المنغص للخاطر من كراهية المراة واهلها للزوج واصل وقوع المناغصات
كلها من الاكل فانه اذا اكل حجب واذا حجب عمي عن اكرام اصهاره ومن امره
الله تعالى بهم الاتهم من المسلمين وكذلك القول في سبب مشروعية القسم
والنشوز ووجود الشقاق بين الزوجين اصله كله الاكل فلولا الاكل لما
حجب الزوج ولما حاف ولما ظلم ولكان يعدل بين زوجاته لانتفاء الاغراض
النفسانية وكذلك لولا الاكل لما اخلت المراة بحق زوجها ولما كفرت نعمته

ولو ان الزوجين الا ما ينبغي لم يقع منهما حوق ولا جور كما هو شان الانبيا
والاوليا واما وجه تعلق الخلع والطلاق والرجعة والايلا والظهار بالاكلة
المذكورة فنبيه ايضا الاكل وذلك انه اذا شبع من الحلال فضلا عن الحرام
وبطر جاعت جوارحه فخاصم وفجر وكان من اقرب الناس اليه زوجته فضاجرها
وعايرها بالضراير والسراري حتي سالته الطلاق بعوض منها لتستريح من سوء
خلقه فخلعها او طلقها هو ابتدا من غير عذر بطرا او طلبا ان يتزوج اعلي منها
وحلف ان لا يطاها فظاهر منها ثم اذا رجعت نفسه من ذلك التكدير والخصام
ربما طلب مراجعتها او لم يطلب وكان العدد والاستبرا والرضاع من توابع النكاح
عند حصول فراق او طلاق او زوال فراش او وجود ولد ذكرا او انثي او موت
فبين الشرع حدود ذلك كله حتي لا ينزع الولد من هو احق به ولئلا يتزوج
الانسان اخته من الرضاع وتشح عليه المرضعة لاجرتها كل ذلك لحجابه بالاكل
فانا لما اكلنا حجبنا عن تادية حقوقهم للحجاب الحاصل لنا من الاكل فلولا الحجاب
لما احتجنا الي ان نومر بذلك لعظم حق الوالدين وبيان فضل صلة رحمهم ومن
الحق بهم من القرايب ويزيد الوالدان في الحق علينا لكونهما كانا سببا في ايجادنا
مع تحملها همومنا وغمومنا وحزننا في حال طفوليتنا ونشابنا ورجوليتنا وفي
حال صحتنا ومرضنا واما وجه نفقة رقيقنا فهو مكافاة لهم علي خدمتهم
لنا وصبرهم علي تحجيرنا عليهم ليلا ونهارا في شي لا يستطيع احدنا الاقامة عليه
واما البهايم فلكثرة نفعها لنا بالحرث والدراس والطحن وحملنا وامتعتنا
الي البلاد البعيدة التي لا يستطيع احدنا يمشي اليها بنفسه فضلا عن حملنا
متاعنا عليها وهل جزا الاحسان الا الاحسان ثم ان اصل حجابنا عن تادية
جميع هذه الحقوق انما هو الاكل والله تعالي اعلم واما وجه تعلق مشروعية
جميع الحدود بالاكلة المذكورة وما يذكر معها فهو ظاهر فان الانسان اذا
اكل الشهوات ربما فسق وتعدي حدود الله تعالي فقتل النفس بغير حق وقطع
العضو او جرحه او شج الراس وقلع العين وكسر السن والعظم وسرق امتعة
الناس وقطع الطريق وشرب الخمر وزنا وقذف الناس بالباطل وسال

علي البضع والمال وجار في القسمة ولم يقر بما جاه فاحوج الناس الي ان يحلف
الناس خمسين يمينا وصار يحلف الايمان الكاذبة ويكثر من الصناعة ويبخل
بالمال والطعام علي المحتاجين ولم تسمح نفسه ان يعطيه لاحد من عباد الله
الا ان يشفي الله تعالي مريضه او رد ضالته او اخذ بيده في الشدايد فلذلك
عاهد الله تعالي بالنذر حتي قدر علي نفسه حتي تسمح به كل ذلك لعظم محبته وزينته
في الدنيا الناشي ذلك كله من حجاب الاكلة ولو انه ترك الاكل جملة او جاع
واكل سد الرمق او الاكل الشرعي لوقفت جوارحه عن تعدي هذه الحدود
التي قدمناها كلها بل ربما يكلمه اخوه اذا جاع فيثقل عليه الكلام ولا يرد
عليه الا بتكلف من شدة الجوع وكذلك لولا الاكل ما حجب العبد حتي ادعي
الدعاوي الباطلة التي يقول الله تعالي فيها كذب ولا تحمل الشهادة علي
غير علم ولا قضي بين الناس بغير علم ولو انه كان لا ياكل طعاما او اكل الاكل
المشروع فقط لما وقع منه شي من ذلك فلذلك امر الله تعالي اصحاب هذه
الصفات ان ينقادوا لاصحاب الحقوق ليقتصوا منهم وتقام عليهم هذه
الحدود حفظا لنظام الوجود عن الفساد الحاصل بالاكل وانما شرع في بعض
الحدود الكفارة بعتق او طعام او كسوة او صوم لزيادة القبح في ذلك الذنب
ولتكون الكفارة حجابا مما يعامل وقوع البلا علي ذلك العاصي كما مرت الاشارة
اليه في الكلام علي صوم رمضان والله تعالي اعلم واما وجه تعلق عتق
الرقيق وكتابته وتدبيره وتحريم بيع امهات الاولاد بالاكلة المذكورة
فهو ان سبب العتق والكتابة والتدبير مقابلة العبد بنظير ما فعل مع
سيده من الخدمة ولولا ان الشارع امر السيد بذلك لما اهتدي لتلك المقابلة
لحجابه بالاكل عن ادراك قبح تحمل مثل الخلايق اذ ملكه للعبد ليس ملكا حقيقيا
وانما الملك فيه لله رب العالمين ولولا ان الله عز وجل جعل الرقيق ضعيف
العقل ما ادخله تحت تحجير عبد اخر فكان حكم العبد مع سيده كحكم الطفل
في يد وليه لولاه لضاعت مصالحه فافهم ويوئيد ما قلناه حديث اخوانكم

خولكم اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا
يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم واما وجه تعلق مشروعية تحريم
بيع امهات الاولاد بالاكلة المذكورة فهو ان السيد لما اكل ما لا ينبغي حجب
ونسي حقوق ام ولده عليه حين كانت له فراشا مع ان ماءها اختلط بمائه
في الولد فكان عتقها كفارة لذلك الحمل الحاصل لحجاب الاكل والله اعلم
واما وجه تعلق مشروعية نصب الامام الاعظم وسائر نوابه بالاكلة
المذكورة من الشجرة فظاهر فانه لولا الامام الاعظم ونوابه ما نفذ شي من
الاحكام ولا اقيم شي من الحدود ولا قام لدين الاسلام شعار وكان يفسد
نظام العالم كله واصل الاخلال بذلك كله حجاب الخلق بالاكل فلولا الاكل
ما تعدى احد حدود الله ولا احتاج الناس الى امام ولا حاكم ولا قاض وكان
الانسان يعطي التي عليه لاربابها قبل المطالبة كما عليه طايفة الاوليا الذين
كشف حجابهم لكن لما كان الخلق كلهم لا يقدرون على المشي على الطريقة المذكورة
احتاجوا اضطرورة الى الحكام ليحموا نفوسهم وحريمهم واموالهم من الفسقة والمتمردين
وايضا فلولا الامام الاعظم ونوابه ما انتظم لبيت المال حال ولا قدر احد
على تخليص خراج يصرف على عساكر الاسلام فكان يضيع مصالح الخلق اجمعين
فالحمد لله رب العالمين فهذا ما حضرني الان في حكمة وجود التكاليف
التي جاءت بها الشرايع كلها والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

المبحث الثاني والاربعون

في بيان ان الولاية وان جلت مراتبها وعظمت فهي اخذة عن النبوة
شهودا ووجودا فلا يلحق نهاية الولاية بداية النبوة ابدا ولو ان وليا
تقدم الى العين التي ياخذ منها الانبيا لاحترق وغاية امر الاوليا انهم
يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الفتح عليهم وبعده ومتى
خرجوا عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هلكوا وانقطع عنهم الامداد فلا
يمكنهم ان يستقلوا عن الاخذ عن الله ابدا وقد تقدم في المباحث السابقة ان

جميع الانبيا والاوليا مستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك انه
صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل رسالته بشريعة ابراهيم عليه السلام او
غيره على خلاف في ذلك فلما جاءه الوحي انقطع عن ذلك التعبد واتبع ما اوحي
به اليه وكذلك القول في الولي غايته الالهام الموافق لشريعة محمد صلى الله
عليه وسلم بعد الفتح اذ لا يعلم به مستقلا لان نبوة التشريع قد انقطعت
بموت النبي صلى الله عليه وسلم فيصير ذلك الالهام يفهم ذلك الولي شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم ويطلعه على اسرارها حتى كانه اخذها عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلا واسطة فاذا صح للولي قدم الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من غير واسطة فهنالك يصح له ان يرشد الامة المحمدية ويتصدر لدعايهم
الى الله عز وجل بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل
هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني الاية فقد بان لك ان الولاية
لا تلحق النبوة ابدا ومن قال من العارفين ان مقام الولاية اكمل بيان واتم من
مقام الرسالة فمراده كما قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات ان مقام ولاية النبي
في نفسه اتم واكمل من مقام رسالته وذلك لشرف المتعلق ودوامه فان الولاية
يتعلق حكمها بالله تعالى ولها الدوام في الدنيا والاخرة والرسالة يتعلق حكمها
بالخلق وتنقطع بزوال زمن التكليف فليس مراد احد من القوم بما قالوه
نصب الخلاف بين مطلق الولاية ورسالة الانبيا فان هذا لا يقوله الا الجاهلون
بالله تعالى الذين لم يقربوا من حضرته ولم يعرفوا اهلها وحاشا الاوليا من
ذلك وقد سيل بعضهم عن ولاية الولي هل يصح انها تفضل ولاية نبي
فقال لم يرد لنا في ذلك شي والذي نميل اليه ان ولاية كل نبي فاضلة
على ولاية اعظم الاوليا وهو الذي يليق بمقامه لان الولاية اخذة عن
النبوة كما مر واعلم ان من جملة ما اشيع عن الشيخ محيي الدين انه يقول
مقام الولاية اتم من مقام الرسالة على الاطلاق والشيخ رضي الله عنه
بري من ذلك فقد قال في الباب الرابع والعشرين من الفتوحات اعلم
انه الحق قد قصم ظهور الاوليا بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت محمد صلى

الله عليه وسلم وذلك لفقدهم الوحي الرباني الذي هو قوت ارواحهم ولو ان
احدا من الاوليا كان في مقام نبي فضلا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره ولا
احتاج الي وحي علي لسان غيره وانما غاية لطف الله بالاوليا انه ابقي عليهم
وحي المبشرات في المنام ليستانسوا برائحة الوحي انتهي • وقال ايضا في
الكلام علي التشهد من الفتوحات اعلم ان الله تعالي قد سد باب الرسالة
عن كل مخلوق بعد محمد صلي الله عليه وسلم الي يوم القيامة وانه لا مناسبة
بيننا وبينه صلي الله عليه وسلم لكونه في مرتبة لا ينبغي ان يكون لنا انتهي وقال
في شرحه لترجمان الاشواق اعلم ان مقام النبي ممنوع لنا دخوله وغاية معرفتنا به
من طريق الارث النظر اليه كما ينظر من هو في اسفل الجنة الي من هو في اعلي
عليين وكما ينظر اهل الارض الي كواكب السما • وقد بلغنا عن الشيخ ابي يزيد
انه فتح له من مقام النبوة قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فكاد ان يحترق •
وقال في الباب الثامن والستين واربعمايه من الفتوحات اعلم انه لا ذوق لنا
في مقام النبوة لنتكلم عليه وانما نتكلم علي ذلك بقدر ما اعطينا من مقام الارث
فقط لانه لا يصح لاحد منا دخول مقام النبوة وانما نراه كالنجم علي الما وقال
في الباب السابع والستين وثلاثمايه لقد اعطيت من مقام العبودية التي
اختص بها رسول الله صلي الله عليه وسلم مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور
فما استطعت القيام به انتهي فهذه نصوص الشيخ رحمه الله فكذب والله من
افتري عليه انه يقول الولاية اعظم من النبوة والله سبحانه وتعالي اعلم

المبحث الثالث والاربعون

في بيان افضل المحدثين بعد الانبيا والمرسلين ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي
رضي الله عنهم اجمعين وهذا الترتيب بين هولا الاربعة الخلفا قطعي عند
الشيخ ابي الحسن الاشعري ظني عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومما ثبت به
الرافضة في تقديمهم عليا رضي الله عنه علي ابي بكر رضي الله عنه حديث انه صلي
الله عليه وسلم اتي بطير مشوي فقال اللهم ايتني باحب خلقك اليك ياكل

معي من هذا الطير فاتاه علي رضي الله عنه وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي
في الموضوعات وافرد له الحافظ الذهبي جزا وقال ان طرقه كلها باطلة واعترض
الناس علي الحاكم حيث ادخله في المستدرك ودليل اهل السنة في تفضيل ابي بكر
علي علي رضي الله عنهما الحديث الصحيح ما فضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة
ولكن بشي وقر في صدره وهو نص صريح في انه افضلهم • وفي البخاري عن ابن
عمر قال كنا نقول خير الناس بعد النبي صلي الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم
عثمان ثم علي ولا ينكر ذلك علينا • وقال الشيخ ابو الحسن الاشعري ومما فضل
به ابو بكر رضي الله عنه انه ما زال بعين الرضي من الله عز وجل اي لم يحل له غير
مغضوب عليه فيها اذ لم يثبت عنه حالة كفر كما ثبت عن غيره ممن امن وان
لم يكن موصوفا بالايمان قبل بعثة النبي صلي الله عليه وسلم اذ حكم السعادة
دائر مع التوحيد لا مع الايمان اذ متعلق الايمان انما هو الخبر الذي جا به الصادق
عن الله عز وجل ولا خبر ولا كتاب في زمن الفترة التي قبل النبوة حتي يتعلق
به ايمان ابي بكر رضي الله عنه وايمان غيره فصح حينيذ قولهم ان ابا بكر ما زال
بعين الرضي وقد اطبق السلف الصالح من الصحابة والتابعين علي احترام
هولا الاربعة الخلفا عند الله تعالي وتعظيمهم علي هذا الترتيب الذي ذكرناه
اما الصحابة فلانهم شاهدوا فضل ابي بكر بقراين الاحوال المقترنة بقوله
صلي الله عليه وسلم وبفعله المنبيين عن الافضلية عند الله تعالي واما التابعون
فلانهم خير القرون بعد الصحابة ولانهم اعرف بعقايد الصحابة في ابي بكر وغيره
قال العلما وانما كان ابو بكر يدعي بخليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم لانه
خلفه في امر الرعية واستخلفه للصلاة بالناس في مرض وفاته صلي الله عليه
وسلم فابو بكر افضل الاوليا المحمديين وقال الشعبة الافضل بعد النبي صلي
الله عليه وسلم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ودخل في قولنا ان ابا بكر افضل
الاوليا المحمديين اوليا الامم السالفة فابو بكر افضل منهم بنا علي عموم رسالته
صلي الله عليه وسلم في حق من تقدمه وفي حق من تاخر عنه في الزمان وخرج
بقولنا في الترجمة بعد الانبيا والمرسلين يعني الاحيا والاموات عيسي عليه

السلام فانه افضل من ابي بكر بيقين وكذلك خرج الخضر عليه السلام فان
مقامه برزخي بين الولاية والنبوة كما ذكره الشيخ في الفتوحات وعبارته
ومقام الخضر عليه السلام دون النبوة وفوق الصديقية كما اخبرنا بذلك
عليه السلام قال ويسمي بمقام القربة وانكر الامام الغزالي هذا المقام انتهي
تمت وذكر النووي في تهذيب الاسما واللغات ما نصه الخضر عليه
السلام نبي وانما اختلف في رسالته وشذ بعض الصوفية فقال بولايته انتهي
والله تعالي اعلم وعبارة الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم انه
ليس في امة محمد صلي الله عليه وسلم من هو افضل من ابي بكر غير عيسي عليه السلام
وذلك انه اذا نزل بين يدي الساعة لا يحكم الا بشرع محمد صلي الله عليه
وسلم فيكون له يوم القيامة حشران حشر في زمرة الرسل وحشر في
زمرة الاوليا بلوا الولاية انتهي • وقال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف
في حاشيته الذي نعتقده ان عيسي عليه السلام لا يعد من امة محمد
صلي الله عليه وسلم لانه غير داخل في دعوته فلم يكن من امة الدعوة
ولا من امة الملة انتهي • وعبارة الشيخ تقي الدين ابن ابي المنصور في
عقيدته ونعتقد ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من ساير الامة المحمدية
وساير امم الانبيا واصحابهم لانه كان ملازما لرسول الله صلي الله عليه وسلم
بالصديقية لزوم الظل للشاخص حتي في ميثاق الانبيا ولذلك كان
اول من صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم • وقال الشيخ في الباب الثالث
والثلاثماية في الفتوحات اعلم ان السر الذي وقر في صدر ابي بكر وفضل
به علي غيره هو القوة التي ظهرت فيه يوم موت رسول الله صلي الله عليه وسلم
فكانت له كالمعجزة في الدلالة علي دعوي الرسالة فقوي حين ذهلت الجماعة
لانه لا يكون صاحب التقدم والامامة الا صاحيا غير سكران فكان رضي
الله هو الحقيق بالتقدم ولا يقدح في كماله واستحقاقه الخلافة كراهة
بعض الناس فان ذلك مقام الهي قال تعالي ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها فاذا كان بعض الناس يسجد لمن بيده ملكوت السموات

والارض كرها لا طوعا فكيف بحال ابي بكر او غيره • فعلم انه لا بد من طايع
وكان يدخل في الامر علي كره لاجل شبهة تقوم عنده اذا كان ذا دين
وكل الصحابة كذلك فتقديم بعضهم علي بعض كما وقع في الترتيب في خلافتهم
لا بد منه لكونه سبق كذلك في علم الله واما من حيث قطعنا بتفضيل
بعضهم علي بعض فذلك مصروف الي الله تعالي فهو العالم بمنازلهم عنده ولم
يعلمنا سبحانه وتعالي في نفسه من ذلك فالله تعالي يحفظنا من الفضول ومن مخالفة
اهل السنة والجماعة امين • وقال الشيخ تقي الدين ابن ابي المنصور كان
ترتيب الخلفا الاربعة كما ذكرنا متعينا لترتيب الحكمة وستر كمال دايرة
الامة • وقال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف في حاشيته اعلم ان الامام
الحق بعد النبي صلي الله عليه وسلم ابو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم
اجمعين والادلة علي ذلك من السنة كثيرة تنتظا فرد لالة بمجموعها علي تقديم
ابي بكر حتي يظهر ذلك بالواقف عليها كفلق الصبح وكانت امارة عثمان بالعهد
من عمر ان يكون الامر شوري بين ستة تختار منهم خمسة السادس ليكون
خليفة فوقع الاختيار علي عثمان والوفاق علي امارته وكانت امارة علي
رضي الله عنه باجماع كبرا المهاجرين والانصار والتماسهم منه قبول
مبايعتهم فبايعوه رضي الله عنهم انتهي كلام الشيخ كمال الدين رحمه الله • وقال
الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلاثماية مما يدل لفضل
ابي بكر علي غيره كونه كان مع النبي صلي الله عليه وسلم كالمريد الصادق
اذا كمل فتحه مع شيخه وبذلك استحق الخلافة فما مات رسول الله صلي
الله عليه وسلم حتي تجرد ابو بكر الي جانب الحق جل وعلا وراي رسول الله
صلي الله عليه وسلم عبدا مخلصا ليس له مع الله حركة ولا سكون الا باذن الله
تعالي • وقال ابو السعود ابن الشبلي رحمه الله ما مات رسول الله صلي
الله عليه وسلم حتي صار ابو بكر معتمدا علي الله تعالي دون رسوله صلي الله عليه
وسلم فكان ياخذ كل شي ياتيه من الاحكام من الله علي لسان رسول الله صلي
الله عليه وسلم ولذلك لما مات رسول الله صلي الله عليه وسلم

لم يتأثر على ذلك كل التأثر كما وقع لغيره فما من أحد من الصحابة إلا واضطر
ذلك اليوم وقال ما لا ينبغي سماعه وشهد على نفسه في ذلك بقصوره وعدم
معرفته بحال رسول الله الذي اتبعه وأما أبو بكر فكان يعلم حقائق الأمور
ولذلك صعد المنبر وقرأ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
الآية فتراجع من كان حكم عليه حاله وعرف الناس فضله على الجماعة فاستحق
الإمامة والتقدم فما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته إلا من
جهل منه ما كان يجهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من كان في محل
نظر من ذلك أو لا وإلا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد له في
حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره وظهر حكم ذلك السر
يوم موته صلى الله عليه وسلم وليس السر إلا ما ذكرناه من استيفائه رضي الله
عنه مقام العبودية بحيث إنه لم يخل منه بشيء في حقه ولا في حق رسول
الله صلى الله عليه وسلم . قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم من أبي
بكر أنه صار مع الله لا مع رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بحكم أنه كان يرى ما يخاطب
به الحق تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في محل خطاب يسمعه منه وكان
لأبي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه وما لا يقبل قال
الشيخ محيي الدين وقد تحققت بمقام العبودية الصرف الخالص وبلغت فيه
الغاية فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يشوبني شيء من دعوى الربوبية
على شيء من العالم . قال ولا أعلم أحدا ممن تقدمني بالزمان ورث مقام
العبودية بالتمام كما ورثته إلا ما بلغني عن رجل من رجال رسالة القشيري
أنه قال لو اجتمع الناس على أن ينزلوا نفسي منزلتها التي هي عليها من الخسية
والتواضع لم يستطيعوا فأنا وإن كان الناس يستفيدون مني العلوم فأنا
في نفسي عن ذلك بمعزل انتهى فإن قلت فما حقيقة الصديقية فالجواب
كما قاله الشيخ في لواقح الأنوار أن الصديقية عبارة عن إيمان صاحبها بجميع
ما أخبر به الرسل فتصديقه لذلك هو صديقيته فإن قلت فهل في
الصديقية تفاضل فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين أنه لا تفاضل في

الصديقية لأنها كلها حقيقة واحدة فإذا رأيت بين الصديقيين تفاضل
فليس هو من باب الصديقية وإنما هو من باب آخر وسر آخر كالذي وقر
في قلب أبي بكر ففضل به على جميع الصديقيين لا بنفس الصديقية كما مر
وقال في الباب التاسع وثلاثمائة اعلم أن رأس الأولياء الملامتية هو
أبو بكر الصديق رضي الله عنه فإن قلت ما المراد بالملامتية فالجواب هم قوم
لا يزيدون عن الصلوات الخمس إلا الرواتب ولا يتميزون على المؤمنين المؤدين
فرائض الله بحالة زائدة يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس لا يتميزون
عن العامة بعبادة ظاهرة قد انفردوا وانفلوا بهم مع الله تعالى راسخون في
العلم وفي العبودية لا يتزلزلون عنها طرفة عين فهم لا يعرفون للرياسة
طعما لاستيلاء سلطان الربوبية على قلوبهم ولتحقق الإمام أبي بكر الصديق
رضي الله عنه بمقام العبودية لم ينقل عنه ما نقل عن غيره من الإكثار
من نوافل العبادات لكثرة ما كان يخفي من أحواله فكانت أعماله قلبية مع
أن كل ذرة ظهرت من أعماله لا يعادلها قنطار من عمل غيره رضي الله عنه
قال الشيخ رضي الله عنه ومما يدل على تفضيل أبي بكر على عمر رضي
الله عنهما من وقائع الأحوال ما ثبت في الأحاديث أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لأبي بكر ما أصبح اليوم عند آل محمد شيء يقوتهم فأتاه أبو بكر
بجميع ماله وصفه بين يديه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت
لأهلك يا أبا بكر فقال الله ورسوله فسمع عمر رضي الله عنه بذلك فأتاه
بشطر ماله فقال له صلى الله عليه وسلم ما تركت لأهلك يا عمر فقال الشطر
يا رسول الله فقال ما بينكما ما بين كلمتيكما الحديث . وقال الشيخ في الباب
الثامن والأربعين ومائتين وجه التفضيل أنه صلى الله عليه وسلم لم يحد
لهما في مالهما حدا بل عم الأمر عليهما ليفعل كل واحد بقدر عزمه وإلا
فلو أنه صلى الله عليه وسلم كان حد لهما حدا ما تعدياه فكان فضل أبي بكر على
عمر لا يظهر فما أراد صلى الله عليه وسلم بإبهام الأمر إلا بيان ظهور فضيلة
أبي بكر على عمر رضي الله عنهما . قال وفي قول أبي بكر تركت لأهلي الله ورسوله

غاية الادب حين قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى فنحا الباب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قدر انه رد على ابي بكر شيا من ماله لكان
قبله من يده صلى الله عليه وسلم لكونه رضي الله عنه ترك رسول الله لاهله بعولهم
فما حكم ابو بكر في ماله الا من استنابة رب المال فانظر يا اخي ما اشد معرفة
ابي بكر بمراتب الامور وبذلك فضل على عمر وكان قد تخيل انه يسبق ابا بكر
ذلك اليوم فلما وقع ما وقع من اتيانه بشطر ماله قال لا اسبق ابا بكر بعد
اليوم وسلم له المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد على ابي بكر شيا
من ماله وذلك لبينه الحاضرين على ما علمه من صدق ابي بكر في المحبة فانه لو
رد على ابي بكر شيا من ماله لتطرق الاحتمال في حق ابي بكر انه خطر له الرفق
برسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انما عرض على ابي بكر ذلك مكافاة له لما
علم من طيب نفسه باعطايه ماله كله كما وقع لعبد الرحمن ابن عوف فانه جا
مرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماله كله فرده عليه ولو علم صلى الله عليه
وسلم منه انه لا يرى له معه ملكا كما كان ابو بكر لم يرده عليه انتهى ٭ وقال
الشيخ في بعض كتبه اعلم ان استحقاق الامامة لشخص يعرف بامور ٭ منها نص
قبول قوله من نبي او امام عادل ٭ ومنها اجماع المسلمين على امامته وكان
الامام بالاجماع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ثم عمر بنص ابي بكر
رضي الله عنه عليه ثم عثمان بنص عمر على جماعة جعل الامر شورى بينهم فانه
لم يستخلفه احدا وقد اجمع المعتبرون من الصحابة على امامة عثمان ثم على المرتضى
فهولا الاربعة هم الخلفا الراشدون ثم ان المخالفة وقعت بين الحسن ومعاوية
وصالحه الحسن واستقرت الخلافة على معاوية ثم على من بعده من بني امية
وبني مروان حتى انتقلت الخلافة الى بني العباس واجمع اهل الحل والعقد
عليهم وانساقت الخلافة منهم الى ان جرى ما جرى وقول بعض الروافض ان
ابا بكر غصب الخلافة وتقدم كرها على الامام علي رضي الله عنه باطل ويلزم منه
اجماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا ابا بكر من الخلافة وحاشا حماة الدين رضي
الله عنهم من ذلك وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول تقديم ابي بكر في

الفضل على عمر قطعي وتقديم عمر على غيره مظنون ٭ قال والذي اطلعنا
الله عليه من طريق كشفنا ان تقدم شخص بالامامة على اخر انما هو تقدم بالزمان
ولا يلزم منه التقدم بالفضل فان الله تعالى قد امرنا باتباع ملة ابراهيم
وليس ذلك لكونه احق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو لتقدمه بالزمان
فان للزمان حكما في التقدم من حيث هو زمان لا من حيث المرتبة وذلك كالخلافة
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من حكمة الله ترتيبها بحسب الاجال والاعمال
التي قدرها الله عز وجل ايام ولاية كل واحد على التعيين مع ان كل واحد
اهل لها حاله ولاية الاخر ٭ وقد سبق في علم الله انه لا بد من ولاية كل
واحد من الخلفا الاربعة على الترتيب الذي وقع لو قدر ان المتاخر تقدم
فلا بد من خلعه حتى يلي احدهم ما لا بد له من الولاية عند الله تعالى فكان في
الترتيب بحكم اعمارهم عدم وقوع خلع احدهم مع الاستحقاق اذ الصحابة
كلهم عدول ٭ ذكره الشيخ في الباب الثامن وخمسين وخمسمايه في الكلام على
اسمه تعالى المعطي ٭ وقال في هذا الباب ايضا في الكلام على اسمه تعالى الاخر
اعلم ان الخلفا الاربعة لم يتقدموا في الخلافة الا بحسب اعمارهم فان الاهلية
في الخلافة موجودة فيهم من ساير الوجوه فكان سبقهم لا يقتضي التفضيل
لمجرده وانما ذلك بوجود نص قاطع ٭ قال ولما سبق في علم الله تعالى ان ابا بكر
يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل له
حرمة عند الله تعالى وفضل قدمه الله في الخلافة من علم ان اجله يسبق
اجل غيره من هولا الاربعة ٭ قال وفي الحديث اذا بويع لخليفتين
فاقتلوا الاخر منهما فلو قدر ان الناس بايعوا احدا من الثلاثة دون
ابي بكر مع كونه لا بد لابي بكر من الخلافة في ذلك الزمان فخليفتان
لا يجتمعان وقتل الاخر من هولا الخلفا لا يجوز وان قدر خلع احد من
الثلاثة وولي ابو بكر الخلافة كان في ذلك عدم احترام في حق المخلوع
ونسبة من خلعه الى الجور والظلم فانه خلع من الخلافة من يستحقها ثم ان
قدر ان من قدم لم يخلع ان ابا بكر يموت ايام خلافة من تقدمه من غير

ان يلي الخلافة وقد سبق في علم الله انه لابد له ان يليها ومخالفة سبق العلم
محال واطال الشيخ في ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغي الخوض في مثل ذلك
الا مع وجود نص صريح مع اننا قايلون بترتيب هولا الخلفا الاربعة وتفضيل
بقية العشرة المشهود لهم بالجنة وما زاد على العشرة فالادب الوقف عن الخوض
في تفضيلهم مع محبتهم وتعظيمهم ورفع درجتهم على ساير الاولياء وقال
المحدثون افضل الناس بعد العشرة اهل وقعة بدر ثم اهل بيعة الرضوان
ثم السابقون من المهاجرين والانصار من اهل بدر ومن اهل احد ومن
صلى للقبلتين في ذلك اقوال ذكره الحافظ ابن حجر رضي الله عنه **خاتمة**
ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السادس والاربعين وثلاثماية ان اهل القرن
الاول ما فضلوا عن غيرهم الا لقوة الايمان فكانوا فيه ابهى وكان التابعون
اتم من غالب الصحابة في العلم وكان تابع التابعين اتم من غالب التابعين في العمل
فان قلت فما الحكمة في كون الصحابة اقوى في الايمان مع انهم عاصروه
صلى الله عليه وسلم وراوا معجزاته واخلاقه والقاعدة ان الايمان بالغيب
احق في حق صاحبه اشد من الايمان بالحاضر **فالجواب** ان قوة الايمان انما
جات للصحابة من حيث ان الانسان فطر على الحسد فاذا بعث الى امة
رسول من جنسها ثار الحسد في الناس فلم يومن به الا من قوي على دفع ما في
نفسه من الحسد وحب الشفوف ولاسيما اذا كان الحاكم عليها جنسها فكان
ايمان الصحابة اقوى بمبدا النظر لمشاهدة تقدم جنسهم عليهم اول الاسلام
وكان اشتغالهم بما يدفع سلطان الحسد ان يقوم بهم مانعا لهم من ادراك
غوامض العلوم والاسرار ففاتونا بقوة الايمان وجبر الله نقصنا بان
اعطانا التصديق بما نقل لنا عنهم فحصل لنا درجة الايمان بالغيب في شان
محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا درجة للصحابة فيه ولا ندم لانهم شاهدوا الشارع
وشاهدوا احواله ووقايعه فامنوا به وصدقوا على الشهود فما فضلونا الا
بقوة الايمان والسبق واما العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم في ذلك فالحمد
لله الذي جابنا في الزمان الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد

فيما

فيما وجدناه منقولا في اوراق سواد في بياض ولم نطلب على ذلك دليلا
ولا ظهور ايه ولو اننا جينا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا
نعرف كيف تكون احوالنا عند مشاهدته هل كان يغلب علينا دا الحسد
فلا نطيعه ام نغلب نفوسنا ونطيعه وكفى الله المومنين القتال وكان الله
قويا عزيزا قال الامام الشافعي رضي الله عنه في رسالته القديمة والصحابة
رضي الله عنهم فوقنا في كل علم وايمان وآراؤهم عندنا احمد من ارائنا لانفسنا انتهى

المبحث الرابع والاربعون

في بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ووجوب اعتقاد انهم ماجورون
وذلك انهم كلهم عدول باتفاق سوا من لابس الفتن او لم يلابسها كفتنة
عثمان وصفين ووقعة الجمل كل ذلك لوجوب احسان الظن بهم ولهم الاجر
على الاجتهاد في ذلك فان تلك الامور مبناها عليه وكل مجتهد مصيب
او المصيب واحد والمخطي معذور بل ماجور **قال** ابن الانباري
وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم وانما
المراد قبول رواياتهم لنا احكام ديننا من غير تكلف بحث عن اسباب
العدالة وطلب التزكية ولم يثبت لنا الى وقتنا هذا شي يقدح في عدالتهم
ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى يثبت خلافه ولا التفات الى ما يذكره بعض اهل السير فان
ذلك لا يصح وان صح فله تاويل صحيح وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه تلك دما طهر الله تعالى سيوفنا منها فلا نخضب بها السنتنا
وكيف نجوز الطعن في حملة ديننا وفيمن لم يات خبر من نبينا الا بواسطتهم
فمن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس دينه فيجب سد الباب جملة
واحدة لاسيما الخوض في امر معاوية او عمرو بن العاص واضرابهما ولا ينبغي
الاغترار بما نقله بعض الروافض عن اهل البيت من كراهيتهم فان تسل هذه
المسئلة منزعها دقيق ولا يحكم فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مسئلة

نزاع بين اولاده واصحابه • قال الكمال بن ابي شريف وليس المراد بما شجر
بين علي ومعاوية في الامارة كما توهمه بعضهم وانما المنازعة كانت بسبب
قتلة عثمان رضي الله عنه الي عشيرته ليقتصوا منهم لان عليا رضي الله عنه
كان راي تاخير تسليمهم اصوب اذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشايرهم
واختلاطهم بالعسكر يؤدي الي اضطراب امر الامامة العامة فان بعضهم
كان عزم علي الخروج علي الامام علي وعلي قتله لما نوي علي الجمل بان يخرج
عنه قتلة عثمان وراي معاوية ان المبادرة الي تسليمهم للاقتصاص منهم
اصوب فكل منهما مجتهد ماجور فهذا هو المراد فيما شجر بينهم انتهى خاتمة
قال العلما ويجب اعتقاد براة عايشة ام المومنين قطعا من جميع ما قاله
الملحدون في حقها لنزول القران العظيم ببرائتها في سورة النور وكذلك
يجب اعتقاد وجوب محبة جميع ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واكرامهم
واحترامهم وهو الحسن والحسين واولادهما من فاطمة وغيرها الي يوم القيامة
ونسكت عن المفاضلة بين الحسن والحسين وبين احد من الصحابة غير من ثبت
فيهم النص ويؤذي كل من اذي شريفا ونهجره ولو كان من اعز اصحابنا
وفا بقوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي والمودة
هي ثبات الحب لا مجرد الحب هذا مذهبنا سوا صح نسب ذلك الشريف
او طعن في نسبه اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام
علي ذلك في كتاب العهود فراجعه والله سبحانه وتعالى اعلم •

المبحث الخامس والاربعون

في بيان ان اكبر الاوليا بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين
القطب ثم الافراد علي خلاف في ذلك ثم الامامان ثم الاوتاد ثم الابدال رضي الله عنهم
فاما القطب فقد ذكر الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين انه
لا يتمكن لقطب ان يقوم في القطابة الا بعد ان يحصل معاني الحروف
التي في اوايل السور المقطعة مثل الم والمص ونحوهما فاذا اوقفه

الله تعالى علي حقايقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان اهلا لها
فان قلت فما علامة القطب فان جماعة من اهل عصرنا قد ادعوا
القطبية وليس معنا علم برد دعواهم فالجواب قد ذكر الشيخ ابو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه ان للقطب خمسة عشر علامة ان يمد بمدد العصمة
والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له
عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل
بين الوجودين وانفصال الاول عن الاول وما انفصل عنه الي منتهاه
وما ثبت فيه وما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الاحاطة
بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الاول الي منتهاه ثم يعود اليه انتهى •
وقال في الفتوحات في الباب السبعين والمائتين منها ان اسم القطب
في كل زمن عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بجميع الاسما
الالهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلي النعوت المقدسة
ومحل المظاهر الالهية وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن
شانه ان يكون الغالب عليه الخفا لانه محفوظ من خزاين الغيرة ملتحف
باردية الصون لا تعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر ينقض
مقامه كثيرا النكاح راغب فيه محب للنسا يوفي الطبيعة حقها علي الحد
المشروع له ويوفي الروحانية حقها علي الحد الالهي يضع الموازين ويتصرف
علي المقدار المعين الوقت له لا يحكم عليه وقت انما هو لله وحده حاله دايما
العبودية والافتقار يقبح القبيح ويحسن الحسن يحب الجمال المقيد في الزينة
والاشخاص وتاتيه الارواح في احسن الصور يدوب عشقا بغار لله عز
وجل ويغضب له تعالى له الاطلاق في المظاهر من غير تقييد لا تظهر
روحانيته الا من خلف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الاشيا الا محل
نظر الحق فيها يضع الاسباب ويقيمها ويدل عليها ويجري بحكمها ينزل اليها
حتي يحكم عليه وتوثر فيه لا يكون فيه ربانية علي احد من الخلق بوجه من
الوجوه مصاحب لهذا الحال دايما ان كان صاحب دنيا ودين وتصرف

فيما نقص فعبد في بال سيد كريم وان لم يكن بيده دنيا وكان على ما يفتح
الله تعالى له به لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت
صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج اليه طبيعته لانه مسئول عنها
ومتولٍ عليها ثم ينتظر الاجابة عن الله فيما سال فان شا اعطاه الله ما سال
عاجلا فمرتبته الالحاح في الدعا والشفاعة في خلاف طبيعته بخلاف
اصحاب الاحوال فان الاشيا تتكون عن هممهم لان الله تعالى عجل لهم نصيبا
من احوالهم في الجنة فهم ربانيون والقطب منزه عن الاحوال ثابت في العلم
فان اطلعه الله على ما يكون اخبر بذلك على وجه الافتقار لله لا على وجه
الافتخار لا تنطوي له ارض ولا يمشي في هوا ولا على ماء ولا ياكل من غير سبب
ولا يطرا عليه شي من خرق العوايد الا في النادر لامر يراه الحق تعالى
فيفعله باذن الله من غير ان يكون ذلك مطلوبا له وكذلك من شانه
ان يجوع اضطرارا لا اختيارا ويصبر على النكاح كذلك لعدم الطول يعلم
من تجلي النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية
في شي اكثر مما يتحقق به في النكاح لا يرغب في النكاح للنسل وانما يرغب
فيه لمجرد الشهوة واحضار التناسل في نفسه لامر مشروع فنكاحه لمجرد
اللذة كنكاح اهل الجنة وقد غاب عن هذه الحقيقة اكثر العارفين لما
فيه من شهود الضعف وقهر اللذة هي المغيبة له عن احساسه فهو قهر لذيذ
وذلك من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولعلو مراقي هذا المقام
جهله اكثر الاوليا وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا انفسهم عن
الاكثار منها ● واعلم ان من مقام القطب ان يتلقى انفاسه اذا دخلت
واذا خرجت باحسن الادب لانها رسل الله اليه فترجع منه الى ربها شاكرة
له لا يتكلف لذلك واطال في ذلك ● ثم قال فاذن القطب هو الرجل
الكامل الذي حصل الاربعة دنانير التي كل دينار منها خمسة وعشرون
قيراطا وبها توزن الرجال والاربعة هم الرسل والانبيا والاوليا والمؤمنون
فهو وارثهم كلهم رضي الله عنهم اجمعين وقال الشيخ في الباب الاحد

وخمسين وثلاثمائة من شان القطب الوقوف دايما خلف الحجاب الذي
بينه وبين الله جل وعلا فلا يرتفع حجابه حتى يموت فاذا مات لقي الله عز
وجل فهو كالحاجب الذي ينفذ اوامر الملك وليس له من الله تعالى الا
صفة الخطاب لا الشهود انتهى فان قلت فهل يحتاج القطب في
توليته الى مبايعة من دولة الباطن كما هي الخلافة في الظاهر فالجواب
نعم قاله الشيخ في الباب السادس والثلاثين والثلاثمائة وعبارته اعلم
ان الحق تعالى لا يولي قط عبدا مرتبة القطابة الا وينصب له سريرا في
حضرة المثال يقعد عليها تنبي صورة ذلك المكان عن صورة المكانة
كما تنبي صورة الاستوا على العرش عن صورة احاطته تعالى علما بكل شي ● ولله
المثل الاعلى فاذا نصب له ذلك السرير فلا بد ان تخلع عليه جميع الاسما
التي يطلبها العالم ويطلبه فيظهر بها حللا وزينة متوجا مسورا مدبجا
بنعمة الزينة علوا وسفلا ووسطا وظاهرا وباطنا فاذا قعد عليه
بصورة الخلافة وامر الله تعالى العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط
والمكره كل في تلك البيعة كل مامور من ادنى واعلا الا العالون وهم
المهيمون في جلال الله عز وجل العابدون لله تعالى بالذات لا بامر الهي
ظاهر على لسان رسول ● واعلم ان اول من يدخل عليه الملا الاعلا على
مراتبهم الاول فالاول فياخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون
بمنشط ولا مكروه لانهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم اذ لا يعرف شي
الا بضده فهم في منشط لا يعرفون لغيره طعما لعدم ذوقهم للمكروه
ولا منهم روح يدخل عليه للمبايعة الا ويسأله مسالة من العلم الالهي فيقول
له يا هذا انت القايل كذا وكذا فيقول له نعم فيقول له في هذه المسالة
وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى احدهما اعلا من الذي كان عند ذلك
الشخص فيستفيد منه كل من بايعه علما ليس عنده ثم يخرج ● قال الشيخ
وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة في جزء مستقل ما سبقنا احد اليه
وليست هذه المسايل معينة يتكرر السؤال بها لكل قطب وانما يخطر الله

تعالى ذلك لمن يسأل القطب حال السؤال بعد ان جرى ذلك على خاطره فيما
مضى من الزمان قال الشيخ واول من يبايعه العقل الاول ثم النفس ثم
المقدمون من عمار السموات والارض من الملائكة المسخرة ثم الارواح المدبرة
للهياكل التي فارقت اجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما يسبح الله تعالى
من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه الا العالون من الملائكة كما مر وكذلك الافراد
من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وماله فيهم تصرف اذ هم كل مثله
مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الامر يقتضي ان لا يكون
في الزمان الا واحد يقوم بهذا الامر تعين ذلك الواحد لكن لا بأولوية
وانما هو لسبق العلم فيه بان يكون هو الوالي وفي الافراد من يكون اكبر
منه في العلم بالله تعالى قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين
ومن خصائص القطب ان يختلي بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره
من الاولياء ابدا ثم اذا مات ذلك القطب الغوث انفرد بتلك الخلوة القطب
الآخر ولا ينفرد قط بالخلوة لتخصيص في زمان واحد ابدا وهذه الخلوة
من علوم الاسرار واما ما ورد في الاخبار من ان الحق تعالى يخلو بعبده ويعاتبه
فذلك من باب انفراد العبد بالحق لا من باب انفراد الحق بالعبد فافهم واكتم
انتهى ثم اعلم انه لما كان نصب الامام واجبا لاقامة الدين وجب ان
يكون واحدا لئلا يقع التنازع والتضاد والفساد فحكم هذا الامام في
الوجود حكم القطب قال وقد يكون من ظهر من الائمة بالسيف ايضا قطب
الوقت كابي بكر وعمر في وقته وقد لا يكون قطب الوقت فيكون للخلافة
لقطب الوقت الذي لا يكون الا بصفة العدل ويكون هذا الخليفة الظاهر
من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر فان الجور والعدل يقع
من ائمة الظاهر ولا يكون القطب الا عادلا واعلم ان القطبية كما انها
قد تكون لولاة الامور كذلك قد تكون في الائمة من الاربعة وغيرهم
بل هي فيهم اظهر ويكون تظاهرهم بالاشتغال بالعلم الكثير حجابا عليهم
لكون القطب من شأنه الخفا رضي الله عنهم اجمعين قال الشيخ محيي الدين

وقد

وقد اجتمعت بالخضر عليه السلام وسألته عن مقام الشافعي فقال كان
من الاوتاد الاربعة فسألته عن مقام الامام احمد فقال هو صديق
واطال في ذلك ثم قال في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم المراد باولي الامر الاقطاب والخلفا
والولاة لكن فيما لا يخالف شرعا مأمورا به وذلك كالمباح الذي لا اجر
فيه ولا وزر فان الواجب والمندوب والحرام والمكروه من طاعة الله ورسوله
فما بقي لاولي الامر الا المباح فاذا امر الامام الذي بايعته على السمع
والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرم عليك
مخالفته وصار حكم تلك الاباحة الوجوب فيحصل لمن عمل ذلك اجر الواجب
لارتفاع حكم الاباحة منه بامر هذا الامام الذي بايعه واطال
الشيخ في ذكر مبايعة النبات وسائر الحيوانات للقطب فراجعه
فان قلت فما المراد بقولهم القطب لا يموت فالجواب كما قاله الشيخ في
الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان المراد به ان العالم لا يخلو زمانا
واحدا من قطب يكون فيه من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك ابقى
الله تعالى من الرسل الاحيا باجسامهم في الدنيا اربعة وعشرون اولهم
ادريس والياس وعيسى وواحد حامل العلم اللدني وهو الخضر عليه
السلام وايضاح ذلك ان الدين الحنيفي له اربعة اركان كاركان البيت
وهم الرسل والانبيا والاوليا والمؤمنون والرسالة هي الركن الجامع للبيت
واركانه فلا يخلو زمان من رسول يكون فيه وذلك هو القطب الذي
هو محل نظر الحق تعالى من العالم كما يليق بجلاله ومن هذا القطب تتفرع
جميع الامداد الالهية على جميع العالم العلوي والسفلي قال الشيخ محيي
الدين ومن شرطه ان يكون ذا جسم طبيعي وروح ويكون موجودا في هذه
الدار الدنيا بجسده وحقيقته من عهد آدم الى يوم القيامة ولما كان
الامر على ما ذكرناه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما قرر
الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يتبدل ودخلت الرسل كلهم في شريعته

ليقوموا بها فلا تخلو الارض من رسول حي بجسمه اذ هو قطب العالم الانساني
ولو كانوا في العدد الف رسول فان المقصود من هولاء هو الواحد فادريس
في السما الرابعة وعيسي في السما الثانية والياس والخضر في الارض ومعلوم
ان السموات السبع من عالم الدنيا لكون انها تبقي ببقا الدنيا وتفني بفنائها
صورة فهي جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك الاطلس فانه معدود من
الاخرة فان في يوم القيامة تبدل الارض غير الارض والسموات يعني
تبدلن بغيرهن كما تبدل هذه النشاة الترابية منا ايها السعداء بنشاة
اخري ارق واصفي والطف فهي نشاة طبيعية جسمية لا يبول اهلها ولا
يتغوطون كما وردت بذلك الاخبار وقد ابقي الله في الارض الياس عليه
السلام والخضر وكذلك اذا نزل عيسي وهم من المرسلين فهم القايمون
في الارض بالدين الحنيفي فما زال المرسلون ولا يزالون في هذه الدار
لكن من باطنية شرع محمد صلي الله عليه وسلم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فالقطب
هو الواحد من عيسي وادريس والياس والخضر عليه السلام وهو احد اركان
بيت الدين وهو كركن الحجر الاسود واثنان منهم هم الامامان واربعتهم هم
الاوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان وبالثاني يحفظ الله الولاية وبالثالث
يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي
فالقطب من هولاء واحد لا بعينه ٭ قال الشيخ ولكل واحد من هولاء الاربعة
من هذه الامة في كل زمان شخص علي قلبه نايبا عنه مع وجودهم واكثر الاوليا
لا يعرفون القطب والامامين والاوتاد الا النواب لا هولاء المرسلين الذين
ذكرناهم ولهذا يتطاول كل احد لنيل هذه المقامات ثم اذا حضروا بها عرفوا
عند ذلك انهم نواب لذلك القطب فاعرف ذلك النكتة فانك لا تراها من
كلام واحد غيرنا ولولا ما القي في سري من اظهارها ما اظهرتها انتهي
فان قلت فما المراد بقولهم فلان من الاقطاب علي مصطلحهم فالجواب
مرادهم بالقطب في عرفهم كل من جمع الاحوال والمقامات وقد يتوسعون
في هذا الاطلاق فيقولون القطب في بلادهم او بلدهم كل من دار عليه مقام

من المقامات وانفرد به في زمنه علي ابناء جنسه فرجل البلد قطب
ذلك البلد ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا ولكن الاقطاب
المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون في الزمان الا واحد وهو الغوث فان
قلت فهل يكون القطب الغوث احد من مشايخ سلسلة القوم كالشيخ
يوسف العجمي وسيدي احمد الزاهد فالجواب كما قاله سيدي علي الخواص
لا يلزم ان يكون احدهم قطبا فان مقام القطبانية عزيز جل ان يلمح
سناه كل احد ولكن المسلكون المذكورون كالحجاب علي باب الملك يعلمون
كل من اراد دخول حضرة الملك الاداب اللايقة به وما ظهر علي يديهم
من الكرامات والخوارق انما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالي
وكثرة اخلاصهم ومجاهدتهم ٭ قال وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلي ان
للقطابة ستة عشر عالما محاطيا بالدنيا والاخرة عالم من هذه العوالم وهذا
الامر لا يعرفه الا من اتصف بالقطبية فان قلت هل يكون محل اقامة
القطب بمكة دايما كما هو المشهور فالجواب هو بجسمه حيث شاء الله تعالي
لا يتقيد بالمكث في مكان مخصوص ومن شانه الخفا فتارة يكون حدادا
وتارة يكون تاجرا وتارة يبيع الفول الحار انتهي فان قلت فهل كان
قبل محمد صلي الله عليه وسلم اقطاب وكم عددهم فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب الرابع عشر من الفتوحات ان الاقطاب لا يخلو عصر منهم قال وجملة
الاقطاب المكملين من الامم السابقة من عهد ادم الي محمد صلي الله عليه وسلم
خمسة وعشرون قطبا اشهدنيهم الحق تعالي في مشهد اقدس في حضرة برزخية
وانا بمدينة قرطبة وهم ٭ المفرق ٭ ومداوي ٭ الكلوم ٭ والبكا
والمرتفع ٭ والشفا ٭ والماحق ٭ والعاقب ٭ والمسجور ٭ وشجر الما
وعنصر الحياه ٭ والشديد ٭ والصايع ٭ والراجع ٭ والطيار ٭ والسالم
والخليفة ٭ والمقسوم ٭ والحي ٭ والرامي ٭ والواسع ٭ والبحر ٭ والملصق
والهادي ٭ والمصلح ٭ والباقي ٭ فهولاء الاقطاب الذين سموا لنا من
ادم الي محمد صلي الله عليه وسلم واما القطب الواحد الممد لجميع الانبيا

والرسل والاقطاب من حين النشا الانساني الي يوم القيامة فمنو بروح محمد
صلي الله عليه وسلم • قال الشيخ محيي الدين في الباب والستين والاربعماية واعلم
ان لكل بلد وقرية واقليم قطب غير الغوث به يحفظ الله تلك الجهة سوا
كان اهلها مومنون اوكفارا وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين
وغيرهم لابد لكل صنف من قطب يكون مدارهم عليه • قال الشيخ وقد اجتمعت
بقطب المتوكلين فرايت مقام المتوكلين يدور عليه دوران الرحي حين تدور
علي قطبها وهو عبد الله بن الاستاذ ببلاد الاندلس وصحبته زمانا طويلا
وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسماية بمدينة
فاس وكان اشار اليه فتكلمت علي مقام القطبية في مجلس كان فيه فاشار علي
ان استره علي الحاضرين ففعلت فان قلت فهل للقطبية مدة معينة
اذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتي تنقضي فالجواب ليس للقطبية
مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة او اكثر او اقل الي يوم
الي ساعة فانها مقام ثقيل يتحمل صاحبه اعبا الممالك الارضية كلها ملوكها
ورعاياها • وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين والاربعماية ان كل
قطب يمكث في العالم الذي هو فيه علي حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ
دعوته بدعوة اخري كما تنسخ الشرايع بالشرايع واعني بالدعوة ما لذلك
القطب من الحكم والتاثير في العالم فمن الاقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث
والثلاثين سنة واربعة اشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين ومنهم
ما يزيد عن ذلك كمدة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي فانهم فانهم كانوا
اقطابا بلا شك • وقال في الباب الثالث والثمانين اعلم ان القطب يحفظ
دايرة الوجود كله من عالم الكون والفساد وبالامامين يحفظ الله عالم
الغيب والشهادة وهو ما ادركه الحس وبالاوتاد يحفظ الله تعالي الجنوب
والشمال والمشرق والمغرب وبالابدال يحفظ الله الاقاليم السبعة
وبالقطب هولا لانه هو الذي يدور عليه امر عالم الكون كله فمن علم
هذا الامر علم كيف يحفظ الله الوجود علي عالم الدنيا ونظيره من الطب علم

تقوم

تقويم الصحة فان قلت فهل للقطب تصريف في ان يعطي القطبية لمن شا
من اصحابه واولاده فالجواب ليس له تصريف في ذلك وقد بلغنا ان بعض
الاقطاب سال الله تعالي ان تكون القطبية من بعده لولده فاذا بالهاتف
يقول ذلك لا يكون الا في الارث الظاهر واما الارث الباطن فذاك لله
وحده الله اعلم حيث يجعل رسالاته انتهي • فعلم انه ما حفظ من حفظ من الاوليا
وغيرهم من جهاته الاربع الا بالاوتاد الذي كان منهم الامام الشافعي رضي الله
عنه وما حفظ من حفظ في صفاته السبع الا بالابدال السبعة فكل صفة لها
بدل يحفظها علي صاحبها من حياة وعلم وقدرة وارادة وسمع وبصر وكلام انتهي
وقال الشيخ في الباب الخامس عشر اعلم ان لكل بدل من الابدال السبعة قوة
تمده من روحانية الانبيا الكائنين في السموات فينزل مدد كل بدل
من حقيقة صاحبه الذي اختص به قال وكذلك الايام السبعة ينزل من
هولا الابدال لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل فان قلت فهل
يزيدون الابدال وينقصون بحسب الشوون التي يبديها الحق تعالي ام
هم علي عدد واحد لا يزيدون ولا ينقصون فالجواب هم سبعة ولا يزيدون
ولا ينقصون وبهم يحفظ الله الاقاليم السبعة ولهم العلم بما اودع الله
في الكواكب السيارة من الامور والاسرار في حركاتها ونزولها في المنازل
المقدرة فان قلت لم سمي البدل بدلا فالجواب كما قاله الشيخ في الباب
الثالث والسبعين انهم سموا ابدالا لان كل واحد منهم اذا فارق مكانه خلفه
فيه شخص علي صورته لا يشك الراي انه ذلك البدل فان قلت فهل ترتيب
الاقاليم السبعة علي صورة السبع سموات بحيث يكون ارتباط الاقليم الاول
بالسما السابعة والثاني بالسما السادسة وهكذا فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب الثامن والتسعين ومايه نعم تكون روحانية كل اقليم مرتبطة
بالسما السابعة وهكذا • وايضاح ذلك ان تعلم يا اخي ان الله تعالي جعل هذه
الارضين التي نحن عليها سبعة اقاليم واصطفي من عباده المومنين سبعة
سماهم الابدال وجعل لكل بلد اقليم يمسك الله وجود ذلك الاقليم به فالاقليم

الاول ينزل الامر اليه من السما الاولى التي هي السابعة وتنظر اليه روحانية
كوكبها والبدل الذي يحفظه هو على قلب الخليل ابراهيم عليه السلام
والاقليم الثاني ينزل الله الامر اليه من السما الثانية وينظر اليه روحانية
كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام والاقليم
الثالث ينزل اليه الامر الالهي من السما الثالثة وينظر اليه روحانية كوكبها
والبدل الذي يحفظه على قلب هرون ويحيى بتاييد محمد صلى الله عليه وسلم
والاقليم الرابع ينزل اليه الامر الالهي من السما الرابعة قلب الافلاك كلها
وينظر اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب ادريس
عليه السلام وهو القطب الذي لم يمت الى الان والاقطاب نيتنا وبه كامتر
دا الاقليم الخامس ينزل اليه الامر من السما الخامسة وينظر اليه روحانية
كوكبها والبدل الذي يحفظ الله به هذا الاقليم على قلب يوسف عليه السلام
بتاييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم السادس ينزل الامر اليه من السما
السادسة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب
عيسى روح الله ويحيى عليهما السلام والاقليم السابع ينزل الامر اليه من سما
الدنيا وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب ادم
عليه الصلاة والسلام قال الشيخ وقد اجتمعت بهولا الابدال السبعة
بمكة خلف حطيم الحنابلة حين وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم وسلموا
علي وتحدثت معهم فما رايت احسن منهم سمتا ولا اكثر شغلا بالله عز وجل
ولا رايت مثلهم الاسقيط الرفرف بن ساقط العرش بقونيه وكان فارسيا
رضي الله عنهم وقد اطال الشيخ الكلام على اصحاب الدواير من الاوليا في الباب
الثالث والسبعين من الفتوحات المكية فراجعه والله تعالى اعلم ٥

المبحث السادس والاربعون

في بيان وحي الاوليا الالهامي والفرق بينه وبين وحي الانبيا عليهم الصلاة والسلا
وغير ذلك اعلم ان وحي الانبيا لا يكون الا على لسان جبريل يقظة

ومشافهة واما وحي الاوليا فيكون على لسان ملك الالهام وهو على
ضروب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومايتين فمنه ما يكون
يتلقى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال وهو الوحي في المنام فالمتلقي
حينئذ خيال والنازل كذلك والموحى به كذلك ومنه ما يكون خيالا في
حس على ذي حس ومنه ما يكون معنى يجده الموحى اليه في نفسه من غير
تعلق حس ولا خيال بمن نزل عليه قال وقد يكون ذلك كتابة ويقع هذا
كثيرا للاوليا وبه كان يوحى لابي عبد الله قضيب البان وغيره كتقي بن مخلد
تلميذ الامام احمد رضي الله عنه لكنه كان اضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده
الا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة انتهى فان قلت فما علامة
تلك الكتابة التي في الورقة من عند الله عز وجل حتى يجوز العمل بها فالجواب
ان علامتها كما قاله الشيخ في الباب الخامس عشر وثلاثماية ان تلك الكتابة تقرا
من كل ناحية على السوا لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها
قال الشيخ وقد رايت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار
على هذه الصفة فلما راها الناس علموا انها ليست من كتابة المخلوقين فان
وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من عند الله عز وجل لكن لا يعمل بما
الا ان وافقت الشريعة التي بين اظهرنا ٥ قال وكذلك وقع لفقيرة
من تلامذتنا انها رات في المنام ان الحق تعالى قد اعطاها ورقة فانطبق
كفها عليها حين استيقظت فلم يقدر احد على فتحها فالهمني الله تعالى
ان قلت لها انو بقلبك انه اذا فتح الله كفك ان تبتلعيها فنوت
وقربت يدها الى فمها فدخلت الورقة فمها قهرا عليها فقالوا لي بم
عرفت ذلك فقلت الهمت ان الله تعالى علمني الفرق بين كتابة الله
في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رايناه
وشاهدناه انتهى فان قلت فما حقيقة الوحي فالجواب كما قاله الشيخ
في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان حقيقة الوحي هو ما تقع به
الاشارة القايمة مقام العبارة في غير عبارة اذ العبارة تتوصل منها

الي المعني المقصود منها ولهذا سميت عبارة بخلاف الاشارة التي هي
الوحي فانها ذات المشار اليه والوحي هو المفهوم الاول والافهام
الاول ولا اعجل من ان يكون عين الفهم عين المفهوم منه فان لم يحصل
لك يا اخي معرفة تلك النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الالهام
الذي يكون للاوليا الا تري ان الوحي هو السرعة ولا اسرع مما ذكرنا
انتهي فان قلت فما صورة تنزل وحي الالهام علي قلوب الاوليا
فالجواب صورته ان الحق تعالي اذا اراد ان يوحي الي ولي من اوليائه
بامر ما تجلي الي قلب ذلك الولي في صورة ذلك الامر فيفهم ذلك الولي بمجرد
مشاهدته ما يريد الحق تعالي ان يعلم ذلك الولي به من يفهم معاني كلامه او
كلام نبيه صلي الله عليه وسلم فهناك يجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم من
الشريعة قبل ذلك كما وجد النبي صلي الله عليه وسلم العلم في الضربة باليد
الالهية كما يليق بجلاله تعالي وكما وجد العلم في شربة اللبن ليلة الاسرا ثم
ان من الاوليا من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا
في خاطري ولا يعلم من اتاه به ولكن من عرفه فهو اتم لحفظه من الشيطان
والحال في ذلك في الباب الثاني عشر وثلاثمائة قال في الباب الخمسين
وثلاث مائة اعلم انه لم يجي لنا خبر الهي ان بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم
وحي تشريع ابدا انما لنا وحي الالهام قال تعالي ولقد اوحي اليك والي الذين
من قبلك ولم يذكر ان بعده وحيا ابدا وقد جا الخبر الصحيح في عيسي وكان
من اوحي اليه قبل رسول الله صلي الله عليه وسلم انه اذا نزل اخر الزمان لا يؤمنا
الا بوحي الالهام اي بشريعتنا وسنتنا مع ان له الكشف التام اذا نزل
زيادة علي الالهام الذي يكون له كالخواص هذه الامة فان قلت فاذن
الالهام خبر الهي فالجواب نعم وهو كذلك اذ هو اخبار من الله تعالي للعبد
علي يد ملك مغيب عن الملهم فان قلت فهل يكون الالهام بلا واسطة
لاحد فالجواب نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل انسان
وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الالهام لكن علم هذا الوجه يتسارع الي

الناس انكاره ومنه انكر موسي علي الخضر عليه السلام وعذر موسي في انكاره
ان الانبيا ما تعودوا اشرع احكامهم الا علي يد ملك لا يعرف شرعا من غير
هذه الطريق فعلم ان الرسول والنبي يشهد ان الملك ويريانه رؤية
بصر عند ما يوحي اليهما وغير الرسول يحس باثره ولا يراه فيلهمه الله
تعالي بواسطة ما شاان يلهمه او يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع
الوسائط وهو اجل الالقا واشرفه اذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع
من هذا الرسول والولي ايضا فان قلت فما محل الالهام من العبد
فالجواب هو النفس قال تعالي فالهمها فجورها وتقواها اي ان الله
تعالي الهم النفس فجورها لتجتنبه وتعلمه لا لتعمل به والهمها تقواها لتعمل
به وتعلمه فهو الهام اعلام لا كما يظنه من لا علم له بالحقايق ولذلك قال
تعالي وقد خاب من دساها والدس الحاق بازدحام فقد الحق هذا الجاهل
العلم بالفجور بالعمل بالتقوي وما فرق في موضع التفريق فاخطا قال
وسبب خطايه رفعه ميزان الشريعة من يده ولو ان الميزان في يده
لراي انه مامور بالتقوي منهي عن الفجور فتبين له الامران معا فان
قلت قد ذكر الغزالي في بعض كتبه ان من الفرق بين تنزل الوحي علي
قلوب الانبيا وتنزله علي قلوب الاوليا نزول الملك فان الولي يلهم
ولا ينزل عليه ملك قط والنبي لا بد له من الوحي من نزول الملك به فهل
ذلك صحيح فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثمائة ان
ذلك غلط والحق ان الكلام في الفرق بينهما انما هو في كيفية ما ينزل به الملك
علي الولي التابع الاتباع لنبيه واخبار ما جا به ممن لا يستحق له علمه لحديث
قال العلما بضعفه مثلا فيخبره ملك الالهام بانه ولي فللولي العمل به في
حق نفسه لشروط يعرفها اهل الله عز وجل لا مطلقا وقد ينزل الملك
علي الولي ببشري من الله بانه من اهل السعادة كما قال الله تعالي في
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا وان كان انما يقع عند الموت
فقد يعجل الله به لمن يشا من عباده قال الشيخ وسبب غلط الغزالي وغيره

في منع نزول الملك على الولي عدم الرؤية وظنهم انهم قد علموا اسلوكهم
جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بانفسهم ولم يروا ملك الالهام نزل عليهم
وقالوا ذلك خاص بالانبيا فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع ان هولاء الذين
منعوا قايلون بان رواية الثقة مقبولة واهل الله كلهم ثقات قال
ولو ان اباحامد وغيره قد اجتمعوا في زمانهم بكامل من اهل الله واخبرهم
بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه قال وقد نزل علينا ملك
الالهام بما لا يحصى من العلوم واخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان يقول
بقولنا فرجعوا الينا فلله الحمد فان قلت فهل ينزل ملك الالهام على احد
من الاوليا بامر او نهي فالجواب ان ذلك ممتنع كما قاله الشيخ في الباب
العاشر وثلاثمائة فلا ينزل ملك الالهام على غير نبي بامر او نهي ابدا
وانما للاوليا وحي المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له
وهي وحي برزخي غالبة لانها غير معصومة فان قلت فهل يكون وحي
المبشرات في غير النوم كما هو في النوم فالجواب نعم انتهى وعلى كل حال فهي
رؤيا بالخيال بالحس لا في الحس والمتخيل قد يكون من دخل في القوة وقد
يكون من خارج بتمثل روحاني وهو التجلي المعروف عند القوم اذا كان المزاج
مستقيما مهيئا للحق وهو خيال حقيقي واطال الشيخ في ذلك فان قلت ان
بعضهم يقول اذا اعترضوا عليه في فعله امرا من الامور ما فعلت ذلك الا
بامر من الله كما نقل عن سيدي عبد القادر الجيلي انه ما قال قدمي هذا على
عنق كل ولي لله الا بعد امر الله تعالى له بذلك فهل ذلك صحيح فالجواب
الامر بذلك غير صحيح ولعل الناقل اشتبه عليه الاذن بالامر اذ الاذن
يطلق على المباح شرعا بخلاف الامر فانه تشريع جديد يقتضي عصيان من
خالفه فافهم ٭ وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين
من الفتوحات من قال من الاوليا ان الله تعالى امره بشي فهو تلبيس لان
الامر من قسم الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الاوليا من جهة التشريع
وايضاح ذلك انه ليس في الحضرة الالهية امر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي

للاوليا

للاوليا الاسماع امرها اذا امرهم الانبيا بشي كما ان لهم المناجاة واللذة
السارية في جميع وجودهم لا غير ومعلوم ان المناجاة لا امر فيها ولا نهي
انما هو حديث وسمر وكل من قال من اهل الكشف انه مامور بامر الهي يخالف
لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال
انه سمعه قال ويمكن ان بعض الاوليا يكشف الله عن قلبه الحجاب ويقيم الله
له مظهرا محمديا فيسمع منه امر الحق ويمنيه لمحمد صلى الله عليه وسلم فيظن ان الحق
تعالى كلمه هو وانما كلم روح محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك من باب
التعريف بالاحكام الشرعية لا شرعا جديدا فان ذلك باب قد اغلق بموت
رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى فان قلت فاذن وحي البشاير هو الاعم
الاغلب فالجواب نعم اذ الوجه الخاص الذي بين كل انسان وبين ربه عز وجل
يناجيه منه في سر حال سجوده وغيره فلا يجد احدا اقرب من الله تعالى
اليه وذلك تاييد من الله تعالى لبعض العارفين وقد يكون وحي البشاير
ايضا بواسطة ملك ولكن النبوة من شانها الواسطة فلا بد من الملك فيها
والمبشرات ليست كذلك فالعارف لا يبالي بما فاته من الامر مع بقاء المبشرات
عليه واطال الشيخ في ذكر ذلك في الباب الثالث والعشرين وثلاثمائة
وقال في الباب الثامن والستين ومايتين اعلم ان الفرق بين وحي الاوليا
ووحي الانبيا ان الاوليا يشاهدون تنزل الارواح على قلوبهم لكن لا يرون
الملك النازل بخلاف النبي والرسول فان شهد الولي الملك لا يشهد القاه
عليه حال شهوده وان شهد الالقا لا يشهد الملك فيعلم انه من الملك من غير
شهود له فلا يجمع بين روية الملك والالقا منه الا نبي او رسول وبهذا يفرق
بين الولي والرسول وقد اغلق الله باب التنزل بالاحكام المشروعة وما
اغلق الله باب التنزل بالعلم بها على قلوب اوليايه الذي هو التنزل الروحاني
بالعلم وذلك ليكون الاوليا على بصيرة في دعايهم الى الله بها كما كان موتمهم
صلى الله عليه وسلم ولذلك قال الله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعني فهو اخذ لا يتطرق اليه لهمة قال الجنيد في معرض الثناء على

علم اهل الله تعالى ما ظنك بعلم علم الناس فيه تهمة فان علم غيرهم لا يكون
صاحبه على بصيرة لا في الفروع ولا في الاصول اما في الفروع فللاحتمال
في التاويل واما في الاصول فلما يتطرق للناظر في الدليل من الدخل
فيه من نفسه وغيره فهو تهم دليله لهذا الخلل وكان يقطع به قبل ذلك
واهل الله تعالى كلهم اهل بصاير وعلمهم كله من حق اليقين اي حق استقرار
في القلب فلا يزلزله شي عن مقره يقال يقن الما في الحوض اذا استقر
وهنا له يحصل له السكون والاستقرار ان اضيف الى النفس والعقل يقال
له علم اليقين وان اضيف الى الروح الروحاني يقال له عين اليقين وان
اضيف الى القلب الحقيقي يقال له حق اليقين وان اضيف الى السر الوجودي
يقال له حقيقة حق اليقين انتهى وقال في الباب الثامن والثلاثين
لما اغلق الله تعالى باب الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك من اشد
ما تجرعت الاوليا مرارته لانقطاع الوصلة بينهم وبين من يكون واسطتهم
الى الله تعالى فرحمهم الحق تعالى بان ابقى عليهم اسم الولي الذي هو من جملة
اسمايه تعالى وجبر المصيبتهم قال ولذلك نزع الله تعالى هذا الاسم من رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان وسماه بالعبد والرسول اللذان لا يليقان بالله
تعالى شرفا صلى الله عليه وسلم ان يزاحم الحق تعالى في التسمية واما وصفه
صلى الله عليه وسلم بروف رحيم فذلك خلعة من الله تعالى بيانا لشرفه من
وجه خاص ليغبط قوما خاصين قال ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من امته من يتجرع كاس انقطاع الوحي والرسالة جعل لخواص امته نصيبا
من الرسالة ليكونوا بذلك عبيدا اتباعا له صلى الله عليه وسلم اذ اشرف مقام
يضاف للعبد كونه عبد الله عز وجل فقال ليبلغ الشاهد الغايب فامرهم
بالتبليغ ليصدق عليهم اسم الرسل اذ الرسالة مخصوصة بالعبد وقال
صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها
يعني حرفا بحرف من غير تصرف بما فيها يبلغه كما تبلغ الرسل كلام ربهم
باللفظ اي بلغته الله اليهم بواسطة او بغيرها وما فاز بهذه الدرجة

وبتعاء

وبتعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحمة الا الذين يروون احاديثه
بالالفاظ التي سمعوها من غير زيادة لفظ فان من يروي الحديث بالمعنى
انما ينقل الينا صورة فهمه هو فكانه رسول نفسه ولا يحشر يوم القيامة
في صفوف الرسل الامين بلغ الوحي في كتاب او سنة بلفظه كما سمعه فالصحابة
انما نقلوا الوحي على لفظ رسول الله والتابعون رسل الصحابة وهكذا
جيلا بعد جيل الى يوم القيامة فان شينا قلنا عن المبلغ الينا انه رسول
الله وان شينا اضفناه لمن بلغ عنه وانما جاوزنا حذف الوسايط لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يخبره جبريل او ملك من الملايكة ولا يقول
فيه رسول جبريل ولا رسول الملك واطال في ذلك ثم قال فعلم ان
تسمية العبد بالولي ينقص من عبوديته بقدر هذا الاسم فمن اراد ان لا
ينقص ولينا من مقام عبوديته فليسمه محدثا بفتح الدال المهملة فانه
اولى له من اسم الولي انتهى فان قلت فهل جميع الاوليا يعرفون
الروح النازل عليهم فالجواب ليس كل الاوليا يعرفون ذلك فيرى
احدهم العلوم النازلة على قلبه ولا يدري ممن جاءته كما يقع للكهنة
واصحاب الزجر واصحاب الخواطر واهل الالهام فكل هولا يجدون العلم
في قلوبهم ولا يعرفون من جا به حقيقة والخواص يعرفون من جاءهم
ولذلك يتلقونه بالادب وياخذون عنه بالاذن رضي الله عنهم اجمعين
وقد قال الشيخ في الباب الثالث والتسعين من الاجوبة عن اسيلة الحكيم
الترمذي اعلم انه مما يختص به المحدثون من اهل الله كونهم يعرفون
حديث الحق تعالى معهم في نفوسهم لما هم عليه من الصفا وغيرهم لا يعرفون
قال وراس المحدثين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والناس كلهم من الامة
ورثته في ذلك فان قلت فمتى يحفظ الولي من التلبيس عليه فيما ياتيه
من وحي الالهام فالجواب يعرف ذلك بالعلامات فمن كان له في ذلك
علامة بينه وبين الله عرف الوحي الحق الالهامي الملكي من الوحي الباطل
الشيطاني وحفظ من التلبيس ولكن اهل هذا المقام قليل قال الشيخ

في الباب الثالث والثمانين ومايتين ومما غلط فيه جماعة من اهل الله عز
وجل كابي حامد الغزالي وابن سيد بون رجل بوادي است قولهم اذا
ارتقي الولي عالم العناصر وفتح لقلبه ابواب السما حفظ من التلبيس
قالوا وذلك لانه في عالم الحفظ من المردة والشياطين فكلما يراه هناك
حق قال الشيخ محي الدين وهذا الذي قالوه ليس بصحيح وانما يصح
ذلك ان لو كان المعراج باجسامهم مع ارواحهم ان صح ان احدا يرث رسول
الله صلي الله عليه وسلم في المعراج واما من عرج به بروحانيته وخاطره
بغير انفصال موت وجسده في بيته مثلا فقد لا يحفظ من التلبيس الا ان
يكون له علامة في ذلك كما مر واطال في ذلك ثم قال واعلم ان الشيطان
لم يزل مراقبا لقلوب اهل الكشف سوا كان احدهم من اهل العلامات
او لم يكن حرصا علي الاغوا والتلبيس لعلمه ان الله تعالي قد يخذل عبده
فلا يحفظه فيعيش ابليس بالترجي ويقول لعل وعسي فان راي ابليس
باطن العبد محفوظا وانوار الملايكة قد حفت به انتقل الي حس ذلك
العبد فيظهر له في صورة الحس او غيره امورا عسي ياخذ بها فاذا حفظ
الله تعالي قلب ذلك العبد ولم يجعل له علي باطنه سبيلا جلس تجاه قلبه
ينتظر غفلة تطرا عليه فاذا عجز عن ان يوقعه في شي يطلبه منه بلا
واسطة نظر في حال ذلك الولي فان راي ان من عادته الاخذ للمعارف
من الارض اقام له ارضا متخيلة فان ايد الله تعالي ذلك العبد رده
خاسيا لاطلاعه علي الفرق بين الارضين المتخيلة والمحسوسة وقد ياخذ
الكامل من ابليس ما القاه اليه من الله لا من ابليس فيرده ايضا خاسيا وكذلك
ان راي ابليس ان حال ذلك الولي الاخذ من السما اقام له سما مثل السما
التي ياخذ منها ويدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله
العارف بما قلناه في شان الارض المتخيلة والاصلية وان راي حال
ذلك الولي الاخذ من سدرة المنتهي او من ملك من الملايكة خيل له سدرة
منتهي مثلها او صورة ملك مثل ذلك الملك وتسمي له باسمه والقي اليه

ماعرف ان ذلك الملك يلقي اليه الله من ذلك المقام فان ذلك الشخص من
اهل التلبيس فقد ظفر به عدوه وان كان محفوظا حفظ عنه فيطرد
عنه ابليس ويرمي ما جابه وياخذ ذلك عن الله تعالي لا عن ابليس كما مر
ويشكر الله تعالي علي ذلك وان راي الشيطان ان حال ذلك الولي الاخذ
عن العرش او العما والاسماء الالهية القي اليه الشيطان بحسب حاله
ميزانا بميزان واطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث وثمانين ومايتين
فان قلت فهل يصح ان الحق تعالي يمكن بابليس في طريقة فيجعله
طريقا لوصول الخير لبعض العباد فالجواب نعم يصح ان الله تعالي يمكن
بابليس كما ذكره الشيخ في الباب الثامن وستين وعبارته واعلم ان الله
من مكر الله تعالي بابليس ان يلهمه ما به يكون فعل الخير مع العباد
بحيث يكون لا يشعر ابليس وذلك انه يوسوس في قلب العبد بلمته
فيخالفه العبد ويعمل بخلافه فيحصل له بمخالفة ابليس الاجر فلو علم
ابليس ان ذلك العبد يسعد بوسوسته تلك ما القاها اليه ابدا قال
وما رايت احدا من اهل الله نبه علي هذا المكر ابدا انتهي فان قلت
فما صورة وصول الاوليا الي العلم باحوال السموات فالجواب يصل الاوليا
لذلك بانجلا مراة قلوبهم كما يكشف عن احوال الجنة واهل النار الان
بحكم الارث لرسول الله صلي الله عليه وسلم لما راي الجنة والنار في صلاة
الكسوف وراي في النار عمرو بن لحي الذي سيب السوايب وصاحب
المحجن وصاحب الهرة التي حبسها حتي ماتت وفي بعض طرق الحديث
رايت الجنة والنار في عرض هذا الحايط انتهي والله تعالي اعلم

المبحث السابع والاربعون

في بيان مقام الوارثين للرسل من الاوليا رضي الله عنهم
اعلم ان عدد منازل الاوليا في المعارف والاحوال التي ورثوها من
الرسل عليهم الصلاة والسلام مايتا الف منزل وثمانية واربعون

الف منزل وتسعمائة وتسعة وتسعون منزلا لابد لمن حق له قدم الولاية
الكبرى ان ينزلها جميعها ويخلع عليه في كل منزل من العلوم ما لا يحصى
قال الشيخ محي الدين وهذه المنازل خاصة بهذه الامة المحمدية لم ينلها
احد من الامم قبلهم ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره ذكره في الباب
الثالث والسبعين من الفتوحات وقال في الباب التاسع والاربعين
وثلاثمائة كنت اظن قبل ان يطلعني الله تعالى على مقامات الانبيا من
حيث كوني وارثا لهم من الادب ان يقال فلان على قدم الانبيا ولا يقال
انه على قلبهم لان الاوليا على اثار الانبيا مقتدون ولو كانهم كانوا على
قلوب الانبيا لقالوا ما قالته الانبيا اصحاب الشرايع فلما اطلعني الله
تعالى على مقامات الانبيا علمت ان للاوليا معراجين احدهما يكونون
فيه على قلوب الانبيا ما عدى محمدا صلى الله عليه وسلم كما سياتي لكن من
حيث هم اوليا وملهمون فيما لا تشريع فيه والمعراج الثاني يكونون
فيه على اقدام الانبيا اصحاب الشرايع فياخذون معاني شرعهم بالتعريف
من الله ولكن من مشكاة نور الانبيا فلا يخلص الاخذ عن الله تعالى ولا
عن الروح وما عدا ذلك فانه يخلص لهم من الله تعالى ومن الروح القدسية
من طريق الالهام انتهى وقال في الباب الثامن والثلاثين والاربعمائة
اعلم ان ورثة الانبيا هم العلما والاوليا فالاوليا حفاظ الاحوال
والاحكام الباطنة التي تدق عن الافهام والعلما حفاظ الاحكام الظاهرة
التي تفهم ببادئ الراي وقد يرث هولاء ايضا الانبيا في الاحوال
الباطنة كما كان عليه السلف الصالح فكانوا اوليا علما فلما تخلف العلما
عن العمل بكل ما يعلمون سموا علما فقط وسلبهم الناس اسم الاوليا
والا فالعلما حقيقة هم الاوليا فعلى ما عليه الناس اليوم كل ولي عالم
عامل بلا شك وليس كل عالم وليا لانه قد يتخلف عن مقام العمل بما
علمه فالفقها على الحقيقة هم الاوليا لزيادتهم بعلم الاحوال على علم
المقال فان قلت فما الفرق بين الوارث المحمدي والوارث لغيره

من الانبيا فالجواب ان الفرق بينهما ان ورثة الانبياء اياتهم في الافاق
من خرق العوايد وغيرها واية الوارث المحمدي في قلبه فلذلك كان الوارث
المحمدي مجهولا في العموم معروفا في الخصوص لا غير لان خرق عادته انما هو
حال وعلم في قلبه فهو في كل نفس يزداد علما بربه حالا وذوقا لا يزال
كذلك كما مرت الاشارة اليه اول مبحث المعجزات وقال في الباب
التاسع والثلاثين واربعمائة من علامة الوارث المحمدي ان يشهد نفسه
خلف كل نبي ولو كان مائة الف نبي لراي نفسه في اماكن على عددهم فان
جميع الانبيا والرسل قد جمعت حقايقهم وشرايعهم في محمد صلى الله عليه وسلم
فمن امن به وصدق به فكانه امن بجميع الانبيا حقيقة ثم انه اذا
تعددت صورته خلف جميع الانبيا يعلم انه هو وليس غيره في كل صورة
واطال في ذلك وقال في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن
والخمسين اعلم ان هذه الدولة المحمدية جامعة لاقدام النبيين والمرسلين
فاي ولي راي قدما امامه في حضرة الحق تعالى فتلك قدم النبي الذي
هو له وارث واما قدم محمد صلى الله عليه وسلم فلا يطا احد اثره كما لا
يكون احد على قلبه وكما لا يكون احدا وارثا له على الكمال ابدا الا انه لو ورثه
على الكمال لكان رسولا مثله او نبيا بشريعة تخصه باخذها انتهى فان قلت
فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم العلما ورثة الانبيا اهل هم المحدثون او مطلق
العلما فالجواب المراد بهم كل من كان علمه لا يستقل به العقول ولا الحواس
بل تحيله من حيث نظرها وليس المراد بهم ما تستقل العقول والحواس بادراك
علمهم فان ذلك لا يكون وراثة فافهم نعلم انه لا يصح ميراث لاحد الا بعد
انتقال الموروث الى البرزخ لان كل ما حصل للعبد بغير انتقال لا يسمى
ارثا وانما يسمى هبة وعطية ومنحة يكون العبد فيها نايبا وخليفة لا وارثا
قال في الباب الثمانين والثلاثمائة ولا يخفى ان الارث كله يرجع الى
نوعين معنوي ومحسوس فالمحسوس هو الاخبار المتعلقة بافعاله
صلى الله عليه وسلم واقواله واحواله واما المعنوي فهو تطهير النفس

من مذام الاخلاق وتخلقها بمكارمها وكثرة ذكر الله عز وجل على كل حال
حضور ومراقبة فان قلت فمن هو اعظم الورثة من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام فالجواب كما قاله الشيخ في الجواب الثالث عشر من الباب
الثالث والسبعين ان اعظم الورثة الختمان واحدهما اعظم من الاخر فواحد
يختم الله به الولاية على الاطلاق وواحد يختم الله به الولاية المحمدية فاما
خاتم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو النبي بالولاية المطلقة
في زمان هذه الامة وقد حيل بينه وبين التشريع والرسالة فينزل في
اخر الزمان وارثا خاتما لا ولي بعده فنبوته مطلقة كما ان محمدا
صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة ولا نبوة تشريع بعده فعلم ان وان
كان بعده ومن اولي العزم وخواص الرسل فقد زال حكمه من هذا المقام بحكم
الزمان عليه الذي هو لغيره فيرسل وليا ذا نبوة مطلقة ويلهم بشرع
محمد صلى الله عليه وسلم ويفهمه على وجهه كالاوليا المحمديين فهو منا وهو سيدنا
فكان اخر الامر نبيا كما كان اول الامر نبيا فختمت النبوة بمحمد والولاية بعيسى
قال الشيخ واما خاتم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب من اكرمها اصلا
ويدا وهو في زماننا اليوم موجودا وقد اجتمعت به في سنة خمس وتسعين
وخمسمائة ورايت العلامة التي اخفاها الله تعالى فيه من عيون عباده وكشفها
لي بمدينة فاس حتى رايت خاتم الولاية المحمدية منه ورايته مبتلى بالانكار عليه
فيما يتحقق به في سره من العلوم الربانية واطال في ذلك ثم قال
واعلم ان الاوليا كثيرا ما يتكلمون بالخوارق فينبغي التسليم لهم ما لم يخرج
احدهم عن الشرع كان زعم احدهم ان الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام
فان ذلك يبطل اختصاص موسى واصطفاوه على الناس بالكلام وفي القران العظيم
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب الاية فان قلت
فلم سمي الانسان بشرا فالجواب سمي بشرا للمباشرة للامور التي تعوقه
عن اللحوق بدرجة الروح فلو انه خلص من العوائق لكلمه الله تعالى من حيث
كلم الارواح وارتفاع بشريته محال فاحزها بدق ولا ينقطع

ينقطع فلا يصح مكالمة الله تعالى كفاحا لاحد من الامة ولو ارتفعت رتبته
فان قلت فما الفرق بين الكلام والمحادثة والمناجاة فان اهل الله يمنعون
المكالمة دون المحادثة والمناجاة لان ليس فيهما سماع كلام الحق فهم كالمتهجدين
في الاسحار يناجون الحق ويسامرونه ويلهمهم الفهم عنه وبعض اهل الله يمنعون
المحادثة مع الحق ايضا لاحد من الاوليا ويقول المراد بحديث ان يكن من امتي محدثون
فعمر هو المناجاة فان قلت فما الفرق بين المحدثين من الاوليا والنبيين
فالجواب الفرق بينهما التكليف وحديث المحدثين لا تكليف فيه جملة
واحدة وانما يقع لهم الحديث فيما تنتجه الاحوال والمقامات واطال
الشيخ في ذلك الباب الثالث والسبعين فان قلت فما المراد بحديث
ان لله عبيدا ليسوا بانبيا يغبطهم الانبيا بمقاماتهم وقربهم من ربهم
فالجواب المراد بهم ارباب العلوم وارباب السلوك الذين اهتدوا
بهدي انبيائهم ولكن ليس لهم اتباع لعلو مقامهم فهم مستريحون يوم القيامة
لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا يخافون على انفسهم لما عندهم من الاستقامة ولا على
غيرهم لانهم ليس لهم اتباع ذكره الشيخ في الباب المذكور انفا فان قلت
قد راينا في كلام بعضهم تكفير الاوليا المحدثين بفتح الدال المهملة لكونهم
يصححون الاحاديث التي قال الحفاظ بضعفها فالجواب تكفير الناس للمحدثين
المذكورين عدم انصاف منهم لان حكم المحدثين حكم المجتهدين فكما يحرم على
كل واحد من المجتهدين ان يخالف ما ثبت عنده فكذلك المحدثون بفتح
الدال وكلاهما شرع بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ
محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين وقد وقع
لنا التكفير من علماء عصرنا لما صححنا بعض احاديث قالوا بضعفها قال
ونحن نعذرهم في ذلك لانهم ما قام عندهم دليل على صدق كل واحد
من هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظن فلو انهم وفوا النظر معهم
حقه لسلموا له كما يسلم للشافعي حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام
ومما اعتذروا به قولهم لو صدق القوم في كل ما يدعونه من نحو ذلك

لدخل الخلل في الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا
ان الصادق من هولا لا يضره سدنا لهذا الباب قال الشيخ محيي الدين
ونعم ما فعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالاجر التام
على ذلك ولكن اذا لم يقطعوا بان ذلك الولي يخطي في مخالفتهم فان قطعوا
بخطايه فلا عذر لهم فان اقل الاحوال ان ينزلوا الاولياء المذكورين منزلة
اهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى وكذلك قال الشيخ في اواخر الباب
الثالث والستين وثلاثماية ولفظه اعلم ان من عدم الانصاف من الناس
ايمانهم بما جا من اخبار الصفات على لسان الرسل وعدم ايمانهم بها اذا اتى بها
احد من خواص اتباعهم من العلما والاوليا من البحر واحد وبالتبع اذا لم يومنوا
بها اذا جاءت على يد الاوليا باحد وها على وجه الحكاية فان الانبيا كما جاوا
بما تحيله العقول وامن الناس به كذلك ينبغي الايمان به اذا جا على لسان الاوليا
فكثيرا ما تهب نفحة من نفحات الانبيا على قلوب اتباعهم تؤديهم الى الموافقة
في الالفاظ التي جاءت بها الرسل من صفات الباري جل وعلا فكما سلمنا في
الاصل فكذلك نسلم في الفرع بجامع الموافقة فاياك والنكران فانه حرمان انتهى
وقال ايضا في الباب الاحد وثلاثماية كثيرا ما ترد على اهل الكشف من الاوليا
امور لا تقبلها العقول وترمي بها واذا قالها النبي صلى الله عليه وسلم قبلت
ايمانا وتاويلا ولا تقبل من غيره وهذا من عدم الانصاف فان الاوليا اذا
عملوا بما شرع لهم هبت عليهم من تلك الامور الالهية التي قبلت من الانبيا فاذا
جابها ولي كفروه مع انهم يومنون بها عينها اذا جا بها النبي فما اعمى
بصيرة هولاء المنكرين واقل الامور ان يقولوا له ان كان ما تقول حقا
وانك خوطبت به او كشف لك عنه فاوله لنا فيقول تاويله كذا وكذا
ان كان من اهل التاويل وان كان ظاهريا فيقول قد ورد في الخبر النبوي
ما يشبه هذا فان ذلك ليس هو من شرط النبوة ولا حجره الشارع في كتاب
ولا سنة انتهى فان قلت فان سلمنا للاوليا ما جاوا به فما حكمه اذا خالف
ما جاءت به الرسل فالجواب حكمه الرد فان الولي اذا جا في كشفه
بما يخالف ما كشف للرسل وجب علينا الرجوع الى كشف الرسل وعلمنا ان
ذلك الولي قد طرا عليه في كشفه خلل لكونه زاد على كشفه نوعا من
التاويل بفكره فلم يقف مع كشفه فهو كصاحب الرؤيا يخبر بما راى وكشفه
صحيح ولكن اخطا في التعبير فان الكشف لا يخطي ابدا وانما المتكلم في مدلول
ذلك يخطي ويصيب الا ان كان يخبر عن الله تعالى في ذلك انتهى قال الشيخ
ابو تراب النخشبي رحمه الله اذا الف القلب الاعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة
في اولياء الله قال ولما علم العارفون من المجادلين بغير علم انهم لا بد لهم من
الانكار على الطايفة عدلوا على الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام
من اجل اهل الافك والالحاد الى الاشارة فكل اية او حديث له عندهم وجهان
وجه يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ليونسوا
بذلك المنكرين عليهم ولا يسمونه تفسيرا وقاية لشرهم وتشنيعهم وذلك
لجهلهم بمواقع خطاب الحق تعالى واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم فان الله تعالى
كان قادرا على ان ينص على ما تاوله اهل الله وغيرهم في كتابه ومع ذلك
ما فعل بل ادرج فيها بالخلص قال ولو ان هولاء المنكرين ينصفون
لاعتبروا في نفوسهم اذا نظروا في الاية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما
بينهم فيرون انهم متفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم على بعض في الكلام في
معنى تلك الاية مثلا ويقر الفاضل منهم لفضل الافضل والقاصر بفضل
غير القاصر فيها وكلهم في مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فلما اذا
ينكرون على اهل الله اذا جاوا بشي مما يغمض عن ادراكهم وذلك انهم يعتقدوا
فيهم انهم ليسوا بعلما وان العلم لا يحصل الا على يد المعلم المعتاد في عرفهم
وصدقوا فان اصحابنا ما حصل لهم العلم الا بالاعلام الالهي الرحماني
الرباني فهم عاكفون على حضرته ينتظرون ما يفتح الله على قلوبهم قال
تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى علم الانسان ما لم يعلم
وقال في الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم

لا يكون الا بالتعليم واخطاوا في اعتقادهم ان الله لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول
قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء والحكمة هو العلم وجاءت بتنوين وهي نكرة ولكن لما آثر
هولاء المنكرون الدنيا على الآخرة واثروا ما يتعلق بجانب الخلق على ما يتعلق بجانب
الحق وتعودوا اخذ العلم من الكتب وافواه الرجال الذين من جنسهم وراوا في زعمهم
انهم من اهل الله عز وجل بما علموا وامتازوا عن العامة حجبهم ذلك عن ان يعلموا
ان لله تعالى عبادا تولى تعليمهم في سرائرهم على يد ملك الالهام فعلمهم
معاني كلامه وكلام رسوله وهو تعالى هو العالم الحقيقي واطال في ذلك
ثم قال فلهذا صان اهل الله نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات فان
المنكرين لا يردون الاشارات واين هولاء المنكرون من قول علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه لو تكلمت لكم في تفسير الفاتحة لحملت لكم سبعين وقرا فهل هذا العلم
الا من العلم اللدني الذي اعطاه الله في القرآن اذ الفكر لا يصل الى ذلك وقد كان
ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول خطابا للمنكرين عليه في زمانه قد اخذتم
علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ، وكان الشيخ ابو مدين يقول
اذا سمع احدا ينقل فلانا عن فلان لا تطعمونا القديد اطعمونا اللحم الطري يرفع
بذلك همة اصحابه كانه يقول لا تحدثونا بفتوح غيركم وحدثونا بفتوحكم
الجديد في فهمكم لكلام الله او لكلام رسوله فعلم ان اهل الله تعالى ما وضعوا
الاشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح
في ذلك وانما وضعوها للدخيل بينهم حتى انهم لا يعرفونه ما هم فيه شفقة
عليه ان يسمع منهم شيئا لا يصل الى عقله القاصر فينكر عليهم فيحرم ذلك العلم فانه
قد جرب ان ما انكر احد شيئا على احد من العارفين الا وحرم ذلك الشي عقوبة
له واطال في ذلك ثم قال واصل الانكار كله الحسد المشتمل عليه النوع
البشري ولو ان الناس تركوا الحسد لنارت قلوبهم وادركوا علوم اهل
الله تعالى وقد بسطنا الكلام على ذلك في المقدمة اول هذا الكتاب
واطال الشيخ محيي الدين الكلام في ذلك في الباب الثلاثين من الفتوحات
المكية والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث

المبحث الثامن والاربعون

في بيان ان جميع ائمة الصوفية على هدى من ربهم وان طريقة الامام
ابي القاسم الجنيد رضي الله عنه اقوم طرق القوم كلها لتحريرها على الشريعة تحرير الجواهر
اعلم رحمك الله ان حقيقة التصوف فقيه عمل بعلمه لا غير فاورثه الله تعالى
بعلمه وبعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة واسرارها حتى صار احدهم مجتهدا في
الطريق والاسرار كما هو شان الائمة المجتهدين في الفروع الشرعية ولذلك شرعوا
في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الاولى زائدا
على ما صرحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك وابطلوا اي المجتهدوا
العبادات والمعقول بالاخلال بما اوجبوه وشرطوه وبارتكاب المحرمات هذا
شانهم رضي الله عنهم فما من احد منهم حق له قدم الولاية الا وهو مجتهد في
الطريق ليس عنده تقليد الآراء لما صرحت به الشريعة او اجمع عليه الائمة
فقط فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد لعالم فهو غير صادق وقد سمعت
سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول مدار الامر كمال الرجل عندنا في الطريق حتى
ياخذ العلم من حيث اخذه المجتهدون انتهى ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم
علمهم بالطرق الموصلة لهم الى العلم بالكتاب والسنة فاذا قلت لهم مقصودي
ان ازهد في الدنيا بحيث لا يبقى عندي ميل عادي لها يقولون لك اكثر من
ذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى يرق حجابك فتدرك الآخرة بعين بصيرتك
وتنظر ما لمن يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لابراهيم ابن ادهم
رضي الله عنه فاذا رايت ذلك زهدت لا محالة في الدنيا ولو قال لك جمهور
الناس ارغب في الدنيا لا تصغي لهم ولو انك قلت يا اخي ذلك لغيرهم لقال
لك ان الله تعالى امرك ان تزهد لا غير ولا يهتدي للطريق الى ذلك فحكمه
حكم طبيب يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف علاج المرض فعلم ان سبب
انكار بعض الناس على الصوفية انما هو دقة مداركهم ولو ان المنكر لزم الادب
لسلم للقوم كلما خالف فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا اجماعا وقد رايت

في كتاب الرعاية للشيخ عز الدين ابن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره
ما نصه كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها
التي لا تتزلزل قال ويؤيد ذلك ما يقع على يديهم من الكرامات والخوارق
ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم
انتهى * وقد بلغنا انه كان يقول قبل ذلك وهل ثم طريق للشريعة غير ما بايدينا
من المنقول ثم يقول من زعم ان ثم علما باطنا للشريعة غير ما بايدينا فهو باطني
يقارب الزنديق فلما اجتمع بالشيخ ابي الحسن الشاذلي بمصر المحروسه واخذ عنه
صار يمدح طريق القوم كل المدح ويقول انما طريق جمعت اخلاق المرسلين ولذا
كان يقول حجة الاسلام الغزالي رحمه الله مثل ما كان يقول الشيخ عز الدين اولا
فلما اجتمع بالصوفية وذاق طريقهم صار يقول ضيعنا عمرنا في البطالة اي في
الاشتغال بالفقه والاشتغال بالفقه ليس هو بطالة انما هو اساس للطريق
لان شرط اهل الطريق ان تكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة
ولا يعرف ذلك الا بالتبحر في علم الحديث والفقه والتفسير فقول الغزالي
ان الاشتغال بالفقه بطالة انما هو كلام صدر حال عشقه في طريق القوم
والعاشق حكمه حكم السكران ولو انه تامل في حاله لعرف ما قلنا لان الفقه
اساس الطريق وان غاية الصوفي انه عالم عمل بعلمه لا غير وقد كان سيدي
ابراهيم الدسوقي رحمه الله يقول لو ان الفقيه اتى العبادات والمامورات
الشرعية بغير علة كما امره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ولكنه اتى العبادات
بعلل وامراض فلذلك احتاج الى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفا ومن هنا
استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الاشياخ ولم ينقل عن
احد منهم انه دون شيا في علاج الامراض الباطنة لعدمها في عصرهم او قلتها جدا
حتى لا تكاد توجد وكان معظم اجتهادهم انما هو في جمع احاديث الشريعة والمطابقة
بينها وبين الكتاب العزيز وهذا اهم بيقين من اشتغالهم بعلاج امراض
لعلها لا توجد وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال لاي شي لم تدون
الائمة المجتهدين شيا في علم التصوف او لاي شي لم يشتغلوا بالذكر لتجلي

قلوبهم

قلوبهم كما تفعل الصوفية فانه لا يقول قطعا قل عن احد يعني من الائمة انه
يعلم من نفسه عجبا او ريا او غلا او حسدا او مكرا او خديعة ولا يشتغل بنفسه
ولاد ابدا ولو انهم علموا ان فيهم شيا من ذلك لقدموا علاجه على سائر الاعمال
من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة فانهم فقد بان
لك ان سائر ائمة الصوفية على هدى من ربهم كالائمة المجتهدين وانه لا ينبغي لاحد
ان يكون له كمال الا بعد ان يدخل طريقهم ويعرف مصطلحهم وجميع من شطح
عن ظاهر الشريعة انما هو دخيل فيهم او غلب عليه الحال او كان مبتديا في الطريق
واما الكاملون كالجنيد واضرابه فطريقهم محررة على الادب تحرير الذهب اذ هم
حماة الدين رضي الله عنهم اجمعين وانما خصصنا كغيرنا طريق الشيخ ابي الحسن الاشعري
في العقائد الدينية لكونها طريق ميل بين التفريط والافراط قال الجلال
المحلي ولا التفات لمن تكلم في الشيخ ابي الحسن من اهل الزيغ ويكفينا في امامته
وجلالته اكباب علما الاسلام من اهل التفسير والحديث والفقه والاصول على
الاعتماد على قوله في العقايد وكذلك يكفينا في امامة ابي القاسم الجنيد رحمه
الله اجماع الناس كلهم على جلالته وقولهم انه سيد الطايفة كلها علما وعملا وهو
جدير بذلك وقد كان يقول علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة انتهى وانما لم يذكر
القياس والاجماع وانما يفهم دلالتهما اذا وافقا قواعد الكتاب والسنة فاستغنى
الجنيد عن القياس والاجماع بذكر الكتاب والسنة وكان يقول ايضا اذا رايتم
شخصا متربعا في الهوى فلا تلتفتوا اليه الا ان رايتموه متقيدا بالكتاب
والسنة وكان يقول الطرق كلها مسدودة عن الخلق الا على المقتفين اثار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول لو حاكما لضربت عنق من يقول
لا موجود الا الله او ليس لي فعل مع الله لان ظاهر كلامه نفي غير الله وهدم
احكام التكاليف قال الجلال المحلي وغيره ولا التفات الى من رمى الجنيد
في جملة من رمي بالزندقة من الصوفية عند الخليفة جعفر المقتدر بالله تعالى
حتى امر بضرب اعناقهم وقد بلغنا انهم كلهم امسكوا الا الجنيد مع انه شيخ الجماعة

وذلك لانه كان يستر كلام اهل الطريق عن من ليس منهم وكان يتستر بالفقه
والافتاء على مذهب ابي ثور وكان اذا تكلم في علم القوم اغلق باب داره وجعل
مفتاحه تحت وركه وكذلك بلغنا عن الحسن البصري رضي الله عنه وكانا يقولان
اتحبون ان ترمى اوليا الله بالزندقة زورا وعدوانا عند من لا يعرف اصطلاحهم
ولم يبلغنا عن الجنيد انه تكلم بشي قط من الشطح كما نقل عن ابي يزيد وغيره كل ذلك
لكماله قال الجلال المحلي ولما بسط النطع لضرب اعناق الصوفية الذين امسكوا
تقدم من اخرهم الشيخ ابي الحسن النوري وقال للسياف اضرب عنقي قبل اصحابي
فقال له السياف لم ذلك قال لاوثر اصحابي بحياة ساعة فبهت السياف
وانهى الامر للخليفة فرد الامر للقاضي اسماعيل ابن اسحاق المالكي فسال النوري
عن مسايل فقهية فاجابه عنها ثم قال وبعد فان لله عبادا اذا قاموا قاموا
بالله واذا نطقوا نطقوا بالله فبكى القاضي وارسل يقول للخليفة ان كان هولا
زنادقة فليس على وجه الارض مسلم فخلى الخليفة سبيلهم رضي الله عنهم وحكى
ابن اعين في رسالته عن الامام احمد رضي الله عنه يقول انه كان في اول امره
ينهى ولده عن مجالسة الصوفية حتى نزل اليه جماعة منهم في الليل من السطح
فسالوه عن مسايل في الشريعة حتى اعجزوه ثم صعدوا في الهوى فمن ذلك الوقت
وهو يقول لولده عليك بمجالسة الصوفية فانهم ادركوا من خشية الله واسرار
شريعته ما لم ندركه وكان اذا عجز عن جواب مسيلة يقول للشيخ ابي حمزة البغدادي
ما تقول في هذا يا صوفي فما اجابه بشي اخذ به وحكى القشيري عن ابن سريج
انه كان ينكر على الجنيد فتنكر يوما حتى حضر مجلس الجنيد وهو لا يشعر فلما
انصرف الجنيد قالوا لابن سريج ماذا رايت من كلام هذا الرجل فقال لم افهم
من كلامه شيا الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل فعلم ان الانكار لم
يزل في العلما على الصوفية في كل عصر لدقة مداركهم لا لخروجهم
عن الشريعة في نفس الامر معاذ الله ان يقع الاوليا في ذلك وان جاز
ذلك في حقهم وقد بسطنا الكلام على في مقدمة الطبقات الكبرى
والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث التاسع والاربعون

في بيان ان جميع المجتهدين على هدى من ربهم من حيث وجوب العمل بكل ما ادى
اليه اجتهادهم واثبات الاجر لهم من الشارع وان اخطاوا على ما سياتي بيانه
ان شا الله تعالى واعلم يا اخي ان مبحث الجواب عن الايمة يكتفى فيه باي وجه
كان واما التحقيق فله مكان اخر فلا ينبغي الاعتراض علينا اذا بنينا هذا
المبحث على القول المرجوح بان كل مجتهد مصيب وسمعت سيدي
عليا الخواص رحمه الله يقول اعملوا على الجمع بين اقوال العلما ومن وصل الى
مقام الكشف وجد جميع الايمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة
في شي من اقوالهم وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة لانهم على
اثار الرسل سلكوا فكما انه يجب عليك يا اخي الايمان والتصديق بصحة كلما
جات به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهرا فكذلك
يجب عليك الايمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون وان خالف مذهب
امامك انتهى وقد تتبعت بحمد الله تعالى اقوال المجتهدين فلم اجد فرعا من فروع
مذاهبهم الا وهو مستند الى دليل اما اية او حديث او اثر او قياس صحيح على
اصل صحيح لكن من اقوالهم ما هو ماخوذ من المفهوم وماخوذ من ذلك الماخوذ
وهكذا فمن اقوالهم قريب واقرب وبعيد وابعد وكلها مقتبسة من شعاع
نور الشريعة التي هي الاصل ومحال ان يوجد فرع من غير اصل وايضاح ذلك
ان نور الشريعة المطهرة هو النور الوضاح وهو كلما قرب الشخص منه وجده
اقرب من غيره وكلما بعد عنه في سلسلة التقليد يجده اقل نورا بالنسبة
لما هو اقرب من عين الشريعة وهذا هو سبب تفاوت اقوال علما المذاهب
وتضعيف بعضهم كلام بعض الى عصرنا هذا فانا بيننا الان وبين الشارع نحو
خمسة عشر دورا واين من يخرق ببصره هذه الادوار كلها حتى يشهد اتصال
اقوال جميع الادوار بعين الشريعة وكان سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول
مثال عين الشريعة المطهرة التي يتفرع منها كل قول من اقوال المجتهدين ومقلديهم

مثال العين الاولي من شبكة الصياد ومثال اقوال علمايها مثال العيون المنتشرة منها في ساير الادوار فمن كشف الله تعالي عن بصيرته وادرك العين الاولي وما تفرع منها شهد جميع اقوال علما الاسلام بحق وشهدها كلها مرتبطة بالعين الاولي من العيون كارتباط الظل بالشاخص او كارتباط الاصابع بالكف وصوب ومن لم يكشف الله عن بصيرته خطأ ضرورة كلما زاد في مطمح بصره واخرجه عن الشريعة قال وعلي ما قررناه يتنزل القولان من ان كل مجتهد مصيب او المصيب واحد والباقي مخطي وبالاول قال جماعة من الاصوليين ومن المالكية ابو بكر ابن العربي وغيره وبالثاني قال الجمهور انتهي وقد كنت وضعت بحمد الله ميزانا اوضحت فيها ادلة هذين القولين ثم لما رايت الغالب علي اهل هذه المذاهب الاكباب علي قول امامهم وعدم التدين باقوال غيره الا لضرورة رغبت عنها وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما ثم لنا قول الا واصله مجمل من الكتاب والسنة ولولا ذلك ما قال الله تعالي لمحمد صلي الله عليه وسلم لتبين للناس ما نزل اليهم بل كان يكتفي بتبليغه للقران من غير بيان قال ولما كان من المعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة نابت الرسل عليهم الصلاة والسلام عن الحق تعالي في تفصيل ما اجمله تعالي في كتابه العزيز ونابت المجتهدون مناب الرسل عليهم الصلاة والسلام في تفصيل ما اجملوه في زمنهم وناب اتباع المجتهدين مناب المجتهدين فيما اجملوه في كلامهم وهكذا القول في كلام اهل كل دور من بعدهم الي وقتنا هذا يفصل كل اهل دور ما اجمله الدور الذي قبلهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الي لسان ولا وضع الناس علي تفسير بعضهم وشروحه حواشي بل ربما وضعوا علي الحواشي والسر في ذلك ان الشارع صلي الله عليه وسلم معصوم من الخطا ونقص المعاني وصحة الايرادات عليه وما كان ربك نسيا فانه لا يتكلم الا بوحي من ربه وغير الشارع بالعكس قال تعالي ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فعلم ان اهل كل دور رحمة علي من بعدهم كما ان للتابع من الخلف المنة علي

متبوعه من السلف من حيث عمله بعلم متبوعه وكتابة ثواب ذلك في صحايف سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم لكن من غير منة عليه صلي الله عليه وسلم بخلاف غيره من المجتهدين وغيرهم فافهم فلمحمد صلي الله عليه وسلم المنة علي المجتهدين ومقلديهم الي يوم القيامة فلولا التابع ما ظهر كمال المتبوع من الخلق في كل دور بحسبه فافهم وكذلك لولا بيان الشارع صلي الله عليه وسلم ما اجمل من القران باحاديث شريعته لبقي القران علي اجماله الي وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيف تاديه الصلاة ولا الطهارة ولا كنا نعرف بانصبة الزكاة ولا شرطها ولا واجبات الصيام والحج ولا مفسدهما ولا كيفية العقود والمعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم وكذلك لولا بيان المجتهدين ما اجمل في الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة علي اجمالها وهكذا الكلام من كل دور بعدهم الي يوم القيمة يفصل كل دور ما اجمل من كلام قبله ومن زعم ان المجتهدين عرفوا المجمل من القران بلا واسطة بيان السنة فليأتنا بمثال ذلك ولعله لا يجده وايضاح ذلك انه ليس لتابع علم من غير دايرة علم متبوعه ابدا كما ان كشف الاوليا لا يتعدي كتاب نبيهم وسنته ابدا وبتقدير انه ياتينا بعلم من طريق كشفه لا يجوز العمل به الا بعد عرضه علي الكتاب والسنة وموافقته لهما وفي سنن البيهقي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولي شريحا القضا قال له انظر فما تبين لك في كتاب الله عز وجل صريحا فلا تسال عنه احدا وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه رايك وان شيت فوامرني ولا اري موامرتك اياي الا اسلم لك انتهي وقد تبرا المجتهدون كلهم من القول في دين الله بالراي كما اوضحنا ذلك في مقدمة كتابنا المسمي بالمنهج المبين في بيان ادلة المجتهدين وهو كتاب ما صنف في الاسلام مثله فراجعه وملخص قولهم في ذلك ان البيهقي روي بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يقول اذا افتي الناس وهذا راي عمر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر ويقول استغفر الله وروي البيهقي ايضا عن عبد الله ابن العباس وعطا ومالك ومجاهد رضي الله عنهم انهم كانوا يقولون ما من احد الا وماخوذ من كلامه ومردود عليه الا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه كان يقول
لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي ان يفتي بكلامي وكان رضي الله عنه اذا افتي يقول
هذا راي النعمان بن ثابت يعني نفسه وهو احسن ما قدرنا عليه فمن جاء باحسن
منه فهو اولى بالصواب وكان يقول الامام مالك ما من احد الا وماخوذ من
كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم والبيهقي
عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه كان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي وفي
رواية اذا رايتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط
وقال يوما للمزني يا ابراهيم لا تقلدني في ما اقول وانظر في ذلك بنفسك
فانه دين وكان رضي الله عنه يقول لا حجة في قول احد دون رسول الله صلى
الله عليه وسلم وان كثروا ولا في قياس ولا في قول ولا ثم الا طاعة الله ورسوله
بالتسليم وقد نقلنا جميع ما نقل عنه من التبري من الراي في كراماته وكان
الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول ليس لاحد مع الله ورسوله كلام قلت
ولذلك لم يدون له كتابا في الفقه وجميع مذهبه الان انه ملفق من صدور الرجال
رضي الله عنه وبلغنا انه وضع في الصلاة ثلاثين الف مسئلة وساله رجل
عن مسئلة فقال لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الاوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم
وخذ الاحكام من حيث اخذوا من الكتاب والسنة انتهى وهو محمول على من اعطي
قوة الاجتهاد واما الضعيف فيجب عليه التقليد لاحد من الائمة والا هلك وضل
فان قلت فما دليل المجتهدين في استنباطهم الاحكام وهل لا وقفوا على حد
صريح ما ورد فالجواب دليلهم في الاجتهاد ما وقع من اجتهاده صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج في شان الصلوات من المراجعة بين موسى وبين ربه عز وجل فان الله
تعالى لما فرض على امة محمد صلى الله عليه وسلم الخمسين صلاة نزل بها الى موسى ولم
يقل شيا ولا اعترض ولم يقل هذا كثيرا فلما قال موسى عليه الصلاة والسلام
راجع ربك بقي عليه الصلاة والسلام متحيرا من حيث ان شفقته على امته تطلبه
بالتخفيف عنهم لئلا يقعوا في الضجر والسامة والكراهية من ثقل تلك التكاليف فلما بقي
حائرا اخذ يطلب الترجيح اي الحالين اولى وهذا هو الاجتهاد فلما ترجح عنده انه يرجع

ربه رجع الى قول موسى وامضى ذلك في امته باذن من ربه عز وجل وكان في
تشريع امته الاحكام باذن الله تانيسا لمحمد صلى الله عليه وسلم بما جرى منه لئلا
يتوحش مع ان ما جرى من محمد صلى الله عليه وسلم من التشريع فيه جبر القلب موسى
عليه السلام ايضا فان موسى لابد اذا رجع الى نفسه وخف عنه الحال الذي كان
عليه من وفور الشفقة يجد الله تعالى الذي كلف محمدا صلى الله عليه وسلم بالخمسين صلاة
ارحم بهم من موسى ويرى ان الخمسين كانت من اقل ما ينبغي لجلال الله عز وجل في
العبادة ولا يستكثرها على العبيد وعلم ايضا ان الله تعالى لو امضى عليهم الخمسين صلاة
فلابد انه كان يقويهم على فعلها فان القوة بيد الله تعالى ولا يكلف الله نفسا الا وسعها
ثم ان موسى عليه السلام لما قدم عليه في شان المراجعة جبر الله تعالى قلبه بقوله
تعالى ما يبدل القول لدي في اخر جعة وانه باطلاعه على ان القول قبل
ذلك كان معروضا يقبل التبديل ولذلك بهذا ما القول وعلم ان من القول الالهي
ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبله وعلم ان كلامه الذي كان ندم عليه من حيث
معارضته لما فرضه الحق تعالى العليم الخبير ما وقع منه الا حين كان القول معروضا
لا حين حق القول منه تعالى فعلم ان في تشريع الاجتهاد للائمة المجتهدين جبر القلب
محمد صلى الله عليه وسلم من حسن الاجتهاد فصار له اسوة بهم وصار لهم اسوة
به فهذا كان منشا اجتهاد المجتهدين قلت ومما اجرى الائمة على استنباط الاحكام
قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها فافهم
فان قلت فهل يجوز لاحد الطعن في قول المجتهدين فالجواب لا يجوز لاحد
الطعن في حكم المجتهد لان الشارع قد قرر حكم المجتهد فصار شرعا لله بتقرير
الله فمن خطا مجتهدا بعينه فكانه خطا الشارع فيما قرر حكما وهذه مسئلة
يقع في محظورها كثيرا من اصحاب المذاهب لعدم استحضارهم لما نبهناهم عليه
مع انهم عالمين به ذكره الشيخ في باب مسح الخف من الفتوحات وقال في
باب الوصايا منها اياكم والطعن على احد من المجتهدين وتقولون انهم محجوبون
عن المعارف والاسرار كما يقع فيه جهلة المتصوفة فان ذلك جهل بمقام الائمة
فان للمجتهدين القدم الراسخ في علم الغيوب منهم وان كانوا يحكمون بالظن فالظن

علم وما بينهم وبين اهل الكشف الا اختلاف الطريق وهم في مقامات الرسل
من حيث تشريعهم للامة باجتهادهم كما شرعت الرسل لاممهم انتهى وقال
في الباب التاسع والستين وثلاثمائة بعد كلام طويل في مدح المجتهدين اعلم ان
المجتهدين ورثة الانبيا حقيقة لانهم في منازل الانبيا والرسل من حيث الاجتهاد
وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اباح لهم الاجتهاد في الاحكام وذلك تشريع عن امر
الشارع فكل مجتهد مصيب من حيث تشريعه بالاجتهاد كما ان كل نبي معصوم وانما
تعبد الله تعالى المجتهدين بذلك ليحصل لهم نصيب من التشريع ويثبت لهم فيه
القدم الراسخ ولا يتقدم عليهم في الاخرة سوى نبيهم صلى الله عليه وسلم فتحشر علما
هذه الامة حفاظ الشريعة المحمدية في صفوف الانبيا والرسل لا في صفوف الامم
فما من رسول الا وبجانبه عالم من علما هذه الامة او اثنان او ثلاثة او اكثر وكل
عالم منهم له درجة الاستاذية في علم الاحكام والاحوال والمقامات والمنازلات
الى ان ينتهي الامر في ذلك لخاتم الائمة المجتهدين المحمديين الذي هو المهدي عليه السلام
انتهى وقال ايضا في باب الجنائز من الفتوحات انما امرنا الشارع صلى الله عليه
وسلم بالصلاة على اله وهم العلما بقوله لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم ليكون لاله الذين هم المجتهدون من الوحي مثل
ما كان لال ابراهيم الذين هم اسحاق ويعقوب ويوسف من التشريع بالاجتهاد دون ان
تفاوت المقامان قال وقد حقق الله رجاه صلى الله عليه وسلم وجعل الوحي للمجتهدين
في اجتهادهم اذ المجتهد لا يحكم الا بما اراه الله تعالى في اجتهاده ولذلك حرم الله على المجتهد
ان يخالف ما ادى اليه اجتهاده كما حرم على الرسل ان يخالفوا ما اوحي به اليهم فعلم
ان الاجتهاد نفحة من نفحات التشريع ما هو عين التشريع وان معنى اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم اي كما جعلت آل ابراهيم انبيا ورسلا
في المرتبة عندك بما اعطيتهم من التشريع والوحي فارحم آل محمد ومن رحمتك ان تجعل
خواص امتي مشرعين بالاجتهاد وقد وقع ذلك ولله الحمد فقد اشبه المجتهدون الانبيا
من حيث تقرير الشارع لهم كلما اجتهدوا فيه وجعله حكما شرعيا انتهى وقال
في الباب الحادي والستين ومائة اعلم ان جميع المجتهدين لهم في مقام الارث النبوي

القدم

القدم الراسخة لكنهم لا يعرفون انهم في ذلك المقام ولذلك ناظر بعضهم بعضا
لبس بان الامداد الالهية بالعلوم اليهم من هذا المقام فطلب كل واحد من صاحبه
ان يرجع لما ظهر له من الادلة من وجوب او ندب او تحريم او كراهة وكما انهم لا يعرفون
انهم في هذا المقام كذلك لا يعرفون ممن يستمدون كشفا ومشاهدة وانما يعرفون
ذلك بواسطة الادلة فكل مجتهد على حق لاستمدادهم كلهم من عين الشريعة كما ان كل
شي تقدم على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق والايمان بذلك واجب
فعلم ان المجتهدين من هذه الامة ورثة الانبيا في التشريع لكن لا يستقلون بشرع
معين لانه لولا المادة التي اعطاها لهم الشارع من شرعه ما قدروا على التشريع
المذكور فقد قامت لهم ادلتهم مقام الوحي للانبيا وكان اجتهادهم كاختلاف
شرايع الرسل الا انهم لا يلحقون بالرسل لعدم الكشف اليقيني فان احدهم
يحكم ثم يبدو له خلافه فيرجع عنه بخلاف الانبيا لا يتركون الحكم الاول بامر
جديد ورد عليهم من الله تعالى بنسخ حكمه فهم في حال عملهم وفي حال تركهم تابعون
لامر الشارع خارجون عن راي نفوسهم كما اشار اليه قوله تعالى لتحكم بين الناس
بما اراك الله وقال في خلافة داود ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فخص
سبحانه وتعالى حكم محمد صلى الله عليه وسلم وعينه بما اراه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولم يقل له احكم بما رايت بل عتبه بما حرم باليمين ما حرم على نفسه في قضية
عايشة وحفصة تشريعا لنا يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات
ازواجك فكان هذا من جملة ما ارته نفسه عين الشريعة وبين ان المراد بقوله
بما اراك الله اي بما يوحى به اليك لا ما تراه من رايك فلو كان الدين بالراي
لكان راي رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى من كل راي واطال في ذلك في
الباب الثامن وثلاثمائة ثم قال واذا كان العتب وقع على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما ارته نفسه فكيف براي من ليس بمعصوم والخطا اقرب اليه من الاصابة
واطال في ذلك ثم قال وقد دلني هذا على ان المراد بالاجتهاد الذي ذكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو الاجتهاد في طلب الدليل على نفس الحكم في المسألة الواقعة
لا في تشريع حكم في النازلة من قبل نفس المجتهد فان ذلك شرع لم ياذن به الله

فان قلت فمما اشتق الاجتهاد فالجواب انه ماخوذ من الجهد وهو بذل
الوسع لا يكلف الله نفسا الا وسعها ومن هنا عمّم بعضهم الحكم في حصول الاجر للمجتهد
اذا اخطا ولو في الاصول ولكن الجمهور خصّوا الاجر بمن اخطا في الفروع دون
الاصول مع ان تخصيص الخطا بالفروع هو من الاجتهاد ايضا وقد قرر الشارع
كل علم حصل بواسطة الاجتهاد وجعله حكما شرعيا في حق المجتهد يحرم عليه
مخالفته فان قلت فهل تقرير الشارع في حق المجتهد يحرم نقضه للقيمة
فالجواب نعم لا يجوز لاحد نقضه وقد ارسل الامام الليث ابن سعد سؤالا
للامام مالك يطلب جوابه فكتب اليه الامام مالك اما بعد ذلك فانك يا اخي
امام هدي وحكم الله في هذه المسئلة ما ادي اليه اجتهادك انتهي فان قلت
فاذا كان كل مجتهد مصيبا عندكم فما الجواب عن حديث اذا اجتهد الحاكم
واخطا فله اجر وان اصاب فله اجران فالجواب ان المراد بالخطا في هذا
الحديث عدم مصادفة المجتهد الدليل الوارد في تلك المسالة من الكتاب
او السنة فهذا له اجر واحد وهو اجر التبع ولو انه كان وجد الدليل لكان
له اجران اجر المتابعة واجر المصادفة للدليل هكذا اجاب ابن حزم الظاهري
وغيره وقد قال الشيخ محيي الدين في الكلام علي صلاة الكسوف من الفتوحات
ان الخطا الواقع للمجتهد بمنزلة الكسوف الواقع للشمس نهارا والقمر ليلا فكما لا
اعتبار بذلك كذلك لا وزر علي المجتهد اذا اخطا في الحكم بل هو ماجور
هذا علي ان المراد بخطاء المجتهد ليس خطاوه في نفس الحكم كما هو المتبادر
الي الاذهان اما علي ما قاله ابن حزم فلا يصح خطا المجتهد في الحكم لانه لو صح
خطاوه في الحكم لخرج عن الشرع واذا خرج عن الشرع فلا اجر فافهم فان قلت
فهل الاجتهاد خاص بهذه الامة المحمدية ام هو فيها وغيرها وهل هو باق
باقٍ الي يوم القيامة ام لا فالجواب هو خاص بهذه الامة كما صرّح الشيخ
في الفتوحات وهو باق الي يوم القيامة حتي يخرج المهدي عليه السلام فهو اخر
مجتهد قال الشيخ محيي الدين في كتاب الجنائز من الفتوحات واذا بلغ المريد مرتبة
الاجتهاد المطلق حرم عليه الرجوع الي قول شيخه لان دليله صار اوضح من دليل

شيخه

شيخه فان قلت فهل الاولي ان يسمي ما شرعه المجتهد سنة او يقال بدعة
حسنة فالجواب ان يقال سنة حسنة واما قول الامام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في التراويح نعمة البدعة فلا يقدح في ذلك فان قوله ونعمت البدعة
هي مدحة لها فرجعت الي انها حسنة فان قلت فعلي ما قررتموه من أنّ
الاجتهاد خاصّ بهذه الامة يشكل عليه قوله تعالي ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فانه كالصريح ان الاجتهاد كان
في الامم قبلنا لانه من جملة ما يقرّ الله به من عباده وذلك يقتضي العموم فالجواب
ليس اجتهاد الامم كاجتهادنا لعدم تقرير نبيهم لهم علي ذلك بخلاف نبينا فانه
اقرّنا علي ذلك فصار اجتهادنا من شرعه بتقريره فلم يشبه اجتهادنا اجتهادهم
لانّ اجتهادهم من باب القوانين العقلية بخلاف اجتهادنا وقال بعضهم
لا فرق بين اجتهادنا واجتهاد الامم قبلنا لانهم ما ابتدعوا تلك الرهبانية
الا باجتهاد منهم وطلب مصلحة عامة او خاصة تقتضيها ادلة شرعهم
ويويد ذلك كون الحق تعالي اثني علي من رعاها حق رعايتها وما اثني عليه الا
لحسن القصد والنية مع انهم انما شرعوها لانفسهم لا للناس قال وعلي هذا
في الاية تقديم وتاخير تقديره فما رعوها حق رعايتها الا ابتغاء رضوان الله
يعني فما رعوا الا من حيث قلة مراعاتهم لما ابتدعوها الا بغي انتهي وذكر نحو
ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة فليتامل ويحرر
فان قلت فاحكم من قلد مجتهدا من علماء الامة هل يكون بذلك معدودا
من ورثة الانبياء ام هو وارث لذلك المجتهد فقط فالجواب هو وارث
لذلك العالم فقط وهو مع ذلك معدود من اتباع النبي صلي الله عليه وسلم
ايضا لان ذلك من جملة شرعه وكلامنا فيما لم يكن فيه نص عن الشارع اما
ما فيه نص فلا يدخله الاجتهاد ابدا كما اذا نص الشارع علي تحريم شيء
او وجوبه او استحبابه او كراهته فلا سبيل لاحد الي مخالفته انما هو
السمع والطاعة والتسليم فلو قدر ان مجتهدا خالف النص باجتهاده حرم
علينا العمل بقوله وتامل قوله صلي الله عليه وسلم لما خطب في قصة تزويج

علي علي فاطمة ابنة ابي جهل ان فاطمة بضعة مني يسوءها ما يسوءني ويسوءني
ما يسوءها وانه ليس لي تحريم ما احل الله ولا تحليل ما حرم الله ولكن اذا اراد
ابن ابي طالب ذلك يطلق ابنتي فوالله ما تجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول
الله تحت رجل واحد ابدا فما طلب صلى الله عليه وسلم مع معرفته الى هذا الوجه
الالهي الا ابقا ما هو محرم على تحريمه وما هو محلل على تحليله فلم يحرم على
علي ابنة ابي جهل اذ كان ذلك حلالا له وانما قال ان اراد ابن ابي طالب
ذلك الى اخره فرجع ابن ابي طالب عن ذلك فلو انه كان لاحد من المجتهدين ان
يحرم ما احله الله باجتهاده لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بذلك وما
فعل مع ان له الكشف الاتم والحكم الاعم صلى الله عليه وسلم ذكره الشيخ في
الباب الثاني ومايتين من الفتوحات فان قلت فما المراد بالعلما ورثة
الانبيا هل هم الاوليا او الفقها فالجواب المراد بهم العلما العاملون الجامعون
بين القال والحال كما كان عليه علما السلف في الزمن الماضي فان حقيقة الصوفية
هم علما عملوا بعلمهم وتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق فلما تخلى الناس
عن العمل سماهم الناس فقها لا صوفية وانما قال ورثة الانبيا ولم يقل
ورثة نبي خاص لان كل عالم على قدم نبي ممن تقدم ومن ورث محمد صلى الله
عليه وسلم نال الحظ الاوفر من ارث جميع الانبيا ودليل ما قلناه قوله
تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فانه ذكر ان الارث على
قسمين وزادهم قسما ثالثا وهو الظالم لنفسه والمراد به من ظلم نفسه
لمصلحة دينه وطلبا للثواب فحملها مشاق التكليف التي لم يوجبها الله
تعالى عليه حتى يسعدها في الاخرة وذلك كحال ابي الدردا وغيره
من الرجال الذين صاموا فلم يفطروا وقاموا الليل فلم يناموا فاخذوا
بالعزايم دون الرخص فعلم ان الشريعة تشمل هذا القسم الثالث لتقرير
الشارع لصاحبه على فعله وان كان ثم فوقه مقاما اكمل منه كما اشار اليه
حديث ان لنفسك عليك حقا الى اخره فان من ذكر في الاية ما ظلم
نفسه الا ابتغا مرضات الله فاحتقر عملها من جانب ما عليه من حقوق الربوبية

وكذلك

وكذلك تشمل الشريعة الظالم لنفسه على المعاصي اذا مات على الاسلام لانه
مصطفى للعموم بالنسبة للكفار قلنا مصطفى في الخصوص ومصطفى في العموم
فافهم انتهى وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اكمل الورثة
للانبيا هم المجتهدون رضي الله عنهم لظهور قيامهم بالارث بتعليم شريعته للناس
والفتوى بها بخلاف الصوفية عرفا انما هم معدون لتعليم الاخلاق الباطنة في
الغالب ايضا وسمعته ايضا يقول المجتهد المطلق هو الوارث الحقيقي للشارع
امر ان يعمل بكل ما ادى اليه اجتهاده وسمعته يقول ايضا الاجتهاد وان كان
مبناه على الظن فقد يكون منتهاه الى علم اليقين او عين اليقين او حق اليقين انتهى
فان قلت فما حقيقة هذه العلوم الثلاثة فالجواب حقيقة علم اليقين
انه هو الذي اعطاه الدليل الصحيح الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وحقيقة
عين اليقين هو ما اعطته المشاهدة والكشف وحقيقة حق اليقين هو كلما حصل
في القلب من العلم بباطن ذلك الامر المشهود مثال علم اليقين علم العبد بان الله
تعالى بنى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون
به فاذا وصل اليه العبد وشاهده فهو عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم
يقين لانه حصل في النفس عند رؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا
ثم ان الله تعالى لما فتح عين بصيرة هذا العبد حتى شهد وجه اضافة ذلك
البيت الى الله وخصوصيته على غيره من البيوت علم بعلم الله تعالى تلك الخصوصية
فكان علمه حق اليقين لكون ذلك ليس بنظر واجتهاد فان حق اليقين هو الذي
حق استقراره في القلب فلم يكن يزل بعد ذلك بدليل اخر كما كل علم يقين
او عين يقين لا يحق له هذا الاستقرار والا فان يقين الانبيا من يقين
احاد الامة يقال يقن الما في الحوض اذا استقر فان قلت فهل يقدح
في علم اليقين وجود اضطراب من قبل الاسباب فالجواب ان كان الاضطراب
من الوقوف مع الاسباب دون الله قدح ذلك في علم اليقين وان كان هو في
النفس في ازالة ذلك الاضطراب الى جناب الحق دون الاسباب فلا يقدح
ذلك في علمه لاعتقاده ان الحق تعالى هو الفاعل فان شا ازال ذلك الامر

بالاسباب اي عندها وان شا ازاله بغير ذلك فصار متعلق اليقين الاعتماد
على الجناب الالهي دون الاعتماد على الاسباب ذكره الشيخ في الباب الثاني والعشرين
ومائة فقد بان لك عبدا ان اباحنيفة ومالكا والشافعي واحمد وسفيان والاوزاعي
وداود وساير ائمة المسلمين على هدى من ربهم وان مذاهب الائمة كلها ماخوذة
من الكتاب والسنة سداها ولحمتها منهما ووجب عليك في ان تعتقد جزما ان ساير
ائمة المسلمين على هدى من ربهم اما كشفا ويقينا واما نظرا واستدلالا واما ادبا
وتسليما وما بقي لك عذرا في تخلفك عن هذا الاعتقاد فان بعض الناس يقول ذلك
بلسانه فقط دون قلبه ومصداق ذلك انه اذا اضطر الى العمل بقول احد
غير امام مذهبه يلحقه بذلك حصر وضيق حتى كانه قد خرج عن الشريعة فاين
دعواه انه يعتقد ان ساير ائمة المسلمين على هدى من ربهم فان من فعل الرخصة
بشرطها فهو على هدى من ربه فيها ايضا وبالجملة فلا يصل الى اعتقاد ان ساير ائمة
المسلمين على هدى من ربهم جزما ويقينا الا من سلك طريق القوم وقطع منازلها
حتى وقف على العين الذي يستمد منها جميع المجتهدين وقد وضعت
في تقرير مذاهب جميع المجتهدين ميزانا عظيمة تعلمتها من مولانا ابي العباس
الخضر عليه السلام فمن شا فليراجعها والله عليم حكيم

المبحث الخمسون

في بيان كرامات الاوليا حق فهي نتيجة العمل على وفق الكتاب والسنة فهي فرع المعجزات
وان كل من لم يخرق العادات في العلوم والمعارف والاسرار واللطايف وفي المجاهدات
وكثرة العبادات لم يخرق له العادات اعلم انه قد تقدم في مبحث المعجزات
ان كرامات الاوليا ثابتة شايعة بين اهل السنة والجماعة وانما انكرها اكثر
المعتزلة لعدمها فيما بينهم وذلك من ادل دليل على انهم اهل بدعة كما تقدم
بسطه في المبحث المذكور ومن شبه المعتزلة في انكارها قولهم لو جوزنا وقوعها
على يد الاوليا لعجزنا عن الفرق بينها وبين المعجزة والجواب لا تعجيز لان المعجزة
هي التي ظهرت وقت الدعوى بخلاف الكرامة فان صاحبها لا يتحدى بها ولو اظهرها

وقت الدعوى لكانت شعبذة ثم ان ذلك يودي الى انكار كرامة السيدة مريم
ونقل عرش بلقيس ونحوهما مما ثبت في الكتاب والسنة وكان ابو منصور الماتريدي
رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب المعجزة مامون من الاستدراج
وصاحب الكرامة لا يامن ان يكون حاله كحال بلعام بن باعورا قال وانما انكرت
المعتزلة الكرامة بناية منهم على ان الفعل الخارق انما يكون معجزة بمجرد خرق
العادة فقط وليس كذلك بل ينضم الى خرق العادة التحدي بالنبوة والاقتران
بدعوى النبي الا ترى ان ايات الساعة خارقة للعادة وليست بمعجزات وسمعت
سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الكمل يخافون من وقوع الكرامات على يديهم
ويزدادون بها وجلا وخوفا لاحتمال انها تكون استدراجا ومعجزات الانبيا
تزيد قلوبهم تثبيتا لعصمتهم عن وقوع الاستدراج لهم وايضا فان الانبيا يحتجون
على المشركين بالمعجزات والاوليا يحتجون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولقلوبهم
لتطمين واجمع القوم على ان كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات
لا بد ان تخرق له العادة اذا شاها وكان الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يقول
من اصدق دليل على صحة طريق الصوفية واخلاصهم في اعمالهم ما يقع على يديهم من
الكرامات والخوارق قال ومن الدليل على اثبات جواز وقوع الكرامات كونها افعالا
خارقة للعادة فاذا لم تود الى سد باب النبوة جاز ظهورها على ايدي الاوليا
كجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورويته جيشه وهو في الجيش
بينها وبين العجم وهو على المنبر بالمدينة المشرفة حتى قال لامير الجيش يا سارية
الجبل يا سارية الجبل محذرا له من وراء الجبل لمكر العدو به هناك وفي ذلك
كرامات احداها رويته سارية مع بعد المسافة والثانية اسماع سارية كلامه
كذلك وكشرب خالد ابن الوليد السم من غير تضرر به وكقلب العصا
ثعبانا واحيا الموتى باذن الله ونحو ذلك من الخوارق قال الاستاذ ابو
القاسم القشيري رحمه الله ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد ولا الى قلب
جماد بهيمة قال ابن السبكي وهذا حق يخصص به قول غيره ما كان معجزة لنبي
جاز ان يكون كرامة لولي بما اذا ظهر الولي بحكم التبع لا بحكم الاستقلال

من غير اتباع الشرع وبا اذا لم ينقل النبي هذه المعجزة لاتكون لاحد بعدي
وبالجملة فمن عاشر الصالحين بالصدق وخالطهم راى كراماتهم عيانا وعرف صدقهم
فان قلت فهل يجب على الانسان الايمان بالكرامة على يديه كما يجب عليه
الايمان اذا وقعت على يد غيره فالجواب نعم كما صرح به اليافعي رحمه الله قال
ولا فرق بين وقوعها على يده او على يد غيره فان قلت فهل يستحب
للولي ان يحمي نفسه بالحال والكرامة فالجواب نعم صرح به سيدي ابراهيم المتبولي
رضي الله عنه وقال ان كان نقصا في المقام فهو كمال في العلم انتهى فان قلت
فاذا ادعى شخص غريب لانعرف له ابا انه خلق من تراب كما وقع لادم عليه السلام
هل لنا تصديقه فالجواب نعم نصدقه لانه غايته انه ادعى ممكنا لم يرد الينا
نفي وقوعه لنا ولا انه خاص بادم عليه السلام هكذا اجاب بعضهم فليتامل
فان قلت ان الكرامات قد تشبه السحر فما الفارق بينهما فالجواب كما قاله
رحمه الله وغيره من المحققين الفارق بينهما كون السحر يظهر على يد الفساق والزنا
والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة واما الكرامة فلا تقع الا على يد من بالغ
في الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية فهذا هو الفارق بينهما قال اليافعي والناس
في انكار الكرامات على اقسام فمنهم من ينكرها مطلقا وهم اهل مذهب مشهور
ومنهم من يصدق بكرامات من مضى من الاولياء ويكذب بكرامات اهل زمانه فهؤلاء
كبني اسرائيل فانهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حين
راوه حسدا وعدوانا ومنهم من يصدق بان لله تعالى اولياء في عصره ولكن لايصدق
باحد معين فهذا محروم من جميع الامداد في عصره وبعضهم اذا راى احدا من اولياء
زمانه متبعا في الهوى قال هذا استدراج للحق لاولاية واطال اليافعي في
ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغي لاحد التوقف في الايمان بكرامات الاولياء
لانها جائزة عقلا وواقعة نقلا اما جوازها عقلا لانها من جملة الممكنات
التي لاتستحيل على القدرة الالهية وبذلك قال اهل السنة والجماعة من المشايخ
العارفين والنظار والاصوليين والفقها والمحدثين رضي الله عنهم اجمعين واما
وقوعها نقلا فمن ذلك قصة مريم عليها السلام في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا

المحراب

المحراب وجد عندها رزقا الاية وفي قوله تعالى لها ايضا وهزي اليك بجذع
النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان ذلك في غير اوان الرطب ومن ذلك كلام
كلب اهل الكهف معهم وقصة اصف ابن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش
بلقيس وقوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكل هؤلاء ليسوا بانبيا
ومن ذلك كلام الطفل لجريج الراهب حين قيل له من ابوك قال فلان الراعي ومن
ذلك قصة اصحاب الغار الثلاثة الذين دعوا الله عز وجل بصالح اعمالهم فانفجرت
عنهم الصخرة التي لايستطيع الجم الغفير ان يزحزحها عن فم الغار ومن ذلك كلام
البقرة التي حمل عليها صاحبها المتاع وقولها اني لم اخلق لهذا وانما خلقت
للحرث كما في الصحيحين ومن ذلك ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه اكل مع ضيفانه
فكان كلما اكل لقمة من تلك القصعة يربو من اسفلها اكثر منها حتى شبع الضيوف
وهي اكثر مما كانت قبل الاكل بثلاث مرات ومن ذلك استجابة دعوة سعد بن ابي
وقاص في الرجل الذي كذب عليه كما في الصحيحين وكان يقول اصابتني دعوة سعد
ومن ذلك ما رواه ابو نعيم في الحلية ان عون ابن عبد الله ابن عتبة كان اذا نام
في الشمس ظللته الغمام ومن ذلك حديث البخاري في قصة خبيب حين كان اسيرا
بالحديد وكانوا يجدون عنده العنب وما بارض مكة يومئذ عنب ومن ذلك
قصة الرجل الذي سمع صوتا في السحاب يقول اسق حديقة فلان كما في الصحيح
ومن ذلك قصة العلاء حين ارسله صلى الله عليه وسلم في غزاة وحال بينه وبين
الجيش وبين عدوهم قطعة من البحر فدعا الله تعالى ومشوا كلهم بخيلهم ودوابهم
على الما ومن ذلك تسبيح القصعة التي اكل منها وابو الدردا حتى سمع تسبيحها
الناس الحاضرون روى هذا والذي قبله الحافظ ابو نعيم وغيره ومن ذلك
ان عمران ابن حصين كان يسمع تسليم الملائكة عليه ومن ذلك ما رواه ابو نعيم
عن عبد الله ابن شقيق انه كان اذا اجرت عليه سحابة يقول لها اقسمت عليك
بالله الا ما امطرت علينا فتمطر في الحال ومن ذلك ان عامر بن عبد قيس
كان يعطي عطاوه فيضعه في حجره فيصير يقبض منه ويعطي الناس حتى
يصل الى داره فيعده فيجده لم ينقص منه شي ومن ذلك ان عبد الرحمن بن ابي

نعم بلغ الحجاج انه يمكث خمسة عشر يوما بوضوء فامر باحضاره وحبسه في بيت
خمسة عشر يوما ثم فتح الباب عليه فاذا هو قايما يصلي بالوضوء الذي دخل به
الحبس ومن ذلك ان حارثة ابن النعمان الصحابي كان يقول لعياله في كل شيء
احتاجوا اليه ارفعوا الفراش وخذوا حاجتكم فيرفعونه فيجدونها ولم يكن
تحت الفراش قبل ذلك شيء وبالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من الكرامات ما يبلغ حد الاستفاضة وقد سئل الامام احمد بن حنبل
رضي الله عنه لو لم يسمع عن الصحابة من كثرة الكرامات كما اشتهر عمن بعدهم فاجاب
لان ايمانهم كان في غاية القوة بخلاف ايمان من بعدهم فكلما ضعف ايمان قوم كثرت
كرامات اوليا عصرهم تقوية ليقين الضعفا منهم انتهى ويؤيد ذلك قول الشيخ
ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان مريم عليها السلام كان يتعرف اليها في بدايتها
بخرق العوايد بغير سبب تقوية لايمانها وتكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها
زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوي ايمانها ويقينها ردت الى السبب لعدم
وقوفها معه فقيل لها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا
انتهى فان قلت اذا كان الحق تعالى خلاقا على الدوام يوجد كونا بعد كون
فما ثم عوايد تنخرق انما هو خلق جديد فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الستين
وثلاثمائة والامر كذلك ونقله عن المحققين من اهل الكشف ولفظه اعلموا انه ليس
عند المحققين عوايد فتنخرق ابدا وانما هو ايجاد كواين وما ثم في نفس الامر عوايد
تنخرق لعدم التكرار في الوجود فما ثم هناك ما يعود وانما خرق العوايد في
ابصار العامة فقط والى ذلك الاشارة بقوله تعالى بل هم في لبس من خلق
جديد اي من الصفات لا في الذوات افهم انتهى وقال في الباب الثاني
والخمسين وثلاثمائة اعلم ان اكابر الاوليا يشهدون كونهم في حال خرق العادة
في عين العادة فلا يشهدهم الناس الا وهم اخذون من الاسباب ولا يفرقون بينهم
وبين العادة بخرق العوايد الظاهرة ولا يشمون من هذا المقام شمة لانهم
آخذون من الاسباب مع الوقوف معها فما زالت الاسباب عنهم وانما خفيت
عليهم لانه لا بد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هي سبب عين

وجود ذلك المطلوب فيغرف او يقبض بيده من الهوى ذهبا او سكرا ونحوهما فلم
يكن الا عن سبب من حركة يده وقبض وفتح فما خرج عن سبب لكن لكونه غير معتاد
سموه خرق عادة انتهى فان قلت فهل كرامة كل ولي تكون تبعا لمن هو
وارثه من الانبيا ام هي غير متوقفة على ارث فالجواب لا يكون قط كرامة
لولي الاتبعا لمن هو وارثه من الانبيا ولذلك كان خواص هذه الامة يمشون في
الهوى وخواص قوم عيسى يمشون على الما دون الهوا فكل وارث لا يتعدى
كرامة مورثه فلا يقال كيف قال النبي صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام
لو ازداد يقينا لمشى على الهوى مع ان عيسى عليه السلام اقوى يقينا من خواص هذه
الامة الذين مشوا على الهوا لما لا تقارب لانا نقول ان الخواص منا ما مشوا
على الهوا الا بحكم التبعية لنبيهم صلى الله عليه وسلم فانه اسري به محمولا في الهوى
فما كان مشي الخواص منا على الهوى لزيادة يقينهم على يقين عيسى عليه السلام وانما
كان لصدق التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم فنحن مع العوايد التي اقتضواها وورثنا
فيها بحكم الصدق للتبعية لا غير الا ان المماليك الذين يمسكون نعال استاذيهم
من الامرا يدخلون مع استاذيهم على السلطان وغيرهم من الامرا واقف على الباب
حتى يوذن لهم بالدخول ومعلوم ان الامرا ارفع مقاما عند السلطان من المماليك
فما دخل المماليك الا بحكم التبعية لاستاذيهم لا لشرفهم على الامرا انتهى ذكره
الشيخ في الباب الثالث والثلاثين من الفتوحات فان قلت فما المراد لهم
في ترجمة المبحث ان الكرامات فرع المعجزات فالجواب مرادنا انها فرع الحال
النبوي فلا تقع كرامة لولي الا ان كان صحيح الحال والحال هو ما يرد على القلب
من الكسب ولذلك يقتل صاحب الحال بالهمة ويعزل ويولي كما عليه بعض الطوايف
بافريقية فان قلت فهل هذا الحال خاص باهل الاسلام فالجواب
نعم هو خاص باهل الاسلام وان وقع لبعض المشركين انه مشى في الهوى او
قتل بالهمة فذلك باستعماله عقاقير واوزان معلومة فيفعل بها ما اراد
وهذا بخلاف حال اهل الله عز وجل والفارق بين الحالتين ان اهل الله عز
وجل لا يحصل لهم هذا الحال الا بعد المبالغة في اتباع السنة بخلاف الكفار

فان حكم حالهم حكم شرب الدوا المسهل فيفعل ما وضع له بالخاصية لا بالمكانة عند الله عز وجل فلا يسمى بالكرامة الا ما كان صاحبه على شرع الاسلام والسلام
فان قلت فهل القتل بالهمة والولاية والعزل الذي يقع من بعض الاوليا كمال فيهم ام نقص فالجواب هو نقص بالنسبة لما فوقه من المقامات وقد اعطي الشيخ ابو السعود ابن الشبل مقام التصريف في الوجود فتركه وقال نحن قوم تركنا الحق يتصرف لنا فكان اكمل من الشيخ عبد القادر الجيلاني مع انه تلميذه هكذا ذكره الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومايه وايضا فان الكامل لا يجد في الوجود شيا حقيرا حتى يرسل تصريفه عليه او ينفذ همته فيه ومن شرط نفوذ الهمة ان تكون في حقير فيرى صاحب الحال نفسه كبيرا وغيره حقيرا فيجمع حرارته في قلبه ثم يتوجه بقلبه اليه فيوثر فيه القتل او المرض ونحو ذلك وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الكامل من الاوليا هو من مات عن التصريف والتكلف بفعل الله تعالى له فيسرق الناس باله حال حياته ويسرقون سمعه وستره بعد مماته فلا يبقا بل احد السوء بخلاف الولي الناقص كل من تعرض له عطبه وذلك علامة على بقا يا الجهل عنده ومن شرط الكامل الكرم حيا وميتا انتهى
فان قلت فما الحكمة الفرق بين الكرامة والمعجزة فالجواب الفرق ان الرسول يجب عليه اظهار المعجزة من اجل دعواه اذا توقف ايمان قومه عليها بخلاف الولي لا يجب عليه اظهار الكرامة انما يجب عليه سترها هذا ما عليه الجماعة وذلك لان الولي تابع والتابع غير مشرع فهو يدعوا الى شرع قد ثبت وتقرر على يد رسوله فلا يحتاج الى ظهور كرامة على ان يتبعه الناس على ما دعاهم اليه وقال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين ومايتين انما كان الاوليا يجب عليهم ستر الكرامات دون الرسل عليهم الصلاة والسلام لان الولي متبع فهو يدعوا الى الله بحكاية دعوة الرسول الذي ثبت عنده رسالته بلسانه لا بلسان يحدثه هو من قبل نفسه وقد صار الشرع كله مقررا عند العلما فلا يحتاج الولي الى آية ولا بينة على صدقه بل لو فرض انه قال ما خالف شرع رسوله لم يتبع عليه بخلاف شرع رسوله الشارع المقرر على يد غيره من الرسل فلذلك كان لا بد له من الظاهرة تدل على صدقه وانه يخبر عن الله تعالى انتهى وكان يقول قد وضع الله تعالى ميزان الشرع بيد العلما اهل الفتوى فهم ارباب التعديل والترجيح فما وقع على يدي من ظهرت امارات اتباعه للشرع سموه كرامة وما وقع على يد غيره سموه سحرا وشعبذة وغير ذلك ذكره الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومايه قال ولا يخفى ان الكرامة عند اكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس الا ان كانت لقضاء دين او جلب مصلحة لان الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية الا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم فان احيا كبشا او دجاجة مثلا فانما ذلك بقدرة الله تعالى لا بقدرته هو واذا رجع الامر الى القدرة فلا تعجب فتامل فان قلت فهل التطور الذي يقع للاوليا كمال ام نقص فالجواب هو كمال يدل على فنا بشريتهم وقوة ارواحهم حتى كاهل الجنة يلبسون من الصور ما شاوا فان من غلبت بشريته على روحانيته فهو كثيف لا يصلح له تطور اذ التطور من خصايص الارواح وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والستين واربعماية ان الحلاج كان يدخل بيتا عنده اسمه بيت العظمة فكان اذا دخله ملاه كله بذاته في اعين الناظرين حتى ان بعض الناس نسبه الى السيميا لجهله باحوال الفقرا في تطوراتهم ولما دخلوا عليه لياخذوه للصلب كان في ذلك البيت فلم يقدر احد يخرجه من ذلك البيت لان الباب يضيق عنه فجاءه الجنيد وقال سلم لله تعالى واخرج لما قضاه وقدره فرجع الى حالته المعهودة فخرج وصلبوه وكان ينشد وهو يرفل في قيوده عفى الله عنه

حبيبي غير منسوب	الى شي من الحيف
سقاني ثم حياني	كفعل الضيف للضيف
فلما دارت الكاس	دعا بالنطع والسيف
وذاك جزا من يشرب	مع التنين في الصيف

فان قلت فما دليل القوم في تسميتهم ما وقع على يد المتبعين للشرع كرامة دون المخالفين فالجواب دليلهم في ذلك ان الكرامة صادرة من حضرة اسمه البر فهما يكون للابرار من عباده جزا وفاقا ان المناسبة تطلبها وان لم يطلبها صاحبها

ذكره الشيخ في الباب الرابع وثمانين ومائة واطال في ذلك ثم قال واعلم ان
الكرامة على قسمين حسية ومعنوية ولا تعرف العامة الا الحسية مثل الكلام
على الخاطر والاخبار بالمغيبات الاتية والاخذ من الكون والمشي على الما
واختراق الهوى وعلى الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة
في الحال ونحو ذلك فهذا عند العامة هو الولي واما الكرامة المعنوية فهي
التي عند الخواص من اهل الله اجلها واشرفها ان يحفظ الله على العبد اداب الشريعة
ويوفقه لمكارم الاخلاق واجتناب سفسافها وان يحافظ على اداء الواجبات
والسنن في اوقاتها مطلقا والمسارعة في الخيرات وازالة الغل والحقد
والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليه بالمراقبة مع الانفاس
ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الاشيا ومراعاة انفاسه في دخولها
وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها بالادب وعليها خلعة الحضور مع الله
تعالى لا بما رسل الله واليه ترجع شاكرة من صبغة معها فهذه عند المحققين
هي الكرامات التي لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف الكرامات التي يعرفها
العامة فانه يمكن ان يدخلها المكر والاستدراج فالكامل من يقدر على الكرامة
ويكتمها ثم اذا فرضنا كرامة فلابد ان تكون نتيجة عن الاستقامة فلا يبعد ان
يجعلها الله عز وجل من حظ جزا اعمال ذلك الولي فيذهب الى الاخرة صفر اليدين
من الخير وانما قلنا ان الكرامات المعنوية لا يدخلها مكر ولا استدراج لان
العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهي بل هي عين الطريقة
الواضحة الى نيل السعادة انتهى وسمعت سيدي عليا الخواص رضي الله عنه
يقول اذا وقع على يد الكامل شي من الكرامات المحسوسة خاف وضج وسال
الله تعالى ستره بالعوائد ولا يتميز عن العامة بامر يشار اليه فيه ما عدا العلم
فان العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة ولو لم يعمل احد به قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون فان قلت ايضا نقول لها اسنى ما اكرم الله
به العلما هو العلم الخالص فهل الكرامة التي لا يعبد لها كرامة اذا عمل بها وذلك
لان موطن الدنيا انما هو للعلم والعمل واما النتائج من خرق العوائد ونحو ذلك

فاما

فاما موطنه الدار الاخرة انتهى فان قلت فما الذي يحفظ الولي من المكر
الخفي الذي في الكرامات الحسية فالجواب يحفظه من ذلك عدم رمي ميزان
الشريعة من يده ليزن بها حاله في كل نفس لان في الكرامات مكرا خفيا لا يشعر به
الا العارفون قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال الشيخ في الباب
الحادي والثلاثين ومائتين واكثر ما يقع به المكر الخفي للمتاولين ايات الصفات
واخبارها وفيمن يقضي عليه حاله مع وقوعه في المخالفات وفيمن يرزق العلم الذي يطلب
العمل ويحرم العمل به او يرزق العمل ويحرم الاخلاص فاذا رايت يا اخي هذا الحال
من نفسك او من غيرك فاعلم ان المتصف بذلك ممكور به واطال في ذلك ثم قال
فعلم ان الله تعالى ما اخفى المكر الا عن الممكور به خاصة دون غير الممكور به فان الله
تعالى ما اعاد الضمير في يعلمون الا الضمير في سنستدرجهم وقال تعالى ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فضمير قوله هم هو المضمر في مكروا وكان مكر
الله تعالى بهولاء هو عين مكرهم الذي اتصفوا به وهم لا يشعرون واطال في
ذلك ثم قال وكل من لا يدعوا الى الله على بصيرة وعلم يقيني فهو غير محفوظ
من المكر وان كان هو صاحب اتباع والله سبحانه وتعالى اعلم ه

المبحث الحادي والخمسون

في بيان الاسلام والايمان وبيان انهما متلازمان الا فيمن صدق ثم اخترمته
المنية قبل اتساع وقت التلفظ فان الايمان وجد هنا دون الاسلام كما
سياتي ايضاحه ان شا الله تعالى واعلم ان الاسلام الشرعي هو اعمال
الجوارح في الطاعات كالتلفظ بالزكاة والصلاة وغير ذلك مما بينه حديث
الشيخين بقوله الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة
وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم ان هذه الاعمال الاسلامية
لا يخرج الانسان بها عن عهدة التكليف بالاسلام الا مع الايمان وحقيقته
تصديق القلب بما علم من مجي الرسول به من عند الله صلى الله عليه وسلم كما بينه سؤال
جبريل في حديث الصحيحين السابق بقوله فيه الايمان ان تومن بالله وملايكته

وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره والمراد بتصديق القلب لما جاء به
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذعان لما جاءت به الرسل والقبول له قال
ائمة الاصول والتكليف بذلك تكليف باسبابه كالقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه
الحواس وصرف الموانع والا فذلك ليس من الافعال الاختيارية التي هي مناط
التكليف وانما هو من الكيفيات النفسانية واشار وا بقولهم والتكليف بذلك
تكليف باسبابه الى سوال وجوابه تقدير السوال ان التصديق احد قسمي العلم
وهو من الكيفيات النفسانية دون الافعال الاختيارية فكيف يتعلق التكليف
بتحصيله وتقدير الجواب ان تحصيل تلك الكيفية اختيارا يكون باختيار مباشرة
الاسباب وصرف النظر وما ذكر معها والتكليف بها معناه التكليف بذلك
الانفعال وانشراح الصدر الذي هو اول المبادي في النظر ليس هو باختيار
العبد ايضا لانا نقول ما رقي فوق ذلك فهو من علم سر القدر الذي
نهي العلما عن افشائه والافصاح عنه فان قلت فهل الايمان مخلوق
او غير مخلوق فالجواب الايمان من حيث هو هداية من الله تعالى غير مخلوق
لان الهداية صفة من صفاته تعالى وصفات الله تعالى قديمة واما من
حيث هو اقرار من العبد واذعان فهو مخلوق لانه معدود من اعمال
العبد والله خلقكم وما تعملون قال ائمتنا ولا يعتبر التصديق المذكور
في خروج العبد به عن عهدة الايمان بالتكليف الا مع التلفظ بالشهادتين
علامة لنا على التصديق الخفي عنا حتى يكون المنافق مومنا فيما بيننا كافرا
عند الله تعالى قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
ولن تجد لهم نصيرا قال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف في حاشيته
وحاصل هذه المسئلة كما قاله بعضهم ان جمهور المحدثين والمعتزلة ذهبوا
الى ان الايمان ليس له التصديق فقط بما علم مجي الرسول به في احكام
الدنيا والبرزخ والاخرة وانما هو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار
به والعمل بمقتضاه فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل
بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج

وخارج

وخارجا عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة ورايت على حاشية الحاشية
بخطه ايضا ما نصه حاصل الكلام في هذه المسئلة ان الايمان شرط للاعتداد
بالعبادات فلا ينفك الاسلام المعتبر عن الايمان وان كان الايمان قد
ينفك عنه فلا يوجد اسلام معتبر بدون ايمان وقد يوجد الايمان المعتبر
بدون الاسلام عمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ ومن
قال ان الاسلام والايمان واحد فسر الاسلام بالاستسلام الباطني بمعنى
قبول الاحكام فمن حقق النظر ظهر له ان الخلاف في اتحادهما مسمى وان اما
لا خلاف في مفهوم الاسلام وقد قال بالترادف كثير من الحنفية وبعض الشافعية
انتهى قال الشيخ تاج الدين السبكي وهنا سوال وهو انه هل التلفظ
بالايمان الذي هو الشهادة شرط للايمان او شطر منه فيه تردد للعلما
قال الجلال المحلي وكلام الغزالي يقتضي انه ليس بشرط ولا شطر انما هو
واجب من واجباته قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع وايضاح
ذلك ان يقال في التلفظ هل هو شرط لاجرا احكام المومنين في الدنيا من
التوارث والمناكحة وغيرهما فيكون غير داخل في مسمى الايمان او هو شطر
منه اي جزء من مسماه قال والذي عليه جمهور المحققين الاول وعليه فمن
صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار كان مومنا عند الله تعالى
قال وهذا اوفق باللغة والعرف وذهب شمس الائمة السرخسي وفخر الاسلام
البزدوي من الحنفية وكثير من الفقها الى الثاني والزمهم القايلون بالاول
بان من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار كان كافرا
وهو خلاف الاجماع ما نقله الامام الرازي وغيره فان قلت فهل
الايمان يتجزى اي يتبعض فالجواب ان الايمان واحد لا يتبعض حتى يكون
جزء منه في مكان في البدن وجزء منه في مكان اخر بل نور منتشر منه في
جميع اعضائه حتى انه اذا قطع عضو منه ذهب الايمان الى القلب لكونه
لا يتجزى والله اعلم هذا ملخص ما وجدته عن ائمة الاصول واما عبارات
الشيخ محيي الدين فقال في الباب الستين والاربعماية من الفتوحات المكية

اعلم ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية او كالرؤية فالاسلام
انقياد والايمان اعتقاد والاحسان اشهاد فمن جمع هذه النعوت لم ينكر
شيا من تجليات الحق تعالى حيث يتجلى في الآخرة وينكره بعضهم كما في حديث
مسلم فكان الحق تعالى يتجلى له في سائر التجليات وحده ومن لم يجمع في
اعتقاده بين هذه النعوت انكره ضرورة في كل عالم يذوقه في دار الدنيا
انتهى وقال ايضا في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة اعلم ان الصدق
محله الخبر والخبر محله الصادق وليس هو صفة لاصحاب الادلة وانما هو
نور يظهر على قلب العبد يصدق به الخبر عن الله تعالى او عن غيره ويكشف
له ذلك النور عن صدق الخبر ويرجع عنه برجوع الخبر لان نور الصدق
تابع للخبر حيث مشى والمصدق بالدليل ليس هذا حكمه ان رجع المخبر لم يرجع
لرجوعه فهذا هو الفارق بين الرجلين قال وهذه المسئلة من اشكل المسائل
في الوجود فان الاحكام المشروعة الاخبار الالهية يخبر بها الشرع والتصديق
يتبع الحكم فيثبته ما دام الخبر يثبته ويرفعه ما دام الخبر يرفعه ولا يتصف
الحق تعالى بالبداء في ذلك وهذا هو الذي جعل بعض الطوائف لينكرون
النسخ بالاحكام واما الصادق فما كذب نفسه في الخبر الاول وانما اخبر
بثبوته واخبر برفعه وهو صادق في الحالين فعلم ان صدق الايمان نور كشفي
لا يقبل صاحبه دخول الشبه عليه اصلا انتهى فان قلت فهل ثم فرق بين
الصدق والحق ام هما بمعنى واحد فالجواب انهما شيئان لان الحق واجب
فعله والصدق ما اخبر به على وجه الحق الذي هو عليه وقد يجب فيكون
حقا وقد لا يجب فيكون صدقا لا حقا فلهذا قال تعالى ليسئل الصادقين
عن صدقهم يعني فان كان وجب عليهم فعله نجوا وان لم يجب عليهم بل منعوا
منه هلكوا ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة واطال
في ذلك ثم قال واعلم ان من الحقوق ما يقتضي الثنا الجميل على من لا
تتممه كالمجرم المستحق للعقاب بالجرامة يعفو عنه فهذا حق قد ابطل
وهو محمود كما ان الغيبة والنميمة وافشا سر الزوجة صدق وهو مذموم

وكل

وكل حق صدق وما كل صدق حقا وان الصادق يسال عن صدقه ولا يسال
ذو الحق اذا قام به عنه فالغيبة واشباهها صدق لا حق والسلام فان قلت
فكم ينقسم نور الايمان فالجواب هو على قسمين كما ان اهله على قسمين القسم الاول
من آمن عن نظر واستدلال وبرهان فهذا لا يوثق بتغير ايمانه له وراته
مع الدليل ومثل هذا لا يخالط بشاشته نور ايمانه القلوب لانه لا ينظر الا
من خلف حجاب دليله وما من دليل من ادلة اصحاب النظر الا وهو معرض
لحصول الدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلهذا كان لا يمكن صاحب البرهان
ان يخالط الايمان بشاشة قلبه للحجاب الذي بينه وبينه القسم الثاني
من كان برهانه عين حصول الايمان في قلبه لامر اخر ضروري وهذا هو
الايمان الذي يخالط بشاشة القلب ولا يتصور في حق صاحبه الشك لان
الشك لا يجد محلا فان محله الدليل وما ثم دليل فما ثم ما يرد عليه الدخل
ولا الشك ذكره الشيخ في الباب الثالث والسبعين وقال قبله في الباب الخامس
من الفتوحات اعلم ان الايمان على خمسة اقسام ايمان عن تقليد وايمان عن
علم وايمان عن عيان وايمان عن حق وايمان عن حقيقة فالتقليد للعوام والعلم
لاصحاب الادلة والعيان لاصحاب المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين
واما حقيقة الحقيقة الزائدة على الخمسة اقسام فهي للمرسلين وقد منعنا
الحق تعالى عن كشفها فلا سبيل الى بيانها انتهى وتقدم في المقدمة اول الكتاب
ان من اخذ ايمانه تقليدا جزما للشارع فهو اتم واوثق ممن ياخذ ايمانه
عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها من الدخل والحيرة فان قلت فاي الناس
اعلى ايمانا بعد الانبيا فالجواب اعلى الناس ايمانا وتصديقا الصحابة على
اختلاف طبقاتهم ثم من يؤمن بالغيب على الكمال كاهل زماننا رأينا سوادا في
بياض فآمنا به وصدقنا ولم نقل كما قال غيرنا هذا اساطير الاولين فالحمد
لله رب العالمين فان قلت فما الوجه الجامع بين قول بعضهم الايمان لا يزيد
ولا ينقص وبين قول الجمهور انه يزيد وينقص فالجواب الوجه الجامع بينهما
ان يحمل قول من قال انه لا يزيد ولا ينقص على ايمان الفطرة ويحمل قول من

قال انه يزيد وينقص علي ما بين الفطرة الي طلوع الروح فان كل انسان لا يموت
الا ما فطر عليه وايضا ذلك كما قاله الشيخ في الباب الاحد وثمانين ومائتين
ان يقال الايمان الاصلي الذي لا يزيد ولا ينقص هي الفطرة التي فطر الناس
عليها وهو شهادتهم له تعالي بالوحدانية في اخذ الميثاق فكل مولود
يولد علي هذا الميثاق ولكنه لما حصل في حصر الطبيعة في هذا الجسم الذي
هو محل النسيان جهل الحالة التي كان عليها مع ربه فنسيها وافتقر الي
النظر في الادلة علي وحدانية خالقه اذا الي الحال الذي يعطيه النظر
وان لم يبلغ الي هذا الحد كان حكمه حكم والديه فما نظر العبد الادلة
الا ليرجع الي الحالة التي كان عليها عند اخذ الميثاق كالذي يكون مسافرا
والسما مصحية وهو يعرف جهة القبلة وصوب مقصده فحصل له سحاب
وغيم حتي صار لا يعرف جهة مقصده ولا القبلة ومثل هذا يجب عليه
الاجتهاد فافهم وسياتي قريبا ايضاح ذلك فان قلت فما حكم من
تقدم ايمانه بتوحيد الله شرك ورثه عن ابويه او عن نظره او عن
الامة التي هو فيها فالجواب حكمه حكم من لم يتغير ولم يتبدل لان التوبة
تجب ما قبلها وكان عين ذلك الايمان هو عين ايمانه الميثاقي لا غيره
فان المشرك مقر بوجود الله لكنه اشرك به حين حال بينه وبين توحيده
الحجاب فلو ارتفع الحجاب رجع لحالته عند الميثاق فان قلت فايما
اقرب الي الايمان المشرك او المعطل فالجواب كما قاله الشيخ ابو طاهر القزويني
المعطل اقرب الي الايمان من المشرك فانه لا بد لكل انسان ان يجد في نفسه
مستندا في وجوده الي امر ما لا يدري ما هو فيقال له اي ذلك الذي لا يدري
ما هو هو الله الذي خلقك ورزقك فربما امن به وصدق فان حدث
له بعد ذلك هل هو واحد او اكثر كان في محل النظر في ذلك او يقلد من
يعتقده من الموحدين فما ثم علي هذا ايمان محدث بل هو مكتوب في قلب
كل مومن علي ما مر من التفصيل اوايل المبحث فان قلت فاذن التوحيد
بثبوته تتعلق السعادة وبنفيه يتعلق الشقا المويد فالجواب نعم والي

ذلك الاشارة بقوله تعالي يا ايها الذين امنوا يعني في العهد الميثاقي امنوا
اي بقول رسولنا لكم امنوا فلولا ان الايمان كان موفورا عندهم ما وصفوا
به فقد بان لك بهذا التقرير ان ايمان الفطرة هو الذي يموت عليه العبد
وهذا لا يزيد ولا ينقص وان المراد بزيادته ونقصه هو فيما طرا في العمر والله
اعلم وقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان الذي يعطي
مراتب السعادة للانسان اربعة ايمان والولاية والنبوة والرسالة ثم ان
العلم من شرايط الولاية وليس من شرط الولاية الايمان لان متعلق الايمان
الخبر وقد يوحد لله تعالي ولي من غير ايمان كقس بن ساعدة فانه موحد لا مومن
وهو سعيد بلا شك فاول مرتبة العلما بالله تعالي توحيدهم ثم ايمانهم ثم
علمهم وما اتخذ الله من ولي جاهل ابدا وقد تقدم في مبحث اهل الفترات
انه يصح ان يلغز فيقال له شخص يدخل الجنة وهو غير مومن وهو من وحد
الله تعالي بنور في قلبه ولم يكن في زمنه شرع يومن به وهي مسئلة عظيمة
اغفلها العلما فانه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله باي طريق كان
توحيده فان قلت فما المراد بقوله تعالي وما يومن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون وكيف صح الايمان مع الشرك فالجواب ما قاله الشيخ في الباب
السابع والتسعين واربعماية ان المراد بهذا الشرك هو شرك النفس فان المومن
الكامل هو من امن بالله لا بنفسه ويويد ذلك قوله تعالي ولكن يومنوا بي
لا بنفوسهم فيرون بها مدخلا في الايمان بل الواجب ان يروا حصول
الايمان محض فضل من الله تعالي واطال في ذلك ثم قال وهذه الاية
لا تقتضي الايمان بتوحيد الله وانما تعطي مشاهدة ميثاق الذرية حين اشهدهم
الحق تعالي علي انفسهم بقوله تعالي الست بربكم قالوا بلي ولم يكن هناك
الا التصديق بالملك والوجود لا بالايمان والتوحيد وان كان هناك توحيد
فهو توحيد الملك فمعني تعالي الا وهم مشركون اي حين خرجوا الي الدنيا
لان الفطرة ظهر الشرك فالاكثر من يزعم انه موحد وما اداهم الي ذلك
الا التكليف فانه لما كلفهم تحقق اكثرهم ان الله تعالي ما كلفهم الا وقد علم

ان لهم اقتدارا في انفسهم علي ايجادها كلفهم به من الافعال فلهم يخلص لهم توحيد
ولو انهم علموا ان الله تعالي ما كلفهم الا لما فيهم من الدعوي في نسبة الافعال
اليهم لكانوا تجردوا عنها بنفوسهم كما فعل اهل الشهود فعلم انه لو كان
المراد بالايمان في الاية التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون تدل علي انه
تعالي لم يرد الايمان بالتوحيد وانما اراد الايمان بالوجود انتهي فان
قلت فمن اين شقي الكفار فالجواب شقوا بحكم القضا الذي لا مرد له
فلم يرجعوا الي حالة الميثاق ابد الابدين ودهر الداهرين وايضا فان الربوبية
لله تعالي لم ينكرها احد مطلقا وانما اشركوا معها ربوبية اخري وزادوا
علي ذلك تكذيب الرسل فشقوا شقا الابد نسال الله حسن الخاتمة من فضله
واحسانه وقال الشيخ في الباب الرابع والاربعين واربعماية في قوله تعالي
الا لله الدين الخالص المراد به ما استخلصه العبد من الشيطان او من الباعث
عليه من خوف او رغبة في حقه فانه قد يكون الباعث للمكلف علي الخلاصه
مثل هذه الامور فيكون العبد من المخلصين ويكون العبد مستخلصا من حد من
يعطي المشاركة ولهذا قال تعالي حنفا لله اي غير مايلين به الي جانب الحق
الذي شرعه واخذ عن المكلفين من جانب الباطل اذ قد سماهم الحق تعالي
مومنين في كتابه فقال في طايفة انهم امنوا بالباطل وكفروا بالله فكساهم
حلة الايمان فعلي هذا ليس الايمان خاص بالسعدا ولا الكفر خاص بالاشقيا
من حيث الالفاظ وانما ذلك من حيث المعاني فان قراين الاحوال التي هي
تميز فالعهد الخالص هو الذي اخذ الله من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم ثم ان
بني ادم ولدوا علي الفطرة وهذا هو الميثاق الخالص لنفسه في نفس الامر
طاهر مطهرا ومن هذا كان ابو يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري
واضرابهما يقولون ما انقصنا من ميثاق الحق تعالي شيا بل عهده باق عندنا
سالما خالصا وهذا هو الدين الخالص لا المخلص بفتح اللام لانه قام في العبد
من غير استخلاص ولم يزل محفوظا من النقص قبل تكليف صاحبه وبعده
وقيل هولاء لا يومروا ابان يعبدوا الله مخلصين له الدين اذ لا فعل لهم

في

في الاستخلاص ذكره الشيخ محيي الدين في بعض نسخ الفتوحات والذي يظهر لي
ان لسان الامر بالاخلاص عام في كل مقام بحسبه حتي مقام الانبيا عليهم
الصلاة والسلام قال تعالي لنبينا محمد صلي الله عليه وسلم فاعبد الله مخلصا له
الدين وقال تعالي وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلي ما قرره
الشيخ محيي الدين يكون المخاطب بالاخلاص للدين حقيقة امته صلي الله عليه وسلم
لا هو والمخاطب هو والمراد به غيره لانه اذا كان خواص امته لا يصح منهم تغيير
للعهد الميثاقي فكيف به صلي الله عليه وسلم الذي هو صاحب المقامات فتامل
والله اعلم فان قلت فهل يقدح في الايمان عدم ايماننا بحياة الجماد فالجوا
الايمان بحياة الجماد نعم يقدح ذلك في ايمان كل مومن وقد ذكر الشيخ في
الباب السابع والخمسين وثلاثماية انه يجب علي كل مومن حفظ ايمانه مما ينقصه
كان لا يومن بحياة كل شي اخبر الله تعالي انه يسبح بحمده فان الله تعالي ما نفي حياة
كل شي وانما نفي كوننا لا نفقه تسبيحه لا غير فاهل الكشف يشهدون ذلك
عيانا واهل الايمان يقبلون ذلك ايمانا وعبادة قال وانما جا عقب
ذلك انه كان حليما غفورا اللذان هما اسما الحجاب والستر وتاخير المواخذة الي
الاجل وعدم حكمها في العاجل لما علم ان في عباده من حرم الكشف والايمان
الكامل وهم عبيد الافكار من العقلا واطال في ذلك ثم قال فاهل الكشف
يقولون سمعنا نطق الجمادات ورايناه واهل الايمان يقولون امنا بذلك
وصدقنا وعبيد الافكار يقولون ما سمعنا ولا راينا وتامل في قوله تعالي
اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم كيف اعقبها بقوله ان الناس كانوا باياتنا
لا يوقنون لما علم ان طايفة من الناس لا يومنون بذلك ويخرجونه بالتاويل عن
اخره ومعني لا يوقنون اي لا يقروا بالايات التي هذه الاية منها في قلوبهم بل
يقبلون ذلك علي غير وجهه الذي قصد له فالله يرزق جميع اخواننا الايمان
ان لم يكونوا من اهل العيان امين وسياتي في مبحث عذاب القبر وسوال منكر
ونكير بيان ادلة تسبيح الجمادات بلسان المقال فراجعه فان قلت فهل
يجب التحفظ من قبول هدية من امرنا الله تعالي بمعاداته فالجواب نعم يجب

علينا ذلك فان في الحديث تهادوا تحابوا وللعطا اثر فادح في الايمان اذ المحسن
محبوب للنفس قهرا عليها وهذه مسالة تحجب عن شهود العطا من الله عز وجل فكيف
يطلب ممن يرى العطا من الخلق ان لا تحب الكفار والظلمة المصرين على المعاصي اذا
قبل منهم هذا امر عسر على غالب الخلق الا من شا الله لانه خروج عن الطبع فهو
وان لم يكن له اثر في الظاهر فله اثر في الباطن انتهى **فان قلت** فاوضح لنا
مثالا نعرف به المومن الكامل **فالجواب** المومن الكامل من صار الغيب عنده في
عدم الرؤية كالرؤية تولاه الله تعالى بالايمان الذي هو القول والعمل والاعتقاد
الصحيح فكان قوله مطابقا لاعتقاده في ذلك الفعل ولهذا قال تعالى يسعى
نورهم بين ايديهم وبايمانهم يريد ما قدموه من الاعمال الصالحة عند الله عز وجل
قال صلى الله عليه وسلم المومن من امنه الناس على انفسهم واموالهم وفي رواية
من امن جاره بوايقه **وسمعت** اخي افضل الدين يقول من شرط كمال الايمان
ان يكن الغيب عند المومن كالشهادة سوا ويسرى منه الايمان في نفس العالم كله
فيامنه المومنون الكاملون على انفسهم واموالهم واهليهم من غير ان يتخلل ذلك
الامان تهمة في نفوسهم من هذا الشخص فمن لم يكن فيه هاتان العلامتان فلا
يغالط ولا يدخل نفسه في كمل المومنين **وسمعت** سيدي عليا الخواص رحمه الله
يقول من ادعى كمال الايمان بما وعده الله عليه فليمتحن نفسه بما وعده الله
تعالى به من مضاعفة الصدقة مثلا الى سبعين ضعفا واكثر فان وجدها
لا تتوقف في اعطاء احد من المحتاجين شيا ولو انفقت جميع ما بيدها فليعلم ان
ايمانه بذلك كامل فيجب عليه الشكر لله تعالى وان توقفت عن العطا مع وجود
قوتها يومها وليلتها فليعلم انه ناقص الايمان بما وعد الله تعالى ولو ان
يهوديا جلس بشكارة ذهب وقال كل من اعطى فقيرا نصفا اعطيته دينارا
لتزاحم الناس على العطا واعطوا الفقرا كل ما بايديهم من الفضة نسال الله
اللطف **وسمعته** يقول ايضا في قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين
اذا رايت يا اخي كامل من يدعي الايمان ويذكره الناس فلا تنفعه الذكرى
فاعلم انه في ذلك الحال ناقص ثمرة الايمان فان تلك شهادة الله وهو صادق وقد

علمنا ان المومن ينتفع بالذكرى وقد راينا من لا ينتفع بالذكرى من المومنين
فلابد ان نقول ايمانه توارى عنه تصديقا لله ولا معنى للنفع الا وجود
العمل به وبالجملة فلا يرى احد يتوقف عن العمل بما امر به الا وفي نفسه
احتمال ومن قام له من شي اخبر الصادق به احتمال فليس هو بكامل الايمان
مع انك ان سالته لقال لا اشك في صدق ما اخبر الله به ورسوله فتفطن
يا اخي لنفسك فانك ان تاتي الله تعالى وانت كامل الايمان من غير كبير عمل خير
لك من ان تاتيه باعمال الثقلين وفي ايمانك شك ونقص فعلم كما قاله
كما قاله الشيخ في الباب التاسع والخمسين ومايه ان الايمان علم ضروري يجده
المومن في قلبه لا يقدر على دفعه وكل من امن عن دليل فلا وثوق بايمانه
كما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب وذلك لان صاحب الدليل معرض للشبه
القادح في ايمانه اذ هو ايمان نظري لا ضروري والنظر صاحبه اسير الدليل
فكل شي ترجح عنده في وقت ترك ما كان عليه قبل ذلك ولهذا لا يشترط في
وجود الرسالة اقامة الدليل للمرسل اليه ولذلك لم نجد مع وجود الدليل
وقوع الايمان من كل احد بل من بعضهم فقط فلو كان لنفس الدليل لعم ونراه
ايضا يوجد لمن لم ير دليلا فدل على ان الايمان انما هو نور يقذفه الله في
قلب من شا من عباده لا بدليل ولذلك قلنا لا يشترط فيه وجود الدليل
وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والخمسين وقال قد نبهتك
على سر غامض لا يعرفه كل احد فاحتفظ به والله تعالى اعلم **خاتمة**
قال الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثماية اعلم انه لا يموت احد من اهل
التكليف الا مومن عن عيان وتحقق لا مرية فيه ولا شك لكن من العلم بالله
والايمان به خاصة وما بقي الا هل ينفعه ذلك الايمان ام لا وفي القران
العظيم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا قال وقد حكى الله تعالى عن فرعون
انه قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين فلم
ينفعه هذا الايمان واطال في ادلة انه لا ينفعه ايمانه **قلت** فكذب
والله وافترى من نسب الى الشيخ محيي الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون

مع انه قال بقبول ايمانه جماعة منهم القاضي ابو بكر الباقلاني وبعض الحنابلة
قالوا لان الله تعالى حكي عنه الايمان اخر عمله بالدنيا انتهي وجمهور العلما قاطبة
علي عدم قبول ايمانه وايمان جميع من آمن في اليأس لان شرط الايمان الاختيار
وصاحب ايمان الباس كالملجاء الي الايمان والايمان والايمان لا ينفع صاحبه الا
عند القدرة علي خلافه حتي يكون المرء مختارا لان متعلق الايمان هو الغيب واما
من يشاهد نزول الملايكة لعذابه فهو خارج عن موضع الايمان والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الثاني والخمسون

في بيان حقيقة الاحسان اعلم ان حقيقة ان يعبد العبد ربه كانه يراه كما صح
به في حديث سوال جبريل للنبي صلي الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان
قال الجلال المحلي رحمه الله حقيقة الاحسان مراقبة الله تعالى في جميع العبادات
الشاملة للايمان والاسلام ايضا حتي تقع عبادات العبد كلها في حال الكمال
من الاخلاص وغيره انتهي وتقدم في مبحث مسالة خلق الافعال والكسب ان علم
العبد بان الله تعالى يراه اكمل في التنزيه من شهوده هو للحق لانه ما يشهد
الا بقدر دايرة عقله هو فقط وتعالى الله عن ذلك بخلاف علمه بان الله
تعالى يراه وتقدم ايضا فيه فان في الحديث اشارة لطيفة وهو ان صاحب
مقام الاحسان اذا عبد الله كانه يراه لم يجد الفعل الا لله وحده وليس للعبد
فيه اثر وانما لم يكن له حكم فيه لكونه محلا لبروزه من الجوارح لا غير ومن
شهد هذا المشهد فهو الذي اخلص عمله لله ولم يشرك فيه نفسه مع الله
وتقدم ايضا في المباحث السابقة ان من كمال العبد ان يواخي بين العيان
والايمان فيكون مومنا بما هو مشاهد من غير حجابه وذلك حتي لا يفوته
ثواب الايمان بالغيب حال الشهود والمعاينة وان ذلك مقام عزيز
قال الشيخ محيي الدين في باب الاسرار من الفتوحات ولا يخفي ان الايمان
والاسلام مقدمة الاحسان لان الايمان له التقدم والاسلام قال
فانه كان اولا لم يقبل هذا فهذا شفع قد ظهر والختام للوتر فافهم

الاحسان لانه اول الافراد الثلاثة لا لواحد فافهم وقال فيه ايضا
اعلم ان الايمان تصديق فلا يكون الا شاهد الخبر في التخيل فلا بد من الاحسان
والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الا لمن راي يد الحق كما يليق بجلاله وهي
اخذه بناصيته فا تقاطوعا فان لم ير يد الحق التي هي جوبته له ولو تخيلا فما
انقاد الا كرها والاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
قلت قد رايت في كلام سيدي علي وفا ان وراء مقام الاحسان مقام
اخر يسمي مقام الايقان ولم ار ذلك في كلام غيره فتامل وقد تقدم في مبحث
الاجوبة عن الانبيا عليهم السلام ان اهل مقام الاحسان لا يتصور منهم معصية
ما داموا في حضرة الاحسان وان من هناك عصم الانبيا وحفظ غيرهم من الاوليا
لعكوف الانبيا والاوليا في حضرة الاحسان اما الانبيا فهم فيها علي الدوام واما
الاوليا فهم فيها في اغلب احوالهم وغاية معصية اهل حضرة الاحسان ان يقعوا في
خلاف الاولي لا في حرام ولا مكروه كما مر في الجواب عن ادم عليه السلام والله اعلم

المبحث الثالث والخمسون

في بيان انه يجوز للمومن ان يقول انا مومن ان شا الله خوفا من الخاتمة المجهولة لا شكا في الحال
قال الجلال المحلي رحمه الله ومنع الامام ابو حنيفة رضي الله عنه ذلك وحكي
في المقاصد المنع عن الاكثرين وعبارة النسفي في عقايده ولا ينبغي ان يقول
العبد انا مومن ان شا الله وقد حملها المولي سعد الدين علي ان الاولي تركه علي
المنع بمعني عدم الجواز ثم ذكر المولي سعد الدين انه لا خلاف بين الفريقين حقيقة
في المعني لانه اريد بالايمان مجرد حصول المعني فهو حاصل في الحال وان اريد
ما يترتب عليه النجاه والثواب في الاخرة فهو تحت مشية الله تعالى ولا قطع
بحصوله في الحال فمن قطع بالحصول اراد الاول ومن فوض الي المشية اراد الثاني
وكان عبد الله بن مسعود اذا سيل عن ذلك يقول قول العبد انا مومن ان شا
الله تعالى اولي من الجزم لا يقال ان قول العبد ان شا الله يوهم الشك في الحال
لانا نقول ان كل مومن متحقق بالايمان في الحال جازما باستمراره عليه الي

الخاتمة التي يرجو احسنها ويسال من فضل ربه تحقيقها انتهي ودليل الامام
ابي حنيفة ومن تبعه في عدم جواز الاستثنا في الايمان قول الله تعالي في السحرة
قالوا امنا برب موسي وهارون ولم يستثنوا وقوله تعالي اولئك هم المومنون
حقا ولم يستثن وايضا فان الايمان عقد فالاستثنا يقطعه ويحله واجاب
الشافعية بانا لم نوجب الاستثنا وانما جوزناه ومعلوم ان من يستثني منا
لا يريد ابطال الاول ولا التردد فيه بالاجماع **خاتمة** اذا اشرك المومن
في عمله ريا وسمعة فلا اجر له واختاره بن عبد السلام والزركشي وقال انه
الظاهر واما الامام الغزالي فاعتبر بالباعث علي العمل فان كان الاغلب الباعث
الدنيوي فلا اجر له وان كان الاغلب هو باعثه الديني فله اجر بقدره
وان تساويا تساقطا والله سبحانه وتعالي اعلم

المبحث الرابع والخمسون

في بيان الفسق بارتكاب الكباير الاسلامية لا يزيل الايمان خلافا للمعتزلة
في زعمهم انه يزيل الايمان يعني انه واسطة بين الايمان والكفر علي بيان
قولهم ان الاعمال جزء من الايمان قاله الجلال المحلي وقد استند المعتزلة
الي ظاهر قوله صلي الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يسرق
السارق حين يسرق وهو مومن الحديث وقالوا ظاهر الحديث نفي الايمان
قال الشيخ نجم الدين الكبري والحق الذي نعتقد ان المراد بقوله وهو مومن اي
بان الله يراه اي ذاكرا حاضر القلب مع الله تعالي لم يستطع ان يعصي حيا من الله
عز وجل فلا بد للعاصي من سدل الحجاب عليه حتي يقع في المعصية اقل الحجاب
ان يقع في تاويل او تزيين من النفس كان تقول له النفس ربك غفور رحيم ولا
يكون غفورا رحيما الا للمذنبين وقال النبي صلي الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكباير
من امتي وبعيد ان الله تعالي يواخذ بتلك المعاصي ما دمت تستغفر الله
وتقول له نفسه ايضا افعل ما قدر عليك فانك لن تستطيع ان ترد ما قدره
الله عليك وتفتح له النفس باب الرجاء الواسع حتي يهون عليه الذنب وقد

اجمع اهل الكشف والشهود ان العبد ما دام في حضرة الاحسان لا يقع في
معصية ابدا لان علمه بان الله تعالي يراه يمنعه من الوقوع ثم انه لو فرض
ان العاصي يشهد ان الله تعالي يراه حال المعصية فلا بد ان يشهده غير
راض عنه في تلك المعصية وفي **حديث** للطبراني وغيره مرفوعا اذا
اراد الله تعالي انفاذ قضايه وقدره سلب ذوي العقول التي تشهد نظر
لطفه تعالي اليها حال معصيتها لا عقول التكليف اذ لو كان المراد بها ذلك ما اخذ
الله تعالي بها احدا لعدم التكليف وقد ثبت المواخذة بالنصوص القاطعة
فافهم فان هذا موضع غلط فيه جماعة من المتصوفة فعلم انه لا يلزم من كون
العبد تحجب عنه الايمان بان الله يراه حال المعصية ان ينتفي عنه الايمان بوجود
الله تعالي وملايكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر وبالقدر خيره وشره كما توهمه
بعضهم بل هو مومن بذلك كله لم يحجب عنه ما عدا كون الله تعالي يراه فانه
لا بد من حجابه ليقضي الله امرا كان مفعولا والا كان ذلك في غاية قلة الحيا
من الله تعالي فاذا فهمت ذلك علمت ان الايمان يتخصص في كل مومن بما يناسب
بحسب السياق الذي هو فيه وذلك كقوله تعالي وكان حقا علينا نصر المومنين
اي باني انصرهم فاني عند ظن عبدي بي وقس علي ذلك هكذا قرره الشيخ
نجم الدين الكبري في تفسيره **فان قلت** فما معني حديث نعم العبد صهيب
لو لم يخف الله لم يعصه **فالجواب** معناه كما قاله الشيخ في الباب الحادي
والسبعين وثلاثماية ان الاسباب المانعة للعبد من الوقوع في المعاصي اربعة
اشيا لا خامس لها وهي الحيا من الله والخوف من عقابه والرجا في ثوابه وعدم
التقدير في علم الله تعالي فمعني الحديث ان صهيبا لو لم يخف الله تعالي لم يعصه
اي لان معه من الاسباب المانعة من الوقوع في المعصية ثلاثة ايام وهم الحيا
من الله والرجا لثواب الله وعدم التقدير في علم الله وكذلك القول في الثلاثة
الباقية كما لو قال النبي صلي الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يستح من الله
لم يعصه او لو لم يرج ثواب الله لم يعصه او لو لم يومن بتقدير الله لم
يعصه فان معناه كما قلنا في الخوف سوا انتهي **وقال** في الباب الثامن

والستين اعلم ان الحكمة في ان الايمان يخرج من صاحبه حال الزنا والسرقة وشرب
الخمر انه يخرج من صاحبه حتى يحميه من وقوع العذاب الذي عرض له بالزنا مثلا
فان الايمان لا يقاومه شي وقد اشار الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنى
العبد خرج عنه الايمان حتى يصير عليه كالظلة فاذا قلع رجع اليه الايمان قال
وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان فعلم ان خروج الايمان ليس هو
لدخول صاحبه في الكفر وانما خرج ليمنع عنه وقوع العذاب عناية بصاحبه واطال
الشيخ في ذلك ثم قال وهناك نكتة جليلة خفية وهي ان العبد المومن لا يخلص
له قط معصية محضة فلا بد ان تشوبها طاعة وتلك الطاعة هي ايمانه بانها
معصية تسخط الله تعالى عليه فهو من الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله
ان يتوب عليهم اي يرجع عليهم بالرحمة قال العلماء وعسى من الله تعالى واجبة الوقوع
من حيث ان رحمته سبقت غضبه عليهم وقال في الباب الرابع والخمسين
وثلاثمائة ايضا في معنى حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن اي مصدق
بالعقاب عليه اذ لو كان معه تصديق بالعقاب ما وقع في الذنب كما اذا اوقدنا
له نارا عظيمة وقلنا له ان عبث المراه لنحرقك بالنار لا يزني بها قط ولو مكثنا
نمن ناس مدى الدهر وذلك لشهوده العقاب فافهم وقال في الباب الرابع وثلا
ومائتين ايضا اعلم انه من لازم المومن الكامل انه لا ياتي معصية قط توعد الله
عليها بالعقوبة الا ويجد في نفسه الندم والندم توبة وقد قام بهذا
الندم مقام تائب اي من جهة حقوق الله تعالى لا من جهة حقوق الادميين
فسقط حكم الوعيد بهذا الندم فانه لا بد للمومن الكامل ان يكره المخالفة
ولا يرضى بها فهو من حيث كونه كارها لها ومؤمنا بانها معصية ذو عمل صالح
من ثلاثة وجوه وهو من حيث كونه معتقدا انه فاعل لها شرعا ذو عمل صالح
ومن حيث كونه معتقدا انه يستحق المواخذة عليها ذو عمل صالح ومن حيث
كونه نادما على فعلها ذو عمل صالح لانه ندم على وقوعه فيها وهو ارتكابه
اياها ومن تامل في قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره عثر على ما قلناه فانه تعالى لم يتعرض للمواخذة بذلك

الشر وانما ذكر انه يراه فقط ثم لا يكون من الكريم الا الكرم انتهى هكذا رايته في
كلام بعضهم وعليه فيكون الحكمة من الطائفة التي يدخل النار من الموحدين انما
هو لبيان اظهار فضله على الذين لم يواخذهم كما يوذب السلطان من شاء ادبه
من الغلمان ولا يقبل فيه شفاعة ليعرف الباقين مقدار نعمته عليهم والله تعالى
اعلم وقال الشيخ في الباب السابع والتسعين ومائتين في معنى حديث لو لم
تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر
لهم اعلم ان من رحمة الله تعالى بخلقه انه اوجد فيهم النسيان والحجاب حال
عصيانهم في دار التكليف فان المعاصي والمخالفات قد سبق تقديرها على العباد
في هذه الدار فلا بد من وقوعها منهم ولو انها وقعت منهم على الكشف والتجلي
لكان ذلك مبالغة في قلة الحيا مع الله تعالى حيث انه يشهده ويراه فلولا
الحجاب لعظم الامر وشق والقدر حاكم بالوقوع فلذلك حجب العاصي عن ذلك
لعظم المصاب انتهى وقال في اواخر باب الحج من الفتوحات اعلم ان بعض
الناس قد ينفعه ذنبه فيرد ابليس خاسئا وذلك كما اذا كان عند العبد
عجب باعماله وكبر على اخوانه ونحو ذلك فيقع في معصيته فيحصل له ذل وانكسار
وندم فيزول مرضه ويكتب من التوابين واطال في ذلك انتهى وفي كلام ابن
عطاء الله رب معصية اورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثت عزا
واستكبارا انتهى وسياتي في المبحث الذي بعده زيادة على ما ذكرناه هنا والله اعلم

المبحث الخامس والخمسون

في بيان المومن اذا مات فاسقا بان لم يتب قبل الغرغرة تحت المشيئة
الالهية فاما ان يعاقبه بادخاله النار لموته على الاسلام ثم يخرج منها او
ان يسامح بان لا يدخل النار فضلا من الله تعالى من غير شفاعة محمد صلى الله عليه
وسلم او مع شفاعته او شفاعة من شاء الله تعالى وتردد الامام النووي في
الاخير وهو كلام القاضي عياض وقال الشيخ تقي الدين السبكي وانما تردد
النووي في شفاعة من شاء الله لانه لم يرد في السنة تصريح بذلك ولا بنفسه

ثم قال وهي في اجازة الصراط بعد نصبه وبلزم منها النجاة من النار قال تعالى
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وقال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا وزعمت المعتزلة ان من مات على كبيرة يخلد في النار ولا يجوز
العفو عنه ولا الشفاعة فيه ونقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه مستند الى
قوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
الاية فانها نزلت بعد قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فهي محكمة غير منسوخة هكذا رايته في تفسير سعيد بن عبد الله الازدي
من اقران الامام ملك بن انس رضي الله عنه واجاب الجمهور مع تقدم عدم النسخ بانه
لا يلزم من الوعيد بالشر وقوعه كما يقول السيد لعبده اذا خالفه ما جزاؤك
الا ان اضربك واحبسك ثم لا يضربه ولا يحبسه هذا كلام اهل الاصول واما
قول الشيخ محيي الدين فقال في الباب السابع واربعين وثلثمائة اعلم ان من قتل
نفسا ناولم يقتل به في الدنيا فامر القاتل الى الله تعالى ان شاء عفى عنه
وان شاء عذبه قال واما قوله تعالى في الحديث القدسي فيمن قتل نفسه
بادرني عبدي حرمت عليه الجنة فالمراد به انه لا يدخل الجنة مع الرعيل الاول
كما في نظايره من الاحاديث الواردة في عذاب الشيخ الزاني ومدمن الخمر وقاطع
الرحم والمسبل ازاره خيلاء ونحو ذلك ليوافق النصوص الصحيحة نحو قوله تعالى
صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى
وسرق وقال ايضا في باب صلاة الجنائز من الفتوحات اعلم ان الاخبار
الصحيحة والاصول الصريحة تقتضي لخروج قاتل نفسه من النار وان النص
الوارد بتابيد الخلود خرج مخرج الزجر او يحمل على قاتل نفسه من الكفار لانه
لم يقيده في الحديث بالمومنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا
الى الاصول واذا رجعنا الى الاصول راينا الايمان قوي السلطان لا يمكن
معه الخلود على التابيد الى غير نهاية فتعين قطعا ان الشارع انما اخبر بذلك
في حق الكفار لكونه لا يخص في الحديث صنفا دون صنف بعينه والادلة الشرعية
توخذ من جهات متعددة ليضم بعضها الى بعض ليقوى بعضها بعضا فكما ان المومن

يشد بعضه بعضا فكذلك الايمان بكذا يشد الايمان بكذا ويقوي بعضه بعضا
واطال في ذلك والمراد بقوله فيمن قتل نفسه حرمت عليه الجنة اي حرمت عليه
الجنة قبل رويتي لا سيما من كان الحامل له على قتله نفسه الشوق والى لقاء
الله من العشاق ممن كتم عشقه فعف فمات وهذا هو اللايق ان يحمل عليه لفظ
الخبر الى ان ياتي لنا نص صحيح بخلاف هذا التاويل واطال في ذلك ثم قال
وان ظهر للناظر بعد فيما قررناه فانما هو لبعد الناظر في نظره من الاصول المقررة
التي تناقض هذا التاويل بالشقا المويد فاذا استحضرها ووزن الامر بميزان
الشريعة عرف ما قلناه وفي الصحيح اخرجوا من النار من كان في قلبه ادنى من مثقال
حبة من خردل من الايمان فلم يبق الا ما اولناه انتهى قلت وفي هذا الكلام
وما بعده رد عن الشيخ وتكذيب لمن افترى عليه انه يقول بخروج اهل النار
من الكفار والله اعلم وقال في باب الجنائز ايضا بعد كلام طويل اعلم ان الله
تعالى انما اوجب علينا الصلاة على الميت الا انه يريد ان يقبل شفاعتنا فيه
واعلاما لنا بان سوالنا فيه مقبول والله تعالى يرتضي منا ذلك فان الامر بالشي
يقتضي رضي الشارع له فمن قال من المعتزلة ان قاتل نفسه خالد في النار فهو محجوج
على كل من مات على كفره او على الميت الذي لم يصل عليه فلهذا قلنا بوجوب
الصلاة على من قتل نفسه وان صلاتنا عليه تنفعه وتمنعه من تابيد الخلود
في النار على زعمهم واما على قول اهل السنة والجماعة فلا يخلد في النار مومن ولا
موحد وفي الحديث ايضا صلوا على من قال لا اله الا الله فدخل فيه اهل
الكباير وجميع اهل البدع الذين لا يكفرون باهوايهم وبدعهم لانه صلى الله عليه وسلم
ما فصل ولا خصص بل عمم بقوله من وهي نكرة تعم وما امرنا الشارع بالصلاة
على من قال لا اله الا الله الا وهو يريد ان يرحمه اما بعدم دخوله النار اصلا
واما خروجه منها بعد ان اخذت العقوبة حدها وقال في الباب الخامس
والخمسين وثلاثماية في قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا
سا ما يحكمون اعلم ان في هذه الاية الرد على من يقول بانفاد الوعيد فيمن مات
على غير توبة من الموحدين وفيها بيان شمول الرحمة لكل موحد وذلك لان

المؤمن اذا عصى تعرض للانتقام والبلاء فهو جار في شأو الانتقام بما وقع منه
والحق تعالى يسابقه في هذه الحالة من حيث ما هو غفار وغفور ومتجاوز ورؤوف
ورحيم فالعبد يسابق ربه بفعل السيئات الى الانتقام والرب سبحانه وتعالى
اسبق منه الى الرحمة والمغفرة بالاسم الرحيم والغفار مثلا فاذا جاء الاسم المنتقم
وجد الاسم الغفار واخوانه قد حالوا بينه وبين ذلك العبد العاصي قال
ومعنى الاية الذين يعملون السيئات ان يسبقونا بالسيئات اي يسبقوا مغفرتي
وشمول رحمتي بل السبق بالرحمة لكل موحد وهذا غاية الكرم قال وهذا لا يكون
الا فيمن مات على غير توبة من عصاة الموحدين وان العاصي منهم اذا مات تلقته
ملائكة رحمة الله في الموطن الذي يشاء الله ان يلقاه فيه واما حديث من كره لقاء الله
كره الله لقاءه فذلك في حق الكافر واما في حق عصاة الموحدين فيمن لا يحق عليه
كلمة العذاب فينبغي تاويله على من كره لقاء الله من حيث اللقاء مطلقا وانما هو لما
عمله من المخالفات يخاف ان يواخذه انتهى فليتامل وقال في الباب
السابع والاربعين وثلاثمائة لولا ان رحمة الله تعالى بالمؤمنين ممزوجة بغضبه
لم يبق للعاصي اثر على وجه الارض فالمؤمن من حال مواخذات الحق له كالمعرض
المرحوم لكونه لا يقع في معصية الا وهو مؤمن بانها معصية خائف من عاقبتها فلا يخلد في
النار الا كافر والسلام

المبحث السادس والخمسون

في بيان وجوب التوبة على كل عاص وبيان انها تصح ولو بعد نقضها وانها تصح
من ذنب اي تصح عن ذنب وان كان صغيرا مع الاصرار على ذنب آخر ولو كان كبيرا
كما قاله الجلال المحلي اذا تاب ثم عاد الى الذنب لم تبطل توبته السابقة
بل ذلك ذنب يوجب توبة اخرى وهذا ما عليه جمهور العلماء ونقل عن القاضي
ابو بكر الباقلاني انها لا تصح بعد نقضها وهو عوده الى الموجب منها وقيل انها
لا تصح من ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير وقيل لا تصح عن ذنب مع الاصرار
على ذنب كبير قالوا ومن المساعد للعبد على حصول التوبة ان يستحضر ما فيها

من المحاسن والوصلة باهل الله تعالى من الانبياء والاولياء وصالح المؤمنين وانه اذا
لم يتب اتصل باعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين ثم من الواجب الامساك
بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن اكثر الناس ومعظم
شروطها الندم على المعصية اي من حيث انها معصية ليخرج ما لو ندم على شرب الخمر
مثلا من حيث اضراره بالبدن فان ذلك ليس بتوبة وعرف بعضهم الندم بان يحزن ولم
يرجع لما فعل ويتمنى كونه لم يفعل قال الكمال في حاشيته على جمع الجوامع
ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الازمنة بل يكفي استصحاب الندم حكما
بان لا يصدر منه ما ينافيه لان الشارع اقام الحكم الثابت حكما مقام ما هو حاصل
بالفعل كما في الايمان فان النائم مومن بالاتفاق وايضا فلما في التكليف بتذكر
الندم في جميع الازمنة من الحرج المنفي في الدين قال الجمهور ويتحقق التوبة
بالاقلاع عن المعصية وعزم ان لا يعود اليها وتدارك ممكن التدارك من الحقوق
الناشئة عنها كحد القذف مثلا فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف وارثه
ليستوفيه او يبرئه منه فان لم يمكن تدارك الحق كان لم يكن مستحقه موجودا
سقط هذا الشرط كما يسقط ايضا في توبة العبد عن معصية لا ينشا عنها
حق لادمي قال العلماء ولذلك يسقط شرط الاقلاع في توبة العبد في معصيته
بعد الفراغ منها كشرب الخمر مثلا قال الجلال المحلي فالمراد بتحقق التوبة
بهذه الامور انها لا تخرج عما تتحقق به عنها الا انه لا بد منها في كل توبة انتهى
وقال الكمال في حاشيته وقولهم تدارك ممكن التدارك هو المشهور عند
اصحابنا والذي جرى عليه الآمدي وصاحب المواقف والمقاصد ان التدارك
واجب برأسه فمن قتل او ظلم او ضرب فعليه امران التوبة والخروج عن
المظالم وهو تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه ومن اتى باحد الواجبين لم يكن
صحة ما اتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الاخر وقال في المقاصد ان
التحقيق الا انه قد لا يصح الندم بدونه كرد المغصوب انتهى وقال ابن السبكي
وغيره واذا احس الانسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار الذي اتى به وان
احتاج الى استغفار اخر لان اللسان اذا الف ذكرا يوشك بان يالفه القلب

فتوافقه اللسان وكان الامام السهروردي يقول اعمل وان خفت العجب
مستغفرا قال العلما ويجب على كل مومن مجاهدة نفسه الامارة بالسو اذا لم
تطاوعه على فعل المامورات واجتناب المنهيات قال وهي اوجب عليك من
مجاهدة عدوك الظاهر لان النفس تريد هلاكك الابدي باستدراجك من
معصية الى معصية اخرى **وقال** المعاصي بريد الكفر اي مقدمته فان
غلبتك نفسك الامارة بالسو على فعل مذموم فتب وجوبا على الفور لتقع
عنك اثم فعلك بالتوبة ان شا الله تعالى فان لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذموم
لكسل يعوقك عن الخروج منه او لاستلذاذ به فتذكر هادم اللذات وهو الموت
ومجاته فربما اخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتحشر مع
الخاسرين وان كان عدم اقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وغيره عنك
وشوم الذنب الذي سبق منك او لاستحضار عظمة من عصيته فخف عقاب ربك
على هذا فانه لا يقنط من رحمت الله الا القوم الخاسرون واستحضر سعة رحمت
الله تعالى التي لا يحيط بها الا هو لترجع عن قنوطك فان جانب رحمة الله تعالى لعصاة
الموحدين ارجح من جانب عقوبته لهم هذا كلام ابن السبكي رحمه الله في مبحث التوبة
واعلم يا اخي ان التوبة من اعظم ما من الله تعالى به على عباده فان لم
تقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة فان لم يصح لنا التوبة من ترك
التوبة وجب علينا التوبة من الاصرار على ترك التوبة وهكذا ابدا ما عشنا وما ثم
دا بلا دوا ابدا فان لم يصح لنا شي من ذلك كله فلله رحمة خاصة عن بها على من مات
مصرا على المعصية من اهل الاسلام واعلم ان حقيقة التوبة هي الرجوع الى شهود ان
الله تعالى هو المقدر على العبد ذلك الذنب قبل ان يخلق ومعنى حديث اذا اذنب
العبد فعلم ان له ربا يغفر الذنب وياخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية
او الثالثة افعل ما شيت فقد غفرت لك اي افعل ما شيت من المعاصي واندم
واستغفرني اغفر لك فلا ينفعه العلم بان له ربا يغفر الذنب من غير ندم فافهم
وقال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين من الفتوحات ومن اعظم
دليل على وجوب التوبة فورا قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون

لعلكم تفلحون فامر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة اذا خالفوا باعلامهم بمضمون
قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ليقولوا اذا سئلوا عن ذلك يوم القيامة لو تبت
علينا يا ربنا لتبنا مثل قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ليقول
غرني كرمك يا رب فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجه بها اذا كان محجوجا
وليس هذا التعليم الا للسعدا خاصة فافهم قال واعلم ان توبة الله تعالى على العبد
مقطوع بها وتوبة العبد في محل الامكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء
حدودها وشروطها والجهل بعلم الله تعالى فيها فكل عارف يسال ربه ان يتوب
عليه وحظه هو من التوبة الاعتراف والسوال لا غير بمعنى وتوبوا الى
الله جميعا ايه المومنون الاعتراف والدعا كما فعل ابوكم ادم عليه السلام
تعليما لكم بالفعل والصورة لا بالمعنى لانه لم يكن قربه من الشجرة عن سبيل
الانتهاك حرمة وانما كان نحس تقودا قدار لا غير قال واما الرجوع الى الله
تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ففيه خطر عظيم فانه
ان كان بقي عليه شي من المخالفات فلا بد من نقضه ذلك العهد فينتظم في سلك
من قال الله تعالى فيهم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ولم يكن احد
اكمل بمقام التوبة من ادم عليه السلام حين اعترف بذنبه ودعا ربه وما
نقل انه عاهد الله تعالى انه لا يعود كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة
فالناصح لنفسه من سلك الطريق ابيه ادم عليه السلام فان في العزم المصمم
عند اهل الكشف ما لا يخفى من ادعاء القوة ومقاومة الاقدار الالهية الا
ان يعتصم بذلك انه لا يعود ان وكل الامر اليه استقلالا وذلك محال انتهى
فليتامل ويحرر **وقد وقع** لبعض الاكابر من عباد بني اسرايل انه قال يا رب
لو فرغتني لعبادتك ووكلتني الى نفسي لاريتك من العباده ما لا يفعله احد من
العبيد ففتح التوراة ذلك اليوم وامر ان لا يدخل عليه احد يشغله عن ربه
فما جا نصف العصر حتى وقع في الخطيئة وما قص الله تعالى علينا وقايع الاكابر
الا لنتادب عما ادبهم الله به **فعلم** ان العبد لم يكلف الا بوزن اعماله البارزة
على يده على وفق الكتاب والسنة ويعطي كل فعل حظه فما كان من طاعة فيشكر

الله وما كان من معصية فليستغفر الله وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه
فان كان عارفا قلب المباح بالنية الى شي محمود وفي بعض المواقف ليس للعبد
ان يشغل قلبه بالاختيار لفعل شي او تركه في المستقبل وانما عليه ان
يعطي ما ابرزناه على يديه حقه فان كان طاعة حمدنا على قسمتها له واستغفرنا
من تقصير فيها وان كان معصية حمدنا على تقديرها عليه واستغفرنا من ارتكا[ب]
مخالفة امرنا وان كان غفلة وسهوا فعل ما هو اللايق بمقامه انتهى وقوله ليس
للعبد ان يشغل قلبه بالاختيار لفعل شي او تركه في المستقبل لاينافي مجاهدة
النفس ورد خواطرها الان ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان لانها
وجدت وكذلك لاينافي استخارة لفعل شي في المستقبل لان الاستخارة مامور
بها وقس على ذلك كل مامور والله اعلم **وقال** الشيخ محيي الدين في الفتوحات
بعد كلام طويل وبالجملة فلا يخلو العبد الذي يعاهد ربه على ترك شي او
فعله في المستقبل اما ان يكون ممن اطلعه الله تعالى على انه لا يقع منه زلة
في المستقبل ام لا فان كان ممن اعلمه الحق بذلك على لسان ملك الالهام الصحيح
فلا فايدة للمعاهدة على عزم الا يعود بعد علمه انه لا يعود به وان كان لا يطلعه
الله تعالى على ذلك وعاهد الله على انه لا يعود فقد يكون ممن قضى الله تعالى
عليه ان يعود فيصير ناقضا عهد الله وميثاقه كان اطلعه الله تعالى على انه
يعود فعزمه على ان لا يعود مكابرة ومعارضة للاقدار فعلى كل حال لا فايدة
للمعاهدة على ترك الفعل في المستقبل لا للذي علم ولا للذي جهل وليست
التوبة التي طلبها الحق تعالى من عباده الا ان يفعلوا ما فعل ابوهم ادم عليه
السلام وما بقي على العاصي امر بعد الوقوع يكلف به الا عدم الاصرار على الذ[ن]ب
والتوبة منه لاشعاره بالتهاون وامر الله عز وجل وحد بعضهم الاصرار على
الذنب بان يدخل عليه وقت صلاة اخرى وهو لم يتب **وقال** بعضهم
من لم يتب عقب الذنب فورا فهو مصر ما عدا ما هو اقل من مدة انتظار
الملايكة الكرام الكاتبين فانه ورد انهم ينتظرون العاصي ساعة وما عرفنا
مقدار هذه الساعة هل هي الفلكية او غيرها **قال** وما يويد عدم وجوب

المعاهدة على العزم ان لا يعود ما ورد في حديث اذا اذنب العبد فعلم ان له
ربا يغفر الذنب ويواخذ به الى اخره فانه لم يذكر فيه العزم على ان لا يعود
ولعل من شرطه راى ان من لازم صحة التوبة المشروعة عدم العود فافرده
بالشرطية كما افردوا الاقلاع عن الذنب بالشرطية مع انه من لازم وقوع الندم
وكذلك افرادهم رد المظالم الى اهلها والله اعلم **فان قلت** فهل التوبة من
المقامات المستصحبة الى الموت **فالجواب** نعم هي باقية ما دام العبد مخاطبا
بها حتى تطلع الشمس من مغربها فحينئذ يسد باب التوبة ويغلق فلا ينفع نفس
ايمانها ولا ما تكسبه من خير بذلك الايمان **قال** الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان
المومن لا يغلق له باب يمنعه من التوبة وانما يغلق عليه الباب حتى لا يخرج
ايمانه من قلبه وكيف يغلق دونه وقد جاوزه وتركه وراء ظهره باستقرار
الايمان في قلبه فكان من سعادته غلق هذا الباب على ايمانه حتى لا يخرج منه
بعد ما دخل فلا يرتد بعد ذلك مومن ابدا اذ ليس هناك للايمان باب يخرج منه
فعلم ان غلق باب التوبة رحمة بالمومنين ونقمة بالكافرين ذكره الشيخ في الجوا[ب]
السادس والثلاثين ومائة من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية
وقال في باب السبعين في الزكاة في حديث مسلم تصدقوا فيوشك الرجل
يمشي بصدقته فلا يجد من يقبلها الحديث فيه الامر بالمسارعة بالصدقة
مبادرة للتوبة فان التوبة من الفرايض الواجبة حال التكليف فان اخرها الى
الاحتضار لم تقبل ولهذا لم يقبل ايمان فرعون انتهى **قلت** فكذب
والله وافترى من قال ان الشيخ محيي الدين يقول بقبول ايمان فرعون وهذا
نصه يكذب الناقل والله اعلم **فان قلت** فمتى يصح من العبد التوبة النصوح
التي ما بعدها ذنب **فالجواب** اذا استوفى جميع ما قدر الله تعالى عليه من
المعاصي فهناك يتوب العبد لا محالة توبة نصوحا حتى لو اراد ان يعصي ربه
لم يجد ما به يعصي وما دام الحق تعالى يخلق المعصية فهو واقع لا محالة
ولكن ما تركه الحق تعالى سدى بل امره بالتوبة **وقد قال** الشيخ في الباب
الخامس والخمسين وثلاثمائة لا يصح لعبد قط عصيان الامر لقوة سلطان

الارادة عليه فمن اطاع الامر اطاع الارادة ولا يلزم من طاعة الارادة
اطاعة الامر والسعادة منوطة بفعل الاوامر لا بموافقة الارادة فاياك
والتوسط في التوبة وتقول هذا مقدر علي لا استطيع رده وقد بسط الشيخ
الكلام على ذلك في الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة فراجعه وكان الشيخ محيي الدين
رضي الله عنه يقول في قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اعلم ان
من علامة قبول الله توبته وبدل الله سيئاته بحسنات ان لا يصير يتذكر شيئا من ذنوبه
لكونها محيت وكل ذنب تذكره العبد فليعلم انه لم يبدل انتهى ويؤيده حديث
الطبراني اذا تاب الله على قلب انسي الله حفظته ذنبه وانسى جوارحه ومعالمه
من الارض ان تشهد عليه وهي قاصمة للظهر فليتأمل ويحرر والله اعلم فان قلت
ان من رجال الله من يقع في المعاصي ولا يهتدي لكونها معصية كالمجاذيب وارباب
الاحوال فما حكم هؤلاء في التوبة فالجواب حكمهم حكم من تصرف في مباح لزوال
التكليف وقد اطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب العشرين ومائتين ثم قال
وحاصل الامر ان اهل الله عز وجل في وقوعهم في المعاصي على قسمين رجال لم
تخطر المعاصي لهم ببال لعدم تقديرها عليهم فهؤلاء معصومون او محفوظون
ورجال اطلعهم الله على ما قدره عليهم من المعاصي لكن من حيث انها افعال لا من
حيث كونها معاصي فبادروا الى فعل ما راوه مقدورا عليهم عن فنائهم
عن شهود ما يقرب ويبعد من حضرة الله من الطاعات والمعاصي فهؤلاء لسان
الشريعة المطهرة يقضي عليهم بعصيانهم ووجوب التوبة عليهم وربما
يكون حكم هؤلاء في الاخرة عند الله حكم من فعل امرا لا يدري اطاعة هو
ام معصية قال الشيخ وهذا فن غريب اطلعني الله تعالى عليه بمدينة فاس
ولم الق من رجاله احدا مع علمي بان من رجال الله من ذاقه انتهى فان قلت
فاذا اطلع الولي على ما قدره الله تعالى عليه في اللوح المحفوظ وان ذلك لا تغيير
فيه فهل له المبادرة الى فعله ليستريح من شهوده فان صور المعاصي قبيحة بين
العبد وبين ربه فالجواب لا يجوز له ذلك بل يصبر حتى يجيء وقتها ويقع
بحكم القضا والقدر كما انه لا يجوز لمن اطلعه الله على انه يمرض في يوم من رمضان

انه

انه يصبح مفطرا انما يجب عليه الامساك حتى يجد المرض المبيح للفطر فان قلت
فما مراد بعضهم بقوله شرط التوبة التوبة من التوبة فالجواب مراده ان يديم
مراقبة الله تعالى حتى يكون محفوظا من الوقوع فيما يسخط الله عليه باطنا وظاهرا
فلا يكون له سريرة يفتضح بها قط ولا يتوب منها وقد يريدون بقولهم التوبة
من التوبة ان لا يرى توبته باهل ان تقبل لعدم خلوصها انما ما لنفسه فلا
يقال ان مراد هذا القائل ان التوبة يجب تركها فان ذلك ظن فاحش في القوم
وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب السبعين من الفتوحات قلت
ذكر الشيخ في الباب السبعين في الزكاة ما نصه وهنا مسئلة دقيقة قليل من
عثر عليها من اصحابنا وهي ان العارف بالله تعالى قد لا يوصف بتوبة في بعض
الاحوال وذلك اذا كشف الله تعالى له انه هو الفاعل وحده فلا يجد العارف
لنفسه حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولا عملا ولا نية ولا شيئا في الامر ويجد الامر
كله لله تعالى فهل يتصور من مثل هذا توبة ام لا فانه يرى نفسه مسلوب
الاحوال ثم انه اذا تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف او يكون بمنزلة
من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فان شمس الحقيقة قد طلعت له من مغرب
قلبه فسلب جميع افعاله وهو من اصعب الاحوال فانما قبول التوبة ونحوها من
العمل الصالح انما يكون ممن هو خلف حجاب اضافة الفعل للعبد وهذا لم يخرج شيئا
عن الحق في هذا الكشف عن التعبد حتى يوصف بان الله تعالى يتقبله منه بل هو في يد
الحق تعالى وتصريفه وحده لم يخرج وموضوع القبول انما هو ممن ياتي بشيء ليس
في مستمده انه في ملك الحق قال الشيخ والذي اقول به تصور التوبة مع هذا
الكشف ويكون الله تعالى هنا هو التواب على العبد لا العبد انتهى قلت
والذي ظهر لي ان الجزء البشري المنوط به التكليف يدق ولا ينقطع فلا يجد
من شهود العبد نسبة الفعل اليه من ذلك الوجه وبه صحت مؤاخذته فان
الله تعالى لا يؤاخذ العبد الا بحسب دعواه من جزء بشريته والله تعالى اعلم

المبحث السابع والخمسون

في بيان ميزان الخواطر الواردة على القلب قال في جمع الجوامع لابن السبكي
رحمه الله واذا القي في قلبك يا اخي امر فزنه بميزان الشرع ولا يخلو ذلك من
ثلاثة أحوال اما ان يكون مامورا به او منهيا عنه او مشكوكا فيه قال ويعبر
عن هذا الذي القي في القلب بالخاطر في اصطلاح العلما فالحال الاول
وهو ان يكون مامورا به فلا ينبغي التاخير بل يبادر العبد الى فعله لانه
من الرحمن تبارك وتعالى رحم العبد به اي اراد به الخير حيث اخطره بباله
ليفعله فان خشي العبد وقوعه على صفة منهية كعجب او ريا فلا باس عليه في وقوع
ذلك العمل على تلك الصفة لان افتتاح هذا العمل اولى على الاخلاص لاكن لا تكون
تلك الصفة المذمومة مقصودة له فان اوقعها قاصدا للريا وبا ميلا كان عليه
اثم ذلك فليستغفر منه وجوبا والحال الثاني وهو ان يكون الخاطر منهيا عنه
فلا ينبغي المبادرة الى فعله ورده بل يجب على العبد المرة بعد المرة فانه من
الشيطان فان مال العبد الى فعله ولكن لم يقع فليستغفر الله والحال الثالث
ان يكون ما القي في القلب مشكوكا فيه بان لم يظهر للعبد اهو مامور به
او منهي عنه فمن الادب الامساك عن العمل به حذرا من الوقوع في المنهي عنه
ومن ثم قال الشيخ ابو محمد الجويني رحمه الله اذا شك المتوضي ايغسل ثلاثة
فيكون مامورا بها او رابعة فيكون منهيا عنها فلا يغسل خوف الوقوع في
المنهي قال الكمال في حاشيته والمعتمد انه يغسل لان التثليث مامور
به ولم يتحقق قبل هذه الغسلة فياتي به انتهى كلام شرح جمع الجوامع وحاشيتهم
وأما كلام الشيخ محيي الدين في الخواطر فقال في الباب الرابع وستين ومائتين
اعلم ان الله تعالى سفرات الى قلب عبده يسمون الخواطر لا اقامة لهم في قلب
العبد الا زمان مرورهم عليه فيؤدون ما ارسلوا به الى ذلك العبد من غير
اقامة بذواتهم وهم سبعون الف خاطر في اليوم والليلة على عدد من يدخل
البيت المعمور في كل يوم لا يزيدون ولا ينقصون فلا تغفل يا اخي عن هؤلاء
السفرا فانهم يمرون بساحتك ضيوفا ولا يبيتون فان وجدوك متصفا
باليقظة فهو المقصود وان وجدوك متصفا بالغفلة نفروا في مرورهم على

بابك

بابك لتتيقظ فان تيقظت فانهم لا يفوتونك وان لم تتيقظ لنفرتهم تركوك
ورجعوا الى ربهم واطال في ذلك ثم قال وعدة الخواطر خمسة جعلها الله
تعالى لك لتمشي عليها على القلب وتمشي الطريق الواحد وجوبا والثاني ندبا
والثالث حظرا والرابع كراهة والخامس اباحة وجعل الله تعالى في كل طريق
من هذه الطرق مسلكا يقابل الشيطان بامر العبد بضد ما يامره به الشيطان
ما عدا طريق الاباحة انتهى فان قلت فهل عفوبة الله تعالى عن هذه الخواطر
في حق كل الناس ام العفو خاص ببعضهم فالجواب هو خاص ببعضهم عند من
يقول ان قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله غير
منسوخة او منسوخة في حق العامة دون الخاصة اما عند من يقول انها
منسوخة فهي عامة في حق كل الامة ولكن كتب القوم مشحونة لهم بالمواخذة
بالخواطر في هذه الدار وذكر الشيخ في الباب الثاني والعشرين واربعماية
ما نصه اعلم ان الله تعالى قد عفى عن الخواطر التي لا تستقر عندنا إلا
بمكة شرفها الله تعالى لان الشرع ورد ان الحق تعالى يواخذ من اراد الظلم
فيها قال وكان ذلك سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطايف احتياطا لنفسه رضي
الله عنه فان الانسان ليس في قدرته ان يمنع قلبه عن الخواطر التي تناقض
مقامه الا ان يكون معصوما او محفوظا وانما نكر في الاية قوله بظلم ليجتنب
الساكن بالحرم كل ظلم انتهى وقال في علوم الباب التاسع والستين وثلاثماية
اعلم ان حديث النفس انما كان مغفورا اذا لم يعمل او يتكلم والكلام
عمل فيواخذ به العبد من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فان العبد
يواخذ بذلك ويسال عنه من حيث لسانه قال ولا يدخل الهم بالشي في حديث
النفس لان الهم بالشي له حكم اخر في الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن
كمن يرد في الحرم المكي الحادا بظلم فان الله اخبر ان يذيقه من عذاب أليم
سوا اوقع منه ذلك الظلم الذي اراده ام لم يقع واما في غير المسجد الحرام
فانه غير مواخذ بالهم فان لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك
من اجل الله خاصة فان لم يتركها من اجل الله لم تكتب له ولا عليه فهذا هو الفرق

بين حديث النفس والارادة التي هي الهمة المنهي فان قلت فما حكم من كثر عليه
وسوسة الشيطان في الصلاة فالجواب كما ذكره الشيخ في باب صلاة شدة الخوف
من الفتوحات ان حكمه حكم المصلي صلاة شدة الخوف فهو اي الشيطان مع المصلي في
حرب عظيم فيصلي في هذه الحالة ولو قطع الصلاة كلها في محاربة الشيطان فيؤدي
الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي له من الحضور انه في الصلاة في باطنه كما يؤدي
المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي له من الصلاة في
ظاهره من الايماء بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه الظاهر فان وسوس له
الشيطان لم يضره وسوسته في صلاته فان كان قد جبل المصلي في نفسه انه
يصلي رياء وسمعة وكان قد اخلص في شروعه في الصلاة فلا يبالي فان الاصل
صحيح في اول نشأة صورة الصلاة فلا يبطل عمله وعرض الشيطان بذلك
الخاطر انما هو ان يترك العبد العمل الذي شرع فيه العبد على صحة ليخالف
قوله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم بسبب تلك الشبهة التي يلقيها الى قلب العبد انتهى
فان قلت فما محل مخالفة النفس من الاحكام فالجواب محل مخالفتها في ثلاثة
امور في المباح والمكروه والمحظور لا غير كما ذكره الشيخ في الباب الثاني عشر ومائة
قال واما اذا وقعت لها لذة عظيمة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهناك علة
خفية فيخالفها بطاعة اخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات
في فنون من العبادات سلمنا لها تلك اللذة في تلك الطاعة الخاصة وان وجدت
المشقة في العمل المقرب الاخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول الى المشق
واجب لانها ان اعتادت المساعدة في مثل هذا انتقلت الى المساعدة في المحظور
والمكروه والمباح قال واذا فكر خبيث النفس انه يفعل سوءا اذا فرغ من
الصلاة مع كونه مؤمنا فالصلاة صحيحة وهو ممن حدثت نفسه بسوء وقد عفي
عنه ما لم يعمله انتهى فان قلت فكم ينقسم الخاطر الشيطاني الى قسم فالجواب
ينقسم الى قسمين حسي ومعنوي ثم الحسي ينقسم الى قسمين لان الشياطين
قسمين شيطاني انسي وشيطاني جني قال تعالى شياطين الانس والجن يوحي
بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون

فجعلهم

فجعلهم افتر على الله وحدث بين هذين الشيطانين في الانسان شيطان اخر معنوي وذلك
ان شيطان الانس والجن اذا القى في قلب الانسان امرا ما يبعده بذلك عن الله فقد
يلقي امرا خاصا او خصوص مسالة بعينها وقد يلقي امرا عاما ويتركه فان كان امرا
عاما فتح له في ذلك طريقا الى امور لا يتفطن الانسي ولا الجني يتفقه فيه
ويستنبط من تلك الشبه امورا اذا تكلم بها تعلم ابليس الغواية منها فتلك الامور
التي تنفتح له في ذلك الاسلوب العام الذي القاه اليه اولا شيطان الانس او
شيطان الجن يسمى الشياطين المعنوية اذ كل واحد من شياطين الانس والجن يجهل
ذلك ولم يقصد على التعيين وانما ارادوا بالقصد الاول فتح هذا الباب على
كل انسان لانهم علموا ان في قوته وفطنته ان يدقق النظر فيه فينقدح له المعاني
المهلكة ما لا يقدر على ردها بعد ذلك وسببه الاصل الاول فانه اتخذ اصلا
صحيحا عول عليه فلا يزال التفقه فيه يسوقه حتى يخرج به عن ذلك الاصل
قال وعلى هذا جرى اهل البدع والاهوا فان الشياطين القت اليهم اولا
اصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرات عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا
فينسب ذلك الى الشيطان بحكم الاصل وما علموا ان الشيطان في تلك المسالة
تلميذ لهم يتعلم منهم قال واكثر ما ظهر ذلك من الشيعة ولا سيما في الامامية
منهم فادخلت عليهم الشياطين اولا حب اهل البيت واستفراغ الحب فيهم ورأوا ان
ذلك من اقرب القربات الى الله تعالى والى رسوله وكذلك هو لو وقفوا ولم يزيدوا
عليه بغض الصحابة وسبهم والطال في ذلك ثم قال وبالجملة فكل شخص لا يفرق
بين الخواطر لا يفلح في طريق الله ابدا فانه ليس غرض الشيطان من الصالحين الا ان
يجهلوه في الخواطر المذمومة فياخذوا عنه ما يلقيه اليهم من الضلالات والشبه
انتهى وتقدم في المبحث الثالث والعشرين في اثبات الجن زيادة على ذلك
وكذلك في مبحث الولاية فراجعهما والله تعالى اعلم

المبحث الثامن والخمسون

في بيان عدم تكفير احد من اهل القبلة بذنبه او ببدعة وبيان ما ورد

في تكفيرهم منسوخ او موول او تغليظ وتشديد كقوله تعالى ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الكافرون قال ابن عباس وغيره هو كفر لا ينقل عن
الاسلام ومن امثلة ما ورد التكفير به من الذنوب شرب الخمر واتيان الساحر
والكاهن ومن امثلة ما قيل بالتكفير من البدع انكار صفات الله تعالى او خلقه
افعال عباده او عدم جواز رؤيته يوم القيمة فان من العلماء من كفر هولاء اما
من خرج ببدعة عن اهل القبلة كمنكر حدوث العالم ومنكر البعث والحشر والنشر
للاجسام والعلم بالجزئيات على ما مر فيه في مبحث اسمه تعالى العالم فلا نزاع في
كفرهم لانكارهم بعض علم ما جاء الرسول به ضرورة قال الكمال في حاشية على شرح
جمع الجوامع وقد عزي تكفير اهل البدع والذنوب من اهل القبلة الى الاشعري
وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره قد رجع الشيخ ابو الحسن الاشعري
قبل موته عن تكفير احد من اهل القبلة قال لان الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف
وقال قد اختلفنا في عبارات كثيرة والمشار اليه واحد قال الشيخ كمال
الدين ومن قال منا بان لازم المذهب مذهب كفر المبتدعة الذين يلزمهم مذهبهم
ما هو كفر فان المجسمة مثلا عبدوا جسما وهو غير الله تعالى بيقين ومن عبد غير
الله كفر قال واما المعتزلة فانهم وان اعترفوا باحكام الصفات فقد انكروا
الصفات ويلزم من انكار الصفات انكار احكامها فهم كفار بذلك قال الكمال
والصحيح لازم المذهب ليس بمذهب وانه لا كفر بمجرد اللازم ولان اللازم غير
الالتزام وقد وقع في المواقف ما يقتضي تقييده بما اذا لم يعلم ذو المذاهب
اللزوم ولان اللازم كفر فانه قال من يلزمه الكفر ولا يعلم به ليس بكافر انتهى
ومفهومه انه ان علمه كفر لالتزامه اياه والله اعلم انتهى ه وقد ذكر الشيخ ابو
طاهر القزويني في كتابه سراج العقول انه روي في بعض طرق حديث ستفترق
امتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ما نصه كلها في الجنة الا
واحدة رواها ابن النجار قال العلما والمراد بهذه الواحدة التي هي في النار
هم الزنادقة قال القزويني وعلى هذه الرواية فيكون معنى الرواية المشهورة
كلها في النار الا واحدة اي في النار ورودهم وذلك في مرورهم على الصراط ثم

ينجي

ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا والظالمون هم الكافرون فلا ينبغي
لمتدين ان يكفر احدا امن من اهل الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ما داموا
مسلمين يتدينون باحكام اهل الاسلام قال وامهات هذه الفرق الواردة
في الحديث المتقدم ستة مشبهة ومعطلة جبرية وقدرية ورافضة وخوارج
وكل طايفة من هذه الستة قد تشعبت اثني عشر فرقة فاضرب الستة في الاثني
عشر فما بلغ فهو العدد المشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم لا يخفى ان
الكفر هو ضد الايمان قال تعالى فمنهم من امن ومنهم من كفر والايمان هو التصديق
بالرسول وبما جا به والكفر هو التكذيب لانه مخالفة نص مقطوع به او مخالفة
الاجماع وفيها جميع تكذيب الرسل ثم ان التكذيب ينقسم الى اربعة اقسام الاول
تكذيب اليهود والنصارى وذلك كفر لا شك فيه الثاني تكذيب المنكرين لاهل
النبوة وتكفيرهم يكون على الطريق الاولى لانهم كذبوا جميع الانبيا ومن اهل هذا
القسم الدهرية لانهم كذبوا بالله وبالرسل جميعا ومنهم ايضا الملاحدة لانهم لبسوا
التكذيب في صورة التصديق فعلقوا بمعرفة الله وبمعرفة الرسول وقد علم
قطعا ان معرفة الرسول بمعرفة المرسل فتكون المسئلة دورية لا يمكن اثبات
واحد منهما وفي ضمن دعواهم هذه نفي الرسول والمرسل جميعا وتبعهم اقوام على
ذلك الاعتقاد فانكروا الشرايع واباحوا نكاح الامهات والبنات وقالوا ما ثم الا
تدفع وارض تبلع فالتحقوا بالمجوس والدهرية القسم الثالث قوم صدقوا الرسل
ولكن اعتقدوا ان جميع ما اخبر به الرسل من الشرايع ومنكر ونكير والحشر والنشر ونحو
ذلك على طريق المصالح للخلق وهم الفلاسفة وكفرهم من حيث تجويزهم الكذب على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وفي ذلك سد باب النبوة اذ تبطل الثقة بقولهم فيجب
تكفيرهم بالطريق الاولى ويقرب من هذا القسم الحلولية الذين يزعمون ان روح
الاله حلت فيهم وان الله تعالى اعطانا على صورة حروف الهجا وكذلك تقرب
اليه الخطابية التي ادعت الالوهية لجعفر بن محمد الصادق وكذلك السبابية
لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه فامر علي رضي الله عنه باحراقهم بالنار فصاروا
يصرخون بالنار الان تحققنا انك الاله فلما اطلع ايمة الشريعة على هذه الفضايح

الشيعة الحقوا القدرية بالمجوس والحولية باهل الردة والجسمة لعبدة الاوثان
فيستتابوا ويبنهون على ان ذلك كفر فان اصروا ولم يرجعوا عقد السلطان لهم
مجلسا وفعل بهم ما اتفق راي العلماء عليه من قتل او عقوبة وليس ذلك لاحاد
الرعية باجماع الامة القسم الرابع قوم صدقوا الرسول ولكنهم اخطاوا في التاويل
مع كونهم من اهل القبلة كالمعتزلة والنجارية والروافض والخوارج والمشبهة ونحوهم
وقد اختلف الائمة هل الخطا في التاويل يبلغ حد التكفير فيبلغ التكفير ام لا
فصاروا في ذلك فرقتين الفرقة الاولى زعمت ان من خالف الرسول في شي اخبر به
فقد كذبه سوا كان بمجرد الانكار والخطا في التاويل واجروا عليهم بذلك احكام
الكفرة ولم يعتنوا ابين الغلاة منهم وبين المقتصدين وهولاء مع ما ضيقوا من رحمة
الله تعالى التي وسعت كل شي لم يتابعهم الجمهور من العلما والخلفا ولم يهرقوا دماء
القوم بقولهم ولا استباحوا اموالهم ولا حرموهم بقتواهم بل اجروا عليهم احكام المسلمين
الى عصرنا هذا لدخولهم في صدق اسم المسلمين عليهم وهم من امة الاجابة بلا شك
فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى ومن سماهم فسقة ضالة مبتدعة مخطية ونحو ذلك
ومن سماهم كفرة فانما ذلك على سبيل التشديد والتغليظ لما هم عليه من الخطاء الفاحش
والبدع الشنيعة فشبه ذلك بالكفر لمقاربته له كما ورد في الحديث المراء في القران
كفر وكما ورد بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة ومن ترك الصلاة متعمدا فقد
كفر واذا قال المسلم للمسلم يا كافر فقد كفر وكما ورد لا يزني الزاني حين يزني
وهو مؤمن ونحو ذلك فانه كله ورد على جهة التغليظ والزجر فان الشي قد يطلق
على الشي الاخر بنوع شبه ولا يقتضي حقيقة الحكم عند التفصيل كما يقول الشخص
لاجنبي انت اخي او ولدي على طريق التقريب والاكرام ثم لا يرثه اذا مات
ولا يحرم بناته واخواته عليه وكما يقول الرجل للاخر انا عبدك على معنى التواضع
والطاعة ولا يجوز له بذلك القول بيعه ولا امتلاكه انتهى قلت لكن في
فتاوي الامام الكردي في اخر الفاظ التكفير بعد ما قال ائمة الحنفية من
المكفرات ما نصه ويحكى عن بعض من السلف انه كان يقول ما ذكر في الفتاوي
ان فلانا يكفر بكذا انما هو بالتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر قال وهذا الكلام

باطل وحاشا ان يلعب امناء الله اعني علما الاحكام بالحلال والحرام والكفر
والاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام محمد صلى الله عليه وسلم
او ما ادى اجتهاد الامام اخذا من نص القران الذي انزله الملك العلام وشرعه
سيد الرسل العظام او قاله الصحب الكرام قال هذا الذي حررته هو كلام المشايخ
السابقين العظام بوأهم الله بفضله دار السلام انتهى كلامه وما عليه الجمهور
اولى فان منازع الفرق دقيقة على غالب الناس وكيف يقتل من قال ربي الله
ومحمد نبي ويؤمن بالحشر والحساب اعلم ان الفرقة الثانية من الائمة قد امسكت
عن القول بتكفير المؤولين ولم يجعلوا احدا منهم كافرا ولا مكذبا بالرسل وقالوا لو
كانوا مكذبين للرسل كالفرق المؤولين لم يعتنوا بها وبكلامه صلى الله عليه وسلم
ولم يشتغلوا به بل كانوا يضربون عنه صفحا فاشعر عدولهم الى تاويله بانهم
قبلوه وصدقوا به غير انهم لم يوفقوا للصواب في تاويله فاخطاوا فيه
فكان حكمهم حكم من فر من الكفر فوقع في البدعة بخطائه قال ابو سليمان
الخطابي رحمه الله واول ما وقع مفارقة اهل السنة في زمان الامام علي رضي الله
عنه وكان هولاء المخالفون هم الذين اخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال وقد سئل رضي الله عنه عن
اكفارهم فقال لا انهم من الكفر فروا فقيل امنافقون فقال لا ان المنافقين
لا يذكرون الله الا قليلا وهم لا يذكرون الله كثيرا فقيل اي شي هم فقال اصابتهم
فتنة فعموا فيها وصموا قال الخطابي وانما لم يجعلوا كفارا لانهم تعلقوا بضرب
من التاويل والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين اي الطاعة كما قال
الله تعالى ليأخذ اخاه في دين الملك اي طاعته قال وحجة من قال بعدم تكفير
المتاولين انه قد ثبت عصمة دمائهم واموالهم بقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله
ولم يثبت لنا ان الخطا في التاويل كفر ام لا فلا بد من دليل على دليل على ذلك
من نص او اجماع ولم نجد من ذلك شيا فبقي القوم على الاسلام فان اتفق في زمان
وجود مجتهد تكاملت فيه شروط الائمة الاربعة وبان له دليل قاطع ان
الخطا في التاويل موجب للكفر كفرناهم بقوله وهيهات ان يوجد مثل ذلك في مثل

هذا الزمان انتهى ○ وقد سئل الامام المزني رحمه الله عن مسئلة في علم العقايد
فقال حتى انظر واتثبت فانه دين ○ وكان ينكر على من يبادر على تكفير اهل الاهوا
والبدع ويقول ان المسايل يقعون فيها لطاف تدق عن النظر العقلي **وكان**
امام الحرمين يقول لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من العبارات مما لا يقتضيه
لقلنا هذا طمع في غير مطمع فان هذا بعيد المدرك وعزيز المسلك يستمد من تيار
بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقايق لم يحصل من دلايل الكفر على وثايق
وكان ابو المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة لا يكفر احدا من اهل
المذاهب الاسلامية لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل
قبلتنا واكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا انتهى **قلت** وقد رايت سوالا
بخط الشيخ شهاب الدين الاذرعي صاحب القوم قدمه الى شيخ الاسلام الشيخ
تقي الدين السبكي رحمه وصورته ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام في تكفير اهل
الاهوا والبدع فكتب اليه اعلم يا اخي وفقني الله واياك ان الاقدام على تكفير المومنين
عسر جدا وكل من في قلبه ايمان يستعظم القول بتكفير اهل الاهوا والبدع مع قولهم
لا اله الا الله محمد رسول الله فان التكفير امر عظيم الخطر ومن كفر انسانا فكانه اخبر
ان عاقبة ذلك الانسان في الاخرة العقوبة الدايمة ابد الابدين وانه في الدنيا مباح
الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه احكام اهل الاسلام في حياته
ولا بعد مماته والخطا في ذلك قتل مسلم ارجح في الاثم من ترك قتل الف كافر ثم ان
تلك المسايل التي يحكم فيها بالتكفير لهولاء المبتدعة في غاية الدقة والغموض لكثرة
شعبها ودقة مداركها واختلاف قراينها وتفاوت دواعي اهلها ويحتاج من يحيط
بالحق فيها الى الاستقصاء في معرفة الخطاب بساير صنوف وجوهه والى
الاطلاع على حقايق التاويل وشرايطه في الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة وغير
المحتملة وذلك يستدعي معرفة جميع طرق اهل ذلك اللسان من ساير قبايل العرب
في حقايقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقايق الامور في علم التوحيد الى غير
ذلك مما هو متعذر جدا على غالب العلما فضلا عن غيرهم واطال في ذلك ثم **قال**
نعلم ان القول بتكفير اهل الاهوا والبدع يحتاج الى امرين عزيزين احدهما تحرير

المعتقد وهو صعب من جهة عدم الاطلاع على ما في القلب وتخليصه مما يشوبه مع
تعذر ان الشخص ينطق عنه حاكيا عما يعرف ان به يكون قله هذا امر اعز من
الكبريت الاحمر وكذلك البينة على ما في قلب الشخص يتعذر اقامتها الثاني ان الحكم
بان ذلك كفر صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواطن الاستثنا وتمييز الحق فيه
من غيره وانما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج من الهوى
والتعصب بالكلية مع امتلائه من علوم الشريعة والاطلاع على اسرارها وعلى مبالغ
الايمة المجتهدين فيها وهذا قل ان يوجد الان عند شخص واذا كان الانسان
يعجز عن تحرير اعتقاد نفسه في عبارة فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره في
عبارة فالادب من كل مومن ان لا يكفر احدا من اهل الاهوا والبدع لا سيما وغالب
اهل الاهوا انما هم عوام مقلدون لبعضهم بعضا لا يعرفون دليلا يناقض اعتقادهم
اللهم الا ان يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التاويل عنادا فللعلماء في ذلك
النظر انتهى كلام الشيخ تقي الدين السبكي ومن خطه نقلت رحمه الله وهو كلام في غاية
الجودة والنفاسة **وكان** الامام احمد بن زاهد السرخسي اخص اصحاب الشيخ
ابو الحسن الاشعري يقول لما حضرت وفاة الشيخ ابي الحسن الاشعري في داري ببغداد
امر بجمع اصحابه ثم قال اشهدوا علي اني لا اكفر احدا من اهل القبلة بذنب لاني
رايتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم انتهى فانظر كيف
سماهم مسلمين والله تعالى اعلم **خاتمة** اخبرني شيخنا الامام العالم المحدث الشيخ
امين الدين امام جامع الغمري بمصر المحروسة ان شخصا وقع في عبارة في التوحيد
ظاهرها مخالف للشريعة فعقدوا مجلسا بحضرة السلطان بمصر وافتى العلما بكفره
وكان الشيخ جلال الدين المحلي غايبا عن اول المجلس فلما حضر قال من افتى بقتل
هذا فقال شيخ الاسلام صالح البلقيني وجماعة نحن افتينا بذلك فقال لهم
ما دليلكم في ذلك فقال الشيخ صالح افتى بذلك والدي شيخ الاسلام سراج الدين
البلقيني في نظير هذه الواقعة فقال يقتلون رجلا مومنا موحدا يقول ربي
الله ومحمد رسول الله بفتوى والدك ثم اخذ بيد الرجل ونزل به من القلعة
فما تجرا احد يتبعه رضي الله عنه **وقال** شيخ الاسلام بالشام سراج الدين

المخزومي افتيت من يقتل يهودي انتقص رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبني على ذلك شيخ الاسلام جلال الدين البلقيني وقال هلا كنت به بعثت الى المالكية ليتقلد وامره وارحت نفسك من تبعته قال المخزومي رحمه الله وقد افتى شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين الزهري بقتل رجل سب أمنا عائشة وكان قد نماه فلم يثبته فلما خرج جوابه به يجرونه للقتل قال باعلا صوته يا زهري ما حجتك عند الله اذا قال انقتلون رجلا ان يقول ربي الله ومحمد رسول الله نبي فكان الزهري لايزال يذكر قوله ويبكي ويقول اني خائف من قتل ذلك الرجل ان يواخذني به الله يوم القيامة انتهى هذا الخوف في حق من سب من صرح القران ببرآتها فكيف بمن تجرا على الافتا بقتل احد من الاوليا بعبارة لم يفهمها على وجهها لغلط حجابه وقال الامام الغزالي رحمه الله يقول من اكبر الاثام تخطئة العلما من غير اطلاع على مرادهم وحمل كلامهم على حالة لا يرتضونها وقال في كتابه المنقذ من الضلال انما يجب على العلما بيان ما تبين لهم من الحق وما لا يتبين لهم وقال شيخ الاسلام المخزومي قد نص الامام الشافعي على تكفير اهل الاهوا في رسالته وقال لا اكفر اهل الاهوا بذنب وفي رواية عنه ولا اكفر احدا من اهل القبلة بذنب وفي رواية اخرى عنه ولا اكفر اهل التاويل المخالف للظاهر قال المخزومي رحمه الله اراد الامام الشافعي باهل الاهوا اصحاب التاويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة واراد باهل القبلة اهل التوحيد انتهى فقد علمت يا اخي ما قررناه لك في هذا المبحث ان جميع العلما المتدينين امسكوا عن القول بالتكفير لاحد من اهل القبلة بذنب فبهداهم اقتد والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث التاسع والخمسون

في بيان ان جميع ملاذ الكفار في الدنيا من اكل وشرب وجماع وغير ذلك كله استدراج من الله تعالى حيث يلذ مع علمه باصراره على الكفر الى الموت فهي نقمة عليه يعذب بها عذابا زايدا على عذاب الكفر وقالت المعتزلة انها نعمة يترتب عليها الشكر وقال بعض المحققين جميع ما يرزقه الله للكافر ليس لكرامة ولا لاهانة

وانما ذلك لسبق العلم بانه يرزقه ما به قوام بدنه حتى يفعل جميع ما كتب له او عليه انتهى وقالوا وجميع ما يفعله الكافر من الخيرات يجازيه الله تعالى عليه في دار الدنيا من صحة في البدن وتوسعة في الرزق وغير ذلك وليس له في الاخرة من نصيب فانه تعالى اخبر انه لا يضيع اجر من احسن عملا لوسع كرمه ثم ان ختم الله تعالى لذلك الكافر بالاسلام اثيب على كل عمل لا يشترط فيه النية كحفر الابار للعطش واطعام الجايع وقري الضيف وصلة الرحم والعتق زيادة على جميع الاعمال الاسلامية كما قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين اسلم اسلمت على ما سلف لك من خير وكان قد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور وانه يتبرز بها في الجاهلية وهذا ما عليه الجمهور وقال الامدي في الابكار لا نعلم خلافا بين اصحابنا انه تعالى ليس له على من علم اصراره على الكفر نعمة دينية ابدا واما النعمة الدنيوية فللاشعري فيها قولان وميل القاضي ابو بكر الى الاثبات ثم اشار الى ان الخلاف لفظي فمن نفى النعم فلا ينكر الملاذ في الدنيا وتحقيق اسباب الهداية غير انه لا يسميها نعما لما يعقبها من الهلاك ومن اثبت كونها نعما لا ينازع في تعقب الهلاك لها غير انه سماها نعما للصورة وكان ابو العباس السياري رضي الله عنه يقول عطا الحق للمومن على نوعين كرامة واستدراج فما ابقاه عليك فهو كرامة وما ازاله عنك تبين انه استدراج قالوا والالم مقابل اللذة قالوا واختلفوا فيه هل هو وجودي او عدمي ولكل منهما وجه قالوا وعلى اللذات اللذة العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الاشيا والوقوف على حقايقها وهي اللذة على الحقيقة وعلى هذا فاللذة محصورة في المعارف وقال ابو زكريا الطبيب اللذة امر عدمي وهو الخلاص من الالم وضعف هذا القول بان الانسان قد يلتذ بالشي من غير سبق الم كما اذا وقع بصره على صورة حسنة فانه يلتذ بابصارها مع انه لم يكن له شعور بها حتى يحصل تلك اللذة مخلصة له من الم الشوق اليها وكذلك من وقف على مسالة علم او كنز مال فجاة من غير خطور ذلك بالبال والم الشوق اليهما وقال السمرقندي في الصحايف الحق ان الادراك ليس هو نفس اللذة بل لازمها وفي المحصول ان الصواب انها لا تحد لانها من الامور

الوحدانية وعلي ذلك مشي في الطوالع **وقال** الشيخ عز الدين بن عبد السلام هذا مخصص بدار المحنة واما دار الكرامة التي هي الجنة فان اللذة تحصل فيها من غير الم تتقدمها او تقترن بها لان العادات خرقت فيها فيجد اهل الجنة لذة الشرب من غير عطش ولذة الطعام من غير جوع وكذلك القول في العقوبات فان اقل عقوبات الاخرة لا يبقي معه في هذه الدار حياة واما الدار الاخرة فياتي احدهم اسباب الموت من كل مكان وما هو بميت والله سبحانه وتعالي اعلم

المبحث الستون

في بيان وجوب نصب الامام الاعظم ونوابه ووجوب طاعته وانه لا يجوز الخروج عليه وان وجوب نصبه علينا لا علي الله عز وجل وانه لا يشترط كون الامام افضل اهل الزمان بل يجب علينا نصبه ولو مفضولا وذلك ليقوم بمصالح المسلمين كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ جميع مصالح المسلمين الدينية والدنيوية فلولا الامام الاعظم ما زجر الناس عما يضرهم ولا انعقدت احكامهم ولا اقيمت حدودهم ولا قسمت غنايمهم وقد اجمع الصحابة بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم علي نصبه حتي جعلوه اهم الواجبات وقدموه علي دفنه صلي الله عليه وسلم ولم يزل الناس في كل عصر علي ذلك ويؤيد ذلك ايضا عدة احاديث منها حديث مسلم من خلع يدا من طاعة لقي الله تعالي ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية **وقال** الكمال في حاشيته نصب الامام واجب سمعا اي شرعا لا عقلا وقال اصحاب الجاحظ والبلخي والبصري من المعتزلة بوجوب نصب الامام علي الخلق تعالي عقلا لانهم يقولون الضرر مع عدم الامام متوقع من الظلمة علي الضعفا ودفع الضرر المظنون واجب عقلا وذلك انما يندفع بنصب امام يقوم باحكام اهل الشرع وهم موافقون لاهل السنة في تعيين الايمة واما اهل السنة ذهبوا الي ان الامام يعرف بامور اما بنص من يجب ان يقبل قوله كنبي او امام باجماع المسلمين وكان الامام بعد النبي صلي الله عليه وسلم باجماع ابو بكر الصديق ثم عمر الفاروق

بنص

بنص ابي بكر ثم عثمان بنص عمر ثم علي بنص جماعة جعل امر الخلافة شوري بينهم فانه لم يستخلف احدا فاجمع الناس علي امامة عثمان ثم علي المرتضي واجمع المعتبرون من الصحابة علي ذلك وهولاء هم الخلفا الراشدون ثم وقعت المخالفة بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن واستقرت الخلافة من بعد علي بني امية وبني مروان حتي انتقلت الخلافة الي بني العباس واجمع اكثر اهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة الي بني العباس واجمع اكثر اهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الي ان جري ما جري واما قول بعض الروافض ان ابا بكر غصب الخلافة وتقدم علي علي ظلما فهو باطل يلزم منه اجماع الصحابة علي الظلم حيث مكنوا ابا بكر رضي الله عنه من الخلافة وحاشاهم من ذلك فانهم حماة الدين **وقال** الخوارج والاصم من المعتزلة لا يجب علي الناس نصب امام ومنهم من قال بوجوب نصبه عند ظهور الفتن دون زمن الامن وبعضهم عكس الامر **وقالت** الشيعة المسمون بالامامية بوجوب نصب الامام علي الله تعالي والحق انه لا يجب علي الله شي ولو اوجبه علي نفسه او حرمه كما في قوله تعالي وكان حقا علينا نصر المومنين وكما في قوله تعالي في الحديث القدسي اني حرمت الظلم علي نفسي وذلك لان حضرته لا تقبل التحجير سبحانه وتعالي وبذلك بان حقيقة الحد التحجير لا يكون الا من اعلي علي ادني فافهم **وقالت** المعتزلة يجب علي الله تعالي اشيا يترتب الذم بتركها منها الجزا اي الثواب علي الطاعة والعقاب علي المعصية ومنها اللطف بان يفعل بعباده ما يقربهم علي الطاعة ويقربهم منها ويبعدهم عن المعصية بحيث لا ينتهون الي حد ومنها فعل الاصلح لهم في الدنيا من حيث الحكمة وقولنا في ترجمة المبحث لا يجوز الخروج علي السلطان الجاير بنا علي العزالة بالجور عندهم وقولنا يجب نصب الامام ولو مفضولا قد خالفنا قوم في ذلك فقالوا لا يكفي نصب الامام المفضول مع وجود الفاضل بل يتعين نصب الفاضل ونقل ذلك عن الاسماعيلية وهم قوم منتسبون الي اسمعيل بن الامام جعفر الصادق المدفون بالقرب من البقيع ويسمون بالباطنية وبالملاحدة اما الباطنية فلكونهم يقولون ان لكل اية ظاهر وباطن واما تلقيبهم بالملاحدة فلعدولهم عن طريق الحق وعن ظواهر الشريعة الي بواطنها في بعض الاحوال **واعلم** ان بعضهم جعل كلام بعض الصوفية في دقايق العلوم كمذهب

الباطنية سواء والحق ان بينهما فرقا فان الصوفية لا يعتمدون قط على باطن الا
ان وافق ظاهر الشريعة والا رموا به وكتبهم مشحونة بذلك بخلاف الباطنية يعتمدون
ما انتحله اكابرهم سواء وافق الشريعة او خالفها فافهم ۞ وقد تقدم في مبحث الكلام على
القطب والافراد انه قد يكون من الافراد من هو اكمل من القطب لان القطب لم ينل
هذا المقام بفضله على الكافة من الاولياء وانما هو لسبق العلم بانه لابد في العالم من واحد
يرجع اليه امر الناس فتعين للقطبية لا باولية فكذلك القول في مبحث الامامة هنا
لا يشترط ان يكون الامام افضل الرعية والله اعلم واعلم انه لا يشترط في الامام العصمة
ولا كونه هاشميا ولا علويا خلافا للرافضة وذهب الجمهور الى ان الامام الاعظم لا ينعزل
بالفسق وفي كتب امامنا الشافعي رضي الله عنه يشترط ان يكون الامام مسلما بالغا
حرا عدلا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا راي وكفاية قرشيا سميعا بصيرا ناطقا سليم الاعضاء
من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض فان لم يوجد قرشي اجتمعت فيه الشروط
فكناني فان لم يوجد فعجمي والجاهل العادل اولى من الجاهل الفاسق كما هو مقرر
في كتب الفقه هذا ما رايته في كتب المتكلمين واما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله
فقال في الثاني والعشرين وثلاثمائة في الفتوحات فان قلت ان الشارع لم ينص
على الامر باتخاذ الامام فمن اين يكون واجبا فالجواب ان الله تعالى امرنا باقامة
الدين ولا سبيل لاقامته الا بوجود الامان على انفس الناس واهليهم واموالهم
ومنع تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يصح لهم الا مع وجود امام يخافون سطوته
ويرجون رحمته ويرجعون اليه ويجتمعون عليه فما لم يامنوا على انفسهم لا يتفرغون
لاقامة الدين الذي اوجب الحق تعالى عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب
الا به فهو واجب واتخاذ الامام واجب علينا لا على الله قال ويجب ان يكون
واحدا لئلا يختلفا فيؤدي الى الفساد في الكون كما ان اله العالم واحد وكما ان قطب
الغوث واحد في العالم فنصب الامام واحد واجب شرعا انتهى فان قلت
اذا صحت امامة شخص فبماذا ينعزل منها فالجواب ينعزل بعجزه عن القيام بحقها
من منع بغي الرعية على بعض ونحو ذلك مما تقدم في شروط الامامة كما هو مقرر
في كتب الفقه ۞ وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الستين من الفتوحات كل امام

لا ينظر في احوال رعيته ولا يمشي فيهم بالعدل والاحسان فقد عزل نفسه من
الامامة في نفس الامر دون الامر الظاهر قال وعندي ان الحاكم اذا جار او فسق
انعزل فيما فسق به خاصة لانه لم يحكم بما امره الله ان يحكم به وقد اثبت رسول
الله صلى الله عليه وسلم للولاة امر الامامة ولو جاروا فقال فان عدلوا فلكم
ولهم وان جاروا فلكم وعليهم ونهانا ان نخرج يدا من طاعة ولا خص بذلك والياً
دون اخر ومن هنا قلنا انه انعزل في نفس الامر دون الظاهر انتهى فعلم
انه ليس للامام مخالفة الشريعة ابدا لكن رايت في الباب التاسع والستين
وثلاثمائة في الكلام على علم السياسة ان للملوك ان يعفوا عن كل شيء الا عن ثلاثة
اقسام وهي التعرض للحرم وافشاء السر والقدح في ملكهم ورايت في تاريخ الخلفاء
للجلال السيوطي ان ذلك من كلام ابي جعفر المنصور وكذلك رايت في الاحكام
السلطانية ان للوالي ان يضرب المجرم حتى يقر وليس ذلك للقاضي فليتامل ذلك
وقال في علوم الباب الرابع والستين وثلاثمائة من الفتوحات من طعن في الولاة
فقد نسب من نصبهم الى السفه وقصور النظر وهو باب خطر جدا قال ولهذا
نهى الحق تعالى عن الطعن عن الملوك والخلفاء واخبر ان قلوبهم بيد الله ان شاء قبضها
عنا وان شاء عطفها علينا وامرنا ان ندعو لهم لان وقوع المصلحة لهم في العامة
اعظم من جورهم مع انهم باب الله تعالى في قضاء الحوائج في اهل الارض سواء كانوا
فاسقين او صالحين عادلين او جائرين فلا يخرجهم ذلك عن اطلاق اسم النيابة عليهم
انتهى وقال في الكلام على الامامة في صلاة الجماعة في باب الصلاة من
الفتوحات في قوله صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر وفاجر المراد بالفاجر
هاهنا هو العاصي المسلم لا الكافر فما دام الامام فيه ربقة الاسلام قلنا الصلاة
خلفه وان كان ذلك مكروها لكن لا يخفى ان الكراهة خاصة بما اذا كان فسقا
الامام بامر متيقن لا مظنون لانه يبعد عن المؤمن الكامل اعتقاد الفسق في
احد بالظن انتهى وقال في الكلام على الطواف من باب الحج من الفتوحات انما
جوز الشارع امامة الفاسق مع الكراهة ولم يبطل الصلاة خلفه لانه لا يدخل
للصلاة حتى يتوضا الوضوء المشروع ثم انه يحرم بالصلاة فلا يزال في نجوى في عبادة

مابين قراءة وذكر وخضوع حتى يسلّم من الصّلاة ولا يوصف اذ ذاك بفسق بل
هو في طاعة الله عز وجل وقد صلي عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكفي به فاسقا
وايضا فانه ما من معصية تقع من العبد المسلم الا والايمان بانها معصية يصحبها
فالحجاج ونحوه في حال صلاته وان كان فاسقا خارجها مومن مطيع لله تعالي
بايمانه والايمان لا يبقا معه شي فضعف جانب المعصية فلذلك قلنا امامته
صفه
مكروهة لا باطلة انتهي كلامه وفيه نظر فان الكراهه ليست من حيث عدم و
في المعصية في الصّلاة وانما هي من حيث استصحابه الظلم والجور خارج الصلاة فلذلك
كانت امامته مكروهة فان قلت فما شبهة الامامية في قولهم نشترط ان يكون
الامام معصوما فالجواب شبهتهم قولهم ان الامام اذا صلي لا يناجي الا صفة
الاحدية خاصة فيجب عصمته في الصّلاة خاصة حتي يسلم منها وهم يقولون بعدم
عصمته خارج الصّلاة قالوا واصل هذا المقام انما هو خاص بالانبيا ولكن من
قدم الامامة من غيرهم يجب علينا القول بعصمته حتي يفرغ من الصّلاة انتهي والحق
الواضح بل الواقع عدم وجوب عصمة الائمة فانه ما من امام الا ويقع له السهو في
صلاته وان لم يسه عن صلاته فان بين المقامين فرقا فانه يلزم من السهو عن الصّلاة
عدم فعلها بالكلية بخلاف السّاهي فيها واطال في ذلك في الباب السادس والثلاثين
وثلاثمائة من قوله اعلم ان الحق تعالي لا ينظر في القطب الذي هو سلطان الباطن
الا بعين الاهلية ولو انه تعالي نظر الي السّلطان الظاهر بهذا العين ما جار اماما
قط كما يراه الامامية فان العصمة ليست من شرط الامام الظاهر ولو كانت
الامامة غير مطلوبة ثم امر الله تعالي ان تقوم لها لعصمه الله تعالي بلا شك كما
وقع للانبيا عليهم الصّلاة والسّلام والي ذلك الاشارة بحديث من اعطيها يعني
الامارة بغير مسالة وكل الله تعالي به ملكا يسدده قال وهذا هو معني العصمة
هنا فالادب ان نقول هو محفوظ لا معصوم واما قوله تعالي في حق داود
عليه السّلام ولا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله فالمراد بهذا الهوي عدم اتباع
اشارة من اشار عليك بما يخالف ما اوحينا به اليك من فعل الاولي لا المكروه ولا الحرام
لان مقام الانبيا يجل عن ذلك كما بسطه الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلاثمائة وانشد في ذلك

عجيب

عجيب لمعصوم يقال له اتبع ... ولا تبتدع واحكم بما انزل الله
وكيف يري المعصوم يحكم بالهوي ... مع الوحي والتحقيق ما ثم الا هو

الي اخرها قال وقد بسط الشيخ الكلام في ذلك ايضا في الباب الخامس عشر وخمسماية
تراجعه فان قلت فهل بين الخلافة والملك فرق فان في الحديث الخلافة بعدي
ثلاثون سنة ثم يكون ملكا ومن اقرب الي صفات الحق تعالي الخليفة او الملك فالجواب
بين الخلافة والملك فرق ظاهر كما صرح به الحديث وكما تقدم في مبحث النبوة والرسالة
وقد قال الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة الفرق بين الخليفة والملك
ظاهر وهو ان الخليفة يعلم الاسما ومصارفها بخلاف الملك لا يلزم منه ان يعرف
علم الاسما ولا مصارفها فليس هو بخليفة في العالم وقال في الباب الستين
ومائتين لا يكون القرب الصّوري من الله تعالي الا للخلفاء خاصة سوا كانوا رسلا
ام غير رسل قال ثم ان قربهم علي نوعين الاول الخلافة علي التعريف الالهي
بمنشور والثاني خلافة لا عن تعريف الهي مع نفوذ الاحكام منه ومثل هذا
وقد
لا يسمي بلسان الادب خليفة وفي الحقيقة هو خليفة فان قلت فايما اتم الخلافة
بغير تعريف الهي ام بتعريف فالجواب الخلافة بغير تعريف الهي اتم في القرب
المعنوي فان الخليفة بالتعريف والامر الظاهر يبعد عن المستخلف في الصّورة
فان حكمه في العالم لم يكن عن امر من غيره بل هو حاكم لنفسه فهو اقرب الي
الصّفة الالهية ممن عقدت له الخلافة بتعريف ومنشور لكن هذا اقرب الي
السّعادة المطلوبة ممن لم يقترن بخلافته امر الهي اذ القرب من السعادة هو
المطلوب عند العلما بالله تعالي وقال في الباب السّابع وسبعين ومائتين
فان قلت فهل الاولي للخليفة التحكم في العالم او التسليم فالجواب هو مخير
في ذلك فان شا تحكم وظهر كالشيخ عبد القادر الجيلي وان شا سلم وترك التصريف
لربه في عباده مع التمكن منه كابي السعود بن الشبلي تلميذ الشيخ عبد القادر
الا ان يقترن بذلك امر الهي كداود عليه السّلام فلا سبيل الي مرد اهل الله
فانه من الهوي الذي نهي الخليفة عن اتباعه وكعثمان بن عفان نهاه رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان يخلع ثوب الخلافة فلم يخلعه من عنقه حتي قتل لعلمه بما لحق

تعالى في ذلك واما من لم يقترن بحكمه امر الهي فهو مخير ان شا ظهر به بحق
وان شا لم يظهر به فاستتر والحق ان ترك الظهور اولى عند كل عاقل وقال
ان الاوليا قد يلحقون بالانبيا في الخلافة واما الرسالة والنبوة فلا لان ذلك
باب مسدود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فللرسول الحكم ثم ان استخلف فله
التحكم ايضا فان كان رسولا فتحكمه بما شرع في زمانه وبذلك الحكم بحسب الميل العدل
والجور فان قلت فهل رتبة التحكم للانسان ابتلا او تشريف فالجواب
هي ابتلا له اذ لو كانت تشريفا لبقيت معه في دار الاخرة في دار السعدا ولما
كان يقال للخليفة ولا تتبع الهوى فان التحجير موذن بالابتلا بلا شك بخلاف
التشريف فانه اطلاق لا تحجير فيه وايضا فلو كانت تشريفا لما انتسب في التحكم
الى عدل ولا الى جور ولكان لا يتولى الخلافة في العالم الا اهل الله خاصة وقد
ولى الله تعالى بعض الفسقة وامرنا بالسمع والطاعة لهم وان جاروا وهذه حالة
الابتلا لا حالة تشريف فان قلت فايهما اكمل خلافة هل هو ادم عليه السلام
امردا ود عليه السلام فالجواب كل منهما فاضل من وجه مفضول من وجه اخر
كما قاله الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلاثمائة فقال اعلم ان الحق تعالى لما
شرح صدر ادم عليه السلام لان يهب ابنه داود من عمره ستين سنة ثم نسي
ادم ذلك عند الوفاة وجحد ما اعطاه من عمره حصل لداود انكسار قلبي عند ذلك
فجبره الله بذكر لم يعطه ادم عليه السلام وذلك انه قال في ادم اني جاعل
في الارض خليفة وما عينه باسمه وما جعل له بين اداة المخاطب وبين ما شرفه
به فلم يقل وعلمناك الاسما كلها وقال في داود يا داود انا جعلناك في الارض خليفة
فسماه فلما علم الله تعالى في سابق علمه ان مثل هذا المقام والاعتنا قد يورثه
النفاسة على ابيه من وجه بشريته بحسب النشاة قال ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله فحذره فاشتغل بذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله تعالى
اسمه وامره بمراقبته السبيل ثم ان الله تعالى سلك مع داود مسلك الادب حيث قال
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب واطال في ذلك و
ذكر الشيخ في الباب الستين من الفتوحات ان الله جعل في السموات نقبا من الملائكة

وجعل

وجعل لكل ملك نجما هو مركبه الذي يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم كل يوم
دورة فلا يفوتهم شي من مملكة السموات والارض فكل سلطان لا ينظر في احوال
رعيته فقد عزل نفسه في نفس الامر قال وقد جعل الله تعالى من ولاة السموات
وولاة الارض مناسبات ورقايق تمتد الى اهل الارض من الولاة بالعدل المطهرة
من الشوايب مطهرة من العيوب فتقبل ارواح هولاء الولاة الارضيين من
ارواحهم بحسب استعدادهم حسنا او قبيحا فلا يلومن الوالي الا نفسه قال وقد
بسطنا الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الحادي والستون

في بيان انه لا يموت احد الا بعد انتهاء اجله وهو الوقت الذي كتب الله في
الازل انتهاء حياته فيه بقتل او غيره ومعنى بيان قوله ثم قضى اجلا واجل
مسمى عنده وانه يتجلى لكل ميت عند موته اثني عشر صورة اعلم ان كثيرا من
المعتزلة زعموا ان المقتول لم يمت باجله وانما القاتل قطع بقتله اجل المقتول
وانه لو لم يقتله لعاش اكثر من ذلك ويحتاج القايل لهذا القول ان يعرف مقدار
عمر ذلك المقتول في علم الله تعالى حتى يحكم بنقصه بالقتل ولا سبيل له الى ذلك
ثم بتقدير اطلاعه على ذلك لا يجد اجله ينقضي الا بقتله بالسيف فان للحق تعالى
ان ياخذ روح العبد باله وبلا اله وكلاهما هو الاجل المضروب له في علم الله تعالى
فان الحق تعالى اذا كتب قتل عبد بسيف عند انتهاء اجله فلا بد من السيف ولو
ان السيف فقد عاش لا محالة الى وجود السيف قال بعضهم والاولى حمل
كلام المعتزلة على هذا لانهم اهل اسلام بلا شك ولا ينبغي حمله على اعتقاد ان
الله تعالى اراد حياة هذا المقتول بالسيف والقاتل لم يردها فغلب بقتله
الارادة الالهية فان ذلك بعيد عن ان يريده مثل الزمخشري واضرابه بخلاف
عامة المعتزلة من المقلدين فانهم ربما فهموا ان القاتل قطع عمر المقتول فهما
من نحو حديث بادرني عبدي بنفسه فيمن قتل نفسه وهو منهم خطا لا يصلح ان يكون دليلا
لان قاتل نفسه لم يبادر بقتل نفسه مستقلا بغير قضاء الله تعالى وانما

هو بارادة الله ومشيئته فما بقي اللوم على قاتل نفسه الا من حيث انه قتل
نفسه بغير امر من الله تعالى فكانه هو ملك الغير بغير اذنه وذلك والاحكام
الشرعية دائرة مع الاحتجاج بالامر دون الاحتجاج بالارادة ومن هنا قالوا
نؤمن بالقدر ولا نحتج به **قال** الشيخ كمال الدين بن ابي شريف في حاشيته
ومن مشهور ادلة اهل السنة قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون وقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ومن
متمسكات المعتزلة احاديث في الصحيحين وغيرهما صرحت بان بعض الطاعات
تزيد في العمر لحديث من احب ان يبسط له في رزقه وينسا في اثره فليصل رحمه
قال وعن ذلك اجوبة اصحها ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة في اوقات
العمر بان يصرف عمره بالطاعات اذ لا يحسب له من عمره الا ما كان في طاعة وهذا
جمع بين الادلة قال واما نحو حديث الطبراني ان المقتول يتعلق بقاتله يوم
القيامة ويقول يا رب انه ظلمني وقتلني وقطع اجلي فقد تكلم الحفاظ في
اسناده وبتقدير صحته فهو محمول على مقتول سبق في علم الله تعالى انه لو لم يقتل
لكان يعطى اجلا زائدا لان معنى قولنا المقتول باجله ان قتله لم يتولد من فعل
القاتل وانما ذلك فعل الله تعالى وانه لو لم يقتل لم يقطع بموته ولا بحياته على
ما ذكره في شرح المقاصد انتهى **قلت** وهذا هو الاعتقاد الصحيح المعتقد واما
نقص العمر في نحو قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فليس
المراد به النقص من ذلك العمر لان المراد به وما ينقص من معمر اخر والضمير له
وان لم يذكر لدلالة مقابلة عليه والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لا صنع
فيه للعبد لا كسبا ولا خلقا ومبنى هذا على الموت وجودي بدليل قوله تعالى
خلق الموت والحياة وفي الحديث ايضا يؤتى بالموت في صورة كبش املح فيوقف
بين الجنة والنار فينظر اليه اهل الجنة واهل النار فيعرفونه فيضجعه الروح
الامين ويؤتى بيحيى عليه السلام ومعه الشفرة فيذبحه والاكثرون على
انه عدمي ومعنى خلق الموت قدره والنفس باقية بعد موت الجسد منعمة
او معذبة هذا هو مذهب المسلمين بل وغيرهم وخالف في ذلك الفلاسفة بنا

على انكارهم المعاد الجسماني والكتاب والسنة مشحونان بالدلالة على بقاء النفس
قال تعالى كل نفس ذائقة الموت والذائق لا بد ان يبقى بعد المذوق **وقال**
تعالى كلا اذا بلغت التراقي وهي نص في بقاء الارواح وسوقها الى الله تعالى يومئذ
وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يزور الموتى ويقول ما انتم
باسمع منهم فتامل **واما من اماتهم** الله تعالى عقوبة لهم واعتبارا كقوم موسى
حين قالوا ارنا الله جهرة وكالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت وكالذي مر
على قرية وهي خاوية على عروشها فليس موت هولاء بانتهاء اجالهم المقدرة في علم الله
تعالى فقد بان لك انه لا يموت احد الا باجله وان معنى حديث بادرني عبدي اي لكونه
قتل نفسه بغير امري فهو عاص لامري مطيع للارادة كسائر المعاصي الواقعة في هذا
الوجود والله اعلم **واما معنى** قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون
فالمراد بقوله ثم قضى اجلا هو الاجل المقتضي لكل حي يقبل الموت واما قوله تعالى
بعد ذلك واجلا مسمى عنده فالمراد به الروحانية الذي هو ميقات حياة كل من كان
قبل الموت في حياته الاولى المعبر عنه بالبعث وكذلك عقبه بقوله تعالى ثم انتم
تمترون يعني في البعث فان الموت لا يمترون فيه لانه مشهود لهم في كل حيوان فما
وقعت المرية الا في البعث الذي هو الاجل المسمى عنده تعالى واطال الشيخ محيي الدين
في ذلك الباب الرابع وسبعين ومائتين ثم **قال** وانما لم يجعل اجل الموت مسمى
عنده لانه اذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله يبقى
طائفة لا يصعقون فاما ان يكون على حقائق لا تقبل الموت فيكون الاستثناء منقطعا
ويكون معنى قوله تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد ممن صعق واما ان يكونوا على
مزاج يقبل الموت لكن لم يصل اليهم النفخ فلا يصعقوا فيكون الاستثناء متصلا انتهى
فان **قلت** فمن اخر الناس تقبض روحه من بني آدم **فالجواب** اخر من يقبض روحه
المؤمن الموحد الذي يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم المشار اليه بحديث لا تقوم
الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله فان **قلت** فما مذهب الشيخ محيي
الدين في الموت هل هو عدمي او وجودي **فالجواب** هو عنده عدمي وعبارته

في الباب السابع عشر وثلاثمائة اعلم ان الموت حقيقة انما هو للنسب واما الحياة
فهي دائمة الاعمال من حيث كونها مسبحة بحمد الله تعالى ولا يسبح الا حي ولما اعرض
الروح عن الجسد بالكلية وزال بزواله جميع القوى عبر عنه بالموت فهو كالليل بمغيب
الشمس واما النوم فليس اعراض الروح عن الجسم فيه اعراضا بالكلية وانما هي حجب
ابخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا
حال السحاب بينها ودون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجود كالحياة وان لم
يقع ادراك الشمس لذلك الذي حال بينه وبين ذلك السحاب المتراكم انتهى فان قلت
فما معنى قوله تعالى فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد فالجواب ان المراد به
حدته عند الموت فيعاين العبد جميع ما ينتهي امره اليه وهو اليقين المشار اليه
بقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وقال الشيخ في الباب السادس
والسبعين ومائة واعلم ان كل محتضر يرد عليه اثنى عشر صورة يشهدها كلها او بعضها
لا بد له من ذلك وهي صورة علمه وصورة عمله وصورة اعتقاده وصورة مقامه وصورة
حاله وصورة رسوله وصورة الملك وصورة اسم من اسما الافعال وصورة اسم من اسماء
الصفات وصورة اسم من اسماء النعوت وصورة اسم من اسماء التنزيه وصورة اسم
من اسماء الذات فاما الذي يتجلى له علمه عند الموت فقد قال الشيخ محيي الدين
المراد به علمه بالله تعالى والعلما بالله تعالى رجلان رجل اخذ علمه بالله تعالى عن
نظر واستدلال ورجل اخذ علمه به عن كشف ومعلوم ان صورة الكشف اتم واكمل
واجمل في التجلي من صورة النظر والاستدلال لما تطرقها من الشبه وكلا الصورتين لا بد
ان يفرح بها العبد فان صحبه في علمه دعوى لنفسه كان صورة علمه دون صورة
من لم يصحبه دعوى فتفاوت الناس في جمال صورة التجلي فيكون على قدر ما تقدم
واما الذي يتجلى له عمله عند الموت فيكون في صورة حسنة او قبيحة لا بد له
من ذلك والحسن والقبح على قدر ما انشاه العامل من الكمال والنقص فان كان اتم
عمله كما امر ولم ينقص شيا من اركانه وشروطه واداابه راه في احسن صورة وكان
براقا لروحه يسرى به علمه الى اعلى عليين وان كان انتقص شيئا من اركانه
وشروطه واداابه راه في اقبح صورة وهوى به الى سجين وعباد الله على طبقات

في العمل فمنهم من عمله حسن ومنهم من عمله احسن ومنهم من عمله جميل ومنهم من عمله
اجمل واما الذي يتجلى له في صورة اعتقاده فهو على حسب ما كان عليه في دار
الدنيا فينظر من خارج كما ينظر جبريل في صورة دحية وترى صورة اعتقاده
حسنا وجمالا بحسب علو المشاهد واما الذي يتجلى له في صورة مقامه فيعرفه
معرفة لا يدخلها شك فهو الذي يلحق بدرجة الارواح النورية فيظهر له مقامه
فيعرفه معرفة لا يدخلها شك ولا ريب فهو اما حزين واما فرح مسرور والغالب
على كل من مات مسلما الفرح والسرور واما من يتجلى له حاله فهو اما منقبض
واما منبسط فاذا مات على حاله كان على حسب ميزان الشرع فان كان انبسط في
محل كان اللائق به فيه القبض قضاه في البرزخ فلا يزال مقبوضا بقدر ما فرط
واما من يتجلى له رسوله فهو خاص بورثة الانبيا فان العلما ورثة الانبيا فتارة
يرى هذا عيسى عند احتضاره وتارة يرى موسى او ابراهيم او محمد او اي نبي كان على
جميعهم افضل الصلاة والسلام فمن ذلك من ينطق باسم ذلك النبي الذي ورثه عندما يراه
ترحابه لكون الرسل كلهم سعدا فيستبشر عند رويته ذلك النبي بالسعادة فيقول عند
الاحتضار عيسى او المسيح وهو الاغلب فيسمع الحاضرون ذلك فيسيئون به الظن
يعتقدون انه تنصر عند الموت وسلب دين الاسلام وكذلك يظنون باسم من نطق باسم
موسى انه تهود وليس كذلك انما ذلك الناطق من اكبر السعدا عند الله تعالى وهذا امر
لا يعرفه الا اهل الكشف واما من يتجلى له الملك فهذا الملك هو ملكه الذي كان له
في المقام فان منهم الصافين والمسبحين والتالين الى غير ذلك من المقامات فينزل
الى ذلك الشخص صاحب هذا المقام موْنسا وجليسا فربما يسميه عند الموت باسمه ويتهلل
وجهه لكن هذا لا يكون للعامة وانما ذلك لاهل الاختصاص الخارجين عن دائرة التلبيس
واما العامة فتتمعر وجوههم عند روية ذلك الملك وتسود وذلك لغلبة الاحوال
النفسانية عليهم في اعمالهم واحوالهم وعلومهم واما من يتجلى له اسم فهو الاسم
الذي كان غالبا عليه من اسماء الافعال كالخالق بمعنى الموجد والباري والمصور
والرازق والمحيي وكل اسم يطلب فعلا فان كان بذل جهده في اعمال حضرة ذلك
الاسم تجلى له في احسن صورة وكان من لازمه السرور والفرح وان كان دخله في تلك

الاعمال كسل او غفلة او فتور كان في صورة ممتهنة وكل صورة تخاطب العبد بحسب
حاله فان العبد عمله كاملا خاطبته تلك الصورة وهي في غاية الحسن وتقول انا ذكرك
فليسر وان كان عمله ناقصا خاطبته صورته وهي في اقبح صورة فتقول انا ذكرك
فيحزن ويقاس على ذلك بقية الاسما انتهى **فان قلت** فما معنى قول علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا هل المراد بالغطا الذي ينكشف
غطاه رضي الله عنه او غطا غيره فانه كان رضي الله كان كاملا الايمان بلا شك وكامل
الايمان عنده الغايب كالحاضر على حد سوا **فالجواب** كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلاثمائة
ان المراد بالغطا الذي ينكشف هو غطاه هو اذ لا بد من ان يكشف غطا لكل طايفة
عند الموت لانه عليه السلام اثبت ان ثم غطا ينكشف وقوله ما ازددت يقينا
يعني في علم اليقين ان كان ذا علم يقين او في عينه ان كان ذا علم عين او في حقه
ان كان ذا علم حق لانه لا يريد بكشف الغطا امرا لم يكن عنده اذ لو كان كذلك لكان
كشف الغطا في حق من هذه صفته عينا معراي عن الفايدة فلم يكن الغطا ورآه
امر عدمي وانما هو وجودي وبالجملة فجميع الاغطية تنكشف عند الموت ويتبين الحق
لكل احد ولكن ذلك الانكشاف لا يعطي صاحبه سعادة فهو كايمان اهل الباس ولكن هذا في
حق العامة اما الخاصة من اهل الكشف والشهود فينقلون من عين اليقين الى حق اليقين
كما ان اهل العلم ينتقلون من علمهم اليقين الى عين اليقين وما سوى هذين الرجلين ينقلون
من العمى الى الابصار فيشاهدون الامر عند كشف الغطا العمي عنهم لا عن علم تقدم
منهم وتصريح الشيخ بان ايمان اهل الباس لا ينفع صاحبه لانه ايمان عند الباس والله اعلم
خاتمة ان قلت ما مراد القوم بقولهم العارفون لا يموتون انما ينقلون من دار
الى دار **فالجواب** كما قاله الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة
ان المراد به ان من مات الموت المعنوي بمخالفة نفسه حتى لم يبق له مع الله اختيار
ولا ارادة لا يعظم تالمه عند طلوع روحه لانه عجل بموت نفسه حين قتلها
بسيف المجاهدة واما من وافق نفسه في هواها وشهوتها فيشتد عليه الالم
عند الموت لاجتماع تلك الآلام التي فاته حين لم يجاهد وايضاح ذلك ان اهل
الله تعالى لما علموا ان لقا الله لا يكون الا بالموت وعلموا معنى الموت استعجلوه في الحياة

الدنيا فاماتوا في عين حياتهم جميع حركاتهم وارادتهم فلما ظهر عليهم الموت في حياتهم
التي لا زوال لهم عنها حين ورد حيث كانوا لقوا الله تعالى فلقيهم وكان لهم حكم من
يلقاه من احب لقاءه فاذا جاءهم الموت المعروف في العامة وانكشف عنهم غطا
هذا الجسم لم يتغير عليهم حال ولا ازدادوا يقينا عما كانوا عليه فما ذاقوا الا الموتة
الاولى وهي التي ماتوها في حياتهم فوقاهم ربهم عذاب الجحيم فضلا من ربهم والى
هذا الموت المعنوي الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى ميت يمشي
على وجه الارض فلينظر الى ابي بكر رضي الله عنه اي لانه رضي الله عنه كان ميتا في
حياته عن حركاتها النفسانية كلها قد حقق التسليم لله تعالى جميع ما عنده فما فيه رائحة
لاعتراض ما نفساني فكان مع الله تعالى في حال حياته كما انه معه في حال عدمه انتهى
وقال في الباب الثاني والثمانين ومايتين اعلم ان من صار حكمه حكم الميت في عدم التصرف
فهو في مقام الكمال حقه فان للميت لا يتصور منه منع ولا اباية ولا جحد ولا ذم ولا
اعتراض بل هو مسلم لله تعالى فهو حي في الافعال الظاهرة لقيامه بالامر والنهي متثبت
بالتسليم لموارد القضا راض بالقضاء لا بالمقضي والله تعالى اعلم

المبحث الثاني والستون

في بيان ان النفس باقية بعد موت جسمها منعمة كانت او معذبة وفي فنائها
عند القيمة تردد للعلما وبيان ان اجساد الانبيا والشهداء لا تبلى اعلم ان العلما
اختلفوا في فناء النفس عند القيمة واتفقوا على بقائها بعد موت جسمها وكان
الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله يقول الاظهر ان الروح لا تفنى ابدا لان الاصل
في بقائها بعد الموت استمراره اي البقي فيكون من المستثنى بقوله الا من شا الله
كما قالوا ذلك في الحور العين **وقال** بعضهم انها تفنى عند النفخة الاولى كغيرها
توفية لقوله تعالى كل من عليها فان ورجحه الشيخ تقي الدين ابن ابي المنصور لكنه
قال المراد بفنائها عند الصعق الاخروي خمودها فقط قال وذلك هو حظها من الموت
والفنا اللازم لصفة الحدوث فمن راها في كشفها الصوري حال خمودها قال انها
ماتت ومن اعطاه الله علم حقيقتها قال انها نايمة **قال** والذي كشف لي ايضا

ان الطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة يموتون ايضا بعد ذلك بامر الله تعالى
تحقيقا للوعد وتمييز الصفة القدم من الحدوث وعليه يحمل قوله تعالى لمن الملك
فلم يجبه احد لانه ما ثم احد ينطق فيقول الله تعالى رادا بنفسه لنفسه لله الوا
حد القهار قال وذهب قوم الى ان الطائفة الذين لم يصعقوا عند النفخة
الاولى لا يموتون ايضا لان الله تعالى انشاهم على حقائق لا تقبل الموت كالمخلوقات
التي خلقها الله تعالى للبقاء وعلى هذا تخصص عدم الاجابة المذكورة عن اي فلا يجيبه
احد ممن يصعق او ممن خمد انتهى فان قلت فما الصحيح في عجب الذنب فالجواب
المشهور من القولين انه لا يبلى لحديث الشيخين ليس من الانسان شيء الا يبلى الا
عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيمة ٥ وفي رواية لمسلم كل
ابن ادم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيمة ٥ وفي
رواية للامام احمد بن حنبل وابن حبان قال وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل
تنشاون ٥ قال العلما وهي في اسفل الصلب عند راس العصعص يشبه في المحل
محل الذنب من ذوات الاربع ٥ وقال المزني رحمه الله الصحيح انه يبلى كغيره قال
تعالى كل شيء هالك الا وجهه وتاول الحديث بانه لا يبلى باكل التراب له وانما يبلى
بلا تراب كما يميت ملك الموت بلا ملك موت انتهى ٥ ووافق المزني على ذلك ابن
قتيبة وقال انه اخر ما يبلى من الميت ولم يتعرضا للوقت فنا به هل هو عند فناء
العالم او قبل ذلك وهو محتمل وروى الطبراني وغيره مرفوعا المؤذن المحتسب
كالمتشحط في دمه وان مات لم يدود اي لم ياكله الدود قاله في النهاية وكان
الشيخ محيي الدين يقول في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه المراد بالوجه هنا
حقيقة الشي الثابتة في علم الله عز وجل وهذا لا يصح فناؤها في العلم الالهي لانها
معلومة عند الله عز وجل وكان سيدي علي بن وفا رضي الله عنه يقول في قوله تعالى
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام المراد به العمل الصالح كان عمل العبد عملا
صالحا وخلط معه من الريا فوجه الحق تعالى هو الشق الخالص ووجه غير الرب
هو ما اريد به غير الله تعالى فما كان له فهو باقي وما كان لغيره فهو فاني انتهى
خاتمة يستثنى من بلاء الاجساد اجساد الانبيا والشهدا في قتال الكفار

برطه

برطه ويلحق بهم من خالطت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشاشته حتى سرت في
جسمه سريان الماء في العود وكذلك من ياكل الحلال الصرف الذي لا يخالطه شبهة كما شا
هدنا ذلك في الشيخ شهاب الدين السوفي شيخ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي جدي الشيخ علي رحمه الله اما الشيخ نور الدين الشوني فنزلت قبره بعد سنة
وتسعة اشهر فوجدته طريا كما وضعناه وكنت رايت له رويا قبل ان يموت وذلك
اني سمعت قائلا يقول من اراد ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فليزر في المدرسة
الشونية عند الشيخ نور الدين الشوني فمضيت اليه فوجدت على بابها الاول
ابا هريرة وعلى بابها الثاني المقداد ابن الاسود وعلى الباب الثالث الامام علي رضي
الله عنهم فقلت للامام علي اين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ها هو جالس
على التخت داخل تلك الخلوة فوقفت على بابها فوجدت الشيخ نور الدين هو الجالس
فقلت له اين رسول الله صلى الله عليه وسلم فظهر لي وجهه في وجه الشيخ
نور الدين فما زال النور ينتشر من جبهة جبهة الشيخ نور الدين الى اصابع رجليه
فخفي الشوني وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقصصت هذه
الرؤية على الشيخ فقال يا ولدي ما سررت في عمري كله بشيء مثل هذه الرؤيا
وان صح منامك يا ولدي لا يبلى لي جسد فكان الامر كما ذكرناه واما جدي
رضي الله عنه فكان يبالغ في الورع ويقول من احكم اكل الحلال لم يبل له جسد
وكان لا ياكل قط طعام احد من مشايخ البلاد ولا طعام قاض ولا طعام مباشر
ولا طعام احد لا يتورع وكان لا ياكل فراخ حمام الابراج لاكلهم من زرع الناس
وترك اخر عمره اكل عسل النحل لما اخبره اهل برشوب الصغرى ان نحل بلده
تتعدى البحر وياكل زهر فواكههم فلما مات دفنوا والدي بجنب والده
بعد احدى وعشرين سنة فوجدوه طريا كما وضعوه هكذا اخبرني الذي
دفنه ودفن الوالد والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الثالث والستين

في بيان ان الارواح مخلوقة وانها من امر الله تعالى كما ورد وكل من خاض

في معرفة كنهها لجعله فليس هو على يقين من ذلك وانما هو حدس بالظن ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم على حقيقتها مع انه سئل عنها فتمسك عنها ادبا ولا نعبر عنها باكثر من موجود كما قاله ابو القاسم الجنيد وغيره وعبارة الجنيد رحمه الله الروح شي استاثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه فلا يجوز العبارة عنه بانه اكثر من موجود واليه ذهب اكثر المفسرين كالثعلبي وابن عطية وقال جمهور المتكلمين انه جسم لطيف مشتبك اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير انها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا واليه مال القاضي ابو بكر الباقلاني ويدل للاول وصفا في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ قاله السهروردي وهذا شان الاجساد لا الاعراض اذ العرض لا يوصف بهذه الاوصاف وقال كثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل هو جوهر مجرد قايم بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحرك غير داخل في البدن ولا خارج عنه وهذا راي الفلاسفة وهو كلام ساقط قلت والذي ظهر لي ان العبد بتقدير انه يطلع على كنه الروح لا يستطيع ان يعبر عنها بعبارة تودي السامع الى معرفة كنهها لان الحق تعالى جعلها رتبة بتحيير لنا ليقول احدنا لنفسه اذا كنا نعجز عن معرفة حقيقة ذاتنا فنحن بذاته تعالى اعجز واعجز حتى لا نخوض بالفكر في الذات فاذا اذا كنا نعجز عن معرفة نفوسنا مع كونها مخلوقة فكيف نعرف خالقها فافهم ، وفي كلام الامام على رضي الله عنه من عرف نفسه عرف ربه قال بعضهم اي لانه لا يمكن لاحد معرفة نفسه قط لان الحق تعالى جعل النفس رتبة تحجيز لنا بيننا وبين معرفة ذاته كانه تعالى يقول اذا عجز الانسان عن معرفة نفسه مع كونها مخلوقة ومن اقرب الاشيا اليه فكيف بمعرفة من لا شبيه له ولا نظير ولا يجتمع مع عباده في حد ولا حقيقة انتهى قال الكمال بن ابي شريف في حاشيته فان قيل كيف خاض الناس في معرفة الروح وهو باب امسك عنه الشارع فالجواب من وجهين الاول انه انما ترك الجواب تفصيلا لاجل القول من اليهود فيما بينهم ان لم يجب عنها فهو صادق لان ذلك عندهم من علامات نبوته فكان تركه صلى الله عليه وسلم الجواب عن الروح تصديقا لما

تقدم في كتبهم من وصفه بذلك الثاني اذ السوال كان سوال تعجيز وتغليط وتعنت واذا كان السوال على هذا الوجه فلا يجب الجواب عنه فان الروح امر مشترك بين روح الانسان وبين جبريل وملك اخر يقال له الروح ويقال ايضا لصنف من الملائكة وللقران ولعيسى بن مريم فلو انه صلى الله عليه وسلم كان اجاب بواحد منها لقالت اليهود لم نرد هذا تعنتا منهم واذى له صلى الله عليه وسلم فلذلك جا الجواب مجملا على وجه يصدق على كل من معاني الروح انتهى كلام الاصوليين وقال الشيخ محيي الدين في لواقح الانوار انما كانت الروح من امر الله لانها وجدت من خطاب الله تعالى بغير واسطة قال لها كوني فكانت كما قيل في عيسى عليه السلام انه روح الله لانه وجد عن نفخ الحق تعالى له كما يليق بجلاله من غير واسطة قال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه قال وقد ذهب الغزالي الى ان معنى قوله تعالى قل الروح من امر ربي اي من عينه فان عالم الامر هو عالم الغيب وعالم الخلق هو عالم الشهادة قال والامر عندنا بخلاف ما قاله الغزالي رحمه الله وذلك انا نقول كلما اوجده الحق تعالى بلا واسطة فهو من عالم الامر اي قال له الحق كن فكان وله وجه واحد الى الحق وكلما اوجده بواسطة فهو من عالم الخلق وله وجهان وجه الى الحق ووجه الى سببه الذي وجد عنه فتارة يدعوه الحق تعالى من الوجه الخاص وتارة يدعوه من وجه سببه لتفاصيل وحكم بالغة انتهى وقال في الباب الرابع وستين ومايتين من الفتوحات اعلم ان اليهود لما سالوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يسالوه عن ماهية الروح وانما سالوه عن الروح من ابن ظهر وفهم بعض المفسرين ان ذلك سوال عن الماهية وليس كذلك فان اليهود لم يقولوا له صلى الله عليه وسلم ما الروح وان كان السوال بهذه الصيغة محتملا لكن قد قوى الوجه الذي ذهب اليه ما جا في الجواب من قوله من امر ربي ولم يقل هو كذا وقد سمى الله تعالى الوحي روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا انتهى فان قلت فما المراد بحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام فالجواب مراده بالخلق هنا التقدير والتعيين اي قدر الارواح وعين لكل جسم وصورة روحها

المدبر لها الموجود بالقوة في الروح الكل المضاف اليه فيظهر ذلك بالتفصيل
عند النفخ ○ ومثال ذلك صاحب الكشف يرى في المداد الذي في الدواة جميع
ما فيه من الحروف على صورة ما يصوره الكاتب او الرسام فيقول في هذا المداد
من الصور كذا صورة كذا صورة فاذا جاوقت الكتابة او الرسم وكتب من ذلك المداد
لم يزد حرفا عما قاله المكاشف ولم ينقص ○ ذكره الشيخ في الباب الثالث وسبعين
وثلاثمائة وقال في الباب الثاني وسبعين من الفتوحات انما كان الروح من
امر الرب جل وعلا لانه لم يوجد عن خلق وانما اوجده الحق تعالى بلا واسطة ولا
يطلع على كنه ذلك الا من شا الله تعالى من الاصفيا انتهى ○ وقال في الباب السابع
وستين ومائتين انما تفاضلت النفوس من حيث القوابل والا فهي من حيث النفخ الالهي
غير متفاضلة فلها وجه الى الطبيعة ووجه الى الروحية المحضة فلذلك قلنا
مرارا انها من عالم البرزخ كالافعال المعلولة سوا فانها من غير نسبتها الى العبد
غير مذمومة فان افعالها كلها محمودة انتهى وقال في الباب الثامن وستين
ومائتين انما قال تعالى في آدم ونفخت فيه من روحي بيا الاضافة الى نفسه
لينبه على مقام التشريف لآدم وفيه من الاعتبار كان الحق تعالى يقول لآدم
عليه السلام انك شريف الاصل فاياك ان تفعل ما يخالف اصلك من افعال
الاراذل انتهى وقال في الباب الثامن والتسعين ومائتين اعلم ان لا رياسة
عند الارواح ولا بد وقوالها لمعنا وانما هي خاضعة لباريها على الدوام انتهى ○
قال في الباب التاسع والتسعين ومائتين ليس للروح كمية فيقبل الزيادة في جوهر
ذاته وانما هو فرد ولولا هو عاقل بذاته ما اقر بربوبية خالقه عند اخذ الميثاق منه
اذ لا يخاطب الحق تعالى الا من يعقل عنه خطابه وهذا هو حقيقة الانسان في نفسه واطال
في ذلك ثم قال نعلم ان الله تعالى خلق الروح كاملا عاقلا بالغا عارفا بالله تعالى
وبتوحيده ومقرا بربوبيته وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما اشار اليه خبر كل
مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه فذكر الاغلب وهو
موجود الابوين والذي يربيه هو له بمنزلة والديه قال الشيخ في الباب السادس
والعشرين وثلاثمائة اعلم ان لكل مقيد بصورة من جميع العالم روحا الهيا بلا رما له

وبه كان مسبحا لله عز وجل فمن الارواح ما يكون مدبرا للصورة لكونها تقبل تدبير
الارواح لها وهي كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة وبالموت فان لم تتصف بالحياة
الظاهرة وبالموت فروحها روح مسبح لا روح تدبير واطال في ذلك ثم قال وما ثم
اعرف بالله تعالى من ارواح الصور التي لا حظ لها في التدبير وهي ارواح الجماد ودونها في الرتبة
ارواح النبات ودونها في الرتبة ارواح الحيوانات ودونهم ارواح المتمردين من الانس
اما العارفون فما ثم اعلى من معرفة ارواحهم على اختلاف طبقاتهم من انبيا واوليا ومؤمنين
اختصاصا الهيا انتهى وقال في الباب الثامن والخمسين وثلاثمائة اعلم انه لا حظ للروح
بعين
السعيد في الشقا في الدنيا والآخرة واطال في ذلك وقال في الباب السادس والاربعين
وثلاثمائة مما غلط فيه جماعة قولهم ان الروح احدي العين في اشخاص نوع الانسان وان
روح زيد هي روح عمرو فهؤلاء لم يحققوا النظر على ما هو الامر عليه وشبهتهم في
ذلك كونهم راوا ان الحق تعالى لما سوى جسم العالم وهو الجسم الكلي الصوري في جوهر
الهبا المعقول قبل قبض الروح الالهي الذي كان منتشرا غير متعين اذ لم يكن ثم من يعينه
اي جسم العالم وهي به ضمن جسمه اجسام شخصياته فقاس على ذلك انه ضمن ارواحه ارواح
شخصياته وربما استدل الى قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة وغاب عن هؤلاء انه كما لم يكن
صورة جسم آدم صورة جسم كل شخص من ذريته وان كان قد استفرع منه فكذلك لم يكن كل روح
في العالم هي عين الروح الاخرى واطال في ذلك ثم قال ولا يخفى ان من قال
بتناسخ الارواح مموكا فعندنا والله اعلم خاتمة في معنى قوله صلى الله عليه وسلم الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف اعلم انه لا يعرف معنى هذا
الحديث حقيقة الامر الا من يشهد من طريق كشفه اخذ الذرية من ظهر آدم وذلك
مشهد اقدس قل من يشهده لانه خاص بالافراد كسهل بن عبد الله التستري وابي يزيد
البسطامي واضرابهما فكانوا يقولوا لم نزل نشهد تلامذتنا وهم نطف في الظهور من
يوم اخذ الله الميثاق على الذرية وهم في صلب آدم قالوا ولم نزل نراعي تلامذتنا
حتى وصلوا الينا ونعرف في ذلك اليوم من كان عن يميننا ومن كان عن شمالنا قالوا ولما
جمع الله الذرية في تلك الحضرة على وجه التمثيل فما كان وجها لوجه هناك تعارفوا هنا
وائتلفوا وما كان ظهرا لظهر تناكروا وتعادوا واختلفوا وما كان وجها لظهر فصاحب

الوجه يجب وصاحب الظهر لا يجب وكذا الحكم فيمن كان جنبا الجنب او جنبا الظهر يكونو
في هذه الدار بحكم ما كانوا هناك والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الرابع والستون

في بيان ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه وجميع ما ورد فيه حق
خلافا لبعض المعتزلة والروافض فاما سؤال منكر ونكير فقال اهل السنة انه يكون
لكل ميت سوا كان في قبره او في بطون الوحوش او الطيور او هباء الريح بعد ان
احرق وذري في الريح قال الجلال المحلي رحمه الله ويكون عذاب الله تعالى
للكافرين ولمن شا الله تعذيبه من الفاسقين فقط فترد روح المعذب الى جسده كله
او ما بقي منه فانه لا يمتنع احيا بعض الجسد وان كان ذلك خلاف العادة لان خرق
العادة غير ممتنع في مقدور الله عز وجل قال الكمال في حاشيته وقول اهل
الاصول ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق جري على الغالب والا فالحق
ان ذلك لا يختص بالقبر المعروف فيختص بالعذاب من اكله السمك والسباع وغير ذلك
فقولهم لكل مقبور لا مفهوم له وربما اوقعهم في التعبير بالقبر قوله صلى الله عليه وسلم
اذا وضع الميت في قبره اتاه ملكان الحديث قالوا ويجوز افادة الحديث لجزء
واحد ووقوع السؤال على وجه لا يشاهد لان احوال البرزخ لا تقاس باحوال الدنيا
كما ان روح النائم تشاهد اشيا لا يشاهدها اليقظان الذي هو الى جانبه قال ويستثنى
من فتنة القبر الشهيد لحديث مسلم في ذلك ولفظه كفى ببارقة السيوف على راسه
شاهدا قال الجلال المحلي رحمه الله ولعل سكوت بعضهم على استثنائه لكون
المسالة قطعية ودليل استثنائه ظني لانه خبر احاد انتهى وقول الجلال المحلي
السابق فترد روح المعذب الى جسده كله او ما بقي منه اشارة للخلاف في ذلك
في ان الحليمي يقول برد الروح الى ما بقي منه وقولنا اول المبحث خلافا للمعتزلة
والرو ولعل المراد بالروافض الجهمية وحجتهم في انكار عذاب القبر عدم مشاهدتهم لتالم
الميت وقالوا لو وضع على بطن الميت شيا زمانا لم يقع فلو انه تحرك لعذاب او
غيره لتحرك ذلك الشي عن مكانه فكيف يقال ان الملكين يجلسانه ويسالانه ومن هنا انكر

تسبيح الجمادات ايضا والجواب ان العقل عاجز عن ادراك هذه الاشيا بمجرده وقد
ورد تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله يعني لضعف العقول عن ذلك واذا
ضعفت عقولكم ايها المعتزلة والجهمية عن ادراك هذه الاشيا فلا تنكروه وصدقوا
الاخبار الصادقة الواردة في ذلك ومن الدليل على عذاب القبر قوله تعالى سنعذبهم مرتين
اي مرة في القبر ومرة في القيمة وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون
العذاب الاكبر وهو العذاب في الحياة والعذاب في القبر وقوله في الاية لعلهم يرجعون
يحمل على عذاب الحياة لانه بعد الموت لا يمكن رجوعهم وكذلك من الدليل قوله تعالى
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اي في البرزخ بدليل قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب ومن الدليل على عذاب القبر من الكتاب
قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ومن السنة
ما ثبت من استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وفي حديث القبرين انـ
هما ليعذبان وما يعذبان في كبير وقد صح مرفوعا تنزهوا من البول فان عامة
عذاب القبر منه وقال بعض المعتزلة التعذيب للروح دون البدن وعذابها
بتالمها على هلاك البدن كما يتالم السلطان على عسكره اذا افناه عدوه لان الروح مكلفة
انتهى وقال بعضهم يعذب بلا اعادة روح فاذا اعادت الروح اليه يوم القيمة
ظهر عليه الالم وهذا ليس بشي لما صح في ابي داود وغيره مرفوعا ان الروح تعود
الى الجسد واما انكار الجهمية وبعض المعتزلة تسبيح الجماد فمردود بقوله تعالى
وان من شي الا يسبح بحمده وان تاتي نافية ومنه قوله تعالى ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم
وان منكم الا واردها ان اردنا الا الحسنى ان يدعون من دونه الا اناثا ان يقولون
الا كذبا فالتسبيح من الجمادات واجب لان الاستثنا في النفي اثبات وهذا منه
وقد ثبت تسبيح الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم وقد اتفق من يعتد باتفاقه
على تسبيح العالم كله بلسان الحال واختلفوا في تسبيحه بلسان المقال فقال الشيخ
عبد الوهاب بن السبكي في شرحه لعقيدة الامام ابي منصور الماتريدي رحمه الله
المختار ان كل يسبح تسبيحا لربه نطقا وانه ليس في العقل ما يمنعه وقد دل على ذلك
قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وفي صحيح البخاري انهم كانوا

يسمعون تسبيح الطعام وهو يوكل عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم
مرفوعا اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث وحنين الجذع ثابت
مشهورا فاذا ثبت ان هذه الاشيا تتكلم ثبت جواز التسبيح بالمقال كما دلت عليه
الاية فليحمل على ظاهرها وذهب الفخر الرازي واكثر المعتزلة الى ان الجمادات
وغير المكلف من الاحيا لا تسبح الا بلسان الحال وهو مذهب مردود اذ كل حي
ولو نام يسبح الله دون الميت واليابس واشد لولا ذلك عما ثبت في حديث القبرين
في قوله صلى الله عليه وسلم في الجريدتين اللتين شقهما ووضعهما على القبر لعله يخفف
عنهما ما داما رطبتين اشارة على انهما يسبحان ما داما رطبتين دون ما اذا يبستا
ونقل هذا المذهب عن الحسن وعكرمة وسبق في مبحث الايمان مزيد كلام في حياة
الجماد فراجعه والله اعلم انتهى كلام المتكلمين وكان الشيخ تقي الدين بن ابي المنصور
يقول اذا اتى الانسان منكر ونكير لا يجيبان لكل انسان الا متشكلين بشاكلة علمه
وعمله واعتقاده فمثلا بان للبرزخ لا يدخل احد البرزخ الا ويمر عليهما او يمران
عليه فيسالان العبد بعد رد روحه اليه كله او بعضه عن ربه وعن دينه وعن نبيه
فيجيبهما بما يوافق ما مات عليه من ايمان او كفر او شك نسال الله العافية وقد
قال الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله وانما كان الملكان يقولان للميت ما تقول في
هذا الرجل من غير لفظ تعظيم وتفخيم لان مراد الملكين الفتنة ليتميز الصادق
في الايمان من المرتاب اذ المرتاب يقول لو كان لهذا الرجل القدر الذي كان يدعيه في
رسالته عند الله لم يكن هذا الملك يكني عنه بمثل هذه الكناية وعند ذلك يقول
المرتاب لا ادري فيشقى شقا الابد قال وهل يكون كلام الملكين للميت وكلامه
لهما بصوت وحرف ام لا الذي اعطاه الكشف ان الكلام بعد الموت يكون بحسب
الصورة التي يرى الميت نفسه فيها فان اقتضت الحرف والصوت يكون الكلام بحرف
وصوت وان اقتضت الاشارة او النظرة او ما كان نحو ذلك وان اقتضت الذات
ان تكون هي عين الكلام كان ذلك فان حضرة البرزخ تقتضي ذلك كله قال واذا
رأى الميت نفسه في صورة انسان جاز جميع المراتب في الكلام فانه المقام الجامع
لاحكام الصور كلها قال وقد جعل الله لنا النوم في هذه الدار لنالف حالنا في البرزخ

بعد الموت فان حال الميت كحال النائم في الصورة الظاهرة الا ان علاقة تدبير الهيكل
باقية في النوم بخلاف الموت فانه لا علاقة له في التدبير من احساس الجسم بالتنعيم والعذاب
كما يرى النائم في نومه انه في عذاب وشرور او في نعيم وسرور فان قلت فلم
حجب الثقلان عن سماع كلام الميت وشهود عذابه او نعيمه دون البهائم فالجواب
انما حجب الثقلان دون غيرهما لانهما من عالم التعبير بخلاف غيرهما فان الناس لو ابصروا
شيئا من احوال الموتى لاخبروا بعضهم بعضا كما اشار اليه خبر لولا تمزع في قلوبكم
وتزيدكم في الحديث لدعوت الله تعالى ان يسمعكم عذاب القبر فعلم ما قاله الشيخ
في الباب الثامن والسبعين وثلاثمائة ان كل من رزقه الله تعالى الامانة من الاوليا
سمع عذاب القبر وسمع كلام الشياطين حين يوحون الى اوليائهم ليجادلونا وان الله تعالى
ما اخذ باسماع الجن والانس وابصارهم الا طلبا للستر فان المكاشف لو افشى ذلك
لابطل حكمة الوضع الالهي من وجوب الايمان بالغيب فانه كان يصير شهادة فان
قلت كيف استعاذت الانبيا من فتنة الموت مع عصمتهم فالجواب انما
استعاذوا من ذلك لعلمهم بسعة الاطلاق وان الله يفعل ما يريد فقاموا بواجب
عبوديتهم واظهار عجزهم وفاقتهم وسالوه من باب الافتقار ان لا يفتنهم اذا سألهم
الملكان عمن ارسل اليهم وهو جبريل عليه السلام فانهم يسالون عنه تكرما كما نسال
نحن عمن ارسل الينا امتحانا والا فالانبيا معصومون لا يحزنهم الفزع الاكبر فضلا عن
الاصغر بحضرتهم الاعتراف بالانكسار بين يدي ربهم على الدوام فان قلت
فما حقيقة البرزخ الذي ننتقل اليه بعد الموت فالجواب كما قاله الشيخ في الباب
الستين من الفتوحات ان حقيقة البرزخ هو صور اسرافيل الذي ينفخ فيه ويسمى بالناقور
ويسمى بالقرن فلا شيء اوسع من هذا القرن وجميع ما يقع للميت في قبره من العذاب والنعيم
يدركه صاحبه ادراكا حقيقيا بالحس لا في الحس كما ان جميع ما يدركه الانسان بعد الموت
في البرزخ من نعيم وعذاب انما يدركه بعد الصورة التي هو فيها في القرن فان
الله تعالى اذا قبض الارواح من الاجسام الطبيعية اودعها صورا جسدية في
حضرة البرزخ الذي هو صور اسرافيل ثم ان من الصور ما يكون هنالك مقيدا ومنها
ما يكون مطلقا كارواح الانبيا كلهم وارواح الشهدا وبعض الاوليا لان كل من حبس

لنفسه ايام تكليفه في ممقم الشريعة وحجر عليها ما حجره الشرع جازاه الله تعالى بالاطلاق في البرزخ وفي الجنة يتبوا منها حيث يشا قال ومن الارواح ما يكون له نظر الى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال قال واما قوم فرعون فيعرضون على النار في تلك الصورة غدوا وعشيا ولا يدخلونها لانهم محبوسون عنها في ذلك القرن وفي تلك الصورة ويوم القيمة يدخلون اشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذي كان لهم حال موتهم بالعرض عليه ومنهم من يحرق بالنار المحسوسة ايضا انتهي وقال الشيخ محيي الدين في كتاب لواقح الانوار من اهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همته من يعمل في قبره بعمله الذي كان يعمله في دار الدنيا كما صح ذلك عن ثابت البناني التابعي الجليل انهم فتحوا قبره فوجدوه قايما يصلي وشمله خلايق قال ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى ان يخرج من البرزخ ويويد ذلك ميزان اهل الاعراف بالسجدة التي يسجدونها يوم القيمة ويدخلون بها الجنة فلولا ان البرزخ له وجه الى احكام الدنيا ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت ميزانهم بها فهي اخر ما بقي من اعمال اهل التكليف قال واما جميع ما يري في المنام او اليقظة من الاموات فكله مثالات متخيلة وليس منه شي محقق الا ارواح الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقط فانها مشرفة على وجود الدنيا والاخرة والبرزخ بخلاف ارواح من سواهم الا ما شا الله فانها ليس لها خروج من البرزخ فان راي احدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي واما مثال اقامه الله تعالى على صورته ليفيد ما يشا من حكمه واطال في ذلك بنحو ورقة ثم قال ونعلم يقينا ان المكاشفين الكمل يرون حياة الجسم بعد مفارقة الروح وذلك لان للجسد عندهم حقايق وعوالم يقبل بها الادراك من غير واسطة الروح واذا انفكت الروح الى محلها بعد المفارقة وبقي الجسم كان له الادراك بتلك الحقايق التي تخصه ولولا ذلك ما كان مسبحا بحمد ربه اذ التسبيح فرع من المعرفة قال تعالى وان من شي الا يسبح بحمده تقديره وان من شي الا يعرفه لانه لا يمكن ان ينزه الباري جل وعلا عما لا يجوز عليه الا من عرفه قال وبتلك الحقايق نطقوا وشهدوا قال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي انتهي وتقدم في مبحث

الايمان ما له تعلق بحياة الجماد فراجعه تفقد بان لك يا اخي مما قررناه انه لا يقدح في صحة نعيم القبر وعذابه كون ابصار اهل الدنيا لا تدركه قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قال الشيخ في الباب السادس والعشرين ومايه من الفتوحات المكية والمراد بهذه الجنة وهذه النار جنة البرزخ ونارة لا الجنة والنار الكبيرتين اللتين يدخلهما الناس بعد الحساب والمرور على الصراط قال وهذا مما غلط فيه بعض اهل الله في كشفهم فانهم اذا اطلعوا بشي من احوال الاخرة يظنون ان ذلك صحيح وانهم شاهدوا الاخرة على الحقيقة وليس كذلك وانما هي الدنيا اظهرها الله تعالى لهم في عالم البرزخ بعين الكشف او النوم في صورة ما جعلوه من احكام الدنيا في اليقظة فيقولون راينا الجنة والنار والقيمة واين الدار من الدار واين الاتساع من الاتساع ومعلوم ان القيمة ما هي الان موجودة فاذا رئيت في الحياة الدنيا فانما هي الا قيامة الدنيا ونار الدنيا وفي الحديث الصحيح رايت الجنة والنار في مقامي هذا وما قال رايت جنة الاخرة ولا نار الاخرة بل قال في عرض هذا الحايط من الدار الدنيا وذكر انه راي في النار صاحبة الهرة التي حبستها وعمرو بن لحي الذي سيب السوايب وكان ذلك كله في صلاة الكسوف في اليقظة وفي حديث اخر مثلت لي الجنة في عرض هذا الحايط وتمثل الشي ما هو عين الشي بل هو شبهه فقط ولا معني لقول من قال ان اهل النار اليوم في النار الكبري فاذا كان يوم القيمة رجعوا الى القبر ثم بعثوا وحشروا وحوسبوا ثم يدخلون النار ثانيا قلت ويكفي احدنا الايمان بعذاب القبر ولا يحتاج الى بيان كيفيته الحقيقة فان العقول تعجز عن مثل ذلك وسياتي بيانه في مبحث خلق الجنة والنار مزيد كلام فراجعه والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الخامس والستون

في بيان ان جميع اشراط الساعة التي اخبر بها الشارع حق لا بد ان تقع كلها قبل قيام الساعة وذلك كخروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسي وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القران وفتح سد ياجوج وماجوج حتى لو لم يبق من الدنيا

الا مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله **قال** الشيخ تقي الدين ابن ابي المنصور
في عقيدته وكل هذه الايات تقع في المائة الاخيرة من اليوم الذي وعد
به رسول الله صلى الله عليه وسلم امته بقوله ان صلحت امتي فلها يوم وان فسدت
فلها نصف يوم يعني من ايام الرب المشار اليها بقوله تعالى وان يوما عند
ربك كالف سنة مما تعدون **قال** بعض العارفين واول الالف محسوب من
وفاة علي بن ابي طالب رضي الله عنه اخر الخلفا فان تلك المدة كانت من جملة تتمة
ايام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته فمهد الله تعالى بالخلفا الاربعة
ومراده صلى الله عليه وسلم ان شا الله بالالف قوة سلطان شريعته الى انتها الالف
ثم تاخذ في الاضمحلال الى ان يصير الدين غريبا كما بدا وذلك الاضمحلال يكون بدايته
من مضي ثلاثين سنة من القرن الحادي عشر فهناك يترقب خروج المهدي عليه السلام
وهو من اولاد حسن العسكري ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس
وخمسين ومايتين وهو باق الى ان يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام فيكون عمره
الى وقتنا هذا وهو سنة ثمانية وخمسين وتسعماية سبعماية سنة وست سنين
هكذا اخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلي
بمصر المحروسة عن الامام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدي علي
الخواص رحمهما الله تعالى **وعبارة** الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين
وثلاثماية من الفتوحات واعلموا انه لا بد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج
حتى تملا الارض جورا وظلما فيملاوها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا الا مقدار
يوم واحد طول الله هذا اليوم حتى يلي هذا الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنها جده الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
ووالده حسن العسكري بن الامام علي النقي بالنون ابن الامام موسى الرضى ابن الامام
موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر بن الامام زين
العابدين ابن علي ابن الامام الحسين ابن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يواطي اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلق بفتح الخا وينزل عنه في الخلق بضمها اذ

لا يكون احد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخلاقه والله تعالى يقول وانك
لعلى خلق عظيم هو اجلى الجبهة اقنى الانف اسعد الناس به اهل الكوفة يقسم المال
بالسوية ويعدل به في الرعية ياتيه الرجل فيقول يا مهدي اعطني وبين يديه
المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع
بالقران يمسي الرجل جاهلا وجبانا وبخيلا فيصبح عالما شجاعا كريما يمشي النصر
بين يديه يعيش خمسا او سبعا او تسعا يقفو اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يخطي له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على
نوايب الحق يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد يصلحه الله في ليلة يفتح
المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين الفا من المسلمين من ولد اسحق يشهد الملحمة
العظمى مادبة الله بمرج عكا يبيد الظلم واهله يقيم الدين وينفخ الروح في الاسلام
يعز الله به الاسلام بعد ذله ويحييه بعد موته يضع الجزية ويدعوا الى الله بالسيف
فمن ابى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه حتى لو كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لحكم به فلا يبقى في زمانه الا الدين الخالص عن
الراي يخالف في غالب احكامه مذاهب العلما فينقبضون لذلك منه لظنهم ان الله
تعالى ما بقى يحدث بعد ايمتهم مجتهدا واطال في ذكر وقايعه معهم **ثم قال** واعلم
ان المهدي اذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال الهيون يقيمون
دعوته وينصرونه هم الوزرا له يتحملون اثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى
له ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضا شرقي دمشق متكيا على ملكين
ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة العصر فيتنحى له الامام عن مكانه
فيتقدم يصلي بالناس يوم الناس بسنة النبي صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويقبض الله اليه المهدي طاهرا مطهرا وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة
بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيدا فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على
نيته وقد جاكم زمانه وظلكم اوانه وقد ظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة
الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذي يليه ثم الذي
يلي الثاني ثم جا بينهما فترات وحدثت امور وانتشرت اهوا وسفكت دما فاختفى

الى ان يجي الوقت المعلوم فيشهدا وهم خير الشهدا وامناؤه افضل الامنا قال
الشيخ محيي الدين وقد استوزر الله تعالى له طايفة خباهم الله له في مكنون غيبه
اطلعهم كشفا وشهودا على الحقايق وما هو امر الله عليه في عباده وهم على اقدام
رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربي
لكن لا يتكلمون الا بلسان العربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو اخص
الوزرا واعلم ان المهدي لا يفعل شيا برايه قط وانما يشاور هولاء الوزرا
فانهم هم العارفون بما هنالك واما هو عليه السلام في نفسه فهو صاحب سيف
حق وسياسة ومن شان هولاء الوزرا ان احدهم لا ينهزم قط من قتال وانما يثبت
حتى ينصر او ينصرف من غير هزيمة الا انهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير فيكبرون
التكبيرة الاولى فيسقط ثلثها ويكبرون التكبيرة الثانية فيسقط الثلث الثاني
من السور ويكبرون الثالثة فيسقط الثلث الثالث من السور فيفتحونها من غير
سيف وهذا هو عين الصدق الذي هو والنصر اخوان قال الشيخ وهولاء الوزرا
دون العشرة وفوق الخمسة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شك في مدة اقامته
خليفة من خمس الى تسع للشك الذي وقع في وزرايه فلكل وزير معه اقامة سنة
فان كانوا خمسا عاش خمسة وان كانوا سبعة عاش سبعة وان كانوا تسعة عاشوا
تسعة اعوام ولكل عام منها احوال مخصوصة وعلم يختص به ذلك الوزير فهم اقل
من خمسة ولا اكثر من تسعة قال الشيخ ويقتلون كلهم الا واحدا منهم في مرج عكا
في المادبة الالهية التي جعلها الله تعالى مايدة للسباع والطيور والهوام قال الشيخ
ولله الواحد الذي يبقى لا ادري هل هو ممن استثنى الله تعالى في قوله ونفخ في
الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله وهو يموت في تلك النفخة
قال الشيخ محيي الدين وانما شككت في مدة اقامة المهدي اماما في الدنيا
ولم اقطع في ذلك بشي لاني ما طلبت من الله تعالى تحقيق ذلك ادبا مع الله تعالى ان
اساله عن شي من ذات نفسي ولما سلكت معه هذا الادب قيض الله تعالى
لي واحدا من اوليا الله عز وجل فدخل علي وذكر لي عدة هولا الوزرا ابتدا فقال
لي هم تسعة فقلت له ان كانوا تسعة فان بقاء المهدي لابد ان يكون تسع سنين

فاني عليم بما يحتاج اليه وزيره فان كان واحدا اجتمع في ذلك الواحد جميع
ما يحتاج اليه وزراؤه وان كان اكثر من واحد فما يكونوا اكثر من تسعة فانه اليها
انتهى الشك من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله خمسا او سبعا او تسعا يعني في
اقامة المهدي بتجميع الخواص اصحابه ليتعلموا العلم وما يقنعوا بالتقليد فانه قال
ما يعلمهم الا قليل فافهم قال وجميع ما يحتاج اليه وزراء المهدي في قيامهم تسعة
امور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهو نفوذ البصر ومعرفة الخطاب
الالهي عند الالقا وعلم الترجمة عن الله وتعيين المراتب لولاة الامر والرحمة
في الغضب وما يحتاج اليه الملك في الارزاق المحسوسة وغيرها وعلم تداخل
الامور بعضها على بعض والمبالغة والاستقصا في قضا حوايج الناس والوقوف
على علم الغيب الذي يحتاج اليه في الكون في مدته الخاصة فهذه تسعة امور
لا بد ان تكون في وزراء المهدي من واحد فاكثر واطال الشيخ في شرح
هذه الامور بنحو عشرة اوراق ثم قال واعلم ان ظهور المهدي
عليه السلام من اشراط الساعة وكذلك خروج الدجال فيخرج من خراسان
من ارض المشرق موضع الفتن يتبعه الاتراك واليهود ويخرج اليه من
اصبهان وحدها سبعون الف مطيلسين وهو رجل اعور العين اليمنى كان
عينيه طافية مكتوب بين عينيه كاف فارا قال الشيخ محيي الدين فلا ادري
بهذا الهجا كفر من الافعال الماضية واراد به كفر من الاسما الا ان الالف
حذفت كما حذفها العرب في خط المصحف في مواضع مثل الف الرحمن بين
الميم والنون فان قلت فما صورة ما يحكم به المهدي اذا خرج هل يحكم
بالنصوص او بالاجتهاد او بهما فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين انه يحكم بما القي اليه
الالهام من الشريعة وذلك انه يلهمه الشرع المحمدي فيحكم به كما اشار اليه حديث
المهدي انه يقفو اثري لا يخطي فعرفنا صلى الله عليه وسلم انه متبع لا مبتدع
وانه معصوم في حكمه اذ لا معنى للمعصوم في الحكم الا انه لا يخطي فانه لا ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحي وقد اخبر عن المخطي انه لا يهدي وجعله ملحقا
بالانبيا في ذلك الحكم قال الشيخ فعلم ان المهدي يحرم عليه القياس مع وجود

النصوص التي منحه الله اياها علي لسان ملك الالهام بل حرم بعض المحققين علي
جميع اهل الله القياس لكون رسول الله صلي الله عليه وسلم مشهودا لهم فاذا شكوا
في صحة حديث او حكم رجعوا اليه في ذلك فاخبرهم بالامر الحق يقظة ومشافهة
وصاحب هذا المشهد لا يحتاج الي تقليد احد من الائمة غير رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال تعالي قل هذه سبيلي ادعوا الي الله علي بصيرة انا ومن اتبعني واطال في ذلك
ثم **قال** فللامام المهدي عليه السلام ايضا الاطلاع من جانب الحق علي ما يريد
الحق تعالي ان يحدثه من الشؤون قبل وقوعها فان كان ذلك مما فيه نفع لرعيته
شكر الله عز وجل وسكت عنه وان كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام او علي اشخاص
معينين سال الله تعالي فيهم وشفع وتضرع اليه فصرف عنهم ذلك البلا بمنه وفضله
ورحمته واجاب دعاه وسؤاله **فان قلت** فاذا عمي الله عليه حكما في نازلة ماذا
يفعل **فالجواب** اذا عمي الله تعالي عليه حكما في نازلة ولم يقع له بها تعريف ولا كشف
الحقها في الحكم بالمباحات فيعلم بعدم التعريف ان ذلك حكم الشرع فيها فانه معصوم
من الراي والقياس في الدين اذ القياس ممن ليس بنبي حكم علي الله في دينه بما لا يعلم
فانه طرد علة وما يدري العبد لعل الله لم يرد طرد تلك العلة ولو انه كان ارادها
لابانها علي لسان محمد صلي الله عليه وسلم وابان لطردها واطال في ذلك ثم **قال**
واعلم انه لم يبلغنا ان النبي صلي الله عليه وسلم نص علي احد من الائمة بعده امته
يقفوا اثره لا يخطي الا المهدي خاصة فقد شهد له بعصمته في خلافته واحكامه
كما شهد الدليل العقلي بعصمة رسول الله صلي الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه من
الحكم المشروع له في عباده **فان قلت** فاذا نزل عيسي عليه السلام فمتي يموت
وكيف يموت **فالجواب** كما قاله الشيخ في الباب التاسع وستين وثلاثماية انه
يموت اذا قتل الدجال وذلك انه يموت هو واصحابه في نفس واحد فيما يبعث
الله بريح طيبة تاخذهم من تحت اباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذي قد
اجهده السهر واتاه في السحر العسيلة سميت بذلك لحلاوتها فيجدون للموت لذة
لا يقدر قدرها ثم يبقي بعدهم رعاع كغثاء السيل اشباه البهايم فعليهم تقوم
الساعة انتهي **واما طلوع** الشمس من مغربها فقد ورد في الصحيح مرفوعا لا تقوم

الساعة حتي تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعين
حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وطلوع الشمس من مغربها جايز
في العقل لا استحالة فيه فان الله قادر علي ذلك والجهات الي قدرته متساوية
وفي ذلك رد علي نمرود لما قال له ابراهيم عليه السلام فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب **قال** الشيخ ابو طاهر القزويني واصحاب الهيئة والمنجمون يحيلون
طلوعها من المغرب فيقال لهم اليس الله تعالي قد اجري بان كل دوارة من رحي
ودولاب اذا انتهي دورها ترجع منعكسة ثم تقف فلم ينكرون ان الله يعكس دورات
الشمس عند انتهاء ادوارها قال تعالي والشمس تجري لمستقر لها والمستقر مصدر
بمعني الاستقرار واللام بمعني الي كما قال تعالي بان ربك اوحي لها اي اليها قال وعند
وقوف الشمس في وسط السما تنشق السما وتنكدر النجوم ويقولون في المثل السائر
الدولاب اذا تعطل انكسر وهناك تظهر الشمس والقمر في وسط السما كالغرارتين
وفي رواية اخري كالثورين الاسودين فاذا طلعا الي وسط السما رجعا نازلين
الي المغرب لانهما لا يغربان في المشرق كما توهمه بعضهم وفي الحديث انهما يطلعان
من المغرب مكورتين كالغرارتين فلا ضوء للشمس ولا نور للقمر وما بين طلوع الشمس
من مغربها الي نفخ الصور اقل من ان يركب الرجل المهر بعد النتاج **فان قيل**
قد ورد في الحديث انهما يطلعان بعد ذلك اليوم من المشرق الي نفخ الصور **فالجواب**
لا اعتبار بذلك الطلوع اذ هو طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء لا طلوع دولاب
لهما بحساب وكذلك يكون حال كل دوران اذا انتهي دورها تنعكس مرة وترجع
اخري ثم تقف هكذا سنة الله في الخلق ولن تجد لسنة الله تبديلا وتقدم في مبحث
الايمان ان الشمس اذا طلعت من مغربها اغلق باب التوبة فمن كان مومنا لا يدخل
قلبه بعد ذلك كفر ومن كان كافرا لا يدخل قلبه بعد ذلك ايمان فراجعه **فان قيل**
فما الدليل علي نزول عيسي عليه السلام في القران **فالجواب** الدليل علي نزوله قوله
تعالي وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته اي حين نزوله ويجتمعون
عليه وانكرت المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصاري عروجه بجسمه الي
السما وقال تعالي في عيسي عليه السلام وانه لعلم للساعة قري لعلم بفتح العين

واللام والضمير في انه راجع الى عيسى عليه السلام لقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم
مثلا ومعناه ان نزوله علامة القيامة وفي الحديث في صفة الدجال فبينما هم في الصلاة
اذ بعث الله المسيح ابن مريم فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين
واضعا كفيه على اجنحة ملكين والمهرودتين بالذال المعجمة والمهملة معا حلتان مصبوغتان
بالورس فقد ثبت نزوله عليه السلام بالكتاب والسنة وزعمت النصارى ان ناسوته
صلب ولاهوته رفع والحق انه رفع بجسده الى السما والايمان بذلك واجب قال تعالى
بل رفعه الله اليه **قال** ابو طاهر القزويني واعلم ان كيفية رفعه ونزوله وكيفية
مكثه في السما الى ان ينزل من غير طعام ولا شراب مما يتقاصى عن دركه العقل
ولا سبيل لنا الا ان نؤمن بذلك تسليما لسعة قدرة الله تعالى واطال في ذكر
شبهة الفلاسفة وغيرهم من انكار الرفع فان **قيل** فما الجواب عن استغنائه عن
الطعام والشراب مدة رفعه فان الله تعالى قال وما جعلناهم جسدا لا ياكلون
الطعام **فالجواب** ان الطعام انما جعل قوتا لمن يعيش في الارض لانه مسلط عليه
الهوا الحار والبارد فيتحلل بدنه فاذا انحل عوضه الله تعالى اجرا العادته في هذه
الخطة الغبرا واما من رفعه الله الى السما فانه يلطفه بقدرته ويغنيه عن
الطعام والشراب كما اغنى الملائكة عنهما فيكون حينئذ طعامه التسبيح وشرابه
التهليل كما قال صلى الله عليه وسلم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وفي
الحديث مرفوعا ان بين يدي الدجال ثلاث سنين سنة تمسك السما ثلثي
قطرها والارض ثلثي نباتها وفي السنة الثانية تمسك السما ثلثي قطرها
والارض ثلثي نباتها وفي السنة الثالثة تمسك السما قطرها كله والارض
نباتها كله فقالت له اسما بنت زيد يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نختبز
حتى نجوع فكيف بالمومنين حينئذ فقال يجزيهم ما يجزي اهل السما من التسبيح
والتقديس **قال** الشيخ ابو طاهر وقد شاهدنا رجلا اسمه خليفة الخراط
كان مقيما بابهر من بلاد المشرق ومكث لا يطعم طعاما منذ ثلاث وعشرين سنة
وكان يعبد الله ليلا ونهارا من غير ضعف فاذا علمت ذلك فلا يبعد ان يكون قوت
عيسى عليه السلام التسبيح والتهليل والله اعلم بجميع ذلك **واما** خروج الدابة التي

يقال لها الجساسة فقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والخمسين وثلاثمائة
في قوله تعالى اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ما نصه اعلم ان هذه الدابة تخرج
من اجياد وهي دابة كثيرة الشعر لا يعرف قبلها من دبرها فتنفخ في وجوه الناس
شرقا وغربا برا وبحرا جنوبا وشمالا فترتقم بنفخها في جبين كل شخص ما هو عليه
في علم الله تعالى من ايمان وكفر فيقول من سمته مومنا لمن سمته كافرا يا كافر اعطني
كذا وكذا فلا يغضب من ذلك الاسم لعلمه بانه مكتوب على جبينه كتابة لا يمكنه
ازالتها فيقول الكافر للمومن نعم او لا في قضاء ما طلب منه فليس كلامها المنسوب
اليها في العموم سوى ما وسمت به الوجوه بنفخها وان كان لها كلام اخر مع من يجالسها
من ساير اصحاب اللسان فمتى تكلمه بلسانه عربيا كان او عجميا على اختلاف اللغات
وقد ورد حديثها في صحيح مسلم في حديث الدجال حيث دلت تميما الداري عليها
وقالت له انه الى حديثك بالاشواق قال الشيخ وهي الان في جزيرة من البحر الذي
يلي جهة الشمال وهي الجزيرة التي فيها الدجال **قال** تعالى وانما سمى الله تعالى
رقمها في وجوه الناس كلاما لانه افادها افادة الكلام الا ترى العاقل من اهل
النظر اذا اراد ان يوصل اليك ما في نفسه ليقتنص في ذلك التوصل على العبارة
بنظم حروف ولا بد فان غرضه منك انما هو اعلامك بالامر الذي هو في نفسه
فوقتا بالعبارة اللفظية المسماة في العرف قولا وكلاما ووقتا بالاشارة بيد
او راس او عيان ووقتا بالكتابة ورقوم ووقت انما يريد الحق افهامك به
فتوجد فيك اثرا تعرف منه ما في نفسه وتسمي هذا كلاما فصح ان رقم الدابة
يطلق عليه كلام والله اعلم واطال في ذلك في الباب السابع والخمسين وثلاثمائة
بذكر فوايد عظيمة فراجعه **واما رفع** القران فروى البيهقي في الشعب عن
ابن مسعود قال اقروا القران قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قالوا
هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يعدى عليهم ليلا فيرفع من
صدورهم فيصبحون يقولون لكانا كنا لا نعلم شيئا ثم يقعون في الشعر **قال** القرطبي
وهذا انما كان بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة **واما**
خروج ياجوج وماجوج فهو ثابت بالنصوص القطعية وهو سد عظيم يصل اليه السولح

واخبرني الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله ان لسيدي ابراهيم المتبولي كل
سنة سماطا يمده فوق هذا السد فيحضر جميع الاوليا والصحابة الاحيا والاموات
قال وقد حضرت معهم مرات فقلت وهل يسع السد هولاء الناس كلهم فقال نعم
طوله سبعون ميلا وعرضه خمسون ميلا انتهى واحوال مقدمات الساعة صنف
الناس فيها كتبا كثيرة وانما لخصنا في هذه العقايد الاشارة بذكر طرف منها
لاجل الايمان بها لا غير والله اعلم انتهى خاتمة ذكر الشيخ في الباب التاسع والخمسين
من الفتوحات في معنى حديث الدجال يوم كجمعة ويوم كشهر ويوم كسنة وساير ايامه
كايامكم معنى يوم كجمعة ان الغيوم تكثر في ذلك الزمان فلا ترى الشمس الا بعد
سبعة ايام فتطلع الشمس وتغرب ولا يعلم ذلك الا ارباب الكشف وكذلك القول
في الشهر والسنة وليس المراد بان اليوم الواحد يمتد بمقدار سنة مثلا لانه لو
امتد لم يكن يلزمنا فيه الا خمس صلوات فقط في كل يوم وليلة فلما توالت الغيوم
وتوالت تساوي في راي العين وجود الليل والنهار فظن الناس ان الشمس لم تغرب
في نفس الامر وهي من الاشكال الغريبة التي تحدث في اخر الزمان فاذا حال الغيم
المتراكم بيننا وبين السما كانت الحركات التي علمها اهل الهيئة باقية كما هي لم
تختل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقدروا لها اي الصلوات فلما
قرر الشارع اوقات الصلوات بالتقدير عرفنا ان حركات الافلاك على حالها
لم تختل نظامها قال ولو ان ذلك اليوم الذي كسنة هو يوم واحد ممتد لوجب
علينا ان لا نصلي الظهر حتى تزول الشمس وما لم تزل الشمس لا نصلي الظهر ولو كنا
اكثر من سنة فتحصل من هذا ان معنى اقدروا لها من يوم واحد مثلا اي في
راي العين لا في نفس الامر فانه في نفس الامر مضى اليوم ولم يشهد به احد
وان اليوم الذي كسنة تطلع الشمس فيه وتغرب ثلاثماية وستون يوما وكذلك
القول في الشهر والجمعة تمكث الشمس فيه لا ترى شهرا او سبعة ايام قلت
وهذا الذي ذكره الشيخ خلاف ما تدل عليه ظاهر قوله في الحديث فاقدروا
لها فليتامل فان غالب الافهام على ان اليوم الواحد يطول المدة التي
ذكرها في الحديث من جمعة او شهر او سنة والله اعلم بحقيقة الحال

المبحث

المبحث السادس والستون

في وجوب بيان اعتقاد ان الله يعيدنا كما بدانا اول مرة وبيان كيفية نبات
الاجساد لقبول الارواح وبيان صورة الصور واحيائنا في القبور وبيان
شبه المنكرين للبعث ولنبدا بعبارة شرح جمع الجوامع وحاشيته ثم نذكر قول
المحققين من الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم ان عود الجسم بعد الاعدام
بجميع اجزايه الاصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت قال الله تعالى وهو
الذي يبدا الخلق ثم يعيده وقال تعالى كما بداكم تعودون وقال تعالى افلا
يعلم اذا بعثر ما في القبور مع ما قد ورد في الكتاب والسنة من العبارات التي
لا تقبل التاويل حتى ان ذلك صار معلوما في الدين بالضرورة وانعقد الاجماع
على كفر من انكر البعث جوازا ووقوعا وقد انكر الفلاسفة اعادة الاجسام وقالوا
انما تعود الارواح بمعنى انها بعد موت البدن تعود الى ما كانت عليه ملتذة
بالكمال او متالمة بالنقصان قال الكمال في حاشيته ومرادهم ان الجسم يعاد
بجميع اجزائه الاصلية اي الباقية من اول العمر الى اخره لا ان الاجزا مطلقا
تعاد وذلك ليندفع بذلك الشبهة المشهورة وهي ما اذا اكل الانسان انسانا
بحيث صار الماكول جزا من الاكل فاذا اعاد الله تعالى ذينك الانسانين بعينهما
فتلك الاجزا التي كانت للماكول ثم صارت للاكل اما ان تعاد في كل واحد منهما
وهو محال لاستحالة ان يكون جزا واحدا بعينه في آن واحد في شخصين متباينين
او يعاد في احدهما وحده فلا يكون الاخر معادا بعينه والمقرر خلافه ووجه
الاندفاع ان المعاد هي الاجزا الاصلية الباقية من اول العمر الى اخره دون
الاجزا الفضلية والاجزا الاصلية التي كانت للماكول هي فضلة في الاكل فانا
نعلم ان الانسان باق مدة عمره واجزا الغذا تتوارد عليه وتزول عنه واذا
كانت فضلة لم تجب اعادتها في الاكل بل في الماكول انتهى والله اعلم
وعبارة الشيخ محيي الدين اعلم ان من انكر البعث والاعادة في الاجسام كفر
وصورة الاعادة ان الله تعالى ينزل من السما مطرا يشبه مني الرجال تمخض منه

الارض فينشي الله تعالى منه الخلق النشاة الاخرة قائمة على عجب الذنب الذي بقي
من نشاة الدنيا وهو اصلها الذي لا يقبل البلا كما مر في مبحث الارواح ثم اذا انشا
الله تعالى النشاة الاخرة وسواها وعدلها استعدت لقبول الارواح كاستعداد
الشجر بالنارية التي فيها لقبول الاشتعال وكانت الصور البرزخية كالسرج
المشتعلة بالارواح التي فيها فاذا نفخ اسرافيل في الصور الذي هو القرن البرزخي
التي تنتقل اليها بعد الموت مرت تلك النفخة على جميع تلك الصور البرزخية التي
احتوى عليها الصور فاطفاتها كلها فيقول الله عز وجل لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد
فاذا نفخ ثانية اشتعلت تلك الصور المستعدة للاشتعال بارواحها فاذا هم قيام
ينظرون فكل صورة تقوم حية ناطقة بما ينطقها الله عز وجل فمنهم من ينطق بالحمد
ومنهم من ينطق بقوله من بعثنا من مرقدنا ومنهم من ينطق بقوله سبحان من احيانا
بعد ما اماتنا واليه النشور وكان ينطق كل انسان بما كان عليه عند موته واعلم
ان كل واحد ينسى حاله الذي كان عليه في البرزخ ويتخيل ان كلما كان فيه منام
كما يتخيل المستيقظ من منامه وقال في باب الاسرار في قوله تعالى وهو
الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده المراد بالخلق هو الفعل الصادر منه تعالى
لا المخلوق فان عين المخلوق ما زالت من الوجود وان اختلفت عليها الاطوار
في الدنيا والبرزخ والجنة والنار فان عين المخلوق واحدة من حيث جوهرها
فلم ينعدم حتى يقال انها توجد وانما هو انتقال في علم الله من وجود الى وجود
ولذلك كان نعيم القبر وعذابه حقا وايضاح ذلك ان نشاة الاخرة ابتدا
لا اعادة حقيقة اذ لو كانت اعادة حقيقة لعاد حكمها معها من التكليف فكل
جوهر لا ينعدم من حين خلقه الله تعالى وانما هي اطوار رضي الله عنه واطال
في ذلك ثم قال يعلم ان الحق تعالى لما دعى الارواح من هياكلها حنت الى ذلك
الدعا وهان عليها مفارقة الوعا فكان لها الانفساح بالسراح من هذه الاشباح
ثم انه اذا وقعت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع
انتهى فتامل وقال في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة ان لم تكن الاعادة
على صورة الابتدا انما هي اعادة انتهى وقال في الباب السبعين من الفتوحات في قوله

تعالى

تعالى كما بداكم تعودون اعلم ان الحق تعالى قد بدانا على غير مثال سبق
وكذلك يكون انشاؤه لنا في الاخرة على غير مثال سبق فمن علم ذلك لم يستبعد
وقوع المحالات من حيث العقل والا فليس ذلك بمحال من حيث القدرة الالهية
انتهى فليحرر وسياتي ايضا عن الغزالي في جواب السؤال الثاني من شبه المنكرين
للبعث فراجعه وقال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة في قوله
تعالى اذا بعثر ما في القبور واخرجت الارض اثقالها لم يبق في بطنها سوى عينها
فخرج ما كان فيها اخراجا لا انباتا وذلك ليفرق بين نشاة الدنيا الظاهرة
وبين نشاة الاخرة فان الدنيا انبتنا فيها من الارض انباتا كما ينبت النبات
شيا بعد شي على التدريج وقبول الزيادة في الجرم طولا وعرضا واما نشاة
الاخرة فهي اخراج من الارض على الصورة التي يشا الحق تعالى ان يخرجنا عليها
قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فاذا اخرجت الارض اثقالها وحدثت بانه
لم يبق فيها مما اختزنته شي جي بالعالم الى الظلمة التي دون الحشر فالقي الخلائق
فيها حتى لا يبصر بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل في السما والارض
حين يقع فتمتد الارض مد الاديم وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وهي
الساهرة اذ لا نوم فيها لكونها بعد الدنيا ولا نوم لاحد بعدها انتهى وقال
في الباب الثالث والثلاثمائة اعلم ان الناس قد اختلفوا في صفة الاعادة بنا
على اختلافهم في الموت هل هو طلاق رجعي او باين وفرعوا على ذلك ما اذا
ماتت امراة هل يغسلها زوجها فقال بعضهم حكمها بعد موتها كالاجنبية قطعا
فليس له ان يكشف عليها وقال بعضهم حرمة الزوجية باقية فله ان يغسلها
وحاله معها كحال حياتها فان كان رجعيا فان الارواح ترد الى اعيان هذه
الاجسام من حيث جواهرها في البعث وان كان باينا فقد ترد اليها ويختلف
التاليف وقد ينشا لها اجسام اخر لاهل النعيم اصفى واحسن ولاهل
العذاب بالعكس قال والحق انها ترد الى اعيان هذه الاجسام التي كانت
مكلفة حتى تنعم او تعذب وحتى تشهد على صاحبها حين يستشهد انتهى وقال
في الباب الستين وماتين اعلم ان الجوارح اذا استشهدت يوم القيامة على

النفس المدبرة هي والجلود لا تشهد بوقوع معصية ولا طاعة لانه لاخبر لها بما تنويه
النفس في الاعمال ولا تدري هل ذلك العمل مشروع او غير مشروع وانما تشهد بما
عملت والله تعالى اعلم حكمه في ذلك العمل ولهذا قال الله تعالى يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة او
معصية فان مرتبة الجوارح لا تقتضي ذلك انما تقتضي ان الفرج مثلا يقول
انا دخلت في فرج فلانه ويقول الفم انا شربت خمرا ولا علم لهما بكون ذلك
حراما ام لا انتهي وسياتي عبارة الشيخ ابي طاهر في بيان شبه المنكرين للبعث
ان شا الله تعالى **وقال** الشيخ محي الدين في علوم الباب التاسع والستين
وثلاثماية اعلم ان العمل حق للجارحة والنية حق للروح ولاخبر للجارحة بما
تنويه النفس من ذلك فاذا شهدت الجلود من هذه النشاة والاسماع والابصار
والايدي والارجل وجميع الجوارح لا تشهد الا بما جرى منها لا علم لها بكون صاحبها
تعدي حدود الله ام لا وليس في العلوم اصعب تصورا من هذه المسالة فان الارواح
طاهرة بحكم الاصل والاجسام وقواها كذلك طاهرة بما فطرت عليه من تسبيح خالقها
وتوحيده ثم باجتماع الجسم والروح حصل الانسان وتعلق به التكاليف وظهرت منه
الطاعات والمخالفات فالارواح لا حظ لها في الشقا لطهارتها والنفوس الحيوانية
تجري بحكم طبعها في الاشيا ليس عليها بمجردها تكليف والجوارح كلها ناطقة مسبحة لله
تعالى فمن المخالف والعاصي المتوجه عليه الذم والعقوبة فان كان قد حدث بالمجموع
للجمعية القايمة للانسان امر اخر كما حدث له اسم الانسان فما هو ذلك الحادث الذي
حدث وما حقيقته انتهي ٥ وقد اجاب بعضهم بان الله تعالى ما كلف الا البالغ العاقل
ولا يكون مكلفا الا من جمع بين الروح والجسم ومتى فارقت الروح الجسم او عكسه انتفي
التكليف فانتفي المدح والذم والعقوبة فليتامل ٥ واما بيان هيئة الاجسام لقبول
الارواح فقال الامام ابو طاهر في كتابه سراج العقول اعلم ان المنكرين للمعاد
ورد الارواح الي الاجساد زعموا ان تعلق الارواح اللطيفة بالتراب الجاسي الغليظ
الجافي مستبعد مستحيل للتنافر بينهما طبعا وان قدر ذلك فلا يتصور الا بعد ان تنقلب
التراب نطفة ثم علقة ثم مضغة حتى ينتهي الي التسوية وهيهات وقالوا لنا انكم تدعون

ان

ان الرفات والتراب يحيي بالروح وذلك رجع بعيد فنقول لهم اعتبروا بالنشاة الاولي
فان العدة الازلية لم تقتصر عما كانت عليه في الخلق الاول من التراب اذ قال له
كن فكان ثم ان هولاء انما يقيسون الاحيا في الاخرة علي ما عهدوا في الدنيا من اجرا الله
العادة في خلق الجنين ولو لم يشاهدوا ذلك في الابتدا واخبروا به لكانوا لذلك اشد
انكارا علي انا نقول اهل الله ان ينقل تراب القبور في تغييرات نوازل الساعة واستحالته
طور العبد طورا حتى يبلغ الي حالة التسوية ثم يامر بنفخ الروح فيه كما كان ذلك في تخمير
طينة ادم عليه السلام حين سواه ونفخ فيه من روحه وذلك ان الاطوار المتعارفة
في خلق الجنين هي كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما كما دلت عليه الاية وكانت تلك
الاطوار في حق ادم عليه السلام وهو قوله تعالى خلقكم من تراب خلقكم من طين من حما مسنون
من صلصال كالفخار فاستوى مراتب خلق ادم عليه السلام وخلق الجنين ثم عدل اعضا ادم هنالك
واعضا بنيه هاهنا بالتصوير فخلق ادم علي صورته الخاصة به كما شا فتم ذلك في خلق ادم
اربعين صباحا التي هي مدة التخمير وتم ذلك في خلق الجنين واولاده في مايه وعشرين يوما من
ثلاث اربعينيات وفي هذا المقام تساوي الاب والولد في استمام الخلقة غير ان صورة
الاب طين وصورة الابن لحم ودم وعظم فسوى الله تعالى جسد ادم مع جسد الجنين بقوله كن
فكان وكان الطين لحما ودما وعظما وعصبا وذلك قوله تعالى كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون فاخبر ان تكوينه بعد خلقه اذ تقدم قوله خلقه من تراب وهذا الطور هو
التسوية في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقال في الجنين ثم انشاناه خلقا
اخر وهذا يشهد له اشارات الايات والاحاديث بتلويحات خفية وجلية منبية بان
هذه الاطوار ايضا تتغاير علي التراب عند النشاة الاخرى وايضاح ذلك ان الارض
كفات اودعت ذرات الاموات بعد اختلاطها وتفرقها في جهة الارض لمرور الدهور
ومرور الايام والشهور فاذا اقتربت الساعة وفنيت الجماعة واراد الله تعالى ان يبعث من
في القبور ويعيد اليهم الارواح بعد التحول عنها من نوازل الساعة وزلازلها العظام والدواهي
الهايلة والحوايج المتواترة ما يبلغها الاهلية تلك الصور القابلة للروح من النفخ في الصور
الا ترى انه اخبر تعالى اولا بالزلزال وبنسف الجبال فقال اذا زلزلت الارض زلزالها
وان زلزلة الساعة شي عظيم كلا اذا دكت الارض دكا دكا فقل ينسفها ربي نسفا اذا رجت الارض

رجا وسبب الجبال بسائر لسيرها في مشارق الارض ومغاربها كما قال تعالى وتسير الجبال
سيرا وتكون الجبال كالعهن المنفوش هكذا الفعل بها حتى تتساحق اجزا الارض والجبال
فتصير كالرمال كما قال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ثم لا تزال تنسحق بعضها بالبعض من
الجبال والارض تحت هذه القوارع والوقايع حتى تصير جميع اجزايها هبا منثورا فلا يصير
في ذرات من هذه النوازل والاهوال شيا وتصفوا من الكدورات ويزول عنها جميع الشوايب
والخبث حتى تبدي جواهرها التي هي مناسبة لقبول الارواح وهي معنى قوله اذا بعثر
ما في القبور وحصل ما في الصدور فتبقى بعد ذلك في نهاية الصفا والرقة والنعومة
والدقة كالهوا وما سواها من اجزا الارض الغريبة تتلاشى وتنعدم الا ترى الى قوله
تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ولا شك ان جرم الجبال اشد من جرم الارض فاذا
صارت الجبال سرابا فما هو حال التراب والتراب هيئة كالجبال تتلاشى في الحال حتى
اذا جاه الشخص لم يجد شيا للطامة وهذا اشارة الى اعدام الله جميع اجزا الارض سوى
ذرات بني ادم واليه الاشارة بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وما اشبه
تلك الذرات بذرات الذهب في المعدن حين تمطر عليها الامطار وتغسلها من تراب المعدن
حتى تصير تبرق وفي الحديث ينزل الله تعالى امطارا منوالية كمني الرجال فينبتون
من الارض كما ينبت البقل وفي رواية كما تنبت الحبة من سنبل السبل اما ترونها
تخرج صفرا ملتوية وقد شبه الله تعالى في القران احيا الموتى باحيا الله الارض بعد
موتها في مواضع كقوله تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الما
اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى واطال الشيخ ابو طاهر في ذلك ثم قال
هذه التغيرات والتبدلات لذرات الاموات بمنزلة تغاير النبات في ايام تخمير طينة ادم
وتغاير النطف في تخليق الاجنة في الارحام فاذا جرت على الارض لا يبقى للتراب حسا
ولا قساوة تنافي الارواح في لطافتها بل تصير في تقاربها منها في لطفها وصفائها
تحن الى ارواحها حنين الابل الى مراحها بل كحنين الالف اذا فارقه الفه على
ان الله تعالى اذا اراد امرا لم يحتج الى الات ووسايط واصول وروابط وانما
يقول له كن فيكون وقد ارى الله تعالى موسى ابن عمران في قصة البقرة واصحابه
عامل هذه العلة حتى راها عيانا قال تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله

الموتى

الموتى فصار الحشر والنشر له معاينة بما اختص به من ذلك العلم عنده انتهى واما
بيان صورة الصور واحيا من في القبور فاعلم رحمك الله انه قد ورد في الحديث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف انعم وصاحب الصور قد التقم الصور واصغى سمعه
واحنى جبهته وشخص ببصره الى ذي العرش ينتظر متى يومر بالنفخ فينفخ فيه قالوا
يا رسول الله وما تامرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفي الحديث مرفوعا
ايضا الصور قرن ينفخ فيه وفي حديث اخر ذو ثقب بعدد كل انسان ثقبة
فيها روحه وينفخ اسرافيل في الصور مرتين الاولى نفخة الصعق والثانية نفخة
الاحيا تسمى احداهما الراجفة والاخرى الرادفة وبينهما اربعون عاما على الاصح وقيل
اربعون يوما وقد يسمى الصور ايضا الناقور قال تعالى فاذا نقر في الناقور وفي
الحديث انه يقول فيه ايها الاعضا المتقسمة والعظام البالية والاجسام المتفرقة
والجلود المتمزقة والاوصال المقطعة والشعور المتطايرة قوموا الى العرض على
الله فتخرج حينئذ ارواحهم من ثقب الصور ولها دوي كدوي النحل ورب العزة
يقول وعزتي وجلالي لاعيدنكم كما خلقتكم اول مرة قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله
فهذه الاحاديث وما شاكلها دلت بمجموعها على ان الصور شي على هيئة القرن وله
ندا ويراد قد جا في الخبر دايرة راس الصور كعرض السموات والارض واسرافيل
تحت العرش والصور في فمه نافذ بجميع طباق السموات الى تخوم الارضين وفيه
ثقوب بعدد ارواح الخلق في كل ثقب روح محتبسه فاذا نفخ في الصور النفخة
الاولى صعق كل من في السموات ومن في الارض من كل ذي روح لشدة الفزع الا من
شا الله قيل هم جبريل وميكاييل واسرافيل وعزرايل وقيل الحور العين وقيل
موسى عليه السلام لانه صعق في الدنيا مرة فجوزي ثم بين النفختين يامر الله تعالى
عزرايل بقبض روح جبرايل وميكاييل واسرافيل ثم يقول له الله مت فيموت
حينئذ يعم الهمود والخمود اربعين سنة فلا يبقى في الكون حي الا الحي الذي
لا يموت ثم يحيي الله اسرافيل فينفخ النفخة الثانية كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون فاشعرت هذه الايات وهذه الاحاديث بان الصور
هيئة حبس الله تعالى فيها ارواح الموتى وهو البرزخ الاكبر راسه الى عليين

واسفله الي سجين ومما ورد في الاحاديث من موضع الارواح مثل قوله صلى الله
عليه وسلم ان ارواح الانبيا في جنات عدن تصعد مرة وتحدر اخرى وتكون
في اللحد مونسة لاجسادهم ساجدة لله تعالى وارواح الشهدا في حواصل طيور خضر
في قناديل معلقة تحت العرش وارواح اطفال المسلمين في حواصل عصافير الجنة
عند جبال المسك وارواح ولدان المشركين في الجنان وليس لها ماوي يخدمون اهل
الجنة وارواح المسلمين الذين عليهم تبعات معلقة في الهوا لا تصل الى الجنة ولا الى
السما حتى ترضي الخصما وارواح الفسقة المصرين تعذب في القبر مع الجسد وارواح
المنافقين في بير برهوت وارواح الكفار في سجين تعرض على النار غدوا وعشيا
قال العلما وشعب الصور تلاقي هذه الارواح كلها في اماكنها من العرش الى السموات
الى الارض لعظمها فالارواح في الصور في هذه المواضع التي ورد الحديث بها وهي
في المعنى محبوسة في الصور فانه يضبطها الى يوم القيمة وهذا من علوم الاوليا وهم
يشاهدون ذلك عيانا في عصرنا هذا ومثاله ان يقول فلان بالمشرق وفلان بالمغرب
وفلان في بغداد وفلان بمكة وفلان بالمدينة وفلان باصبهان وفلان بمصر الى
غير ذلك من البلدان وكلهم في ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس فعلى هذا المعنى لا تناقض
في الاحاديث وكل من تامل ذلك علم ان للاموات برزخين برزخ في القبور الى
يوم يبعثون وبرزخ في الصدور فبرزخ القبور يحتبس اجسادهم وبرزخ الصدور
يحتبس ارواحهم وهو قوله تعالى ومن وراىهم برزخ الى يوم يبعثون ولفظ البرزخ
معرض لاصله برز وهو المكان المرتفع وسمي به القبر لارتفاعه من الارض
وكذلك سمي به الصور لارتفاعه الى العرش قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله وانما
سمي الصور صورا لصوره اي ميله وانحنائه والصور في اللغة الميل وكذلك
القرن يكون مميلا فكان الصور بانحنائه تطوف بالعالم كله وقال ابو عبيد
الصور جمع صورة كالكور جمع كورة وهو معنى لطيف وذلك أن اسرافيل لما كان
موكلا بحفظ كل روح بصورتها فكان صورته ممكن الصور للارواح على ما هي عليها
في الدنيا كما ذكروا ان لها صورة الانسان قال الشيخ ومعنى النفخ هو ان الارواح
لطايف كالرياح انما تدخل في تجاويف الاجسام بالنفخ كما دخلتها الاولى قال الله

تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي نفخ جبريل روحه فيه باذني قال
الدهرية النفخ شي واحد فكيف يميت مرة ويحيي اخرى قلنا لهم ان النفخة الاولى
نفخة قهر فهي تقطع الاجساد وتصخ الاذان بقرعها وهي الطامة الكبرى والصاخة
العظمى والقارعة تمد الاجساد لمددها وتفرق الارواح لشدتها ٥ واما النفخة
الثانية فنفخة رحمة وعطف واصلاح فالاولى بها يميت الخلق وبالاخرى يحييهم
مثاله النفخة القوية فانها تطفي النار العظيمة والنفخة اللطيفة يحييها قال الشاعر ٥

٥ فيك صلاحي وفسادي معا ٥ كالنفخ مطفي النار والمذكي ٥

فاذا عرفت يا اخي صفة الصور والارواح المحتبسة فيه وعرفت ان ذوات الاجساد
المصفاة من الاوساخ والكدورات الارضية انما كان تصفيتها بما لطفها الله به من
قوارع الارض وحوادثها كما قيل ان الحوادث صيقل الاحرار وانها صارت اذ ذاك
ارض فضية وجنة نقية متهيئة لقبول ارواحها كالارض الطيبة المهياة لقبول
الزرع فيها وكانت كل ذرة منها ناظرة الى روحها الخاصة بها وكذلك روحها ناظرة
اليها سعيدة كانت او شقية وعرفتها ذلك فطرة والهام من الله تعالى كما قال تعالى
في مثل ذلك قد علم كل اناس مشربهم واذا تمت الاربعون من النفخة الاولى
ولم يبق في الدار ديار القى الله تعالى الروح الى اسرافيل اولا فيحييه كما مر وذلك
قوله تعالى يلقي الروح من امره على من يشا من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم
بارزون ثم يامره ان ينفخ نفخة ثانية وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا
هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهدا
وقوله يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى
ربهم ينسلون اي يخرجون من الارض متخلصين عما ليس من ذراتهم من غريب اجزا
الارض قال اهل اللغة والنسل العسل اذا ذاب وفارق الشمع قال الشيخ
ابو طاهر فيحتمل ان يكون انجذاب كل ذرة الى روحها وتمايزها من ساير اجزا
الارض كانجذاب كل ذرة من برادة الحديد ممتازة من ذرات ساير الاجساد
الى حجر المغناطيس الا ترى اليها كيف تلتصق به خلاصة من غيرها فكيف وهي في
علم الله تعالى كل روح مع جسده حاضران مجتمعان وان كانا في الصورة عندنا

يستفرقين قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ
وقال بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقال قل يحييها الذي انشاها اول
مرة قال الشيخ ابو طاهر وانما بسطنا الكلام في هذه المسالة لكثرة ما يعتري النفوس
التي غفلت عن ذكر الله حتى طال عليها الامد فقست قلوبها وجهلت امور معادها
حتى كانها حوسبت وفرغت نسال الله ان يحسن ظننا به سبحانه عند الممات انه كريم
جواد امين انتهت عبارة الشيخ ابو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول واما
عبارة الشيخ محيي الدين في الفتوحات فهي قريبة من عبارة الشيخ ابي طاهر
فانه قد ذكر في الباب الثالث وستين ما نصه اعلم ان الصور والناقور اللذين
قد ذكرهما الله تعالى في القران هما واحد وهو الحضرة البرزخية التي ننتقل اليها
بعد الموت ونشهد نفوسنا فيها قال والصور جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور
وينقر في الناقور وهو هو بعينه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور
ما هو فقال قرن من نور التقمه اسرافيل فاخبر ان شكله شكل القرن فوصفه
بالسعة والضيق فان القرن واسع ضيق فهو في غاية الوسع لا شيء في الاكوان
اوسع منه وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ويصور العدم
المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا وفيه يقول
النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه وقوله ان الله في قبلة احدكم فلا تجاه
لوجهه فامر العبد ان يتخيل ربه في قبلته مواجها له ليراقبه ويستحيي منه ويلزم
الادب معه في صلاته مع انه تعالى لا يتقيد من حيث ذاته الجهة ابدا ومن لم يتخيل
هذا التخيل في صلاته فقد اساء الادب فلولا علم الشارع صلى الله عليه وسلم ان
عند العبد حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال اعبد الله كانك تراه اي بعين
قال الشيخ ومعلوم ان الدليل العقلي يمنع من كان فانه تخيل بدليله التشبيه
واما البصر فما ادرك شيئا سوى الجدار فعلمنا ان الشارع ما اراد انحصار الحق
تعالى في جهة القبلة وانما العبد هو الذي يحصره لكونه ذو جهة ومعلوم ان الحق
تعالى لا تحويه الجهات فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة
والتصوير ولهذا كان الخيال اوسع الحضرات قال الشيخ ولا يخفى ان سعة القرن

اما

انما هي في الطرف الاعلى خلاف ما يتخيله اهل فانهم جعلوا الضيق ما فيه المركز واعلاه
الفلك الاعلى الذي لا فلك فوقه وان الصور يحوي صور العالم كلها فجعلوا الواسع
هو الاعلى كما هو في الحيوان وليس الامر كما زعموا بل لما كان الخيال كما ذكرنا يصور الحق
فما دونه من العالم حتى العدم كان اعلاه الضيق واسفله الواسع هكذا خلقه الله
وشهدناه من طريق كشفنا فاول ما خلق الله منه الضيق واخر ما خلق الله منه ما اتسع
وهي التي تلي راس الحيوان ولا شك ان حضرة التكوين والافعال اوسع الحضرات قال
ولهذا لا يكون للعارف اتساع في العلم الا بقدر ما يعلمه من العالم ثم انه اذا اراد ان
ينتقل الى العلم باحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة الى الضيق قليلا قليلا
وعلومه تنقص فاذا تم علمه ولم يبق له معلوم الا الحق تعالى وحده كان ذلك اضيق
ما في القرن فضيقه هو الاعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الاول الذي يظهر
منه في راس الحيوان اذا انتبه الله تعالى فلا يزال يصعد على صورته من الضيق
واسفله يتسع وهو على حاله لا يتغير فهو المخلوق الاول الازلي الحق تعالى اول ما خلق
العالم المعبر عنه بالعقل فما خلق الا واحدا ثم انشا الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم
وكذلك العدد منشاه من الواحد قال ولا يخفى ايضا ان الله تعالى اذا قبض الارواح
من هذه الاجسام اودعها صورا جسدية في مجموع هذا القرن النوري فجميع ما يدركه الانسان
بعد الموت في البرزخ من الامور انما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن وبنورها
يدرك مما هو ادراك حقيقي قال ومن الصور هناك ما هي مقيدة ومنها ما هي
مطلقة كارواح الانبيا كلهم وارواح الشهدا ومنها ما يكون له نظر الى عالم الدنيا
من هذه الدار ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال قال واما قوم فرعون
فانهم يعرضون على النار في تلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها فانهم محبوسون
في ذلك القرن وفي تلك الصورة ويوم القيمة يدخلون اشد العذاب وهو العذاب
المحسوس لا المتخيل الذي كان لهم في البرزخ بالعرض على النار فانه عذاب
محسوس في الخيال لا بالحس فافهم فانه محل غلط فيه من لا كشف عنده فان
الحس لا يغلط ابدا وانما يغلط الحاكم عليه كصاحب المرة الصفرا يدرك العسل
مرا فعلم ان كل من في البرزخ محبوس في طور اعماله مرهون بكسبه الى يوم يبعث

من تلك الصورة في النشاة الاخرة **وامّا بيان شبه المنكرين للبعث**
فقد قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله ان الفلاسفة انكروا البعث للاجساد وتعلقوا
لشبه ضلوا فيها واضلوا كثيرا من النّاس ومعظم شبههم سوالان الاول
قولهم انّ الانسان ليس انسانا بمادّته بل بصورته وانما تكون الافعال الانسانية
صادرة عنه لوجود صورته عن مادّته وعادت المادّة الى اصولها من العناصر
فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا خلقت في تلك المادّة بعينها صورة انسان
جديد حدث منها انسان اخر لا ذلك الانسان الاوّل فان الموجود في الثاني
من ذلك الاوّل وهو مادّته لا صورته فلا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا
لثواب ولا عقاب بمادّته بل بصورته وبانه انسان من تراب فيكون الانسان
المثاب والمعاقب ليس هو الانسان المحسن والمسيء بل انسان اخر مشارك في
مادّته وربما استشهد الفلاسفة على ذلك بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على
ان نبدّل امثالكم وقوله تعالى قادر على ان يخلق مثلهم قالوا ومثل الشي لا يكون
عين الشي هذا ما اورده ابن سينا في كتابه في المعاد وقد اجاب عن ذلك
الشيخ ابو طاهر رحمه الله بقوله اما قولهم ليس الانسان انسانا بمادّته بل بصورته
يريدون بالمادّة جوهريته المركبة من الاخلاط ويسمّونه الهيولى ويريدون
بالصورة معانيه المودعة فيه وهذه منهم دعوى لا برهان عليها بل الانسان عند
اهل البصائر هذا المجموع من الجسد والرّوح بما فيه من المعاني فاذا بطلت صورة
جسده بالموت وزالت عنه المعاني بقبض روحه لا يسمى انسانا فاذا جمعت اليه
هذه الاشيا بالاعادة ثانيا كان هو ذلك الانسان بعينه الا ترى ان الجسد الفارغ
من الرّوح من المعاني يسمى شبحا وجثة ولا يسمى انسانا وكذلك الرّوح المجرّد
لا يسمى انسانا وكذلك المعاني المختصّة به من العلم والقدرة والسمع والبصر لا يسمى
انسانا بمجموعها ولا بافرادها لا عقلا ولا عرفا فعلى هذا قولهم الانسان انسان
بصورته فقط كلام باطل بل الانسان بجسده وروحه ومعانيه المختصّة به
الا ترى انه يضاف بعضهم الى بعض في الخطاب فيقال له نفسك روحك
جسدك قلبك علمك قدرتك وكذلك يضاف اليه جميع اعضايه فيقال راسك

بدك

يدك رجلك الى اخرها فلولا ان الانسان مجموعها والا لم كان المخاطب بكاف
الخطاب من جميعها وقد اضيف الجميع اليه فعلى هذا الاصل يكون تبدل الصفات
بالموت والاعادة اليه غير مخرج له على ان يكون ذلك الانسان الاول بل هو هو
بعينه ان كان محمودا فمحمود وان كان مذموما فمذموم واستحق الثواب والعقاب
لانه هو الاوّل وامّا قولهم انّ مثل الشي لا يكون حقيقة ذلك الشي تمسكا بقوله
تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم فمعناه على ان نبدّلكم والمثل
قد يزاد في الكلام تاكيدا لقوله تعالى ليس كمثله شي والعرب تقول مثل الامير
لا يقول هذا وقد صرّح بذلك ابو الطيب في شعره هذه الابيات

مثلك يثني الحزن عن صوبه ، ويسترد العرب عن وضعه ،
ولم اقل مثلك اعني به ، سواك يا فردا بلا مشبه ،

وهذا المعنى شايع في العربيّة لا يخفى على من شم رايحتها والله اعلم **السوال الثاني**
وهو الصيام الافضل فيه كثير من الناس وهو الذي نقلناه اوايل
المبحث عن الجلال المحلي وعن الكمال في حاشيته على سبيل الاختصار وبسط
ذلك هو انهم قالوا المعاد من الانسان ما هو وان قلتم اجزاوه الحاضرة
عند الموت فيجب ان يبعث المجذوع والمقطوع على صورته تلك وهذا لم
يرد به شرع وان اعيد اليه جميع اجزايه التي كانت له مدّة عمره ثم زالت
وتبدلت وجب ان يكون جزء واحد بعينه يدا وقلبا وراسا وكبدا لان
الاجزا العضوية المركبة من الدم وساير الاخلاط سايرة تنتقل من عضو
الى عضو عند الاغتذا وكذلك اذا اكل الانسان انسانا صارا بالاغتذا
واحدا فكيف يتعلق بانسان واحد روحان وكذلك اذا قطعت يد كافر
فاسلم فكيف تكون يده في النار وهو في الجنّة اقطع وعلى عكسه لو قطعت
يد مسلم فكفر وايضا فان الغالب على ظاهر الارض اجزا جثث الموتى المنتشرة
وقد زرع فيها زرع كمون وغرس فيها اشجار وكروم واغتذى بها الناس
وانعقد في ابدانهم ذلك لحما ودما فكيف تكون مادّة واحدة واصل
واحد حاملة لاناسي كثيرة هذه شبههم المتضمنة هذا السوال المشهور.

الى ابن سينا ۞ وقد حكى الغزالي هذا السؤال وكانه قد سلم المسئلة وصرح
في فتاويه وغيرها بانه لا يجب ان يكون المعاد بعينه هو الجسد الاول
اي جسد كان جاز واهمل هذا السؤال جماعات كثيرة والجواب كما قاله
الشيخ ابو طاهر رحمه الله وقال انه يعتقد السلف والخلف ان المعاد هو هذا
الجسم بعينه وبيانه ان نعلم يا اخي ان الذرة التي قبضها عزرائيل عليه السلام
من الارض اولا في كل انسان باقية لا تتبدل البتة وهي الجزء الفاهم منه
الذي اخذ عليه الميثاق ويتوجه عليه في القبر سؤال الملكين ويتولى جوابهما
برد الروح اليه والحبالة وساير اجزائه ستبت صمت وهو الذي يتعلق
به الروح عند النفخ في الصور على ما دلت عليه الاخبار ثم تنضم اليه سائر
الاجزاء بقدرة الله تعالى حتى يقوم الشخص تاما كما كان في الدنيا هذا شيء
لا يخالفه عقل ولا شرع ۞ واما قولهم المعاد من الانسان ما هو هل هو اجزاؤه
عند الموت ام الاجزاء التي فارقته فالجواب المعاد انما يكون الكل باجزاء
جميع حالاته في ايام حياته كما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس حفاة عراة غرلا والاغرل الاقلف الذي لم يختتن ثم انه يزاد في
اجساد اهل النعيم لتتوفر عليهم اللذات ويزاد في اجساد اهل الجحيم تغليظا
للعقوبات ۞ وفي الحديث اهل الجنة جرد مرد مكحولون ابناء ثلاثين او ثلاث وثلاثين
على خلق ادم عليه السلام طولهم سبعون ذراعا في عرض سبعة اذرع ۞ وقد
جا في صفة اهل النار ان سن احدهم مثل جبل احد وهذا كله جائز في العقل
وورد به الشرع فالجواب وقد قولهم ان كانت اجزاؤه حاصرة عند الموت
هي المعادة يجب ان يبعث المجذوع والمقطوع يده على صورتهم وهذا لم يرد
به الشرع فالجواب انا قد ذكرنا في الجواب قبل ان المعاد على الكل حالة كان عليها
في عمره اجزاؤه لقوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة فكل جزء انشا
الله تعالى اول مرة فيه ايام عمره يعيده اليه بخلاف المبدلات بعد الانهزال
والانحلال فانها بالاضافة الى ما تحللت وفنيت كانت منشاة ثانية مرة فلو
اعيدت هي ايضا في الاخرة لقال تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وثاني مرة

وعلى هذا صح ان المعاد في الاخرة هي المنشاة في الدنيا اول مرة وهي الكل الاجزا المبدعة
الذي خص بها كل شخص هذا الذي دل عليه مضمون الاية واما قولهم ان اعيد اليه
جميع اجزائه التي كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب ان يكون جزء ذلك
بعينه يدا وراسا وكبدا وذلك لان الاجزا العضوية المركبة من الاخلاط سيالة
تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذا فالجواب قد ذكرنا فيما تقدم ما هو المعاد
وما ذكروه من سيلان الاخلاط من عضو الى عضو عند الاغتذا لا يلزم ان يصير القلب
كبدا ولا الراس يدا لان الذرة التي هي الاصل واخذ الميثاق عليها كانت كهيئة الانسان
مقدرة فيها بجميع اشكال اعضائها في علم الله وانما سماها ذرة تشبيها بالذرة التي هي النملة
الصغيرة وهي مع صغرها لها اعضا مخصوصة محسوسة فلا يستحيل ان يكون لتلك الذرة
اعضا مقدرة ثم اذا خلقها الله تعالى انسانا تبسط تلك الاعضا على قدر الجثة وتنضم
اليه الاجزا السائلة من الاخلاط فتتشكل على هيئة الشكل المقدر في الذرة الاولى
فعلى هذا المنتقل من عضو الى عضو هو تلك الاجزا السائلة الغذائية دون اجزا الذرة
الاولى التي شكل الانسان فيها مقدر في علم الله تعالى بجميع اعضائه بعينها قائمة
منبسطة في جميع البدن اذ هو حافظ لشكلها وصورها ولا تبلى قط لقوله تعالى هو
وتقلبك في الساجدين والاجزا الغذائية تارة تنضم اليها وتارة تفارقها فعلى
هذا المعنى للراس راس واليد يد والقلب قلب والكبد كبد باعتبار اجزائها الاصلية
التي هي الدم وغيره يجري من عضو الى عضو وتستحيل وتلك الاصلية باقية على حالها
ومما يقرب من مثلها المحسوس صورة الثعبان المخيط من الحرير يدخل الريح في جوفها
وينتقل من عضو الى عضو فتنفخ الدابة على هيئة الثعبان ثم يخرج منها وهي تبقى على ما كان
وقريب منها ايضا الاسفنجة وهي شي كالغيم هش متخلخل خفيف اذا طرح في الماء تشرب
الما بتجاويفه فيربو ويعظم ويتثاقل ثم اذا جف عاد الى الاصل فعلم من هذين المثالين
ان اجزا الذرة في كل شخص باقية على هيئتها بالنص الوارد الذي هو قوله وتقلبك
في الساجدين والاجزا الملتحقة بها تستحيل وتزيد وتنقص والاصل في الخلق هو العجب
وهو اصل الذنب وسمي به للتعجب في بقائه عند بلى ساير الجسد عند الاحيا في
الحشر واما قولهم اذا اكل الانسان انسانا فصار بالاغتذا واحدا فكيف يتعلق روحا

جسد واحد فالجواب ان الذرتان الاصلية للآكل والماكول باقيتان كما كانتا عليه اجرا
الله العادة كما اخبر في قوله وتقلبك في الساجدين فعلى هذا الروحان يتعلقان بذرتي
الآكل والماكول ثم ساير الاجزا تلتحق بها انما كانت فالحقا وان استحالت في راي العين
وتفرقت فهي في علم الله تعالى موجودة حاضرة سوا امتزجت بالارض ام بالهوا كما قال
تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم الاية والقدر الذي نقص منهم يرده اليهم كما ردده في
الدنيا عند الهزال ومحل الحياة فيها فيصير الشخصان متكاملين كما كانا في دار الدنيا
واما قولهم اذا قطعت يد كافر فاسلم هل تكون يده في النار وهو في الجنة اقطع وكذلك
القول في عكسه فالجواب اما اليد المقطوعة فحكمها تابع للجملة في الايمان والكفر
اعتبارا بالذرات فانهن كالبعاض الآباء حكما قال تعالى والذين امنوا واتبعناهم بايمان
ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني هذا يد
الكافر ما دامت متصلة به حكمها الكفر فان قطعت وامن الكافر صار حكمها حكم كانت
حكم الايمان اتباعا للجملة وكذا الثواب والعقاب عليها يفعل تبعا لايمان الجملة وكفرها
وهذا ظاهر لا استحالة فيه واما قولهم غدا الانسان مستحيل من تراب اجساد الموتى
القديمة اذا صارت اجسادهم الرميمة ترابا والتراب زرعا والزرع غذا فالجواب
ان ذلك غير مسلم وان سلم فلا نسلم استحالة الذرة الاصلية التي هي عليها مدار البدن
كله لما بيناه من قبل فان ساير الاجزا تابع لتلك الذرة وهي في علم الله تعالى مجتمعة
وان تفرقت في راي العين وتاتيه وان استحالة والدليل على ان المعاد من الانسان
هي الاجزا التي كانت في الدنيا بعينها قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون فلو كان غيرها كما ذكروا لكانت شهادتهم زورا فان قيل
يد الكافر اذا قطعت وامن هو لو ردت لكانت تشهد عليه بالكفر وهو مؤمن فالجواب
ان شهادة الاعضاء يوم القيامة بالمعاصي والطاعات لا بالكفر والايمان لقوله تعالى
في الاية بما كانوا يكسبون اذ الايمان يتعلق بالقلب لا بالاعضا الظاهرة فلم يقل
بما كانوا يعتقدون وهذا جواب الشيخ ابي طاهر القزويني رحمه الله وتقدم كلام الشيخ
محيي الدين في اوايل المبحث قال الشيخ ابو طاهر والعجب كل العجب من انكار الفلاسفة
الحشر والنشر وهل الحشر الا اعادة اجزايه في الاخرة ما كان الله تعالى يعيدها في الدنيا

حالا بعد حال السن الشيخ الكبير في الدنيا هو الذي كان كهلا وقبل الكهولة كان شابا
وقبل الشبيبة كان صبيا وقبله جنينا وهو في هذه الاطوار انسان واحد بعينه بلا
شك ولا اعتبار بتلك الاجزا المتبدلة هناك كما لا اعتبار بها هاهنا بل تكون الاجزا قليلة
او كثيرة تابعة للذرة التي خلق منها اولا وايضا فلا يبعد عن قدرة الله تعالى ان يرد جميع
الاجزا التي تعاقبت على تلك الذرة ايام عمره ولكنه سيلطفها ويلذذها فلا يكون الشخص
متجاوزا عن الحد والقدرة متسعة والامكان كاين ولكن الظاهر ما بيناه هذا غاية الكلام
على هذه المسالة فان قيل فما الحكمة في ان الله تعالى يقبض ارواح العباد ثم يردها اليهم
يوم المعاد وقد خلقهم لابد الاباد فهلا استدام حياتهم ابدا من غير موت فالجواب لو كان فعل
ذلك كان خارجا عن الحكمة وهو تعالى احكم الحاكمين ولكن اماتهم في دار الفنا ليبقيهم بقا الابد
في دار البقا من وجوه منها ان رقعة هذه الخطة الغبرا التي هي الربع المسكون من الارض بالنسبة
الى اجساد بني ادم جميعه صغيرة لاسيما القدر المعمور منها فكانت لا تسعهم ولا تفي زروعها
وثمارها باقواتهم التي هي سبب معاشهم وفي الحديث ان الله تعالى لما استخرج الذر من صلب
ادم املا وجه الارض منهم فقالت الملايكة الاهنا قد املات الارض منهم وهم ذرات فكيف
تسعهم اذا اتممت خلقهم فقال تعالى كلا اني جاعل موتا ومنها ان القبور برزخ
الاجساد والصور برزخ الارواح كما مر ولله تعالى في البرزخين نشاة حقية لاجسادهم
وارواحهم تصورها بهم قابلة للبقا الابدي ولا يعلم كيفية ذلك الا الله تعالى ثم قال ونشيكم
فيما لا تعلمون ومنها انه تعالى فرق بين الارواح والاجسام ليعرف الخلق بالقطيعة قدر
الوصال قال الشيخ ابو طاهر وسمعت بعض الصالحين بهمدان يقول نظرت من ربوة
الى بعض المقابر فرايتها مد البصر فخطر بقلبي ما هذه الاطلال والاحجار فهتف بي هاتف يقول

قشور البيض طار عنها فراخها ۝ وهل ترجع الاطيار يوما الى البيض

فسمعت على اثره قايلا يقول

بل يجعل الله القشور هوادجا ۝ من الدر بيضا لاكرامة للبيض
فترجع عنها الطايرات اوانسا ۝ من الصيد لا يبرحن من ارج الروض

قال وبالجملة فحصول علم البدء والاعادة ان تعلم ان الارض التي خلق منها ادم قد قدر
الله تعالى لكل ذرة منها من ذرات ذريته روحا مختصة بها وهو قوله تعالى خلقه

فقدر ثم السبيل يسّره قيل معناه فقدر له روحا ثم لما اخرجها من صلب آدم قرن كل ذرة
بروحها واخذ الميثاق عليها ثم ردّهم الى ظهره وردّ ارواحهم الى خزانة الغيب ثم اخرج تلك
الذرات كلها من ظهر آدم ممتزجة بامشاج النطفة الى رحم حوى ثم من اصلاب بنيها قرنا بعد
قرن الى الارحام ثم انه ينميها بالاغذية كما يشا وينقلها في اطوارها كما شرحناه فيما مرّ ثم يخرجها
من الارحام الى فضا الدنيا ثم بعد انقضا اجالهم يقبض ارواحهم ويردّهم الى بطون الارض
ثم انه يردّ اليهم في القبور ارواحهم عند سوال الملكين فكانت تلك الذرة الفاهمة من الجملة
تفهم الخطاب وتردّ الجواب وسائر الاجزا اموات ومن هنا غلطت المعتزلة فانكروا السوال
وربما يتحرك جميع الجسد ويتكلم تبعا لتلك الذرة الاصلية لقربها وذلك يكون للانبيا
وللاوليا كما جا في الاخبار ثم ان الانسان ما دام في البرزخ فبين هذه الارواح وتلك الذرات
المقبورة تواصل معنوي وتزاور الهاني وان صارت هي في الصورة رفاتا فالاخبار وردت
بان القبور روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار هكذا يكون الامر الى حين فاني ميعاد
الميعاد في النشأة الاخرى بعد الطامة الكبرى فينسفها بالزلازل والرجفات والرياح
المؤتفكات ويجمعها بالامطار الشبيهة بمني الرجال كما جا في الاخبار فتهيات حينئذ
لقبول ارواحها وكانت ارواحها تائقة اليها حنين الغريب الى وطنه فاذا نفخ في
الصور النفخة الاخرى طارت الارواح من مكانها الى اجسادها التي فارقتها بالنفخ
اسرع من طيران الحمامة الى الفرخ وهو قوله تعالى كما بدأكم تعودون قال وتسميتهم في
هذه المنازل ذرية آدم تدل على انهم كانوا جميعا من تلك الذرات والصحيح ان الذرية
فعلية من الذر كالسرية من السر وهو النكاح وهذا القدر كاف في مبحث البعث
والنشور والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث التاسع والثلثون

في بيان الحشر بعد البعث حق وكذلك تبديل الارض غير الارض والسموات فاما الحشر
فهو جمع الخلق للعرض على الله والحساب بين يديه وهو عام في سائر الخلق من خاص وعام
فيحشر جميع المتقين من رسل وانبيا واوليا ومومنين الى حضرة الاسم الرحمن قال تعالى يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا واما المجرمون فيحشرون على اختلاف طبقاتهم الى حضرة الاسم

الجبار

الجبار والمنتقم قال الشيخ محي الدين والحكمة في ذلك ان المتقي كان اسمه في دار الد
سما الجلال والهيبة والخوف وكذلك اتقى الله تعالى وخاف من عقابه فيحشر يوم القيمة الى
الاسم الذي يعطي الرحمة والانس واللطف والايمان مما كان يخاف منه ويتقي ولا يجمع الله
تعالى على عبد خوفين ، وقد سمع ابو يزيد البسطامي قاريا يقرا يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا فصاح صيحة طار الدم من انفه وقال يا عجبا كيف يحشر اليه من هو جليسه
قال الشيخ محي الدين في الباب الخمسين وثلاثماية وانما صاح ابو يزيد لانه كان جليسه
لا من حيث ما هي دالة على الذات ولم يكن مع الاسم من حيث ما تطلبه حقيقته من غير دلالة
على الذات فلذلك انكر ما لم يعطه مشهده فهو يشبه الانكار وليس بانكار كما قال الخليل عليه
السلام في طلب علم الكيفية في احيا الموتى فان الخليل لم يكن ينكر احيا الموتى وانما كان يعلم
ان للاحيا طرقا كثيرة وهو مجبول على طلب العلم فطلب بان يعرف باي طريق يحيي الله الموتى
فافهم فلو ان ابا يزيد كان يعلم ان المتقي لم يكن جليسا للاسم الرحمن في ايام التكليف
وانما كان جليس الاسم الجبار اصلا لما تعجب من ذلك فيحشر المتقي الى الرحمن ليزول
عنه الخوف الذي كان عليه في دار التكليف من مجالسة الاسم الجبار والمنتقم فان الرحمن
لا يخاف منه ولا يتقى انما هو محل الطمع والادلال والانس لكن الاوليا صادقون
رضي الله عنهم لا ينفذون ذوقهم في كل حال بخلاف العامة من اهل الله فانهم ربما يتكلمون
باحوالهم غيرهم انتهى فان قلت فلم يحشر الناس مرة من ابتدا امرهم الى انتهايه فالجواب
كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين ومايتين ان صور الحشر لا تنحصر ولكن نذكر منها
طرفا فاول حشر كان لهم في الدنيا فهو حشرهم في الصورة التي اخذ الله عليهم الميثاق
فيها ، الثاني حشرهم من تلك الصورة الى هذه الصورة الجسمية الدنيوية ، الثالث حشرهم
في الصورة التي تنتقل الروح اليها بعد الموت ، الرابع حشرهم في الصورة التي يسالون
فيها في قبورهم وهي الصورة التي انتقلوا اليها بعد الموت الى الجسد الموصوف بالموت
ولكنه يوخذ بابصار الخلايق واسماعهم الا من شا الله عن حياة الميت وما هو فيه عيانا
وسماعا ، الخامس حشرهم من الصورة التي يسالون فيها الى الصورة التي يمسكون فيها
في البرزخ فيكون احدهم فيها كالنايم الى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر
الى الصورة التي كان فارقها في دار الدنيا ان كان بقي عليه سوال لاجل جسده الموصوف

الموصوف بالتكليف فان لم يكن بقي عليه سوال حشر في الصورة التي يدخل بها الجنة
او النار فان الناس اذا دخلوا الجنة او النار حشروا في صور لا نهاية لها قال
واهل النار كلهم مسئولون بخلاف اهل الجنة فان منهم من لا يسال ثم اذا دخل اهل الجنة
الجنة الكبرى واستقروا فيها ثم دعوا الى الرؤية حشروا في صورة لا تصلح الا
للرؤية فاذا عادوا حشروا في صورة تصلح للجنة واعلم ان في كل صورة ينسى الانسان
الصورة التي كان عليها ويرجع امره الى حكم الصورة التي انتقل اليها وحشر فيها
ثم اذا دخل سوق الجنة وراى ما فيه من الصور فاي صورة اعجبته دخل فيها
وذهب بها الى داره والصورة في السوق ما برحت ولا يزال اهل الجنة ينتقلون
من صورة الى صورة احسن مما قبلها واهل النار بالعكس ابد الابدين ودهر الداهرين
نسال الله الموت على الايمان امين فان قيل فما حكمة حشر الدواب والوحوش فالجواب
الحكمة في ذلك كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة ان الله تعالى
لما يحشر الوحوش انما هو لما صنعه تعالى عليهم وكذلك سائر الدواب ثم انها تكون ترابا
ما عدا الغزلان وما استعمل من الحيوان في سبيل الله فانهم يدخلون الجنة على صور تقتضيها
ذلك الموطن وكل حيوان تغذى به اهل الجهاد خاصة في الدنيا انتهى فان قلت
فكم اجتمع الناس في موطن فالجواب كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة
انهم يجتمعون في ثلاثة مواطن في اخذ الميثاق وفي البرزخ بين الدنيا والاخرة وفي
البعث بعد الموت وما ثم بعد هذه الثلاث مواطن جمع يعم ابدا انما يجمع بعضهم دون
بعض وبعد يوم القيامة تشتغل كل دار باهلها فلا يجمع بعد ذلك عالم الانس والجن
ابدا ومن هنا قال تعالى مالك يوم الدين اي لان الاولين والاخرين يجتمعون في ذلك
اليوم لا يتخلف منهم احد في الارض ولا في الاصلاب فيكون ملكه تعالى ذلك اليوم اعظم
واظهر من غيره من الايام التي يحصل فيها بعض دون بعض فهذا سبب تخصيص يوم الدين
والا فهو سبحانه وتعالى لم يزل مالك الملك فافهم والله اعلم واما بيان ان الله تعالى
يبدل الارض غير الارض والسموات فقد جاءت به النصوص الالهية القاطعة
قال الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة واذا وقع التبديل في السموات
والارض يوم القيمة فهو في الصور لا في الاعيان وان كانت الاعيان ايضا صورا

قال ويكون الحشر والنشر والحساب والعرض الذي يقع عليه التجلي للفصل والقضا
في جوف الفلك المكوكب ثم تستحيل جميع ما في جوفه الى الاخرة لكن في صور غير هذه
الصور قال وقد خلق الله تعالى الفلك المكوكب في جوف الفلك الاطلس وكذلك الجنات
بما فيها مخلوقة بينهما فالفلك المكوكب ارضها والاطلس سماؤها وبينهما اي الفلكين فضاء
واسع لا يعلمه الا الله فهم فيه لخلقه في فلاة قال ومقعر هذا الفلك هو الدار الدنيا
فانه من هناك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما يراه الى الارض فينتقل من ينتقل من الدنيا
الى الجنة من انسان وغير انسان ويبقى ما يبقى فيهما من انسان وغير انسان من بقي بعد
ذلك فهو من اهل النار الذين هم اهلها قال الشيخ واعلم انه ما دام الانسان الكامل موجود
في الارض فالسما على حالها فاذا زال الانسان الكامل الى البرزخ هوت السما الى عمدها
التي يمسكها الله تعالى به حتى لا تقع على الارض وهو قوله تعالى وانشقت السما فهي يومئذ
واهية اي ساقطة الى الارض والسما جسم شفاف صلب فاذا هوت السما حل جسمها
في النار فصارت دخانا احمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت اول مرة وزال
ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور الا ان سباحتها لا تزول في التاويل ثم
فتكون على غير النظام التي كانت عليه في الدنيا حال سيرها واطال في ذلك وان قلت
فما المراد بقوله تعالى واذا الارض مدت ما صورة مدها فالجواب كما قاله الشيخ في
الباب السابع والسبعين وثلاثمائة ان المراد بمدها انما هو امتداد الجبال ويصيرها
ارضا فانها في يوم القيمة تصير الجبال كلها دكا من تجلي الحق تعالى اذ كانت كالعهن
المنفوش مما كان عليها منها في الجو اذا انبسط زاد في وسع الارض ولهذا جا في الخبر
ان الله تعالى يمد الارض يوم القيمة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان
الانسان اذا مد الاديم طال من غير ان يزاد فيه بشي لم يكن في عينه وانما كان
فيه تقبض ونتو فلما مد انبسط في قبضه وفرش ذلك النتو التي كان فيه
فزاد في سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فذا دعها ما كان من طول
من سطح الى القاع منها كما يكون في الجلد نتو فلذلك لا يرى في الارض عوجا ولا
امتا فياخذ البصر من المبصر جميع من في الموقف بلا حجاب لعدم الارتفاع والانخفاض
فيرى كل من الخلق بعضهم بعضا فيشهد ون حكم الله بالفصل والقضاء بين عباده

والطال في ذلك فان قلت فكم حد يوم القيامة فالجواب مدته من خروج الناس
من قبورهم الى ان ينزلوا منازلهم من الجنة او النار ذكره الشيخ في الباب العشرين
وثلثمائة وقال في الباب الثامن والاربعين وثلاثمائة اعلم ان يوم هذه الامة
متصل بيوم القيامة ليس فيه بين اليومين الا ليل البرزخ خاصة فمتى فجر هذه
الليلة يكون بعث البعث وفي طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق جل وعلا كما يليق
بجلاله للفصل والقضا وفي قدر ركعتي الاشراق ينقضي الحكم فتعمر الداران باهلهما
وذلك يكون يوم السبت فيكون نهار ابديا لاهل الجنة ويكون ليله ابديا لاهل النار
والطال في ذلك ثم قال ثم قال واعلم ان النيل والفراة يخرجان من اصل سدرة المنتهى
فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان منها الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر والفراة من ارض
الروم وهما في غاية الحلاوة وانما اثر فيهما مزاج الارض فتغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة فاذا
كانت القيمة عادا الى الجنة وكذلك يعود سيحون وجيحون والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الثامن والستون

في بيان الحوض والصراط والميزان حق قال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف
وانما ذكر اهل الكلام ان الحوض والصراط والميزان حق بيانا لاعتقاد اهل الزيغ
وهو مشهور على اكثر المعتزلة فانهم قالوا ان العبور على الصراط مع كونه ارق من
الشعر واحد من السيف ممتنع عادة وقال لهم اهل السنة لا امتناع فان الذي
اقدر الطير على السير في الهوي قادر على ان يمشي الانسان على الصراط قال
وقد اجرى اهل السنة الحديث على ظاهره واوله بعضهم بان كونه ارق من الشعر
انما هو ضرب مثل للامر الخفي الغامض والمعنى ان يسر الجواز وعسره على قدر الطاعات
والنهوض لها والمعاصي وكثرة الوقوع فيها وقلته ودقة كل واحد من القسمين لا يعلم
حده الا الله قال واول ايضا بعضهم كونه احد من السيف لسرعة الملائكة انفاذا
امر الله باجازة الناس عليه قال وانما قلنا هذا التاويل ليوافق الحديث الاخر في
قيام الناس والملائكة على جنبتي الصراط وكون الكلاليب والحسك فيه واعطا المار عليه
قدر موضع قدميه ونحو ذلك انتهى ها ولنبسط الكلام على ذلك بعض البسط فنقول

اعلم

اعلم ان الحوض والصراط ثابتان بالنصوص قال ويتشكلان بشاكلة الاعمال والعلوم
الشريعة علم وعمل فالحوض علومها والصراط اعمالها فعلى مقدار الشرب من علم
الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة في الافعال والاقوال
والعقايد يكون المشي على الصراط هناك فمن زاغ عن الشريعة هنا زلت به قدمه
هناك ونقص شربه من الحوض فالمشي حقيقة على الصراط انما هو هنا لا هناك فان الصراط
المنصوب للشروع هنا معنى هو الذي ينصب هناك حسا وما ثم طريق الا الجنة الا
عليه قال تعالى وان منكم الا واردها قال الشيخ محيي الدين والحوض في قطعة من
الصراط وضرب له مثالا على الهامش وهذه صورته V قال واعلم ان نور كل انسان
على الصراط لا يتعدى نفسه غيره ولا يمشي احد في نور احد ويتسع الصراط ويدق
بحسب انتشار النور وضيقه فعرض صراط كل انسان بقدر انتشار نوره ومن هنا
كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق اخرين وهو واحد في نفسه قال وانما قال
تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم دون شمائلهم لان المومن السعيد كلتا يديه
يمين فلا شمال له انتهى وقال في الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة اعلم ان الصراط الذي
تسلك عليه ويثبت الله تعالى اقدامك عليه حتى يوصلك الى الجنة هو صراط الهدى الذي
انشاته لنفسك في دار الدنيا من الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فهو في هذه
الدار حكم المعنى لا يشاهد له صورة حسية فيمد لك يوم القيمة جسرا محسوسا على ظهر
جهنم اوله في الموقف واخره في المرج الذي على باب الجنة فتعرف اول ما تشاهده انه
صنعتك وبناؤك بجوارحك وتعلم انه قد كان في الدنيا جسرا ممدودا على متن جهنم
طبيعتك في طولك وعرضك وعمقك ذو ثلاث شعب اذ كان جسمك ظل حقيقتك وهو
ظل غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذي يقودها الى لهب الجهالة ويضرم فيها
نارها انتهى وقال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة اعلم انه اذا وضع الصراط
يكون من الارض علوا على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى
المرج الذي هو خارج سور الجنة التي يدخلها الناس اولا وتسمى جنة النعيم والمادبة
تكون في المرج وهي درمكة بيضا نقية ياكل منها جميع اهل المادبة ويقوم
بعضهم فيقطف الثمار المدلاة من فروع اغصان الجنة على السور انتهى وقال

في الباب الرابع والستين اذا مر الخلائق الي الصراط ينتهون اليه وقد ضرب عليه
جسور علي متن جهنم ادق من الشعر واحد من السيف وقد غابت الجسور في جهنم
مقدار اربعين الف عام ولهيب جهنم بجانبها يلتهب وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف
وهي سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعليها جزيتها عقبة ثلاثة الاف عام
الف عام صعود والف عام استوا والف عام هبوط وذلك قول الله عز وجل ان
ربك لبالمرصاد يعني علي تلك الجسور وعليها قال والملائكة يرصدون الخلق
علي هذه الجسور فيسال العبد عن الايمان الكامل بالله فان جا به مؤمنا مخلصا لا شك
فيه ولا زيغ جاز الي الجسر الثاني فيسال عن كمال الصلاة فان جا بها تامة جاز الي
الجسر الثالث فيسال عن الزكاة فان جا بها تامة جاز الي الجسر الرابع فيسال عن الصيام
فان جا بها تاما جاز الي الجسر الخامس فيسال عن حجة الاسلام فان جا بها تامة جاز
الي الجسر السادس فيسال عن الطهر عن الحدث فان جا به تاما جاز الي الجسر السابع
فيسال عن المظالم فان كان لم يظلم احدا جاز الي الجنة وان كان قصر في واحدة من
هذه الخصال حبس علي كل جسر منها الف سنة حتي يقضي الله فيه بما يشا انتهي وقال
ايضا في الباب الرابع والستين ما نصه اعلم ان الكلاليب والخطاطيف والحسك التي
علي جنبتي الصراط انما هي صور اعمال بني آدم فتمسكهم اعمالهم تلك علي الصراط فلا ينهضون
الي الجنة ولا يقعون في النار حتي تتداركهم الشفاعة والعناية الربانية وانما هي
اعمالكم ترد عليكم انتهي وكان الشيخ ابو طاهر القزويني رحمه الله يقول الصراط صراطان
احدهما في الدنيا وهو الاسلام فهو معنوي ولكن ينقلب في الآخرة حسيا وهو المعني
بقوله تعالي اهدنا الصراط المستقيم وهو في الحقيقة جسر ممدود علي متن الكفر والشرك
والبدع والاهوا قال تعالي وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وفي الحديث
ان النبي صلي الله عليه وسلم قرا يوما والصافات فلما بلغ قوله فاهدوهم الي صراط الجحيم
وقفوهم انهم مسئولون بكي حتي تحادرت الدموع علي لحيته فقال بعض الوفد
انك تبكي خوفا ممن بعثك قال اي وربي انه بعثني علي طريق كحد السيف ان زغت
هلكت وهذا الصراط كالخط الطويل الممتد بين العبد وبين الله في عين الاستقامة
في الرتبة الوسطي بين التشبيه والتعطيل والجبر والقدر وبين السخا والبخل

وبين

وبين الشجاعة والجبن كالتواضع بين الكبر والخساسة وكالعفة بين الشهوة والخمود
ولهذه الخصايل واما الطرفان مذمومان والمحمود الوسط فالمواظبة علي هذا الوسط
هي المعبر عنها بالدقة والحدة واليه الاشارة بقوله تعالي فاستقم كما امرت واما
الصراط الثاني فهو الاخروي الحسي وهو في الحقيقة صورة الصراط الاول وهو طريق
المسلمين الي الجنة ثم لا يخفي ان من اعتاد المرور في الدنيا علي صراط الاسلام هان
عليه المرور علي صراط الآخرة ومن لم يتعود علي ذلك في الدنيا صعب عليه وزلت
قدمه وطال ندمه وهل هذا الصراط الا مثال محسوس لذلك الصراط المعنوي
وبالجملة فسرعة مرور الناس علي صراط الآخرة وبطؤهم يكون علي سرعة مبادرتهم
الي مرضات الله تعالي وبطئهم عنها قال وما جا من الكلاليب والخطاطيف فهو عبارة
عن علائق الدنيا المتعلقات بالقلب فكلما يجذب صاحبها الي الدنيا تجذبه الي
الهاوية كما ان شوك السعدان والحسك يكون بمقدار ذنوب كل انسان وخطاياه فكلما
كانت تؤذيه في دينه بالعكوف عليها فكذلك تؤذيه يوم القيمة بالمرور عليها واما
ما جا في الخبر من الرحض علي الصراط فانما هو اشارة الي تثاقل ظهور الناس بالمظالم والتبعات
واما الزالون والزالات فهم الناكبون في الدنيا علي الصراط المستقيم والدين القويم
نسال الله اللطف بنا اجمعين واما الميزان فاثبته جمهور اهل السنة وانكرته المعتزلة
قال الامام الغزالي والقرطبي ولا يكون الميزان لكل احد لحديث السبعين الف الذين يدخلون
الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان وان كان المعني من غير ان يكون حصولهم في حسابهم
قالوا والمراد بالميزان هو الميزان الكل الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلايق فيرفع
رفعة واحدة فترتفع موازين جميع الخلايق كلها رفعة واحدة وكل احد يشهد ميزانه
قد رفع واعماله موضوعة في كفته الي ان ينقضي حكم المحاسبات والموازنات
قال الشيخ محي الدين ويكون ميزان كل شخص بشاكلة ما كان الشخص عليه
في دار الدنيا فان الله تعالي قد خلق صورة الانسان علي صورة الميزان وجعل
كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لاي جانب مال قال تعالي واقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعني بالميل الي المعاصي والوقوع فيها قال وقد
قرن الله السعادة بالكفة اليمين والكفة اليسار فالاعتدال سبب البقا والانحراف سبب

الهلاك ثم لا يخفى ان موازين الاخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين اهل الدنيا
ولكنها ممثلة لا محسوسة عكس الدنيا فهي كتمثيل الاعمال سوا فانها في الدنيا اعراض
وفي الاخرة تكون اشخاصا قال صلى الله عليه وسلم في الموت انه ياتي به في صورة
كبش فما قال يوتى به كبشا فان الحقايق لا تتبدل ثم اذا وضعت الموازين لوزن
الاعمال جعلت فيها كتب الخلايق الحاوية لجميع الاعمال الظاهرة لا الباطنة اذ الاعمال
الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس ابدا لكن يقاوم فيها العدل وهو الميزان الحكمي
المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى كل شي بمثله انتهى وعبارة الشيخ تقي الدين
ابن ابي المنصور في عقيدته اعلم انه اذا وقعت الشفاعة العظمى له صلى الله عليه وسلم
وضع الرب سبحانه وتعالى كتابه المتضمن علم جميع مخلوقاته الجامع لتفاصيل كتب
جميع الخلايق فاذا وضع جملة كلية وضعت ساير الكتب التفصيلية وضعة واحدة
فيجد كل انسان كتابه في وجود دايرته قد وضع دفعة واحدة وكل احد لا يرى
وضع الكتاب والحساب الا له وكذلك الميزان الكلي الجامع لتفاصيل موازين جميع
الخلايق يرفع رفعة واحدة ثم ترفع ساير موازين جميع الخلايق كلها رفعة واحدة كل
واحد يشهد ميزانه قد رفع واعماله مودعة في كفته الى ان ينقضي حكم الموازنات
والمحاسبات فاذا نظرت الى الميزان الكلي قلت انه واحد وان نظرت الى تفاصيل
ذلك قلت انه كثير قالوا وكل ميزان له لسان وكفتين يعرف به مقادير الاعمال
بان توزن صحفها قال الشيخ محي الدين واخر ما يوضع في الميزان قول العبد الحمد لله
ولذلك ورد والحمد لله تملا الميزان فان قيل فلم لم تكن لا اله الا الله تملا الميزان
كذلك فالجواب انما لم تكن لا اله الا الله تملا الميزان كالحمد لله لان كل عمل من اعمال
الخير لا بد له من عمل آخر من ضده يقابله ليجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل
لا اله الا الله الا الشرك اذ هو ضده ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان بخلاف
التوحيد مع معاصي اهل الاسلام وايضاح ذلك ان العبد ان كان يقول لا اله الا
الله معتقدا لها فما اشرك وان اشرك فلم يعتقد لا اله الا الله فلم يصح الجمع بينهما ولم
تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يقابلها ويعادلها في الكفة الاخرى قال
الشيخ محي الدين واما صاحب السجلات التسعة وتسعين فانما دخلت لا اله الا الله

ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط وانما
عمل معها سيات فوضع لا اله الا الله في مقابلة التسعة وتسعين سجلا من السيات
فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله تعالى شي انتهى
وقال الشيخ في الباب الثاني والعشرين واربعماية من الفتوحات في معنى قوله
تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم في جهنم خالدون اعلم ان ميزان يوم القيمة يظهر بصورة نشاة
الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون وينشرون في الاجسام الطبيعية فمن ثقلت
موازينه فهو السعيد وذلك لان الحسنة بعشر امثالها الى ماية الف فما فوق ذلك
وقد فعل هذا السعيد حسنا في ظاهره واراد حسنا في باطنه واما الذي خفت
موازينه فهو الشقي وذلك لانه فعل سيات والسية بواحدة فخفت موازينه
بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد ولم يعتبر الحق تعالى في الوزن الا كفة الخير دون
كفة الشر فهي الثقيلة في حق السعيد الخفيفة في حق الشقي مع كون السية غير
مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فعلم ان الكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها
الخفيفة للشقي لقلة ما فيها من الخير او عدمه بالكلية مثل صاحب السجلات
او الذي يخرجه الله من النار والله اعلم وما عمل خيرا قط سوى التوحيد من اهل الفترات
فان هذا ليس له في كفة اليمين شي وانما عنده التوحيد لله فقط الحاصل من العلم
الضروري الذي ليس له فيه تعمل قال الشيخ ولو ان الله تعالى اعتبر في الثقل
والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا في ذلك فان احدى
الكفتين اذا خفت ثقلت الاخرى كما اشار اليه حديث يوتى بالرجل السمين العظيم
فلا يزن عند الله جناح بعوضة فذلك وزن اخر غير هذا فمن ثقل ميزانه نزل
عمله الى اسفل وذلك لان الاعمال في دار الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها
النار ولذلك كره الشارع العمل الشاق لامته وقال اكلفوا من العمل ما تطيقوا
فلهذا كانت كفة هذا الذي ذكرناه تنزل تطلب النار وترتفع الكفة التي هو فيها
لخفتها فيدخل الجنة لان الجنة لها العلو كما ان الشقي يثقل كفة الميزان التي هو فيها
ويخف كفة عمله فيهوى في النار وهو قوله تعالى فامه هاوية فعلم ان كفة ميزان العمل

هي المعتبرة في هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل في السعيد لرفعة صاحبها وهي
الموصوفة بالخفة في حق الشقي لثقل صاحبها وهو قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
وليست الا ما يعطيهم اوزارهم من الثقل الذي يهوون به في نار جهنم وحاصل ذلك
ان وزن الاعمال ببعضها يعتبر فيه كفة الحسنات وان وزن الاعمال بعاملها يعتبر
فيه كفة العمل انتهى وقال في الباب الحادي وثلاثمائة في قوله تعالى والسماء رفعها
ووضع الميزان انما وضع تعالى الميزان لوزن الثقلين وقوله ان لا تطغوا في الميزان
اي بالافراط والتفريط من اجل الخسران واقيموا الوزن بالقسط اي مثل اعتدال نشأة
الانسان اذ الانسان لسان الميزان ولا تخسروا الميزان اي لا تفرطوا بترجيح احدى الكفتين
الا بالفضل ثم لا يخفى ان الميزان الذي يوزن به الاعمال على شكل القبان فلذلك لم يعين
الكفتين بل قال فاما من ثقلت موازينه في حق السعدا واما من خفت موازينه في حق الاشقيا
ولو كان المراد به ميزان الكفتين لقال واما من ثقلت كفة حسناته فهو كذا واما من
خفت كفة سياته فهو كذا فعلم انه لولا ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة وانه
كالقبان لكان ذا كفتين ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيات بالثقل ايضا اذا
رجحت على الحسنات فلما لم يصفها الا بالخفة فقط عرفنا ان هذا الميزان على شكل القبان
انتهى وقال في الباب التاسع والتسعين من الفتوحات مما يقرب لعقلك كون
الحق تعالى ياتي يوم القيامة باعمال بني آدم صورا قائمة مع كونها اعراضا كون الحق
تعالى قادرا على ايجاد المحال فيرى العبد ربه عز وجل في المنام في صورة مع ان ذلك
محال في جهة الحق تعالى فقد جعل الخيال ما لا تعلم له صورة صورة ورد المحال ممكنا
فاذا كان الخيال رتبته هذا مع انه مخلوق فكيف بالخالق فقد بان لك صحة وضع الاعمال
في الميزان مع كونها اعراضا وذلك لاقامة القسط وكذلك مما يقرب لعقلك وزن الاعمال
تطور الموت مع كونه نسبة في صورة كبش املح اي في غاية الوضوح اذ الاملح الابيض
وذلك ليعرفه جميع الناس فهذا محال مقدور فاين حكم العقل وفساد تاويله واطال
في ذلك وعبارة الشيخ ابو طاهر القزويني في الباب الثلاثين في كتابه سراج العقول
اعلم انه لما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزا وكان الله تعالى هو الملك العدل الذي
لا يظلم الناس شيا ولا يضيع اجر المحسنين بل يجازي كل امرئ بما كسب نصب تعالى

ميزانا عدلا يزن به تعالى حسنات عبيده وسيئاتهم اظهارا لعدله قال تعالى ونضع
الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها
اي وان كان دون حبة خردل ومن دخلت للتبيين كقوله تعالى ما لكم من اله غيره
وقيل انها للتبعيض ومعناه وان كان وزن حبة من خردل كانه قسم الخردلة ثمانية واربعين
جزءا مثلا هي حباتها كما ان الدرهم ثمانية واربعون حبة والمعنى وان كان وزن جزء من ثمانية
واربعين جزءا من خردلة واحدة وفي الحديث مرفوعا حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا
الاعمال قبل ان توزنوا يعني ان توزن اعمالكم كقوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم
اي كالوا لهم ووزنوا لهم ومعنى وزنوا الاعمال اي تعرفوا مقاديرها بالمقايسة الى
اوقاتكم وعن ابن عباس قال توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان
كل كفة كطباق الدنيا كفة من نور وكفة من ظلمة قال حذيفة رضي الله عنه وصاحب
الميزان يومئذ هو جبريل عليه السلام فاما المؤمن فيؤتى بعمله في احسن صورة فيوضع في
كفة الميزان وهو الحق فتثقل كفة الحسنات على سيئاته فينتقل الى الجنة فيعرف بذلك
وهو المفلح في قوله تعالى فاولئك هم المفلحون واما الكافر فيؤتى بعمله في اقبح صورة
فيوضع في ميزانه وهو الباطل فيخف وزنه فيقع في النار فيقال له الحق بعملك وفي
الحديث مرفوعا ان لله تعالى ملكا موكلا بالميزان فيجاء بابن آدم حتى يوقف بين كفتي
الميزان فيوزن عمله فان ثقل الميزان نادى الملك برفع صوته الا ان فلانا سعد
سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خفت نادى الا ان فلانا شقي شقاوة لا سعادة بعدها
ابدا في ثلاث مواطن تشغل المرء عن والده وولده عند الصراط حتى ينظر ينجو او يزل
وعند تطاير الكتب في الايمان والشمائل وعند الميزان حتى ينظر ايثقل ام يخف فهذه
وامثالها من الآيات والاخبار تدل على صحة الوزن بالميزان وانما يتخلج في صدور المنكرين
كيفية وزن الاعمال لكونها اعراضا عرضت وفنيت والثقل والخفة معنيان ايضا ولا
يقوم المعنى بالمعنى والاعمال صفات اصحابها وقد خبط الناس في هذه المسالة عشوى
وخلاصة المسالة ان يعرف الانسان ان المقصود بوزن الاشيا انما هو ظهور مقاديرها
وقد جعل لذلك آلات مختلفة كالميزان والقبان لمعرفة اثقال الاحمال كالدولاب
لمعرفة مقادير حركات الشمس والكواكب فكذلك هاهنا المقصود بوزن الاعمال في القيمة

هو ظهور مقاديرها لتقابل بامثالها من الجزاء ثوابا كان او عقابا ونحن نرى في الدنيا
الات وضعت لعرفان مقادير المعاني في الاشيا كالعروض جعلت ميزانا تعرف بها
صحيح الشعر من منزحفه ومنكسره وكالنحو يعرف به فصيح الكلام من ملحونه وكالحجر الذي
يرفعه الاقويا من الاحداث ليعرفوا به مقادير قواهم التي خلقها الله تعالى في اعضايهم
وليست هي متقبلة لهم كذلك لا يبعد ان يجعل الله تعالى الميزان القسط ليوم القيمة آلة محسوسة
صالحة لوزن الاعمال التي يعرف بها مقادير الحسنات والسيات لاصحابها فيجازون عليها
بمقاديرها من غير عدوان كما قال تعالى ولا تظلمون فتيلا فقد علمت ان ذلك جايز في
العقل وورد به الشرع فوجب الايمان به ومن عجز عن تعقل ذلك ومعرفة كيفيته فليكل
علم ذلك الى الله عز وجل كنظايره والله تعالى اعلم خاتمة في بيان عجز العقول عن ادراك
كثير مما غاب عنها من امور الاخرة من حين تبدل الارض غير الارض والسموات الى استقرار
الخلق في الجنة والنار وما بعد ذلك مما قصه الله تعالى علينا الى ما لا نهاية له وليس يسع الخلق
الآن الا الايمان بذلك في علم الله اللهم الا ان يؤيد الله عز وجل بعض خواصه بنور الكشف
قال الشيخ ابو طاهر القزويني رحمه الله واعلم رحمك الله ان تصور العقل لاحوال القيمة
وما غاب عنه عسر جدا ولكن ينبغي للعاقل ان يعلم ان الله تعالى جعل آدم وذريته خلايف
في الارض وعمرها بهم قال تعالى وهو الذي جعلكم خلايف الارض وقال تعالى انشاكم من
الارض واستعمركم فيها ثم انه تعالى لما رسخهم فيها اتاهم من كل آية يدبرون بها
معايشهم وقد خلقهم الله تعالى في الدنيا للاخرة فاعطاهم العقل والنقل والنطق فضيلة
لهم فكان العقل والنطق التي يتوصلون بهما الى تدبير معايشهم تقيته لاسباب معادهم
حسب ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فكما ان العقول عاجزة عن معرفة الله عز
وجل حق المعرفة لكونه تعالى غني عنها فكذلك ما غاب عنها من احوال الاخرة وما
يتقدمها من كيفية سؤال الملكين في القبر وجوابهما وكيفية البعث والحشر والنشر
والصراط والميزان وقراءة الكتب وكيفية الحوض والشفاعة واوصاف الجنة والنار
وحقايقها ورؤية الله عز وجل في رؤية وجهه وسماع كلامه تعالى من غير صوت ولا
حرف وغير ذلك من تفاصيل لذات الثواب والآلام التي تستغرق فيها النفوس لاسيما
لذة النظر الى وجه الله الكريم والم الفزع الاكبر نعوذ بالله منه فان العقل عجزه لا يستقل

يدركه

يدركه اذ العقل انما هو آلة للعبد يدرك به تفاصيل الاوامر والنواهي في دار
التكليف ويعرف به مصالح المعاش ومفاسده وكان بعض العارفين يقول الالسنة
عن درك الحقايق وعن حقايق الذات المقدس والامور الاخروية محتبسة والعقول عن
درك معانيها مختلسة ولم يخبرنا الشارع صلى الله عليه وسلم عن الله وعن امور الاخرة الا
على طريق الاجمال والارسال بما يقرب معناه من الافهام وكان غاية النطق انه اخبرنا بها
عن الجملة ايجابا بالايمان بها وغاية العقل البحث عن تجويز ذلك او استحالته فاذا اخبرنا بها
الصادق مجملة واستجازها العقل مجملة مرسلة وجب الايمان بها صدقا والاعتقاد لها حقا
ثم انه يجب علينا كف الفكر عن البحث عن كيفياتها وردعه عن ان يستشرف للطمع في
درك حقايقها فان الفكر عن ذلك مصدود كما ان البصر عن سماع الصوت مردود اللهم الا
ان كان يكاشف بعض الاوليا من احوال الاخرة بشي في حال غيبته عن الخلق وشهوده امورا
لا يسع ظروف الحروف للحق فان في ذلك الوقت يكون مسلوب النطق مغلوب العقل
لانه حينيذ يشاهد امورا لا يسع ظروف الحروف ولا ينتهي اليها العقول كما قال به الشاعر
۞ وان قميصا خيط من نسج تسعة ۞ وعشرين حرفا عن معانيه قاصر ۞
وقال ابو طاهر ومن تامل هذا المعنى اندرج له كثير من الغوامض التي درج عليها
المتقدمون مكلفين عقولهم ما ليس من وسعها طمعا في ان ينالوا ما لا ينال فكانت عاقبتهم الحيرة
والضلال وان من هذا القبيل قراءة اهل العرصات الكتب المكتوبة بخط الملايكة الكرام ولا
شك انها بخلاف كتابة اهل الدنيا ولهذا يقال للكتابة لا تقرا كانها خط الملايكة ومن ذلك
ما خلق الله تعالى من ادراك لذات كثيرة من نعيم الجنة مطعومها ومشروبها ومشمومها وملبوسها
ومنكوحها على حالة لا توجد في الدنيا كما وردت به الاخبار في ثواب الاعمال وتلك الادراكات
بلذتها لا تضاهي شيا من الادراكات التي تدرك بها اللذات الدنيوية فانها وان كانت
تشاكلها في الحسية والتسمية فان لها اختصاصات عجيبة تكل العقول عن دركها وقول
ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة شي يشبه ما في الدنيا الا باسمايه اصل كبير في هذا الباب
قال الشيخ ابو طاهر فلعدم تلك الادراكات في الدنيا لا نجد في انفسنا لذة النظر الى وجه الله
الكريم ولا غير ذلك من اللذات الموعودة في الاخرة كما لا يجد الصبي في صباه لذة الجماع لانه لم
يخلق له ادراك ذلك قال والدليل على هذه الجملة قوله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل وعلا

اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم
عليه ثم قرا قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهذه خطة ضلت فيها
الفلاسفة وانكروا امور الاخرة واذ قد صح لك ان العقل لا يطلع على كنه حقايق الاشيا الغيبية
ولا يبلغ منتهى اسرارها علمت ان غايته انه يقيس ما لم ير على ما لم يراه بادنى شبه يكون
بينهما وقد جاءت الشرايع باشيا يعجز العقل عن معرفة عللها وكيفياتها ولكن لا يحكم العقل
باحالتها وجب علينا الايمان بها كالحشر والنشر في الاخرة وكالوجه والقدم في صفات الله
تعالى وكذلك القول في معرفة مقادير الشرايع والعبادات وقد درج السلف الصالح والتابعون
لهم على التصديق بما جرى ومنعوا اصحابهم عن البحث عن حقايقها وردوها الى علم سر القدر
المنهي عن الخوض فيه وقالوا اجروها كما جاءت بلا كيف ولم تجد التشبيه الى عقايدهم سبيلا
لقوتها وصلابتها وذلك لغضاضة الاسلام وقرب العهد من زمانه صلى الله عليه وسلم الذي هو
زمان الوحي ومشاهدة التنزيل ومهبط جبريل فلما اندرج القرن الاول ثم الذين يلونهم
والذين يلونهم وهم خير القرون نبغت الاهواء من كل صقع وباض الشيطان بكل قطر ونفث
في عقد القلوب وجال في الخواطر بخطراته مخلجات فتزلزلت بذلك العقايد واضطربت
الآرا وكثرت مقالات اهل الاهوا كالقرامطة والزنادقة والمعتزلة والرافضة خذلهم
الله تعالى اذ الفوا الكتب في الضلالات وبثوها في الامصار ودعوا اليها الاغبيا من الناس
فشاعت البدع وفشى البهتان وانحلت عقد العقايد ولذلك لبعد الخلق عن زمان النبوة
كما مر قال تعالى في حق قوم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولهذا قال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه طوبى لمن مات في نانات الاسلام يعني في اوله ثم لا يخفى عليك
يا اخي ان المعتقدين اليوم ان صحت عقايدهم وراجت نقودهم فكثيرا ما تختلج في ضمايرهم
خواطر الشكوك من كثرة ما يقرع مسامعهم من شبه اهل الاباطيل ولا يجدون احدا من
الايمة المحققين يبين لهم مصادر الامور ومواردها وربما يموت احدهم على وخز بين
ضلوعه من تجسيم وتعطيل وتشبيه واموره منكرة لا يجسر ان يسال احدا عنها
ولا يجد احدا يشفي لغليله بجوابه فلا يزال يخفي عقيدته عن نفسه فكيف عن غيره فهذا
الذي دعى المحققين من المتكلمين الى ايراد اسئلة كثيرة من مضايق المشكلات وتحقيق
ما احكموه من المعضلات وتكرير العبارات في جميع مباحث الكلام وهذه الخاتمة تحتاج اليها

من

من يطالع مثل هذا الكتاب فامعن يا اخي النظر فيما يسهل عليك فهم كثير من ايات الصفات
وتعقل اشيا كثيرة من محالات العقول والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث التاسع والستون

في بيان ان تطاير الصحف والعرض على الله تعالى يوم القيمة حق لورود النص به لكن
لا يخفى ان الناس متفاوتون في ذلك فاما تطاير الصحف فمنهم من ياخذ كتابه بيمينه
ومنهم من ياخذ كتابه من وراء ظهره فاما الذين ياخذون كتبهم بايمانهم فهم المؤمنون
على اختلاف طبقاتهم واما الذين يعطون كتابهم بشمالهم فهم المنافقون لا المشركون
كما قاله الشيخ محيي الدين قال لان المشرك لا كتاب له يقرا ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لانه كان يعلم ما انطوت عليه نفسه من الكفر
بخلاف ما كان يظهر للناس ولذلك عقب الله تعالى الذي ياخذ كتابه بشماله انه كان لا يؤمن
بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام في ظاهره ليحفظ
دمه واهله وماله وهو في باطنه اما مشرك او معطل او متكبر وكافر بخلاف الايمان
فانه من اعمال القلوب لا يطلع عليه احد الا الله تعالى واما الذين ياخذون كتبهم من
وراء ظهورهم فهم الذين اوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
فاذا كان يوم القيمة قيل لاحدهم خذ كتابك من وراء ظهرك اي من الموضع الذي نبذته
فيه في حياتك الدنيا بترك العمل به فهم كتابهم المنزل عليهم لا كتاب الاعمال كما توهمه
بعضهم فان هذا جزا نبذه وراء ظهره ظن ان لن يحور اي تيقن ان لن يرجع وهذا هو
الذي يقول الله تعالى له يوم القيمة حين يعاتبه ويقرره اظننت انك غير ملاقي الحديث
قال وليس اولئك الا الايمة المضلين الذين ضلوا واضلوا فافهم قال الشيخ محيي الدين
ثم لا يخفى ان هذه الكتب التي تكتبها الحفظة في الدنيا خاصة باعمال المكلفين واقوالهم
وليس فيها شي من عقايدهم الا ما شهدوا به على انفسهم فاذا من تلفظهم به فان الملايكة
لا تكتب من اقوالهم الا ما تلفظوا به انتهى وقال الامام الغزالي رحمه الله تعالى
في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اعلم ان الملكين يوكلان
بالشخص اذا قارب البلوغ قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد

وقال تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ثم اذا اتصف العبد بالعقل كان احد الملكين
يمده به والاخر بقوته ورتبة الهادي اعلى من رتبة المقوي وهما من الملائكة السفرة
الكرام البررة الذين هم اعوان الملك الاعظم الذي هو صاحب القلم عند اكثر المحققين
قال ثم ان الملكين يكتبان للحسنات والسيات كتابة لا تشبه كتابة اهل الدنيا لانهما
انما يكتبان في صحف مطهرة مطوية في سر القلب لا يطلع على ذلك احد من اهل الدنيا
الا الملكان وكتابتهما وصحفهما وجميع ما يتعلق بهما من عالم الملكوت وذلك لا تدركه
ابصارنا في عالم الشاهد ثم ان تلك الصحف المطوية تنشر مرتين مرة عند الفزع لقوله
فكشفنا عنك غطاك ومرة في القيمة على روس الاشهاد قال تعالى ونخرج له
يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وذلك عند وضع الميزان القسط فيرى الكتب هناك
طايرة من الهوا وهو قوله طايره في عنقه على احد التفاسير ثم اذا قرا كل احد كتابه
يجد حروف كتابه نيرة او مظلمة بحسب اعماله الصالحات او القبيحة فصاحب الحسنات يجد
كتابه خطوطا بيضا وصاحب السيات يجد كتابه خطوطا سودا قال الشيخ ابو طاهر
القزويني واصحاب الكتب يوصف اذا اعرضت عليهم كتبهم مضطرون الى قراتها من غير
تعليم من احد بل بالهام من الله تعالى فنسال الله اللهم ان توتينا كتابنا بايماننا وتدخلنا الجنة
بايماننا ولا تفضحنا يا ارحم الراحمين ٥ واما العرض على الله تعالى يوم القيامة فهو مثل
عرض العساكر على الملك فيوقف العبد بين يدي الله عز وجل كما يليق بجلاله ويقع السوال
بحسب ما يريد الله عز وجل بذلك العبد فيا له من موقف بيسا قط فيه لحوم الوجوه من
شدة الخجل والحيا من الله عز وجل وفي الحديث من نوقش في الحساب عذب
قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلاثماية والمراد بالمناقشة هو السوال
عن علل الاعمال فيعرض الحق تعالى على العبد عمله قال وهذا السوال عام في كل الخلق
حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى يوم يجمع الله الرسل الاية قال ولكن فرق
عظيم بين سواله للانبياء وسواله لغيرهم فان سواله الرسل يكون على تقرير النعم على طريق
المباسطة واما سواله لغيرهم يكون على امور قبيحة نسال الله تعالى اللطف امين
وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل هو واصحابه رطبا وبسرا وشربوا
بعده الما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتسالن عن هذا النعيم يوم القيامة نعم ان

ذلك كان عقب الجوع كما يدل عليه سياق الحديث فقد شارك هولاء الانبيا في سوال
التوبيخ والتقريع فان قلت فما سبب شهادة الاعضا على صاحبها ولم يكن يشهد
على نفسه بلسانه فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السبعين من الفتوحات ان سبب
شهادة الاعضا قبح تلك الذنوب فيستحي العبد بين يدي الله عز وجل ان ينطق بها او
ينكرها اصلا وهو تعالى اسرع الحاسبين فلا ينتظر زوال الاستحيا فلذلك يستشهد
اعضاه ثم يقبل الله شهادتها لعدالتها الاصلية من اصل الفطرة والاصل العدالة والجرح
طارئ وينقدح من هذا السوال وهو اذا كانت الاعضا تشهد وهي عدول امركاه
وما ثم الا الاعضا فمن المعذب انظر يحتاج ذلك الى جواب ولعل تعذيب الاعضا انما هو
لتلذذها بفعل ما نهيت عنه في الدنيا وكان بعضهم يقول في حديث السبعين الفا
الذين يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن في حسابهم ان الله تعالى يدخلهم الجنة
لسوء ما تعاطوه قال وليس المراد ان الحق تعالى لا يحاسبهم على اعمالهم انتهى وقال
في الباب الثامن وتسعين ومائة من الفتوحات اذا اخبر الحق تعالى عباده بما فعلوه من
الجرايم يوم القيمة فيما بينهم وبينه كقوله يا عبدي فعلت كذا وكذا لا يكون ذلك منه
على وجه التوبيخ وانما يكون ذلك من باب اعلامه بسعة رحمته تعالى وهذا خاص بالموحدين
فافهم وقال في الباب الحادي والخمسين وثلاثماية اعلم ان كل مسلم له استحيا من الله
تعالى في دار الدنيا ومن لقايه يوم القيمة فلا بد ان يونسه الحق تعالى يوم القيمة
ويزيل خجله واصل الاستحيا يكون من المخالفة او التقصير في خدمة الله وما ثم
غير هذين الطريقين قال وصورة تانيس الحق تعالى لعبده المومن ان يقول له عبدي
ما كان الذي وقع منك في دار الدنيا الا بقضاي وقدري لانك موضع جريان
احكامي فيانس العبد بهذا القول اشد الانس ولو ان العبد قال هذا القول لله تعالى
ابدا لاسا الادب مع الله تعالى ولم يسمع منه وبهذا عينه لا يونسه الحق تعالى فهو من
جانب الحق تعالى في غاية الحسن ومن جانب العبد في غاية القبح فليس له ان يقول يا رب
كيف تقدر على المعاصي ثم تواخذني واما الحق فاذا قال للعبد انت موضع جريان
احكامي فهو غاية الفضل والاحسان لان فيه اقامة العذر للعبد وتانيسه ومباسطته
وازالة خجله ورفع وجله قال الشيخ محيي الدين ولما ورد على هذا التعريف الالهي

في واقعة من الوقائع الشهودية لم يسعني وجودي من الفرح حيث اطلعني على مثل ذلك
انتهى وقال في اخر الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة انما كان الصابرون يوفون
اجرهم بغير حساب اي بغير علمه عندنا لان الصبر يعم جميع الاعمال اذ هو حبس النفس
عن فعل الاعمال المكروهة فلهذا لم ياخذه المقدار بخلاف بقية الاعمال تاخذها المقادير
انتهى خاتمة قال في الباب السبعين من الفتوحات في قوله تعالى واقرضوا الله
قرضا حسنا اعلم انه لا ينبغي للعبد ان يقرض الله عز وجل لاجل تضاعفه للاجر يوم القيمة
وانما ينبغي له ان يقرض ربه عز وجل امتثالا للامر تعالى حين امر بالاحسان الى عباده
وهذا هو معنى وصف القرض بالحسن وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يعاملنا الا بما شرعه
لنا الا تراه تعالى قد سأل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يساله يوم القيامة ان يحكم بالحق
اي الذي بعثه به لعباده اذ الالف واللام في الحق للعهد اي رب احكم المعهود الذي يقتضي
به وعلى هذا يجري احوال الخلائق يوم القيمة فمن اراد ان يرى حكم الله تعالى يوم القيمة
فلينظر الى حكم الشرائع في الدنيا من غير زيادة ولا نقصان فكن يا اخي على بصيرة من
شرعك فانه عين الحق الذي اليه مآلك يوم القيامة انتهى وقال في الباب
الحادي والخمسين وخمسمائة في قوله تعالى فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون اعلم
ان الحق تعالى اذا حكم يوم القيمة في عباده بعلمه الامور بنفسه يكون حكمه على انواع
بحسب المواطن فموطن يحكم سبحانه وتعالى بين عباده بعلمه هو دون رسوله والمومنين
على حسب ما يراه في العمل على اختلاف الطبقات وموطن يحكم فيه بما يراه رسوله صلى
الله عليه وسلم في العمل على اختلاف الطبقات وموطن يحكم فيه بما يراه المومنون يعني
الائمة المجتهدين رضي الله عنهم اجمعين وموطن يحكم فيه بالمجموع هذا وجه جمع الرسول
والمومنين معه تعالى في الحكم بما يرونه مع ان كل ما يراه عباده تعالى فهو حكمه وتقديره
بالاصالة وقد قال بعض المحققين انما كان الحق تعالى هو الحاكم الحقيقي في جميع
احكام الدنيا فكيف صح نعت بعض احكام القضاة بالبطلان انظر انتهى قلت انما صح
لنا بعض وصف الاحكام بالبطلان عملا بالشريعة التي تعبدنا الله تعالى بالعمل في هذه
الدار بها دون الحقيقة فان الحق تعالى لم يامرنا بالحكم بها في هذه الدار الا من وجه
مطابقتها للشريعة لا لمخالفتها لها في نفس الامر كما قاله المحققون والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث

المبحث السبعون

في بيان ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم اول شافع يوم القيمة واول مشفع واو
فلا احد يتقدم عليه قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة هو
واول شافع واول مشفع زاد في رواية ولا فخر قال العلماء انما خص يوم القيمة بالسيادة
لانه يوم ظهورها لكل احد لقوله تعالى لمن الملك اليوم بخلاف شرفه في الدنيا وسيادته
فانها لا تخلوا من منازع قال الشيخ محيي الدين وانما اخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه اول
شافع واول مشفع شفقة علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب الى نبي بعد نبي
في ذلك اليوم العظيم وكل منهم يقول نفسي نفسي فاراد اعلامنا يوم القيمة لنصير في
مكاننا مستريحين حتى تاتي نوبته صلى الله عليه وسلم ويقول انا لها انا لها فكل من لم
يبلغه هذا الحديث لا بد من تعبه وذهابه الى نبي بعد نبي بخلاف من بلغه ذلك
ودام معه الى يوم القيمة فصلى الله عليه وسلم ما اكثر شفقته على الامة وانما قال
في اخر الحديث ولا فخر اي لا افتخر بكوني سيد ولد ادم من الانبياء فمن دونهم وانما قصدت
بذلك راحتكم يوم القيامة بحكم الوعد الصادق لي من الله عز وجل ان اكون اول
شافع واول مشفع فما زكى صلى الله عليه وسلم نفسه الا لغرض صحيح فانهم منزهون من
رؤية فخر نفوسهم على احد من الخلق بل كان بعض العارفين يقول لا يبلغ احد مقام الكمال
حتى يرى بنفسه انها ليست باهل تنالها رحمة الله عز وجل قال الجلال السيوطي رحمه
الله وشفع له صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات اولها واعظمها شفاعته
في تعجيل حساب الخلائق واراحتهم من اطالة ذلك الموقف وهي مختصة به صلى الله عليه
وسلم ثانيها ادخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي وهي مختصة به وتردد
في ذلك الشيخ تقي الدين السبكي وقال لم يرد في ذلك شي وكان الشيخ محيي الدين يقول
في معنى ان قوما يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن في حسابهم وفكرهم
ان الله تعالى يدخلهم الجنة ابدا لشهودهم قبيح زلاتهم وقد مر ذلك عن بعض الصالحين
ثالثها فيمن استحق دخول النار ان لا يدخلها وتردد النووي في كون هذه مختصة
به قال السبكي لم يرد في ذلك نص ٥ رابعها في اخراج من ادخل النار من الموحدين

حتى لا يبقى فيها احد منهم وتخلوا طبقتهم وينبت فيها الجرجير كما ورد وهذه الشفاعة
يشاركه فيها صلى الله عليه وسلم الانبيا والملائكة والمومنون وقد حكى القاضي عياض
في ذلك تفصيلا فقال ان كانت هذه الشفاعة لاخراج من في قلبه مثقال
ذرة من الايمان فهي خاصة به ليست لاحد من الانبيا ولا من الملائكة ولا المومنين
وان كانت لغير من ذكر فقد يشاركه فيها غيره خامسها في زيادة الدرجات
في الجنة لاهلها وجوز الامام النووي رحمه الله اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم
سادسها في جماعة من صلحاء امته ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات كما ذكره
القزويني في الوثقى سابعها من خلد من الكفار في النار ان يخفف عنهم العذاب
في اوقات مخصوصة جمعا بين هذا وبين قوله تعالى لا يفتر عنهم كما ورد ذلك
في الصحيحين في حق ابي طالب وما ذكره ابن دحية في حق ابي لهب من انه يخفف
عنه العذاب كل يوم اثنين لسروره بولادة النبي صلى الله عليه وسلم واعتاقه ثويبة
حين بشرته به قال الجلال السيوطي ولا يرد علينا شفاعته صلى الله عليه وسلم
لبعضهم ان يخفف عنه عذاب القبر لان هذه شفاعة في المومنين وفي البرزخ وكلامنا
انما هو في شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيمة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين
وغيرهم على وجه التخفيف كما صرح ثامنها في اطفال المشركين ان لا يعذبوا وهذه
الثلاثة الاخيرة ذكرها بعضهم واضاف اليها من دفن بالمدينة رواه الترمذي
وصححه قال الشيخ محي الدين في الباب الحادي والسبعين وثلاثماية واعلم ان
الشفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم تكون في فتح باب الشفاعة للناس
فيشفع في كل شافع ان يشفع والشافعون قبل الحق من شفاعتهم ما شا ورد منها
ما شا قال ويبسط الله الرحمة من ذلك اليوم في قلوب الشفعا ممن رد الله تعالى
شفاعته من الشافعين في ذلك اليوم لا يردها انفصالا به ولا عدم رحمة بالمشفوع
فيه وانما اراد تعالى بذلك اظهار المنة الالهية على بعض عباده فيتولى الله تعالى
سعادتهم ويرفع الشقا عنهم باخراجهم من النار الى الجنان بشفاعة الاسم ارحم
الراحمين عند الاسم المنتقم والجبار فهي اي شفاعة الحق مراتب الاسما الالهية
لا شفاعة محققة لان الله تعالى يقول سبقت رحمتي غضبي شفعت الملائكة

ويشفع

ويشفع النبيون ويشفع المومنون ويبقى ارحم الراحمين فدل بالمفهوم انه لم يشفع
فيتولى بنفسه اخراج من شا من عصاة الموحدين من النار الى الجنة ويملا الله تعالى
جهنم بغضبه وعقابه كما يملا الله الجنة الجنة برضاه ورحمته قال في الباب
الرابع والسبعين وثلاثماية ما نصه اعلم ان لكل من ارحم الراحمين والنبيين والمومنين
جماعة مخصوصة يشفع شفاعة ارحم الراحمين خاصة بمن لم يعمل خيرا قط غير توحيدهم
لله عز وجل فقط فان هولاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة انه لا اله الا
هو وشفاعة الملائكة خاصة بمن كان على مكارم الاخلاق من العصاة قال وتكون
شفاعة الملائكة على الترتيب الذي جعله الله لهم وشفاعته التسعة عشر التي على جهنم
واما شفاعة الانبيا فتكون في المومنين خاصة والمومنون قسمان قسم مومن عن
نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فان الانبيا جاوا بالخبر الى اممهم والخبر
هو متعلق بالايمان والقسم الثاني هو مومن مقلد لما اعطاه ابواه واهل الدار
التي نشا فيها فالشافع في هذا المومنون الذين هم فوقه في الدرجة بعد ان خلص
هولاء الشافعون بانفسهم ونجوا بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الشفعا
كلهم لا يشفعون الا اذا انتهت هذه المواخذة لعصاة الموحدين انتهى وقال في
الباب السابع والسبعين في قوله صلى الله عليه وسلم وذلك طلب لموافقة الحق تعالى
في غضبه عليهم اذ العالم بالامر لا يرد على حكم ما يقضي به الوقت فلهذا قال صلى الله عليه
وسلم بعد زوال ذلك الحال بتلطف المسالة ويشفع فيمن كانت تهوي به الريح
في مكان سحيق فهي شفاعة فيمن ارتدع عن فعل شي من فروض الاسلام لا فيمن ارتد
عن اصل الدين انتهى وقال في الباب الثالث والسبعين انما كان صلى الله عليه
وسلم صاحب المقام المحمود في الشفاعة يوم القيمة بين يدي الله عز وجل لانه
اوتي جوامع الكلم فيحمد في ذلك المقام الاولون والاخرون ويرجع الى مقامه
ذلك جميع مقامات الخلائق وكما كانت بعثته صلى الله عليه وسلم عامة وشريعته
جامعة لجميع الشرايع كانت شفاعته كذلك عامة فكما لا يخرج عن شريعته عمل
يصح ان يشرع كذلك لا يصح ان يخرج عن شفاعته احد واطال في ذلك ثم قال
في الباب الثامن والسبعين من الفتوحات انما سجد صلى الله عليه وسلم يوم القيمة

بين يدي الله عز وجل من غير ان يتقدمه اذن من الله عز وجل في ذلك السجود
لان السجود في ذلك اليوم هو المامور بالتكوين في عين جسم محمد صلى الله عليه وسلم
اذ هو طريق الى فتح باب الشفاعة التي ليست لاحد غيره فلذلك يتقدم محمد
صلى الله عليه وسلم بين يدي الرب عز وجل كما يليق بجلاله في ذلك اليوم الاعظم
ويسجد من غير امر ورد عليه بالسجود فيقول له ارفع راسك وسل تعط واشفع تشفع
صلى الله عليه وسلم خاتمة ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين في اسرار الصوم
اعلم ان فتوة اولياء الله تعالى اذا اذن لهم في الشفاعة ان يبدأوا بالشفاعة
فيمن اذاهم في دار الدنيا ورماهم بالكفر والزندقة والريا والنفاق وذلك لئلا يلوا
عنه الخجل حين يرى مقام اولياء الله تعالى في الاخرة عند الله تعالى من التقريب واجابة
السؤال وقد كان في دار الدنيا يجهل ذلك وهناك تطمئن نفوس المنكرين ويزول
عنهم الخوف الذي حصل لهم من اولياء الله تعالى في ذلك اليوم العظيم قال وانما لم
يبدأ الاولياء بالشفاعة فيمن احسن اليهم او اعتقدهم في دار الدنيا لان المحسن
مطمئن بما قدم من الاحسان ويرى ان احسانه يكفيه ويكون شفيعا عند الله عز وجل هل
جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول لا يكمل
الفقير حتى يسال الله العفو والصفح في دار الدنيا عن كل من سبه او ذمه او انكر عليه
ليوافي القيمة معفوا له ولا يحصل له خجل ولا خوف ممن سبهم او انكر عليهم من اهل الله
عز وجل ولهذا المقام حلاوة يجدها العبد وانشراح عكس من يتهم ممن اذاه
وانكر عليه والله سبحانه وتعالى اعلم

المبحث الحادي والسبعون

في بيان ان الجنة والنار حق وانهما مخلوقتان قبل ادم عليه السلام كما تقدم
بسطه في المبحث الثاني من الكتاب في حدوث العالم وذكرنا هناك ان خلق الجنة
والنار متاخر عن خلق الدنيا بتسعة الاف سنة ولذلك سميت الجنة والنار
بالاخرة لتاخر خلقهما عن خلق الدنيا المذكور على ما تقدم فيه فهما مخلوقتان
مهياتان لاصحابهما قبل خلقهم ثم ان لعمال كل مكلف تاتي على حسب ما سبق له في
دار في الجنة او النار وزعم اكثر المعتزلة انهما انما يخلقان يوم الجزاء ودليلنا
عليهم النصوص الصريحة الصحيحة الدالة على انهما مخلوقتان قبل يوم الجزاء نحو قوله
تعالى اعدت للمتقين اعدت للكافرين وقصة ادم وحوى واسكانهما الجنة واخراجهما
منها بالزلة ونحو ذلك كحديث يفتح للمؤمن في قبره كوة فينظر منها الى الجنة ويدخل عليه
من ريحها ونعيمها ويفتح للكافر كوة الى النار فيدخل عليه من حرها وسمومها وكحديث
لما خلق الله تعالى جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها انهارها قال لها
تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون رواهما البخاري وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم رايت
الجنة والنار في عدة احاديث وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول الجنة
والنار مخلوقتان لكنهما لا يكمل بناؤهما الا بانتهاء الدنيا وانقضاء زمن التكليف
فهما كبناء سور الدار الذي بناه الملك ثم بعد ذلك يشق الجدران ويبني حتى ينتهي البناء
لانهما انما يبنيان من اعمال المكلفين من خير وشر فمن نظر الى السور من خارج قال
انهما فرغ من بنائهما ومن دخل السور وجدهما ناقصتين من البناء بقدر ما بقي من
اعمال المكلفين في هذه الدار ويدل لذلك حديث ان الجنة عذبة الماء طيبة التربة
وانها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله الحديث فان القيعان التي لا بناء فيها ولا
شجر وفي الحديث ايضا من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة بنى الله تعالى له بيتا في
الجنة ومن قال سبحان الله مثلا غرس له شجرة في الجنة انتهى وقال المخزبطي ليست
الجنة التي اخرج منها ادم هي الجنة الكبرى المدخرة في علم الله تعالى فان تلك لا يصح فيها
معصية لادم ولا اباية لابليس لكونها حضرة الله الخاصة التي لا حجاب فيها ومعلوم
ان المعصية لا تقع حتى يحجب صاحبها وانما هي جنة البرزخ التي هي فوق جبل الياقوت
فان الجنة الكبرى لا يدخلها الناس الا بعد انتهاء الحساب والمرور على الصراط قال
وجنة البرزخ التي هي ترى في دار الدنيا وكذلك نار البرزخ فانه صلى الله عليه وسلم
لما قال رايت الجنة والنار في مقامي هذا وذكر انه راى عمرو بن لحي الذي سيب
السوائب وذكر انه راى المراة التي حبست الهرة حتى ماتت جوعا ومعلوم ان هؤلاء
لم يدخلوا النار الكبرى الى الان وانما هم محبوسون في البرزخ هكذا قال فليتامل
ويحرر وقد حبب الي ان ابسط الكلام عليهما بين الدارين بعض البسط لانهما

بعض محط رحال الاولين والاخرين فاقول وبالله التوفيق قال الشيخ محيي الدين
في الباب السادس وعشرين وثلاثمائة اعلم ان الدنيا اكمل نشاة من الاخرة لان الدنيا دار
تمييز واختلاط وتكليف والاخرة دار تمييز فقط ولا يكون فيها تشريع قط كما
في الدنيا الا في موطن واحد وذلك حين يدعى اهل الاعراف الى السجود فيسجدون
فترجح بتلك السجدة ميزانهم والطال في ذلك ثم قال واعلم ان الله تعالى قد امرنا
بالاحسان الى امهاتنا وعدم عقوقهن فما قام بذلك الادب الا قليل من الناس
ومعلوم ان الدنيا هي امنا التي ولدتنا فاذا قال الواحد منا لعن الله الدنيا قالت
الدنيا لعن الله اعصانا لربه عز وجل كما ورد في الحديث ومن لعن امه فقد عقها بلا شك
فليتامل الشخص شدة ادبها وحنوها على اولادها في قولها لعن الله اعصانا لربه
فما قدرت ان تلعن من لعنها بحكم التعيين ولا على ان تسميه باسمه وهذا من حنو
الوالدة وشفقتها على ولدها وفي الحديث الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها
ينجو من الشر فوصفها بانها من شدة حنوها على اولادها تذكرهم بالشرور وتعرب
بهم عنها وتزين لهم الخير وتسوقهم اليه فهي تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر الى
موطن الخير كل ذلك لشدة مراقبتها الى ما انزل الله تعالى فيها من الاوامر الالهية
المسماة شرائع فيجب ان نقوم بها ابناؤها فنسعد ونفوز عجبا منا كيف لا نتبع
اخلاق امنا ولا وقفنا عند حدود ربنا كما وقفت امنا فينبغي لكل عبد ان
يراقب حال امه فان الطفل لا يفتح عينيه الا على امه ولا يبصر غير امه ولذلك كان
يحبها ويميل اليها طبعا ومن اخلاق الدنيا انه لا يهون عليها نسبة احد من ابنائها
الى الاخرة لا بنيناما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم ومن عقوقنا لها انا ننسب الشرور
والانكاد اليها والحال انها احوالنا ما هي احوالها اذ الشر انما هو فعل المكلف لا فعلها
هي ومن اشد ما تعلمها هي ايضا نسبة اولادها كلما يفعلونه من الخير الى الاخرة مع انهم
ما فعلوا ذلك الا في الدنيا واطال في ذلك ثم قال فعلم ان للدنيا اجر المصيبة
التي في اولادها ومن اولادها انتهى ولنبدا بالكلام على النار اعاذنا الله منها
فنقول اعلم يا اخي ان جهنم من اعظم المخلوقات وهي سجن الله تعالى في الاخرة يسجن فيها
المعطلة والمشركين والكافرين والمنافقين ابد الابدين ودهر الداهرين قال تعالى

وجعلنا

٢١١

وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا واما اهل الكبائر من المؤمنين فيسجنون ما شاء الله ثم يخرجون
وسميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهي مشتملة على
حرور وزمهرير ففيها البرد على اقصى درجاته وبين اعلاها واسفلها خمس وسبعمائة
من السنين ولا يخفى ان حرها انما هو هواء محترق لا جمرة لها سوى بني آدم والاحجار
المتخذة الهة من دون الله قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقال تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس
اجمعون فاثبت ان الجن لهيبها قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والستين من
الفتوحات اعلم ان الله تعالى يحدث في جهنم الات على حسب حدوث اعمال الجن والانس
الذين يدخلونها قال وقد اوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك كان خلقها في الصورة
على خلق الجاموس قال وهكذا رايتها في كشفي ونزلت فيها خمس دركات ورايت الجن
يصطنعون فيها المقامع قال وهكذا راها الحكم ابن برجان من طريق كشفه وقد تمثلت
لبعضهم صورة حية فتخيل ان تلك الصورة هي التي خلقها الله تعالى عليها وليس كذلك
قال الشيخ محيي الدين ولما خلقها الله تعالى كان زحل في الثور وكانت الشمس
في القوس وكان سائر الدراري في الجدي فكان فيها الحر والبرد وانما كان فيها
الجوع لان الله تعالى خلقها من تجلي قوله في صحيح مسلم جعت فلم تطعمني ومرضت فلم تعدني
وظمئت فلم تسقني فمن ذلك خلقت جهنم اعاذنا الله منها قال الشيخ ولذلك تجبرت
على الجبابرة وقصمت المتكبرين وجميع ما يخلق فيها من الالام التي يجدها الداخلون فيها
من صفة الغضب ولا يكون ذلك فيها الا عند دخول الخلق فيها من الجن والانس حتى
دخلوها واما اذا لم يكن فيها احد من اهلها فلا الم في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل
هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله متنعمون متلذذون مسبحون لا يفترون
واطال في ذلك ثم قال ومن اعجب ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان
قاعدا مع اصحابه في المسجد فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال صلى الله عليه وسلم
اتعرفون ما هذه الهدة قالوا الله ورسوله اعلم قال حجر القي من اعلى جهنم منذ سبعين
سنة الان وصل الى قعرها فكان وصوله الى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ
صلى الله عليه وسلم من كلامه الا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان

وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فعلم كبرا الصحابة ان
ذلك الحجر هو ذلك المنافق وانه من حين ولد يهوي في نار جهنم باعماله في علم الله وان لم يكن
مكلفا الا بعد البلوغ فلما بلغ عمره سبعين سنة مات فحصل في قعرها قال تعالى ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار فكان سماعهم لذلك الحدة التي اسمعهم الله اياها انما هو
انما هو ليعتبر وا فانظروا ما اعجب كلام النبوة وما الطف تعريفه وما احسن اشارته وما
اعذب كلامه صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين ولقد سالت الله ان يطلعني على
جهنم واهلها فاطلعني على ذلك فعرفتها وعرفت مكانها ولولا انه صلى الله عليه وسلم قال في
علم الله لما سئل عنها لعينت مكانها ولكن الادب يمنعنا ان نتعدى مقام الادب معه صلى الله
عليه وسلم قال ورايت اهلها يتخاصمون مع ائمة الضلال الذين اضلوهم ومع اصنامهم
التي كانوا يعبدون من دون الله ورايت صورة خصامهم صورة خصام المذاهب الشرعية مع
اهل المذاهب الزائغة في طلب دحاض حجج بعضهم بعضا فاني كلما اري خصام ارباب المذاهب
عندنا مع اهل الزيغ اتذكر خصام اهل الزيغ النار ورايت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من
النبوة والوقوف عند حدود الشريعة والتادب عند قراة حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقراة كلام الائمة المجتهدين والعلما العاملين وعدم رفع الصوت عند قراة كلامهم
قال ولما اطلعني الله عليها رايت من دركات النار من حيث كونها دارا ما شا الله ان يطلعني
ورايت فيها موضعا يسمى المظلمة نزلت فيه ما شا الله ان ينزلني فعلمت من ذلك كل عمل يخطو زار
في ذلك
وكل عمل يخطو رغبة وعلمت ان عذاب جهنم ما هو من جهنم حقيقة وانما هو من اعمال الداخلين وانشدوا

النار منك وبالاعمال توقدها ٭ كما بصالحها في الحال تطفيها
فانت بالطبع منها هارب ابدا ٭ وانت في كل حال منك تنشيها

الى اخر ما قال انتهى قلت هكذا قال الشيخ رحمه الله ولكن قال علما الشرع من قال
دخلت الجنة كفر وقياسه ان يكون الحكم كذلك في دخول النار فليتامل ويحرر ولعل
قوله نزلت اي اطلعت كشفا كما تفسر ما تقدم والله اعلم فعلم ان جهنم انما هي دار سكني
لاهلها وسجن لهم والله تعالى يخلق لهم انواع العذاب متى شا فعذابهم من الله تعالى
وهم محل له قال الشيخ محيي الدين ولجهنم سبعة ابواب مفتحة ليس فيها باب مغلق الا
الباب الثامن الذي هو باب الحجاب عن روية الله عز وجل فلا يفتح لاهل النار ابدا

قال

قال وجميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع
والغروب لهما في جهنم دايما فشمس جهنم شارقة لا مشرقة والتكوينات في سيرها بحسب ما يليق
بتلك الدار فان قلت فما حد جهنم فالجواب بعد الفراغ من الحساب من مقعر فلك الكواكب النازل
الى اسفل سافلين ولذلك كله يزيد في جهنم الساعة انما هي الان عليه حيث لا مخلوق فيها وكل
مكان لم يذكر الشارع انه يعود الى الجنة فانه يعود كله نارا قال تعالى واذا البحار سجرت
اي اججت نارا من سجرت التنور اذا اوقدته قال ومن هنا كره ابن عمرو غيره الوضوء بما
البحر مع قوله بجواز الطهارة منه وكان بعضهم يقول التيمم احب الي من البحر قال
الشيخ محيي الدين واهل الكشف كلهم يرون بحر الملح يتاجج نارا فان قلت فمن اشد الخلق كلهم
عذابا في النار فالجواب اشدهم عذابا ابليس لانه هو الذي سن الشرك وكل معصية فان قلت
ان ابليس مخلوق من النار فكيف يجعل الله عذابه بما خلق منه فالجواب ان الله تعالى على كل
شي قدير الا ترى النفس يكون به حياة الجسم الحساس فاذا بالشنق والخنق انعكس راجعا
الى القلب فاحرقه من ساعته فهلك من حينه فبالنفس كان حياته وبالنفس كان وفاته
فان قلت قد ورد انه يعذب بالزمهرير المناقض لنشاته فهل يعذب بذلك من داخله
أم من خارجه فالجواب لا بانه الزمهرير الامن ذاته لانه احد اركانها فيغلب جزء
الزمهرير بقية الاركان فيعذب بذلك كما يغلب بعض الاخلاط على الانسان في دار الدنيا
فيتالم بها فيامر الطبيب بالفصد فلولا انه فصد لمات وبالجملة فكل من دخل النار
عذب بكل ركن من اركانه حتى الما والهوي فان قلت فكم عدد دركات النار
فالجواب عددها مايه درك لانها في مقابل درج الجنة ولكل درك منها قوم مخصوصون
ولهم من الغضب الالهي الحال بهم الام مخصوصة فان قلت فكم اقسام اهل النار الذين هم
اهلها فالجواب هم اربعة اقسام كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين من الفتوحات
وترجع الاربعة اقسام الى المجرمين خاصة قال تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون
اي المستحقون لان يكونوا اهلا لسكني جهنم لا يخرجون منها الى الجنة ابدا القسم
الاول المتكبرون لامر الله كفرعون والنمرود وابي لهب واضرابهم القسم الثاني
المشركون وهم الذين يجعلون مع الله الها اخر القسم الثالث المعطلون وهم الذين
نفوا الالهية جملة فلم يثبتوا للعالم الها ولا من العالم القسم الرابع المنافقون وهم

الذين اظهروا الاسلام من اهل هذه الاقسام الثلاثة للقهر الذي حكم عليهم فخافوا
على دمايهم واموالهم وذراريهم وهم في نفوسهم على ما هم عليه من اعتقاد ما عليه هذه
الطوايف الثلاثة فهولاء الاربعة هم الذين لا يخرجون من النار من انس وجن انتهى
قلت فكذب والله وافترى من نسب الشيخ محي الدين الى انه يقول بقبول ايمان
فرعون ولو كان يقول به ما صرح هنا انه من اهل النار الذين لا يخرجون منها احد
الابدين فاما انه مدسوس عليه كما مرت الاشارة بذلك في الخطبة واما انه كان تبع
فيه القاضي ابا بكر الباقلاني فانه قايل بقبول ايمانه لان الله تعالى حكى عنه انه قال
لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين ولم يحك عنه ما ينا قضه
بعد ذلك وقد انعقد اجماع الايمة كلهم على عدم قبول ايمانه فاياك ان تنقل عن الشيخ
محي الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون وخرق الاجماع لا سيما والفتوحات من اواخر
مولفاته لانه فرغ منها قبل موته بنحو خمس سنين والله تعالى اعلم فان قلت فهل في
النار دركات اختصاص الهي او عذاب اختصاص الاهي فالجواب ليس في النار دركات
اختصاص الاهي ولا عذاب اختصاص كالجنة لان الله تعالى ما عرفنا انه يخص بنقمته من يشا
كما انه اخبرنا انه يختص برحمته من يشا فلا يعذب اهل النار منها الا باعمالهم التي عملوها
فقط بخلاف اهل الجنة فانهم ينعمون فيها باعمالهم وبغير اعمالهم في جنات الاختصاص
اذ الجنات ثلاث جنات جنة اعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث كما سياتي بيانها
في الكلام على الجنة ان شا الله تعالى فكان من كرم الله تعالى وفضله انه ما انزل اهل
النار الا على اعمالهم خاصة واما قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فذلك
لطايفة مخصوصة وهم الايمة المضلون المشار اليهم بقول الله تعالى وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم فانهم هم الذين اضلوا العباد وادخلوا عليهم الشبه المضلة فحادوا
بها عن سوا السبيل فما انزلوا من النار الا منازل استحقاق اذ الاضلال معدود
من جملة اعمالهم بخلاف اهل الجنة فانهم ينزلون فيها منازل استحقاق باعمالهم
كما في الكفار ويزيدون عليهم منازل وراثة ومنازل اختصاص فان قلت فمن اين
جا تقسيم اهل النار الى اربعة اقسام فالجواب لان الله تعالى ذكر عن ابليس انه ياتينا
من بين ايدينا ومن خلفنا وعن ايماننا وعن شمايلنا ولا يدخل احد النار الا بواسطته

فهو ياتي المشرك من بين يديه وياتي المتكبر عن يمينه وياتي المنافق عن شماله وياتي
المعطل من خلفه فان قلت فما الحكمة في الاتيان من هذه الجهات المخصوصة فالجواب
الحكمة فيه ظاهرة اما المشرك فانما جا من بين يديه لان المشرك راى بين عينيه جهة
عينيه فاثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعله ابليس يشرك بالله في الوهيته شيا
يراه ويشاهده واما المتكبر فانما جاه من جهة اليمين لان اليمين محل القوة فلذلك تكبر
للقوة التي احس بها من نفسه واما المنافق فانما جاه من جهة شماله الذي هو الاضعف
لان المنافق اضعف الطوايف كما ان الشمال في العادة اضعف من اليمين ولذلك كان في
الدرك الاسفل من النار وكان يعطى كتابه بشماله واما المعطل فانما جاه من خلفه لان
الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شي فهذا وجه حكمة تخصيص اتيان ابليس من هذه
الجهات قال الشيخ ولهذه الطوايف الاربعة من كل باب من ابواب جهنم جزء مقسوم
وهي منازل عذابهم لانك اذا ضربت الاربعة اقسام التي هي المراتب في السبعة ابواب كان
الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة وكان مما ظهر من
تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا بها الف الله تعالى الكلمات
وبها اظهر الكفر والايمان في العالم فترجم بها كل شخص عما اضمر في نفسه من ايمان او كفر او
كذب او صدق لتقوم حجة الله تعالى على عباده انتهى بالتلفظوا به فان قلت فما اسما
ابواب جهنم وما الطوايف الذين يدخلون منها فالجواب اما اسماوها فباب الجحيم وباب
سقر وباب السعير وباب الحطمة وباب لظى وباب الحامية وباب الهاوية سميت
هذه الابواب بصفات ما وراها مما اعدت له واما تعيين الطوايف الداخلين من
كل باب فهي مبينة في القران قال تعالى في اهل الجحيم الذين يكذبون بيوم الدين
وقال في اهل سقر ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين
وكنا نخوض مع الخايضين وكنا نكذب بيوم الدين وقال في اهل السعير وجعلناها
يعني النجوم رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وقال في اهل الحطمة
ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمة
الى اخر السورة وقال في لظى كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى
وجمع فاوعى وقال في اهل جهنم وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وقال في اهل

الهاوية واما من خفت موازينه فامه هاوية وقد نظم هذه الابيات سيدي الشيخ
عبد العزيز الديريني رحمه الله هذه الابيات المنظومة فقال

جهنم ولظى والحطيم بينهما * ثم السعير وكل الهول في سقر
وبعد ذاك جحيم ثم هاوية * تهوي بهم ابدا سحقا للمنحدر

فان قلت فاين تكون جهنم اذا اتى الحق تعالى في ظلل من الغمام كما يليق بجلاله
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين من الفتوحات ان كل جهنم تكون على
المجنبة اليسرى لان اتيانه تعالى اكتنافه جاء كما يقال اتى الملك وخرج على عسكر
تشاهدون وقد سمى الله تعالى نفسه ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم الذي يجمع فيه الخلائق
اجمعون فيا له من يوم ثم ان الملائكة الذين نزلوا من السموات تصفف سبع صفوف محيطة
بالخلائق اجمعين فاذا ابصر الناس جهنم ولها فوران وتغيظ يفرون باجمعهم منها لعظيم
ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر لانه ما ثم جمع اكبر منه قط ولا يسلم من ذلك
الفزع الا الطايفة الذين قال تعالى في حقهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فهولاء هم الامنون
على انفسهم على غير ان النبيين منهم يفزعون على اممهم خوفا عليهم للشفقة التي جبلهم الله
تعالى عليهم وكذلك كل داع الى الله تعالى من كمل ورثتهم فيقولون كلهم في ذلك اليوم
اللهم سلم سلم قال وينصب الله تعالى للامنين منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم
في الموقف فيجلسون عليها امنين مبشرين وذلك قبل مجيء الرب جل وعلا كما يليق
بجلاله فاذا فر الناس خوفا من جهنم يجدون ملائكة السما صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم
الملائكة وزعة الملك الى المحشر ويناديهم انبياؤهم ارجعوا ارجعوا فينادوا بعضهم بعضا
وذلك قوله تعالى اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم يقع النداء من قبل
الحق جل وعلا قال الشيخ رحمه الله فلا ادري اذلك نداء الحق بنفسه ام هو نداء
عن امره يقول في ذلك النداء يا اهل الموقف ستعلمون اليوم من اولى بالكرم ثم ينادي
اين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليلون ثم ينادي ثانيا اين الذين
كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي ثالثا اين الذين صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فاذا امر بهذه الطوايف الثلاث الى الجنة خرج عنق من النار له عينان
ولسان فصيح فاذا اشرف على الخلائق الذين في الموقف يقول اني وكلت اليوم منكم

بثلاث كما قال في النداء الاول بالنسبة الى اهل الجنة كما مر قال الشيخ وهذا كله
من قبل الحساب والناس وقوف قد الجمهم العرق واشتد الخوف حتى تصدعت القلوب
لهول ذلك المطلع قال ثم اذا اشرف ذلك العنق من النار على الناس قال اني وكلت
بكل جبار عنيد فيلتقط الجبابرة من بين الصفوف فاذا لم يترك منهم احدا نادى ثانيا
اني وكلت بكل من اذى الله ورسوله فيلتقطهم كذلك ثم ينادي ثالثا اني وكلت بكل
من ذهب يخلق كخلق الله عز وجل فيلتقط اهل التصاوير كلهم وهم الذين يصورون
الصور في الكنايس لتعبد من دون الله عز وجل كما قال اتعبدون ما تنحتون فانهم كانوا
ينحتون لهم الاشجار والاحجار لتعبد فيها من دون الله عز وجل فهولاء هم المراد بالمصورين
في الحديث فيلتقطونهم من بين الصفوف فاذا اخذهم الله تعالى عن اخرهم وبقي الناس وفيهم
المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصد اولئك من عبادتها فيسالوا عنها لينفخوا
فيها ارواحا يحيى بها وليسوا بنافخين كما في البخاري انتهى ملخصا ولا يخفى حرمة التصوير
للحيوانات وان لم يعبدوا والله اعلم وقد ذكرنا حديث مواقف القيمة الخمسين موقفا كل
موقف منها الف عام في اواخر كتاب المنهج المبين فراجعه ترى ما تشيب منه الروس
وتذوب منه الاكباد ونحن في غفلة عنه الان فنسال الله الموت على الاسلام امين
فان قلت ان طعام اهل الجنة في مايدتهم التي في المرج زيادة كبد الحوت فما طعام
اهل النار قبل دخول الجنة فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين ان طعامهم
في المايدة طحال الثور الذي هو بيت الاوساخ المجتمعة في البدن وهو ما يعطيه الكبد
من الدم الفاسد فيعطى ذلك الطحال لاهل النار فياكلونه ومعلوم ان الثور حيوان ترابي طبعه
البرد واليبس وجهنم على صورة الجاموس كما مر فيناسب الطحال المذكور اهل النار اشد
مناسبة فيما في الطحال من الدمية فلا يموتوا اهل النار وبما فيه من اوساخ البدن والدم
الفاسد المولم لا يحيون فلا ينعمون انما يورثهم الاكل منه سقما ومرضا بخلاف مايدة
اهل الجنة فانها زيادة كبد الحوت وهو حيوان بحري مائي من عنصر الحياة المناسبة
للجنة والكبد بيت الدم وهو بيت الحياة والحياة حارة رطبة وبخار ذلك الدم هو النفس
المعبر عنه بالروح الحيواني الذي به حياة البدن فهو بشارة لاهل الجنة ببقاء الحياة
عليهم في النعيم المقيم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء انتهى فان قلت فما سبب اهانة الله تعالى

العصاة الموحدين في جهنم دون الكفار فالجواب سبب اكرام الله تعالى للجوارح التي كا
نت تحته بجملة وانما وقعت في المخالفات من حيث انها كالمجبورة تحت قهر النفوس المدبرة
للسوا فلو قوعها في المعاصي عذبت ولتوحيدها لله تعالى احرجت لان الله ربنا انه لا تقبل
خلود موحد فيها ابدا ثم ان جوارح العصاة اذا ماتت لا تحس بعد ذلك بالم حتى تخرج
بالشفاعة فضلا من الله عليها بخلاف الكفار لا تموت لهم جوارح ابدا ليذوقوا العذاب وذلك
لان معصيتهم مستصحبة لهم لا تفارقهم ولو انهم كانوا بقوا ابد الابدين لكانوا كفارا فلذلك خلدوا
في النار من حيث نيتهم واما عصاة الموحدين فلم تخرج من انفسهم اذا عصوا تعقبهم الندم وايضاح ذلك
كما قاله الشيخ في الباب الموفي ثلاثمائة من الفتوحات ان جسد الانسان كله من حيث طبيعته
طايع لله خائف من عذابه واما من جارحة يرسلها العبد في معصية الا وهي تناديه لا تفعل
لا ترسلني فيما حرمه الله عليك فاني شاهدة عليك وتتبرا الى الله تعالى من ذلك الفعل وكل قوة
وجارحة في العبد بهذه المثابة تنادي اخواتها لا تفعلوا معصية انتهى فان قلت ان الله تعالى
قد جعل الكي بالنار في هذه الدار وقاية ودفعا لالم هو اشد من النار فهل يكون احراق الموحدين
في النار كذلك دفعا لما هو اشد من الحرق فالجواب نعم احراق الموحدين في النار دفعا لما
هو اشد منه وهو غضب الله السرمدي فما يكن الغضب الالهي الا بحرقهم في النار نظير ما يضرب الانسان
غلامه او عبده ثم يرضى عليه وهذا من رحمة الله بالموحدين ومن هنا قال بعضهم ما مسلما ولا نبالي
بخلاف المشركين فان عذابهم لا ينقطع فكانت النار لاصحاب الكباير من الموحدين الذين ماتوا
على غير توبة مقبولة كالكي بالنار في الدنيا ولذلك ورد انهم يخرجون من النار قد امتحشوا
فيلقون في نهر على باب الجنة نظير ما يخرج صاحب الكي بالنار الى العافية ذكره الشيخ
في الباب الثامن والثمانين من الفتوحات وقال هذا كله على جعل النار وقاية كالحدود
الدنياوية فان الله تعالى جعلها وقاية من عذاب الاخرة ولهذا سميت كفارات والكفر
الستر فهي تستر العاصي عن عذاب الاخرة ولهذا قلنا في قوله انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الى اخره ان المراد بهم الكفار لا الموحدين لان الله تعالى
لما عاقبهم في الدنيا بالقتل والصلب وتقطيع ايديهم وارجلهم من خلاف لم يجعل تلك العقوبات كفارات
مثل ما جعلها في الحدود في حق الموحدين بل قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم
وهذا لا يكون الا للكفار اذ العذاب العظيم يعم الظاهر والباطن بخلاف اهل الكبائر من الموحدين

كما مر فان الله تعالى يميتهم في النار اماتة حتى يعودوا حمما تشبه الفحم فاذا لم يحسوا
بالعذاب في موتهم فليس لهم حظ في العذاب العظيم لانهم محرقون بالنار مثل الجمرات ثم ان
النار تفعل بواسطة الجمرات التي طمرت فيها امرا اخر فيه منفعة كما تنفع النار تحت
القدر في انضاج ما فيه ولولا انضاجه ما ساغ اكله اذا فهمت ذلك علمت حكمة
تاثير النار التي هي تحت ارض الجنة وانها انما جعلت لتوثر في فواكه الجنة النضج والصلاح
وان مقعر ارض الجنة هو سقف النار والشمس والقمر والنجوم كلها في النار فتفعل
الاشيا هنالك علوا ما كانت تفعله هنا سفلا الا ترى ان ارض الجنة كلها مسك
وهو حار بالطبع لما فيه من النار واشجار الجنة كلها مغروسة في تلك التربة المسكية
فلا تقتضي نبات هذه الدار التي اصل الزبل تحته لما فيه من الحرارة الطبيعية لانها
تعفين والحرارة تعطي التعفين في الاجسام القابلة للتعفين انتهى فان قلت
فهل لاهل النار ان يتبوءوا من النار حيث شاءوا كاهل الجنة ام هم محبوسون في اماكنهم
لا يبرحون فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وثلاثمائة ان اهل
النار لا يتبوءون وانما هم محبوسون في اماكنهم لا يبرحون وايضاح ذلك انهم لو كان
لهم التبوء حيث شاءوا ما استقروا حتى تنضج جلودهم فكان من رحمة الله تعالى الحصبة
بهم من حيث لا يشعرون عدم تبوئهم فان العذاب المستصحب اهون من العذاب المجدد فلو
كانوا ينتقلون من مكان الى مكان لكانوا يجدون في كل مكان ينتقلون اليه عذابا
شديدا الى حصول الانضاج وذلك اشد العذاب فان قلت فما الدليل على عدم
تبوء اهل النار من القران فالجواب الدليل على ذلك قوله تعالى وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا اي سجنا لان المحصور ممنوع من التصرف فرحم الله الكفار من حيث
لا يشعرون ومن ذلك المضروب في بيت الوالي مثلا يحس بالالم اولا فاذا تخدرت
اعضاؤه غاب عن الاحساس بالالم فهذا الجزء اليسير من عدم الاحساس هو من الرحمة
التي وسعت الغضب في اهل النار في بعض الاوقات فان قلت فهل يتزاور
اهل النار كما يتزاور اهل الجنة فالجواب نعم يتزاورون لكن لا يتزاور الا
اهل كل طبقة مع بعضها فقط فيتزاور المحرورون مثلا بعضهم بعضا والمقرورون
مع بعضهم بعضا فلا يزور مقرور محرورا ولا عكسه واطال في ذكر عذاب اهل

التنويه والتثليث في الباب الثالث والاربعين وثلاثماية فان قلت فما المراد
بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البيهقي امتي امة مرحومة ليس عليها في الاخرة عذاب
وان عذابها في الدنيا الزلازل والفتن والبلايا والمحن الحديث بمعناه وفي رواية
اخرى عذاب امتي دنياها واذا كانوا كذلك فاين العصاة الذين يدخلون النار من
الموحدين فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وثلاثماية ان المراد
بقوله ليس عليها عذاب في الاخرة عذاب مسرمد بدليل الاحاديث الواردة الصحيحة
في دخول طائفة من هذه الامة النار من الموحدين ولكن من رحمة الله بهم اماتتهم في
النار كما مر آنفا حتى لا يحسوا بما تاكل النار منهم وذلك النفوس المتالمة هي الموصلة
للموحدة والايمان والتوحيد فبمجرد ان قيام الالام والعذاب الى غير نهاية فمما
حرقوا وصاروا حمما الا وهم اموات والميت لا يحس بما يفعل به ولو تصور علمه
بالحرق لم يحس به اذ ليس كلما يعلمه العبد يحس به فلذلك كان لابد من رفع العذاب
عن الموحدين وانهم ان دخلوا النار فانما ذلك تحقيق للكلمة الالهية فلا يبقى في
النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ولو مرة واحدة في عمره ومات على ذلك
انتهى فان قلت فما معنى قوله تعالى في اهل النار حين ذاقوا العذاب ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه مع انهم قالوا في محل يصدق فيه الكذوب ربنا
اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فالجواب انما قالوا اخرجنا نعمل صالحا بلسان
الحالة التي هي حالة بهم لظنهم انها تدوم معهم اذا رجعوا الى وهي لا تدوم فانهم اذا رجعوا
الى الدنيا رجعوا بحكم القبضتين وهو علم يحمل الاشقيا لا يمكنهم ان يعملوا بعمل السعداء وايضا
ذلك كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين وثلاثماية ان الله تعالى خلق الانسان على مزاج
يقبل النسيان والغفلة ويقبل ايضا ضد ذلك على حسب ما يقام فيه فهو تعالى يعلم من
نشاة هولاء الذين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انهم لا يرجعون الى الدنيا الا بتلك النشاة
فينسون ما ذاقوه من عذاب النار وما قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون
من المومنين الا بلسان النشاة التي هم فيها لتخيلهم ان ذلك العلم والذوق الذي حصل عندهم
في النار يبقى عليهم ولو انه بقي معهم لما كانوا يعودون لما نهوا عنه اذ ردوا الى الدنيا الا
ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم يوتى في القيمة بانعم اهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال
له هل رايت نعيما قط فيقول لا والله ومعلوم انه راى في الدنيا نعيما ولكن حجبه ما
الحال عن هذا النعيم فنسيه وكذلك ورد في صاحب البوس اذا غمس في الجنة غمسة فيقال
له هل رايت في الدنيا بوسا قط فيقول لا والله ما رايت في الدنيا بوسا قط ثم قال
نعلم ان جميع المومنين يعلمون بانفاد الوعيد في حق طائفة منهم ولكن غير معينة
لانها لو تعينت العقوبة لواحد منهم في دار الدنيا وانه هو الذي ينفذ فيه الوعيد لما
اقدم على سببها انتهى فان قلت فمن اكثر عصاة الموحدين مكثا في النار فالجواب كما ذكره
الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلاثماية ما نصه ان الله تعالى لم يطلعني على اكثر
مدة العصاة مكثا في جهنم قال وانما استروحنا في قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة ان اخرهم مكثا من يمكث فيها هذا القدر قال وما نحن من كمال الخمسين الفا على
يقين فمدة هي مدة اقامة الحدود على الموحدين من اهل الكباير قال وكل ذلك في يوم
القيمة وليس التسرمد الا لاهل النار الذين هم اهلها فاذا انقضى يوم القيمة لم يبق احد
من عصاة الموحدين في النار ابدا فرحم الله امرا اطلعه الله على مدة اقامة العصاة في النار على
التحديد والحقة في هذا الكتاب انما علمت ذلك مجملا من غير تفصيل انتهى فان قلت فما
معنى قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم لم لم تات بنفسها لاهلها عند الميقات فالجواب
انما لم يصفها الحق تعالى بالمجيء من ذاتها مع علمها بما هي عليه من اسباب الانتقام من العباد
لما حجبها الله عليه من العلم برحمة الله التي وسعت كل شيء فمنعتها الرحمة الكامنة فيها من المبادرة
الى الانسان فانها ما وقعت عينها الا على مسبح لله تعالى بحمده مطيع لارادته فلذلك جيء
بها الذي لا يدخلها ما انعم الله عليه مما لم يكن يعلمه وليعلم ايضا من يدخلها بانه بالاستحقاق
يدخلها فيحجب بها الخاصية اليها جذب المغناطيس للحديد وهو قوله عليه الصلاة والسلام
انا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون تقحم الفراش انتهى فان قلت فهل لاهل النار
حظ في النعيم في وقت من الاوقات فالجواب كما قاله الشيخ في الباب العشرين من الفتوحات
نعم لاهل النار حظ من النعيم ولكن صورة نعيمهم عدم توهمهم وقوع العذاب بهم كما ان حظهم
من شدة العذاب توقعه لانه لا امان لهم بطريق الاخبار عن الله تعالى فلا يفتر عنهم العذاب
فلم يزالوا في غشية من العذاب بعد غشية وافاقة بعد افاقة ففي حال الغشية يعذبون بالعذاب
المتخيل وفي حال الافاقة يعذبون بالعذاب المحسوس وقد يطول من الغشوم نحو عشر الاف سنة

وقد يطول زمن الافاقة فيعذبون خمسة عشر الف سنة وهكذا ابد الابدين ودهر
الداهرين فعلم ان اشد العذاب على اهل النار ما يقع في نفوسهم من التوهمات فانهم لا يتوهمون
قط عذابا اشد مما هم فيه الا تكون في نفوسهم لوقته فان قلت فهل عند اهل النار الذين هم
اهلها نوم فالجواب ليس عندهم نوم وانما النوم خاص بعصاة هذه الامة من الموحدين
فقط وذلك هو القدر الذي يتنعمون به في النار ويستريحون به في بعض الاوقات ثم
ان عصاة الموحدين اذا ناموا يكون نعيمهم في منامهم الرؤية الحسنة فيرى نفسه مثلا
انه خرج من النار ودخل الجنة وصار في فرح وسرور واكل وشرب وجماع بين اهله
واخوانه ثم اذا استيقظ لا يرى شيا كما يقع لاهل الدنيا اذا ناموا وبعض اهل النار من
الموحدين قد يرى في منامه ايضا ما يسوءه فيعذب في منامه ايضا فيرى انه في بوس
وضيق وعقوبة وفراش من شوك ونحو ذلك نسال الله العافية فان قلت قد بلغنا ان
ابليس يكون في الطبقة الوسطى من النار التي هي الرابعة فهل ذلك تخفيف لعذابه فالجواب
ليس ذلك تخفيف للعذاب وانما ذلك للاحاطة والشمول فهو ملئ النار فلا يعذب احد
فيها الا وابليس مشاركا له في عذابه لانه كان سببا في تعذيبه وفي الحديث من سن
سنة سيئة فعليها وزرها ووزر من عمل بها فبهذا الاعتبار كان صلى النار
بحقيقته فكونه لا يدخل احد النار الا بواسطته هو سر مستقره في النار في الطبقة
الرابعة فليس ذلك تخفيف عنه بالنسبة للدركات السفلية كما مر فان قلت فهل يكون
اقسام اهل النار الاربعة السابقة اول المبحث ايضا في الجن كما هي في الانس فالجواب
ليس في الجن مشرك ولا منافق ولا معطل وانما هم كفار فقط ويويد ذلك قوله تعالى
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب
العالمين فالحق الله تعالى الشيطان بالكفر ولم يلحقه بالمشركين وان كان هو الذي يوسوس
للخلق بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر ضمنا وليس كل كافر مشركا لان من قال ان
الله هو المسيح ابن مريم كافر وليس بمشرك انتهى فان قلت فهل قول ابليس اني اخاف الله
رب العالمين توحيد فان كان توحيدا فلم لم يسعد به فالجواب هو توحيد ولكن
كتوحيد المنافق بلسانه فقط دون قلبه فكان الحكم عليه بالكفر والشرك والنفاق
والتعطيل في هذه الدار لحكمها على اهل هذه الصفات في الاخرة سوا وقد انعقد اجماع الملل

لها على كفره وانه لا يصح ان يسلم قط لانه ان اسلم حقيقة لم يجد الكفار والعصاة
من يوسوس لهم بالوقوع في الكفر والمعاصي ولا بد لكل عاص من واسطة فهو اول
من سن الشرك والكفر والمعاصي ثم بتقدير قوله اني اخاف الله رب العالمين توحيد
فانحن على يقين من استدامة ذلك الى الممات لان الله تعالى اخبر عنه انه يخطب لاهل
النار في النار وقد سئل الشيخ محيي الدين عن قول ابليس اني اخاف الله هل هو توحيد
فقال ليس ذلك بتوحيد لان ابليس اشقى الاشقيا وهو اول شقي من الجن فهو ولو وحد
بلسانه فليس ذلك بتوحيد شرعي يقبل منه انتهى ٥ ذكره الشيخ في الباب التاسع
من الفتوحات ٥ وذكر في الباب السابع والستين ان النار ابدا انما لا يقبل تخليد موحد
فيها باي وجه كان توحيده وابليس مخلد في النار بالاجماع وفي حديث مسلم من
مات وهو يعلم لا اله الا الله دخل الجنة فلم يقل وهو مومن ولا قال من مات وهو
يقول بل افرد العلم فلا يبقى بعد الشفاعات في النار احد ممن عمل عملا مشروعا من
حيث ما هو مشروع بلسان نبي ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك في
الصغر فيخرجون كلهم بشفاعة ارحم الراحمين فان قلت فلم اخص الله الجباه والجنوب
والظهور بالحرق لمن كنز الذهب والفضة ولم ينفقها في سبيل الله فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب السبعين انما خص الله تعالى الكي بهذه الاعضا الثلاثة لان صاحب
المال اذا راى السائل مقبلا عليه انقبضت اسارير جبهته لعلمه بانه يساله من ماله
فتكوى جبهته بما صنعه ثم ان الغني يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كانه ما عنده
منه خبر فيكوى بها جنبه فاذا عرف من السائل انه يطلب منه ولا بد اعطاه
ظهره فيكوى بها ظهره هذا حكم مانعي زكاة الذهب والفضة في النار انتهى ٥
فان قلت فلم كانت ابواب جهنم سبعة فالجواب لانها على عدد اعضا التكليف
الظاهرة سوا وباب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع الله عليه وما ذكره سبحانه
وتعالى ابواب النار السبعة التي يدخل منها الناس النار واما الباب المغلق الذي
لا يدخل منه احد فهو في السور باطنه فيه الرحمة لاقرار العبد بوجود الله ربا
واعترافه بعبوديته اليه وظاهره من قبله العذاب بالنار التي تطلع على الافئدة فان قلت
فلم كانت النار تحرق جوارح المكلفين الظاهرة فقط دون الباطنة فالجواب انما لم تحرق

لاعضا الباطنة لان ايمان عصاة الموحدين يمنع من تخلص النار الى قلوبهم فانظر
الى عناية التوحيد والايمان باهله فان الجوارح اذا احرقت غابت فلا تحس بعد ذلك
بالم فصاحب هذا العذاب كالنائم سواء حتى تاتيه الشفاعة فاذا بعثه الله من تلك النومة
وجد ايمانه على باب النار ينتظره فاذا غمس في نهر الحياة الذي على باب الجنة دخل الجنة
فلا يبقى في النار من علم ان الله اله واحد جملة واحدة فان قلت ان النار جاءت في
القرآن مطلقة ومقيدة يعني مضافة فهل في ذلك خصوصية فالجواب نعم لذلك خصوصية
وهي ان نار جهنم لها نضج الجلود وحرق الاجسام لانها نتائج اعمال حسية ظاهرة فيجمع لمن
هذه صفته بين العذابين كما فعل باهل الجزية من تعذيبهم باخراج اموالهم من يدهم قهرا
وصغارا وفي ذلك عذاب نفوسهم ايضا واما نار الله فهي مختبئة لانها نتائج لحال معنوية
باطنة وهو قول الله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ومعلوم ان الافئدة هي
باطن الانسان فهي تظهر في فؤاد الانسان وعن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة
والعبد منشئ النار في الحالتين فما عذب به سوى ما انشأه من اعماله واطال الشيخ في ذلك
في الباب التاسع والستين وثلاثمائة فراجعه فان قلت فما حكم ارض الموقف اذا لم يبق فيها
احد هل تصير من الجنة او النار فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة
ان ارض الموقف اذا خلت ولم يبق فيها احد تعود كلها لجهنم وان كان فيها زمهرير وذلك
لان حد جهنم من مقعر فلك الكواكب الى اسفل سافلين كما مر فهي تحوي على السموات والارض
على صورة ما كانتا عليه اذ كانتا رتقا فرجعت الى صفاتها من الرتق والكواكب كلها
طالعة فيها وغاربة على اهل النار بالحرور والزمهرير فيأتي الحرور على المحرورين وبالزمهرير
على المقرورين فان قلت اذا كانت الكواكب كلها طالعة وغاربة في النار فان
نهارها وجهنم سوداء مظلمة فالجواب ان نور الكواكب موجود ولكن اهل النار لا يشهدون
نورها لا حال شروقها ولا حال غروبها لما في دخان جهنم من الكدورة وكما كانوا في
الدنيا عميا عن ادراك الحق الذي جاءت به الشرايع كذلك صاروا عميا في النار عن
ادراك الانوار فليل اهل النار لا صباح له كما ان نهار الجنة لا ليل له ولا يزال
اهل الجنة واهل النار على ما وصفناه ابد الابدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة
باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت فان قلت قد بلغنا ان منازل

اهل النار ودركاتها وخوخاتها على عدد منازل اهل الجنة ودرجاتها وخوخاتها فهل
ذلك صحيح فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين نعم لا تزيد على منازل الجنة ودرجاتها
ولا تنقص ولكن ليس في النار نار ميراث ولا نار اختصاص كما مر اوائل المبحث وانما
ذلك خاص بالجنة فنار جهنم نار اعمال لا غير وقد بسطنا الكلام على النار في رسالة الكلام
على الدارين فراجعها والله اعلم فان قلت فهل تتوالد اهل النار كما هو شان اهل
الجنة فالجواب لا توالد في النار والله اعلم خاتمة ذكر الشيخ في الباب الحادي
والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات ما نصه اعلم انه اذا ذبح الموت بعد مجيئه في
صورة كبش ونادى المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا
موت ارتفع الامكان من قلوب اهل الجنة والنار من الخروج منها وكذلك يرتفع
من قلوب اهل النار فيا لها من حسرة ما اعظمها قال وتغلق ابواب النار غلقا لا فتح
بعده ابدا قال ولكن لا يخفى ان عين غلق ابواب النار هو عين فتح باب الجنة لانه
على شكل الباب الذي ان فتحته سددت به موضعا آخر فعين غلقه لمنزل هو عين فتحه
منزلا آخر وتقدم ان الباب الثامن الذي لا يفتح في النار هو باب الحجاب عن رؤية الله
عز وجل فلا يفتح ابدا قال الشيخ محيي الدين واعلم انه اذا اغلقت ابواب جهنم فارت
وغلت وصار اسفلها اعلاها واعلاها اسفلها وصار الخلق فيها كقطع اللحم في القدر الذي
على نار شديدة واطال في صفة عذاب اهل النار انتهى قلت فكذب والله وافترى
من اشاع عن الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله انه كان يقول ان اهل النار الذين هم
اهلها يخرجون منها بعد مدة تعذيبهم وكذلك كذب من دس على الشيخ في كتاب الفصوص
والفتوحات المكية ان الشيخ قايل بان اهل النار يتلذذون بالنار وانهم لو اخرجوا منها
لا استعاذوا وطلبوا الرجوع اليها كما رايت ذلك في هذين الكتابين وقد حذفت من الفتوحات
ذلك حال اختصاري لها حتى ورد على الشيخ شمس الدين الشريف المدني فاخبرني انهم دسوا
على الشيخ في كتابه كثيرا من العقايد الزايغة التي نقلت عن غير الشيخ كما مرت الاشارة اليه
في الخطبة فان الشيخ من كمل اهل الطريق العارفين باجماعهم وكان جليس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام
فكيف يتكلم شيا من اركان هدم شريعته ويساوي بين دينه وبين جميع الاديان الباطلة ويجعل
اهل الدارين سواء هذا لا يعتقد في الشيخ الا من زال عقله فاياك ان تصدق بالخبر من يضيف

شيا من العقائد الزائغة الي الشيخ وارحم سمعك وبصرك وقلبك وقد نصحتك والسلام
وقد رايت في عقائد الواسطي ما نصه ونعتقد ان اهل الجنة واهل النار مخلدون
في داريهما لا يخرج احد منهم من دار ابد الابدين ودهر الداهرين قال ومرادنا باهل النار الذين
هم اهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطلين لا عصاة الموحدين فانهم يخرجون من النار
بالنصوص ثم قال لان النار كما لا يليق بطبعها خلود موحد فيها كذلك لا تقبل بطبعها خروج
اهلها منها ابدا لانها خلقت من الغضب السرمدي قال وهذا اعتقاد الجماعة الي قيام الساعة
انتهي وفي لواقح الانوار التي جمعها محمد ابن سودكين من مجلس الشيخ وتقريراته اعلم يا اخي
ان جميع ما وجدته من قولنا بخروج اهل النار في ساير كتبنا وتقريراتنا فمرادنا بهم عصاة
الموحدين انتهي وقد نبه علي ذلك ايضا الشيخ عبد الكريم الجيلي في شرحه لباب الاسرار
من الفتوحات فقال واياك والغلط فتفهم من كلام الشيخ انه يريد بخروج اهل النار غير
الموحدين من العصاة فان ذلك خطا انتهي وقد رجع بحمد الله علي يدي جماعات كثيرة من
صوفية الزمان الذين لا غوص لهم في الشريعة عن اعتقاد خروج اهل النار الذين هم اهلها
تقليدا عن الشيخ لما اشيع عنه وتابوا الي الله تعالي بعد ان كانوا يتسارون بذلك فيما بينهم
فالحمد لله رب العالمين واما الكلام علي الجنة واهلها فنذكر لك يا اخي من ذلك نبذة صالحة
ان شا الله تعالي فنقول وبالله التوفيق قال الامام ابو طاهر القزويني في كتابه
سراج العقول في الباب الخامس والثلاثين منه اعلم ان الجنة اوسع من السموات والارض
وذلك قوله تعالي وجنة عرضها السموات والارض ذكر المفسرون في معاني عرضها وجوها
وفسروها بالعرض الذي هو ضد الطول ثم اشكل عليهم ان الجنة عرضها الذي هو مثل عرض
السموات والارض كيف تسعها السموات والارض وزادوا في بيان ذلك ما يزيد اشكالا
ولا يحل اشكالا والذي اراه ان معني عرضها اظهارا لاهلها عرضها بسمواتها وارضها علي اهلها
وانه من عرضت المتاع للبيع ومثاله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا فكما عرض الله جهنم
للكافرين فكذلك عرض الجنة للمومنين وروي الحاكم وصححه ان اعرابيا قال يا رسول الله
ارايت قوله تعالي وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم ارايت الليل اذا جا فاين يكون النهار قال الله اعلم فقال كذلك يفعل الله ما يشا فان
قلت فما معني قوله عرضها السموات والارض حمل السموات والارض عرضها فالجواب هذا

جايز في اللغة كما قال الشاعر ٭ ووجه نوره البدر التمام اي كنور البدر فيكون المعني
هنا كعرض السما والارض لتصديقه ما في سورة الحديد من قوله وجنة عرضها كعرض السما والارض
فان قلت فما وجه من منع حمل العرض علي العرض الذي هو ضد الطول فالجواب وجهه
انه جعل حكم ذلك حكم من نظر منا الي هذه السما التي يري قدر وسعها بعينه ومعلوم ان
محل الادراك من العين هو تلك اللعبة الصغيرة التي هي مقدار عدسة فعلي هذا يكون
نسبة عرض الجنة الي عرض السموات والارض نسبة هذا الرفيع مثلا من السما الي لعبة عينيك
وان الذي قدر علي بنا الجبال والغيلة العظام علي قوايمهن الصغار وقدر علي بنا تقلل
الانسان علي قدميه الصغيرتين لا يعجز عن بنا الجنة بسعتها علي السما التي يصغر في جنبها
اذ السما كالعمود تحت سقف بيت واسع قال الشيخ ابو طاهر القزويني واعلم ان سموات
الجنة عدد درجات الجنة وهي ماية واعلاها هو ما دلت عليه الاخبار وهو ساق العرش
ففي الحديث الجنة ماية درجة ما بين كل درجة والاخري كما بين السما والارض والفردوس
اعلاها ومنها تتفجر انهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيمة واما ارضها تنتهي الي سدرة
المنتهي لقوله تعالي عند سدرة المنتهي عندها جنة الماوي وسدرة المنتهي فوق اعلا
السموات السبع علي ما جا في الاحاديث وفي بعض الروايات عن ابن عباس ان الجنة في
جوف الكرسي هذا ما بلغنا من سما الجنة وارضها والله اعلم قال ولا يكون شمس ولا قمر كما قال
تعالي لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قيل معناه ولا قمرا وقيل لا حرا ولا بردا وانما
يكون بدل الشمس والقمر انوارا طالعة من سرادقات العرش وهي الانوار التي يكتسي بعضها
هذه كل ليلة فتطلع علينا حضيضة وفي الصحيح عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اين تذهب
الشمس اذا غربت قال تذهب حتي تسجد لله تعالي تحت العرش فتستاذن فتكتسي عليها
سبعين حلة من نور العرش ويوذن لها الحديث وعلمنا بهذا الحديث وغيره ان للجنة سموات
وارضا باقيات خالدات ابد الابدين لا تفني ولا تبيد ومن توقف فيما قلناه فانما هو
لحكومة علي المالوفات في هذه الدار كما قيل لمن ليس في بلادهم زنبيل انا راينا شيا يوضع
شي اسم احدها زنبيل والاخر فتيله قطن فيبنو ر علي الناس طول ليلهم فانه يستبعد ذلك
اشد البعد ولا يصدقه الا ان راه ولكن من رزقه الله قوة الايمان لا يتوقف فيما
اخبر الله ورسوله قال الشيخ ابو طاهر والاية التي اشكلت علي الايمة الماضين دالة علي

هذا المعنى وهو قوله واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ يريد ان السعداء يكونون في الجنة خالدين فيها دوام خلود سموات الجنة وارضها الا ما شاء ربك زيادة على الملك الدائم من النعيم السنية والالطاف الخفية مما اعد الله فيها كما في الحديث في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال واعلا نعيمها النظر الرضي والنظر الى وجه الله الكريم فمثل هذه هي العطايا الجسام والمستثناة من نعمة الخلود وتصديق هذا التفسير قوله تعالى في اخر الاية عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع واما قوله في صفة اهل النار خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد فهي دالة على ان للنار ارضا وسموات اذ السماء في اللغة هو كل ما علاك واظلك والارض كلما تحت قدمك فارض النار الدرك الاسفل وسماوات اطباق دركاتها طبقا فوق طبق الى ان تنتهي الى الصخرة التي فوقها نظير العرش فوق الجنة كما مر والله اعلم بحقيقة الحال فنعلم ايضا ان ارض النار وسمواتها باقيات خالدات ومعنى الا ما شاء ربك يعني ما شاء الله بعد خلودهم فيها من انواع الالام والعقوبات المتلونة الزائدة لهم على عقوبة الحبس الدائم قال الشيخ ابو طاهر وهذا الذي استنبطته في نظري في معنى هاتين الايتين رايته بعد ذلك منقولا في تفسير الحسين ابن الفضل وكان ذلك وقع الحافر على الحافر وهو اصح ما قيل في الايتين فان فيهما نيفا وعشرين قولا كلها ضعيفة قال ومثال تفسيرنا هذا امثال ملك استخلص بعض رعيته لنفسه واسكنه معه في داره وكان يفيض عليه من مبراته وخيره وحبس بعض رعيته في سجنه وصار يامر في كل يوم بانواع العقوبات لهم ثم صار الملك يخبر الناس عن حال الفريقين ويقول اما فلان ففي عنايتي وجواري يتبوأ معي في داري ما شاء لما شئت له من انواع المبرات والخيرات واما فلان ففي سجني لما شئت له من انواع المثلات والالام بصفات العقوبات زيادة له على الحبس الدائم قال وهو كلام سديد فتامله فانه نفيس فان قلت كيف يتصور الخلود الدائم والنعيم الابدي وكذلك العذاب السرمدي في العقل فالجواب يتصور ذلك في العقل بتجدد حالات بعد حالات على الدوام واما عدم تناهي ذلك فيما لا يزال فيدركه العقل المجرد ويتقاعس عنه الوهم والخيال فلا يكاد يتخيل ذلك لعجزه عن التصور مع كونه يجد ذلك بالدليل وقد قرب الامام الغزالي رحمه الله ذلك بقوله من يتخيل العدد المتناهي فليقدر ان الله خلق مثل هذه الدنيا الف الف مدينة وملا كلها من الحب ثم خلق طيرا يلتقط في كل الف الف سنة حبة واحدة فانه ينفد تلك الحبات من المدائن كلها ويبقى الابد كما كان وقد ورد في الحديث نحو ذلك فان قلت فهل اللذات الاخروية حسية ام عقلية ام خيالية فان هذا سؤال ضل فيه كثير من الناس فالجواب عن ذلك هو ان تعلم بان الحق ان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا والاخرة هي خير وابقى فلا يجوز ان تتقاصر لذاتها عن لذات النفس في الدنيا ولذات الدنيا في ثلاثة اوجه حسي وخيالي وعقلي فيمكن ان يخلق الله تعالى لاهل الجنة ادراكات اخر زائدة على هذه المدارك يدركون ما اخفي لهم من قرة اعين فضلا من الله ونعمة فان قلت فما هي اللذة الحسية اي التي تدرك بالحس والخيالية اي التي تدرك بالخيال والعقلية اي التي تدرك بالعقل فالجواب اما الحسية فهي كلذة الطعام بالذوق وكلذة النكاح وسائر الملموسات باللمس وكلذة الالوان والصور الحسان بالعين وكلذة المشمومات بالشم وكلذة الاصوات والالحان بالسماع ممن تلذذ بالحواس الخمس فهو الذي كمل عيشه قال واما اللذة الخيالية وهي المطلوبة في الدنيا فان الرجل ربما يتخيل اشياء تمناها فيتلذذ بها بل ربما راى الشيء الذي يهواه في المنام فيتلذذ به وقال بعضهم لا تكون اللذة الخيالية ابدا لان الجنة دار صدق واللذة الخيالية من قضايا الوهم الكاذب فهي اكاذيب وغرور والدار الاخرة دار الحقائق ولذلك سميت الحاقة قال تعالى الحاقة ما الحاقة قال المفسرون سميت الحاقة لان فيها حواق الامور وليس فيها اباطيل ولا اكاذيب بدليل قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا واذا كانت اللذة الخيالية بالتمني والامنية في الجنة من حيث ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فذلك يدل على ان اللذة الخيالية اماني والاماني اكاذيب واباطيل فلا يكون ذلك في الاخرة فان كل ما يشتهيه اهل الجنة يجدونه في الحال عيانا نقدا فلا يكون لهم امنية ابدا بل التذاذهم يكون بالموجود المشاهد لا بالمفقود المتمنى المتخيل فافهم ذلك فانه من غرائب امور الاخرة واما اللذة العقلية فلا خلاف في انها الذ الاشياء واقواها واشرفها للنفس واشهاها وابسطها للروح واعلاها واعتبر ذلك بلذة الفهم والعلم فانك اذا ادركت مسئلة كانت تشكل عليك رايتك تجد في قلبك وفي نفسك لذة لا يعادلها شيء من لذات الدنيا كما قال الامام ابو حنيفة رضي الله عنه لو يعلم الملوك ما نحن

من لذة العلم لحاربونا عليه بالسيوف وناهيك بلذة العزل والولاية والامر والنهي والابتهاج بالاشيا الموافقة بالطبع والغرض ولذة الوجدان كما وقع لبعض الاعراب انه ضاع له بعير فكان يقول الامن يبشرني بوجدانه وهو له فقال لو اله فما حظك اذا من ذلك فقال لذة الوجدان ومثل ذلك لذة الولد ومحادثة الاخوان الصادقين وقال الامام الشافعي رضي الله عنه لولا محادثة الاخوان والتهجد في السحر لما احببت البقا في هذه الدار وقس على ذلك سائر اللذات العقلية وان كان فيها التفاوت ولها مراتب فهي لذات غير منكرة في الدنيا فيجب اثباتها في الاخرة لقوله تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون الى غير ذلك من الايات والاخبار قال وهذا يكون الالام الحاصلة في الحس والعقل في جهنم لاهلها اعاذنا الله منها فقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ولا يخفى شدة العمى على من ابتلي به في الدنيا فقد بان لك يا اخي صحة اللذات الحسية والعقلية جميعا وكذلك الالام مثلها في الاخرة وقد سبق بسط القول في صحة اعادة الاجسام بارواحها واحساسها على ما هي عليه اليوم فاذا ثبت الانسان على ما هو عليه اليوم في العقل جوازا وفي الشرع وجوبا والالما صحتا له في الاخرة ايضا من غير شك ولا ريب فان قيل فاذا اكل اهل الجنة وشربوا فاين يذهب ثفل الطعام والشراب فالجواب قد ثبت في الحديث ان الطعام يكون جشاء والشراب يكون رشحا كرشح المسك وهو حديث حسن كما قاله القزويني قال ولقد جربنا ان من غذي باللبن والعسل لا يحتاج الى استفراغ قال الشيخ ابو طاهر ولولا خوف التطويل لاتممنا الكلام في بيان استحالة طعامهم وشرابهم الى الرشح والعرق وقد شاهدنا امراة تسمى عائشة من ناحية ابيورد لم تحتج الى المستراح منذ ثلاثين سنة وتواترت الاخبار ايضا بان تركمانا اقاموا عند الملك مسعود سنين ولم يدخلوا الخلا قط مع انهم كانوا ياكلون الا لما فاذا كان هذا موجودا في دار الدنيا مشاهدا مع طعامها الكثيف والثقيل وشرابها الوبيل وهوائها العفن ومائها الاجن فكيف ينكر احد ما اخبر به الانبيا والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من اطعمة الجنة وفواكهها مما يتخيرون ومما يشتهون من العسل المصفى والما الغير اسن واللبن الذي لم يتغير طعمه والشراب الذي لا يتصدع منه شاربه ولا ينزف وايضاح ذلك

ان اطعمة الجنة وفواكهها واشربتها لطيفة دقيقة خالصة صافية لا يعتريها الاستحالة ولا يكون لها اثفال منكرات ولا روائح مكروهات قال الشيخ ابو طاهر اعلم ان الله تعالى ما وصف الجنة بالاشيا الحاضرة عندنا كالعسل والزنجبيل والمسك والكافور والسندس والحرير والذهب والفضة واللولو والمرجان والحوراء الحسان وغير ذلك الا لتهتدي به القلوب وتستانس بها النفوس اما تصور ذلك في العقل فيستحيل لان التصور ادراك الوهم خيال ما ادركه الحس لعجز العقل عن تصوره ولو كان للخلق طريق الى معرفة ذلك لما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس ومقاتل ابن سليمان ليس شي مما يكون في الجنة من ثمرات وشراب وحلي وحلل تشبه ما في الدنيا بشي سوا ان الله تعالى وصف ما عنده بما عندنا فسمى لنا الذهب والحرير والنبات والفواكه ولا نعلم حقايق ذلك الذي عنده انتهى فان قيل اذا سماها لنا بما عندنا وهي على خلاف ذلك حقيقة فهو خلف وتعالى الله عن ذلك فالجواب انما تسميتها بما عندنا لا بد ان يكون ذلك بادنى مناسبة ليقع في افهامنا تعقله واصل ذلك قوله تعالى كمشكوة فيها مصباح واين المشكاة من نوره تعالى واذا كان فيه ادنى مناسبة فلا خلف ولا كذب وقد قال العلما بالله تعالى كل شي في الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل شي في الاخرة عيانه اعظم من سماعه والله اعلم فان قيل فما اللذة والرغبة في الطلح المنضود والسدر المخضود فالجواب قد اخبر الله تعالى ان في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين على العموم وشهوات نفوس الخلق مختلفة ولعل نفوس بعض اهلها تشتهي ذلك كما تشتهي ايضا السمك القديد وتستطيب اكله في دنياها لاسيما اهل البوادي من العرب وكيف وطلح الجنة وسدرها انما يشبه ما في الدنيا في الاسم فقط فلعل الله يخص ذلك بلذة في ذلك الموطن تفوق اللذات قال الشيخ ابو طاهر القزويني ونفي المكروه عن النفوس دليل على ما ذكرناه الا تراه تعالى يقول وسدر مخضود وطلح منضود فنفى الشوك ونفى احتمال الاذية في قطعها وفي ذلك دلالة على نفي وجود مكروهات النفوس هناك عكس الدنيا وفي بعض التفاسير ان الطلح في القران هو الموز فان قلت فهل في الجنة نكاح فالجواب نعم ثبت به الاحاديث

الصحيحة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعم دحاما دحاما اي كثيرا وانما
اراد به استغراقهم بذلك في لذة عظيمة ينالونها بخلاف لذة الوقاع في الدنيا فقد
قيل انها وهمية لا حقيقة لها فان قيل هل يولد لاحد في الجنة فالجواب نعم روي
ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ الحديث ان المومن اذا اشتهى الولد كان حمله
ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي وفي رواية ولكنه لا يشتهي قال الشيخ ابو طاهر
واصل هذه المسايل واشباهها نكتة واحدة وهي ان تعلم يا اخي ان شهوات النفوس في
الدنيا تابعة لمشتهياتها ومشتهيات اهل الجنة تابعة لشهواتهم فيها قال تعالى
ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولم يقل انفسكم تشتهي كلما فيها فاعرف قدر هذه النكتة فانها
عجيبة غريبة انتهى كلام الشيخ ابو طاهر واما كلام الشيخ محيي الدين رحمه الله
ان قيل كم اقسام اهل الجنة فالجواب هم اربعة اقسام الرسل والاوليا والمومنون
والعلما بالله تعالى من طريق الادلة العقلية فان قلت فهل تميز هذه الاقسام عن
بعضهم وبماذا يكون تميزهم فالجواب نعم يتميزون وذلك عند روية الحق جل وعلا
في جنة عدن في الكثيب الابيض وتميز كل قسم يكون بما هو جالس عليه فالرسل والانبيا
يكونون على منابر والاوليا على اسرة والعلما بالله من طريق البرهان والنظر العقلي
يكونون على كراسي والمومنون المقلدون في توحيدهم يكونون على مراتب دون
الاسرة انتهى فان قلت فما المراد بحديث السبعين الف الذين يدخلون الجنة بغير
حساب هل المراد لم يكن في حسابهم وظنهم ام المراد انهم يحاسبون كغيرهم فالجواب
المراد بهم كما مر في مبحث الحساب ان دخول الجنة لم يكن في حسابهم ولا في خلدهم ولا تخيلوه
قط فبدا لهم خير من الله لم يكونوا يحتسبون وليس المراد به الحساب بين يدي الله عز وجل ه
ذكره الشيخ في الباب الثامن والاربعين وثلاثمائة ه وقال في الباب السبعين من
الفتوحات في معنى حديث البخاري من كان من اهل الصلاة دعي يعني يوم القيمة من
باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة
دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الصيام قال ابو بكر
يا رسول الله ما على هذا الذي يدخل من تلك الابواب كلها من باس يدعى منها كل احد يا رسول
الله فقال نعم وارجو ان تكون منهم يا ابا بكر معنى الحديث ان دعا الله الناس الى الدخول

دعا واحدا فمنهم من يدخل من باب واحد ومنهم من يدخل من بابين ومنهم
من يدخل من ثلاثة واعمهم دخولا من دخل من الابواب الثمانية في آن واحد وايضاح
ذلك ان اعضا التكليف ثمانية لكل عضو منها باب فاياك يا اخي تنكر ذلك في الابواب
في الآن الواحد وانت تشهد ذلك في العمل في فعل وترك كصايم يبصر في حال استماعه
موعظة في حال تلاوة في حال صيام في حال تصدق في حال ورع في حال تحصين
فرج كل ذلك بنية التقرب الى الله تعالى قال وهذه المسالة من جملة مسايل ذي النون
المصري المشهورة التي تحيلها العقول وهو ان الواحد يكون بجسمه الواحد في اماكن
مختلفة في الآن الواحد فاهل الكشف يعرفون هذه المسايل واهل العقل ينكرونها
فمن تحقق بمعرفة ما قلناه لم يتوقف في دخول الواحد الى الجنة من ابوابها الثمانية
في آن واحد اذ النشاة الاخروية تعطي هذه الامور كما ان نشاة الدنيا تعطي جميع
شعب الايمان في الانسان في زمان واحد من غير استحالة انتهى فان قيل
فهل للجنة معنوية ايضا كالحسية او ما ثم للجنة غير الحسية فالجواب نعم ان الجنة على
نوعين جنة حسية وجنة معنوية والعقل يعقل هاتين الجنتين معا كما انه يعقل العالمين
العالم اللطيف والعالم الكثيف ويعقل عالم الغيب وعالم الشهادة وايضا ذلك ان النفس
الناطقة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما
وصلت اليه من ذلك بالادلة العقلية ولها ايضا نعيم بما تحمله من اللذات والشهوات
مما تناوله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من اكل وشرب ونكاح ولباس
وروايح ونغمات طيبة وصور حسان فان قلت فمم خلق الله هاتين الجنتين
وهل خلقهما من مادة واحدة ام من مادتين فالجواب قد خلقهما الله تعالى من
مادتين فاما الجنة المحسوسة فخلقها من رضاه وذلك الخلق كان بطالع الاسد الذي هو
الاقليد ولذلك كانوا يقولون للشي كن فيكون باذن الله واما الجنة المعنوية التي
هي روح هذه الجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح الالهي والكمال والابتهاج والسرور
فكانت الجنة المحسوسة كالجسم وكانت المعنوية لها كالروح وقواه ولهذا اسماه الله تعالى
الدار الحيوان لحياتها فاهلها ينعمون فيها وبملحسها ومعنى ورد في الحديث ان الجنة تشتاق
الى اربعة بلال وعمار وعلي وسلمان فوصفها بالشوق الى هولاء وما احسن موافقة هذه

الاسما فان بلالا ماخوذ من ابل الرجل من دابه اذا خلص منه وسلم ان من السلامة
من الآلام والامراض وعمارمن العمارة اى بعمارة اهلها بزول المشوقها اليهم واما
علي جموش العلو اي تعلوا علي النار التي هي اختها واطال في ذلك ثم قال وتحقيق
ذلك ان الناس في هذه المسالة اربعة اقسام قسم تشتهيه الجنة وهو يشتهيها وهم
الاكابر من رجال الله عز وجل من رسول ونبي وولي كامل وقسم تشتهيه الجنة ولا
يشتهيها وهم ارباب الاحوال من رجال الله عز وجل المهيمون في جلال الله عز وجل حتى
يحجبهم ذلك عن شهود الجنة وما فيها وهولاء دون القسم الاول لجهلهم بما تطلب حقايقهم
وقسم يشتهي الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم عصاة الموحدين وقسم لا يشتهي الجنة ولا تشتهيه
الجنة وهم المكذبون بيوم الدين والقايلون بنفي الجنة المحسوسة ولا خامس لهذه الاربعة اقسا
انتهى فان قلت فما عدد انواع الجنان فالجواب هي ثلاثة انواع جنة اختصاص
وجنة ميراث وجنة اعمال فان قلت فمن اهل هذه الجنان فالجواب اما جنة
الاختصاص فهي التي يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا احد الاعمال من اول ما يولد احدهم
الي انقضا ستة اعوام غالبا ويعطي الله من شا من عباده من جنة الاختصاص ما شا ومن اهلها
المجانين الذين ما عقلوا ومنهم اهل التوحيد العلمي واهل الفترات الذين لم تصل اليهم دعوة
رسول من اهل التوحيد بالفطرة واما اهل جنة الميراث فهم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن
المومنين وهي الاماكن التي كانت معينة من اهل النار لو امنوا ودخلوها واما اهل جنة
الاعمال فهي التي ينزل الناس فيها باعمالهم فمن كان افضل من غيره في وجوه التفاضل كا
له من الجنة اكثر واعلم ان الرسل عليهم الصلاة والسلام ما فضلوا علي غيرهم الا بجنة
الاختصاص واما في العمل فيشاركهم غيرهم فيه فان قلت فاذن جنة الاختصاص
الالهي لا تقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل فالجواب نعم وهو كذلك لانها انما هي
فضل من الله تعالي يخص بها من يشا من عباده فان قلت فكم في جنة الاعمال درجة فالجوا
درجاتها مايه درجة لا غير كما ان النار كذلك مايه دركة كما مر في مبحث النار قال
الشيخ محيي الدين ثم ان هذه المايه درجة تكون في كل جنة من الجنان الثمان وصورتها جنة
في جنة واعلاها جنة عدن ويليها جنة الفردوس وهي اوسط الجنان ويليها جنة الخلد ويليها
جنة النعيم ويليها جنة الماوى ويليها دار السلام ويليها دار المقامة واما الوسيلة فهي اعلي

درجة في جنة عدن وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما مر في مبحث افضليته علي
ساير الانبيا والمرسلين ه وانما توقف حصولها له علي دعا امته غيرة الهية ان ينفرد احد دون
الله بالغني المطلق قال الشيخ محيي الدين ولا يخفي ان الراحة في الجنة مطلقة ولبسا الا
الرحمة وان كانتا ليستا بامر وجودي اذ هما عبارة عن الامر الذي يلتذ به ويتنعم به
المرحوم وذلك هو الامر الوجودي فكان من في الجنة متنعم وكل ما فيها نعيم الا راحة
النوم فان اهل الجنة ما عندهم من نعيمه شي لعدم التعب والنصب وانما راحة النوم
خاصة باهل جهنم لكن في اوقات كما تقدم في الكلام عليها ه قال وهذا يدل علي ان النار
محسوسة بلا شك ويويد ذلك قوله تعالي كلما خبت زدناهم سعيرا اذ النار لا تتصف
بهذا الوصف الا من حيث قيامها بالاجسام لا من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة ولا
النقص وانما الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنارية واطال في ذلك فان قلت
ان الله تعالي قد وصف الجنة بقوله تعالي ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا مع انه ليس
في الجنة شمس ولا قمر فكيف يعرف اهل الجنة البكرة والعشي فالجواب كما قاله الشيخ في
الباب الثامن والتسعين وثلاثمائة ان لاهل الجنة مقادير يعرفون بها انها مدة
الشمس في الدنيا في طلوعها وغروبها فيعلمون بتلك المقادير حد ما كان في الدنيا
بكرة وعشيا وعند ذلك يتذكرون انه كان لهم حالة تسمي الغداة والعشي فياتيهم الله عند
ذلك الذكر برزق بكرة وعشيا جمهور رزق خاص في وقت خاص معلوم عندهم وما عدا
ذلك فاكلها دايم لا ينقطع اذ الدوام في الاكل هو عين النعيم الذي يكون غذا الجسم ولكن لا يشعر
بذلك كثير من الناس ه وايضاح ذلك ان الانسان اذا اكل الطعام حتى يشبع فليس ذلك
بغذاء ولا هو باكل علي الحقيقة وانما هو كالجابي الجامع للمال في خزانته والمعدة خزانة لما
جمعه هذا الاكل من الاطعمة والاشربة فاذا حصل فيها اي في المعدة ورفع يده فحينئذ تتولاها
الطبيعة بالتدبير وينقل ذلك الطعام من حال الي حال ويغذيه به في كل نفس يخرج عنه
دايما فهو لا يزال في هذا دايم ولولا ذلك لبطلت الحكمة في ترتيب نشاة كل متغذ ثم اذا
خلت الخزانة حرك الطبع الجابي الي تحصيل ما يملاها به فلا يزال الامر هكذا دايم ابدا فهذا
هو صورة الغذا في المتغذي فعلم ان التغذي موجود في كل نفس دنيا واخرى واطال في ذلك
وقال في الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة في قوله تعالي للذين احسنوا الحسني وزيادة

R١٤

اعلم ان هذه الاية تعيينا لمعين وزيادة لغير معين اذ الزيادة هي كلما لا يخطر بالبال كما اشار اليه حديث ان في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد ان يكون غير معلوم للبشر صفة غير معلومة ولا معينة بها يحصل هذا الذي ذكر انه ما خطر على قلب بشر لو انه مجهول لمجهول وفي القرآن العظيم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فنكر النفس ونفي العلم بما اخفي لهم من قرة اعين فعلمنا على الاجمال انه امر مشاهد لكونه تعالى قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذان ولا بشي من الادراكات واطال في ذلك فان قلت فما المراد بحديث الصور التي في سوق الجنة هل هي برازخ ام لا فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة انها كلها برازخ وذلك ان اهل الجنة ياتون الى اهل هذا السوق من اجل هذه الصور التي تتقلب فيها اعيان اهل الجنة فاذا دخلوا هذا السوق صار كل من اشتهى صورة دخل فيها وانصرف بها الى اهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة الصورة الواحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخل فيها ويلبسها ويحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر الى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل في تلك الصورة وانصرف بها الى اهله والصورة كما هي في السوق كما خرجت منه فلا يعلم حقيقة هذا الامر الذي نص عليه الشرع ووجب به الايمان الا من علم نشاة الاخرة وحقيقة البرزخ وعلم تجلي الحق تعالى للقلوب وانه لا يكون الا بصورة الاستعدادات اذ المشاهد لذلك يشهد ببصره تحوله في الصور ويعلم عقلا انها ما تحولت قط فكل قوة ادركت بحسب ما اعطتها ذاتها وقد صدق الله تعالى العقل في حكمه والبصر في حكمه ولله تعالى بنفسه علم اخر غيرها ادركه العقل والبصر انتهى فان قلت ما هذا الكثيب الابيض الذي يكون في جنة عدن فالجواب هو مسك ابيض يضع الملائكة عليه منابر الانبيا واسرة الاوليا ومراتب المومنين كما مر وجنة عدن هي قصبة الجنان وقلعتها وهي حضرة الملك الخاصة وحضرة خواصه لا يدخلها احد من العامة الا بحكم الزيارة ذكره الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة واطال في ذلك ثم قال واعلم انه اذا اخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رويته فيسارعون للروية على قدر سيرهم ومسارعتهم الى الطاعات في دار الدنيا سرعة وبطوا فان من الناس السريع ومنهم البطي

ومنهم

ومنهم المتوسط فاذا اجتمعوا في الكثيب عرف كل شخص منهم مرتبته علما ضروريا يجري اليها ولا ينزل الا فيها كما يجري الطفل الى الثدي والحديد لحجر المغناطيس ولو رام احد ان ينزل في غير مرتبته لما قدر ولو رام ان يتعشق لغير مرتبته لما استطاع بل كل واحد يرى في منزلته انه بلغ منتهى امله وقصده فهو متعشق لما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت الجنة دار الم وتنغيص عيش ولم تكن دار نعيم غير ان الاعلى له نعيم بما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الادنى وادنى الناس منزلة من لا نعيم له الا بمنزلته خاصة واعلاهم الذي لا اعلى منه من له نعيم بالكل فعلم ان كل شخص مقصور عليه نعيمه وهذا حكم عجيب فان قلت فاذا وقع التجلي الالهي فهل هو عام لجميع المعتقد فياخذ كل واحد من ذلك التجلي الواحد حظه ام لكل شخص تجل مستقل فالجواب ليس هناك الا تجل واحد عام لصور المعتقدات الرعية فالتجلي واحد من حيث العين وكثير من حيث اختلاف الصور ثم ان الخلق اذا راوا ربهم عز وجل انصبغوا عن اخرهم بنور ذلك التجلي فظهر كل واحد منهم بنور على صورة ما بينا هذه بحسب استعداده فان قلت فهل من عرف الحق في دار الدنيا في سائر مراتب التنكرات الاسلامية يراه في الاخرة كذلك ام لا فالجواب كما قاله الشيخ نعم يرى ربه في صورة كل اعتقاد اسلامي فما الذاهب روية فمثل هذا له نور كل معتقد كما ان من عرف الله تعالى من طريق عقله في طريقة من الطرق كان نوره بحسب تلك الطريقة فقط وقد تقدم في مبحث روية الله عز وجل اقسام الناظرين الى ربهم في الدار الاخرة ومراتبهم فراجعه والله اعلم فان قلت فهل شجرة طوبى لجميع شجر الجنان كادم عليه السلام لما خرج في ظهره من البنين فالجواب نعم هي لجميع شجر الجنان كادم بالنسبة لبنيه فان الله تعالى لما غرسها بيده وسواها نفخ فيها من روحه كما فعل في مريم عليها السلام ولذلك كان عليه السلام يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص من العلل التي لا تقوم للخلق على برئها من حيث هو انسان فكما ان شرف ادم كان باليدين ونفخ فيه الروح وكان ثمرة ذلك النفخ علم الاسما كذلك كان شرف شجرة طوبى بغرسها باليد كما يليق بجلاله تعالى ونفخ الروح فيها وكان ثمرة ذلك النفخ تزيينها بثمرة الحلي والحلل اللذين هما زينة لكل لابس فاعطت شجرة طوبى كلما فيها من ثمرة الجنة كما اعطت النواة النخلة جميع ما تحمله من النوى الذي في جميع ثمرها فان قلت قد تقدم مذهب

للشيخ ابي طاهر رحمه الله في توالد اهل الجنة فما مذهب الشيخ محي الدين في ذلك فالجواب
ان مذهبه وجود التناسل في الجنة ووقوع التوالد من حيث الاجسام و الارواح
وعبارته في الباب التاسع والستين وثلاثمائة اختلف اصحابنا في هذا النوع الانساني
هل ينقطع اشخاصه بانتهاء مدة الدنيا ام لا فمن لم يكشف قال بانتهايه ومن كشف له قال
بعدم انتهايه وقال ان التوالد في الاخرة في هذا النوع الانساني باق في المثل اذ الحق
تعالى لم يوجد شيا في العالم الذي لا اكل منه الا وله مثال في خزاين الوجود في كرسيه
تعالى وتلك الامثال التي تحوي عليها تلك الخزاين لا تتناهى اشخاصها فالامثال في
كل نوع توجد في كل زمان فرد في الدنيا والاخرة لتبقى كل نوع وجد منه فان قلت
فهل الحور العين على صورة نساء الدنيا ام لا تشبهها الا في الاسم فقط كما قاله ابن عباس بالنظر
الى فواكه الجنة وما كيفية جماع الحور العين فالجواب صورة خلق الحور العين على صورة
خلق الانثى مع انهن لسن باناسي واما صورة نكاحهن فكما ينكح الرجل منا المراة الادمية
الانسانية كذلك ينكح الحوراء في الرمل العرد وهذا النكاح خاص بالسعداء من بني ادم
فليس للاشقيا نصيب من النكاح في النار قال الشيخ محي الدين في الباب التاسع والستين
بعد كلام طويل فنعلم ان الرجل منا لو اراد ان ينكح جميع ما عنده من النسا والحور لنكحهن في
لمحة واحدة من غير تقدم ولا تاخر لخرق العوايد هناك وذلك كفاكهة الجنة لا مقطوعة
ولا ممنوعة فهي تقطف دايما من غير فقدان مع وجود اكل وطيب طعم فاذا افضى الرجل
الى الحوراء او الانسية كان له في كل دفعة شهوة ولذة لا يقدر قدرها لو وجدها اهل
الدنيا لغشي عليهم من شدة حلاوتها فيكون من الشخص الولد في كل دفعة وتكمل نشاته ما بين
الدفعتين فيخرج مولودا مصورا مع النفس الخارجة من المراة روحا مجردا طبيعيا فهذا
صورة التوالد الروحاني في البشر مع الجنس المختلف والمتماثل ولا يزال الامر كذلك دايما
ابدا فان قلت فهل يشاهد الابوان ما تولد عنهما من ذلك النكاح ام لا فالجواب
نعم يشاهدان ما تولد عنهما من ذلك النكاح ثم تختفي تلك الاولاد عنهما فلا يعودون
كالملايكة التي يدخلون البيت المعمور كل يوم لا يعودون اليه ابدا فان قلت فهل
لهولاء الاولاد حظ في النعيم المحسوس فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين ليس لهولاء
الاولاد نعيم محسوس ولا معنوي وانما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرويا بما يراه

في حال نومه وذلك لم تقتضه النشا الطبيعي فلا يزال النوع الانساني يتوالد ولكن
على هذا الحكم الذي ذكرناه فان قلت فما صورة توالد الارواح البشرية فانه
بلغنا ان لها في الاخرة كما لها في الدنيا من الاجتماعات البرزخيات مثل ما يرى النايم
في النوم فالجواب صورة توالد الارواح في الاخرة صورة ما يرى النايم في الدنيا انه
نكح زوجته وولد له ولد فكل من اقيم في هذا المقام ونكح زوجته من حيث روحها وروحه
يولد له اولاد من ذلك النكاح المحسوس في الاجسام والصور المحسوسات فتخرج الاولاد ملايكة
كراما بل ارواحا مطهرة فهذه صورة توالد الارواح لكن لا بد ان يكون ذلك عن تجلي
برزخي لتجلي الحق سبحانه وتعالى في الاحوال المقيدة فان البرزخ اوسع الحضرات لقبوله
وجود المحالات العقلية فيه فاذن صورة نكاح اهل الجنة صورة تنشي الملايكة او
الصور من انفاس الذاكرين لله تعالى وما يخلق الله تعالى من صور الاعمال كما صحت بذلك
الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والحال في ذلك في الباب السابق فان قلت
فما الحكمة في قوله ما تشتهي انفسكم دون ان يقول فيها ما تريد انفسكم فالجواب الحكمة في
ذلك كما قال الشيخ في الباب الثامن والعشرين وثلاثماية انه ما كل مراد مشتهى اذ
الارادة تتعلق بايجاد ما يلتذ به وبما لا يلتذ به واما الشهوة فانها خاصة
بالملذوذ ولذلك كان السعداء ياخذون الاعمال بالارادة والقصد وياخذون
النتايج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته
فقد عجل له نعيمه ومن رزق الارادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مشاهدة
ينال النتيجة بشهوة ولكنها مرتبة دون الاولى فان قيل فلم كانت الشهوات في الاخرة
لا تمنع شهود تجليات الحق تعالى ولا تحجب صاحبها كما هو حكم تناول الشهوات في هذه
الدار مع ان اللذات بالشهوات في الدار الاخرة اعظم من شهوات الدنيا فالجواب
انما كانت شهوات الاخرة لا تحجب عن الله تعالى لان التجلي هناك على الابصار وليست
الابصار بمحل للشهوات بخلاف التجلي في هذه الدار فانما هو على البصاير والبواطن
دون الظواهر ومعلوم ان البواطن هي محل الشهوات ولا تجتمع الشهوات المذمومة
والتجلي الالهي في محل واحد ابدا ولذلك جنح العارفون والزهاد في هذه الدار
الى التقلل من نيل شهوات النفوس في هذه الدار حين راوها حاجبة لهم عن شهود الاكل

علي ما هو عليه اذ المانع عن ادراك العلوم والانوار والتجليات انما هو كدورات
الشهوات والشبهات الهادمة لركن الورع الشرعي في الجوارح مع ان كدورات
الشهوات توثر في الاستعداد وتورث الحجاب وان كان المطعم والمشرب والمنكح مثلا
حلالا فافهم ذكره الشيخ في الباب الخامس عشر من الفتوحات فان قلت فكم يزور العبد
من ربه في كل يوم فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة ان
زيارة كل عبد لربه في الجنة يكون علي قدر صلاته كما ان رويته له في الاخرة تكون
علي قدر حضوره معه في صلاته كما ان مجالسته لربه تكون علي قدر فعله للواجبات
والمندوبات وترك الحرام والمكروهات في دار الدنيا كما ان مجالسة العبد لربه في
المباح تكون علي حسب النية فيه فان شاهد العبد ربه او نبيه صاحب التشريع في فعله للمباح
ولم يفعله مع الغفلة كما هو الغالب كان حكمه حكم المندوبات فيحضر مع ربه هناك كما يحضر
معه في فعل المندوب وان حجب عن شهود ذلك وفعل المباح مع الغفلة فليس له حظ مما
ذكرناه فان قلت فهل الثمر في سدرة المنتهي يكون علي عدد اهل الجنة كما قيل من غير
زيادة ام هو زايد علي عددهم كما هو الحكم في فواكه الدنيا فالجواب كما قاله الشيخ في الباب
السابق ان ثمرها يكون علي عدد نسم السعدا واعمالهم بل نقول ان الثمر عين اعمالهم واطال
في ذلك ثم قال نعلم انه ليس في جنة الاعمال قصر ولا طاق الا وغصن من اغصان هذه
السدرة داخل فيه وذلك الغصن فيه من الثمر علي قدر ما في العمل الذي هو الغصن هذا
صورته في الحركات فان قلت فما حكم ورقها في الحسن وعدمه فالجواب حكم ورقها ان فيه
من الحسن بقدر ما حضر العبد في ذلك العمل الذي الورق ظهر كما ان عدد اوراق كل غصن
يكون علي عدد ما في ذلك العمل من الانفاس قال الشيخ محيي الدين واعلم ان اسعد الناس بهذه
السدرة اهل بيت المقدس كما ان اسعد الناس بالقدس اهل الكوفة كما ان اسعد الناس برسول
الله صلي الله عليه وسلم اهل الحرم المكي كما ان اسعد الناس بالله عز وجل اهل القران انتهي قلت
ولم اطلع لهذا الكلام علي دليل والله اعلم فان قلت فما حكمة الاكل من هذه الشجرة فالجواب
حكمته زوال الغل من قلوب اهل الجنة فلا يزول الغل من قلب احد منهم الا ان اكل منها والله اعلم
فان قلت فما المراد بقوله تعالي في فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة هل المراد بذلك
انها لا تنقطع في فصول السنة ام المراد غير ذلك فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب

التاسع والتسعين ان المراد بذلك عند بعضهم ما ذكر في السؤال وهو ان الفاكهة تنقضي
بانقضاء زمانها ثم تعود في السنة الاخري وان المراد انها دايمة التكون لا تنقطع فهذا اصطلاح
علم العقول والذي عندنا نحن من العلم في قوله لا مقطوعة ولا ممنوعة ان الله تعالي جعل لنا فيها
رزقا يسمي قطفا ودنا ولا كما جعل الله تعالي لعالم الجن في العظام رزقا وما نري ينقص
من العظام شي فنحن بلا شك ناكل من ثمر الجنة قطفا مع كون الثمرة في موضعها من الشجرة ما زالت
عنها لانها دار بقاء يكون فيها الامور ولذلك كانت دار تكوين لا دار اعدام ونظير ذلك سوق
الجنة يدخل المومن في اي صورة شا من صور السوق مع كونه علي صورته لا ينكر احد من اهله ونحن
نعلم اننا قد لبسنا صورة جديدة تكونت لنا مع بقائها علي صورتها فاين العقول هنا والمعقولات
فان قلت هل تحجب اهل الجنة عن شي منها ام هي كلها مشهودة لهم فالجواب ان من خصائص
اهل الجنة انهم لا يغيب عنهم شي من العالم بل العالم كله علي مراتبه مشهود لهم مع كونهم غير متصفين
بالنوم كما مر ايضاحه فان قلت هل يتنعم اهل الجنة بالتمني فالجواب نعم يتنعمون بذلك بل هو
اعظم من كل نعيمهم فلا يتوهم احدهم فوق نعيمه او يتمناه الا حصل ووجد نفسه فيه فان قلت
فما سبب اعطايهم هذا النعيم المقيم والجزا العظيم الزايد علي مدة طاعتهم في دار الدنيا فالجواب
السبب في ذلك نيتهم الصالحة التي كانوا عليها في دار الدنيا وذلك ان احدهم كان يتمني لو عاش ابد
الابدين لكان مطيعا لله تعالي لا يشرك به شيا عكس اهل النار فلما قصرت بالمومن العناية الالهية
ولم يوت ما نواه من دوام الاعمال اعطاه الله تعالي بنظير هذا التمني في الجنة فيكون له فيها كلما
يتمناه فلحق هذا باصحاب تلك الاعمال التي كان نواها ابد الابدين مع درجاته في دار الدنيا
من التعب كما ورد في ذلك فمن نوي انه يقوم الليل فاخذ الله روحه الي الصباح فكتب الله تعالي
له اجر قيامه الذي نواه فان قلت قد بلغنا ان لنا جنة برزخية اخري فما هي تلك الجنة
فالجواب قد اشار القران الي هذه الجنة ولم يصرح بها وذلك في نحو قوله تعالي مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار
من عسل مصفي قال الشيخ محيي الدين وانما كانت هذه الجنة برزخية لانها ما هي محسوسة كقوله تعالي
متكئين علي سرر موضونة ولا هي روحانية كقوله تعالي في مقعد صدق عند مليك مقتدر فوصف الله
الله تعالي الجنان علي حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما اومانا اليه
من النعيم الروحاني فقال للحواريين حين اوصاهم بوصية وفرغ منها فاذا فعلتم ما امرتكم به كنتم

معي في ملكوت السماء عند ربي وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ونقدسه
وانتم هنالك تتلذذون بجميع اللذات من غير اكل ولا شرب انتهى قال الشيخ وانما صرح المسيح
عليه السلام بذلك ولم يرمز كما رمز كتابنا لان خطابه كان مع قوم هذبتهم التوراة ومطالعة
كتب الانبيا وكانوا متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق
مبعثه في قوم اميين اهل براري وجبال غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور
بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا والاخرة فلذلك جا اكثر اوصاف الجنان في كتابهم جسمانية
تقريبا لفهم العموم وترغيبا لنفوسهم انتهى فان قلت فما الحكمة في كون انهار الجنة اربعة
من غير زيادة فالجواب انما كانت اربعة لان التجلي العلمي لا يقع الا في اربعة صور ما ولبن
وخمر وعسل ولكل قسم من هذه الاربعة اهل فاهل انهار الماء هم اصحاب العلوم التي يدخلها الآراء
واصحاب انهار اللبن الحليب الذي لم يتغير طعمه لعقد او مخضه او ترييبه لاصحاب الاستنباط
الصحيح من الائمة المجتهدين واصحاب انهار الخمر هم الامنا من اصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر
عليه السلام واما اصحاب انهار العسل المصفى هم اهل العلم بالله تعالى وبشرائعه من طريق الالهام
فان قلت فما صفة التكوين الذي يعطاه اهل الجنة فالجواب صورته انه كلما خطر لاحدهم
تكوين شي يكون في اسرع من لمح البصر فلا يزال اهل الجنة يكونون ما شاوا بارادة الله تعالى لا يرتفع
الافتقار والذلة هنالك فان الذلة خاصة باهل النار وما عند اهل الجنة الا العز فان قلت
هل الحكم الاعظم في الجنة للارواح عكس الدنيا فالجواب تنطوي اجسام اهل الجنة في ارواحهم
وتكون الارواح ظروفا للاجسام ويكون الظهور والحكم للارواح ولهذا يتحولون في اي صورة ارادوا
كما هو اليوم عندنا للملائكة وعالم الارواح قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وقد زل بعض اهل
الكشف فقال بحشر الارواح دون الاجسام حين راى تطور اهل الجنة كيف شاوا وغاب
عنه ما قلناه من انطوا الاجسام في الارواح فلو حقق الكشف في نظره لراى الاجسام منطوية في
الارواح فان قلت فهل تتفاوت اجسام اهل الجنة في الصفا فالجواب نعم تتجوهر ابدانهم بحسب
صفا اعمالهم الصالحة في دار الدنيا فكل من كان اكثر اخلاصا في علمه وعمله وتوحيده كان
انور واشف فان قلت فاذا كان اهل الجنة ترشح ابدانهم مسكا وليس لهم فضلات كالدنيا
فهل يكون لهم ادبار فالجواب لم يرد لنا شي في ذلك من طريق النقل والذي يظهر ان ليس لاهل
الجنة ادبار مطلقا لان الدبر انما جعل في الدنيا للغائط ولا غائط هنالك ولولا ان فرج

الرجل يعني ذكره يحتاج اليه في جماع زوجته هناك او للولادة ان وقعت لما كان
لاهل الجنة ذكر ولا فرج فان قلت فكم عدد درجات الجنة فالجواب هي على عدد
شعب الايمان لا تزيد ولا تنقص وقد ورد ان شعب الايمان بضع وسبعون شعبة
والبضع من الواحد الى التسعة فمن اجتمع فيه شعب الايمان كلها فهو الذي يتبوا من الجنة
حيث يشا قال الشيخ محيي الدين وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضا صورة
دوائر ثمانية جنة في قلب جنة اعلاها جنة عدن فهي بمنزلة دار الملك يدور عليها
ثمانية اسوار بين كل سورين جنة ويلي جنة عدن في الفضل الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة
النعيم الى اخرها كما مر قال وكل جنة من هذه الجنان يصدق عليها اسم اخواتها فجنة النعيم
مثلا جنة خلد ودار سلام وجنة ماوي وجنة مقامة الى اخره فان قلت فهل لهذه
الجنان اتصال بمنزلة الوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونه هو المشرع
لامته ما وصلوا به الى دخول الجنة فالجواب نعم ما من جنة من هذه الجنان الا وهي
متصلة بالوسيلة وذلك ليتنعموا بشهود طلعته صلى الله عليه وسلم فسائر الجنان تتفرع من
مقام الوسيلة ولها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل
تلك الجنة فهي في كل جنة اعظم منزلة تكون فيها فان قلت فهل درجات الجنة
موازنة لدركات اهل النار كما قيل فالجواب نعم هي موازنة لها كما قال الشيخ في الباب
السادس والتسعين ومائتين وايضاح ذلك انه ما ثم الا امر ونهي فان عمل العبد ما امر به
كانت له درجة وان عمل ما نهي عنه كانت له دركة موازنة لتلك الدرجة لو سقطت من
تلك الدرجة حصاة لوقعت على خط الاستوا لتلك الدركة من النار وكذلك الانسان اذا
سقط من العمل بما امر فلم يعمل كان ذلك النزول لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك
فعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم يلي الجنان فلا ولي يتنعم بجنته الا وهو صلى الله
عليه وسلم متنعم معه بنعمته مشارك له فيها لان الولي ما وصل الى ذلك الا باتباع
شريعته صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به في نعمته وهو معنى قوله صلى
الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها فله صلى الله عليه وسلم من لذة
التنعم مثل لذة جميع العالمين بشريعته زيادة على ثواب اعماله الزكية وعلى ما قاله الشيخ
تقي الدين السبكي وغيره ان جميع شرائع الانبيا من باطنه صلى الله عليه وسلم من حيث انه نبي الانبيا

كلهم فله مثل اجر جميع العالمين بجميع الشرايع فان قلت فما اعظم منزلة تكون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في الاخرة فالجواب ان اعظم منزلة تكون له وقوفه بين يدي الله عز وجل
كما ينبغي لجلاله لتنفيذ الاوامر الالهية في ذلك اليوم العظيم فهو الترجمان في حضرة الحكم العدل
جل وعلا دون جميع الخلق قال الشيخ محيي الدين ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم
في ذلك المقام ان اهل الموقف كلهم ياخذون عنه هنالك لانه في ذلك الموطن هنالك وجه
كله ويرى من جميع جهاته وله اعلام من الله تعالى في كل جهة تفهم عنه ما يريد فان قلت
ففي اي منزلة تكون شجرة طوبى فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والسبعين
من الفتوحات والشيخ ابو المنصور في رسالته ان اصل شجرة طوبى في منزل الامام علي بن
ابي طالب رضي الله عنه لان شجرة طوبى هي حجاب مظهر نور فاطمة الزهرا رضي الله عنها فما
من جنة من الثمان ولا درجة فيها ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى لا يعرف
غالب الناس اين اصله حتى ان بعض من كشف له عن احوال الجنة زعم ان الجنة في الهوا اصلها
دون الارض حين لم ير الا الفرع والحال انها مغروسة في ارض الجنة التي هي مسك اذفر واصل
كل ذلك حتى يكون ستر كل نعيم في الجنان وكل نصيب للاوليا متفرعا من نور فاطمة رضي
الله عنها فان كل بيت تدلى في بيت او قصر او مخدع وجميع ما طلب العبد في الجنة من ثمر
وحلل وطيب وحور عين وغير ذلك من مظهر نورها فان قلت فما معنى قوله تعالى في
الجنة اكلها دايم وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فان الاية الاولى تقتضي دوام
الاكل والثانية تقتضي تخصيصه بوقت دون وقت فالجواب ان معنى قوله تعالى اكلها
دايم اي لا ينقطع عنهم شي اشتهوه لانهم ياكلون دايما لكن لما كان الغذا يمد الجسم بالقوة كان ذلك
بمثابة من ياكل دايما فان قلت فما الفرق بين لذة اكل الدنيا واكل الجنة فالجواب الفرق
بينهما ان اكل الدنيا تزول لذته اذا نزل الى الجوف بخلاف اكل الاخرة فان لذته تقوم
مدة بقايه في البطن حتى ينزل عليه طعام اخر فيتجدد له لذة اخرى غير ما قبلها وهكذا
فان قلت فما معنى قوله تعالى بكرة وعشيا مع انه لا شمس هنالك ولا قمر كما في دار الدنيا
فالجواب كما قاله الشيخ في الفتوحات ان معناه ان مقدار البكرة والعشي بالنظر لاحوال
الدنيا قال وذلك لان الحركة التي كانت تسمى بالشمس ويظهر من اجلها طلوعها وغروبها
موجودة في الفلك الاطلس الذي هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة سابحة كسباحتها الان

في املاكها على حد سوا قال ولولا ذلك ما عرف اهل التقويم في الدنيا متى يكون الكسوف
ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن اعيننا فلولا المقادير الموضوعة والموازين المحكمة التي
قد علمها الله تعالى للمقومين لما علم احدهم متى يكون الكسوف فان قلت فهل يصح في
الجنة رفع حجاب العظمة لاحد من الخواص حتى يرى الخواص ربهم على وجه الاحاطة به
فالجواب حجاب العظمة الذي هو كناية عن عدم الاحاطة بالله تعالى لا يرفع ابدا وانما
المراد بكمال الروية له تعالى زيادة انكشاف امر لم يكن لاهل الجنة قبل ذلك اذ لو كشف
حجاب العظمة لاحاط الخلق علما بربهم ولعرفوه تعالى كما يعرف نفسه ولا قايل بذلك فليست
الا الروية الواقعة لاهل الجنة كلهم الامر بين انكشاف لهم لا غيره ولذلك قال المحققون انه يرى
تعالى بلا كيف فان قلت فما الوجه الجامع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
وبين قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة احد بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا
انا الا ان يتغمدني الله برحمته فالجواب هذا من تعليق الاسباب على مسبباتها ومعلوم
ان الكل من الله تعالى فمن راى الى توقف دخول الجنة على العمل قال انه دخل الجنة بعمله ومن
نظر الى خالق السبب قال انه دخل الجنة بفضل الله ورحمته ونقل الشيخ الكامل الراسخ
محيي الدين في الباب السابع والثامن من الفتوحات عن الشيخ ابي مدين امام الجماعة رضي
الله عنهم انه كان يقول يدخل الجنة السعدا بفضل الله ويدخل الاشقيا النار بعدل الله
وكل احد ينزل في داره بالاعمال ويخلد فيها بالنيات انتهى قال الشيخ محيي الدين وهو
كلام صحيح وكشف مليح جرى عليه حشمة وادب ووقار انتهى والله اعلم خاتمة
اذا سجد اهل الاعراف السجدة التي يومرون بها يوم القيمة رجحت موازينهم وسعدوا
وادخلوا الجنة قال الشيخ محيي الدين وهذه السجدة اخر ما يبقى من حكم تكاليف الدنيا
فان يوم القيمة برزخ بين الدنيا والاخرة فله وجه الى احكام الدنيا به دعي اهل الاعراف
الى السجود الذي رجحت به موازينهم وله وجه الى الاخرة به جوزوا باعمالهم قال وما
منع اهل الاعراف من الوقوع في النار حال كونهم كانوا على الخير الا وجود توحيدهم فهو المانع
لهم من الوقوع حتى وجدت منهم هذه السجدة فانظر يا اخي عناية التوحيد باهله فالحمد لله رب العالمين

وليكن ذلك اخر كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقايد الاكابر

جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم ونفع به مولفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه

وقد الفته بحمد الله في دون شهر وطالعت الفتوحات على عدد صفحاته فكنت اطالع على
كل مبحث جميع الكتاب لاخذ النقول المناسبة له وقد عدوا ذلك من الكرامات فان الفتوحات
عشر مجلدات ضخمة فعلى هذا الحساب قد طالعت الفتوحات كل يوم مرتين ونصفا مقدار
ذلك خمسة وعشرون جزءا كل يوم وقد قدمنا في مبحث الكرامات ان يؤمن بها صاحبها
كما يؤمن بها اذا وقعت على يد غيره فانا اول مؤمن بهذه الكرامة فلله الحمد اولا واخرا وكان
الفراغ من تاليفه في يوم الاثنين المبارك سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وتسعمائة
بمنزلي بمصر المحروسة بخط بين السورين قال ذلك وكتبه مؤلفه عبد الوهاب بن احمد
الشعراني الشافعي حامدا ومصليا ومسلما ومحسبلا ومحوقلا مستغفرا والحمد لله رب العالمين

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısmı: Hacı Beşir Ağa
Yeni Kayıt No:
Eski Kayıt No: 384